الكشف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه القرآن، واصطفى لتجليات أسمائه الحسنى من أدار على مركز نبوته الأكوان، فجعله فاتحًا طلسم العدم بفيضان روحه العظمى من نور القِدم، وخاتم المظاهر الأنبائية بصورته الكاملة الجسمانية النورانية.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، ولا موجود في الوجود سواه، كل شيء هالك في بحر هويته عدم عند تجلي سلطان حقيقته، فالدنيا بما فيها مظهر اسمه الأول، والآخرة بما فيها مظهر اسمه الآخر، وكل ظاهر مظهر اسمه الظاهر، وكل باطن مظهر اسمه الباطن، لا إله إلا هو وحده لا شريك له في شأن من الشئون، (**إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**) [يس:٨٢].

وأشهد أن محمد ﷺ مُجلاه الأعظم وحبيبه الأكرم، أعظم قابل لظهور كمالات أسمائه الحسنى الذي (**دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**) [النجم:٩] أول العابدين على الإطلاق، والجامع ما تفرق من النبوة بمقتضى أخذ الميثاق، فهو فرد الوجود جمعًا وفرقًا، والقائم بعبوديته في سائر العوالم تحقيقًا وصدقًا وحقًا، برزخ القِدم والحُدثان، جوهر حقائق الأشباح والأرواح من عوالم الأكوان، العبد المنزل عليه فرقان الأسماء والصفات؛ ليكون للعالمين نذيرًا، والنور القديم الذي كان قبل آدم نبيًا عالمًا سميعًا بصيرًا ﷺ في كل شأن إليه، صلاةً وسلامًا يستغرقان كل صلاةٍ وسلامٍ عليه، وعلى آله ورثة علومه وأسراره، وأصحابه الشاربين مناهل أحكامه وآثاره، وعلى كافة من انتمى إليه وعوّل في سلوكه إلى الله عليه، آمين

أما بعد...

من العبد الذي هو أقل من أن يذكر، وأذل من أن يفهم سؤال السائل فضلاً عن كونه يجيب وأحقر، وهو أدنى من أن يرقم اسمه أو يسطر إلى شيخ طريقة الإسماعيلية الأوحد الفاضل النبيه الشيخ أحمد الحمد، جذب الله قلبه جذبة أولي التحقيق، العارفين بمنزلة عليّ وقربه وحكم خلافة الصديق، وعمم أهل الإيمان والتوفيق، ومن دعا إلى الله على بصيرة ومن اتبع الطريق.

السلام عليك ورحمة الله وبركاته قد أطلعت أيها الأخ على ما رقمته من الأسئلة

البديعة، وما أشرت إليه من المقامات الرفيعة، فرأيت همة عالية وفطنة سامية، ولكن ما أشرت إليه كاد في زماننا أن يكون أعز من العنقاء، وأبعد من القبض على الثريا والجوزاء، وكيف وهو علَّمُ أناسًا تآزروا بمآزر التقوى والورع، لمَّا تجردوا عن ملابس الشهوات والطمع، وارتدوا برداء الزهد والإخلاص لمَّا تخلصوا من قيود الرغبة في العاجلة، وشردوا من تلك الأقفاص، فقلوبهم متوجه لما يحبه تعالى ويرضيه، وجوارحهم مشغولة بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه، رجال وأي رجال كأنهم في استقامتهم جبال، وحيث تطفلنا على تلك السادة، وتجاسرنا بما هو فوق العادة لما هم عليه من سعة الفضل وقبول الطفيلي، بل معاملته معاملة الأهل، فنقول: إن لأهل كل فن اصطلاحًا خاصًّا في ذلك الفن، فمن لم يعرف ذلك الاصطلاح فلا يتأتى له فهم ذلك ما عدا فن العلم بالله تعالى، فإنه مبني على الفتح الإلهي والكشف الرباني، فمن كشف الله له عن المعاني القدسية ، وتجلت له الأسماء الإلهية فإنه يعلم مصطلحاتهم كأنه هو الواضع لتلك الاصطلاحات.

وكذلك ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية فإن جميعه يعلم بالكشف الإلهي كالإزار والرداء والظل والكنف والجوار والصحبة والقرب والمعية وأمثال ذلك مما ورد في الشريعة المطهرة، فمن ذلك ما هو ظاهر كقوله تعالى: (**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ**) [القصص:٥] تفسيرها في قوله ﷺ: «**رُب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره**»[١] ومن ذلك ما هو خفي، فمن الخفي ما هو المسئول عنه من الحديث القدسي وهو قوله ﷺ حاكيًا عن الله تعالى أنه قال: «**العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، من نازعني واحد منهما قصمته**»[٢]، وفي رواية: «**أدخلته النار**»[٣]، هذا الحديث أحفظه قديمًا بهذا اللفظ، ورأيته في «الفتوحات المكية» في أسئلة الحكيم الترمذي التي هي مائة سؤال وخمسة وخمسون سؤالاً بلفظ: «**العزة إزاري، والعظمة ردائي، من نازعني واحدًا منهما قصمته**»[٤] وقد شرح الشيخ الأكبر هذه الأسئلة

---

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ومنها هذا الحديث، فإن الحكيم الترمذي ﷺ لما أبدى هذه الأسئلة في كتابه المسمى «ختم الأولياء» ذكر أنه لا يجيب عن هذه الأسئلة إلا رجل اسمه كاسمي، واسم أبيه كاسم أبي؛ أي: محمد بن علي، فكأن المجيب هو الشيخ الأكبر ﷺ، والشرط موجود فيه؛ إذ كل منهما محمد بن عليّ، إلا أن السائل: الترمذي، والمجيب هو: الحاتم الطائي الأندلسي.

قال الحكيم الترمذي: ما الإزار؟ قال الشيخ الأكبر: هو حجاب الغيرة الذي منع الأبصار من إدراك ذاته تعالى على ما هو عليه، ثم قال: ما الرداء؟ قال الشيخ الأكبر: هو الإنسان الكامل المخلوق على الصورة الإلهية، وقد أطال الشيخ في بيان المقام فليراجع في «الفتوحات المكية».

وأما معنى الحديث عند علماء الظاهر ﷺ: فالإزار والرداء من قبيل المجاز لمعنى الحجاب بجامع المنع في كل، فالعزة والعظمة والكبرياء تمنع رؤية ذات الله تعالى، كما يمنع الإزار والرداء رؤية ما ورائهما، فإن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فإن قلت: ما المراد بالإنسان الكامل الذي فسر الشيخ الأكبر الرداء به؟ قلنا: هو أول مجلى إلهي ظهر الحق به من الكنز المخفي كما ورد في الحديث الشريف: «**كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف، فأجبت أن أعرف فخلقت الخلق**»[٥]، فكان المجلى الأول هو: البرزخ، والواسطة بين القديم ﷻ وبين الخلق الحادث، فله وجه إلى النور القديم، ووجه إلى الخلق الحادث، وهذا المجلى وردت له أسماء كثيرة، فيسمى: بالدرة البيضاء، وبالياقوتة الحمراء، وبالزبرجدة الخضراء، وبالقبضة النورانية، وبالحقيقة المحمدية، وبالروح الأعظم الذي امتدت منه سائر الأرواح، ولولا هذه الروح ﷺ ما كان عرشٌ ولا كرسيٌ ولا لوحٌ ولا قلمٌ ولا ملكٌ ولا جنٌ ولا بشرٌ.

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي ﷺ في كتابه «الإنسان الكامل»: في باب خاص تكلم فيه على هذا الروح الأعظم ﷺ بعد كلام له فأعرفه فإنه الروح المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ:٣٨] فالإذن بالكلام هو للروح، فإن شفاعته مقبولة وكلامه لا يُرد، وإنما سماه الروح مع أنه ﷺ في ذلك اليوم بجسمه وروحه؛ لأن جسمه ﷺ روح، ولذلك كان لا يحجبه شيء، فخلفه وأمامه واحد، فكان يرى منهما على السواء، وكان يمشي في الشمس ولا ظل له،

---

(٥)

وكانت فضلاته طاهرة، وعَرقه أطيب من المسك الأذفر، وكذلك ما يخرج منه تبتلعه الأرض، ولا يُرى له أثر سوى الرائحة الطيبة في الموضع الذي كان يتغوط فيه، ويقوي ما قلناه إنه كان يأكل ويشرب موافقة لأهله وأصحابه وإلا فهو يبيت عند ربه يُطعمه ويسقيه، فهو الجوهر الفرد النوراني الذاتي الساري بحقيقته النورانية في سائر العالم، أفاضه الله من نوره القديم الذي قال فيه: **(ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)** [النور:٣٥].

وقد سماه الله نورًا من جهة أنه مظهر أحدية الله، فقال **(قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ)** أي: محمدﷺ، **(وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ)** [المائدة:١٥] أي: القرآن، فلذلك كان له وجه إلى القِدم ووجه إلى الحدوث، فمن وجه القِدم كان نبيًا، وآدم بين الماء والطين كما أخبر عن نفسه بذلك وأمر أن يقول: **(إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ)** [الزخرف:٨١]، وقال تعالى في حقه: **(وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ)** [الشعراء:٢١٩] وفي كتاب «التشريفات» عن أبي هريرة ﷺ «**أنه ﷺ سأل جبريل كم عمرت من السنين؟ فقال له جبريل: لا أدري، إلا أني أعرف كوكبًا يظهر في الحجاب الرابع كل اثنين وسبعين ألف سنة مرة، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال ﷺ: يا جبريل وعزة ربي أنا كنت ذلك الكوكب**»[٦] والظاهر أن المراد بالكوكب: النور الذي عبر عنه بقوله: «**كنت نورًا بين يدي ربي قبل خلق آدم بألفي عام**»[٧] وذكر الألفين لا ينفي ما عداهما، وقد أشار لذلك الشيخ الأكبر في قوله ﷺ:

أَلا بِـأَبِي مَـن كَـانَ مَلكًـا وَسَـيِّدًا ... وَآدَمُ بَـيْنَ المَـاءِ وَالطِّـيْن وَاقِـفُ

فَـذَاكَ الرّسُـولُ الأَبْطَحَـيُّ مُحمّـدُ ... لَـهُ فِـي العُـلا مَجْـدٌ تَلِيْـدٌ وَطـارفُ

أَتَى بِزَمَان السّعْدِ فِي آخِر المدَى ... وَكَـانَ لَـهُ فِـي كُـلِّ عَصْـرٍ مَواقِـفُ

أَتَـى لانْكِسَـار الـدّهْر يَجْبُرُ صَدْعَهُ ... فَأَثْنَـتْ عَلَيْـهِ السِّـنُ وَعَـوارفُ

إِذَا رَامَ أَمْـرًا لا يَكُـونُ خِلافُـهُ ... وَلَـيْسَ لِـذَاكَ الأَمْـر فِـي الكَـوْن صَـارِفُ

فقول الشيخ ﷺ: وكان له في كل عصر مواقف يشير إلى أزلية الروح المحمدي ﷺ، وذلك قولهﷺ: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[٨] فهذه الأولية أولية حكم لا أولية زمان، فإن الله تعالى سمى نفسه بالأول قبل خلق الزمان، وأفاض من نور ذاته محمدًا ﷺ

([٦])

([٧])

([٨])

بدون دخول تحت حكم الزمان؛ لأن الزمان من حكم الفلك، والفلك مخلوق من النور المحمدي، فهو روح الله المنفوخ منه في آدم عليه السلام، فلولا سريان الروح المحمدي في آدم ما كان آدم، فآدم وكل نبي بدا أو وليّ ما بدت نبوته أو ولايته إلا من تجلي الروح المحمدي في مرآه روحه.

فالروح المحمدي قطب الوجود بالأصالة أزلاً وأبدًا، فهو فرد الوجود الذي امتدت من جوهر حقيقته الجامعة سائر الأرواح والأشباح وكل نبي أو ولي فهو نائب عنه، ولمَّا أشرقت تلك الحقيقة الروحانية النورانية في مرآة روح ابن الفارض ـ قُدس سرُّه ـ وفني وجوده بتلك الحقيقة الجامعة، قال ما ذكره السائل: ومن لم يرث غنى الكمال فناقص، فالكمال الموروث كمال سيدنا محمد ﷺ، فمن لم يرث كماله ظاهرًا وباطنًا، شريعة وطريقة وحقيقة فهو ناقص من درجة الكمال، وكذلك لمَّا أفاض البحر المحمدي الروحاني المحيط فُأدْرِج الميزاب الفارضي في موجه الذي لا يُسمع له غطيط، فقال بلسان الحضرة المحمدية:

وَإنّـي وَإنْ كُنْـتُ ابـنَ آدمَ صُـوْرَةً فلِـي فِيْـه مَعنًـى شَـاهِدٌ بـأُبوتِي

فالأنبياء والأولياء مظاهر روحانية محمد ﷺ، وسماع نشيشها في ظهر آدم عليه السلام كناية عن إحساس آدم بسريان النور المحمدي في حقيقة ذاته حتى مازجه روحًا وجسمًا جملةً وتفصيلاً ومن عرف ذلك، وإن الأنبياء يكشف لهم عن الحقيقة المحمدية فهم أخذ الميثاق الإلهي على الأنبياء والرسل المخبر عنه بقوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ)** إلى قوله تعالى **(لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ)** [آل عمران:٨١] فدل القرآن العظيم أن كل نبي مأمور بالإيمان بمحمد ﷺ وبنصرته، وإنه الأصل، والباقون نوابه من أنبياء ورسل وأقطاب وأئمة هادين مهدين كما قيل:

كُـلُّ النّبيـينَ وَالرُّسُـلُ الكِـرَامُ أتَـوا نِيَابَـةً عَنْـهُ فِـي تَبْلِيْـغِ دَعْـواه
فَهو الرَّسُولُ إلى كُلِّ الخَلائِقِ فِي كُـلِّ العُصُـور وَنَابَـتْ عَنْـهُ أفْـواه

يشير إلى ذلك قوله ﷺ: «**آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة**»[٩] فهو السيد الأكبر على جميع السادات مطلقًا، فاندرج الكل في حكمه من آدم فمن دونه، كما اندرج آدم وحواء في اسمه **(طه)** [طه:١] بطريق الإشارة؛ لأنك إذا ضربت الطاء في الهاء؛ أي: تسعة في خمسة خرج خمسة وأربعون وذلك عدد اسم آدم، وإذا ضربت جزء الطاء وهو ثلاثة في

---

(٩)

الهاء خرج اسم حواء وذلك خمسة عشر، ومن كون آدم عليه السلام أمر بالإيمان بمحمد ﷺ ونصرته، وتجلي له النور المحمدي الساري في جميع أجزاء ذاته ظاهرًا وباطنًا روحًا وجسمًا، وعلم آدم أن الجسم المحمدي يوجد منه بطريق الصورة الظاهرة أمران يحفظ المَنيّ الطاهر، وألّا يضعه إلا في المطهرات من النساء، وأوصي ولده شيث عليه السلام بذلك، ولم تزل هذه الوصية معمول بها إلى زمن إسماعيل والد العرب عليه السلام، فهو جَد سيدنا محمد ﷺ بمقتضي قوله ﷺ: «**إن الله اصطفي كنانة من ولد إسماعيل، واصطفي قريشًا من كنانة، واصطفي من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار**»[10]، ولم تزل هذه الوصية معمول بها إلى زمن عبد الله بن عبد المطلب، فطهَّر الله هذا النسب الشريف من السفاح مطلقًا، فالمني الذي بدا منه ﷺ هو في الحقيقة نور منتقل من الأصلاب إلى الأرحام إلى أن وصل إلى صلب أبيه عبد الله ورحِم أمه آمنة

قال ﷺ: «**ما ولدتني بغي قط ما ولدني إلا نكاح الإسلام**»[11] فكيفيته وضع هذا النور بتزويج الطاهرات المنزهات عن الفحشاء والمنكر.

وإني أعتقد أن نسب ذرية سيدنا محمد ﷺ التي هي في صلب على باب المدينة العلمية، ومبتداها من قرار رحم البضعة النبوية محفوظ من رجس الزنا بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [الأحزاب:٣٣] فليس في ذرية النبي ﷺ ولد زنا البتة، ومن قال بخلاف ذلك فهو كافر قطعًا، فقد تبين العهد والميثاق وحقيقة الأمر الرباني الوارد على آدم عليه السلام ووضع هذا النور المحمدي وكيفية الوضع.

وأما السؤال السائل عن الصلاة العَلوية التي ذكرها الإمام المراغي في كتاب «تحقيق النصرة» فمن المعلوم اختصاصها بالنبي وحده ﷺ لا بعموم الأموات؛ لأنها مشتملة على أوصافه ﷺ ولا يلزم أن تتلي على كل ميت ولا بأس بها.

والوارد المشهور في الصلاة على الأموات أن يصلي عليهم بالصلاة الإبراهيمية في التكبيرة الثانية فقط، وأمر سيدنا عليّ رضي الله عنه بهذه لا لخصوص الأموات على أنه لو أضافها المصلي على الميت إلى الإبراهيمية لا بأس بذلك لقوله ﷺ: «**من سَنَّ سُنَّة حَسنة فله**

---

(١٠)

(١١)

أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»[١٢]، ولذلك توسع العلماء والأولياء ـ ﷺ م ـ من سلف وخلف وتفننوا في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ؛ ليحصلوا على أجر السُّنَّة الحسنة وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وأمَّا كون الناس لا يُصلُّون بها على الأموات؛ لأنها ليست بفرض، وما وردت بخصوصها في الصلاة على الميت، بل الوارد الإبراهيمية فقط، ولكن تلاوتها نور على نور كغيرها من مؤلفات العلماء والأولياء، ولاسيما باب المدينة العلمية، وحليل البضعة الزهرائية، والحامل للذرية النبوية، والداخل في الخصوصية العبائية عَليّ وأي عَليّ، فهو قطب العجائب وفلك الغرائب، فإنه مُظهر علوم رسول الله ﷺ الباطنة والظاهرة، ولهذا قال الصديق ﷺ: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته، معناه عند الأولياء: شاهدوا المعاني النبوية في صور الأهل والذرية، وعاينوها بأخلاقهم المرضية وأسرارهم الذكية المطهرة عن الأدناس الرجسية، وأمَّا ما أورده السائل من الحديث: إذا سُئل أحدكم عن شيء لا يعلمه.. إلى آخره فلأعّلمه ولا استحي من ذلك

وأما سؤال السائل عن خليفة رسول الله ﷺ فلاشك أنه خاتم ولاية سيدنا محمد ﷺ بالختمية[١٣] العامة المطلقة، الذي كان قبل سيدنا محمد ﷺ رسولاً، وبعد ظهور سيدنا محمد ﷺ وليًا تابعًا له، وخليفة عنه، فهو سر باطن سيدنا محمد ﷺ المخبر عنه بأنه روح الله وكلمته، فهو الروح الإلهي، وسيدنا محمد ﷺ روح الروح؛ لأن الروح المحمدي أول متعين بالظهور من نور الأحدية المطلقة، فالروح المحمدي حقيقة جميع الحقائق الجبروتية والملكوتية والملكية، بل المظهر المطلق لمعاني أسماء الله المقدسة التي يجمعها الاسم الأعظم الجامع، فهو شهادة الاسم الأعظم ـ الذي هو الله ـ بصورته النورانية وغيبه حقيقة

---

(١٢)

(١٣) وفسر ابن عطية الختم بثلاثة أوجه: الأول: أنه حسي حقيقة، فإن القلب على هيئة الكف ينقبض مع زيادة الضلال كما ينقبض الكف إصبعا، إصبعا.

الثاني: أنّه مجاز عبارة عن خلق الضّلال في قلوبهم وأنّ ما خلق الله في قلوبهم من الكفر والضلال والإعراض عن الإيمان سمّاه ختما.

الثالث: إنّه مجاز في الإسناد كما يقال: أهلك المال فلانا وإنّما أهلكه سوء تصرفه فيه.

قال ابن عرفة: وسكت ابن عطية عن هذا الثالث وهو إنما يناسب مذهب المعتزلة ولما جاءت الآية مصادمة لمذهبهم تأولها الزمخشري وأطال وقال : إنه مجاز واستعارة.

لا تُعلم، وإلى هذا أشار بقوله: «**لا يعرف قدري غير ربي**»[١٤] وقوله أيضًا: «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب**»[١٥]، وحيث كان حقيقة كل شيء أخبر الله عنه أنه أولى بنا منا ولو رام أحد أن يحيط بأسرار معنى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] يفني زمانه بل زمان الدنيا بأسره ولا يحيط بمعنى هذه الآية.

فإن الفرقان من طريق الإشارة هو المعاني المتفرقة في الوجود، وأول تفرق هو: تفرق الأسماء الإلهية من الأول والآخر، والظاهر والباطن، والمعز والمذل، والمقدم والمؤخر، والقابض والباسط، والخافض والرافع، والمعطي والمانع، فهذا الفرقان وما يتعلق به من المعاني والأحكام والآثار والحقائق والذوات والأعراض والتغيرات والانتقالات والاستحالات مع التكرار في الأنات جميعه منزل على باطن سيدنا محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، فبذلك صح أنه نذيرًا للعالمين على الإطلاق، وإنه رسول الرسل، ونبي الأنبياء، وولي الأولياء، وروح الأرواح، وشبح الأشباح، وحقيقته المطلقة مسمى الأسماء، حتى أن القوم العارفين من أهل الله يتغزلون بتلك الحقيقة المحمدية، ويُكنون عنها: بليلي وسلمى وهند وأسماء، وعن صورها في المشاهد القدسية والمجالي الروحية: بالظباء والغزلان والخيام والحي وأمثال ذلك، وقد يكنون عن الحقيقة المحمدية بالمنازل كالعقيق ونعمان والمنحنى والنقاء، وعن الحضرة الإلهية بأسماء المعشوقات الشهيرات، قال سلطان العاشقين ابن الفارض رضي الله عنه:

لـم يَـرُق لِـي مَنْـزِلٌ بَعْـدَ النَّقَـاءِ ... لا وَلا مُسْتَحْسَـنٌ مِـن بَعْـدِ مَـيّ

المراد بالنقاء: الحقيقة المحمدية، و(مَيّ) المحبوبة النازلة في ذلك المنزل، وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي النقاء؛ لأنها نقية مطهرة مقدسة عمَّا سوى الله تعالى، فهي مظهر الله والظاهر هو الله، فكأن الكمالات بتجلياتها بهذا المجلي الكامل النقائي نازلة ومستقرة فيه ولا أحسن من الحضرة الإلهية ولاسيما بتجليها بالحضرة النقية النورانية المحمدية، ولذا قال بعضهم من طريق الإشارة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] المشكاة: جسم سيدنا محمد ﷺ، والمصباح: قلبه،

---

(١٤)

(١٥)

والزجاجة: نفسه، والشجرة المباركة الزيتونة: هي النور الذاتي الغيبي المعبِّر عنه بالكنز المخفي، وزيتُها: هو الشرع الطاهر الممد لأهل الحقائق العرفانية، وكون الشجرة لا شرقية ولا غربية إشارة إلى العماء الذي ما فوقه وما تحته هواء؛ أي: الأمر برزخ بين الظهور المكنى عنه بالشرقية، والبطون المكني عنه بالغربية، يكاد زيتُها الإيماني يضيء بدون قدح نور العيان المشبه بالنار المحسوسة، نور إلهي غيبي على نور محمدي شهادي ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ الذي هو سيدنا محمد ﷺ ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥].

طار بنا طائر الأنس حتى وقفنا على شجرة القدس، فلنعد إلى تلك المذاكة اللطيفة من الكلام على الخليفة، فنقول قوله ﷺ: وأرض عن خليفته في هذا الزمان من جنس عالم الإنسان، مراده بالزمان بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ، فخليفته في الولاية هو خاتم الأولياء سيدنا عيسى عليه السلام وهو حي بلا شك ولا ريب، وإنما قال: وأرض عن خليفته مع أنه نبي رسول؛ لأنه لا حكم للنبوة والرسالة بعد ظهور سيدنا محمد ﷺ وهو من جنس نوع الإنسان من جهة أمه ـ عليها السلام ـ ثم قال: الروح المتجسد من جهة من وهبه لأمه فما وهبها إلا روحًا على شاكلته، فهو روح من جهة الواهب، جسد من جهة الأمر، إلا أن الروحانية غالبة عليه، فكان يصوم ولا يفطر، ويقوم ولا ينام، وينفخ في الجماد فينقلب حيوانًا ذا روح، ويبرئ بلمسه الداء العضال كل ذلك بإذن الكبير المتعال.

وأمَّا قول الشيخ الأكبر ـ ُقدس سره ـ في حق خاتم الأولياء عيسى عليه السلام: والفرد المتعدد إشارة إلى تشكله بصور شتى، وإذا كان الروح الجِنيّ يتشكل بصور شتى فكيف القول بالروح الإلهي النوراني، فله القوة أن يظهر بما شاء من المظاهر.

فقد حاز هذا الخليفة في الولاية المحمدية ما يحوزه المؤمن في سوق الجنة وهو سوق الصور الوارد في الحديث، فالمؤمن إذا دخل سوق الجنة وعاين ما فيه من الصور فأي صورة أحبها ظهر بها، وهذا هو السر في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] فمن المحال أن يسلطوا عليه بقتل أو صلب، فإن حقيقته روحية، والروح لا يقع عليها شيء من ذلك، وإذا كانت الحَيَّة تنسلخ من جلدها وتظهر بجلد آخر على صورة الجلد الأول فكيف يكون القول بروح الله وكلمته؟! فلا شك أنه الفرد المتعدد، وأمَّا كونه حجة الله في الأُقضية وعمدته في الأُمضية.

فذلك إشارة إلى نزوله ظاهرًا حكمًا مقسطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بالقرآن العظيم، ويرفع الاختلافات الدينية والمذاهب الاجتهادية، ولا يقبل إلا الإسلام المحض الخالص، فحكمه عين حكم من هو خليفة عنه في الحكم وهو سيدنا محمد ﷺ من له الأصالة في النبوة والرسالة والولاية والإمامة الباطنة والظاهرة والحكم والقضاء والإمضاء؛ إذ هو روح الأرواح كلها، +والممد للأشباح بأسرها، فالروح المحمدي هو المضاف إلى الله بلا واسطة في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩] فعيسى وغيره صورة من صور سيدنا محمد ﷺ فله السريان المطلق في كل شيء، فهو حياة الماء الذي قال تعالى فيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] ولذا ورد عنه ﷺ: «**إن الشوكة لتصيب أحدكم فأجد ألمها**»[١٦].

ألا ترى سر اتحاده بابن عمه حامل ذريته حيث قال: «**إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب عَليّ**»[١٧]، وقال في الحسن رضي الله عنه: «**إن ابني هذا سيد**»[١٨] فهو ابن حقيقي لا مجازي، وقوله: «**فأكون مع الله**»[١٩] آله اسم فاعل أَلِه بمعنى لاذ والتجأ؛ أي: أكون مع الله بلا أنانية وراثة ممن محاه الله، وأثبت نفسه فقال في رميه: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، والحاصل أن عيسى عليه السلام الذي هو حي ومشرف على عالم الملك والملكوت، قطب الخلافة الباطنة والظاهرة بعد احتجاب السيد الأعظم ﷺ عن العالم الشهادي بالنسبة لعامة الناس فيكون عيسى عليه السلام ممدًا بالإمدادات المحمدية باطنًا إلى أن يظهر بتنفيذ حكم سيدنا محمد ﷺ ظاهرًا، فلا يبقي إلا الإسلام المحض ويقتل الدجَّال ويستريح الخلق من الفتن، وقد شرَّف الله سيدنا محمد ﷺ بكونه جُعل نبيًا رسولاً تابعًا له، مظهرًا أحكامه، قائمًا بشرعه، حاملاً لسره، مركز الولاية المحمدية وأسرارها الروحانية مجلي الصنعة العلمية مأذونًا له في الإمضاء والإنفاذ بحكم قدرة الله النافذة القوية، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

---

(١٦)

(١٧)

(١٨)

(١٩)

فكل ذلك منن الله وتجلياته وإحسانه وإنعاماته، قال ﷺ: «**والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا**»[٢٠] وقال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء:١١٣] فالكل مظاهر الله بمعنى أسمائه الحسنى، والله تعالى هو الظاهر، فجميع العوالم بمنزلة موجة واحدة من أمواج البحر الاسم هو فما بالك ببقية الأسماء! قال الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾ [الحديد:٣]، وقال تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:١١٥]، ﴿**قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [المائدة:١٧]، وعند أهل الله إن ذلك واقع؛ لأن الله قال: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ**﴾ [القصص:٨٨]، أنظر ما هي الأمواج بالنسبة لحقيقة البحر؟ فالوجود: وجود الله وحده لا شريك مع الله في الوجود، وقال الجنيد قدس سره: إذا تجلي القديم أضمحل الحادث، وقال الشيخ الأكبر ﷺ:

فَمَا تَرَى عَيْنُ ذِي عَيْنٍ سِوى عَدَم ... فَصَــحّ أنّ الوجُــوْدَ ألمــدْركَ اللهُ

وقد خرجنا عن المقصود حيث عرجنا على مسألة وحدة الموجود، والقول بها بلا إجازة عن مرشد يُخشي منه الزندقة والإلحاد والحلول والاتحاد، ونعوذ بالله من ذلك، ونسأله تعالى سلوك خير المسالك.

وأمَّا قول: لأشهد حقيقتي على التفصيل ـ يعني من جهة الفتح الإلهي ـ فإن الإنسان مرآة العالم على الإطلاق، بل مرآة الأسماء الإلهية كما يفيده قول أبي الحسنين ﷺ: وتَزعُم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.

وكان يقول وهو على المنبر: أنا العرش، أنا الكرسي، أنا القلم، أنا اللوح، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه.

وكان يقول: لما لّقنني رسول الله ﷺ كلمة التوحيد بالتلقين الخاص صار عندي من العلم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل، فقيل: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن جبريل تخلف عن النبي ﷺ في عروجه عند السدرة ، وقال: وما منَّا إلا له مقام معلوم، ولم يدر حال رسول الله ﷺ بعد ذلك ، وأنا أدري

قال الشيخ الأكبر ﷺ في الأمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: إنه إمام الأولياء وسر الأنبياء، هكذا في «الفتوحات المكية»

---

(٢٠)

وأما قول الشيخ الأكبر في القطب الروحاني بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو عيسى ﵇: اللهم اجمعنى به؛ أي: بعلم اليقين، وعليه؛ أي: بعين اليقين، وفيه؛ أي: بحق اليقين، وقد أجاب الله دعاءه ﵁ فقد نص في «فتوحاته المكية» أن عيسى ﵇ شيخه الذي تجرد علي يديه من الدنيا، وأقبل على الله متفرغًا من سائر الشواغل، حتى أنه خرج عن جميع ماله الذي أصابه من جهة أمه، فإن أخواله كانوا ملوكًا، وإنما عُدَّ سيدنا عيسى ﵇ شيخه لأنه حي بلا شك ولا ريب.

وقد نص﵁: أنه اجتمع بسائر الأنبياء والمرسلين، بل قال: أشهدني الله جميع المؤمنين، وهذا أمر مشهور متواتر بين الأولياء ﵃ لا ينكره أحد من أهل الله تعالى

قال الشيخ صدر الدين القونوي ﵁ في كتابه المسمي بـ«النفخات»: كان شيخنا محيي الدين بن عربي ﵁ مالكًا لرؤية النبي ﷺ متى شاء، وذكر في كتابه «التجليات» أنه اجتمع بسادة عظام من أهل الله تعالى؛ كأبي عبد الرحمن السلمي والجنيد، والشبلي، والحلاج، وذي النون المصري، وذكر اجتماعه بالصديق، والفاروق، وأبي الحسنين ﵃ أجمعين ، وتذاكر مع الجميع في العلم بالله تعالى، ومن أراد أن يقف على حقيقة ذلك فلينظر في المعراج الروحاني الذي ذكره لنفسه، ونص عليه في كتابه «الفتوحات المكية»، وأنظر إلى قوله في هذه الصلوات فأعرف بذلك القليل والكثير، وأرى عوالمي الغيبية تنجلي بصوري الروحانية على اختلاف المظاهر....إلى آخره.

فإن قلت: ما حكمة ذلك وما السبب فيه؟ قلنا: تجرده عن عالم الملك، ومشاهدته عالم الملكوت، فإذا كُشف للسالك من عالم الأرواح أبصر أن هذا العالم حقيقة واحدة، وظهور الروح في الأشباح المختلفة بمنزلة ظهور الصور في مرائي متقابلة يوجد في كل مرآة منها ما في جميع المرائي، فمن كُشف له عن حقيقة نفسه عرف كل شيء من معرفته بنفسه، ثم يرتقي إلى معرفة المعاني القدسية من الأسماء الحسنى والشئون الإلهية، وعند ذلك يطلعه الله تعالى على أسرار القدر الحاكم في الخلائق، كل ذلك بالتجلي من الله تعالى.

فمنهم من يتجلي الله عليه باسمه الحفيظ العليم، وإلى ذلك إشارة سيدنا يوسف ﵇ في قوله: (ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ) [يوسف:٥٥] ، ومنهم من يتجلي عليه باسمه القدير ، ومنهم من يتجلي عليه باسمه الباسط أو القابض أو غير ذلك، فيقال بين الأولياء فلان عبد السميع وفلان عبد البصير؛ يعني أن الله تعالى أعطاه مزايا الاسم

المتجلى عليه به.

وأما القطب الجامع عليه السلام فهو عبد الله؛ لأنه محمدي، وارث لمن أوتي جوامع الكلم ﷺ ، ولكن الأصالة في القطبية لسيدنا عيسى عليه السلام، فإن له حشرين، يُحشر يوم القيامة في صف الرسل عليهم السلام ، ويُحشر أيضًا خلف سيدنا محمد ﷺ خليفة عنه تابعًا له في الحكم، فله الوراثتان: وراثة الأسرار الباطنة، ووراثة الحكم الظاهر، ولذا قال عنه: حجة الله في الأقضية وعمدة الله في الأمضية؛ لأنه لا يقبل إلا الإسلام وشريعة سيدنا محمد ﷺ، وأما بقية الأقطاب فقطبانيتهم من باب قوله عليه الصلاة والسلام: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»[٢١]ومن تدبر ما رقمناه عَلِم معنى الحديث الشريف: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها**»[٢٢] فالمراد من إحصائها بالتجلي الإلهي من الله تعالى؛ لأن الله تعالى ما تجلى لشيء إلا خشع له، ولذا قال ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه**»[٢٣] مع أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذه ثمرة المعرفة التي ورد فيها: «**من عرف نفسه عرف ربه وأعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**»[٢٤] فالذي لا يخشى الله تعالى لا علم له، قال الله تعالى: **(إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ)** [فاطر:٢٨].

فما كل من حفظ الأسماء الإلهية حفظ، ولا كل من قال: لا إله إلا الله قال، والدليلُ على ذلك أن الله تعالى يقول: «**ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم**»[٢٥] فمن لا صلاة له كيف يدخل جنة الصلاة؟ ومن لا صيام له كيف يدخل جنة الصيام؟ ومن لا زكاة له كيف يكون مع المزكيين؟ ومن لم يحج وهو مستطيع فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا

ألا ترى أيها الأخ إلى قوله تعالى: **(وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ)** [الأعراف:١٧٥]، ألا ترى قوله ﷺ: «**إن**

---

(٢١)

(٢٢)

(٢٣)

(٢٤)

(٢٥)

الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس»[٢٦]، ألا ترى قصد برصيصا العابد، وما انتهى إليه أمره.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الأنعام:٨٢]، فانظر إلى هذا الشرط في كلام الله تعالى، وقد قال أهل الله تعالى في هذا المعنى: ما استغني أحد بقوله: ألف دينار، ولا احترق لسانُ أحدٍ بقوله: نار، أين المقال من الحال؟! قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] فشَرَطَ سبحانه وتعالى الاستقامة، وإذا كان السيد الأعظم ﷺ شيَّبَتْهُ هود وأخواتها فكيف بنا؟! وهو أعرف الخلق بالله ومع ذلك فقد قال: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[٢٧] والأولياء وإن كانوا يعرض لهم حال الشطح والنية فذلك لضعفهم عن تحمل الأسرار الإلهية، أين هم من الذي غاصت أسرار الوجود بقلبه حتى لم يبق لها أثر، وبعد ذلك قال: «**إنما أنا عبد إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة**»[٢٨] فالعبودية أشرف المقامات، ولذا قال الشيخ الأكبر ﷺ: ُفتح لي من عبودية المصطفى ﷺ بمقدار الشعرة، ومع ذلك فإني أحس بأن عبودية سائر العالم قامت بذاتي.

أيها الأخ: لا يجوز أخذ علم أهل الله من الكتب بدون الإجازة من المشايخ الراسخين في الشريعة المطهرة ظاهرًا وباطنًا، فمن أخذ الفقه من الكتب غيَّر الأحكام، ومن أخذ الطب من الكتب قتل الأنام، ومن أخذ علوم الحقائق من الكتب خرج من الإسلام والحمد لله على التمام ونسأله حُسن الختام.

قد شوت َأحْشَائِي صَيدًا أيَّ شَي ... ذَات تِيــهٍ لا تعــدُ العِشْــقَ شَــي
إنْ بَـدتْ فَالشّـمْسُ تَجلَـى أو تَغِبْ ... فَأنَــا مِــن ذَا وَذَا مَيّــت وَحَــي
أو تثنــــتْ برؤيتِــــي قــــدَها ... قــال غُصنُ البـان مَـا َأبْقتْ إلــي
عَــاذِلي كُــن عَــاذِري فِــي حُبِّهــا ... أيَّ صَبٍّ قـد صَبَا عَن حُـبِّ مَـي
إنْ تَلُـــم أو لا فـــإني رقهـــا ... لسـت أسـلوها فـلا تكثـر علــي
افتـــديها خـــود جـــود ليتهـــا ... أن تعيـر الطـرف أو تصـغى إلــي
إن أســـلها نـــتم خـــال خلتـــه ... حـب مسـك قالـت احـذر حـاجبي
أو أرُم مــن ثغرهــا رشــف اللمــى ... فــوق اللحـــظ نبــأ لا للحشـــي
فأنـــا مـــا بـــين لحـــظ واللمـــى ... دائـــر مـــا بـــين دائـــي والـــدوي
كم رصدت الوصل أصبو للصبا ... قاصــدًا مــن نجـدها نيـل المنــي
ونواهــــا لبيــــاني حــــاجز ... ركبــه حيرنـــي فـــي ذا الهـــوى
نُحــت مــن أوج جهــارًا أعجمــوا ... قـربهم بـال الحسـيني مـن جـوي
وأحصــــاري لا قــــرارا عــــنهم ... أدركــوني وأجيبــوا يــا آل طـــي

---

(٢٦)

(٢٧)

(٢٨)

أنقـذوني واكشـفوا عنـي الغطـا	**واكحلـوا بـالفيض مـنكم مقلتـي**
يـا غريـبَ الحـي إنـي حِـبّكم	**فـأديروا لـي شـرابًا مـن حمـي**
وارفعـوا الأسـتار عـن سـر لكـم	**وامنحـوا الإمـدادَ كالغيـثِ الهمـي**
أنـت محيـي الـدين أحيـي مهجتـي	**بالسـنا مـن نـوركم واجـل الغشـي**
حـاتمي الجـود جـد أنـت الـذي	**قلـت أنـي واحـد العصـر السـمي**

إلى أن قال:

غبـت عـن ذاتـي بـذاتي باقيًـا	**وانمحى لمَّـا بَـدَت رسُـم السـوي**
قــد تجلّــت بوجــودي جهــرةً	**فشــهدت الكـــل منـــي وإلـــي**

إلى أن قال:

كنزهـــا المخفـــي فينـــا ظـــاهر	**وسـناها مشـرقٌ فـي كـل شـي**
لـم يكـن فـي الكـون إلا حسـنها	**فهـي حـق وهـي خلـق دون زي**
كـل مـن قـد ذاق منهـا شـربة	**قـال ذي الأكـوان قـد دارت علـي**
مـا أنـا أو أنـت أو هـو غيرهـا	**فهـي أسـماء لعـين يـا أخـي**
أينمـــا وليـــت هـــذا وجههـــا	**لا تــزغ عنهـا بتعـداد السـمى**
وصـــلاة الله تتلـــى دائمًـــا	**للنبـي المختـار مـن آل لـوي**
وكـــذا آل وصـــحب أجمـــع	**مـع سـلام ختمـه المسـك الشـذي**

بسم الله الرحمن الرحيم

وارد الخطبة

الحمد الله بمحامد أسمائه الجامعة، والشكر له على الآية المتتابعة، أورد نفخات تجلياته على قلوب عباده فتفجرت منها ينابيع الحكمة، وسقى أرواحهم شراب أنسه ووداده، فلم يبق لهم فيما سواه همه، أشهدهم جماله الأسمى فرأوه معنى جميع الأسماء فانمحت بأحدية ذاته رسوم السوى، وثبتت بتجليات أسمائه وصفاته أقوم الوجود بما طوى.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تُدرج في مشاهد مرائها محمد رسول الله، فيتجلى لشاهدها أنه وجه الله الأكمل الأعلى، ومظهر غيب هوية كنهه الأجلى، سراج نور وجوده المنير المبين، شهادة غيب كنزه المخفي في مجالي الأولين والآخرين، سلطان حضرات معاني الألوهية(٢٩)، الواحد الفرد الجامع كل خفية وجلية، قاب قوسي الجلال والجمال، نقطة دائرة الكمال، شمس الذات ونور ضحاها، وقمر الأسماء والصفات بإمداده إذا تلاها، ونهار مظاهرها إذا جلاها، وليل غيب بطونها إذا يغشاها، وسماء روح الحياة وما بناها، وأرض جسوم الفناء وما طحاها، ونفس الحق وما في كل صورة في الوجود سوَّاها، فهو إنسان عين الوجود والشاهد لطلعة حسنه المشهود.

---

(٢٩) والألوهية باطن الربوبية، فالأولى مظهر الاسم الباطن، والثانية مظهر الاسم الظاهر، وكذا الحق باطن الخلق، والشمس باطن القمر، والأب باطن الابن، والروح باطن الجسم، فالظاهر مرآة الباطن في كل ذلك؛ وإنما جعلوا الرب الاسم الأعظم أيضًا، وفي مرتبة الجلال من حيث جمعيته؛ لأن الألوهية والربوبية لا تختصان بألوهية بعض دون بعض، وبربوبية بعض دون بعض، وباسم دون اسم، وبلطف دون قهر وبالعكس، فللسلطان الجمال والجلال، وللوزير التربية بكل من اللطف والقهر، فجمعية السلطان إنما تظهر في المراتب التي دون السلطنة فاعرف ذلك.

بـــدور الـــتم تلمـــع مـــن جـــلاه ... وشـمس العلـم تسْـطعُ مـن عـلاه

مليـــك فـــي الوجـــود بـــلا ســـواه ... وفـــوق الفـــوق مرفـــوع لـــواه

حميـد الوصـف كـم أحيـا حبـاه ... فريـــد اللطـــف محمـــود ثنـــاه

محمـــد حمـــدنا الســـامي هـــداه ... وأحمـــد مجـــدنا الهـــامي نـــداه

وحيـــد العـــالمين بـــلا مثيـــل ... فلـــيس كعـــزه عـــز وجـــاه

فـإن رُمـت السـعادة دون ضـيم ... فلـذ بالمصـطفى وادخـل حمـاه

عليـــه الله قـــد صـــلى صـــلاة ... تـــروح أرضـــه وكـــذا ســـماه

مـــع التســـليم والتكـــريم دومـــا ... وشـــكر أرج الأرجـــاء شـــذاه

وآل قُدِّســـوا عـــن كـــل رجـــس ... وأصـــحاب بـــه تـــاهوا وبـــاهوا

وإخـــوان الصـــفا وعبيـــد بـــاب ... بهـــم فـــاز البهـــاء ونمـــا بهـــاه

أما بعد: فهذه منح استفتضها، ومُلح استفدتها والتقطها من بحر الكمال المحيط الذي لا يُسمع لموجه غطيط، تسلسلت من سلسبيل عين الكافور، وتكوثرت من حوض جوهر النور، قد طاب ورود ورودها في رياض المعاني، وصفا عذب موردها بواردات التهاني، عرائس ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، ونفائس نور من سراج شمس الأنام زفتُها أبكار الكل كفؤ صديق، وأُعيزها بالله من كل فاجر زنديق، نار همته في طاعة الله خامدة عن الضرم، يمني نفسه بتخيل المعرفة، وهو ذو ورم، يهمل الشريعة المطهرة الغراء، ويتشدق بالحقيقة[٣٠] ويحيد عن المحجة البيضاء النقية، ويزعم سلوك الطريقة، وهل يكون إسراء بلا ركوب البراق؟ أو معراج لحضرة النور الذاتي مع الخوض في الظلمة والنفاق؟ هيهات هيهات، والله لولا الجد في طاعة الله ما سبق السباق، ولولا تحمل المشاق ما حظي بالوصل العشاق.

فكـــم مـــن مـــدعٍ وصـــلاً بليلـــى ... وليلـــى لا تقـــر لـــــه بـــــذاك

لو لم يصبر سيدنا أيوب عليه السلام على البلوى ما نودي: ﴿هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:٤٢]، ولو لم يَشك سيدنا يعقوب عليه السلام بثه وحزنه إلى الله ما رُفع له عن سيدنا يوسف عليه السلام الحجاب، ولو لم يُسلِّم الخليل عليه السلام ولده للقربان وبدنه للنيران وماله للضيفان لم يكن خليل الرحمن، وكم أوذي في الله سيدنا موسى عليه السلام، وكم واصل الصيام سيدنا عيسى عليه السلام، وقام ليله بلا منام، وقد آثر سيدنا محمد ﷺ أمته على نفسه بدعوته وخبأها عند الله فكانت

---

(٣٠) وقال سيدي إسماعيل حقي: أي يحصل لهم جنات القربة معجلة من بذر الإيمان الحقيقي وأعمالهم القلبية الصالحة والروحية والسرية بالتوحيد والتجريد والتفريد من أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والإخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والمكابدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء والصفاء والوفاء والطلب والإرادة والمحبة والحياء والكرم و السخاوة والشجاعة والعلم والمعرفة والعزة والرفعة والقدرة والحلم والعفو والرحمة والهمة العالية وغيرها من المقامات والأخلاق تجرى من تحتها مياه العناية والتوفيق والرأفة والعطفة والفضل.

شفاعته لأمته، فالحذر الحذر أيها الإنسان المدرك العاقل أن يكون الجماد أعرف منك بالله.

قال الله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ) [البقرة:٧٤]، وعليك صحبة قوم سقاهم الله من حبه شرابا طهورًا، ووقاهم شر يوم الجزاء،(فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةً وَسُرُورًا)[الإنسان:١١] ألقى عليهم محبة منه، وأجلسهم على بساط القرب الأسنى، وأشهدهم مشاهد أسمائه الحسنى، فدندت حمائم أرواحهم حبًا وعشقًا، وترنّمت أغصان أشباحهم طربًا وشوقًا، وترنحت لطائف أسرارهم من قديم الشراب فغابوا به عنهم عند رفع الحجاب، وسَكِروا من حميا سماع الخطاب، قد سلو لأجله الأهل والخلان، ألسنتهم ناطقة بذكره وقلوبهم مملوءة من شكره، يحنّون في جميع الأوقات إليه، ويتململون متضرعين لديه، صُم عن النظر لغير مجلاه، لذاتهم أن يرتعوا في رياض لا إله إلا الله، فلله درهم لا يعبئون بعذل العاذل؛ إذ كل شيء عندهم ما خلا الله باطل، (قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ) [فصلت:٣٠]، وخَلَوا بمناجاة الحبيب ليلاً وما ناموا، أولئك أهل القرآن أهل الله وخاصته وأحباء الله وأوليائه وصفوته.

متـــى أراهــم وأن لـــي بــرويتهم أو تسـمع الأذن منـي عـنـهم خبـرا

فمن بحورهم الصافية اغترفت هذه الموارد، ومن موائد فضلهم الشافية اغتنمت هذه الفوائد، فكل صواب فهو إليهم لا إليّ ، وكل ما خالف ظاهر النصوص فمردود عليّ، ولكن لا يلزمني أن أوافق تأويل الخلف، ولكن يلزمني الإيمان بما آمن به السلف مع التنزه عن القول بقول أهل الزندقة من إنكار الظاهر أو الحلول أو الاتحاد، بل بلا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ولا الحاد.

ومن طالع هذه الصحائف وشاهد ما أودع فيها من الأسرار واللطائف فليكن محمدي المشرب لا موسوي المذهب، لأن سيدنا موسى عليه السلام عاملَ الخِضر بالإنكار، وسيدنا محمد ﷺ أعلن بالاعتراف والإقرار فقال: «**يرحم الله أخي موسى لو صبر لقص الله علينا من أمرهما**»[٣١] وفي ذلك أعظم عبرة لمن أعتبر وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وارد:

قال الله تعالى: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ * ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) [الفاتحة].

---

(٣١)

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن هذه الصورة أنزلها الله على سيدنا محمد ﷺ، ولها صورة ومعنى: فصورتها الكاملة التي لا أكمل منها صورة سيدنا محمد ﷺ، ومعناها الكامل الذي لا أكمل منه سيدنا محمد ﷺ، فهو المعنى من جهة حقيقته الكاملة للبسملة والحمد له، ولذلك قيل له: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، فلو لم يكن هو بنفسه حقيقة هذه السبع المثاني والقرآن العظيم لم يكن معنى لقوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾ [الحجر:٨٧] والذي أتاه هذه السبع المثاني والقرآن العظيم هو الغيب الذي لا يزال غيبًا وإن ظهر شهادة، وهو الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] فهذا الغيب لا تدركه الأبصار وإن كان ظاهرًا بلا استتار.

ومما منَّ الله عليَّ به أنني ُأكذب المحسوس العقلي وأعْتقده تخيلاً ووهمًا، وُأصدق المحسوس الإيماني وأتيَّقَنَة بحيث لا أثبت سواه، مثال ذلك: إخبار الله تعالى أن الذي يأكل مال اليتم ظلمًا أنه يأكل نارًا، فإني أكذب رؤيتي من أنه طعام وأجعل ذلك وهمًا وتخيلاً ، والمحسوس عندي ما أخبر الله به من أنه نار، وإن لم يشعر آكله بذلك، وكذلك المقتول في سبيل الله، فالمحسوس عندي هو الإيمان من أنه حي يرزق، والوهم والخيال أنه ميت لا يتحرك ولا يأكل ولا يشرب، بل أن حياة الشهيد عندي أعظم من حياتي المحسوسة لي، فحياتي عندي حياة نومية وحياة الشهيد حياة يقظة، وكذلك كل ما أراه وأشاهده هو عندي غيب لا أراه وإن كنت أراه وأشاهده، ومن هنا قول الله لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣] أي: وإن كنت تراني فأنا غيب وحقيقتي لا تُدرك، فإذن لن تراني، فإني لو ظهرت لك في مظهر فهذا المظهر ظاهر، والغيب باقي غيب على ما هو عليه، فلن تراني.

وبهذا تعلم أن كلام ابن الفارض رضي الله عنه عن غلبة حال وسكر لا عن تحقق وتمكن في المقام حيث قال:

وإذا سـألتك أن أراك حقيقـة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

أين هذا من قول سيد أهل المعرفة ﷺ لما سُئل هل رأيت ربك؟ فقال «**نور أنى أراه**»[٣٢] فاستمسك بكلام الله ورسوله لا بكلام فلان وفلان، إلا ترى إلى ما قالته أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها: «**من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية**»[٣٣] فمن هذا الوجه صدقت المعتزلة في قولهم: إن الله لا يُرى، نعم أنه تعالى يرى ولكن في المظاهر، قال سيدنا في «الفصوص»:

وليست تنال الذات في غير مظهر ولـو هلـك الإنسـان مـن شـده الحـرص

---

(٣٢)

(٣٣)

ليت شعري: هل تُرى منك القوة المتخيلة، أو القوة الذاكرة، أو القوة الحافظة، أو الوهمية، أو العالمة، أو المدركة، أو تُرى محل الرضا منك، أين هو؟ ومحل الغضب أين هو؟ أو محل الفرح أو محل الحزن أو ما هي نفسك؟ وما حقيقتك؟ أو ما هو المحرك لك والمسكّن؟ أو ترى كيف تفصيل طعامك إلى ريق ونخاع وصفراء وبلغم ودم وسوداء وبول، وما الذي اقتضى اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها فكل ذلك غيب وإن رأيته.

والوارد من الغيب لا ينضبط ولا ينحصر، ولذا كان ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[٣٤] ولشدة علمه بذلك كان يقول: «**أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه**»[٣٥] وهذا المعنى الذي ندعو به الله الموصوف بأنه الرحمن[٣٦] الرحيم[٣٧].

قال بعض العلماء: الرحمن هو المنعم بالنعم الكبار، والرحيم هو المنعم بالنعم الصغار ، ولم أدر من أين يأتون بهذه الخرافات التي لا يأخذونها من كتاب الله أو من حديث رسول الله ﷺ لأن كلا من الرحمن والرحيم ينعم بالنعم الكبار والصغار بلا فرق.

والحق أن يقال: إن رحمه الاسم الرحمن رحمة مطلقة، وهي رحمة القدرة بدليل قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦] لأنه أضاف الرحمة إلى ضمير الذات، والرحمن اسم ذاتي، فلذا لم يوصف به المخلوق، فالرحمة الواسعة لكل شيء رحمة الاسم الرحمن، وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾أي: ُأقيِّدُها ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فإذا تقيَّدت فهي رحمه الاسم الرحيم، فإنها حينئذ رحمة الحكمة، ألا ترى أنهﷺ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨]، فرحمته للمؤمنين رحمة حكمة واستحقاق؛ لأنهم هم أصحاب المراتب عنده، فرحمته بهم خاصة على قدر استحقاقهم في المراتب التي اقتضاها الإيمان والعمل الصالح.

ولما كانت رحمة الاسم الرحيم مقيدة بأهل الإيمان والهداية وصف بها الاسم

---

(٣٤)

(٣٥)

(٣٦) (الرَّحْمن) في الظاهر، فيعمُّ رحمته الكافر، والأعضاء والآفاق، فإن كل ذلك داخل تحت حيطة الاسم الظاهر.

(٣٧) (الرَّحِيم) في الباطن، فيعمُّ رحمته المؤمن والقوى والأنفس، كما يعمَّهم الرحمة الرحمانية، فللكافر ظاهر دون باطن؛ لأن لا آخرة له، فإن العاقبة للمتقين، وللمؤمن ظاهر وباطن جميعًا فالظاهر مع الباطن أقوى من الظاهر بلا باطن؛ لأن الظاهر بلا باطن محصور كالدنيا؛ لانتهائها دون الظاهر مع الباطن؛ كالآخرة لعدم نهايتها، وإنما أدخلنا الآخرة في الباطن؛ لأنها قلب الدنيا؛ والقلب باطن بالنسبة إلى القلب، فكما ينتهي حكم الدنيا، ويظهر الآخرة على صورتها؛ فيكون الدنيا باطنة، والآخرة ظاهر؛ فكذا يظهر القلب في الآخرة على صورة القالب، فيكون القالب باطنًا، والقلب ظاهرًا، وبه يصحُّ رؤية الله تعالى كما يصحُّ ذلك في الدنيا بالبصيرة، فانظر إلى هذا، وكن على بصيرة من الأمر، فإن الأمر ليس كما يزعمه المنكرون من المعتزلة وغيرهم، والله رقيب شهيد.

الرءوف الذي معناه الشفقة والعطف، فالرحيم وصف الرءوف، ولما حكم على أهل الجنة هذا المعنى المقيد أجابوا أهل النار بما أخبر الله عنهم حيث قال:(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ) [الأعراف:٥٠]، فنظروا لما تقتضيه الحكمة من الرحمة الخاصة لأهل الجنة وتحريمها على أهل النار، فهم في حكم الاسم الرحيم الخاص برحمة أهل النعيم المقيم، وأما رحمة الاسم الرحمن فهي مطلقة من حقيقة القدرة، فلا يمسكها عن المرحوم شيء، وبها خوطب ﷺ بقوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:١٧].

فمن رحمة الاسم الرحمن كان سيد ولد آدم لرحمته جميع ولد آدم ، وهذا الاسم الذي هو الرحمن لا تحكم عليه القيود البتة، والدليل على ذلك قوله تعالى: (فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ) [الملك:٢٨] (قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ) [الملك:٢٩]، ولهذا الاسم من القوة والسلطان أن يقلب النيران إلى الجنان، ومن سعة جمعيته اقترن بالاسم الجامع وهو الله، وقارنه في الجمعية، إلا ترى قوله تعالى: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ) [الإسراء:١١٠] فاندرج الرحيم وغيره في الرحمن كما اندرجت كلها في الاسم الله.

ومن الاسم الرحمن قال رسول الله ﷺ في فتح مكة: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[٣٨] فكانت أم هانئ بهذه الإجارة مظهر الاسم الرحمن ، وقد أمدها رسول الله ﷺ من حقيقة الجلالة التي هي اسم (الله) إذ كل الأسماء في حكمه فألهم الله أم هانئ أمرًا لم ينتبه له أهل الجنة ولذا أشار تعالى لذلك بقوله: (أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ) [الفرقان:٢٤] وأما من يقول: (اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد) فإنه من أهل الله لا من أصحاب الجنة، فهو يمد أهل النار بالماء والرزق، لا من الاسم المحرم لهما على الكافرين، بل من سلطنة الاسم الذي هو أقوى منه وهو الاسم المجير لا الاسم المحرم، والأسماء الإلهية سلاطين بعضها أقوى من بعض، ألا ترى أن الاسم (أرحم الراحمين) لما دعاه سيدنا أيوب عليه السلام عزل عنه ولاية الاسم الضار وولى عليه الاسم الشافي، فلو كان لأصحاب الجنة هذه القوة الأيوبية لأفاضوا على أصحاب النار ما طلبوه منهم.

قال لي بعض السادات: انظر بخل أهل الجنة حيث قيَّدوا الكرم الإلهي بأنفسهم مع أنه

---

(٣٨)

قال: (وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ) [الأعراف:١٥٦] فبالله الذي لا إله إلا هو لو سألني أصحاب النار لأعطيتهم، أليس قد قال الله: (وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا) [الإسراء:٢٠] فكان الحظر من أصحاب الجنة لا من عطاء الرب.

قلت: والسبب في حجاب العموم عن هذا المعنى أنهم واقفون مع الرحمة لا مع فتح الرحمة، مع أن الله تعالى قد قال: (مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا) [فاطر:٢] يعني: لأن الاسم (الله) هو الذي فتحها، فلا يقدر غيره من الأسماء أن يمسكها، وقد نبه الله الغافلين بقوله (بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ) [ق:١٥] فغالب الناس مقيَّد بفهمه محصور به، وأهل الله مطلقون مع الخلق الجديد، فالرحمة التي يفتحها الله من حكم الاسم الرحمن، ولكن بإذن الاسم الجامع العظيم الأعظم، وهو الاسم (الله) الذي هو رب العالمين، ولذا أعقب الله تعالى البسملة بقوله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[٣٩]، ونبه أن رحمته تنال سائر العالمين بقوله: (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [الفاتحة:٣]، بعد قوله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [الفاتحة:٢].

معنى ربما كنا لا نفهمه من البسملة فكانت فاتحة الكتاب شفاء من كل داء، وأعظم داء هو الشقاء؛ إذ لا داء أعظم منه، «**فمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فلا صلاة له**»[٤٠] ؛ إذ فاتحة الكتاب هي كتاب الوجود وهي الحقيقة المحمدية، والقراءة هي الجمع، فمن لم يجمع الحقائق إليه بفاتحة الكتاب الوجودي التي هي حقيقته محمد ﷺ لم يكن موصولاً بالحضرة الإلهية.

فالحضرة المحمدية وسيلتنا للحضرة الإلهية، فنكون ورثته في التحقق بمعنى قوله

---

(٣٩) لم يقل تعالى: الحمد لرب العالمين الله؛ لكون الربوبية تلو الألوهية دون العكس؛ فإن الألوهية كالسلطنة، والربوبية كالوزارة، فالسلطان مُظهر الاسم الله؛ لكمال جمعيته، والوزير مُظهر الاسم الرب؛ لكونه في مقام التربية للعالمين؛ كالروح والعقل، فإن القوى والأعضاء إنما تقومان بهما، وبهما كمال ترتيبهما، فكما أن تعيُّن الروح قبل تعيُّن ما دونه؛ فكذا تعيُّن الألوهية، ونظير ذلك الشمس مع القمر، فإن الشمس أقدم في الوجود؛ كتقدُّم الأب على الابن.

والحاصل: إن الألوهية باطن الربوبية، فالأولى مظهر الاسم الباطن، والثانية مظهر الاسم الظاهر، وكذا الحق باطن الخلق، والشمس باطن القمر، والأب باطن الابن، والروح باطن الجسم، فالظاهر مرآة الباطن في كل ذلك؛ وإنما جعلوا الرب الاسم الأعظم أيضًا، وفي مرتبة الجلال من حيث جمعيته؛ لأن الألوهية والربوبية لا تختصان بألوهية بعض دون بعض، وبربوبية بعض دون بعض، وباسم دون اسم، وبلطف دون قهر وبالعكس، فللسلطان الجمال والجلال، وللوزير التربية بكل من اللطف والقهر، فجمعية السلطان إنما تظهر في المراتب التي دون السلطنة فاعرف ذلك.

(٤٠)

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] فهو ﷺ كتاب الله الناطق فجميع الأسماء القرآنية هي خلقه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

واعلم ـ رحمك الله تعالى ـ حَصَرَ الحمد بأنه لهذا الاسم الجامع الذي هو الله وأخبر بأن هذا الاسم الذي جميع الحمد إليه هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيقتضي أنه تعالى قابِلٌ لمحامدهم كيف كانت، وأن العالمين بأسرهم عابدون له، وأيد ذلك بنون الجمع في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فمرجع الدنيا إلى الآخرة، ومرجع الآخرة إلى الجنة أو النار إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠] أي: إلى هذا الاسم الجامع ، وقد أخبر تعالى أن هذا الاسم يسجد له من في السماوات والأرض طوعًا أو كرهًا؛ إذ كل شيء في الوجود وجهه، وهو رب العالمين بأسرهم.

فلا يتبرأ هذا الاسم من أحد ولا ينكره أحد، لذا قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]، فالله أولى بعباده، الذي هو ربهم من الجنة و النار ومن كل شيء، وكيف وكل شيء وجهه، ولا أكرم عند الله من وجهه، فلهذا السر اقترن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣] بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] من جهة الاسم الأول، ومن جهة الاسم الآخر.

فالعالمون أولهم الرحمن الرحيم وآخرهم الرحمن الرحيم وهم في الوسط، فنقطة دائرة الوجود الرحمة فهي المبدأ والغاية فلابد للرحمن الرحيم أن يجير الكافرين من عذاب اليم والدليل القاطع على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨ ـ ١١٩] فقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ راجع لأقرب مذكور، وهو الرحمة المأخوذة من قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ ، فأخبر تعالى أنه ما خلق عباده إلا ليرحمهم لا ليعذبهم، وقد أخبر تعالى أنه إذا فتح الرحمة للناس ـ ولفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ يشمل الأشقياء والسعداء ـ لا يمسكها أحد، مع إخبار النبي ﷺ :«**إن الصدقة تطفئ غضب الرب**»[41] فالغضب يُطفأ والحرمة لا يزيلها شيء، وفي الحديث «**سبقت رحمتي غضبي**»[42] ولاسيما وقد أخبر الله تعالى أن الاسم (الرحمن) استوى على العرش، ولا يخفى أن

([41])

([42])

العرش محيط بالعالم، ولم يستو على العرش الاسم (الجبَّار) ولا الاسم (القهَّار)، وناهيك بالاسم (أرحم الراحمين) الذي ورد أنه يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط.

ومن رحمته تعالى في الفاتحة أنه قام بحمد نفسه من جهة اسم الله وأخبر أن هذا الاسم (رب العالمين) فقد قام بحمد نفسه عن العالمين؛ لأنه ربهم فهو أولى بهم من أنفسهم فاندرج جميع أفعال العالمين في حمده، لأنه عينهم وعين جميع ما يظهر منهم كما قال تعالى: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ**) [الحديد:٣]، وهو تعالى «**جميل يحب الجمال**»[٤٣] ، والجمال هو الذي يحمد عليه، فما في الوجود من هذا الوجه إلا الجمال، الذي هو الله المحب للجمال فهو المحب المحبوب، وبهذا كانت له الحجة البالغة (**وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا**) [الكهف:٤٩] إذ ليس معه أحد.

ألا ترى قول النبيﷺ: «**من جاء الجمعة فليغتسل**»[٤٤] وليس الجمعة إلا حضرة الجمع الإلهي فمن جاءها فليتجرد من نفسه، وليغتسل بماء حقيقة قدسه (**ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ**) [الشورى:١٥] أي: في هذا الجمع، وهذا الجمع هو حقيقة الدين والكلمة السواء، ويومه تجلى الاسم الباطن، والباطن هو، كما أن الظاهر هو، فيوم الدين كناية عن استواء الباطن والظاهر كما قال: (**فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ**) [ق:٢٢]

فلذلك وصف رب العالمين الذي هو وصف الله بقوله (**مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ**) [الفاتحة:٤]، وفي قراءة: (مَلِك) فملكه في يوم الدين كناية عن ظهوره بحكم الأحدية فيقول: (**لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ**) فيجيب نفسه؛ إذ ليس المسئول سواه فيقول: (**لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ**) [غافر:١٦] فالواحد القهار يغار على واحديته فلا يدع معه ثانيًا؛ لئلا يذهب وصْفُه بالواحدية، ولذا أنزل بوصف غيرته على واحديته قوله: (**وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ**) [فصلت:٦] فناسب ذلك قوله: تعالى معلمًا لنا: (**إِيَّاكَ نَعۡبُدُ**) [الفاتحة:٥] فكان الأمر كذلك، فكل من قال: (**إِيَّاكَ نَعۡبُدُ**) فليعلم أنه بهذا القول عين جميع العابدين، فهو الفرد الجامع لجميع العالم، ولم يقال إياك أعبد؛ لينبه كل من قالها أنه سائر من في الوجود، فمن قالها بهذا المعنى، فهو العابد الجامع لعباده جميع العابدين .

---

(٤٣)

(٤٤)

ويؤيد هذا المعنى قراءة سعيد بن جبير: (إِيَّاكَ يُعبَدُ) أي: لا يُعبد في الوجود من معبود إلا إياك، فصحَّ أن عبادة الجميع واحدة، فصحَّ أيضًا أن العابدين كل منهم عين الآخر.

فإن قلت: إن النون التي هي نون الجمع من قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إنما هي لجميع المسلمين؟

قلت: إذا كان الأمر كذلك لم يتم مقصود الله في قوله: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:٥٦] ولو لم يكن هو المعبود من كل عابد لا يصح قوله: (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ) [البقرة:١٦٣] فالرحمن الرحيم هو رب العالمين، وهو مالك يوم الدين، والسر العظيم الأعظم في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) بكاف الخطاب مع أن القياس (إياه نعبد)، فبقوله عن عبده بحكم النيابة: (إِيَّاكَ) فهمنا أنه عين العبد القائل: (إياك) وبقوله (نَعْبُدُ) استفدنا أن المواجه لنا عين المعبود، فكل ما ولينا إليه من كل ظاهر لنا في الوجود فهو المخاطب بقوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، فصح أنه العابد كما أنه المعبود، والشاهد كما أنه المشهود، ولذلك نخاطبه أيضًا في كل مخاطب فنقول: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ألا ترى أنه ﷺ كان يستعين بجفنة سعد بن عبادة؛ ترغيبًا لمن يريد التزوج بها، مع أنه هو الذي بدأ منه (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ومن هذا المعنى علم وحدة الوجود، ولكن أنى لنا بقوة مشهد صاحب الحوض المورود ﷺ فنحن به نستعين، وما نستعين إلا بالله فهو الوسيلة، وفي حقيقة الأمر لا وسيلة ولا متوسل إليه، كلا بل هو الله (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) [محمد:١٩] وهذا العلم هو ٱلصِّرَٰطَ(ٱلْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة:٦] فلذا يقول: كل مِنَّا نيابة عن سائر العالم؛ إذ كل مِنَّا هو بنفسه عين جميع العالم (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة:٦] ولا صراط مستقيم إلا هو، أي: اهدنا إياك بنا حتى تعود هذه الفاتحة علينا بجميع ما فيها من الأسرار حيث قلت يا مولاي: (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء:١٠] ، ولما كانت هذه الهداية لمن أنعم الله عليه بهذا العلم الصراطي أخبر تعالى أن الصراط المستقيم هو صراط جميع من أنعم عليه، فلذا تمم بقوله

(أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) [الفاتحة:٧] فالصراط هو الأحدية، وهي صراط المُنعم عليهم، فافهم هذه النكتة وتحقّق بما قاله السيد البكري: ﷺ

واشرب واطرب لا تخش سوى إيــاك تمــل عــن ذي الــنهج

وقوله تعالى: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) أي: بك فكنت سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به.. إلى آخره؛ أي: كنت إياهم بالذات والأسماء والصفات.

وقوله تعالى: (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) أي: من جهة الاسم الهادي إلى الله الجامع للأسماء كلها فإذا (قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) [الفرقان:٦٠] مع دوام الفيض منه إليهم (وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ) [غافر:٥] قال الله تعالى: (وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا) [الكهف:٥٦] وآياته تعالى أسمائه، فاستهزءوا بالرحمن فرُدَّت بضاعتهم إليهم، وليست إلا الاستهزاء، فهؤلاء يعلمون الحق وينكرونه(فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف:٥] ولذا قال ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»[٤٥].

(وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) وهم الحائرون الذين لم يتبين لهم حقيقة الأمر، وهم الذين حكى الله عنهم حالهم حيث قال: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ) [فصلت:٥] فما أقروا ولا أنكروا بل كَانُواْ(لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف:١١]فأمْرهم مفوض إلى الله؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وأخبر عنهم أنهم لَا(يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا)فهو الحكم العدل (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا).

(ءَامِّينَ) معناه: أمان الله على من تلا هذه السبع المثاني، والتالي بها قائم مقام العالمين ، وقيل: معناها استجب، وهو المشهور، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

وارد:

---

(٤٥)

قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٤٦] [الفاتحة:٤].

اعلم أن الله تعالى قال: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم:٥] ومن جملة أيام الله: يوم الدين ﴿وَذَكِّرۡهُم﴾ يقتضي المرور والنسيان؛ إذ أيام الله معلومة لهم، وليست إلا تجليات الأسماء الإلهية، ومن جملة تجلي الاسم المالك، وفي قراءة: (مَلِك يوم الدين) فيوم الدين عبارة عن تجلي إلهي في حضرة بيان من حقيقة اسمه (المبين) فإذا انكشفت هذه الحقيقة كان الاسم المبين صورة مرآة هذا الكشف، ويوم الدين موجود في الدنيا، ولكن الناس عنه غافلون، كما قال تعالى: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النحل:٢١] فجعل الله حياتهم موتًا ونفى أنهم أحياء، وقال: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النحل:٢١] فلم يكن لهم علم ببعثهم مع أنهم مبعوثون في نفس الأمر فدخلت الدنيا في الآخرة.

وهاهنا علم كبير في السعادة والشقاء فإنه ﷺ قال: «**السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه**»[٤٧] ولهذا السر قال تعالى في أهل الجنة وأهل النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود:١٧]، ولو كشف الله عنا الحجاب في الدنيا لرأينا الصالحين في الجنة والفجار في النار؛ لأن الله أخبر عن الفريقين أنهم: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ وهي الآن دائمة، ونحن في الدنيا، وبهذا يظهر الاستثناء في هود في حق الفريقين من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ [هود:١٨] فالذي شاءه عدم الشعور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النحل:٢١] فلو شعروا لعرفوا ما معنى الموت وما معنى الحياة وما معنى البعث لأن الله نفى الحياة عن الأحياء عندنا، وقال ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾ [النحل:٢١] ونفى الموت عن المقتولين في سبيل الله مع أنهم في عرف العموم أموات، ولا تثبت حياتهم إلا بالإيمان، فبهذا المعنى رسول الله ﷺ حيّ وإن كان في فهم العموم أنه ميت، ولأن موته في الله وتلك حياة الأبد، فحياته حياة الله بعينها، إذا فهمت ذلك فهمت قول الشيخ الأكبر في «الفتوحات»

---

(٤٦) في اسم المالك رجاء المُقبِلين، وتخويف المُهْلكين، يجازي مقاساة ألم فراق العاشقين بمشاهدته، ونفائس كرامته، ويجازي عموم المحبّين بكشف جماله وجلاله، ويجازي المعاملة الصادقين، بإدخالهم في جنانه، وإسكانهم في جواره.

(٤٧)

في الباب الثالث عشر وثلاثمائة: يوم الدين يوم الدنيا والآخرة[٤٨]، فلا اختصاص له بيوم عند القوم، أقام لهم الحق في ذلك دليلاً لـمَّا جهلوا وهو قوله تعالى: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم:٤١] فأخبر أنه جزاء ما هو ابتداء فما ابتُليت البرية وهي برية، وهذه مسألة صعبة المرتقى لا تُنال إلا باللقاء، اختلفت فيها طائفتان كبيرتان، فمنعت واحدة ما أجازته الأخرى، والرسل ما اختلفت فيه تترى ولا تحقق واحد بما جاء به الرسل، ولا سلك فيه سواء السبيل، بل ينصر ما قام في غرضه وهو عين مرضه، إلا الطبقة العليا فأنهم علموا الأمور في الدنيا فلم يتعدوا بالأمر رتبته وأنزلوه منزلته، فما رأوا في الدنيا أمرا مؤلمًا إلا كان جزاء ما كان ابتداء انتهي كلامه ﷺ.

فالجزاء حينئذ دخل في الدنيا، ألا ترى إخباره ﷺ «أن الدجَّال يكون معه جنة ونار فمن آمن به أدخله الجنة وهي النار في الحقيقة، ومن لم يؤمن به أدخله النار وهي الجنة في الحقيقة» فحينئذ بمقتضى كلام النبي ﷺ: «**دخلت الجنة والنار في الدنيا**»[٤٩] ولكن الناس لا يشعرون أيان يبعثون لأنهم كما أخبر: «**نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[٥٠]، فأهل الله تقدم موتهم فانتبهوا.

وأما قول الشيخ ﷺ: (فما ابتليت البرية وهي برية وهي مسالة صعبة المرتقى لا تُنال إلا باللقاء) أي: لا تنكشف حقيقة إلا بكشف الحجب، ولقاء وجه الله، لقوله تعالى (لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ) [ق:٢٢] وقوله ﷺ: (اختلف فيها طائفتان كبيرتان فمنعت واحدة ما أجازته الأخرى)، الطائفتان هم الأشاعرة والمعتزلة اختلفوا هل يجوز إيلام البري وتعذيبه أم لا يجوز؟ فمنعت المعتزلة ذلك وأجازته الأشاعرة، والصحيح عند الشيخ الأكبر ما قاله المعتزلة لقوله (فما ابتليت البرية وهي بريه) وهذا هو الحق لقوله تعالى: (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف:٤٩] فإن قلت: يرد على المعتزلة أن الله تعالى يؤلم الأطفال وهم بريئون من الفواحش، ولاسيما الأطفال الرضع، وكذلك إيلامه لمثل أيوب ﵇ فلو كان هذا ظلمًا لما أجراه في الوجود.

والجواب عن ذلك من وجهين:

---

(٤٨) وفيه إشارة إلى أن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى ليس لغيره في ذلك الملك يد إلا بطريق الخلافة والعارية، فإن الدين المجازاة، وهو جارية في الدَّارين، فهو تعالى مالك يوم الدنيا، ويوم الآخرة، ومالك المجازاة فيهما، فظهر إن قيامة العارفين دائمة؛ لكونهم مع الله تعالى في كل نَفس من الأنفاس، ومحاسبون أنفسهم في كل لحظة من لحظات، فهم مملوكون لله تعالى؛ لأنهم أحرار عمَّا سواه تعالى، وقائمون لربهم بالخدمة في كل حين.

(٤٩)

(٥٠)

* الوجه الأول: إن أمراض الأطفال الرضع من فساد لبن الأم بسبب تخليط الأغذية فيفسد اللبن بسبب غلبة الخلط الفاسد كالصفراء أو الدم فتحدث الأمراض للأطفال، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] فالله تعالى لا ينهى عن شيء ويريد خلافه، ولو كان يريد خلاف الطاعة الشرعية لكان تعذيبه ظلمًا ولذلك يقول المعتزلة بأن إرادة الفواحش ليست من الله بل إن الله تعالى خلق للعبد إرادة يريد بها ما يشاء كما قال ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] فصح أن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، وأخبر أن له الحجة البالغة، فلو أراد لعباده الشر وعذبهم على فعله لكان ظالمًا ولم تكن له الحجة البالغة.

* الوجه الثاني: لم يدركه كل من الفريقين لا الأشاعرة ولا المعتزلة وهو أن أفعال الله تابعة لقدرته واختياره، وذلك يتبع الإرادة الإلهية، والإرادة تتبع العلم الإلهي، والعلم الإلهي يتبع المعلوم بما هو عليه.

فإن قلت: ما هو عليه المعلوم هل هو مجعول لله أم لا ؟

قلنا: الاستعدادات التي هي معلومات الله منها ما هو عرض بمعنى أنه تحت حكم الأسماء الإلهية ومن جملتها الاسم (العليم)، ومنها ما هو ذاتي، فالاستعدادات الذاتية لا تحكم عليها الأسماء لأنها غير مجعولة حتى أن الاسم (العليم) لم يوجدها بعلمه لأنها شأن ذات الله، وذات الله لا يؤثر فيها علمه، وإنما يدركها ويكشفها على ما هي عليه، ولذا قال الشيخ الأكبر في كتابه «عقلة المستوفز»: إن الله علم نفسه فعلم العالم، فعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بالعالم وهذا المعنى هو المسمى بلسان الشرع بسبق الكتاب.

وأعلم أن الكتاب لا يسبق إلا بالواقع وهو الاستعداد الذاتي، وما لم يسبق به فهو عرضي لأنه غير واقع، فعلى هذا: الحاكم محكوم عليه أن يحكم بما حكم به كما ذكره الشيخ الأكبر في فص عزير عليه السلام لأن الاسم (العليم) مثلا إذا حكم بشقاء فلان وتعذيبه فهو محكوم عليه بحكم الاستعداد الذاتي الذي كشفه من ذات الله بما هي عليه الذات، فكما أن العلم الإلهي حاكم هو أيضًا محكوم عليه، بمعنى أن ذات الله هي التي أعطته هذا الحكم، فحكمه أيضًا من جهة اسمه (المبلي) بإيلام الأطفال إنما هو من جهة الظاهر، وأما من جهة الباطن فهذا الحكم - وهو الاسم (المبلي) - مجبور أن يحكم بما حكم به، حتى أن اسمه (الرءوف الرحيم الحنان) لا حكم له في هذه الحضرة الجبرية.

ألا ترى أن الوالدة تحكم على ولدها بقلع ضرسه مثلاً ولو كان القلع مؤلمًا، ولا يقدح ذلك في رحمتها له، ولو رحمته وأبقت عليه الآلام لكانت رحمتها فاسدة.

وقد ورد أن الله تعالى «أرحم بعبيده من الوالدة بولدها» فلا يقال: الله ظالم في تعذيب عباده مع أنه يقدر على خلاف ذلك هيهات هيهات، ولو كان الأمر كذلك لم نصدق في قولنا التابع لقوله: إنه أرحم الراحمين، فكونه أرحم الراحمين لا ينافي العذاب؛ لأن هذا العذاب شأن ذاته، فهو بالنسبة كوجع ضرسه فعلمه بذاته يحكم على اختياره، وذاته تحكم على العلم.

فإن شئت فاجعل المعلومات تابعة للعلم نظرًا لحكم الأسماء الإلهية فإن العلم قديم وكل كائن حادث، وإن شئت الغوص في الشأن الذاتي الغير مجعول للعلم بل هو مكشوف

له فاجعل العلم الإلهي تبعًا للمعلوم وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١] أي: لنكشفنكم في حضرة الذات حتى نعلم ما تقتضيه منكم الأسماء والصفات فاحرص على هذا التحرير فإنه من فيض العليم الخبير فقد صح أن الحجة البالغة لله ، وإنه لا يظلم مثقال ذرة ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم:٧١] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قيوم ا لوجود، الذي جعل خليفته في الأرض حامل أمانة كل موجود، وصلي الله وسلم على حقيقة كل شاهد ومشهود ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الذين هم قوابل الجود.

أما بعد: فقد سألني أخي وصديقي وحبيبي ورفيقي أحمد بن بكري القواقيري ـ فتح الله عليه وأسدى بره وإحسانه إليه ـ عن قول سيدنا صاحب الفتح المبين سلطان العارفين الشيخ الأكبر والسر الأظهر الأبهر والكبريت الأحمر محيي الدين محمد بن عليّ بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي رضي الله عنه:

وما الفخر إلا في الجسومِ لأنها مولـدة الأرواح ناهيك من فخر

فتوقفت في ذلك لعلو هذا السر عن مدارك العقول من جهة أفكارها لا من جهة إيمانها ثم أني توجهت بعد صلاة الصبح لذكر الكلمة الطيبة وهي: لا إله إلا الله، الجامعة لمرتبة النفي والإثبات، فمرتبة النفي: لا إله، ومرتبة الإثبات: إلا الله، وكذلك لا إله عدم، إلا الله وجود، وأيضًا لا إله محو، إلا الله إثبات.

قال الله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعدة:٣٩]، فأم الكتاب الجامعة هي نشأة آدم[٥١] الجامعة لحقائق الوجود بأسره، ولجميع مراتبه من أول وآخر وظاهر وباطن، فلمناسبة هذا الذكر الجامع الذي لم يقل ﷺ هو والنبيون من قبله أفضل منه، ورد على قوله تعالى حاكيًا عن إبليس: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]، ووقع في قلبي أن الخُلد هي جميع الأسماء الإلهية القائمة بخلد الوجود الإلهي، والملك الذي لا يبلي هو ملك الذات، وهو الحقيقة الإنسانية التي هي دائرة الوجود من نقطة ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين:٤] إليها التي هي عين نقطة ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين:٥]، فلما جمع آدم عليه السلام هذه الدائرة بكمالها معنى وصورة

([51]) جعل آدم خليفة، وأعطاه حكم الخلافة، والخليفة لفظة مؤنثة؛ لأنها محل التكوين، وبها ظهر الكون، وهي زبدة مخضة الطبيعة التي ظهرت بتحريك الأفلاك وهي روح اللبن، فإذا خرج من العالم، فالعالم يكون كالنفل لا عبرة به، فافهم.

استحق أن يكون هو الخليفة، فقال تعالى:(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) فقالت الملائكة: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) [البقرة:٣٠]، لعلمهم أن عالم الأرواح مجرد عن الأجسام العنصرية لا فساد فيه ولا سفك دماء، فلو لم يشاهدوا ذلك أولاً ما نطقوا بذلك آخرًا، ولذا قال في حق الإنسان: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) [التين:٥]، ولا يرد للشيء إلا من كان فيه أولاً، فليس الفساد وسفك الدماء إلا في الجسم الترابي الأرضي الحسي.

فالعالم قبل آدم عليه السلام برزخ بين المعنى وبين الحس لا هو معنى من كل وجه ولا حس من كل وجه فلا يوصف لا بالأولية ولا بالآخرية، لا بالظاهرية ولا بالباطنية، فظَهَر أن العالم قبل آدم عليه السلام بمنزلة الشيخ الموسوي الذي لا روح فيه، ولما اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل في الأرض خليفة أنشأ الله من طينة آدم عليه السلام الأرضية الترابية، التي هي أصل شجرة إذا تغذى بها الجسم الروحاني، الذي هو على صورة البشر استحال بشرًا حسيًا ظاهرًا من عالم الغيب الروحاني إلى عالم الشهادة الجسماني، فكانت الشجرة على شاكلة آدم عليه السلام ؛ لأنها من طينته، ولما كان إبليس مخلوقًا من عنصر النار كان في النشأة أقرب إلى آدم عليه السلاممن الملائكة، وكان يعلم استعداد آدم عليه السلام للأكل من هذه الشجرة وحده دون غيره؛ لأنه في علم الله حامل أمانة الخلافة في الأرض، وهذه الشجرة من نشأة أرضية؛ فلذا لا يغذي الجسم الأرضي إلا ما يشاكله، فلم يصلح لهذه الشجرة إلا آدم عليه السلام ، ولم تصلح إلا له، فلو لم يأكل منها آدم عليه السلام وحواء لبقيا في الجنة البرزخية ملكين، وكانا مخلدين في تلك الملكية وفي تلك الجنة الروحانية، ولذا قال لهما:(مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) [الأعراف:٢٠]، فلو بقيا مع النهي الإلهي لكان الأمر كما قال إبليس؛ لأن الطور الأول طور الأرواح لا طور الأجسام، فكان آدم وحواء روحين في صورة إنسانية كما كان جبريل يتمثل في صورة دحية الكلبي مثلاً أو في صورة أعرابي.

ومعلوم أن ذلك يُمحى، ولا يثبت في الأرض إلا الجسم الأرضي، ولقد جهل بعض المفسرين معنى كلام الله الذي حكاه عن إبليس، فقال: المعنى ألا تكونا ملكين وألاّ تكونا من الخالدين، فقدر هذا البعض لا، وذلك غلطٌ فاحش وجَهْلٌ بحقائق الأمور، إذ الحق تعالى ليس عاجزًا أن يقول: إلا ألا تكونا ملكين، وألا تكونا من الخالدين، فلذلك السر أنطق الله إبليس بالمعنى الذي أراد تعالى ظهوره فقال: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) [طه:١٢٠]، فكان ذلك هو الأمر الحقيقي الذي أراده الله تعالى، لأنه تعالى لو لم يرده لم يكن قال تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [النحل:٤٠].

وأنسى الله تعالى آدمعليه السلام النهي الصوري المتقدم في قوله: (وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) [البقرة:٣٥] فكان صورة نهي بواسطة روح من الأرواح لا نهيًا حقيقيًا ، ولو كان كذلك لم توجد تلك الشجرة من أصلها، فأمر الله الحقيقي لا يمكن أن يُعصى أبدًا، والذي يُعصى إنما

هو صيغة الأمر الذي بَّلغه الرسول مثلا، ولهذا قال له الجبار الحقيقي: (وَمَا أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) [ق:٤٥]، فالرسول مُبِّلغ ومُذكِّر لا مكّلف؛ لأن الله تعالى قال: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ) [البقرة:٢٨٦] سواء أسعده ذلك أو أشقاه ، وليس في وسع كل نفس إلا ما أراده الله لا ما أراده الرسول، فيسعد من في وسعه اتباع الرسول ، ويشقى من في وسعه المخالفة إذا لم يتب فافهم ذلك، وقد نبَّه الحق تعالى على هذا المعنى الإرادي بقوله في حق إبليس:(فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ) [الأعراف:٢٢] أي: دلّاهما على الحق بصورة غرور، وكان هذا الغرور الصوري مراد الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون، ولم يقل تعالى: فدلّاهما على الغرور؛ لأن ذلك مطابق لقوله: (إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ) [البقرة:٣٠] ومعلوم أنه لا تُمسك الروح على الجسد إلا بالتغذي، ولا يتغذى الجسم إلا بما يناسبه من الأجسام، فلا يثبت آدم عليه السلام في الأرض خليفة إلا بالتغذي من تلك الشجرة المخلوقة من طين آدمي، فبضاعته رُدَّت إليه ، ولهذا السر جعل الله طهورنا من تلك الطينة، أو مما نشأ منها كالحجر، فنتطهر إما بالماء الجسمي أو التراب الجسمي أو الحجر الجسمي.

وبالجسم كملت مرتبة الوجود أولاً وآخرًا ، وظاهرًا وباطنًا، فكملت مرتبة الاسم الله، غيبًا وشهادةً ، بطونًا وظهورًا، أولاً وأخرًا، حسًا ومعنى، تنزيهًا وتشبيهًا، حقًا وخلقًا، ربًّا وعبدًا، وذلك معنى خلق آدم عليه السلام بيدي الله عز وجل، فلما سُوِّيت صورة آدم عليه السلام بتمام نشئها كاملة ناسب ذلك أن تُنفخ فيها روح الكمال، التي هي مظهر الاسم الجامع الذي هو الله، فلهذا السر قال تعالى للملائكة: (فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ) [الحجر:٢٩] لأنه مظهر هذا الاسم الجامع صورة ومعنى، فلذا قال سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه: أول من نطق بهذا الاسم الجامع ـ وهو الله ـ آدم عليه السلام، فما نطق إلا بما اقتضته حقيقته، ولما لم يكن دوامه في هذه المرتبة إلا بالتغذي من هذه الشجرة الجسمانية التي هي على شاكلته، أنطق الله إبليس بالنصيحة الباطنة الظاهرة بصورة الغرور فقال له: (هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ) [طه:١٢٠] لأنه عين ملك الله. فافهم[٥٢].

---

(٥٢) قال الشيخ نجم الدين ـقدس سره-: إن آدم خاطبه مولاه خطاب الابتلاء والامتحان والنهى نهى تعزز ودلال كأنه قال يا آدم أبحت لك الجنة وما فيها إلا هذه الشجرة فإن الإنسان حريص على ما منع فسكنت نفس آدم على حواء والى الجنة وما فيها إلا إلى الشجرة المنهي عنها لأنها كانت مشتهى القلب، وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه إليها فيقصدها حتى تناول منها فطر سر الخلافة والمحبة والمحنة والتحقق بمظاهر الجمال والجلال كالتواب والغفور والعفو والقهار والستار. والحاصل أنه لما علم الله تعالى انه يأكل من الشجرة نهاه ليكون أكله عصاينًا يوجب توبة ومحبة وطهارة من تلوث الذنب كما قال تعالى: (إن الله يحب

(فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا) [الأعراف:٢٢] أي: ظهر الأمر المستتر فانكشفت لهما أعضاء التناسل الجسماني، فتخلقا بالاسم (الغافر) (وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ) [الأعراف:٢٢] ، وأشار تعالى بالسّوءة إلى ما يسوء، وذلك مرتبة الجلال المقتضي بالتجلي لذلة الاحتياج والفقر إلى اللباس الساتر، والمقتضي للجوع والظمأ والعري، والحر والبرد وأمثال ذلك، وقد قال له أولاً عن الجنة: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ) [طه: ١١٨- ١١٩] وذلك ينافي مرتبة الفقر الذي هو العبودية، التي ما تحققت مرتبة الربوبية إلا بها.

ألا ترى أن الحق تعالى الذي جعله خليفة عنه يقول: «**جُعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني**» وبيَّن ذلك بجوع عبده وظمأه ومرضه

فالإنسان الكامل الأرضي الترابي الجسمي هو صورة الاسم الأعظم الكامل، الذي هو الله فنقطة(أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ) بها كانت دائرة (أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ).

ألا ترى إلى ما أشار إليه ﷺ بقوله: «**لو دليتم بحبل لهبط على الله**» وما يهبط الحبل إلا على الأرض، ومنها أنشئ جسم آدم، وبها كانت الطهارة، ويكفي الأرض شرفًا أن الله تعالى قال لنبيهﷺ: (وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب) [العلق:١٩]، فاقترابه بمعرفة حقيقته التي نشأ منها، وما كانت حقيقته إلا الهوية التي قال عنها: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ) [الحديد:٣] وما كملت إلا بالجسم الترابي الذي أمر بالسجود عليه، فكانت الصلاة قرة عينه لوصلته بربه بهذه المراتب الأربع، ومظهر ذلك هو الجسم الآدمي الذي هو الخليفة صاحب شجرة الخلد والملك الذي لا يَبلى، فلذا قال الله تعالى: (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) [الأعراف:٢٢] ولم يقل: ذاقا ثمرتها؛ لأن معنى هذا الذوق على خلاف المعنى المصطلح عليه من ذوق الطعام، وإنما معناه التحقق والوجدان بشجرة الخُلد والملك الذي لا يَبلى؛ أي: لا ينقطعُ دائمًا أبدًا.

فبالخليفة الكامل أمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فهو العمد الذي لا نراه، فإذا زال هذا العمد من الأرض ـ وهو الإنسان الكامل ـ قامت القيامة، كما قال تعالى: (إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ....) [الانفطار:١] إلى آخر السورة.

وقد أشار لهذا السرﷺ بقوله: «**لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله الله**» أي:

التوابين ويحب المتطهرين) فأورثه ذلك النهى عن أكل الشجرة عصيانًا بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة بسبب المحبة. تفسير حقي (١٢٨/١).

من يقولها باللفظ والمعنى؛ أي: أنه هو المظهر لذلك الاسم الذي به يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فعلمنا أن مراد الشيخ ﷺ بقوله:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها   مولدة الأرواح ناهيك من فخر

إمساك الأرواح وتقييدها عن رتبة إطلاقها لتكون ظاهرة التدبير في عالم الشهادة؛ إذ الروح معنى ليس لها مظهر إلا الصورة فالصورة شهادته فلولا الصورة لكان الروح معنى برزخيًا خاليًا لا ثبات له في العالم المحسوس

وقد أشار لذلك الشيخ الأستاذ الحاتمي ﷺ في الفص الآدمي بقوله: إن العالم شبح مسوي لا روح له فيه قبل آدم ﷺ فلما ظهر آدم نُفخت الروح في سائر العالم بعد أن كان بمنزلة النائم التي روحه برزخية بين المعنى والحس، فلما قامت روح آدم وثبت في مرتبة الخلافة الأرضية الحسيِّة ثبت عالم الشهادة بأسره في عالم الحس فكان آدم روح العالم على الإطلاق، فوَّلدَ آدم روح العالم من مرتبة البطون إلى مرتبة الظهور، ومن مرتبة الغيب إلى مرتبة الشهادة فكمُلت بذلك التوليد مرتبة الوجود بالأصول الأربع: الأول والآخر والظاهر والباطن، والتقى أحسن تقويم بأسفل سافلين فكانت نقطة الوجود واحدة وهي الخليفة الآدمي فصحّ قوله:

وما الفخرُ إلا في الجسومِ وكونها   مولدة الأرواح ناهيك من فخر

إمساك الأرواح وتقييدها عن رتبة إطلاقها لتكون ظاهرة التدبير في عالم الشهادة، إذ الروح معنى برزخيًا خياليًا لا ثبات له في العالم المحسوس، وقد أشار لذلك الشيخ الأستاذ الحاتمي ﷺ «الفص الدري» بقوله: إن العالم شبح مسوى لا روح فيه قبل آدم ﷺ فلما ظهر آدم نفخت الروح في سائر العالم بعد أن كان بمنزلة النائم التي روحه برزخية بين المعنى والحس، فلما قامت روح آدم وثبت في مرتبة الخلافة الأرضية الحسية ثبت العالم على الإطلاق، قوله: آدم روح العالم من مرتبة البطون إلى مرتبة الظهور، ومن مرتبة الغيب إلى مرتبة الشهادة فكملت بذلك التوليد مرتبة الوجود بالأصول الأربع: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، والتقى أحسن تقويم بأسفل سافلين، فكانت نقطة الوجود واحدة وهي الخليقة الآدمي، فصح قوله: وما الفخر إلا بالجسوم لأنها إلى ... إلخ.

ولا ينافي ذلك قوله: (أنا ابن مجموعة أرواح مطهرة، وأمهاته نفوس عنصريات) لأن مقصده بذلك: أنا الجامع لحقائق العالم بأسره بكوني دائرة (أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ) و(أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ) [التين:٤،٥] فما ثم إلا الحقيقة الإنسانية أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، ألوهية وعبودية ، وقد أشار لهذا السر بقوله: (وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ) [المائدة:٦] فقبض الإنسان على مرتبة الربوبية التي هي (أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ)بمسح الرأس المسح الكامل، وقبض على مرتبة العبودية بمسح الأرجل المسح الكامل، وهي مرتبة (أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ) فلهذا السرُّ قال الشيخ الأكبر قدس الله سرّه:

وفـي المسـح سـرٌ لا أبـوح بـذكره ولو قطعت منـي المفاصل والكُلـى

وقد نبه الله تعالى على مرتبة الحقيقة الإنسانية التي تُسمى بالحقيقة المحمدية بقوله: (**وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ**) [التين:١: ٣] (**وَٱلتِّينِ**) إشارة لحلاوة السر الأقدس، (**وَٱلزَّيۡتُونِ**) إشارة للإمداد الروحاني للجسم الإنساني، (**وَطُورِ سِينِينَ**) إشارة إلى القلب المؤمن التقي النقي الذي وسع الحق، (**وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ**)إشارة للصورة الظاهرة من الإنسان فهي الأمينة من السوى بكونها عين (**شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ**) لأن أسماء الحق تطلبها كما تطلب الأبناء الآباء وعين الملك الذي لا يَبلي، وهو وجوب الوجود الذاتي الذي هو نقطة دائرة (**أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ**) وهو مقام الأحدية و (**أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ**) وهو مقام الصور المتعددة والكثرة الإمكانية، وما ثم غير ذلك وذلك هو البلد الأمين

تنبيه:

عُلم مما قررناه أن الجنة التي كان فيها آدم ﵇ كانت جنة روحانية باطنة غير ظاهرة محسوسة بالحس الجسماني، ولذا لم يكن فيها تناسل بين آدم وحواء بخلاف الجنة المخلوقة من أعمال بني آدم وأقوالهم الموافقة للشرع المطهر فهي جامعة للروح والجسم، ولذا يقع فيها التغذي الروحاني والجسماني فهي مِنَّا وإلينا، كما قال تعالى: (**سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ**) [الأنعام:١٣٩]، والنار أيضًا مخلوقة من أعمال أهل الشقاء وأقوالهم المنافية للشرع المطهر، فكل من الجنة أو النار متولدة من جسم بني آدم، وسر ذلك قوله تعالى: (**وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**) [النجم:٣٩]، وقال تعالى: (**فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ**) [الزلزلة:٧-٨] ففي الجنة تناسل؛ لأنها وصْفنا، فأنفاس بني آدم المنصبغة بخواطرهم كلها صور إما جمالية أو جلالية، وكذلك أعمالهم وأقوالهم، وعُلم أيضًا ممن قررنا من قوله تعالى: (**ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ**) [التين:٥] دوام دائرة الوجود أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا بدوران آدم الذي هو مجلى الاسم (الله) والله تعالى دائم غير منقطع، فلذا أنطق الله من أبى عن السجود بقوله: (**أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ**) [طه:١٢٠]، بل في حقيقة الأمر هو الناطق جلا وعلا في جميع المظاهر. فافهم وعلى الله قصد السبيل.

ولا يثقل عليك سماع مثل هذا فإن الإلوهية واسعة، ألا ترى قوله تعالى: (**وَهُوَ ٱلَّذِي**

يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ) [الروم:٢٧] وقوله تعالى: (بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ) [ق:١٥] وقوله تعالى: (يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ) [الأنبياء:١٠٤] أي: فاعلين ذلك في الدور الذي هو قبل هذا الدور الذي نحن فيه، فكل بدء وعود دور، فدوران الدائرة أن القوس الأول من القوس الآخر كما أن الآخر أيضًا من الأول، وكذا الظاهر من الباطن والباطن من الظاهر، الغيب من الشهادة والشهادة من الغيب، (قَابَ قَوۡسَيۡنِ) [النجم:٩] هو البرزخ الجامع وبه كان القوسان، قال تعالى في سيدنا محمد ﷺ (فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ) [النجم:٩] أي: هو الجامع الرابط بين هذه الحقائق كلها (أَوۡ أَدۡنَىٰ) [النجم:٩] أي: حقيقة النقطة الذاتية التي هي أم الكتاب المندرج بها الجميع اندراج النخلة في النواة، لذا قال ﷺ: «**لا يَعلم حقيقتي غير ربي**»(٥٣) فهو الروح المنفوخ في آدم ؏، وجميع الحقائق التي نشأ منها جسم آدم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: (**طه**) [طه:١] فإن الطاء بحساب الجمل تسعة، والهاء خمسة، ومحصلها في الضرب خمسة وأربعون، وذلك عدد اسم آدم، فالقرآن المنزل عليه ﷺ كناية عن أحدية الذات الجامعة لجميع مظاهر الأسماء والصفات، فمنه بدأ الجود وعليه يدور الوجود، فصح قول الشيخ الأكبر ﷺ:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر

نقول: بل مولدة الأسماء الإلهية، ألا ترى أنه لولا معصية آدم ؏ ما كان الاسم التواب، وسر المعصية أن الاسم (الفعال لما يريد) يعصى الاسم الآمر فالأسماء هي التي تطيع بعضها وتعصي بعضها، فلا تكن من الغافلين.

نكتة: إنما لم يسجد المظهر الناري لآدم ؏ وأبى السجود واستكبر؛ لأنه كُلف ما لا تقتضيه حقيقته وهو تسفل النار فان النار عنصرها أعلى من عنصر الأرض.

ألا ترى أن اللهب لا يصعد إلا إلى العلو، ولو نكسته لجهة الأرض يأبى إلا الفوقية، فلذا قال: (أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ) [الأعراف:١٢] أي: أعلى رتبة، فنظر إلى الصورة بذلك وحجب عن المعنى، ولم يعلم أن (أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ) [التين:٥] الذي هو العنصر الترابي هو عين أعلى عليين، فالجسم الذي منه هو الدائرة الكاملة.

ألا ترى أن قلب المؤمن الآدمي وسع الحق، بل الحق عند ظنه، فالمشاهد الإلهية تتولد من العقائد والظنون القلبية فهي متولدة من الدائرة الجسمية، وهكذا الجنة والنار والصراط والميزان، بل كل رقيقة من رقائق العالم مطوية في كل إنسان انطواء النخلة في

(٥٣)

النواة، وقد أفاد الشيخ الأكبر هذا المعنى في كتاب «التجليات» في التجلي الذي سماه تجلي منك وإليك، فالإنسان إذا كُشف عنه الغطاء وقامت قيامته رأى نفسه عين الطور والكتاب المسطور في الرق المنشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، قال تعالى: (وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ) [الإسراء:١٣] يعني أن غيبه معانق لشهادته ظاهر منها (وَنُخْرِجُ لَهُۥ) [الإسراء:١٣] أي: من عين ذاته (كِتَٰبًا)[الإسراء:١٣] أي: صور الحقائق الإلهية والكونية (يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا) [الإسراء:١٣] أي: منشورًا من حقيقة نفسه، فعند ذلك ينادي حقه خلقه (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ) فيجيب نفسه بنفسه (لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [غافر:١٦].

ألا ترى سر قوله تعالى: (وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا) [مريم:٩٥]، فهذا الفرد انطوى فيه الجميع انطواء الأعداد في الواحد، فهي منه بدت ولا تخرج عنه لأنها عينه، فإذا ظهر بطنت وإذا بطن فيها ظهرت، فهو الظاهر الباطن والأول الآخر، فافهم ذلك.

فقولك: اللهم صلي على سيدنا محمد ما هو إلا لتظهر لك محمدية ذاتك بهذا الدعاء المبارك فيأتيك(ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) [النبأ:٢-٣]،(لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ)[الصافات:٦١] (وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُون [المطففين:٢٦]" قال الله تعالى: (كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ) [الأنبياء:٩٣] وقال: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) [الإسراء:٨٤] ولا أهدى من سبيل سيدنا محمد ﷺ ولكل قومٍ هادٍ، والحمد لله.

السر الأعلى والطور الأغلى

توجهت سحرًا لذكر الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) فقيل لي مني: ما حكمة سجود الملائكة لآدم عليه السلام ؟ فإن كان ربهم والمنشئ لهم فهم متقدمون في النشأة عليه، ولذا (قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ) [البقرة:٣٠] فبطل كونه ربهم، وإن كان غير ربهم بل صورة معظمة فقد فتح الحق عبادة الصور أن كان سجود عبادة أو تعظيم الصور إن كان سجود تعظيم، وعلى كل حال فهو فتح لباب الشرك؛ إذ لا يعظم إلا من ينفع أو يضر، والعبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فكيف يعظم من ليس بيده شيء، وقال النبي ﷺ: «**إذا سألت فسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٥٤].

(٥٤)

ومن المعلوم أن محمدًا ﷺ سيد الرسل، فلم نهانا عن السجود له؟ وقال: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[٥٥] فيكف الحق تعالى يأمر العبد بالتوحيد وينهاهم عن الشرك ويأمر الملائكة بالسجود لغيره فما حكمة ذلك؟ فقلت: لا أعلم، فقيل لي مني: إن المأمورون بالسجود لآدم هم متولدون منه، فهو أصلهم، فسجودهم له سجود فرع لا أصل، فقلت: كيف يكون أصلهم وهو متولد من مجموع الأرواح الوجودية؟ فجميع الأرواح سابقة على نشأة آدم وهو نسخة الجميع، فلهذا جمع الحقائق كلها، فقيل لي: ليس المراد بآدم صورة آدم المتأخرة، بل آدم كل دور تتولد منه أرواح الوجود، فجميع الأرواح لا تتولد إلا من جسم آدمي، فحقيقة الإنسان الكامل الآدمي هي دائرة الوجود من مبدأ ﴿أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ وغاية ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ فالوجود متولد من آدم وذريته؛ أي: من الجسم الإنساني الترابي.

ألا ترى أن آدم مشتق من الأديم، والأديم في اللغة العربية هو الجلد، ولا يكون الجلد إلا الجسم فهذا معنى قول الشيخ ﷺ:

ومـا الفخـر إلا بالجسـوم لأنهـا مولـدة الأرواح ناهيـك مـن فخـر

بل أقول: لولا الخليفة الآدمي في الوجود بباطنه وظاهره وأحسن تقويمه وأسفل سافلة ما كان الاسم الأعظم ولا ورد توحيد الجلالة؛ لأن الجلالة حكم البرزخية لها وجه الوجود بالإثبات، ووجه العدم بالسلب، ولا يقوم بقوسي هذه الدائرة إلا حقيقة الإنسان الكامل، وهذا هو الخلق العظيم الذي عليه رسول الله ﷺ فعلم أن آدم ولو تأخر هو وذريته فهم مقدمون على الملائكة لما يقتضيه الدور الأعلى الذي هو عين الأسفل.

فقلت: مرادي شاهد من القرآن العظيم يطمئن به قلبي فقيل لي: هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [الأعراف:١١] أي: فبعد خلقكم من قبل وتصويركم من قبل وتولد الملائكة من الحقيقة الإنسانية في الدور الأول سجدت لها في الدور الثاني فآدم دور آدمي والملائكة دور روحاني فقلت: فإذا الصورة التي نرى ربنا فيها يوم القيامة دور، قال ﷺ «**ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر**»[٥٦] فهل هذه الصورة منا أو نحن منها؟ فإن كنَّا نحن منها فقد رأينا ما ليس من سعينا، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٣٩-٤٠].

فالقرآن يقتضي ألا يرى الإنسان إلا ما هو متولد منه فكيف يتولد الرب من العبد والعبد أصله من الرب؟ وعلى أننا نحن منها فما عبدنا إلا ما هو منَّا فإيانا عبدنا، فبضاعتنا رُدَّت بالمشاهدة علينا، فمن هو الرب ومن هو العبد؟ قيل: يا عجبا! جهلت مقام الصلاة التي تصليها، ولماذا كان قرة عين المصطفى ﷺ ، ألا تنظر لقوله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد**

---

(٥٥)

(٥٦)

الله كأنك تراه»[٥٧] فأمرك أن تتخيل أنه تعالى في قبلتك وأنت تراه، ولا يكون ذلك إلا بالتصور فالذي صورته أولاً يتجلى لك آخرًا فتراه كما ترى القمر ليلة البدر.

فقلت: حتى المشاهدة الإلهية تتولد مني وتوجد، فقيل لي: هو ما يقتضيه قول الله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٣٩-٤٠] فلا ترى إلا سعيك، فصلاتك بالأقوال والأفعال هي صفاتك، ومشاهد ربك هو إحسانك، فأنت مالك لا مملوك، انظر سر مسحك على رأسك في الوضوء يشير إلى قبضك في عبوديتك على مقام ربوبيتك فمن عرف نفسه عرف ربه. فافهم والحمد لله أولاً وأخرًا ظاهرًا وباطنًا وصلي الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وشرف وكرم وعظم،والحمد لله رب العالمين.

خاتمة

اعلم أن الله تعالى أيد لي كلام أستاذنا سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في قوله:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر

بشاهد من القرآن العظيم حيث أن علومه مؤيدة بالقرآن والسنة، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤] فالشجرة: هي الصورة الآدمية، وأصلها الثابت: هو التراب الجسماني؛ إذ ليس في العناصر أثبت منه، وفرعها المتولد من هذا الأصل في السماء، وذلك عالم الأرواح، ولذلك لما انتهى الروح في التنزل إلى مرتبة التراب، وسوى الله جسم آدم من تراب دار الدور منه إليه، فقال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩]، الذي هو الفرع لصورته الكاملة، فالروح المنفوخ منه هو الحقيقة المحمدية التي هي ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وهي متولدة في صورة محمدية كاملة تسمى آدم، هو أول جسم لتلك الروح، وذلك الجسم هو نقطة ﴿أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾ الذي له رتبة الكمال الرباعية؛ لأنه قائم في النشأة من أربع طبائع: الأولي: حرارة النار، والثانية: رطوبة الهواء، والثالثة: برودة الماء، والرابعة: يبوسة التراب، ومن أربع أخلاط: صفرا، ودم، وبلغم، وسوداء، ولهذا السر الآدمي الذي هو سر التربيع كان التربيع في الكلمة الطيبة، فقامت من أربع أركان: الأول: (لا)، والثاني: (إله)، والثالث: (إلا)، والرابع: (الله)، فكانت الشجرة الطيبة مجلى الكلمة الطيبة، فلو تجسدت الكلمة الطيبة لم يكن صورتها إلا الإنسان الكامل. فافهم.

ولما علم إبليس اللعين أن نشأة آدم مربعة الأركان قال كما حكى الله عنه: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧]، فأتى

---

[٥٧]

بالتربيع لمناسبة النشأة، فدلنا رسول الله ﷺ على دواء ذلك الداء فقال: «**قولوا لا إله إلا الله**»[٥٨] وذلك هو الكلمة الطيبة المربعة الأركان، فندفع تربيعه بهذا التربيع، فمن ثبت على الكلمة الطيبة فليس للشيطان عليه سلطان، فالتربيع لآدم

وأما سيدنا محمد ﷺ فله سر العشر؛ لأنه ظهر بميمين: ميم آدم التي في مبدأ اسمه، وهو نبوته الروحانية التي بدت أولاً من نقطة الروح في جسم آدم الذي هو صورة من صوره، والميم الثانية: من اسم سيدنا محمد ﷺ عنوان دائرة ثبوته الجسمية، فكان نبيًا بالميم الأولي من الاسم الأول ومن الاسم الباطن، وبالميم الثانية من الاسم الآخر ومن الاسم الظاهر، فهو نقطة دائرة النبوة وقوساها، ومنزلته ألقاب الرابط بين القوسين أو أدني؛ أي: النقطة.

فمنتهى آدم الميمي مبدأ سيدنا محمد ﷺ كما قال: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**» ثم بطنت صورته الآدمية حتى دارت إلى الصورة التي ظهرت في زمن سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا عليّ، فبدأ في خلفائه الأربعة سر التربيع الآدمي، وإنما تضاعف كماله ﷺ للعشر الكاملة؛ لأن الأربعة أصلها الواحد، فتضاعف للاثنين ثم إلى الثلاثة، وإذا جمعت الواحد والاثنين صار ثلاثة، فاجمع الثلاثة أيضًا إلى تلك الثلاثة المضاعفة من الواحد يحصل ستة، ثم تضاعف من الثلاثة إلى الأربعة فاجمع الأربعة للستة تكن عشرة كاملة، وإنما كانت العشرة كاملة؛ لأن بسائط العدد من الواحد إلى تسعة، ومركباته من أحدى عشرة إلى فوق، والعشرة هي البرزخ الرابط، فنبوة سيدنا محمد ﷺ من الأسماء الأربعة: الأول والآخر والظاهر والباطن، فلذا قال: «إن الزمان قد استدار» وقال: « نحن الأولون الآخرون» فله الكمال الإحدى الذي لا يشاركه فيه سواه؛ لأنه صورة الجميع ومعناهم.

فالكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله» ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي سيدنا محمد ﷺ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ وهو آدم عليه السلام ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤] وهو جسم سيدنا محمد ﷺ لأنه في درجة السمو التي لها الاسم الأعظم الكامل المناسب لكماله، ولذا اختص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ﴾ [الفتح:١٠].

وقد سرى منه الكمال لزوجيته مريم وآسية عليهما السلام، قال ﷺ: «**كَمُل من الرجال كثيرون وما كَمُل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون**»[٥٩].

ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم:٢٥]، فالهز: طلب الكمال المحمدي من طريق الإشارة لا من طريق التفسير، والجذع: هو هذا الاسم الأعظم وهو الله، والنخلة: مدلوله وهي الشجرة

---

(٥٨)

(٥٩)

الطيبة المحمدية، ولذا قال: (وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ) أي: إلى ذاتك لتكوني كفء محمد ﷺ (تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ) أي: أن الشجرة المحمدية تساقط عليك رطب الأسماء الإلهية فتكوني مدلول جميعها، وهذا الرُطب الأسمائي جُنيَ؛ أي: ثمر أنت جنيته بهذا الهز، الذي هو ذكر هذا الاسم الأعظم، وهذا الرُطب الأسمائي بعلوقه ومعارفه وتجلياته هو الرزق الذي كان يجده عندها زكريا كلما دخل عليها المحراب؛ لأنه أستاذها ومرشدها وكافلها، فهو الذي لَقنها هذا الذكر فكان يتفقدها في محرابها لينظر ما حصل لها من العلوم والمعارف.

فلذا كان يقول لها ؈: (أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا) فتقول: (هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ)[آل عمران:٣٧] أي: هو ثمرة ذكري لهذا الاسم الأعظم، فتأكل منه فواكه الصور ومطاعمها من الاسم الظاهر، وتشرب مشارب العلوم اللدنية من الاسم الباطن، وتقر عينها بأن ذلك منها لا من غيرها، كما قال تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩].

فلما آن أوان التولد منها تجلى لها جبريل ـ جبروتها الباطن ـ بشرًا سويًا من حقيقة الاسم الظاهر، فنفخ ذلك الروح الباطني الروحي في فرجها الذاتي الجسم، فسرت النفخة في سائر جسمها، فحَملت بروح الله وكلمته، الذي تولد من جسمها بسبب الفرج الجسماني، ومن روحها بسبب الروح النافخ، الذي هو منها في حقيقة الأمر، فصح قول سيدنا:

ومــا الفخــر إلا بالجســوم لأنهــا مولــدة الأرواح ناهيـك مــن فخــر

وإنما تجلت لها الصورة المحمدية في النخلة كما قال تعالى: (فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ) [مريم:٢٣]، لأن النخلة عَمَّتنا التي خلقت من طينة آدم ؈ ومن تلك الطينة أرض السمسمة التي هي برزخ بين الحس والمعنى ومن تلك الأرض جنة آدم التي فيها الشجرة المنهي عنها، فلما ذاقها آدم ؈ وهي صورة الخلافة استحال من رتبة الملكية إلى الصورة الجسمية الآدمية، فهو عين شجرة خلد الذات وملك الأسماء والصفات، وهذا الملك لا يَبلى ولا ينقطع، (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص:٨٨] لأنه وجود كل شيء. فافهم.

خاتمة الخاتمة

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن معاملة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كلها جسمانية حسيِّة ثابتة، قال الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ يحكي مقامه السامي الشريف: (ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) [التوبة:٤٠].

قال أستاذنا محيي الدين ﵁: الصحيح أنه عندنا من كلام أبي بكر الصديق، سر ذلك أن النبي ﷺ هو الأصل المصحوب، فلا يصاحبه أحد سواه، فالمصاحب هو أبو بكر، والصاحب محمد ﷺ إذ مشهد أبي بكر فيه (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ) [الحديد:٥] فأبو بكر

مع الأصل الثابت لا مع الفرع فهو ﷺ الشجرة الطيبة التي(أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ) فعالم الأرواح هو فرع صورته الترابية الجسمية، ولذا عرج به بعروج جسماني لا روحاني ليشاهد الآيات التيُ أنشئت منه، فعلم أن أعلى عليين هو أسفل سافلين بنفسه، فاكتسب سيدنا أبو بكر هذا المشهد من النبي ﷺ الذي قيل في حقه:(مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ) أي: ما زاغ عن الأصل الذي هو نفسه ﷺ فإن إنسانية نفسه عين الوجود بأسره فما رأى سواه.

قال تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩]، فما شاهد في عروجه إلا ما هو منه فما أتاه شيء غريب عنه، ولذا قال تعالى: (فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ) [النجم:٩]، ولم يقل: فوصل إلى قاب قوسين أو أدني، فهو عين قوسي الدائرة أو أدني؛ أي: النقطة التي امتدت منها الدائرة، وهذا المشهد هو الذي أخبر عنه ﷺ بقوله: «**لو اتخذت خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر**»[٦٠] ولكن أخوة الإسلام أفضل، والإسلام للمرتبة الجسمانية لا للمرتبة الروحانية، ولذا تأدب جبريل فأتى إليه بصورة أعرابي يسأله عن الإسلام فلم يُعّلمه بل تَعَّلَم منه؛ لأنه مقامه لا مقام جبريل.

فإن الإسلام مناط الأعمال الظاهرة من الأركان الخمس لا الأعمال الباطنة، ومن هذه الأعمال الظاهرة لم ينتش جبريل، فالإنسان جبريله منه، واعلم أن قول النبي ﷺ: «**لو اتخذت خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر**»[٦١] ليس هذا رفع همه عن العالم الجسماني، لقوله في الحديث أيضًا: «**خليلي من هذه الأمة أبو بكر**»[٦٢] فدل الحديثان أن مشهوده في ربه جسماني؛ إذ مشهد الرب في الجسم الإنساني أعلى من مشاهدته في التجلي الروحاني.

ألا ترى إلى ما قاله الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقيرضي الله عنه: معاملتي وراء الجذبة والسلوك ووراء التجليات والظهورات، يعني لماذا انجذب من المشاهد القدسية والذي أنجذب إليه هو مني، وأي ظاهر لي في المشاهد هو أثبت من ظهور نفسي الحسيَّة فأنا الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فالفرع ينبغي أن يشاهدني لا إني أنا الذي اشتغل عني به، لأني أنا الأصل فلذا تمثل منشدًا فقال:

يُحــرَق بالنــار مــن يُحــسُ بهــا ومــن هــو النــار كيــف يحتــرق

ألا ترى أن الملائكة هي التي سجدت للإنسان الكامل ـ وهو آدم عليه السلام ـ ولم يسجد آدم لصورة إلا للتراب الذي هو أصله، فالتراب أشرف من العالم الروحاني لذلك قال ﷺ: «**لو دليتم بحبل لهبطتم على الله**»[٦٣]، ولا نهبط إلا على أسفل سافلين ـ وهو التراب ـ فهبوطنا

---

(٦٠)

(٦١)

(٦٢)

(٦٣)

علينا لا على سوانا، فنحن أصل الظهورات والتجليات، فلذا كان الأمام الرباني يقول: أنا مقامي الوصل العريان، ونعني بالوصل العريان رفع الحُجب كلها، وزوال الستور بأسرها؛ أي: ولا يكون ذلك إلا بالمشاهدة الإنسانية؛ إذ لا ثبوت لعالم الأرواح، بل الثبوت لعالم الأجسام فعالم الأرواح كله حجب وستور، والحجاب المستور عمَّن لم يعرف نفسه هو الظاهر الثابت الذي هو عين نفسه.

ألا ترى أن الله أخبر عن نفسه أنه هو الظاهر، ولا يظهر لك إلا الجسم لا الروح، من هذا السر تعلم قوله تعالى في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم:١٧] أي: ما مال وكيف يميل إلى سواه؟! ولا سواه، فاستحقَّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] ولم نبايع روحًا من الأرواح كجبريل أو ميكائيل، فلذا قال الإمام الرباني: والذي نحن بصدده أمر وراء التجلي؛ أي: مرادنا المتجلي لا التجلي، فلذا قال لأصحابه: وليس كما قاله صاحب «الفصوص» من أن التجلي الذاتي نهاية العروج خوفًا عليهم أن يقفوا مع التجلي، ومراده أن يكونوا مع الأصل الذي قال فيه تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم:٣٩-٤٠] فما جذب أحد إلا سعيه وما سلك إلا لسعيه ولا ينبغي أن تشتغل عنك بما هو منك.

قيل لبعض الفقراء عند النزع: اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فقال: هي التي تقرأني، لا أنا الذي أقرأها، فوافق قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠] مع أن فيه أسماء الله، فافهم ذلك.

فصحَّ أن مشاهد الأنبياء والرسل حسيَّة جسمانيَّة، كما قال الأستاذ محيي الدين رضي الله عنه:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر

من هنا تعلم مقام يعقوب عليه السلام في قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤]، وكان ﷺ يقول لعائشة: «**ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[٦٤] مع أن آخر كلامه من الدنيا: « **اللهم الرفيق الأعلى**»[٦٥] فعلمنا أن الرفيق الأعلى هو «عائشة» بعينها.

ألا ترى قوله ﷺ: « **وإني عليك يا إبراهيم لمحزون**»[٦٦] فهو مناسب لقول يعقوب

(٦٤)

(٦٥)

(٦٦)

ﷺ (يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) [يوسف:٨٤]، ومن هذا المعنى يُفهم نكاح الهبة، فكانت المرأة تقول له: وهبتك نفسي؛ لأن الله تعالى قال: (ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) [الأحزاب:٦]، فما وهبته ما هو خارج عنه

كـالبحر يسـقيه السـحاب ومالــه فضــل عليــه لأنـــه مـــن مائـــه

وما أمرت المرأة أن تقول: وهبت نفسي لله، وكان سيدنا « أبو بكر الصديق » متمكنا في هذا المقام، فقال « لعائشة» في شأن براءتها: « **قومي فاشكري رسول الله**»، ولم تكن عالمة بمشهد أبيها فقالت: « **لا أشكر إلا الله**» مع أن «أبا بكر» ﷺ لم يرشدها إلى الشرك، بل إلى حقيقة التوحيد الأعلى الذي وافق الله في قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠].

ألا ترى أن النبي ﷺ أجرى النكاح الأحدي في قصة« زينب بنت جحش»- رضي الله عنها- فكان هو زوجها ووليها فقالت: «**زوَّجني الله من فوق سبع سموات**»[٦٧]، ولم تعلم أن زوجها، وهو رسول الله ﷺ هو في منزلته فوق الفوق، ومدلول الاسم الأحد، فهو كتاب الوجود الذي(لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [البقرة:٢] فسره ألف الذات، وروحه لام جبريل، جبروت الأسماء والصفات، ودائرة ميم اسمه حضرة الأفعال الكونيات

فنحن نؤمن بأنه غيب فينا؛ لأنه وجودنا الساري بنا وبكل شيء، وهو سر قول الله: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ) [الأنفال:٣٣] فمن عرف أن سيدنا محمد ﷺ فيه فلا يعذبه الله، ومن لم يعرف ذلك فعذابه حجابه (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم: ٣٩].

فاسع أيها الإنسان حتى يظهر لك شفيعك منك، لذلك قال تعالى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ) [التوبة:١٢٨] ففجر هذه العين المحمدية من حقيقة نفسك، واشرب بها شراب الذات تُدر عليك جميع الأسماء والصفات، فأنت شجرة الخلد والملك الذي لا يَبلى (قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) [الأنعام:٩١] فهز جذع نخلة الوجود إليك يساقط الرطب الجني عليك، وذلك هو الكمال ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) [الرحمن: ٧٨] (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم)[السجدة:١٧] أي: ما أخفي لهم فيهم (مِّن قُرَّةِ

---

(٦٧)

أَعۡيُنٖ) [السجدة: ١٧] لأن النفس مفتاح الغيب الذي لا يعلمه إلا هو فمن عرف نفسه عرف ربه، وقد بذلنا لك النصيحة. والحمد لله رب العالمين.

نكتة لطيفة:

الغيب الذي أشرنا إليه من قوله تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ) [الأنفال:٣٣] هو السر المحمدي الذي هو فينا، وهو كتاب الوجود الذي لا ريب فيه، فنحن نؤمن به أنه فينا، وهو العين التي نَشرب بها ونُفجرها بالأعمال الصالحة منَّا، وذلك مرجع قول الأمام الرباني ﷺ في قوله: الناس فرحون بالرؤية الموعودة في الآخرة وكل همي وابتلائي ألَّا يخرج الأمر من العلم إلى العين ومن الغيب إلى الشهادة.

بيان ذلك: إنه قطع طريق المشاهد والأطوار، وطوى جميع التجليات حتى عاد إلى حقيقة نفسه، فرجع إلى رتبة الإيمان بأنها الغيب المطلق الذي لا تنتهي مشاهدة وتجلياته؛ لأنها دورية، ومرجع الدور قوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)[الحديد:٣]، ونقطة هذه الدائرة هو الإنسان(٦٨)، والنقطة هي أصل جميع الدوائر فأوليتها وآخريتها وظاهريتها وباطنيتها لا نهاية لها، فمحط نظره غيب ذاته، فرجع إلى رتبة الإيمان الذي هو الأصل في العيان؛ إذ (لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا) سَعَىٰ [النجم:٣٩]، والعاقل لا يشتغل بصفاته عن حقيقة ذاته.

ألا ترى قوله تعالى: (ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ) [الشعراء:٢١٨] فهو مرئي لأنه أصل الوجود، ثم قال: (وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ) [الشعراء:٢١٩]، وما ثم عندنا إلا ساجد، فهو المتقلب في الوجود ولا ينتهي تقلبه وهو فينا فتقلبنا لا يتناهي، ومن ذلك التقلب الرؤية الموعودة في الآخرة، فمحط نظر الإمام الرباني أن يكون مع الغيب المطلق، وذلك عين ذاته، فيكون مع المتقلب الذي هو محمدية ذاته لا مع التقلب، ولذا قال: والذي نحن بصدده أمر وراء التجلي، فمقصده الإيمان الذاتي الذي من سعيه جميع ما يرى، وجميع ما يجزي الجزاء الأوفى فهو لا يترك الأصل وينظر الفرع، فمقام الإيمان أعلى من مقام العيان، ولذا قال الله تعالى: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ) [البقرة:٨٥] ولم يقل: عاين.

---

(٦٨) والإنسان قد يخرج من مخرج الشأن الذاتي الغيبي الذي كان تعيُّن الذات الأحدية في تلك المرتبة بالنسبة إلى سائر التعينات؛ كتعيُّن الحروف بالنسبة إلى التركيبات اللفظية، ثم لمَّا خرج بالحركة المعنوية، والنفس الرحماني من تلك المرتبة؛ مرَّ بمرتبة الأرواح التي هي مرتبة اللام التي تعيَّن مخرجها من الوسط، فإن الأرواح متوسطة بين عالم العلم وعالم العين، ثم مرَّ بمرتبة الأجسام التي هي مرتبة الميم التي تعيَّن مخرجها من الفم الذي هو آخر المخارج، ولم يتعرَّض لمرتبة المثال، وإن كانت من الحضرات الخمس؛ لكونها ممتزجة بالطرفين؛ فلها وجه إلى مرتبة الأرواح، ووجه إلى مرتبة الأجسام، فإذًا المخارج الكلية ثلاثة: المبدأ الألفي، والوسط اللامي، والآخر الميمي، وما عداها فمخارج جزئية.

ومن أسماء الله (المؤمن)، فهو إيمان الله تعالى بذاته أنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١] إذ الأمثال كلها منه.

ألا ترى ما أشار إليه أبو تراب ﷺ في قوله: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينًا؛ لأنه عين الغطاء الذي لا يكشف للنهاية، وإنما يكشف ما منه، فكأنه ـ كرم الله وجهه ـ يقول: أنا أصل الذي يكشف، فصاحب هذا المشهد لا يفرح بالرؤية الموعودة؛ لأنها نتيجة عقيدته في الله، بل محط نظره غيب ذاته، فلا يقف مع شيء دون ذاته، فيظن الجاهل أن الإمام الرباني يطلب بهذا الكلام الحجاب، ولا يدري أنه دائمًا مع رب الأرباب، المتقلب في جميع الأسباب، فهو الحبة التي **(أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ)**؛ أي: الذات التي منها نشأت الصفات السبع، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام **(فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ)**[البقرة:٢٦١] فليت شعري هل الأصل من السنبلة أم من الحبة؟.

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى هذا الدور؛ إذ كل حبة من السنابل أيضًا تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وهكذا إلى مالا يتناهى، فلا يسعنا إلا مقام الإيمان ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا) [الجن: ١٣] لأنه الكل وممد الكل وعين الكل﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [القصص:٨٨] فأول يدور وآخر يدور وظاهر يدور وباطن يدور ومظاهر ذلك تدور، **(والشمس تجري لا مستقر لها)** [يس:٣٨]، لتجديد الدور، قرأ بذلك ابن مسعود ﷺ، والقراءة الثانية: **(لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا)** إشارة أن الأول عين الآخر والظاهر عين الباطن، فالمستقر هو الغيب المطلق، وهو الذات التي هي مستقر جميع الأسماء والصفات، وذلك عين شجرة الخلد؛ لأن الله تعالى لا يزول، والملك الذي لا يَبلي؛ لأن أوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته لا تنقطع.

فافهم رحمك الله، وانتبه من منامك «**فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[٦٩] قال الله تعالى لحبيبه ﷺ:**(إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) [الزمر:٣٠]** فموته ﷺ عين حياة ربه فيه، لذلك قال ﷺ «**من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق**» [٧٠] فخوخة أبي بكر ﷺ التي في المسجد لا تُسد؛ لأنه الخليفة ورب المسجد ومرآة المصطفى وخليله، وكان يشهده في الغار عين الرفيق الأعلى؛ لأنه مرآة كماله. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

---

(٦٩)

(٧٠)

وارد: قال رسول الله ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٧١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن قيامة كل إنسان ما قام في ذاته من حقائق الأسماء الإلهية والصفات الربانية، وما دام الإنسان موجودًا بخلفيته محصورًا بقيد صورته فلا تقوم قيامته، بل قيامته ميتة فيه، بمعنى أنها باطنة في ذاته مطوية النشر، فإذا مات بالفناء الأكبر وهو محق خلقيَّته، وهلاكه بظهور حقيقيَّته، حينئذ تقوم قيامة ذاته بنشور أسمائه وصفاته، فينتبه حينئذ بموته من نومه، وينبأ بما قدَّم وأخَّر ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [القيامة:١٤]؛ لأنه لمَّا تجلت له أحدية ذاته أبصر نفسه عين كل شيء، فيعلم كل شيء من علمه بنفسه، وتلك هي الحياة التي لا يرجو بعدها حياةً ولا نشورًا؛ إذ لم يقيِّده مشهد الأول عن مشهد الآخر، ولا مشهد الآخر عن مشهد الأول، وكذا يقال في الظاهر والباطن.

فمن مات هذه الموتة فهو الحي القيوم، فأوله آخره، وظاهره باطنه، فيستوي برحمانية أحديته على عرش صور الوجود فهو ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ الذي هو عالم الأرواح ﴿مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الروم:١٩] الصورة؛ لأن العالم الروحي باطن مقبور في الجسم فتبعث الأرواح حينئذ بموت الأجسام، ويكون الباطن ظاهرًا والآخر أولاً، ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾ الصوري ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾الروحي، وذلك بتسفل الروح وتَنزّلها إلى الشهادة الجسمية، وذلك هو موت الأرواح وحياة الأجسام، ومن ماتت خلقيته بالفناء الأكبر وقامت قيامته المطلقة فهو الذي نفذ من أقطار السموات والأرض، فهو مقدس الذات ومرجع الأسماء والصفات، فلا تقيده الحضرات ولا يحكم فيه الأول ولا الآخر ولا الظاهر ولا الباطن، بل هو الذي يخرج الأول من الآخر والظاهر من الباطن، والمعنى من الصورة، والصورة من المعنى، فهو مستقر الأنباء كلها، كما قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ **[الأنعام:٦٧]**، فهو مع أهل الدنيا بدنياهم، ومع أهل الآخرة بآخرتهم، ومع أهل البرزخ ببرزخهم فمقامه ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ [القيامة:٢٩-٣٠] فمقام الإنسان الكامل﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد:٤]، وهو المطلق بل هو المنزه عن الإطلاق والتقييد، وأما المقيّد فالمشهد الذي هو فيه هو الأول وهو الظاهر له، ومقابله هو الآخر الباطن، فإذا انتقل إلى الآخر الباطن كان في حقه أولاً ظاهرًا، فلا يزال من أول إلى آخر ومن آخر إلى أول، ومن ظاهر إلى باطن ومن باطن إلى ظاهر، ومن جمال إلى جلال ومن جلال إلى جمال، وهو صاحب الموت الأصغر المعهود بين الناس.

وأما صاحب الموت الأكبر فقد صُعق في حياته الدنيا ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ لحقيته بفناء

---

[٧١]

خلقيته (قَالَ سُبۡحَٰنَكَ) أي: أنت الظاهر بي بلا أنا، وذلك معنى قوله (تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) [الأعراف: ١٤٣]؛ لأن الله هو المؤمن المتجلى في كل مؤمن، فمن أفاق بموت خلقيته وأنتبه بظهور حقيقيته صح له قول: «**لا إله إلا الله**» فقد قال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٧٢) أي: لأن الجنة تحت حكمه؛ لأنها منه، فمن أدرك المنتهى انطوى فيه كل مبتدأ (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ) **[النجم:٤٢]** وإلى ذلك الإشارة بقول سيدنا الغوث الجيلاني رضوان الله عليه:

ما في المناهل منهل مستعذب إلا ولي فيه الألذ الأطيب

إرثًا من جده فرد الوجود ﷺ القائل: «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه غير ربي**»(٧٣) ولذا قال: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**»(٧٤) ومن كان قلبه لا ينام (لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ) **[سبأ: ٣]** فهو المجلى الأعظم القائم بأمانة (وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ) **[الحجر:٢١]** وهو الحقيق بمقام الرفق والرحمة والإحسان المتنَزل على ظاهره الوحي من حقيقة باطنه بحكمة (فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ * وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ) [الضحى: ٩- ١١].

وقد أشرنا في كلامنا إلى سر غامض، وهو أن كل اسم الهي إذا انتهى حكمه في التجلي بدأ منه مقابله في المعنى، وهذا دوران عظيم مَشاهده في كل واد يهيم، ولا يخفى أن إفشاء سر الربوبية كُفر، فان فهت الرموز حُلت لك الطلاسم وفُتحت الكنوز. وعلى الله قصد السبيل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وارد «وكل إنسان»

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا) **[الإسراء: ١٣].**

---

(٧٢)

(٧٣)

(٧٤)

اعلم ـ رحمك الله ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات فقد قامت قيامته**»(٧٥) فاعلم أن الموت على قسمين: موت أصغر، وموت أكبر.

فالموت الأصغر: هو المعلوم في عموم الناس، وقد شاركهم فيه رسول الله ﷺ من جهة صورته الخاصة المعلومة التي كانت في زمن سيدنا« أبو بكر» وسيدنا «عمر» رضي الله عنه

قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ **[الزمر: ٣٠]**

وأما الموت الأكبر فهو بطون الخلق وظهور الحق، وقد أشار إليه ﷺ في قوله: «**موتوا قبل أن تموتوا**»(٧٦) وورد: «**من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق**»(٧٧)

وكذلك القيامة على قسمين: قيامة صغرى وقيامة كبرى.

فالقيامة الصغرى: هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ**﴾ [عبس: ٢١ ـ٢٢] وإلى هذه القيامة الصغرى أشار ﷺ بقوله يخاطب الأموات: «**وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون**»(٧٨) فقد شارك بهذا الموت الظاهر الذي هو ـ بصورة خاصة ـ جميع الأموات.

وأما القيامة الكبرى: فهي مطوية في الإنسان، وإشارة هذا الطي قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ**﴾ **[الإسراء: ١٣]**

وأما النشور فكذلك نشور أصغر: وهو للمقبور، فينشر جسمه الترابي بعد قبره بحكم الدور للاسم الإلهي الأول، ونشور أكبر: وهو لكتاب ذاتك المسطور، وبكشف هذا الغطاء ينتشر هذا الكتاب، فيعلم الإنسان أنه الأول الآخر الظاهر الباطن، ومنه قال ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»(٧٩) وقال: «**نحن الآخرون الأولون**»(٨٠) وفي هذا النشر ينبأ الإنسان بما قدَّم وأخَّر، ويظهر له طائره؛ أي: طائر ذاته، والطائر: الحظ كما في القاموس.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن حظ الإنسان الملزم في عنقه هو غيبه الذاتي المدلول للاسم

---

(٧٥)

(٧٦)

(٧٧)

(٧٨)

(٧٩)

(٨٠)

الجامع وهو الله، وهذا الغيب لا يمكن إدراكه على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣]، وقال فيه ﷺ لما سُئل هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنّى أراه»[٨١] ومع ذلك فإنه الظاهر بعينه كما أنه هو الباطن، وكما أنه هو الأول كذلك هو الآخر.

وقد أخبر الله تعالى أن هذا الطائر الغيبي الذي هو حظ الإنسان ونصيبه في عنقه، إشارة أن هذا الغيب معانق للشهادة، كما قال: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] فبهذا الالتفاف يكون الأول عين الآخر والباطن عين الظاهر، فذات الله تعالى ـ وإن كانت لا يقع البصر إلا عليها ـ لا تدركها الأبصار، وكما أن طائر الإنسان الغائب عنه هو الذات التي لا تدركها الأبصار فهي «**سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[٨٢] ، وفي رواية: «**ولسانه الذي ينطق به**»[٨٣] وفي رواية: «**وفؤاده الذي يعقل به**»[٨٤] فذات الله تعالى المعبَّر عنها بضمير «كنت» هي صفات العبد الظاهرة والباطنة، بل هي المسمى بالعبد كما في رواية: «**فإذا أحببته كنت هو**»[٨٥] فظاهر الحديث الشريف أن ذات الله هي الطائر التي يطلبها العبد، وهي في عنقه، ومظاهر هذه الذات هي كتابه المنشور صورًا لا تتناهى، وإنما قال تعالى: ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء:١٣]، ولم يقل: في رأسه مثلاً ولا في رجله؛ لأن العنق برزخ فاصل بين الأعلى والأسفل، فهو إشارة إلى الرتبة البرزخية التي يقبل الإنسان بها الربوبية التي لها وجه الرأس، ويقبل العبودية التي لها وجه الأسفل، وهو الأرجل، ولما كان في قبضة المرتبتان ظهر ذلك السر في المسح، قال تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة:٦] إشارة إلى مرتبتي الربوبية والعبودية حكمان دائران على ذات الإنسان، فباطنه الرب وظاهره العبد، وباطنه الخالق وظاهره المخلوق، وباطنه الحق وظاهره الخلق، وباطنه الكنز المخفي الذي لا تدركه الأبصار، وظاهرة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ﴾ [البقرة:١١٥] فلا تدرك الأبصار إلا هو، فالعلم به عين الجهل به، فالذات جامعة للضدين، وإلى برزخيتها المطلقة أشار الحديث لمَّا قيل له: أين كان ربنا

---

(٨١)

(٨٢)

(٨٣)

(٨٤)

(٨٥)

قبل أن يخلق الخلق؟ فقال ﷺ: «**كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء**»[86] فلا يقال في العماء إنه حق، ولا يقال فيه إنه خلق.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الموت والقيامة والبعث والنشور ينسحب على كل منها اسم الله (المُقدِّم) واسم الله (المُؤَخِّر)، فمن كشف الله غطاءه في الدنيا يُنبأ بما قدَّم باطنه وأخَّر ظاهره، وإن كان مقبورًا بغطائه فهو المقيد الذي قال الله تعالى في حق: (**ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ**) [عبس:٢٢] بخلاف من كتابه منشور فإنه قضى نحبه، والنحب مطلق على الحاجة ولا أحوج للإنسان من معرفة نفسه، ويطلق على الموت والأجل، فالذي قضي نحبه هو الذي مات وقامت قيامته في الدنيا، فشاهد المآل في الحال، وانقضى أجل هدايته لنفسه فأبصرها كما قال تعالى: (**فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ**) [الأنعام:١٤] فهو في هذه الحال مظهر الاسم (المقدِّم)، (**وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**) [**الأحزاب:٢٣**] فهو مظهر الاسم (المؤخِّر) والقيامة حقيقة واحدة ولكن (**لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ**) [**الأعراف: ١٨٧**]، ووقت كشف الغطاء يختلف بحسب سير السائرين، فتنجلي عن أراد الله كلمح البصر، ومنهم من لا ينتهي عروجه إلا بخمسين موقفًا، كل موقفٍ يوم من أيام الرب كألف سنة، فيوم ذي المعارج بأسرها مقداره خمسون ألف سنة، فتنتهي دورة ذلك اليوم و **يَلِجَ**(**ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ**)[الأعراف:٤٠]، (والجَمَلُ) إشارة الأحدية التي هي جملة جميع الأسماء، (وسَم الخِيَاط) كناية عن الصورة المركبة، وفي هذا الولوج دوران الدور المبني على الحقائق الأربع: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية.

وأما صاحب المقام المحمدي، فالأدوار كلها تحت حكمه (**وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ**) [المؤمنون: ٨٨] إذ ليس معه أحد حتى يجبر عليه بل هو صاحب مقام الأحدية ذو المعارج كلها (**تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ**) [المعارج:٤] في كل ذي روح (**إِلَيْه**)، والى هذا المعنى يشير أستاذنا محيي الدين خاتم الولاية المحمدية بقوله سلام الله عليه:

إلا بـأبي مـن كـان ملكًـا وسـيدًا	**وآدم بـين المـاء والطـين واقـف**
فـذاك الرسـول الأبطحـي محمـد	**لـه فـي المـلا مجـدٌ تليـدٌ وطـارف**
أتى بزمان السعد في آخر المدى	**وكـان لـه فـي كـل عصـر مواقـف**
أتـى لانكسـار الـدهر يجبـر صـدعه	**فأثنــت عليــه السـن وعــوارف**
إذا رام أمــرًا لا يكــون خلافــه	**ولــيس لــذاك الأمــر فــي الكــون صــارف**

والتليد هو القديم، والطارف والطريف هو الحديث، فمجده التليد «**كنت نبيًا وآدم**

(٨٦)

بين الماء والطين وكنت نبيًا ولا ماء ولا طين» والطارف: (**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا**) [الأحزاب:٤٠]

ولما كان سراج الوجود المنير لكل موجود أمْتَن تعالى عليه من بطون حقيقته على ظهور صورته بنعمة (**إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا**) [الفتح:١] أي: مظهرًا لك حقيقة ذاتك فكشفنا لك عنك فرأيت كل شيء منك (**لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ**) [الفتح:٢] أي: في صور مظاهر حقيقتك المحجوبين بصورهم المتكاثرة فألهاهم التكاثر عنك، إنك سراجهم ومنيرهم، وأعظم الذنب الشرك فغفره الله؛ أي: ستره بأحدية حقيقة محمد ﷺ

وكذا يقال في قوله تعالى: ﴿ (**وَمَا تَأَخَّرَ**) [الفتح:٢] أي: ستر بأحديتك المتقدمين والمتأخرين، فليس معك شيء مع كثرة صور الوجود وعدم تناهيها بدوام جريان شمس الحقيقة المحمدية التي (لا مستقر لها) كما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه، (**والتي ُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا**) [يس:٣٨] على القراءة المشهورة، وجريانها بأن تستدير للنقطة الأولى التي هي سراجيته رضي الله عنه

فيتحقق بالوصلة إليه منه ﷺ، وذلك مرجع قوله تعالى (**إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ**) [الكوثر:١] فله المشرق والمغرب، فأينما نولي فثم الوجه المحمدي، وهذا المعنى قول سيدنا أبي العباس المرسي رضي الله عنه: لو حُجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين. فافهم ذلك. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

نكتة عجيبة:

لعلك تقول معترضًا إنك قلت فيما تقدم قريبًا في السراج المنير ﷺ تعرج الملائكة والروح إليه من كل ذي روح في الوجود فهو مستقر النبأ العظيم والمنقلب إليه، فماذا تصنع بالروح الإبليس المعلون إلى يوم الدين؟ فأقول:

اعلم ـ رحمك الله ـ أن أصل العناصر كلها هو التراب، وما استحجر منه هو الحجر، والماء يتفجر من الحجر وينبع من التراب وهو العنصر الثاني، وما تلطفا من الماء فهو الهواء وهو العنصر الثالث، ومن النفس الهوائي والجسم الحجري تنقدح النار التي هي العنصر الرابع، ومنها خلق إبليس، والنار أعلى العناصر مكانًا لا مكانة، فمن هذا العلو وقع الوهم على إبليس وقال في حق آدم (**أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ**) [الأعراف:١٢] فملأ الله منه ومن تبعه جهنم، فهو الكافر الناطق في كل كافر: (**يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا**) [النبأ:٤٠] ليرجع من الاستكبار إلى الذلة للعزيز الجبار، فإذا وضع الجبار

قدمه في النار عادت ترابًا هي ومن فيها وتشققت حجارتها من خشية الجبار؛ إذ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤]، فيرجع الأمر من الماء والتراب إلى الطين الذي ذكره اللعين، ومن الطين خُلق آدم فيدور الدور، وينعطف الآخر على الأول، ويبدوا جمال الاسم الهادي من جلال الاسم المضل، ومتى دار الدور وعاد آدم، فلابدَّ أيضًا من إبليس.

وأما الدور الجناني فهو من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، كما ورد في الحديث: «**إن الله يكتب كتابًا إلى أهل الجنة من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت» أما بعد: فإني أقول للشيء: كن فيكون، وقد جعلتك تقول للشيء: كن فيكون**»[٨٧] وإياك أن تظن أن أهل الجنة شاركوا الإله في الحياة الدائمة وفي القدرة والإيجاد، بل العين واحدة، اسمها الأول الذي هو باطن صورتها، وهو غيبها يخاطب الاسم الآخر الذي هو ظاهر صورتها، وهو شهادتها، فما ثم سوى حقيقة واحدة التي هي السراج المنير ﷺ، وهي بأحدية ذاتها تنبئ نفسها بنفسها من مشهد «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٨٨]، وهذا المعنى هو مرجع قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فمعنانا هو الرحمن وصورنا هو العرش، والإصبعان الذي قلب المؤمن بينهما هما: الأول والآخر، والظاهر والباطن، والجلال والجمال، والغيب والشهادة، والخلق والحق، والمعنى والصورة، والرب والعبد.

وقد ورد أنه تعالى استوى على عرشه وقدماه متدليتان إلى الكرسي، فالقدم الواحدة قدم الصدق التي للجنان، والثانية قدم الجبر التي للنيران، وهذه القدم هي التي يضعها الحق في النار، فتفنى وينبت في قعرها شجر الجرجير؛ لأن الكافر يقول﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ:٤٠] والنبات إنما هو من التراب، والتراب أصل الأجسام، والأرواح من الجسم والجسم من تكاتف الروح فسبحان من ﴿مَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس:٣١] بل يخرج الأول من الآخر، والآخر من الأول، والظاهر من الباطن والباطن من الظاهر،﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] نكاح الأسماء الإلهية فتتولد الصور الكونية. فافهم ذلك وعلى الله قصد السبيل والله الموفق.

وارد

صور الوجود مظاهر الإنسان، دليله ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨] فاسم الإنسان منطبق على صور الأكوان، وهي حقيقة دورية، دليله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ أي:

---

(٨٧)

(٨٨)

بفناء آدم الأول (فَأَحۡيَٰكُمۡ) بظهور آدم الثاني (ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ) كذلك (ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ) كذلك (ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [البقرة:٢٨] أي: باستدارة الدائرة، فتمتد من الاسم الأول إلى أن ترجع إلى الأول، وتمتد من الاسم الآخر إلى أن ترجع إلى الآخر، وتمتد من الاسم الظاهر إلى أن ترجع إلى الظاهر، وتمتد من الاسم الباطن إلى أن ترجع إلى الباطن، هذا امتداد ورجوع اسمي، وهو مشهد من يشرب من كأس الصورة(كَانَ مِزَاجُهَا)[الإنسان:٥] المتجلي فيها كافور الذات، وأما شراب الدور الذاتي، فهو عين الكافور التي كفرت، أي:سترت بحقيقة ذاتها كل شيء يشرب(بِهَا) منها(عِبَادُ ٱللَّهِ) [الإنسان:٦] الإضافة بيانية؛ أي: عبادهم الله يعني هم مدلول هذا الاسم، وهم المتحققون بحقيقة السراج المنير الذي حجابه النور الوجودي؛ أي: الظهور، فالوجود حجابه، وما ظهر ذلك الحجاب إلا به؛ لأن اسم الحق ما أنار إلا به، واسم الخلق كذلك، فهو من وراء التجليات الصورية، بل من وراء المعاني الأسمائية كما قال: (وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ) [البروج:٢٠] فهؤلاء العباد يفجِّرون تلك العين منهم تفجيرًا؛ أي: يظهرون بتلك العين الذاتية في كل شيء، فإنها الحقيقة الإنسانية المحمدية التي قيل عنها: (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار: ٨] فتُسمى أيها الإنسان بأسماء جميع الأكوان، وأنت من وراء ذلك محيط؛ أي: أنت المتجلي بكل تجلي، كما قال الإمام الرباني: والذي نحن بصدده أمر وراء التجلي، فالإنسان فلك دائر، وسراج منير نائر.

ألا ترى قوله تعالى: (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ) [الحجرات:٧] وقال: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ) [الأنفال:٣٣] أي: منيرهم بسراجك؛ أي: بذاتك وأنت نورهم بأسمائك وصفاتك، وإنما قلنا بأن الوجود هو الإنسان لقوله تعالى: (وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُم) [الأعراف:١١] أي: بظهور آدم الأول من حقيقة الاسم الأول،(ثُم صَوَّرۡنَٰكُمۡ)بصور نبيه إلى دورانكم لنقطة الاسم الآخر بظهور آدم الدور الثاني (ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ) [الأعراف:١١] الاسم الآخر، كما سجدتم سابقًا لآدم الاسم الأول، وهذا هو التكوير الشمسي المذكور في قوله تعالى: (إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ) [التكوير:١] أي: دورت، ومن أسماء الشمس: السراج، لذلك وصف الله الحقيقة المحمدية بالسراج المنير، فهو الشمس التي تجري لمستقر لها باعتبار الدور الاسمي، ولا مستقر لها باعتبار الدور الذاتي (ۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ) [ق:١٥] فلا يعرفون آدم الجديد، ولا الدنيا الجديدة، ولا البرزخ الجديد، ولا الجنة الجديدة، ولا النار الجديدة، وهذا الدور الذاتي دور

الهوية الذاتية، قال تعالى: (هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ)[الحشر:٢٢] فختم بما به بدأ (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ) دور الوجود الذاتي الذي هوهو، فأفناه عن هو وبقي هوهو (لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا) [الإنسان:١] بل «**كان الله ولا شيء معه**»[٨٩] أي: ما كان إلا النقطة الإنسانية، ولا شيء معها؛ لأن الله لا يُقال في حقه: إنه شيءٌ مذكورٌ، إذ ما ثم غيره حتى يذكره، نعم أتى عليه حين من الدهر بفناء الصورة الاسمية، بدوران الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية فتكون (هَلْ) بمعنى قد، وهذه حالة المحو، وحالة الإثبات أن تكون (هَلْ) بمعنى ما، فالإنسان منفي بالفناء ثابت بالبقاء، ولذا هو من نطفة الذات أمشاج الأسماء والصفات، وبتلك الأمشاج كان سميعًا بصيرًا، فكان سميعًا بالصورة الترابية للاسم المُحي الروحي الذي هو صورة الاسم الخالق، وهو مجلي من مجالي حقيقته الباطنة، فسمع خطاب الاسم الباطن بقوله: كن فكان، فكان بصيرًا لظاهره المأمور الذي هو عين الآمر وهو باطنه، فالسراج المنير ما عمل إلا على شاكلته، فما بدأ من حقيقة (هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ ۖ) [الحشر: ٢٢] أي: لا موجود (إِلَّا هُوَ) [الحشر: ٢٢] فهو الموجد باطنًا، والموجد ظاهرًا والأول أخرًا، والآخر أولاً (ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) [الملك:٤] للأول الباطن كره، والآخر (يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا) فانيًا بلا وجود؛ لأن الاسم يندرج بالمسمى، ومع ذلك المحو الذاتي وَهُوَ(حَسِيرٌ) [الملك:٤] من حسر عن ذراعه إذا كشفه؛ أي: هو مكشوف ثابت حكمًا وإن بطن خاسئًا بالذات؛ لأن بطون الذات عين ظهور الأسماء والصفات، فإذا انقلب البصر إليك، فالكل دائر عليك (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ) [الفرقان:١] الفرقان: صور الوجود (عَلَىٰ عَبْدِهِۦ)[الفرقان:] أي حقيقة ذاته الجامع لأسمائه وصفاته فهو مرآة كماله وبرزخ جلاله وجماله(مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ) حقًا وخلقًا قاب القوسين تنزيهًا وتشبيهًا، سراج الصورة والمعنى نقطة(دَنَا)من بطونه (فَتَدَلَّىٰ) لظهوره (أَوْ أَدْنَىٰ)أي: نقطة الغيب، بلا أولية ولا آخرية، ولا ظاهرية ولا باطنية، (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا) [الفتح:٢٨] لحقيقة نفسه حيث شهد أنه لا إله إلا هو محمد خبر لمبتدأ محذوف

---

(٨٩)

أي: هو محمد؛ يعني: أن الله هو الشهيد باطنًا أولًا، محمد رسول الله أخرًا ظاهرًا، فهذا معنى تنزيل الفرقان عليه صلى الله به منه، وسلم فيه عليه، والحمد لله رب العالمين.

وارد قال الله تعالى:(وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ) [التوبة: ٦].

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أنه لم يكن بين الله تعالى وبين محمد ﷺ تثنية البتة، بل الأمر واحد، وذلك أن الحقيقة الإلهية باطن الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية ظاهر الحقيقة الإلهية، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ «**أنا من الله والعالم مني**»[٩٠] فالله تعالى واحد الذي منه محمد ﷺ فهو أوله وباطنه؛ إذ لا أصل للحقيقة المحمدية النورانية إلا الواحد تعالى وتقدس، وقد تجلى الواحد باسمه المحب فأحب نفس أن يعرف لنفسه، فأفاض من ذاته مرآة واحدية، فكانت المرآة حقيقة محمد ﷺ ، فرأى نفسه بتلك المرآة المحمدية، ففي الرتبة الأولى التي هي الكنز المخفي كان الواحد أولاً باطنا، ولما ظهرت له حقيقة نفس في مرآة محمد ﷺ ، التي هي من فيض ذاته صار الواحد آخرا ظاهرًا، والواحد أولاً هو الواحد آخرًا؛ لأنه لم يظهر في تلك المرآة إلا نفسه، كما أنك إذا ضربت الواحد في الواحد لم يخرج إلا واحد بعينه، ولهذا السر قال تعالى في محمد ﷺ: (**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ**) [**الفتح: ١٠**]، وقال تعالى:(**لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ**)**وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ**أي: تعظموا الرسول،(**وَتُوَقِّرُوه**)أي: الرسول ()**وَتُسَبِّحُوه** أي: تسبحوا الرسول (**بُكۡرَةً وَأَصِيلا**)، وشاهد هذا التوحيد أيضًا قوله تعالى: (**وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ**) [التوبة:٦٢] ولو كان بينهما تثنية لقيل: أحق أن يرضوهما وقال تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ**) [الأنفال: ٢٤] ولم يقل دَعوَاكم بالتثنية، فصحَّ قوله ﷺ : «**ومن رآني فقد رأى الحق**»[٩١] فإن قلت: إنه قال: «**لا تقولوا سيدًا إنما السيد الله**»[٩٢] فلم يرض إلا باسم العبد قلت: إنما النهي عن إطلاق اسم السيد على غير الله، ولا غير.

ألا ترى قوله: « **أنا سيد الناس**»[٩٣] وكيف لا، وقد قال الله تعالى: (**مَّن يُطِعِ**

---

(٩٠)

(٩١)

(٩٢)

(٩٣)

ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ) **[النساء: ٨٠]**، ولما بايعوه على الأنفس والأموال نزل قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ) **[التوبة: ١١١]** فهذا الشراء ليس شراء غائب من حاضر، بل هو شراء حاضر من حاضر .

ومما قرَّرناه تدرك معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) [الأحزاب:٥٦] فالمعنى أن النبي قبلة لرؤية الله نفسه فيه؛ لأنه ما رأى واحديته إلا في مظهر محمد ﷺ الذي هو مرآة ظهور واحديته، فما رأى في محمد ﷺ سواه، وكذا الملائكة؛ لأنه أصلهم وهم جميعًا فرعه، فهو حقيقتهم لا السراج المنير لهم، وهذا معنى ما ورد أن الملائكة خُلقوا من النور، ولا نور في الوجود إلا محمد ﷺ فهو نور السموات والأرض أي: حقيقة وجودهما، ثم أن الله تعالى نبَّهنا أن نصلي عليه فنقول: « اللهم صلي على محمد» ونداب على ذلك ليحصل لنا هذا الكشف،ويفتح لنا هذا السر فنرى نفوسنا هو ﷺ كما قال: (ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ) [الأحزاب:٦] أي: ليس للمؤمنين أنفس، بل أنفسهم هو ﷺ ، ثم قال (وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ) [الأحزاب:٦] والأزواج بلسان الإشارة جميع أسماء الله التي يظهر ﷺ بمعانيها من الحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر، والإرادة والكلام، في قراءة (وهو أبوهم) أي: الذات المطلقة، ومن الذات والأسماء توَّلد العالم الصوري، فافهم.

وقال تعالى:(ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ) [الأحزاب: ٥] وهو أبونا عمومًا على الإطلاق، لا على الخصوص، ولهذا سلب الله عنه الأبوة المقيدة فقال: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب:٤٠].

إذا فهمت ذلك فهمت قوله تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ) [الأنفال:٣٣] وقوله تعالى : (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ) [الحجرات:٧].

فصلاتنا عليه أن نترك وجودنا إليه ونسلم الأمر إليه تسليمًا فلا نرى في جميع الوجود إلا محمدًا ﷺ ، وهذا مشهد صديقي، لذلك قال لابنته أم المؤمنين «عائشة» في شأن براءتها: « **قومي فاشكري رسول الله** »؛ لأنه أدرك معنى الصلاة والسلام عليه، ولم يكن هذا التحقق في ذلك الحال لبنته، فقالت: «**لا أشكر إلا الله**»، فإذا علمنا أننا هو عادت صلاة الله وملائكته، بل وصلاتنا عليه وتسليمنا عليه علينا، فعند ذلك ندرك ما أخبرنا الله به من قوله: (هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ) أي: ظلمات الشرك

الخفي (إِلَى ٱلنُّورِ) [الأحزاب:٤٣] وهو محمد ﷺ ، فقد علمت أن معنى الصلاة والسلام على محمد ﷺ الوصلة التامة به والتحقق الذاتي من الله، ومن الملائكة ومنَّا حتى نراه فرد الوجود وعين الشاهد والمشهود .

إذا تقرر ذلك، وعلمت سر الواحدية التي أشرنا إليها أدركت سر قول الله (فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ) [التوبة:٦]، ولم يقل في حقه كما قال في حق موسى (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) [النساء:١٦٤] إذ ليس بين الله ومحمد مكلم وكليم.

ألا ترى قوله تعالى في حق القرآن العظيم: (إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ) [الحاقة:٤٠] فاثبت أن القرآن قوله، كما أن المنزل حقيقة ذاته وعينه، وذلك ثمرة قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ) [القلم:٤]، ولهذا الخلق العظيم أمر أن يجير المشرك من باب صلة الرحم؛ لأن المشرك مظهر حقيقته فهو فرعه، وما أشرك إلا بالتوجه لصورة خاصة مقيدة، وتلك الصورة هي مظهر حقيقته، لكن المشرك بسبب جهله وحجابه عن تلك الحقيقة الواسعة لجميع المظاهر سُمي مشركا؛ لأنه تقرَّب بالمقيد المحصور إلى المطلق الذي لا يُحصر، وفي الحقيقة لا غير فأمر بإجارته والرفق به ليسمع منه كلام الله، ولم يقل تعالى: فأسمعه لعله يتذكر أو يخشى، بل قال: (فَأَجِرۡه) إشارة إلى أنه المطلق المتصرف كيف يشاء.

ألا ترى ما وقع لابنه عمه أم هانئ أخت سيدنا عليّ بن أبي طالب ـ سلام الله عليه ـ لما دخل بيتها المشرك يوم فتح مكة، واستجار بها فجاء أخوها أبو تراب ـ سلام الله عليه ـ وهمَّ بقتله، فشكت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[٩٤] فكما أنه ﷺ هو المالك فهو المملك أيضًا.

ألا ترى قوله «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[٩٥] فهو كعبة الكعبة؛ لأن الكعبة من دخلها فهو آمن، وليس له أن يؤامن غيره.

فافهم ما أشرنا إليه ـ رحمك الله ـ وحيث في الدنيا كذلك، ففي الآخرة أعظم؛ لأنها أبلغ في ظهور سيادته المطلقة بلا استتار

فإن قلت: قد قال الله تعالى: (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ)[المؤمنون:٨٨] فإن عيسى عليه السلام وكَّل الأمر إلى الله، فقال: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ) إلا به [المائدة:١١٨] والخليل

---

(٩٤)

(٩٥)

قال: (وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) [إبراهيم:٣٦] وموسى قال:(قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ) [المائدة:٢٥]، ونوح قال: رَبِّ(إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي) فقال: [هود:٤٥] فقال: (إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ) [هود:٤٦] فكيف أجاب محمد ﷺ وعليهم جميعاً وقرر إجارة أم هانئ، قلت: إن سيدنا محمد ﷺ هو السيد على الإطلاق والسيد لا يكون إلا متصرفًا على الإطلاق دون التقييد،

ألا ترى ما حكاه الله عنه في قوله: (وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ) [الزخرف:٨٨]، ثم قال:(فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ)[الزخرف: ٨٩]، فاللائق أن يكون الخطاب من الله إليه لأنه لا يقول لربه:(وَقُلۡ سَلَٰمٞ) فمن قوله تعالى:(فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ) أفادنا أنه جعله هو صاحب الحق حتى طلب منه الصفح فإن قلت: ما الدليل الشافي من القرآن أنه عين صاحب الحق قلت: هو قوله تعالى: (قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُور ٱلرَّحِيمُ) [الزمر:٥٣]، ولم يقل: يا عباد الله، فهو ﷺ ذاتي لا صفاتي، وحينئذ هو المجير على الإطلاق ، بل إنه يملك هذا المقام لمن أحب.

ألا ترى قوله لأخيه أبي تراب ـ كرم الله وجهه : «**أنت قسيم الجنة والنار**»[٩٦]، وأعجب من هذه العجائب كلها قول الله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ) [الجاثية:١٤] أي: من أمتك بالتحقق بمقامك .

فمن هذا المعنى ما جرى للغوث الجيلي رضي الله عنه حيث قال: رأيت امرأة كانت أرضعتني وقد أسود وجهها من العذاب فألبست لها النار صورة الجنة، ومن نوَّر الله بصيرته وشَرح الله صدره في فهم قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:١٧] وفي قوله: (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ) [الأعراف:١٩٩] علم أنه صاحب العطاء المطلق لكل سائل، قال تعالى: (وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ) [الضحى:١٠]، فافهم إن كنت من أهل الفهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

نكتة لطيفة وحكمة شريفة:

---

(٩٦)

أمر الله محمدًا ﷺ بقوله: (وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ) [التوبة:٦] فقوله: (فَأَجِرۡهُ)أي: من الشرك؛ لأن(ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) [لقمان:١٣]، فيحتمل أنه ظلم للشريك، حيث جعله غير الحق، ولا غير، فالمشرك ظلم مرتبة الوجود المطلق؛ لأن مرتبة التوحيد وزعم الغيرية محال، ويحتمل أن الشرك ظلم عظيم من المشرك لنفسه حيث أنزلها منزلة الجهل، فزعم أنه يعبد غير الله ليقربه إلى الله زلفى، والحال أنه ما عبد إلا الله؛ لأن الله هو الظاهر في كل شيء، فكَّفره أي: ستره وهو الوجود المطلق بالحكم العدمي الذي هو الشرك، وذلك محال، فلذلك السر قال الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ)[النساء:٤٨] والمغفرة: هي الستر، والشرك عدم محص لا وجود له حتى يستره الله بل هو تخيل وهمي لا وجود له إلا في نفس المشرك لا في الخارج؛ لأن الله قضى ألا يُعبد إلا إياه، ففي الحقيقة لا شرك في الوجود حتى يغفر؛ أي: حتى يستر؛ لأن الستر لا يكون إلا لأمر وجودي، والذي هو من أصله عدم كيف يستر؟!

فالأمر الإلهي بقوله:(فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ) [التوبة:٦] يقتضي أن المصطفى ﷺ ُأمر بالتوجه إلى المشركين المحجوبين حتى يجيرهم من شركهم، فيسمعون كلام من جميع مظاهر الله، وإذا كان أبو العباس المرسي ﷺ يأتيه الأعرابي يبول على ساقية فيوصله بالتوجه والهمة الجاذبة إلى الله،

فلا عجب أن السيد المطلق يُوصل من استجار به إلى الله، ويسمعه كلام الله، ولهذه النكتة قال تعالى: (ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ) [التوبة:٦] ولا مأمن له إلا حضرة السلام، وهو معرفة نفسه بأنه سالم من وجود السوى.

فلذا قال: (فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ) [الزخرف:٨٩]، أي: أوصلهم إلى الحضرة السلامية، فكان يقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام**»(٩٧) ومن أراد أن يحقق ما قلناه فليتبصر بقوله ﷺ: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»(٩٨) فليت شعري هل يُجاب دعاؤه أو لا؟ نعم والله يجُاب دعاؤه (وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ) [الشعراء:٢٢٧]، والمراد بالظلم هنا: الشرك لقوله تعالى: (إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) **[لقمان:١٣]** فإذا أقرَّ الله عين المصطفى ﷺ بإجابة دعائه لهم بالهداية، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة يعلمون أي منقلب ينقلبون، وما ينقلبون إلا إلى الوجود الإلهي المطلق السالم من السوى وهو المآل من الذيُ أمر ﷺ بالإبلاغ إليه، فهوﷺ مظهر هداية الله على الإطلاق ومدلول اسم الله الهادي.

---

(٩٧)

(٩٨)

ألا ترى أنه لما قيل له: (خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة:١٣] قبل من أهل الكتاب الجزية والخراج وأدخلهم كعبة أمانه المطلق، وحول شقاء من قال:(وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ) [الجاثية:٢٤] إلى السعادة بقوله: «**لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر**»[99] وذلك تقرير لسعادتهم حين ولوج الجمل في سَم الخياط (فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنّٞ) [الرحمن:٣٩] (تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) [الرحمن:٧٨]

المواهب السنية في العقيدة البهائية

بسم الله الرحمن الرحيم

يجب عليك يا ولدي أن تعتقد أن الله تعالى واحد أحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وأحكامه وأفعاله، وأن له كل أوليه وكل آخرية وكل ظاهرية وكل باطنية، قال تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ) [الحديد:٣] أي: لا أول إلا هو، ولا آخر إلا هو، ولا ظاهر إلا هو، ولا باطن إلا هو، وإن وجهه تعالى متجلي في مرايا الأعيان الثابتة الإمكانية التي هي صور أسمائه العليّة، فأسماؤه تظهر لبعضها وتبطن عن بعض، وكذا الأولية والآخرية إنما هي بالنسبة لأسمائه تعالى، والذات واحدة لا تعدد فيها، والأحكام المختلفة إنما هي بالنسبة لأسمائه تعالى، وهي أحكام معقولة ولا موجود في الحس والخارج إلا وجه الله الإحدى، كما قال تعالى: (وَلَا كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص:٨٨]، فلا نولي إلا إلى وجهه الأحدي، كما قال تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة:١١٥] ووجهه ذاته بدون تعدد ولا مزج ولا اتحاد تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وكيف يحل في شيء أو يمتزج وليس معه شيء، أو كيف يتحد بشيء وليس معه شيء، وكل ما يظهر بحسب الوهم والتخيل لا وجود له، وإنما هذه الصور الظاهرة في الوجود أحكام معقولة لذاته تعالى بدون أن يزيد شيء على ذاته تعالى، وجميع ما يتخيل أنه موجود مع الله إنما هو نسب انطبعت في مرآة وجوده النوري، فظهرت به ظهور الحروف المتشكلة في حقيقة المِداد، وليس الظاهر في الحقيقة سوى المداد ما ثم زائد عليه.

كذلك نقول: ما في الوجود إلا الله؛ لأن كل شيء هالك؛ أي: عدم إلا وجهه، ولأن الله قال عن نفسه: إنه هو الظاهر، فليس في الوجود إلا ذاته وصور أسمائه الظاهرة عينه، فمن كان مع الصورة غاب عن الحقيقة، ومن كان مع الحقيقة غاب عن الصورة، والحقيقة منزهة عن كل صورة وعن كل وصف، مع قبولها لجميع الصور والأوصاف، قال سيدي

---

(99)

عبد الغني النابلسي قُدس سره:

يـــــا مســـــمى بالأســـــامي كلهـــــا وهـــــو المنـــــزه

واعلم أن كل ما أثبته الشرع المطهر ثابت قطعًا وأن مرجع الأحكام المشروعة لتنوع الأسماء الإلهية واختلافها، والأسماء على اختلافها عين الوجود الإلهي فالشريعة المطهرة عين الحقيقة ومن زعم خلاف ذلك فهو زنديق ضال إباحي ألعن من الدجال قال ﷺ: «**غير الرجال أخوفني عليكم**» فلابد من شهود الجمع والتقيد بالفرق كما أتي به الشرع، فهذا

مشرب القوم، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه:٤٧] ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النور:٤٦]، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على منْ أرسِل رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

وارد:

سئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أنَّى أراه**»[١٠٠] فليت شعري لماذا نفى الرؤية عن نفسه وأثبتها لأمته لما قالوا له: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر**»[١٠١] ولم يشرك نفسه معهم بأن يقول: نرى ربنا، ولكن قال: «**ترون ربكم**» وميَّز نفسه عنهم بقوله: «**نور أنى أراه**»[١٠٢] والحكمة في ذلك أن رؤيتهم لربهم بسبب التجلي وهو ﷺ من وراء التجلي، كما قال الإمام الرباني والذي نحن بصدده أمر وراء التجلي: بيان ذلك أن الله تعالى قال: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ [النبأ:٤٠].

فللمرء يدان: يد حقَّيه يعود بها عليه ما انطوى عليه من جهة حقيَّته من أسماء التنزيه، وله يد خلقيَّه يعود بها عليه ما انطوى عليه من صور التشبيه الناشئة من أعماله وأقواله، وأخلاقه وأحواله وخواطره، فإنَّ ذلك كله صور ينظرها يوم القيامة، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[١٠٣] [البقرة:٢٨٤] أي: من الأعمال والأخلاق

([١٠٠])

([١٠١])

([١٠٢])

([١٠٣])وقد قال جعفر: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ الإسلام، ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ قال: الإيمان.

وقال الواسطي: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ من إرادة الكونين والمكنون، ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: بإرادتكم فيغفر لمَنْ يشاء لمن أراد الجنة ونعيمها،ويعذب من يشاء من أثر الدنيا على الآخرة.

والأقوال، وكل ما له ظهور من حقيقة الاسم الظاهر(أَوۡ تُخۡفُوهُ) أي: من الخواطر والنيات والظنون والعقائد التي تعتقدونها في ربكم (يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ) [البقرة:٢٨٤] أي: يشهدكم إياه صورًا حقيَّة أو خلقيَّة، تنزيهية أو تشبيهية.

فما كان فيه حضور مع الله وتَقرُب إليه، فهو صور نورانية حقّية جسمها هو الصور الجنانية من منظور أو مطعوم أو مشروب أو ملبوس، وما لم يكن لله فيه نصيب، فهو الصور الجهنمية الجلالية، سواء كان أيضًا حقًا أو خلقًا، حتى الصورة التي يقول بها لأهل النار: (قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون:١٨]، حتى صور زبانية جهنم وأغلالها وسلالها، وكلابها، وعقاربها، وحيَّاتها، وأحجارها، وأشجارها، ولهبها.

فالجمال لليمين، وهو كتاب اليمين يؤتاه بيمينه، والجلال للشمال يؤتاه بشماله، وبالنسبة إلى الله تعالى كلتا يديه يمين مباركة، ولكن آدم وذريته في يمين الحق، فافهم.

وأما الذي يؤتى كتابه من وراء ظهره فهو الذي ينكر الألوهية كمن (ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ)[الفرقان:٤٣] وقال: (وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ) [الجاثية:٢٤]، فما زاد شيء على ذاته؛ لأنه لمَّا اتخذ إلهه هواه لم يثبت معبودًا سواه، وفي مثل هذا قال تعالى:(وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ) [محمد:١١]، فكان الله باطنًا عنه في هواه، كما قال:(وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ) [البروج:٢٠]، فلا يصل إليه إلا من وراء الظهور حتى تستدير دائرة وجوده إلى الاسم الباطن من حكم قوله تعالى: (لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ) [الروم:٤]، فرُبَ من يرى ربه كما يرى القمر ليلة البدر هو منه؛ لقوله تعالى:(وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩].

وأما محمد الذي هو الإنسان الكامل ﷺ فهو من وراء السعي، فمقامه أن يُسعى إليه لا أنه يسعى، والأمر يدور منه وعليه، فلذا قال في الرب: إنه «**نور**» أي: نور الوجود لكل مرئي، فهو نور مُتوَلد من ظن عبده به وعقيدته فيه، قال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ) [الإنسان:١٩] فما طاف عليك إلا ما تولد منك.

وأما هو ﷺ فهو العين التي (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ) [الإنسان:٦] لأنه السراج المنير الذي تولد منه الوجود على الإطلاق؛ لأنه حقيقة كل والد ومولود وشاهد ومشهود، فالنور منه فأنى يراه؛ أي:لا يرى معه غيره حتى يكون اثنان: رائي ومرئي؛ لأن مقامه الأحدية العظمى التي هي من ورائهم محيطة بهم، فما اشترك معهم بقوله: «**ترون ربكم**» [١٠٤] فكيف وهو فرد الوجود على الإطلاق؟! فهو السراج المنير فيهم وفي مشاهدهم جميعًا، فهو الوجود، والوجود هو النور، والنور ظاهره كما أن المنير باطنه، والدنيا مظهر أوليته، والأخرى مظهر آخريته والظاهر والباطن يتبع الأول والآخر، وهويته جميع ذلك.

فلذا قال: «**نور أنى أراه**» [١٠٥] يعني: إن غيري يراه إياي، وأما أنا لا أراه بل أرى عيني وذاتي، بل أنا من وراء الرؤية، ولذا قيل:

يُحـــرق بالنـــار مــن يمــس بهــا ومــن هــو النـــار كيــف يحتــرق

فعلمنا أنه ﷺ هو كتاب الله، لا الكتاب الذي قال فيه: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا)[الجاثية:٢٨]؛ لأن كتاب الله ما فُرط فيه من شيء(كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ) [الإسراء:٨٤].

فمن هنا قال باب مدينة العلم ـ كرم الله وجهه ـ لما وضعوا له المصحف على أسنان الرماح: قاتلوا يا قوم هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق؛ أي: هذا مدلوله هو أنا؛ إذ لولا حقيقتي الإنسانية لم يكن، فما كان إلا بي فأنا أوجده بنطقي، ومن هنا تعلم كذب من قال: إن القرآن أفضل من محمد ﷺ، وكيف ذلك وهو قول محمد ﷺ؟ فصورة محمد هي اسم الله الأعظم في حقيقة الأمر.

ألا ترى أن القرآن جاء بالمبايعة بإطلاق الاسم الأعظم عليه فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] ولولاه ما عرفنا ذلك، ولا عرفنا الله ولا عرفنا القرآن.

أما قوله تعالى: (إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) [الحاقة:٤٠] فكيف يكون قوله أفضل منه وهو المظهر له؟ فقوله مظهر له، ولا ظاهر إلا هو ﷺ.

ولا تظن أننا نتكلم على محمد ﷺ من جهة تقييده بصورة خاصة بل من جهة ما أخبر به أنه «**أوتي جوامع الكلم**»[١٠٦]، فهو معنى جميع الكلم من (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [الفاتحة:١]، إلى ما لا يتناهى، ولله در من قال:

---

(١٠٤)

(١٠٥)

(١٠٦)

يقولــون ليلــى بــأرض نجــد   كـــل نجـــد للعامريـــة دار

فإن قلت: إن أحدية الرب لا تتعدد فرَبُّ محمد ﷺ وربٌّ من سيراه يوم القيامة كالقمر ليلة البدر واحد، فلا يتعدد الرب، والله تعالى قال عن نفسه: (**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**) [النور:٣٥]، وهذا النور هو الذي يتجلى كالقمر ليلة البدر، ويراه الناس في الآخرة، فلماذا نفى ﷺ الرؤية عن نفسه وقال: «**نور أني أراه**»[١٠٧]؟ وما معنى أنه السراج المنير، والله أخبر عن نفسه أنه نور، وأخبرﷺ أن حجابه النور، فما هو النور الحاجب؟ وما هو النور المحجوب؟ وما هو السراج المنير؟ وليس إلا الفرد الأحد.

أقول وبالله المتسعان: إن كل اسم إلهي من جميع الأسماء الإلهية يدل على معنيين:

الأول: معناه الذي يمتاز به عن سائر الأسماء الإلهية كالربوبية، والنورية، والرحمانية.

والمعنى الثاني: هو ذات الله تعالى، ففي الحضرة الاسمية كل اسم غير الآخر، كالمعطي غير المانع، والضار غير النافع، وفي الحضرة الذاتية كل اسم هو جميع الأسماء الإلهية، فلكل اسم جمع قرآني: وهو الذات، ومعنى فرقاني: وهو الذي يتميز به عن سائر الأسماء والصفات .

فالسراج المنير ﷺ هو النور الذاتي الذي يوقد من شجرته الذاتية المباركة جميع مصابيح الأسماء الإلهية، والنور الذاتي يندرج فيه كل شاهد ومشهود ورائي ومرئي، فأنَّى يُرى، وما ثم معه من يراه، فهو السراج المنير، بمعنى أنه النور الباطن الأول، الذاتي العمائي الأحدي الذي لا يتقيد باسم خاص ولا بنعت خاص، ولذا قال فيه: «**نور أنَّى أراه**»[١٠٨] مطابقة لقوله تعالى: (**لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ**) [الأنعام:١٠٣]؛ لأن الأبصار تندرج وتُمحى وتفنى فيه، فكيف تدركه وهو يمحوها ولا يبقيها معه ؟! وذلك سر قوله لموسى عليه السلام : (**لَن تَرَىٰنِي**) [الأعراف:١٤٣] ؛لأن موسى عليه السلام ما طلب إلا رؤية الذات، فهو وإن ذكر الاسم الرب فقال: (**رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ**) [الأعراف:١٤٣] فقد أراد المعنى الذاتي لا الاسمي الذي هو الربوبية، وبواقعة موسى عليه السلام استدلَّ المعتزلة على أن الله لا يُرى، ووافقهم على هذا المعنى أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها فقالت: «**من قال بأن محمدًا ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية**»[١٠٩]، ومن المعلوم أن محمد ﷺ يشارك أهل القيامة فيما يرونه من تجلي الحق بالنور الاسمي، وهو النور الحاجب بظهوره عن النور الذاتي الباطن المحجوب، ولكن غيره يقيده بالظاهر عن الباطن، والأول عن الآخر، فتحكم عليه الأسماء، وأما هو ﷺ فإنه ولو رأى الأمر برز إلى الشهادة، فإنه يراه غيبًا حال كونه شهادة كما قيل:

ومــا احتجبــت إلا برفــع حجابهــا   ومــن عجــب أن الظهــور تســتر

---

(١٠٧)

(١٠٨)

(١٠٩)

والذي برز من العلم إلى العين وإن رآه عينًا، فهو عنده لم يخرج عن العلم، وكذلك الشهادة لم تخرج عن الغيب، وهذا معنى ما قاله الإمام الرباني ﵁ حيث قال: الناس فرحون بالرؤية الموعودة في الآخرة، وكل همي وابتلائي ألّا يخرج الأمر من الغيب إلى الشهادة، ومن العلم إلى العين.

فكأنه يقول لتلامذته: كل همي أن تشهدوا أن الأمر - وإن برز إلى الشهادة - فهو غيب لا تدركه الأبصار، وكذلك لو برز إلى العين فما برز، بل هو باقي على بطونه في العلم الإلهي.

فكأنه ﷺ لما قال: «**نور أنى أراه**»[110] يعني لا أراه وإن كنت أراه، وكل مجلى هو في خزائن العلم الغيبي وإن ظهر في الوجود العيني، وهذا أعظم ما يكون في التحقيق؛ لأن مقام الإيمان بالغيب أعلى من مقام العيان، وإن لم يكن المؤمن محجوبًا عن العيان، ولكن كل ظاهر من جهة الكنه الذاتي هو باطن وإن ظهر، وهذا الإيمان هو المنسوب إلى الله من اسمه(المؤمن)؛ لأن الله تعالى وإن علم ذاته فلا تتسلط إحاطة اسمه المحيط على ذاته؛ لأن ظهوراتها وتجلياتها لا تتناهى، وذلك معنى قولهم: إنه تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها؛ لأنها لا تنضبط لا للعلم ولا للإحاطة، فلهذا السبب قال: «**نور أني أراه**»[111] يريد الذات المطلقة عن سائر القيود لا الأسماء والصفات، والذات من وراء التجليات والظهورات، وإن لم يظهر في الوجود سواها فظهورها عين البطون، فما لأهل المشاهد من العلم بها إلا العلم بالمظاهر والشؤون.

فالرسول لا يزول عن رتبة (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن)رَّبِّهِ [البقرة:٢٨٥]

كما أن ربه متجل له بمرتبة (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة:١١٥]، ولكن علمه من وراء التجلي، وهذا السر هو الذي ورثه الأمام الرباني الفاروقي فقال: والذي نحن بصدده أمر وراء التجلي، فهو يرى الشهادة غيبًا والعين علمًا، وكل همه وابتلائه أن يدرك منه تلامذته هذا المعنى، حتى كان يقول: ظهر لي طريق غير طريق البقاء والفناء ولم يوضح هذا المعنى.

لكني لا أراه إلا الإيمان المغني بقوته عن العيان، وهو الإيمان العلوي الذي قال فيه مدينة العلم رضوان الله عليه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا»؛ لأن الكشف يصيب ويخطئ، والإيمان (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ) [فصلت:٤٢]

وأما النور الحاجب والنور المحجوب فهو أنوار الأسماء الإلهية؛ إذ نور الجمال مثلاً حجاب على نور الجلال، وهكذا.

والذات لا حاجب ولا محجوب ولا طالب ولا مطلوب بحر مطلسم بلا ساحل، مع أنها ساحل بلا بحر، ونور بلا ظلمة، وظلمة بلا نور، واسم بلا مسمى، ومسمى بلا اسم.

---

(110)

(111)

فالذاتيون (أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ)وإن كانوا عين الحياة (وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ) [النحل:٢١] وإن كانوا لا يَعزُب عن عِلْمهم مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض،(وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ) [يونس:٦].

(صُمُّۢ)وإن سمعوا كل ناطق (بُكۡمٌ) ولو كانت كلماتهم لا تنفذ(عُمۡيٞ) ولو أبصروا العدم في الوجود والوجود في العدم (فَهُمۡ) [البقرة: ١٨]، مع ذلك (لَا يُبۡصِرُونَ)[يس:٩] (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ) [البقرة:٧] أن يكون مأوى لسواه[١١٢] (وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ) أن يتعلق بمسموع غيره من سائر الأفواه (وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ)من سبحات وجهه المتجلية بمرائي مجلاه (وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ) [البقرة:٧] من حيرتهم في كنه معناه .

مقامهم ألّا مقام، (وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ) [المؤمنون:٦٠]، مع أنهم حقيقة دار السلام، فهم إليه منهم (رَٰجِعُونَ) [المؤمنون:٦٠]، كما قال تعالى:(كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [القصص:٨٨].

ولقد حدا حاديهم الصامت — وأنشد شاديهم الباهت
وعن فنائي فنى فنائي — وفي فنائي وجدت أنت
في محو اسمي ورسم جسمي — سألت عني فقلت أنت
أشار سري إليك حتى — فنى فنائي ودمت أنت
أنت حياتي وسر قلبي — فحيثما كنت كنت أنت

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: (ما وسعني)

جاء في الخبر عن النبي ﷺ عن الله تعالى أنه يقول: «**ما وسعني أرض ولا سماء ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[١١٣].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه قيل لي في هذا الوارد: إنه سبحانه وتعالى ما وسعه شيء في الوجود إلا قلب عبده المؤمن، فهذا القلب الواسع له تعالى الأمر الذي يسعه حينئذ؛ لأن الله

---

(١١٢) وهذا الختم أيضًا يمكن أن يفسر بأنه تعالى ما نظر إليها منذ خلقها، فحرّم عليها أنوار ذكره، ومواصلة إلهامه.

(١١٣)

واسع عليم، ولا أوسع منه جلّ وعلا، ومع ذلك فقد وسعه قلب عبده المؤمن، فما الذي حينئذ يسع قلب المؤمن؟.

والجواب: إن الفلك الإيماني الشرعي المطلق نقطة غيب الذات الواسعة لجميع ظهورات الأسماء والصفات، قال تعالى:(**ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ**) [البقرة:٣]، فهذا الغيب الذي هو الذات عليه يدور أمر الوجود من كل شاهد ومشهود، فهو حامل الأمانة الإلهية حّقًا وخلقًا، تنزيهًا وتشبيهًا، أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وغيبًا وشهادة، ألا وهو اللطيفة الذاتية الإنسانية الغيبة، هي التي لا تدركها الأبصار وهي التي تدرك الأبصار، بمعنى أنها إذا تجلت للأبصار اندرجت بها اندراج أمواج البحر في البحر.

فعلى هذا قلب المؤمن هو الحضرة الذاتية الجامعة للربوبية والعبودية، بل إن هذا القلب مرآته جميع مظاهر أسماء الله بمعانيها التنزيهية والتشبيهية، فهو يسع كل شيء في الوجود ولا يسعه شيء، لأن كل حقيقة وصورة واسم هو المتقلب بها، كما قال تعالى:(**كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ**) [الرحمن:٢٩]، فقلب المؤمن هو غيب الهوية الظاهر بجميع المظاهر، والكل شؤونه وكل شأن مقيَّد باسم من أسماء الله، والهوية المنقلبة بذلك الشأن مطلقة حتى عن لفظ الإطلاق، والمطلق الذي يسع المقيَّد، لا أن المقيَّد يسع المطلق، فالمراد بالوسع: صلاحية هذا القلب الذاتي لحمل أمانة جميع ظهورات الله وتجلياته التي تدور على الحقائق الأربعة: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، وهذا القلب الذاتي هو المعني بقوله ﷺ : «**قلب القرآن يس**»[١١٤] فهو من وراء جميع التجليات والظهورات، وإليه تعود جميع الإشارات والعبارات.

وهو الذي كان يخاطبه ﷺ بقوله: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[١١٥] فجميع هذه الأسماء لا يظهر بمعانيها القدسية وأنوارها الروحية ومظاهرها الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية إلا هذا القلب، فهو المتقلب بجميع ذلك فهو الحقيقة الإنسانية المحمدية المنزل عليها (**ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ**) [الشعراء:٢١٨] (**وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ**) [الشعراء:٢١٩] أي: يراك من حيث المظاهر أنك القائم بها الظاهر؛ لأنك المؤمن بغيبك المطلق الذي قلت فيه من جهة بطونك الأحدي المندرج به جميع الظهورات: (**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ**) [الزمر:٦٧].

إذا فهمت ذلك تحققت بما قاله السيد الغوث الجيلي ـ رضوان الله عليه ـ في معنى (**قُلۡ هُوَ**) من أن فاعل القول هو (**ٱللَّهُ أَحَدٌ**) بيان ذلك أن(**قُل**) فيها ضمير مستتر تقديره

---

(١١٤)

(١١٥)

أنت أي: أنت هو (ٱللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص:١] فمحمد ﷺ هو قلب قرآن الوجود الجامع لكل شاهد ومشهود، ومنه استمدَّ كل شيء فنون الكرم والجود، وإلى هذا المعنى يرجع ما ورد: «**لولاك يا محمد ما خلقت سماءً ولا أرضًا**»[١١٦].

ولما لاحت البوارق القلبية بحقيقة الإيمان الغيبية للبوصيري ﷺ دندن سُكرًا من شراب هذه الخمرة وهام، وقال في حقه عليه الصلاة والسلام:

فـإنَّ مِـنْ جُـودِكَ الـدنيا وضَـرَّتَها وَمِـنْ عُلُومِـكَ عِلـمَ اللَّـوْحِ والقلَـمِ
مُنَـزَّهٌ عَـنْ شَـريكٍ فـي محاسِـنِهِ فَجَـوْهَرُ الحُسْنِ فيـه غيـرُ مُنْقسِـمِ

وهذا القلب المحمدي هو الذي يقول فيه سيدنا الخاتم سلام الله عليه:

قلبــي علــى كــل حــال فــي تقلبــه مـن واحـد العين لا أكثـر ولا عـدد

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال الله تعالى: (ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) [الأحزاب:٦] ،فالمؤمنون هم لا هم بل هم هو؛ لأن الإيمان نقلهم منهم إليه، ففرارهم لا منهم بل إليه فيهم؛ لأنه عينهم التي يشربون بها منها فهم (يُفَجِّرُونَهَا) بهذا الإيمان من أنفسهم (تَفْجِيرًا)، فلولا هذا الإيمان بهذا النص القرآني لم تتفجر منهم الحقيقة المحمدية، فقد استحقوا حينئذ أن يصلي عليهم هو وملائكته كما صلى هو وملائكته على نبيهم؛ لأنه عينهم بمقتضى قوله تعالى:(ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) [الأحزاب:٦]، فلهذا قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [الأنفال:٢٤]، فاستجبنا لله إذ دعانا بقوله:(فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ) [الذاريات:٥٠]، واستجبنا للرسول إذ قال: (إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [الذاريات:٥٠] فلما سَّلمنا إليه نفوسنا تسليمًا، وأجبنا الداعي الذي من كونه مؤمنًا أحبَ لنا ما يحب لنفسه.

أخبرنا بقوله: (هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)[١١٧] [الأحزاب:٤٣]، فعاد الأمر من الله إلى محمد ﷺ ومن محمد ﷺ إلينا، فقلنا أولاً: «**التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله**» ثم عدنا إليهﷺ فقلنا: «**السلام علينا وعلى**

[١١٦]

[١١٧] صلاة الله اختياره العبد في الأزل بمعرفته ومحبته، فإذا خصه بذلك جعل زلاته مغفورة، وجعل خواص ملائكته مستغفرين له؛ لئلا يحتاج إلى الاستغفار بنفسه من اشتغاله بالله وبمحبته، وبتلك الصلاة يخرجهم من ظلمات الطباع إلى نور المشاهدة، وهذا متولد من اصطفائيته الأزلية ورحمته الكافية القدمية.

عباد الله الصالحين» فلما تكاثر الأمر وخفنا أن يلهينا التكاثر عن التوحيد قلنا: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده» أي: مجلي هوية ذاته ورسول جميع أسمائه وصفاته، فلما استجبنا لله ولرسول الله وعرفنا الأحدية المطلقة قال تعالى: **فَسَلِّمُواْ(عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ)** [النور:٦١] فعادت التحيات التي هي لله لنا لما أجبنا الداعي.

ومن هذا المقام قال ﷺ : «**لو كنت بدل يوسف لأجبت الداعي**» [١١٨] لأنه يراه الداعي في كل داعي، وفي الحديث: «**من دعي فليجب**» [١١٩]، وقد دعانا الرسول إليه، وأخبرنا أننا له لا لنا، فكان اسمه منطبقًا علينا فقلنا: «**اللهم صلي على محمد**» لما قال لنا: **(لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ)**[التوبة:١٢٨]، فعدنا إليه منَّا فقال: **(هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ)** [يوسف:٦٥] فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: الحرم الآمن وماء الحقيقة المحمدية الذي هو غير آسن.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال تعالى: **(وَقَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)** [القصص:٥٧]

اعلم ـ رحمك الله ـ أن هذا الحرم الآمن هو الحقيقة المحمدية المشار إليها بقوله تعالى: **(وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ)** [الأنبياء:٣٠] وسماها الحق تعالى بالماء؛ لسريان حياتها في كل شيء، وهذا الماء المحمدي كل شيء منه حتى العناصر الأربعة التي هي: التراب والماء والهواء والنار، بل هو حياة الأسماء الإلهية من كنز البطون بظهور آثارها، فهذا الحرم مكّنه الله من ذات كل شيء، ألا وهو نور الوجود المطلق الساري بمظاهر الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية.

وهذا التمكين لهم؛ أي: لأجل ظهور وجودهم وإلا لكانوا عدمًا، وهذا النور هو حقيقة محمد ﷺ.

ومن أسماء محمد: النور كما في القاموس، ومن أسمائه: الماحي؛ لأنه محا بظهور حقيقته النورانية وجود كل شيء، وأثبت وجوده في أول كل شيء وآخره وظاهره وباطنه، فهو الحرم الآمن من وجود السوى، وهذا الحرم الآمن الذي هو النور المحمدي هو المسمى بـ **(طه)** [طه:١] المنزل عليه القرآن، الذي هو عبارة عن أحدية ذات الله تعالى، وبهذا السبب لا يشقى.

---

(١١٨)

(١١٩)

فالطاء من قوله:**(طه)** [طه:١] إشارة إلى طهارته من شرك السوى، والهاء: إشارة لهدايته التي هي هدى الله، قال الله تعالى:**(قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ)** أي: هدى هذا الاسم الجامع **(هُوَ ٱلْهُدَىٰ)** أي: الوجود المطلق.

وهذا النور المحمدي قد تجلى منه لمعة ظاهرة بين عيني طفيل بن عمرو الدوسي فسُميَ ذا النور، وذلك لما دعا له النبيﷺ بقوله: «**اللهم نور له**»[١٢٠] فسطع هذا النور بين عينيه، فقال: أخاف أن يكون مثله فتحول إلى طرف سوطه، فكان يضيء في الليلة المظلمة.

وهو الذي ظهر في موسى عليه السلام حين رجح من المكالمة، فكان يتبرقع خيفة أن يخطف نوره الأبصار، وقد تجلى في وجه أبي يعزي المغربي؛ لأنه كان موسويًا فكان يتبرقع، حتى أن بعض أصحابه لمَّا نظر اله وجهه خطف النور بصره فعمي، فمسح عينيه بثوب أبي يعزي فعاد بصره.

وأبلغ من ذلك نور وجه سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وهو صاحب اللثامين، حتى أن بعض أصحابه ألح عليه في كشفهما، فقال له سيدي أحمد: إنك تموت؟ فقال: أكشفهما لي، فقال له سيدي أحمد: إنك تموت، فقال: أكشفهما لي ولو مت، فلما كشفها له لم يطق ذلك فمات.

ولعلك تقول: إن محمدًا ﷺ عاد من الإسراء وما تبرقع ولا عُمي أحد ممن رأى وجهه الشريف ولا مات، فنقول: إن محمد ﷺ فطرته ذاتية لم تظهر على ظاهره أنوار الأسماء الإلهية فهو باطن وأن ظهر، كما أنه ظاهر وإن بطن، فله حظ من قوله تعالى: **(لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ)** [الأنعام:١٣]، ففطرته فطرة الله الذاتية، فلا يؤثر فيه حال ولا مقام ولا اسم، فهو المردود لعبودية أسفل سافلين، ولذا كان يقول: «**إنما أنا عبد**»[١٢١] فغلب عليه ترابية جسمه الكريم لكمال مراتب الله فيه.

ألا ترى تنزل الحق لمراتب «**جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني**»[١٢٢] فلسان حاله يقول:

فطرت على هواك فصنت وجدي ... كأني قد فطرت على جفاك

فمشهده الذي كان فيه **(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ)** [النجم:٩]، هو الذي خاطب فيه «عائشة» بقوله: «**ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[١٢٣] وهذا التجلي

---

(١٢٠)

(١٢١)

(١٢٢)

(١٢٣)

العائشي للبصر المحمدي ذوق خاص هوى نجمه بمواقع قلبي، فلا أعلم أحدًا سبقني إليه بالتنبيه عليه، (ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ) [الحديد:٢١].

وأما قوله تعالى في حق الحرم الآمنﷺ: (يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ) [القصص:٥٧]، فهو الذي يعين أن المراد بالحرم الآمن حقيقة محمد ﷺ؛ لأن الحرم الآمن الذي هو «تهامة» شرَّفها الله، لا (يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ) إلا باعتبار محمد ﷺ .

ألا ترى أن الله قال: (لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ * وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ) [البلد:٢]، أي: وإنما قسمي بك لا بالبلد، إذ السر بساكن البلد، ولأجله شرف وطني، فافهم.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن (ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ) [القصص:٥٧] هي معاني الأسماء الإلهية ومظاهرها من صور سائر الوجود، وهذه الثمرات في حقيقة الأمر هي لكل شيء في الوجود؛ إذ كل شيء فيه كل شيء بمقتضى ظهور ذات الله في كل شيء، وكل ذلك يجيء إلى هذا الحرم الآمن ﷺ؛لأنه الحقيقة الجامعة التي قال عنها: «**أوتيت جوامع الكلم**»[١٢٤] فالأولية والآخرية والظاهرية والباطنية تجبى إليه بجميع مظاهرها وأحكامها ووجوهها واعتباراتها، وهو الجابي بنفسه لنفسه ثمرات كل شيء.

فصح أنه مظهر الله بقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ) [البقرة:١١٥]، ولذا قال تعالى: (رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا) [القصص:٥٧] بالضمير الذاتي أي: هذا الرزق رزق ذاتي لذاته التي هي مظهر ذاتنا المطلقة فانطبقت الذات المطلقة الإلهية على الذات المحمدية النورانية، فقال تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠]، فهذا الاسم الأعظم اسمه في المرتبة الحقيِّة، واسمه في المرتبة الخلقيِّة محمدﷺ، ولذا قال تعالى:(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا) [الفتح:٢٨]، فهو اسمه من جهة قوس الدائرة الحقي، ثم قال:(مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ) [الفتح:٢٩]، أي أن الله الشهيد هو محمد رسول الله، فهو اسمه أيضًا من جهة قوس الدائرة الخلقي، وذاته البرزخية القابلة للقوسين هي المعبر عنها بالقاب، والقاب هو الرابط بين قوسي الدائرة، ولذا قال تعالى: (فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ) [النجم:٩] أي: هو أقرب من الربط بين القوسين، بل هو عين القوسين وعين القاب، بل هو النقطة الذاتية التي لا يعبر عنها بعبارة ولا يُشار إليها بإشارة (وَيُحَذِّرُكم ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ)[آل عمران:٢٨] لأنها عين كل شيء ووراء كل شيء، وإلى هذه المحمدية المعبر عنها بالحرم الآمن أشار سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض ﷺ بقوله:

---

(١٢٤)

أبرق بدا من جانب الغور لا مع   أم ارتفعت عن وجه سلمى البراقع

أشار ﷺ باسم سلمى بسلامة هذه الحقيقة من سواها؛ لأنها صاحبة المقام الأسمى والمسماة بجميع الأسماء كما قيل:

عباراتنـــا شـــتي وحسـنك واحــد   وكـــل إلـــى ذاك الجمـــال يشـــير

والغور باطن كل شيء فإذا ارتفعت البراقع التي هي حجب المظاهر بدا من جانب غورها الباطن برق وجه الحقيقة الذي هو الظاهر **(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** [الأنعام:٣٧] إلى أن يُكشف الغطاء، ولو وقفوا مع الإيمان الصرف لعلموا بمجرد الإيمان فأغناهم عن العيان.

ألا ترى ما ورد في الحديث القدسي: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبد المؤمن**»[١٢٥] ولم يقل المكاشف ولا المشاهد ولا العالم بل قال المؤمن، والمؤمن هو الله فليس أعلى من الإيمان قال تعالى: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ)** أي: قلب مؤمن كالقلب العلوي الذي لو كشف الغطاء ما أزداد يقينا **(أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ)** أي: اتبع هذا المؤمن وقلده في قوة إيمانه **(وَهُوَ شَهِيدٌ)** [ق:٣٧] بنور هذا الإيمان الحق الذي هو أقوى في قوة اليقين من العيان؛ لأن صاحب هذا الإيمان معصوم؛ لأنه أخذه من مشكاة النبوة.

وأما غير النبي فهو تابع لا متبوع، وقد قال الإمام مالك ﷺ: «**ما منكم إلا رد أو رد عليه إلا صاحب هذا القبر الشريف**»، ومن هنا قال الأستاذ الفاروقي ﷺ: أغنانا النص عن الفص والفتوحات المدنية عن «الفتوحات المكية»، وهذا مشرب صاحب «الفصوص» و«الفتوحات المكية»؛ لأنه ﷺ صرح بأن اعتماده على إيمانه لا على عيانه، كما أفاده في «الفتوحات المكية». والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: **(ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ)** [محمد:١١]

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه ورد السؤال مني إليَّ ودار الجواب عنه عليّ، ومحصول السؤال ما السر أن **(ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ)**؟ [محمد:١١]

فأقول: إن المؤمن ستر ربوبيته بعبوديته، فبطن حقه وظهر خلقه، فهو يقول عن خلقيَّته: أنا عبد، وعن حقيَّته: هو ربي لا إله إلا هو، واسم هو ضمير الغيب، ومتعلق الغيب هو الإيمان، فلذا كان الله بالنسبة إلى الاسم الآخر الذي الآخرة مظهره**(مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)** [محمد:١١] فآل أمره إلى الرحمن الرحيم؛ لأنه مظهر المؤمن الهادي إلى صور الجمال

---

(١٢٥)

آخرًا كما تلقى مكاره التكليف من العزيز الجبار، وهذه المكاره باطن الجنة أولاً وجلالها، فظهرت آخرًا بصور الجمال الجناني.

وأما الكافر فهو الذي ستر عبوديته بربوبيته فظهر حقه وبطن خلقه، فهو يقول: أنا بحقيَّته كما قال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢] فظهرت فيه عزة الربوبية فقال: أنا، وبطنت فيه ذلة العبودية[١٢٦] فقال في آدم: ﴿وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢]، فعنده أنا لنفسه، وهو للعبد الترابي كآدم، فظهر فيه العزيز الجبار فأبي عن السجود بما بدا فيه من الاستكبار، فكان مظهر العزيز المضل الذي أضلَّه عن عبوديته بما تجلى فيه من ربوبيته، فالرحمن ظاهر في الدنيا؛ لأن عزته أعطته في الدنيا الجمال الظاهر، كما أن عزته وجبره أعطاه في الآخرة الجلال الظاهر، فتظهر في الآخرة عليه ذلة العبودية وتبطن فيه عزة الربوبية، فهو إمام الكافرين كما أن محمدﷺ إمام المؤمنين.

فلهذا السر الدوري يقول: يَٰلَيۡتَنِي﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠] للمعنى الإبليسي الأصلي الذي قال فيه: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢]، ولذلك حين يدور الدور للآخرة تظهر عزة المؤمن في الجنة في الربوبية فيقول للشيء: « كن فيكون» وتبطن عبوديته فتظهر في الكافر الذي يُقال له:﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]؛ لأنه بتلك العزة غوي باتباع جمال الشهوات في الدنيا، فكان مظهرها النار في الآخرة، وظهرت عبودية الكافر في الدنيا على المؤمن فتلقَّى جلال المكارة في الدنيا من معنى الجلال، فكان هو الجمال الذي تشتهيه نفسه باطنًا حتى ظهرت صورته بالنسبة إلى الاسم الآخر في الجنة، فكان له ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزخرف:٧١] فلهذا السر قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠] فلكل فرد من العالم الإنساني نصيب من الأول والآخر والظاهر والباطن، فالظاهر والباطن يتبع الأول والآخر بحسب الدورة، وقد أشار لذلك ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري، وهو قوله ﷺ «**حجبت النار بالشهوات حجبت الجنة**

---

(١٢٦) فقد نظر إلى صفة واحدة ولم ينظر إلى صفة أخرى؛ فاحتجب بالصفة عن الصفة فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، ولو رأى مصدر جميع الصفات لذاب تحت رؤية الكبرياء وأنوار العظمة، ولم يكن بعد فنائه أبدًا؛ لأن مَنْ عرف وصف القدم صار عدمًا في القدم، ولو رأى الملعون من وجه آدم ﷺ ما رأى الملائكة ما قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ كان جاهلاً به والملائكة كانوا عاشقين به، غلط في قياسه ورؤيته إلى نفسه، وأين النار من الطين الذي يقبض قبض ألطاف العزّة ومخلوق يد الصفة الخاصة.

بالمكاره»[١٢٧] فالجمال باطن الجلال أولاً وظاهره أخرًا ، والجلال باطن الجمال أولاً وظاهرة أخرًا، والأمر يدور، فباعتبار هذه الدورة يقول الكافر:(**يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا**) [النبأ:٤٠]

واعلم- رحمك الله -أن مذهبي أن الفلك الترابي هو أصل أفلاك بقية العناصر، وأن الموت هو الأصل في الحياة.

فإن قلت: إن الله تعالى قال:(**وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ**) [الأنبياء:٣٠].

نقول: نعم، الماء هو الحي، ولكنه من الميت الذي هو التراب، ألا ترى أن الله قال:(**يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ**) [الروم:١٩] فقد خرج الحي المتحرك من الميت الساكن، فتتصاعد بخارات الأرض وتتكاثف فتكوِّن غمامًا بسبب برد الهواء، ثم يتلطّف الغمام ويتحلل بسبب حرارة الهواء فينزل ماء، ألا ترى أن ما استحجر من التراب، كالصخر والحجارة منه تنفجر الأنهار، (**مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ**)[البقرة: ٧٤]. فالجسم أصل الأرواح.

ألا ترى أن الله قال: (**وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ**) [البقرة:٢٨] وما أحيانا إلا من الأرض كما قال:(**إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ**) [النجم:٣٢] فنحن من بطون أمهاتنا، وأمهاتنا وآبائنا من الأرض، فالأرض لما كانت ميتة خرج منها الحي الذي هو الإنسان، وما كان الإنسان إنسانًا، إلا بعد النباتية والحيوانية، قال تعالى:(**وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا**) [نوح:١٧] فبعد موتنا الأرضي بُعثنا إلى مرتبة النبات، وفي مرتبة النبات كنا أمواتًا فبُعثنا إلى مرتبة الحيوانية، قال تعالى:(**ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ**) [العلق١،٢] فأول الإنسان - وهو آدم - خُلق بعد الترابية والنباتية من علق، ثم تكوَّن إنسانًا، وقد ورد: أن آدم كان شجرةً بوادي نعمان، فأول الدور هو التراب، ولهذا السبب لما (**يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ**)[النبأ:٤٠] من صور الجمال، التي يأخذها المؤمن فرضًا وردًا بميراث الكافر، ومن صور الجلال التي يأخذها الكافر فرضًا وردًا بميراث الكافر، ومن صور الجلال التي يأخذها الكافر فرضًا وردًا بميراث المؤمن، فيرى الكافر الذي هو مجلى المعنى الشيطاني ما بدأ من التراب من صور الجمال والجلال حين ينظر ما قدمت يداه من ذلك، فيقول:(**يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا**) [النبأ:٤٠] لعلمه أن العزة للتراب على النار،لا كما زعم إبليس فقال:(**أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ**) [الأعراف:١٢]،

---

(١٢٧)

فنظر إلى ظاهر عزته الناشئة من علو النار، ولم يعلم أن العزة كلها من باطن التراب، فلما انكشفت الحقائق واستبان الطريق، وعُلم تجلي رب الأرباب في مجلي التراب كما قال ﷺ : «لو دُليتم بحبل لهبط على الله» لذلك يقول: (يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا) [النبأ:٤٠] .

لطيفة:

المؤمن في الجنة يرث عزة الكافر، فلذلك يشرب من عين الكافور التي هي عبارة عن الربوبية، قال تعالى: (إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) [الإنسان:٥]، وأما عباد الله فشرابهم عين الكافور بلا مزج، فلا تُمزج له عين الذات بكاسات الأسماء والصفات، ولذا قال سهل بن عبد الله قُدِّس سره: إفشاء سر الربوبية كفر، ومن هنا قال الله تعالى: (قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ) [عبس:١٧] لأنه أبطن الربوبية في ذاته، فكفرها أي: سترها فهي تتفجر منه في الآخرة؛ لأنه هو الذي يفجرها كما قال تعالى: (عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا) [الإنسان:٦]

وأما الكافر فطعامه ما ورثه من مكاره المؤمن، وهو شجرة الزقوم وشرابه من عين الحميم،قال تعالى عن الزقوم: (فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ) [الصافات:٦٦] فأسند ملء البطون إليهم للذتهم الباطنة، وقال تعالى:(فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ) [الواقعة:٥٤] (فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ) [الواقعة:٥٥] أشار بالهيم على هيمانهم الباطني بذلك الشرب.

و ها هنا لطيفة ثانية تشعر بسر الكمال من قوله تعالى:(مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ) [الملك:٣](كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ)فَرِحُون [المؤمنون: ٥٣] وهذا الفرح هو الذي تجلى في باطن أهل النار حتى عجب الله منهم؛ أي: عجب الاسم المتوجه على أهل الجنة منهم فقال:(فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ) [البقرة:١٧٥] ولابد أن نشير إلى سر ذلك حسبما يفتح الفتاح العليم فنقول:

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله تعالى لمَّا سبقت كلمته أن يملأ كلاً من الدارين: الجنة والنار بسبب توجه اليدين على خلق آدم يد الجمال ويد الجلال لزم أن يجعل قائدين لكل فريق من أهل الجمال ومن أهل الجلال كما قال تعالى:(فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ) [الشورى:٧] فجعل قائد أهل الجنة من كان نبيًا وآدم بين الماء والطين ﷺ ، وجعل قائد أهل النار إبليس، فتجلى على محمد ﷺ باسمه الهادي، وتجلى على إبليس باسمه العزيز الذي لا يزل لأمر آمر بل العزة تقتضي أن يفعل ما يريد، فلذلك أبى عن السجود؛ لأن السجود ذُل، والتجلي له يأبى ذلك، فكان مراده منه في باطن الأمر ألا يسجد ليكون قائد أهل الشقاء، فتوجه هذا الاسم ـ وهو العزيز ـ على إيجاد النار فاستكبرت حتى أذَّلت كل

متكبر جبار، فلما اقتضت حكمة الله أن يدخل أهل النار النار، ويأكلوا من زقومها ويشربوا من حميمها، تجلى الله على باطنهم باسمه العزيز الكريم ليقابلوا سطوة تلك العزة التي لجهنم فلذا أنطق الزبانية بقوله: (ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ) [الدخان:٤٩] وما قالوا إلا الصدق.

ألا ترى أنه تعالى لما قيَّد اللعنة لإبليس إلى حين كيف أجابه بالتقييد فقال:(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ) [ص:٨٢]، والباء هنا سببية عندنا لا للقسم أي: بسبب عزتك التي لا تذل للتقييد بالعبودية (لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ) [ص:٨٢] فكذلك إغوائي ما كان إلا بك لأنك أنت العزيز وأنت الفعال لما تريد بهم، وانظر إلى تصديق ذلك منه تعالى بقوله:(هَٰذَا) [الحجر:٤١]أي: ظهور العزة بهم (صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ) [الحجر:٤١] أي: مستقيم من جهة وقوعه عليّ فإني أنا العزيز الحميد، وفي قراءة:(هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ) [الحجر:٤١] بالرفع صفة لصراط، ومستقيم صفة ثانية؛ لأن العزة لها العلو، فإذا ظهرت تلك العزة من الباطن على الظاهر بعد الجزاء الوفاق (وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) [القيامة:٢٩] أي: اتحد الجلال بالجمال استبان أنه:(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ) [القيامة:٣٠] فتظهر فيهم العزة التي ساقنا إليها محمد ﷺ من أول قدم من حقيقة قوله تعالى:(الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ) [إبراهيم:١] فالعزة نهاية أهل النار كما أنها بداية أهل الجنة، فالسعادة قرب الطريق؛ لأن السعداء عبدوا الله من جميع الأسماء، والشقاوة بعد الطريق؛ لأن الأشقياء عبدوه من جهة اسم خاص فلم يكونوا منفكين عنه (حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ) [البينة:١] من الاسم الذي ساقهم من الطريق الذي هم عليه إلى الرب، فهو المعبر عنه بالساق، كما أن السعداء أتتهم البيِّنة من الاسم الهادي الذي ساقهم من طريق الهداية إلى جنة المعرفة فكان إلى ربهم المساق، والتفاف الساق بالساق كناية عن اتحاد الاسمين المتقابلين في حضرة الأحدية، وذلك سر قوله تعالى:(مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ)[الملك:٣] فالكل من هذه الجهة على صراط مستقيم، كما قال تعالى: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [هود:٥٦] فالكل منهم على هدى من جهة أنه تعالى آخذ بناصيته.

ألا ترى قوله تعالى: (وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا) [السجدة:١٣] أي: هدى تلك النفس المفطورة عليه، وقد قال تعالى:(فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا) [الروم:٣٠]، وهدى كل نفس هو هدى الله من اسمه الجامع.

قال تعالى: (قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ) [البقرة:١٢٠] أي: الهدى المطبوع في كل نفس، فمن هذا السر قام ﷺ لجنازة يهودي وقال: «**أليست نفسًا**»[١٢٨] (فَإِذَا ٱنشَقَّتِ) سماء النفس (فَكَانَتۡ وَرۡدَةً) وورود الرب بتجلي نوره على الأعيان (كَٱلدِّهَانِ) [الرحمن:٣٧] (فَيَوۡمَئِذٍ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ* فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن٣٩ ـ٤٠] إلى أن قال: (تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) [الرحمن:٧٨]

وارد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا الشيخ الأكبر في فص هود ﷺ: (وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ) [مريم:٨٦] وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور التي أهلكتهم عن نفوسهم بها، وهو بأخذ نواصيهم والريح تسوقهم وهو عين الأهواء التي كانوا عليها (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) [مريم:٨٦] وهي البعد الذي كانوا يتوهمونه، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين القرب، فزال مسمى جهنم في حقهم ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق؛ لأنهم مجرمون فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم؛ لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة فما مشوا بنفوسهم وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب... إلى آخر ما قال.

فاعلم ـ رحمك الله ـ أن ظاهر هذه العبارة في غاية الإشكال لقوله تعالى: (يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِى مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـٔۡوِيهِ * وَمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ) [المعارج ١١ـ ١٤] وهذا يقتضي أن مقامهم غير لذيذ، وأنهم لم يفوزوا بنعيم القرب، وحيث الأمر كذلك فقد ناقض كلامه القرآن العظيم فكيف الأمر؟!

فنقول: هذا الكلام هنا مطلق ولكن الأستاذ ﵁ قيَّده في عدة مواضع من«الفتوحات المكية» وهو أن ذلك يكون بعد ذبح الموت بين الجنة والنار، فإذا ذَبح نبي الله يحيى ﷺ

---

(١٢٨)

الموت حين ما يأتي في صورة كبش أملح بمرأى من الفريقين أهل الجنة وأهل النار، وذلك بين الجنة والنار، عند ذلك ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فتنطبق الأبواب على أهل الدارين، وعند ذلك يظهر سر قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] فيستلذون العذاب عند ذلك، ولذلك يقيد قوله في الفص الإسماعيلي: فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما الوعيد الحق عين تعاين، فظاهر هذا إنكار الوعيد حتى قال بعض المنكرين في حقه ﷺ: وأما إنكاره الوعيد فهو كافر به عند علماء التوحيد.

وليس هذا القول من سيدنا ﷺ إنكارًا للوعيد، بل هو إنكار لبقاء الوعيد لأنه ذكر أن وعد الله صادق له البقاء والدوام، ثم قال: وما لوعيد الله عين تعاين أي: ليس للوعيد الإلهي عين تعاينه للبقاء والدوام؛ لأن رحمة الله وسعت كل شيء، والرحمة غالبة للغضب الإلهي؛ لأن الله ما أوجد العباد من الغضب بل أوجدهم من الرحمة، والغضب عارض، والعارض يزول فالبقاء للأصل وهو الرحمة لا للعارض.

وقد ورد أن الله أوجد العالم من صفة الحب كما ورد في الحديث القدسي: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق**»[129].

وحيث إن الله تعالى أحب وجود العالم أحب حياتهم وبقائهم، فلهذا السر يُذبح الموت بين الجنة والنار، وينادى: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل خلود فلا موت، وعند هذا النداء لا يبقي من الموحدين في النار أحد، ولا يبقي في النار إلا أهلها، فيمد الله الجميع بحياته الذاتية فعند ذلك يظهر النعيم؛ لأن الحياة الإلهية الذاتية لا تعتريها الآلام.

وأما قبل ذبح الموت فورد النص في أهل الإيمان أنهم يموتون في النار، وأمَّا الكافرون لا يموتون ولا يحيون بل هم في برزخ بين الحياة والموت، وسر ذلك أن الكافر من جهة أعضائه وصورته الظاهرة مطيع؛ لأنها تشهد عليه كما قال تعالى:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤] فهذه الأعضاء لا تحيى لئلا تذوق العذاب؛ لأنها شهداء الله، والشاهد يكرم ولا يهان بنص الحديث، وأما أنفسهم فلا تموت لأنها المدبرة للأعضاء والمعرفة لها، والراعي هو المسئول عن رعيته، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾ [الإسراء:٣٦] فالمسئول هو الراعي الذي جبر رعيته على مخالفة أمر الله، وليس إلا النفس، فالنفس لا تموت لأجل أن تذوق العذاب، ونعني بالنفس: النفس المدبرة المتصرفة المسماة بالناطقة لا النفس المجبورة التي قال الله تعالى فيها:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس٦ -١٠]، ولم يقل الله: خابت؛ لأنها مجبورة والمجبور غير مؤاخذ، بل الخائب من جبرها وليس إلا النفس

---

[129]

الناطقة التي هي على صورة الحق، فهذه قبل ذبح الموت لا تحيى لأجل أن تذوق العذاب وحدها.

فلذا قال الله تعالى في الكافر: (لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ) [طه:٧٤]، وأما المؤمنون فيموتون بأجسادهم وأنفسهم فأنفس المؤمنين موتى في النار فلا تذوق العذاب وإن علمت به، لكنه لا يؤثر بها ألمًا وغمًا كأنفس الكفار؛ لأن الإيمان والتوحيد يصرفها لمشاهدة ما أعد الله لها من النعيم.

قال الله تعالى: (فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) [الجن:١٣]، وقد ورد أن الله يميت المؤمنين إماتة فأكد ذلك بالمصدر فإذا ذُبح الموت عادت أجسادهم وأنفسهم أحياء بربهم، فأجسادهم أرواح فما بالك بأرواحهم، وعند ذبح الموت يظهر سر قوله تعالى:(كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [الإسراء:٢٠].

فلهذا قال سيدنا في الفص الإسماعيلي: وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين نعيم جنان الخلد والأمر واحد، وبينهما عند التجلي تباين، وإنما كان بينهما تباين عند التجلي؛ لأن أهل الجنان تجلى لهم النعيم من حضرة الجمال الذي هو عين أعمالهم الجلالية في الدنيا، فإن الدنيا كانت سجنهم وكانوا قابضين على دينهم يقاسون الجلال من مقاساة التقييد بالشرع، ومنع النفوس عما تشتهيه من الإطلاق، فالحاكم عليهم في الدنيا ذو الجلال، فأورثهم الإكرام الإلهي الجمالي في الآخرة فأخذوا نعيمهم بالاستحقاق، فأجرهم غير ممنون؛ لأنه نتائج أعمالهم، فهم وفد الرحمن في الآخرة، فأوصلهم جلال الدنيا الذي كان ظاهرًا منهم إلى باطنه وهو الجمال في الآخرة؛ لأن الأول عين الآخر والظاهر عين الباطن.

وأما نعيم أهل النار فإنه من تجلي الجلال؛ لأنهم في الدنيا كانوا في جنة كفرهم متجملين بما تشتهيه أنفسهم، فأعمالهم جمالية، فهي التي أثمرت لهم الجلال، فصح العدل الإلهي بين الفريقين، كما قال تعالى: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا)وَارِدُهَا[مريم:٧١] فلذلك قال تعالى:(يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا)[مريم:٨٥] (وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا) [مريم:٨٦] فوردوا جهنم بطريق الاستحقاق، وما وردوا إلا جلال جمالهم الذي كانت أنفسهم مطلقة به كما قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) وهم أهل الجلال في الدنيا (يَضْحَكُونَ) [المطففين:٢٩]، وإنما يضحكون من الذين آمنوا؛ لأنهم في سجن التكاليف الشرعية، والمجرم مطلق غير مسجون، فالمجرمون (كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ) [المطففين:٢٩] استهزاءً (وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ)يَتَغَامَزُون [المطففين:٣٠] (وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ) [المطففين:٣١] (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ

لَضَآلُّونَ) [المطففين:٣٢] وإنما حكموا عليهم بالضلال؛ لأنهم ساروا في طريق الجلال، ومقاساة الأوامر والنواهي التكليفية، وطريق المجرمين إطلاق النفوس فيما تشتهيه، فالضال عن طريق الآخر المجرمون، ضالون عن طريق الجلال، ولذلك كان الممد لهم الاسم الرحمن فهو الآخذ بنواصيهم في هذا الطريق قال تعالى: (قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ) [مريم:٧٥]، فلذا كانت أعمالهم بعكس المتَّقين؛ لأن المتَّقين يستمدون من الجليل شديد العقاب، وقد وصف الله تعالى اسمه (شديد العقاب) بأنه ذو الطول، فأثمر لهم الطول في الآخرة كما أثمر جمال الاسم الرحمن جلال الآخرة للمجرمين فلذا قال تعالى: (كُلاًّ نُّمِدُّ) [الإسراء:٢٠] فأخبر أن الإمداد للفريقين منه، وهو الأخذ بالنواصي.

ولما اقتضت ذات الله تعالى ـ التي هي مسماة بجميع الأسماء الحسنى المتضادة ـ أن يكون كل اسم منها ظاهره باطن الآخر وباطنه ظاهر الآخر، وأوله آخر ضده، وآخره أول ضده، وذلك لأحدية الذات المسماة بجميع هذه الأسماء.

لذلك قال سيدنا: (وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ) [مريم:٨٦] فأسند الله السوق إليه؛ لأن كل اسم يسوق من ظهر فيه من ظاهره إلى باطنه، فقال: وهم الذين استحقوا المقام؛ أي: مقام الجلال الذي ساقهم إليه جمال الاسم الرحمن المدد لهم باطنًا، فلما انتهى حكم ظاهره تجلى باطنه ـ وهو الجلال ـ بصورة ريح الدبور لإدبارهم عن هذا الباطن، وانقطاعهم عن التوجه إليه، فلما أراد أن يحورهم تجلي لهم بصورة الريح التي أهلكتهم عن نفوسهم بها، وفي الحقيقة إنما أهلكهم جلال الله بتجليه؛ ليتحققوا بالفناء عن نفوسهم وهو يأخذ بنواصيهم، كما قال تعالى: (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [هود:٥٦] أي: هويته وحقيقته هي الظاهرة بصورة كل دابة، كما قال: هو الظاهر.

ثم قال: والريح تسوقهم، والسائق في الحقيقة هو؛ لأنه القائل: (وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ) [مريم:٨٦] فتجلى لهم في صورة الريح، وهي عين أهوائهم التي كانوا عليها؛ لأنها معاني الجمال فتجلت لهم حسًّا في صورة الريح الجلالي، والريح نفس الرحمن المتجلي بمعاني أهوائهم، فما ساقهم إلا بهم كما قال: (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) [الأنعام:١٣٩] (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) [القلم:٣٩] فحكم أعيانهم ساقهم إلى جهنم، وهي البعد الذي كانوا يتوهمونه لظهوره لهم بصورة الجلال، فاختلف عليهم الأمر ولم يعلموا أن هذا الجلال نشأ منهم وهو وصفهم، فباطنه فيه الرحمة، وربهم الذي هو الاسم (المُضل) هو الذي دعاهم إليه وتوجه على تلك الأهواء الرحمانية أن تكون فيهم بحكم الاستعداد الذاتي، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن بعد ذبح الموت وتُجلى الحياة في أرواحهم وأجسادهم حصلوا في عين القرب؛ لأنه لما ذُبح الموت بسبب يحيي عليه السلام فاضت الحياة الإلهية عليهم وأنفك حجابهم الذي قال

الله في حقه: (كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ) [المطففين:١٥]، وقد انقضى يوم الحجاب بذبح الموت، فتجلت الحياة الإلهية فشاهدوا ربهم في نفوسهم فكان الجلال والجمال وصفهم، فزال البعد فزال مسمى جهنم في حقهم؛ لأنهم شاهدوها عينهم فتنعموا بهم ففازوا بنعيم القرب أي: القرب الجلالي من جهة الاستحقاق؛ لأنهم مجرمون، فجهنم وما فيها صور إجرامهم، فصاروا يأكلون من زقومها استلذاذًا كما قال تعالى: (فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ) [الصافات:٦٦].

وقد أشار تعالى بإشارة غامضة إلى بطون الجلال في الجمال حتى ملئوا بطونهم، وقد كان الأمر قبل ذلك كما قال تعالى: (وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ) [إبراهيم:١٧] فقوله: (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ) [إبراهيم:١٧] أي: لا يقرب من الاستساغة فلا قدرة على الابتلاع، والموت يأتيهم من كل مكان، وبعد ذبح الموت وتجلي الحياة الذاتية الإلهية فيهم فملئوا البطون؛ لأن الحياة الذاتية لا تؤثر فيها الأمور الضارة بخلاف الحياة المقيدة فإنها تزول بالموت، والحياة الذاتية يحيا بها كل ميت، فلذلك قال سيدنا: ففازوا بنعيم القرب؛ لأنهم مجرمون فهو قربهم الخاص بهم وبذوقهم، فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، أي: لأن حقائقهم معاني الأسماء الجلالية وهي مستحقة لتلك الأعمال، قال تعالى: (إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا) [آل عمران:١٧٨] فما أملت لهم إلا ما يشاكلها، كما قال تعالى: (قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ) [الإسراء:٨٤]، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم، أي: لأنه هو العامل بهم وهو (عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [يس:٤] وصراطه عينه؛ إذ ليس إلا ذاته وأسمائه، فهويته تظهر بأحكام أسمائها وصفاتها، وكل اسم يسبح في فلك المقابل له إلى أن يكون المبتدأ عين المنتهى، ثم يدور الدور، فالأمر كله دائرة والدائرة أولها عين آخرها.

ألا ترى قول الله تعالى: (كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ) [الأنبياء:٣٣] فان ابتدأت من كاف (كُلّٞ) خرج كل(فِي فَلَكٖ)وإن ابتدأت من كاف الفلك خرج كل في فلك، فسبحان القائل:(وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ)[هود:١٢٣]، فهو القائل: (كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا) [مريم:٧١] أي: الشأن الذاتي حتم بذلك على الاسم الرب، كما قال: وَٱللَّهُ(غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ) [يوسف:٢١] يعني أن مسمى الله الذي هو الأمر الكلي (غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِ)

[يوسف:٢١] الجزئي الذي منه يقول للشيء: كن فيكون، فلا يقول لشيء: كن إلا إذا اقتضاه الاسم الله الغالب باقتضاء الذات ما هي عليه.

ألا ترى أن الذات لما اقتضت ثبوت الكذب والكفر أخبر الله عن هذا الاقتضاء بقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ) [الزمر:٣] مع أنه من جهة الأسماء (لَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ) [الزمر:٧] فالأسماء لا تأثير لها إلا بما اقتضته الذات، فصح أن العلم تابع للمعلوم من حيث أن الذات عين كل معلوم، ولولا ثبوت الحقائق في نفسها لم توصف بأنها تعلم.

قال تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) فقدَّم الشيء لأن كل شيء له الثبوت بثبوت الحق، وإن كان معدومًا، فلا ثابت إلا هو، وثبوته تعالى بذاته مقدم في الرتبة على علمه تقديم رتبة لا تقديم زمان، فلله الحجة البالغة، فما عَلِمَ أحد إلا بما هو عليه (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وارد:

البيوت المعمورة بحياة الحي الذي لا يموت.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ) [النور:٣٦] (رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ)[النور:٣٧]

اعلم ـ رحمك الله ـ أن المظاهر هي بيوت الوجود الظاهر، قال سيدي عبد الغني النابلسي بلسان الحضرة:

بـذاتي لـذاتي لا لكـم أنـا ظـاهر ... ومـا هـذه الأكـوان إلا مظـاهر

فهذه البيوت التي هي المظاهر أذن الله أن ترفع إلى الظاهر بمقتضى أن الذي نسميه بالمظهر هو الصور الكونية، وليس الظاهر إلا تلك الصورة فحينئذ ما هو المظهر؟وما هو الظاهر؟ وما ثَمَّ اثنان، فأذن الله للمؤمن بقوله تعالى: (وَٱلظَّٰهِرُ) [الحديد:٣] أن يرفع هذه المظاهر إليه بمقتضى قوله تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، فهو تعالى الرافع لها كما أنه الخافض لها بالنسبة للمحجوب، ولذا قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في الفصل الإدريسي من كتابه «فصوص الحكم»: إن الحق المنزه عين الخلق المشبه، فمن رأى التنزيه في مرتبة التشبيه فقد رفع هذه البيوت، وشاهد فيها الحي الذي لا يموت.

ولذا قال (وَيُذۡكَرَ فِيهَا) أي: في هذه البيوت (ٱسۡمُهُۥ)[النور:٣٦]، وإذا ذكر فيها اسمه كانت هي مسمى ذلك الاسم، وقد رفعها السيد المتبوع ﷺ لمَّا قال له بعض أصحابه: أحب أن يكون نعلي حسنًا وثوبي حسنًا فقال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[١٣٠]

---

(١٣٠)

فأعلمه أن ما يسميه نعلاً حسنًا وثوبًا حسنًا هو الله الجميل، وأعلم بأن نفسه التي قال عنها: أحب، هي الله المحب، فبمقتضى هذا الحديث الصحيح أن الله هو المحب المحبوب، وهو الجميل الذي يرى جماله، فأفاده ﷺ أنه ما في الوجود إلا الله، وأعلمه بحقيقة نفسه من هو، فقد رفع له ﷺ بيت ذاته وأعلمه أنه هو الله المحب، وأدى له أمانة أسمائه وصفاته، فليت شعري ماذا أبقى له من على الحقيقة وهل بعد بيان رسول الله بيان؟ لا والله لا والله لا والله.

ولما حقق هذا المعنى القدسي سيدي عبد الغني النابلسي ﷺ شرب هذا المدام من هذا النديم (أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ) [الشعراء:٨٩] من السوى (سَلِيمٍ) فكان هو الشارب والمشروب والمحب والمحبوب فدندن في حال تلك الحضرة وماس طربًا من نشوة تلك الخمرة فقال:

أطوف على ذاتي بكاسات خمرتي وأستمع للألحان في حان حضرتي

وقوله تعالى: (وَيُذۡكَرَ فِيهَا) أي: في تلك البيوت(ٱسۡمُهُۥ) هذا الذكر ذكر مشاهدة، وذلك أن الله تعالى أسماء، وأسماء الأسماء

فالأسماء اللفظية أو الرقمية أو المتصورة في الذهن هي أسماء الأسماء والمظاهر هي الأسماء الحقيقة.

قال الله تعالى: يحكي عن يوسف ؈: (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ) [يوسف:٥٥] ولما قال أخوته: (تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ * قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ) [يوسف:٩١ - ٩٢] أي بمغفرتي فأنا اسم الله الغافر، ولذلك قال لهم:(ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ) أي: دار المشاهدة الذاتية (إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ)[يوسف:٩٩] أي: آمنين بي مني، فأنا مجلي الخلافة الإلهية، وقد أعطيتكم الأمان بي مني، فلا يجير مني إلا أنا ، كما قال ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[١٣١] (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ) [المؤمنون:٨٨]؛ لأنه صاحب السلطنة الإلهية الباطنة والظاهرة، فلما شاهدوا الله(وَخَرُّواْ لَهُۥ)سُجَّدٗاۖ [يوسف:١٠٠] فكانوا معه بمنزلة الملائكة لما سجدوا لآدم فعبدوا الله فيه، ولذلك مرجع قوله:(يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ) [النور:٣٦] (رِجَالٞ) [النور:٣٧] أي: بالمبادرة لمشاهدته يقال: غدًا عليه إذا بادر إليه ما بين طلوع الفجر والشمس، إشارة إلى مقام البرزخية القابل للحقيَّة والخلقيَّة، ()وَٱلۡأٓصَال جمع أصيل وهو

([١٣١])

العشيّ، ويطلق على من له أصل، وهو تعالى أصل كل شيء، والعشيّ إشارة إلى مقام الجلال.

فهؤلاء الرجال يسبحون الله تعالى في هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع لأصلها، وهو الرافع بقوله:(فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) فهو أصل تلك البيوت؛ لأنها مظاهره، وهو الظاهر بها فلذا (يُسَبِّحُ لَهُۥ) أي: لوجهه الظاهر بها بحكم(ٱلۡغُدُوِّ) الجمالي (وَٱلۡأٓصَالِ) الجلالي (رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ) أعمالهم للغنى (وَلَا بَيۡعٌ) نفوسهم لتحصيل مقام الغنى (عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ)[النور:٣٧] أي: عن ذكر الله نفسه بنفسه فأين الغير حتى يلهو بالتجارة، وأين الموجود حتى يغني عن نفسه فلا يسبح له في هذه البيوت إلا هو فلذا قال:(لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ) [النور:٣٧]أي: عن ذكر نفسه بنفسه فهو الذاكر المذكور.

وقوله تعالى: (وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ) [النور:٣٧].

اعلم رحمك الله أنه لما كان هؤلاء الرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؛ أي: الذي يذكر به نفسه فيكون ذاكرًا مذكورًا كان هم الذين يقيمون الصلاة؛ أي: بالله تعالى، إشارة لوصلتهم بربهم، فهو تعالى الذي يقيم هذه الوصلة بقيوميته فيرفع بيوت المظاهر إليه، وسبب ذلك ذكر اسمه في تلك المظاهر.

ألا ترى قوله تعالى: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ) [الأعلى:١٤] (وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ) [الأعلى:١٥] فصاحب هذا المشهد من الذين هم على صلاتهم دائمون، ولذا أخبرت عائشة ﵂ عن النبي ﷺ: أنه كان يذكر الله على كل أحيانه مع أنه كان يأكل ويشرب وينام ويجاهد الكفار وينكح أهله ويمازح العجوز ويلاطف الطفل الصغير، وكل ذلك ذكر في حقه وصلاة وتسبيح وتقديس(١٣٢).

---

(١٣٢) قيل: أهل مقام الإحسان عملهم قلبي، كالسخاء والعفو وكظم الغيظ، وأهل اليمين عملهم بدني، بين طاعة ومعصية وغفلة ويقظة، إذا فعلوا فاحشة تابوا واستغفروا، وإذا فعلوا طاعة فرحوا واستبشروا، أهل مقام الإحسان غائبون عن رؤية أعمالهم ووجودهم، وأهل اليمين معتمدون على أعمالهم، إذا فعلوا طاعة قوى رجاؤهم، وإذا زلّوا نقص رجاؤهم، أهل مقام الإحسان فانون عن أنفسهم باقون بربهم، وأهل اليمين أنفسهم موجودة وأعمالهم لديهم مشهودة، أهل مقام الإحسان محبوبون، وأهل اليمين مُحِبُّون، أهل مقام الإحسان فنيت عندهم الرسول والأشكال، وبقي في نظرهم وجود الكبير المتعال، وأهل اليمين: الأكوان عندهم موجودة، وشموس المعارف عن قلوبهم مفقودة، أهل مقام الإحسان يعبدون الله على نعت الشهود والعيان، وأهل اليمين يعبدون الله من وراء حجاب الدليل والبرهان، أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان. انظر: البحر المديد (٣٣٧/١).

وقوله: (وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ)[النور:٣٧] كما قال تعالى: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن)زَكَّىٰهَا [الشمس:٩]، أي: زكى نفسه بإيتاء الزكاة لمالكها، كما قال تعالى: (مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا) [البقرة:٢٤٥]، وإنما كان حسنًا لأنه أدى الأمانات لأهلها، فلذا قال: (وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ)[التوبة:١٠٤]، أي: من نفسه في صور مظاهره، فهو المعطي كما أنه الآخذ، ففي الحقيقة هو يؤتي الزكاة كما قال ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها إنك أنت وليّها ومولاها**» [١٣٣].

وقوله تعالى: (يَخَافُونَ يَوۡمًا)، المراد به الاسم الدهر الذي هو وجود الله المطلق عن جميع قيود معاني الأسماء الخاصة المقيَّدة بتلك المعاني، فلذا قال ﷺ: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»[١٣٤] فهذا هو اليوم المطلق الذي:(تَتَقَلَّبُ فِيهِ) أي: في وجوده المطلق (ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ)[النور:٣٧] فهو المقلب للقلوب بظهوره في شئونه مع أنه في ذاته لا تحكم عليه الشئون، ولذا كان ﷺ يقول: « **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[١٣٥] فأضاف الدين إليه ليكون قلبه على الدين المطلق من تجلي اسمه الديَّان، فدين الله وجوده بلا سواه، قال تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ)[الحديد:٣] فأراد محمد ﷺ ألاَّ تؤثر فيه تقلبات الأسماء الإلهية، ولذا قال وارثه المحمدي قدس سره:

قلبي على كل حال في تقلبه ... من واحد العين لأكثر ولا عدد

وهذا بالأصالة لا يكون إلا للسراج الذاتي المنير، فانشقت له منه سماء الذات، وتفجرت من عين ذاته ينابيع الأسماء والصفات، فخضع كل ذي سلطان من سلاطين الأسماء لسلطانه الذاتي، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيده، فنفذ من أقطار السماوات والأرض، فهو الفاتح لما أغلق من الكنز المخفي برحمة (ٱلرَّحۡمَٰنِ) [الرحمن:١] الذي (خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ) [الرحمن:٣] (عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ) [الرحمن:٤] والخاتم لما سبق بمقتضى (تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) [الرحمن:٧٨] فلا ينفذ أحد من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطانه الذاتي، فيكون السراج المنير مشرقًا من نفسه منيرًا لها بحقيقة قدسه،

---

(١٣٣)

(١٣٤)

(١٣٥)

وذلك مرجع قوله تعالى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ)[التوبة:١٢٨] أي: ما كان مجيئه إلا من أنفسكم، فهو الأولى بكم منكم، وهذه السراجية المنيرة هي وردة ورود الذات الماحية بسلطان الأحدية، وكثرة الأسماء والصفات بمقتضى اسمه الماحي ﷺ .

وقد أخبر الله عن تحقيق ذلك بقوله:(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) [الرحمن:٣٩] لأنه إذا انمحى وجود الأكوان بوجود هذا السلطان فأين ذنب الإنس والجان؟! فهذه هي القيامة الكبرى للإنسان الذي مفتاح وفق وجوده الرحمن، ومغلاقه (تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) [الرحمن:٧٨] ولذا قال ﷺ: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[١٣٦] ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

---

(١٣٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى يخاطب حبيبه ﷺ: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**) [الزمر:٣٠].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الموت على قسمين: موت ظاهر محسوس، وموت باطن وهو موت النفوس، وهو الذي ورد فيه «**موتوا قبل أن تموتوا**»[١٣٧] فصاحب هذا الموت وإن كان حيًّا في الظاهر فهو في الباطن ميت .

ألا ترى ما ورد: «**من أراد**» أو قال: «**من أحب أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق**»[١٣٨]، وفي هذا المقام قال الله تعالى يخاطبه ﷺ: (**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ**) [آل عمران:١٢٨] فهذه الآية تقتضي أن الله تعالى محا محمدًا ﷺ فإنه هو الممحي بمحمد، فهو المراد بقوله: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ**) وكذلك من قال فيهم: (**وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**) فأشركهم معه في الموت؛ لأنه تعالى عين وجودهم الظاهر، ولكن الفرق بينه ﷺ وبين غيره إنما هو العلم والإدراك، فهو يعلم أن الله تعالى أوله وآخره وظاهره وباطنه وهم لا يعلمون، وأن شاركوه باسم الموت ولكن(**هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**) [الزمر:٩].

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الموت عزل وتولية، فهو ظهور ما كان باطنًا وبطون ما كان ظاهرًا، فإذا ظهر الأول بطن الآخر، وإذا ظهر الآخر بطن الأول، وليس الموت عبارة عن انعدام الحياة من أصلها، بل بطون حياة ظاهرة من تجلى الاسم الأول، وظهور حياة كانت باطنة من تجلى الاسم الآخر، قال سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارضرضي الله عنه:

فإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمُتْ بهِ شــهيداً وإلاّ فــالغرامُ لــهُ أهْــل

ومن هنا تعلم حياة الشهداء، وهي ظهور الحياة فيهم من تجلى الاسم الآخر وبطونها من جهة تجلي الاسم الأول، وهذه حياة شهداء السيوف.

وأما حياة شهداء محبة الله فهم مع الله في جميع التجليات فمن الأول يشاهدون الآخر، ومن الظاهر يرون الباطن، كما أنهم من الآخر يشاهدون الأول، ومن الباطن يشاهدون الظاهر، وذلك مرجع قوله تعالى: (**يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ**) [يونس:٣١] فالحق تعالى يخرج لهم كل ضد من ضده، فإن يكن لجسم الدنيا روح واحدة فلجسد الآخرة أرواح كثيرة لا يعلمها إلا هو، فأنفاس الإنسان في الدنيا أرواح له في الآخرة، ففي الآن الواحد يتيسر له أن ينكح مائة حوراء لكل حوراء قصر خاص بها، وهو في الآن الواحد مع كل واحدة منهن في قصرها فبالموت تحصل حقيقة الحياة.

---

[١٣٧]

[١٣٨]

ألا ترى أنه ﷺ: «**الموت تحفة المؤمن**»[١٣٩] ولا يقال تحفة إلا للشيء العزيز الوجود العديم المثال، وقد قال سلطان العارفين قدس الله سره:

لله قــوم وجــود الحــق أعيــنُهم	**هُمُ الأحيـاء إن عاشوا وإن مـاتوا**
هــم الأعــزاء لا يــدرون أنهــمُ	**هُــمُ ولا مــا هــم إلا إذا مــاتوا**
لله درهــم مــن ســادة ســلفوا	**وخلفونــا علــى الآثــار إذ مــاتوا**
لا يأخـذ القـوم نـوم لا ولا سِـنة	**ولا يــؤدهم حفــظ ولــو مــاتوا**
رأيــتّهم وســواد الليــل يســترهم	**عـن العيـون قيامًـا كلمـا مـاتوا**
فكيف بالشمس لو أبدت محاسنهم	**أقسمت بـالله أن القـوم مـا مـاتوا**
وكنــت تصــدق أن الله أخبرنــا	**عـن مـثلهم أنهـم والله مـا مـاتوا**
أحيـاء لـم يعرفـوا موتًـا ومـا قتلـوا	**فـي معـرك وذوا رزق وقـد مـاتوا**
فلـو تـراهم سكارى فـي محـاربهم	**لقلـت أنهـم الأحيـاء وإن مــاتوا**
الله أكـــــرمهم الله شــــرَّفهم	**الله يحيـــيهم بــــه إذا مـــاتوا**
لقـد رأيـتهم كشـفًا وقـد بعثـوا	**من بعد ما قبروا من بعد ما مـاتوا**

فلا يحيا إلا من مات فالموت في الحقيقة هو الحياة فمن لم يمت لم يحيا.

ألا ترى إشارة في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾أي: بعد حياة سابقة ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾[البقرة:٢٨] فأخبر عن موت متوسط بين حياتين، فلا حياة إلا من موت، ولا موت إلا من حياة، فالضد لا يبدوا إلا من ضده.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن هذا هو الذي تقتضيه الحقائق، فلا يخرج أول إلا من آخر ولا آخر إلا من أول، ولا ظاهر إلا من باطن ولا باطن إلا من ظاهر، وقل في معنى ذلك لا جمال إلا من جلال ولا جلال إلا من جمال، ولا دنيا إلا من آخرة، ولا آخرة إلا من دنيا، ولا جنة إلا من نار، ولا نار إلا من جنة.

ألا ترى لما كانت أرض الجنة سقف جهنم أنضجَت حرارة جهنم ثمار الجنة كما تُنضَج الثمار في الدنيا بحرارة الشمس، وكذلك باطن الجنة لما كان مُرًا ـ وهو التقييد بالتكاليف الشرعية الذي هو مُر على النفس ـ خلق الله من تلك المرارة المعنوية شجرة الزقوم التي في النار، وخلق الله من جلال القبض على الدين الذي هو النار باطنه لهب نار الآخرة، فهذه ورثت هذه، وهذه ورثت هذه فكل واحدة من الجنة أو النار أصل للآخر كما قيل:

وغنـــى لـــي مـــن قلبـــي	**وغنيــــت كمــــا غنــــى**
وكنـــا حيثمـــا كـــانوا	**وكـــانوا حيثمـــا كنـــا**

ولما كانت الجنة الظاهرة باطنها النار والنار الظاهرة باطنها الجنة كما قال ﷺ: «**حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره**»[١٤٠] فكان المعنى الدوري جاريًا بينهما، فيعود ما كان باطنًا في الأول ظاهرًا في الآخر، وما كان ظاهرًا في الآخر باطنًا في الأول،

---

(١٣٩)

(١٤٠)

فيرجع باطن الآخرة دنيا ظاهرة، وباطن الدنيا آخرة ظاهرة، وباطن الجمال جلال وباطن الجلال جمال، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه الحديث، فافهم.

ومن هنا يعلم سر قوله ﷺ: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[١٤١]، وكذا ما ورد من أن المساجد تكون جنة، والبحر يعود نارًا، فعلى هذا الأعلى يعود أسفل والأسفل يعود أعلى، فسبحان المقدِّم والمؤخِّر والرافع والخافض بيده الميزان، وهو ميزان الأسماء الإلهية التي هي أيام الله، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٥] فكل يوم صورة اسم إلهي، فإذا انقضى حكم ظهر ما يقابله عند انتهاء دوران حكم ذلك اليوم فإذا دار الدور بدأ الباطن من الظاهر والأول من الآخر، فافهم ذلك، ففي طيّ هذا المعنى عجائب وغرائب.

ألا ترى أنه إذا دار الدور على الموت يأتي في صورة كبش أملح ويذبحه يحيى عليه السلام بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فإذا أمات الموت بمعنى أنه انقضى حكم الاسم المميت آل الحكم للاسم (المحيي) فيبدو الجمال الذي كان باطنًا في النار فيستعذبها أهلها حتى ينجذبوا إليها انجذاب الحديد للمغناطيس.

وقد أشار الله تعالى إلى تعشقهم بعذابها بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] ولذا قال: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة:٥٥] والهيام من صفات المحب، وقال: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة:٥٦] والنُزل ما يُعد لكرامة الضيف، وإلى ذلك الاستلذاذ يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[الفرقان:٦٥] والغرام صفة المحب الهائم، ولا يزال الأمر هكذا إلى أن تنشق سماء الجلال وتشرق منها شمس الجمال وتؤتي كل نفس هداها ويكون إلى ربها منتهاها، وهذا سر الاستثناء في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٧].

فإن قلت: كذلك الاستثناء في أهل الجنة، قلنا: نعم الاستثناء في أهل الجنة خروجهم إلى الكثيب لرؤية الله فذلك الوقت أهل الجنة ليسوا من أهل الجنة بل هم من أهل الله ثم يعودون إلى النعيم، كما قال تعال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٨] ولم يقل في الفريق الآخر: عذابًا غير مجذوذ، بل قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٧] وفي الحقيقة اسم العذاب مشتق من العذوبة ومن قول الملائكة للمعذَّب: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] يذوق باطنه عزة الله وكرمه والنار، وإن أخبر الله أنها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾

---

(١٤١)

[الهمزة:٧] فما كل من اطّلع على شيء تسلط عليه، ولا معنى لفؤاد الشيء إلا باطن قلبه ولا باطن للقلوب إلا النور المحمدي الساري في البطون والظهور وهو الحجاب المستور فإذا انفك الحجاب بدا سر الكريم الوهاب فزال العذاب وذاب.

ولذا قالوا: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت:٥] فأنطقهم الله بالحكمة وفصل الخطاب: «**وكل ميسر لما خلق له**» وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وارد: التوحيد والاستواء على العرش المجيد.

قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا معنى للفرار إلى الله إلا الفرار إلى توحيد ألوهيته جلَّ وعلا[١٤٢]، والناس في ذلك على قسمين: علماء ومقلدون.

فالمقلدون في التوحيد: إما مقلدون للرسل والأنبياء، أو مقلدون لآبائهم، أو مقلدون لعلماء الأفكار، والتوحيد هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل مولود يولد على هذه الفطرة؛ لأن أحدية البارئ مطبوعة في كل فرد من أفراد الوجود، فالمقلد لأبويه أو من شاء من علماء الأفكار إما يُهوّدانِه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، فإن المقلد يتبع إمامه فمن أشرك من جميع المقلدين بلا اجتهاد فهو شقي.

وأما العلماء بالتوحيد فهم على قسمين: منهم من وحَّدَ الله من طريق الفكر كقس بن ساعدة الذي أخبر عنه أنه يبعث أمة وحده.

ومنهم العلماء الموحدين لله تعالى من طريق الإيمان وهم الأنبياء والرسل وأتباعهم فالموحدون لله من طريق الإيمان كلهم سعداء ناجون عند الله، سواء كانوا متبوعين أو تابعين. وأما المشركون فهم قسمان: مقلدون ومجتهدون.

فالمقلدون في الشرك أشقياء، والمجتهدون من المشركين إذا بذلوا وسعهم في الاجتهاد فأمرهم إلى الله، كما قال العبد الصالح عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨] هذا هو المشرب العيسوي.

وأما المشرب المحمدي فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون:١١٧] فإن من كان له برهان فسيده هو محمد ﷺ المنزَّل عليه﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] فهو يدافع عنه، وإن لم يكن له برهان فنجد قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] وقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١١٨] فإنه ﷺ كان يدعو على المشركين، ثم قيل له: إن الله لم يبعثك سبَّابًا ولا لعَّانًا ولكن رحمة للعالمين ﴿وَقُل﴾ يا محمد

---

(١٤٢) وأيضًا الفرار بمعنى: ففروا من وجودكم ومن الأشياء كلها إلى الله بنعت الشوق والمحبة والتجريد عما سواه، وأيضًا فروا إليه منه حتى تفنوا فيه؛ فإن الحادث لا يثبت عند رؤية القديم.

(رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ) [المؤمنون:١١٨] فصار يقول ذلك، ويقول: «**اللهم كل من سَببته أو لعنته أو دعوت عليه فاجعل ذلك عليه رحمة اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[١٤٣] فليت شعري هل يجاب دعاؤه أم لا؟ وإذا يجب دعاؤه فمن الذي يجاب دعاؤه، ثم أن الله تعالى لما أجاب دعاءه ملّكهُ صفة العفو أو الصفح فقال له: (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ) [الأعراف:١٩٩] ولما قال: (يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ) [الزخرف:٨٨]، أجابه بقوله: (فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ) [الزخرف:٨٩]، وبما قررناه تعرف الفرق بين المقام العيسوي والمقام المحمدي، هذا تفصيل أمر المشركين، ثم لتعلم أن الشرك مع الله الذي هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى لا يصح كما قال تعالى: (أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ) [النمل:٦٠] وهذا استفهام إنكاري، أي: لا إله مع الله، وقال تعالى: (أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ)صَٰدِقِين ،[الأنعام:٤٠].

أي: صادقين في الدعاء، (بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ) [الأنعام:٤١] فعرَّفهم الله تعالى أنه هو المدعو في كل مدعو، فما أشرك أحدٌ مع الله أحدًا فالشرك مع الله أمر محال؛ لأن الله جامع لكل شيء كما قال تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ) [الحديد:٣]، (فَأَيۡنَ تَذۡهَبُون) [التكوير:٢٦] وإنما شرك المشرك بالله، أي: بصورة يعبدها خاصة متميزة عن سائر الصور، وهذه الصورة مجلى لله هو الظاهر بها، كما أن غيرها أيضًا مجلى لله، وكل صورة من جهة أن الله ظاهر بها لها كمال التوحيد، فلسان حالها يقول: اعبدني أنا الواحد لا غيري، والعابد لا يمكنه أن يعبد كل صورة في الوجود، فمن جهة المظاهر للحق الظاهر أشرك الصورة التي يعبدها مع كل صورة في الوجود، فكل صورة تطلبه بحقها من العبادة[١٤٤]، ولا يمكنه ذلك، فأشرك بأن جعل لكل صورة في الوجود شريك، وذلك الشريك هو الصورة التي توجه إليها، وما أشرك بحقيقة الأمر إلاَّ بالله أي: بصورة هي مجلى الله، فأشرك بصورة هي مجلى الله صورة أخرى هي مجلى الله، فعبد الله من جهة صورة معينة

---

(١٤٣)

(144) والعبادة موافقة الأمر، وهي استفراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب، ويدخل فيه التوحيد بالقلب، والتجريد بالسر، والتفريد بالقصد، والخضوع بالنفس، والاستسلام للحكم، ويقال: اعبدوه بالتجرد عن المحظورات، والتجلد في أداء الطاعات، ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة، والتجافي عن التعريج في منازل الكسل والاستهانة [تفسير القشيري (٢٨/١)].

خاصة، فالصورة الإلهية شرف بعضها بعضًا؛ لأن كل صورة ممتازة عن غيرها؛ بمعنى يميزها، فالعابد وإن عبد الله من جهتها ولكن فاته التوحيد من جهة الصور التي لم يعبدها؛ إذ لا يمكنه الإحصاء، فما عبد عابد إلا الله أي: إلا مظهرًا من مظاهر الله، كما قال تعالى: **(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا إِلَّآ تَعۡبُدُوٓاْ إِيَّاهُ)** [الإسراء:٢٣].

ولكن العابد له مع الحصر والتقييد يعود الحصر والتقييد عليه، فيتقيَّد عن رتبة الإطلاق، وبذلك يكون شقاؤه في طريق معرفة نفسه، فجاءه الداعي إلى الله على بصيرة، فقال: **(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ)** [النساء:٤٨] أي: أن يشرك مظهره بمظهره؛ لأن حقيقة الأحدية تجمع الأول والآخر والظاهر والباطن، فقال للمشركين: **(وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ)** [البقرة:١٦٣] فلم يعقلوا أن كثرة الآلهة في الوجود عين الواحد المعبود فقالوا: **(أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ)** [ص:٥] فقال لهم قولوا: **(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)** [محمد:١٩]؛ لأن الاسم «الله» يجمع الجميع، واعبدوه مطلقًا لا مقيدًا ثم أنذرهم وأكد عليهم بالتوحيد فقال: **(فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ)** [الذاريات:٥٠] فأما المقيَّد بفكره وعقله فقال: اختار لي صورة أعبدها تقربني إلى الله زلفى؛ لأني لا أعرف الله من جهة الإطلاق، فمنهم من اختار عبادة النور، ومنهم من اختار عبادة النار، ومنهم من عبد الدرهم والدينار، ومنهم من عبد الفرج الذي هو لذته وشهوته، ومنهم من عبد الشمس والقمر، ومنهم من عبد الطبيعة، ومنهم من عبد العناصر الأربعة، ومنهم من عبد الإنسان كمن يعبد عيسى من النصارى، ومنهم من عبد علي بن أبي طالب كالمتهورين من الروافض، ومنهم من عبد هواه، كما قال تعالى: **(أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ)** [الجاثية:٢٣] فعبد نفسه وهو جاهل بنفسه، ولو عرف نفسه لعرف ربه، والجميع عبَّاد الشيطان، أي: الصورة المقيدة البعيدة من الاسم الجامع لكل شيء بل الشيطان هو العابد فيهم؛ لأنهم مظاهره، ولذا قال تعالى: **(لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ)** [ص:٨٥] وقال تعالى: **(أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ)** [يس:٦٠] أي: البعيد من الإطلاق؛ لأن الشيطنة هي البعد والصورة المقيدة بعيدة من الأحدية المطلقة، فمعنى لا تعبدوا الشيطان، أي: البعيد من أحديتي، وإن كان مظهر اسم من أسمائي فتشقون، إلى أن تصلون إلى الأحدية، فهؤلاء هم الأشقياء الذين ينادون من مكان بعيد، فلا يصلون إليه إلا بعد العناء المطهِّر لهم من شركهم المقيد لهم عن الإطلاق، ولا يفنيهم إلا النار التي تطَّلع على أفئدتهم؛ لترى هل دخلها التوحيد المطلق أم لا ؟ فلا يفني هذه النار إلا توحيدهم، فإذا وحَّدوا الله فنيت النار بتجلي الواحد العزيز الجبار، الذي جبرهم على ما هم عليه، واستعبدهم من جهة

اسم(المضل) حتى انتهى الأمر لباطنه الذي هو الاسم الهادي، فافهم.

فكذلك أمر الداعي إلى الله ﷺ بالفرار إلى الله من أول قدم، وهذا النداء من مكان قريب، ولمَّا كانوا لا يعرفون حتى يفروا إليه؛ إذ لا تنال الذات المطلقة التي من شأنها الإطلاق إلا بمظهر تظهر به من جهة إطلاقها، ولابد لذلك المظهر أن يكون من حقيقة تلك الذات حتى لا يكون شريكًا مع الذي أمرنا بالفرار إليه، فقال: (**إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**) [الذاريات:٥٠] فأعلمنا هذا النذير ﷺ أنه منه، وأنه ليس بأجنبي عنه، ليكون أخذنا عنه عين الأخذ من الله، والاستمداد من عين الاستمداد من الله، فنُشهد الله تعالى فيه، فيكون الفرار إلى الله عين الفرار إليه وتأكد عندنا ذلك في آية المبايعة وفي آية الطاعة، فطلب منا هذا النذير التوحيد لله تعالى بقوله: «قولوا لا إله إلا الله».

فلما فرحنا بهذا التوحيد، وفررنا من الشرك، وآمنَّا بالله وحده، أعلمنا بقوله تعالى: (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**) [يوسف:١٦] فقلنا: نحن من الشركة هربنا وفررنا، فبماذا نحن مشركون ؟ فأعلمنا هذا النذير ﷺ ما يخرجنا عن الشرك الذي سببه تكاثر مظاهر الأحدية بآية الجمع الوجهية، وذلك قوله تعالى: (**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**) [البقرة:١١٥] وبقوله تعالى: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**) [الحديد:٣]، فقلنا: فما نفوسنا حينئذ التي فررنا منها إليه لمَّا استدللنا بها عليه، وكيف إلى من نحن عينه؟ وكيف يكون الفرار منَّا إلينا؟ فهل الأمر كما قيل قد يرحل المرء لمطلوبه، والسبب المطلوب في الراحل فأنزل تعالى: (**وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) [الذاريات:٢١] يعني أنكم لا تخرجون عن هذه الحقائق الأربع: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية فقلنا: يا عجبًا! الذي فررنا إليه عين الذي فررنا منه، فانقلب فرارنا إلينا وانعطف الحكم علينا، فبهذا الفرار ما رحلنا عن الموطن، فأكد لنا ذلك بقوله: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد**»(١٤٥).

ثم وجدنا مفتقرين إلى هذه الكثرة من الصور الظاهرة، وقلنا: لعل أوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته مقصورة على توحيد ذاته، وإذا افتقرنا لهذه الأشياء المتكاثرة خرجنا عن التوحيد وعن الفرار إليه، فأنزل سبحانه: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**) [فاطر:١٥] فكما أنه سلب وجه كل شيء وأثبت وجهه بقوله: (**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**) [البقرة:١١٥].

---

(١٤٥).

كذلك سلب عن كل شيء اسمه الكوني وأثبت له اسم الله، وأكد ﷺ ذلك بقوله: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[١٤٦].

فقلنا: ثبت أن لنا سؤالاً وأن لنا استعانة، فلنا نسبة في الأعمال، فأنزل تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] وأكّد بقوله: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد:٣١].

فقلنا: كيف زعمنا أننا وجدناه، فإذا هو الموحِّد نفسه بنفسه فأكّد ذلك بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، فمن ثبت مع الإيمان النبوي، لم يحتج إلى سلوك ولا إلى رياضة ولا إلى مجاهدة، ولم يحتج إلى علم السحق والمحق والفناء والبقاء، وأمثال ذلك من علوم الولاية، بل كانت النبوة تكفيه بالإيمان، فيكون علويًا في مشربه، لا يعتمد على كشف بل الإيمان يكفيه ويغنيه، كما قال عليّ أبو تراب ﷺ: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا**»، وكذا قال الإمام الرباني: «**ظهر لي طريق أقرب من طريق الفناء والبقاء وهو من مشكاة النبوة لا من مشكاة الولاية**» فكذلك كان ﷺ يقول: «**أغنانا النص عن الفص، وأغنتنا الفتوحات المدنية عن «الفتوحات المكية»**» ولقد صدق ﷺ فإن جميع سلوك القوم ﷺ ليتحققوا بحقيقة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] بحكم قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ [القصص:٨٨].

وهذا أمر أعلمنا الإيمان النبوي به من أول قدم، حيث أخبرنا الله أن الوجه الذي نسميه وجه الخلق هو من كونه خلقًا هالك عدم لا وجود له، بل هو وجه الله الحق، وذلك معنى الفرار إلى الله، فالإيمان هو الأصل والكشف هو الفرع، وهذا الفرع إن لم يوافق الأصل، فلا يعول عليه، إذ الكشف قد يدخله الخطأ؛ لأن المكاشف ليس بمعصوم والذي أتى بهذه الأخبار الإيمانية معصوم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وهذا الوحي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، فباب مدينة العلم النبوية غلب النبوة على الولاية فقال: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا**»، ولأجل هذه الحكمة سبَّح الحصى في كف أبي بكر وعمر، ولم يسبح في كف عليّ لعدم التفاته لخرق العوائد، فإيمانه بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] كفاه عن السماع، فخرق العادة إنما هو بسماع التسبيح، لا بنفس التسبيح وعليّ ﷺ غني بإيمانه عن ذلك السماع، فهو بالنص المنزَّل أثبت إيمانًا من أنه يسمع.

---

(١٤٦).

فإن قلت: فقد سبَّح الحصى في كفه ﷺ.

قلنا: ذلك لحاجة الأمة لا لحاجة النبي إلى ذلك.

وبما قررناه تعلم أن دائرة الإيمان أوسع من جميع الدوائر ولذا ورد: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[١٤٧].

المؤمن اسم الله وقد ورد: «**المؤمن مرآة أخيه**»[١٤٨] فكل منهما مرآة الآخر، وكل منهما واسع بوجه وموسوع بوجه، فمن كونه مؤمنًا يصدق ظننا فيه ويقول: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء**»[١٤٩].

ومن إيماننا نصدقه في جميع ما أخبر به حتى في الاستواء والنزول، والشرود والفرح، والضحك والعجب، والملل والجوع، والظمأ والمرض، وأنه سمع عبده وبصره ويده ورجله، كما جاء في الحديث.

وأما أهل الأدلة العقلية فبينهم وبين ربهم خلاف فهو يقول عن نفسه: إنه يفرح بتوبة عبده المؤمن، وهم يقولون: لا يا رب أنت منزه عن ذلك، فبئس هذا التنزيه الذي يئول إلى عدم تصديق البارئ فيما أخبر به عن نفسه، ولهذا خالفهم الداعي إلى الله على بصيرة، وقال: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[١٥٠] فبقوله: «**أنت كما أثنيت على نفسك**» ثبت كذب هؤلاء المنزهين في تنزيههم فالحق تعالى يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء**»[١٥١] وهم يقولون: كل ما خطر في بالك، فالله بخلاف ذلك، فألبسوا معبودهم حُّلة العدم المفقود مع أنه عين الوجود بل لا سواه موجود، وذلك عندنا معنى: «لا إله إلا الله» لقوله تعالى: **(فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ)** [البقرة:١١٥]، **(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ)** [الأحزاب:٤].

قال الله تعالى: **(وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ)** [طه:٨١].

اعلم- رحمك الله- أن غضب الله منشأه ترك المأمورات وفعل المنهيات، كما أن رضاه بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى عنه، فالعبد يعمل العمل الصالح الذي يُرضي الله

---

(١٤٧).

(١٤٨).

(١٤٩).

(١٥٠).

(١٥١).

فَيرضى، ويعمل العمل السيئ الذي يُغضب الله فيغضب، وهاهنا سؤال مهول؛ إذ من المعلوم أن الله (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) [الشورى:١١] فلا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء، فكيف أخبر عن نفسه أنه يتأثر من فعلنا بالرضا والغضب مع أنه تعالى قال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ) [العنكبوت:٦] والغني عن المخلوق لا يبالي لا به ولا بفعله؛ لغناه بنفسه عنه، فحينئذ ما معنى هذا الغضب المنسوب إليه بقوله: (وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ) [طه:٨١]، وحيث أخبر بقوله: (مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا) [الجاثية:١٥]، فلا ينفعه فعل العبد ولا يضره، وحيث لم يكن الأمر عائدًا عليه فما معنى قوله: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ) [محمد:٢٨].

وأعجب من التأثر بالرضا والغضب فرحه بتوبة عبده وكراهته الإساءة من عبده! فيتردد في قبض روحه، وأعجب من ذلك: نزوله من عرشه إلى سماء الدنيا وطلبه قضاء حاجة عبده! وأعجب من ذلك: اشتياقه إلى عبده! كما ورد: «**ألا طال شوق الأبرار إليَّ وأنا إليهم أشدّ شوقًا**»[١٥٢].

وأعجب من ذلك: طلبه أن يحبه عبده كما ورد، وحلفه بعبده كما ورد: «**عبدي وحقك أني لك محب، فبحقي عليك كن لي محبًا**»[١٥٣].

وأعجب من هذه العجائب كلها وأغرب إخباره بأنه يُؤذى، فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) [الأحزاب:٥٧]، وإخباره ﷺ أنه يصبر على الأذى فقال ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى من الله**»[١٥٤].

ولذلك طلب النصرة من عباده، فقال: (إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ) [محمد:٧] فهو الصبور على الأذى الشكور لمن نصره، فأين ذلك من قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ) [العنكبوت:٦]؟

والجواب عن ذلك: إن الله تعالى غني عن العالمين من جهة اسمه الجامع، الذي هو الدال على ذاته التي يندرج بها جميع العالمين، وجميع الشئون وجميع الأسماء وجميع المعاني المتفرقة، والوجوه والأحكام والاعتبارات، والمظاهر الحقيَّة والخلقية والغيبية،

([١٥٢]).

([١٥٣]).

([١٥٤]).

والشهادية والجبروتية، والملكوتية الروحانية والملكية الجسمانية، المندرج ذلك تحت الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، فذات الله تعالى جامعة لجميع ذلك، التي هي مدلول الاسم الجامع، وهو الله، وهي الغنية بنفسها عن العالمين، ولذلك كان الاسم(الله) يمحو بنفسه ما يشاء من سائر الأسماء، ويثبت بنفسه ما يشاء، إذ لولا ذات الواحد مثلاً، ما ثبتت الأعداد بأسمائها ومراتبها، مع أنه هو الذي يمحو جميع ذلك بنفسه، إذ لم يكن في جميع تلك الكثرة المتفرقة إلا الواحد، فهو الغني عن تلك الأعداد المتكاثرة بذاته؛ لأنها لم تكن غيره حتى يحتاج إلى غيره.

وبهذا اعترض «الغوث الجيلي» عبارة الشيخ الأكبر في قوله: إن العلم يتبع المعلوم على حسب ما هو عليه المعلوم في نفسه، فالعلم به مستفاد منه، فقال عن الشيخ الأكبر: إنه نهي؛ لأن المعلوم لم يكن غير الحق جلَّ وعلا.

كما أن علمه عينه، فبهذا المعنى علمه تعالى تابع لذاته، وهو عين ذاته، فلا إفادة ولا استفادة، والشيخ الأكبر بهذا المعنى لا يخالف الغوث الجيلي لقوله في كتابه «عقلة المستوفز»: إن الله علم نفسه فعلم العالم، فعْلمه بنفسه مستلزم لعلمه بالعالم، فمآل هذا الكلام أن العالم عين نفسه.

وقد نصَّ أيضًا أن علمه عينه، كما في «الفتوحات المكية»[١٥٥]، فلا خلاف حينئذ بينهما، والظاهر أن الشيخ الأكبر أراد أن المعلومات مراتب الذات من جهة الفرق والتفصيل، والعلم الإلهي كذلك، والاسم الإلهي المقدم قدَّم بعض الأسماء على بعض، كما أن الاسم المؤخِّر أخرَّ بعض الأسماء في المرتبة عن بعض، فكان تقديم المعلوم على العلم من جهة مراتب الذات المتفرقة المعاني، لا من جهة أحدية الذات.

ألا ترى أن كلام الله مثلاً بقوله للشيء: ﴿كُن﴾ [يس:٨٢] متأخر عن إرادته لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ [النحل:٤٠] فالإرادة متقدمة، وكذلك الإرادة متأخرة عن العلم الإلهي، والعلم متقدم عليها، وكذا يُقال في العلم مع الحياة، ولما رأى الشيخ الأكبر

---

[١٥٥] فقد قال الشيخ الأكبر في الباب الرابع والتسعين وأربعمائة «في معرفة حال قطب كان منزله: إنما يخشى الله» من «الفتوحات»: الخشية من صفات العلم الذي يعطي الخشية اللازمة له وعلى قدر العلم بها تكون الخشية المنسوبة إلى العالم، ولا أعلم بها ممن علمه عينه فلا أخشى منه للاسم الله لجمع هذا الاسم بين الأضداد المتقابلات، ومن هنا نزل قوله: (حَتَّى نَعْلَمَ) ولما كان الأمر الذي هو علة ظهور الممكنات أينما ظهر منها ليس إلا أحكام الأسماء الإلهية فما من اسم إلهي إلا وهو يخشى الله لعلمه بما عنده من الأسماء التي تقابل هذا الاسم الوالي في الحال صاحب الحكم فيقول كما ولاني ولم أكن واليًا على هذا المحل الخاص الذي ظهر فيه حكمي قد يعزلني عن ذلك بوالٍ آخر يعني بحكم اسم آخر إلهي.

أن الله تعالى في كتابه العزيز رتَّب العلم على الابتلاء فقال: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ) [محمد:٣١].

قال: إن العلم يتبع المعلوم، وهذا المعنى أيضًا قال به الغوث الجيلي في أول كتابه «الإنسان الكامل»، ولكن العلماء بالله تحت سلطان التجلي الإلهي، فمادام الواحد منهم محكومًا للتجلي الذي هو فيه لا يقدر أن يخرج عنه، فتراه أحيانًا يخالف غيره أو هو يخالف نفسه.

وفي الحقيقة لا خلاف جرى حتى يخرجنا عن المقصود، فلنرجع إلى ما كنا فيه حتى نستوفيه، وهو الكلام على قوله تعالى: (وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ) [طه:٨١].

فنقول: اعلم- رحمك الله - أن يقظة الوجود هو الإنسان المعبَّر عنه بالفؤاد، قال تعالى: (مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) [النجم:١١]، ولا يرى إلا ما هو منه، كما قال تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ) [النجم:٣٩]، كما قال تعالى: (يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ) [النبأ:٤٠] فاليد الواحدة للربوبية والثانية للعبودية، وكذا يقال في الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، وكذا يُقال في التنزيه والتشبيه، وكذا الجلال والجمال، وكذا الجنة والنار، والحقيقة الإنسانية هي المعبَّر عنها بالبرزخية التي هي قاب القوسين الرابط بين كل حقيقتين متقابلتين أو أدنى، وذلك هو عين الذات التي(يَشۡرَبُ بِهَا) وجودهم عِبَادُ(ٱللَّهِ)[الإنسان:٦]، ووجودهم هو نور السماوات والأرض، والسراج المنير لجميع الحقائق هو الإنسان الذي هو الفؤاد الذي تدور عليه جميع مظاهر العباد.

إذا تقرر ذلك فاعلم أن الإنسان لا يعود عليه إلا ما هو منه، قال تعالى: (سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ) [الأنعام:١٣٩] فمن الإنسان يتولد رضوان الله، ومنه يتولد سخط الله، ولفظة (الله) تقوم بذاتها عن كل معنى في الوجود.

ألا ترى أن الله قال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ) [فاطر:١٥]، فقد ناب هذا الاسم عن كل شيء نفتقر إليه حتى ملح العجين وشسع النعل.

إذا تقرر ذلك فاعلم أن كل أمة تُدعى إلى كتابها، وكتاب كل إنسان إما صور الجمال الذي هي الجنة، أو صور الجلال الذي هو النار، فيقال له: (ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا) [الإسراء:١٤] أي: لأنك ذلك الكتاب الذي أنشأته من حقيقة نفسك، فأما كتابك في عليِّين الذي هو صور الجمال، وأما في سجين الذي هو صور الجلال، ولنكشف

لك سر إنشاء الجنة والنار من الإنسان، بل أنشأ معانيها التي هي أسماء الجمال والجلال الظاهر تلك المعاني بصور الجمال الجنانية، وصور الجلال النيرانية؛ لأنه ما قام بحمل الأمانة[١٥٦] إلا الإنسان، فهو الموجد لأمانة مرتبة الإلوهية ومرتبة المألوهية بحقيقة ذاته؛ إذ باطنه رَبّ، وظاهره عبد، وباطنه حق وظاهره خلق، وباطنه منزه وظاهره مشبه.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الإنسان إذا أنشأ صور الجمال بالأعمال الصالحة لها فقد أنشأ سعادته التي هي مظهر الاسم الهادي، وهو الذي وفقه لها، وأضله عن إنشاء صور الجلال، وإذا أنشأ صور الجلال بالأعمال الصالحة لتلك الصور الجلالية فقد أنشأ شقاءه، الذي هو مظهر الاسم (المضل) وهو الذي أضله عن الصور الجمالية وهداه إلى الصور الجلالية، والهدى بالمعنيين هو من أعمال الإنسان الواردة من باطنه على ظاهره.

ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] أي: الطريقين، فإما أن يسلك طريق الرضا الجمالي، وإما أن يسلك طريق السخط الجلالي فالأعمال الجمالية معاني أسماء إلهية تخَلّق بها الإنسان، وفُجِّرت من عين ذاته، وهو الذي فجرها.

ألا ترى ما أشار إليه ﷺ بقوله: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[١٥٧] فأنت الأصل في ظهور رحمة الله ورضوانه، فيحل عليك بالتجلي هذا الاسم فيرفعك إلى أعلى عليين، فكان هذا العمل صورة الاسم الراضي، وروحه هو الرحمة، فتجلت لك رحمتك الباطنة بصورة رحمته الظاهرة، ورضيت عنك ورفعتك إلى أن تنظر الصورة الجمالية المعبَّر عنها بالجنة، وما قدَّمها إلا يدك التي هي يمين رضاك، وأما إذا أنشأت صور الجلال بتجليك بمعنى الاسم (الضَّار) مثلاً أو المسيء، فعملت عملاً سيئًا، فهذا المعنى له صور جلالية هي صورة الاسم (الغاضب) والاسم الإلهي (الجليل) روح تلك الصورة، فحَّلت عليه بالتجلي فيه فأهوته إلى منزل صور الجلال، فهو إلى منزلة الحاوي تلك الصور الجلالية التي أنشأها من أخلاقه التي هي معاني أسماء الجلال المنطبعة فيه، وذلك مظاهر اليد الشمالية والصور النيرانية.

فالذي قدَّمه أولاً وردَّ عليه آخرًا ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٩] فما حكم عليك

---

(156) ردُّ الأمانات إلى أهلها تسليم أموال الخلق لهم بعد إشرافك عليها بحيث لا تفسد عليهم، ويقال لله سبحانه وتعالى أماناتٌ وَضَعَها عِنْدَك؛ فردُّ الأمانة إلى أهلها تسليمها إلى الله سبحانه سالمةً مِنْ خيانتِكَ فيها؛ فالخيانة في أمانة القلب ادعاؤك فيها، والخيانة في أمانة السِّرِّ ملاحظتك إياها، والحُكْمُ بين الناس بالعدل تسويةُ القريب، والبعيد في العطاء والبذل، وألا تحملك مخامرةُ حقدٍ على انتقام لنفسٍ [تفسير القشيري (٤٩١/١)].

(١٥٧).

سواك؛ إذ باطنك هو الحاكم عليك بما حكم ظاهرك،وكلاهما لك أيها الإنسان، وهذا معنى قوله تعالى: **(يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ)** [النبأ:٤٠] والحكم للغالب.

وأعلم أن قوله تعالى: **(يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ)** [النبأ:٤٠] أي: من الجمال والجلال، وهو مقتضى ما ورد في الحديث من أن لكل فرد من أفراد الإنسان موضعًا في الجنة نشأ من أفعاله الخيرية، وموضعًا في النار نشأ من أفعاله الشرِّية، إلا من كان برزخًا في المقام كالأنبياء والأولياء عليهم السلام.

ألا ترى ما قاله أبو يزيد: ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي، ليس مع الجنة ولا مع النار، بل هو من الذين قال الله في حقهم: **(وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلاَّۢ بِسِيمَىٰهُمۡ)** [الأعراف:٤٦] ورجال الأعراف منهم عوام، وهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيدعون إلى السجود حين يُكشف عن ساق الجمال فيئول أمرهم إلى الجنة، وأما الخواص فالجنة والنار تحت حكمهم، فلهم باطن سوء الأعراف، الذي فيه الرحمة، فمن هذا الباطن يرحمون من شاءوا، **(يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ)** [الجاثية:١٤].

وقد قال ﷺ لعليّ عليه السلام : «**أنت قسيم الجنة والنار**»[١٥٨] فقسيم فعيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحم، أي: قاسم الجنة وقاسم النار، وذلك لأنه ذاتيُّ المقام لا تحكم عليه الأسماء، ولذا قال له: «**إن لك بيتًا في الجنة وأنت ذو قرنيها**»[١٥٩] أي: طرفيها، فالقرن الواحد الأولية، والثاني الآخرية، وكل منهما له ظاهر وباطن، فالنار الظاهرة باطن الجنة، والجنة الظاهرة باطن النار.

ألا ترى قوله ﷺ: «**القابض على دينه كالقابض على الجمر**»[١٦٠] فعذابه في الدنيا بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، هو جنته آخرًا وسجنه أولاً، وكذلك من أضاع الصلاة واَّتبع الشهوات فنعيمه في الدنيا استحال عذابًا في الآخرة، ثم يدور الدور ظهورًا وبطونًا في الآخرة، فيبطن جلال الجنة ويظهر في النار، ويبطن جمال النار ويظهر في الجنة، فيرث السعيد جمال الكافر ويرث الشقيُّ جلال المؤمن، فالسعيد هو الذي أنشأ رضوان الجنة، وجنته التي أنشأها من أعماله أو أخلاقه، والشقيُّ أنشأ مالك جلاله، فكان

---

(١٥٨).

(١٥٩).

(١٦٠).

خازن أعماله.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الجنة والنار كل واحدة مرآة للأخرى، وأول كل واحدة باطن الأخرى، وآخرها ظاهر الأخرى فإذا (ٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) [القيامة:٢٩]،كان (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ) [القيامة:٣٠]، فيتحد الأول بالآخر والظاهر بالباطن، ومن هنا تفهم ما آل قوله تعالى في حق إبليس: (وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) [ص:٧٨]، وذلك لأن حقيقة النفس واحدة، والله تعالى قال: (فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا) [الشمس:٨] أي: ما تتقي به فجورها، كما ورد: «**إن الصدقة تطفئ غضب الرب**»[١٦١].

فالعجب للإنسان يغضبه ويطفئ غضبه، بل يُفرحه بتوبته ويستجيب لدعوته، بل يؤاخذه على حسب ظنه ونيته، ومن الفجور الإبليسي والتقوى المحمدية بحسب طويته، فما ثَمَّ إلا نفسه تظهر بصورتين هما اليدان، فإذا عرف نفسه نطقت الحقائق عنه، وكلتا يدي ربه يمين مباركة، فالفجور جلال والتقوى جمال للنفس الواحدة وهما يتفجران منها، فالجنة منها والنار منها، وآدم منها وإبليس منها، فالعين واحدة والحكم مختلف فإذا تجلت الأحدية زال الاختلاف، وحصل الائتلاف.

بل نقول: إن أسماء الله تتفجر منها؛ لأنك مثلاً إن رحمت فأنت الرحمن الرحيم، وإن حَلِمت فأنت الحليم، وإن صبرت فأنت الصبور، فإذا برزت هذه المعاني كانت في العالم اللاهوتي أسماء الله، وفي العالم الجبروتي أرواحًا مطهَّرة هي مظاهر تلك المعاني من جهة أنها أرواح غيبية، فتتجلى تلك الأرواح المطهرة بأشباح ناسوتية، فتكون ملائكة مسخرة، أو صور نعيم، أو صور عذاب، فإن كان الإنسان أحديَّ الذات يرى سريان ذاته بجميع تلك الأسماء والصفات، فهو مُجلي المبايعة الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

ألا ترى ما أشار إليه ﷺ لمَّا قال له عمه العباس: ما نرى ربك ألا يطيعك فقال: «**وأنت يا عم لو أطعته لأطاعك**»[١٦٢].

فما تلك الطاعة إلا لباس الخلقة الإلهية التي نخاطبها بقولنا: (ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ) [آل عمران:٢٦] فإن معنى الآية لا يقوم إلا بصورة جامعة الحقائق، فافهم (وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ) [الأحزاب:٤].

وارد:

([١٦١]).

([١٦٢]).

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:٦٤].

اعلم ـ أيَّدك الله ـ أن ذات الله تعالى هي الكنز المخفي الذي يحرم التفكير فيه؛ لأنه الغيب الذي لا يُعلم من حيث البطون الغيبي، فلا تصل إليه العبارة ولا تتوجه إليه الإشارة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠] أي: من وراء الظهورات، فالكنز المخفي غيب لا يصح ظهوره من حيث هو، وإلا لبطل سر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] فكل ما بدا من ذلك الغيب خرج عن اسم الغيب وصار الغيب من ورائه.

وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ [المجادلة:٧]، فأخبر تعالى عن انفراده بذاته، فلا يُقال: إنه ثالث ثلاثة أو خامس خمسة من جهة الغيب المطلق الذي تؤمن به، ولذلك ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]؛ لأنه فاتهم مرتبة البطون الذاتي المشار إليها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠] وهي مرتبة الانفراد عن الثلاثة، كما قال: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة:٧] وهي الغيب الذي لم يظهر، فلا يزال المؤمن متعلقًا بمرتبة الغيب، ولذا قال الإمام الربَّاني ﷺ: الناس فرحون بالرؤية الموعودة في الآخرة وكل همي وابتلائي ألَّا يخرج الأمر من العلم إلى العين، ومن الغيب إلى الشهادة[١٦٣].

يرى ﷺ أن الغيب إذا ظهر إنما هو غيب نفسك، فلا ترى إلا نفسك، فهو طائرك الملزم في عنقك لا الغيب المطلق الله هو الله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١] وقال ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[١٦٤].

ولولا أن الأمر كذلك ما سُمي محمدًا ﷺ عبدًا، ولكان ربًّا مطلقًا من كل وجه، وبهذا المعنى مُنع موسى عليه السلام رؤية الله وقيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]؛ لأن الغيب ولو ظهر بعض مظاهره فمظاهره لا تتناهى، فهي غير محصورة فلا تمكن رؤية الله من جميع

---

(١٦٣) فأهل ستر الغيب أحياء، مستغرقون لا يموتون فيها بالحقيقة من سكون أرواح معرفته في أسرارهم، وأحاطت أرواح بقائه على أرواحهم، ولا يحبُّون فيها بالحقيقة لصولة سطوات عظمته الأزليات عليهم، وإذا أبصرتهم بالحقيقة فعن إدراك كنْه القدم أموات غير أحياء، إذ لا سبيل للحدث في القدم بنعت إدراكه، لكن هم في حسبان من حلاوة أوقاتهم في إدراكه، وما يشعرون أنهم لا يدركون أبدًا، لكن إذا طلع صبح الوحدانية عليهم، وباشرهم أنوار شموس الذات، وأقمار الصفات، يقومون به معه بوصف الحياة الباقية، والعلم بفروع الربوبية، ولكن لا يعرفون أيان يبعثون في هذه المنازل، كأنَّ الأوقات هناك وقت واحد بنعت تسرمد السرمدية والأزلية سبحانه وتعالى.

(١٦٤).

الوجوه، فهذا معنى: (لَن تَرَىٰنِي) وقال ﷺ لما سُئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أنى أراه**»[١٦٥] وقالت عائشة رضوان الله عليها: «**من يزعم أن محمدًا** ﷺ **رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية**»[١٦٦] فلا يزال الله تعالى كما قال: (وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ) [البروج:٢٠]، وإلا فقد رآه موسى في النار، أي: رأى غيبًا من غيوب الحقيقة الموسوية، فخاطبه غيبه وقال: (إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى) [طه:١٢]، فأشار بقوله: (طُوٗى) أنه ما رأى إلا ما انطوى عليه باطنه، قال قائلهم:

كنار موسى يراها وعين حاجته وهي الإله ولكن ليس يدريه

فالرؤية الموعودة في الآخرة رؤية ربك المناسب لباطن ذاتك، وهو الذي كان يربيك في الدنيا ويُدبِّرك يظهر فيك بالشئون التي كنت عليها، فبحسب ما كنت عليه من العقيدة فيه تراه، فالرؤية في الآخرة واحدة، ولكن لا يقبل الرائي منها إلا ما يشاكله بما كان يعتقده في ربه، فالمرئي واحد، ولكن تختلف صوره عند الرائين.

وقد ورد في الحديث: «**إنه يتجلى لقوم فيتعوذون منه وينكرونه، فإذا تجلَّى لهم بما يعرفون قالوا: نعم أنت ربنا**»[١٦٧] وهو هو؛ لأنه عين كل أول وآخر وظاهر وباطن، ومن وراء ذلك محيط، فلا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، حتى هو تعالى، وإن كان يعلم نفسه لكنه لا يحيط بها؛ لأن ذاته لا تدخل تحت إحاطة علمه، فلذلك انفرد عن جنس ما ظهر من الغيب بقوله: (مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ) [المجادلة:٧]، ومن العجب أنه عين الثلاثة وعين الرابع المنفرد وعين الخمسة وعين السادس المنفرد، والحاصل أن النهايات رجوع إلى البدايات، وهو مقام الأنبياء والرسل وكل الأولياء.

وذلك معنى قولهم على مذهب المحققين: خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله وهو عندنا إثبات كمال الأنبياء لا الأولياء، فالبحر مرتبة العيان، والساحل مرتبة الإيمان.

أقول: إن هذا الساحل بحر لا يُخاض لا لأنبياء ولا لأولياء، ولكن هو الذي استأثر الله به في علم الغيب عنده، فإذا ظهر من هذا الغيب تجلي كان بحرًا يخوضه الأولياء؛ لعجزهم عن الجمع بينه وبين الساحل، وإلا فلا حاجة إلى الخوض؛ لأن بحر الأولياء بالنسبة إلى الأنبياء ساحل؛ لأن جميع علومهم مجموعة في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ

([١٦٥]).

([١٦٦]).

([١٦٧]).

أَنفُسِهِمۡ) [فصلت:٥٣] والبحر عند الأنبياء هو الغيب الذاتي الذي استأثر الله به، فسير الأنبياء إيماني مع وجود العيان.

وهذا المعنى هو الذي نبه عليه الإمام الرباني ﷺ، فالحق مشهود لا مشهود، معلوم لا معلوم، منظور لا منظور، فأين الفرح بالرؤية الموعودة في الآخرة أو غيرها، وأي حاجة لرؤية الآخرة بعد قوله تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥] فآخرة المؤمن موجودة حاصلة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولذا قال الله في مثل هؤلاء ممن ليس له ذوق شراب النبوة وهم الذين يطلبون ربهم من حيث المغايرة لهم: (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ) [النساء:٦٤] بأن لم يعرفوا قدر أنفسهم من أنها وجه الله تعالى الظاهر،(جَآءُوك) أي: جاءوك يا محمد، فشاهدوا الله تعالى فيك، وردهم إيمانهم إليك؛ لأني أنزلت عليك: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] (فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ) [النساء:٦٤] عن علم ومعرفة بالله، وحضور ومعاينة مطابِقة لظاهر الإيمان بلا تأويل، فحينئذ يستغفرون الله من جهلهم بالله، (وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُول) من وجودهم مع الرسول فينقلبون إليه انقلاب الفرع إلى أصله، فيجدون الله فيهم كما وجدوه في الرسول بشهودهم أنهم عين الرسول الذي هو عين الله، فيكون للفرع ما كان للأصل، فلذا قال تعالى: (لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) [النساء:٦٤] أي: لعلموا أنهم في أنفسهم عين التواب الرحيم، حيث إنه هو التواب لا هم، فتاب من نفسه التي كانت محجوبة عنها إلى نفسه العالمة بنفسها، فهو التواب من نفسه لنفسه على نفسه فيهم، فتوبة الله عين توبة من رُفع عنه الحجاب فتاب من رؤيته، إنه تائب بشهود التواب، كما قيل: قد تاب قوم كثير، وما تاب من التوبة إلا أنا.

ومن هنا قال ابن عطاء الله ـ قدس الله سره ـ في كتابه «التنوير»: لمَّا نزل قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ) [التوبة:١١١] اقتسم السامعون إلى قسمين:

قسم فرحوا واستبشروا وابيضَّت وجوههم فرحًا بهذا البيع؛ لأنهم سلموا الثمن الذي كانوا يملكونه وهو أنفسهم وأموالهم المضافة إليهم، وأخذوا الجنة من الحق عوض ذلك الثمن، فلهؤلاء قصور من فضة تشاكل بياض وجوههم.

وقسم حزنوا وخجلوا واصفرَّت وجوههم خجلاً من الله، حيث عامل العباد بحسب جهلهم، فأضاف الأنفس والأموال إليهم وهي له تعالى، فهؤلاء لما اصفرت وجوههم خجلاً

من الله، حيث لما علم دعواهم في ملك الأنفس والأموال أضافها إليهم، واشترى منهم ما هو مملوك له لا لهم، فجازاهم الحق تعالى بما يشاكل اصفرار وجوههم، فلهم قصور من ذهب.

أقول: العارفون المحققون لا باعوا ولا اشتروا، وإنما الأمر ظهورات وتجليات، بل الأسماء الإلهية تظهر بالمعاني كلها، والمسمى واحد، وإلى ذلك أشار سلطان العاشقين منبهًا على هذا المعنى بقوله ﷺ:

أهْوَى رَشًا رُشَيْقَ القدّ حُلَيّ   قـد حكّمَـه الغَـرامُ والوَجْـدُ عَلَـيّ
إن قُلتُ خُذِ الـرّوح يَقُلْ لـي عَجَبًا   الرّوحُ لنا فهاتِ من عندِك شَـيْ

وهذا المقال أعدل شاهد لابن الفارض رضوان الله عليه أنه فاني في حقيقة الرسول ﷺ؛ لأن قوله: الروح لنا إشارة لقوله: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[١٦٨] فجميع الأرواح من تلك الروح بل جميع الأشباح أيضًا، فلذا قال: فهات من عندك شيء، أي: أنت مني، فما الذي لك؟

قال تعالى: (ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ) [الأحزاب:٦] وفي الاعتبار: الإيمان ساري في كل شيء؛ لقوله تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ) [الإسراء:٤٤]، ولا يسبّح بحمده إلا من يؤمن به، فالنبي حقيقة كل مؤمن، أي: حقيقة كل شيء، وتلك الحقيقة مشهودة في مظاهر الوجود يراها أهل المعرفة والشهود، ولذا قال ابن الفارض ﷺ:

تـراهُ إن غـابَ عنّـي كُـلُّ جارحـةٍ   فـي كـلّ مَعنـى لطيـفٍ رائـقٍ بَهـجِ

أي: إن غاب عني بشخصه الظاهر المعلوم للعامة، فأنا أراه في كل معنى لطيف رائق بهج، وحيث إن مظاهر الوجود صور حقيقته الروحانية النورانية فكلها معنى لطيف رائق بهج، ولذلك قال القائل:

ويقبحُ من سواك الفعل عندي   فتفعلـــه فيحُســـنُ منـــك ذاك

وقال آخر:

فمــن شــهد أن الله هــو الفاعــل   فقــد بــدلت ســيئاته حســنات

([١٦٨]).

وإلى ذلك أشار ﷺ في وصف البحر فقال: «**هو الطهور ماءه الحِل ميتته**»[169].

ولكن علامة المتحقق بهذا المشهد ما قاله بعضهم في الصوفي من أن ملكه مباح ودمه هدر، وهذا هو المسمى عن الحقيقة، فمن كان لا يطالب أحدًا بملكه ولا بدمه؛ لأن الآخذ والقاتل هو، فليفعل ما شاء، فإنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو وارث النبي ﷺ في آية الفتح المبين.

ألا ترى أنه ﷺ لما أعطاه الله دعوة خاصة لنفسه كما أعطى الأنبياء قبله أباحها لأمته، وأخذ العهد من ربه ألاَّ تُرد شفاعته في واحد منهم، فقبل الحق منه ذلك.

وقد أشار إلى هذا المعنى في قوله: «**إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[170] والسر في ذلك أنهم ما ملكوا حتى يورثوا، وأما قوله: **(وَوَرِثَ سُلَيۡمَـٰنُ دَاوُۥدَ)** [النمل:١٦].

فالقصد الأعظم وراثة العلم والنبوة وغير ذلك من المال[171] بالتبع، فلا يلتفت إليه، فسليمان عليه السلام ما ملك المال وإنما هو خازن له لأربابه يعطيه لهم عن كشف وبصيرة، فيعطي الشيء لصاحبه ويمنع الشيء عمن ليس بصاحبه، ولذلك لا حساب عليه في العطاء والمنع؛ لأن عطاءه عطاء الله ومنعه كذلك.

قال تعالى: **(هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ)** [ص:٣٩]، لأن المالك هو الله والله لا حساب عليه؛ فافهم ما أشرنا إليه: **(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ)** [الأحزاب:٤].

وارد: دوري

قال الله تعالى: **(وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ۖ)** [البقرة:٣٠] وفي آية ثانية: **(إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ)** [ص:٧١].

---

(169) فمَنْ نظر إلى زينة الأموال التي هي زينة الملك صار حاله حال سليمان- صلوات الله عليه - لأنه كان ينظر إلى شرف جلاله بإعطاء الملك إياه، ومَنْ نظر إلى خضرة الدنيا وتابع شهواتها صار كالبلعام، فمثله كمثل الكلب، وأي الابتلاء أعظم من رؤية الملك ورؤية الربوبية في الكون؛ لأنه محل الالتباس، فمَنْ كان محتجبًا بهذين الوسيلتين عن رؤية الفردانية، بقي في تهمة العشق خارجًا عن نعوت الفردانية والوحدانية.

(١٧٠).

(١٧١).

اعلم ـ رحمك الله ـ تعالى أن الدور منسحب على كل شيء في الوجود لقوله تعالى: **﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾** [الأنبياء:١٠٤] وقال تعالى: **﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾** [الروم:٢٧] فمن ترابية آدم إلى ترابيته دور، ومن طينته إلى طينته دور، ومن خلافته إلى خلافته دور، فعلمنا أن آدم خلقه الله من ترابية نفسه ومن طينة نفسه[١٧٢]، وخلافته متقدمة بحكم قوله: **﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾** [الروم:٢٧].

والخلافة وجميع الأحوال والألوان والأشكال والتطورات بأجمعها خلق، فيبدأ الله كل خلق من أي نوع كان ثم يعيده، وبيان الدور أن آدم كان جسدًا إنسانيًا فمات فاستحال جسده الترابي ترابًا للدور، وترقت روحه لعالم الأرواح البرزخي، فكانت روحه في الجنة البرزخية على صورة الإنسان بحكم الدور أيضًا، ولابد بعد الترقي من التدلي، فلما انتهى عروجه في عالم الأرواح وأراد الحق تعالى تدليه ونزوله إلى عالم الأشباح خلق الله تعالى من نفسه زوجة له على شاكلته تسمى حواء، فلما أكل من الشجرة المخلوقة من عالم العناصر المحسوسة هو وزوجته أُهبِطا إلى العالم الحسي، فكان ذلك هبوط تدلي كنزول الحق إلى سماء الدنيا، وذلك الهبوط للعالم الحسي دور أيضًا، وكانت خلافته في الأرض أيضًا دور.

ونظيره في الترقي والتدلي روح الله عيسى عليه السلام، فتدلى للصورة البشرية، ثم لما دار الدور رفعه الله ورقّاه للمرتبة الروحية، كما قال تعالى: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾** [النساء:١٥٧،١٥٨] فبهذا الرفع صار روحًا لا يأكل ولا يشرب ولا يتقيد بمكان خاص، وحينما ينتهي ترقيه بالمعنى الروحاني يدور الدور إلى نزوله إلى العالم الجسماني، ويكون خليفة حَكم ظاهرًا وباطنًا، كما ورد الحديث الصحيح بنزوله، فمن هذا المعنى قال الله تعالى: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾** [آل عمران:٥٩] أي: في الترقي والتدلي.

وانفرد آدم بما أخبر الله عنه أنه خلقه، أي: خلق آدم من تراب، فإن قلت: فهل لمحمد ﷺ من دور؟ قلت: صح في الحديث أن محمدًا ﷺ قال: «**إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلقه الله**»[١٧٣] وذلك أن الروح المحمدي أول ما خلقه الله تعالى، كما ورد: «**أول ما خلق**

---

(١٧٢) لأن الولد نتيجة، والنتيجة فرع الأصل؛ فكان آدم أبو البشر عليه السلام من أهل هذا المقام؛ لأن الله تعالى خلقه لا عن أبوين، فكان على صورة خالقه؛ ولذلك كان مسجودًا وليست السجدة إلا لله تعالى؟ ومن هنا قالوا: ظاهر الكون خلق، وباطنه حق، ومَن صفا قلبه؛ كان كأنه لم يلد ولم يولد، وإن كان والدًا ومولودًا.

(١٧٣).

الله روح نبيك يا جابر»[١٧٤] وفي رواية: «**نور نبيك يا جابر**» [١٧٥] ولابد أن تكون هذه الروح المحمدية التي هي نورانية القديم المتدلي من غيب ذاته ظاهرًا بصورة خاصة، وإلا لا يصح قوله: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[١٧٦].

وفي ذلك الوقت كان الطالع برج الميزان، فلما استدار الزمان وآن الأمر في الدوران إلى برج الميزان أوجد الله جسم محمد وظهرت نبوته الجسمية في برج الميزان؛ لحكم الدور الزماني الذي أخبر عنه أنه استدار.

فإن قلت: فهل الصورة النبوية التي كان محمد ﷺ ظاهرًا بها على صورة البشر أم على صورة الملك؟

قلت: روى صاحب التشريفات عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل ﷺ فقال: «**يا جبريل، كم عمَّرت من السنين؟ فقال جبريل:لا أدري، إلا أني أعرف كوكبًا يظهر في الحجاب الرابع كل اثنين وسبعين ألف سنة مرة، فرأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال** ﷺ: **يا جبريل، وعزة ربي أنا كنت ذلك الكوكب**»[١٧٧].

ولا يخفى عليك أن هذا التجلي الكوكبي لجبريل إن كان حسّيًا فهو على ظاهره صورة كوكبية، وإن كان التجلي برزخيًا فيؤول الكوكب بصورة إنسانية.

ألا ترى أن يوسف الصديق ﷺ رأى إخوته في عالم البرزخ بصورة الكواكب، ورأى أباه وخالته بصورة الشمس والقمر، فلما سجدوا جميعًا له في العالم الحسي قال: **(هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)** [يوسف:١٠٠] أي: حسًّا.

فإن قلت: لاشك أن النبي ﷺ كان نبيًا وآدم بين الماء والطين، وورد أيضًا: «**كنت نبيًا ولا ماء ولا طين**»[١٧٨] فعلى من كان نبيًا هل كان نبيًا في عالم الأرواح أم في عالم الأشباح من ذرية آدم في الدور الأول الذي كان فيه آدم وذريته قبل آدمنا الذي نحن من ذريته كما يقتضيه حديث: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[١٧٩] أي: صورته في الدور الأول، وهي

---

[١٧٤].
[١٧٥].
[١٧٦].
[١٧٧].
[١٧٨].
[١٧٩].

عين صورة الحق على مرجع الضمير إليه تعالى أم كيف الأمر؟

قلت: قد قال الغوث الكامل سيدي ومولاي الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ: إن للقطبية ستة عشر عالمًا، أحاطوا الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد منها، فيقتضي كلامه أن الخمسة عشر عالمًا الباقية كل عالم منها فيه دنيا وآخرة، وآدم وذريته، وهذا للقطبية فما بالك بالنبوة التي القطبية فرع من فروعها! هذا شيء لا يعلمه على التفصيل إلا الله؛ لأنه من الغيب الذي نؤمن به.

وقد قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] فأخبر الله تعالى أنه كان فاعلاً لتلك الإعادة، فلا يزال الله يبدئ ويعيد، وكذلك نحن الآن في لبس من خلق جديد، فنبهنا الله تعالى بقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق:١٥] فنحن آخر للخلق الأول، وأول للخلق الذي بعدنا ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف:١٠٩]، وليست كلماته إلا موجوداته، فإن كل موجود مظهر قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:٣٥] الموجود صورة من حكم الاسم المصور، والاسم المصور قديم، فنبوة المصطفى قديمة.

فإن قلت: فما هي الجنة التي كان فيها آدم ثم تدلى منها إلى الأرض وحجب عنها؟

قلت: إن الله تعالى قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] وأخبر ﷺ أن ابن آدم يَبلى إلا عجب الذنب، وهو الجوهر الفرد الذي يركب عليه الخلق، فأعاد الله آدم من طينته السابقة وتربته الأصلية، وبقي من تلك الطينة الآدمية السابقة في الدور الأول الذي قبل دوره قدر السمسمة، فأنشأ الله تعالى مما بقي من طينة آدم ـ الذي هو قدر السمسمة ـ أرض هنا ومساكن وبحورًا وأشجارًا وعوالم لا يعلمها إلا الله، حتى أن ثمار تلك الأرض تكون الثمرة كالجبل العظيم، ويقبض عليها الإنسان بيده الصغيرة بدون أن تصغر الثمرة أو تَعظُم اليد.

فهذه عوالم تسمى عوالم القدرة، فما كان آدم إلا فيما هو مخلوق من حقيقته، وما كان إلا فيما يشاكله من طينته، وفي أرض السمسمة جنات لا يعلمها إلا الله، وهذه الأرض مربوطة بعالمنا الحسي، فمتى تجرد الإنسان عن بشريته إلى روحيته دخل هذه الأرض، وجنة الإنسان الموعود بها بعض هذه الأرض، كما أن الدنيا والآخرة من الحقيقة الإنسانية التي هي نور محمد ﷺ.

إن تنبهت لما ورد من أن الإنسان إذا وضع أصبعيه في أذنيه سمع خرير نهر الكوثر

علمت حقيقة الأمر في أن هذه الأرض مربوطة بغيب الإنسان وروحه لا نفسه الحيوانية ولا حسه، فلما أكل آدم من الشجرة التي نهاه الله عنها استحال بشرًا، فتدلى من عالم القدرة إلى عالم الحكمة المنوط بظهور الأشياء على مقتضى ترتيب أسبابها، وذلك العالم الأول هو عالم: ﴿**كُن فَيَكُونُ**﴾ بلا ربط بأسباب، ومن تلك الأرض كان الحجر الأسود الذي في الكعبة المشرفة أبيض من اللبن، وكان ياقوتة من يواقيت الجنة فاسود من قتل قابيل لهابيل، ومن لمس النساء الحيض، كما ورد في الحديث: «**وسيعود له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق**»[١٨٠] كما ورد.

فلما نزل آدم لأرض الحكمة احتاج الأمر إلى عمارة مساكن وغرس أشجار وزراعة فروع وحياكة ثياب، وفي عالم الحكمة الجوع والظمأ والمرض والموت، ومن هذا التجلي ورد الحديث القدسي: «**جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني**»[١٨١] وورد النسيان الإلهي والعجب والضحك والملل، وورد أنه تعالى يُؤذى ويُسب ويُشتم، وكل ذلك في ضمن قوله: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[١٨٢] فلا صورة كاملة للحق تعالى تطابق مرتبة التنزيه ومرتبة التشبيه إلا آدم أو خليفته من نوع العالم الإنساني؛ لأن كل فرد من بني آدم على صورة آدم. فافهم ذلك.

ولولا هذه الصورة المطابقة لجميع أسماء الله ما كانت الخلافة في الأرض، ومن هذا الكمال سجدت الملائكة للخليفة، وكمال الله تعالى قديم؛ لأن معاني الإلوهية لا تنقطع بحال، وإن أردت زيادة الكلام على أرض السمسمة فعليك بـ«الفتوحات المكية» للشيخ الأكبر وبـ«الإنسان الكامل» للغوث الجيلي رضي الله عنهما، فكل منهما عقد لها بابًا، حتى أن أشجارها تنطق وتتكلم وقال فيها الغوث الجيلي ﷺ:

أرض مــن المســك النقــي ترابهــا ومــن الجــواهر ربعهــا وقبابهــا

وقال الشيخ الأكبر: إذا مات الإنسان في الدنيا وكان واحد من أهل الدنيا عندهم في تلك الأرض تحصل عندهم زلزلة، فيعلمون أن من عندهم مات واحد من أولاده أو أقربائه فيخبرونه بذلك.

الحاصل أن تلك الأرض التي هي من عالم القدرة أرض الأرواح، ومن معناها يكون

---

(١٨٠).

(١٨١).

(١٨٢).

القبر روضة من رياض الجنة، فهي عليون؛ لأن عالم الأرواح له العلو للمشاكلة، وأما حفر النار فهي سجين، والدنيا سجن المؤمن؛ لأنها من عالم التقييد، ومن عالم التقييد يكون القبر حفرة من حفر النار، وصاحبه محجوبًا، قال تعالى: (كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) [المطففين:١٨] وقال: (كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ) [المطففين:٧] والمسجون محبوس مقيَّد عن الإطلاق الروحاني، فإن أقمت جدارك ظهر لك كنزك المخبأ لك.

قال تعالى: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) [الشمس:٩،١٠] وقال تعالى: (سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ) [الأنعام:١٣٩] وقال تعالى: (إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ) [الطور:١٦] فليس الجزاء إلا ما أنشأته لنفسك، قال تعالى: (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ) [الزلزلة:٧، ٨]، فانظر ماذا ترى، فإن كنت ترى الله فقد أفلحت، وكتابك في علو الحق، وإلا ففي سجين الخلق.

وليت شعري لمَّا نزل آدم من الجنة، وتدلى إلى الدنيا هل تدلى معه طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، وتغيرت صورة جميع ذلك كما تغير الحجر الأسود؟ وكما (بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ) [الأعراف:٢٢] أم هو وحواء أنشأ كل منهما طعام الدنيا ولباسها ومساكنها؟ إذ الزرع لابد له من زارع، والشجر يحتاج لغارس، والمسكن يحتاج لباني، والثوب يحتاج لناسج، هكذا الأمر في الدنيا التي هي عالم الحكمة، فمن علم أن محمدًا ﷺ على من كان نبيًا قبل آدم علم جميع ذلك.

ألا ترى ما قاله سيدي داود بن باخلا رضي الله عنه: لو علمت قدرك قبل أبيك آدم لندمت إلى الممات، وهاهنا أبحاث غامضة لولا أني ألزمت نفسي ألَّا أنطق إلا بما ورد في الكتاب والسُّنَّة لا بالإلهام، ولا بالوارد الذي لا أجده في الكتاب والسنة لأطلت هذا المقام، ولكن مرجعي لما أطلعت عليه من القرآن العظيم وحديثه ﷺ، وأقول كما قال الغوث الجيلي رضي الله عنه في «الإنسان الكامل»:

لـم ابـن أسَّ رسـالتي إلا علـى أنـي أكـون لدينـه كالخـادم

(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ) [الأحزاب:٤].

وارد: الغيرة وهو محل الحيرة

ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن سعدًا لغيور وأنا أغير منه، والله أغير مني ومن غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[١٨٣] وفي الحديث

---

(١٨٣).

أيضًا: «**أن الله يغار أن يزني عبده أو تزني أمته**»[184] وهاهنا سؤال الغيرة إنما تكون من وجود الغير، ولا غير يشاركه تعالى في أفعاله فكيف يغار ممن لا وجود له في الحقيقة ولا فعل له؟! قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] فسلب الرمي عن محمد ﷺ وأثبته لنفسه، وقال أيضًا: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٦] مع قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، فلِمَ لم يدفع الذي لا يرضاه وهو على ما يشاء قدير.

وفي هذا المعنى حصلت المناظرة ما بين الأشعري والمعتزلي، فقال المعتزلي: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأشعري: سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيريد ربنا أن يُعصى؟ فقال الأشعري: أيُعصى ربنا كرهًا؟ فبُهت كل منهما ووقع في حيرة لا مخلص منها.

فكيف يكون أصل الشيء منه ويغار منه ويحرمه للغيرة؟ وهل يقع في الوجود شيء بدون قضائه وقدره وإرادته؟ وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، فما معنى الغيرة حينئذ ولا مرد لقضائه؟ كما قيل:

يقول لي استقم ويريد مني   مخالفة يؤكدها الشهود

وقال الآخر:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

فبماذا يُكشف هذا المعضل، ويحل هذا المشكل؟ فأستعين بالله وأقول في الجواب والله الموفق للصواب: ورد الحديث القدسي عن الله تعالى أنه قال: «**كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني**»[185].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه ينبغي أن تعرف أولاً معنى كون الحق كان قبل خلق الخلق كنزًا مخفيًا لا يَعرف، وذلك أنه تعالى بدون ملاحظة ظهوره في المظاهر لا يسمى باسم ولا يوصف بوصف، ولا يحكم عليه بحكم، لا تنزيهي ولا تشبيهي؛ لأن كلاً من التنزيه والتشبيه مربوط ثبوته بثبوت الآخر، فلولا التنزيه ما عُرف التشبيه وبالعكس، فالحق بلا ملاحظة الخلق طمس محض، وعماء صرف، بل لا يعرف أيضًا لا باسم الطمس، ولا باسم العماء، ولا باسم الأحد، ولا بأنه ذات، ولا صفات ولا وجود ولا عدم، وهذا هو معنى

([184]).

([185]).

الكنز المخفي حتى عن اسم الكنز المخفي، ثم إنه تعالى تنزل وتدلى إلى المعاني الأسمائية من الحقائق الغيبية فقال في حق نفسه: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ) [الحديد:٣] فقدَّم الاسم (هو) ووصفه بالأولية وهي مرتبة البطون، والآخرية وهي مرتبة الظهور، وكلا الطرفين هو، فاستوى في حقه الأول والآخر والظاهر والباطن، وهذا معنى الأحدية المعبَّر عنها بقوله: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)[١٨٦] [الإخلاص:١].

فاسم الحق لأوليته، واسم الخلق لآخريته، واسم الحق لبطونه، واسم الخلق لظهوره، فهو المسمى بالحق، وهو المسمى بالخلق، وهو المسمى بالرب، وهو المسمى بالعبد، ولولا اسم الحق ما عرف اسم الخلق وبالعكس، ولولا اسم الرب ما عرف اسم العبد وبالعكس.

وكل هذه الأسماء لحقيقة الوجود المطلق على السواء، فتنزيهه وتشبيهه واحد؛ لأنه ما في الوجود غيره حتى يكون هذا حسنًا وهذا قبيحًا، وهذا كاملاً وهذا ناقصًا، بل جميع الأسماء إن حُققت واقعة عليه على السواء، ومن هذا المشهد قال بعض المجاذيب:

---

(١٨٦) اعلم أن (هو) مبهم ما لا تعيُّن له في الخارج؛ بل عهديته في الذِّهن، وإنما يُريد إبهامه ما بعده من تفسيره؛ وهو الله أحد، فهو قبل التفسير مبهم في الخارج، ومفسِّر في نفس الأمر، وإنما جاء الإبهام من حيث المراتب، ففيه إشارة إلى قوله تعالى: «كنت كنـزًا مخفيًا، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، فإنه تعالى كنـزًا مخفيًا قبل خلق الخلق، فكان ظهوره بذاته في ذاته؛ فكان خلق الخلق كالتفسير له بحيث كان ظاهرًا لغيره أيضًا، فالأول: مرتبة الجلاء، والثاني: مرتبة الاستجلاء، فمَن قصر نظره؛ لم يرَ العالم إلا كالضمير المبهم، ومَن كاشف عن حقيقة الحال؛ لم يكن عنده مبهم، فإن الحق تعالى كشف عن ذاته وصفاته وأسمائه؛ ولذا قال: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ) فالهَويَّة كانت ظاهرة للحق قبل خلق الخلق، وباطنة للخلق، وبعده كانت ظاهرة للخلق أيضًا، فباطن الحق ظاهر الخلق، وبالعكس على هذا نفس الإنسان الكامل؛ فإنه بمنـزلة ضمير هو في إبهامه وتفسيره، وليس تفسيره إلا الكرامات العلمية المتعلِّقة بحقائق الذات، والصفات، والأفعال؛ وهو القرآن الفعلي، والضمير المفسَّر، والهَويَّة الظاهرة بآثاره، والباطنة بحقائق ذاته. ومَن أنكره؛ فقد أنكر القرآن، ومَن أنكر القرآن؛ فقد أنكر الحق بذاته وصفاته، فإن القرآن ذات وصفة، فإن الصفة لا تقوم إلا بالذات، ولا تنجلّي إلا بالمحلِّ؛ فلذا قال بعض الأكابر: أنا القرآن والسبع المثاني، ففيه أسرار الحروف والكلمات، والآيات والسور، فإنه حرف عملي روحانية، وآية مثالية، وسورة جسمانية. وهذا مراد مَن قال: مَن أراد أن يجلس مع الله تعالى (واصطنعته لنفسه) وجعله مجلى لصوَّر كمالاته، فمَن رآه فقد رأى الحق، ومَن عمى عنه فقد عمى، وكم ترى في كل عصر مَن يُقبِّل المصحف صباحًا ومساءً بناءً على أنه كلام الله، ويستحقر الإنسان الكامل مع أنه سرُّ ذلك المصحف، ولو كان عالمًا به فاستحقره؛ لمُسخ مسخ الأمم الأولى؛ لكن قد يعذر بالجهل، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده؛ ولذا ستر الله الأقطاب في كل عصر إلا عن أهل المعرفة. فالمحجوب ينظر إليهم وهو لا يبصرهم؛ وإنما يبصر البشر، والمكاشف ينظر إليه ويبصرهم على أنهم صورة الحق تعالى. وليس لله تعالى تجلٍّ إلا في مرائيهم وعلى صورهم، ومن ينظر إلى الله وهو مجرَّد عن النعوت، فقد طلب المحال، كما أن مَن أرد أن ينظر إلى الروح بدون توسُّط مرآة البدن؛ فقد ضرب حديدًا باردًا، فإنه لا يتيسَّر إلا بالمرآة، ومرآته الجسم. ومن هذا ظهر أن الإنسان الكامل رداء الحق، فهذا الرداء لا يزول عن المرتدي أبدًا، وهو ليس بحجاب له، كما أن المرآة كذلك مع القناع، فعليك بفهم هذا المقام، وكُن مع أهل العافية والسلام. واعلم أن الله ليس منه أثر على الكون في الحقيقة، وكذا الكون ليس منه أثر على الحياة في نفس الأمر، وهو غنيٌّ عن العالمين.

ومـا الكلـب والخنزيـر إلا إلهنـا ومـا الله إلا راهـب فـي كنيسـة

فالعقلاء الأدباء من أهل الله لا يقولون مثل هذا الكلام، وإنما يقولون كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣]، وإن كان المرجع لمعنى لواحد، ولكن ما ورد في القرآن العظيم وفي الحديث الشريف في غنى عن هذه التخريفات بين عموم الناس، وقد قال ﷺ: «**خاطبوا الناس على قدر عقولهم**»[١٨٧] ولله در من قال:

فمـن منـح الجهـال علمًـا أضـاعه ومـن منـع المستوجبين فقد ظلـم

إذا تقرر ذلك فاعلم أن الحق تعالى الذي أحب أن يعرف معرفتين: الواحدة تنزيهية، والثانية تشبيهية، وكلاهما في الحقيقة أسماء المظاهر، والكنز المخفي بها هو المتجلي الظاهر، ولكن لا يُنسب إليه حكم إلا منها، ولا يُعبَّر بعبارة في الحقيقة إلا عنها، والمظاهر منها أرواح غيبية مقدسة، ومنها أشباح شهادية مشبهة، والكل هو، فالمظاهر ما استفادت الوجود إلا منه، وهو ما استفاد الأسماء والأحكام إلا منها بنص كلامه القديم، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد:٣١] فكل خبر لا يُخبر به عنه إلا منَّا، ولولا ما ابتلانا بالظهور الذي ظهره بنا ما علم نفسه بذلك الخبر، وهو الظاهر كما أنه هو المظهر؛ لأنه الأول الآخر الظاهر الباطن، فمن نفسه استفاد من جهة الجمع، ومنَّا استفاد من جهة الفرق والتفصيل.

فقال بالأول الشيخ عبد الكريم الجيلي، وهو أن علمه بالمظاهر من نفسه؛ لأنه قال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣].

وقال بالثاني الشيخ الأكبر محيي الدين العربي رضي الله عنهما مطابقة لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١] وكل منهما على الحق، ولكن التجلي إذا تسلطن في حكمه على العارف يأخذ كُليَّته حتى يُنكر ما سواه مادام في ذلك التجلي، فمن هذا المعنى ظهر الخلاف بين الأستاذين مع أن كلاً منهما يقول بما يقوله الآخر.

ولا خلاف في الحقيقة بين أهل الله؛ لأن أقوالهم في أذواقهم تابعة للشرع المطهَّر الذي من متابعته حصلت لهم المعرفة بالله تعالى وتجلياته، ومن الأعمال والأذكار والأخلاق الشرعية حصل لهم تنوير البصيرة والكشف الإلهي عن حقائق الأمور.

وقد استبان لك مما أوضحناه وقررناه أن الحق تعالى إذا ظهر في صورة انسحب عليه اسم تلك الصورة وجميع أحكامها التي تنسب إليها، وقد ورد الشرع المطهَّر بذلك،

([١٨٧]).

فلنرجع إلى وصفه تعالى بالغيرة، مع أن الذي يغار منه هو فعله، بل هو عين الفاعل الذي يغار منه، فهو الذي ينكر على نفسه ويغار من نفسه، ويأمر نفسه بالمعروف، وينهى نفسه عن الفحشاء والمنكر، وهو الفعال لما يريد، فكما ورد: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ) [النحل:٩٠]، وورد أيضًا: (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ) [الصافات:٩٦] وورد أيضًا: (وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ) [هود:١٢٣] وورد أيضًا: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [هود:٥٦].

فهو تعالى يغار من اسمه الهادي في صور المرشدين من الملائكة والرسل والأولياء الصالحين، ومن اسمه الماكر الخاذل، فإن (إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا) [آل عمران:١٧٨]، وما رد على إبليس بقوله: (فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي) [الأعراف:١٦]، بل قال: (هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ) [الحجر:٤١] ولعنته من جهة السر القدسي لا من جهة الطبع النفسي بدليل: (وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم) [الإسراء:٦٤] فهو من هذه الجهة مأمور بإلقاء الإغواء والكفر، كما أن الملك مأمور بإلقاء الإيمان، (كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ) [الإسراء:٢٠].

غاية الأمر أن العالم يعلم الأسماء الإلهية والمراتب المتفرقة والمتميزة، ولا يشكل عليه أمر مما ورد في الشريعة المطهَّرة، فالعالم بالله المحقق يعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه.

ألا ترى أن وصفه تعالى بالغيرة ليس بأعجب من صبره على الأذى! ولولا أنه يؤذى ما كان له اسم الصبور، وليس بأعجب أيضًا من طلبه النصرة من عباده! وليس بأعجب من محبته لعبده وشوقه إليه! وهل غاب عنه عبده حتى يشتاق إليه؟! وليس بأعجب من تردده في قبض نسمة عبده المؤمن وكراهته إساءته، وحيث يكره إساءة عبده في قبض روحه، فمن المجبر له على ذلك؟

وكذا قوله: (وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ) [الزمر:٧]، فهل كفروا جبرًا عنه؟ فالمؤمن الراسخ في مرتبة الإيمان هو الذي يقول بجميع ما ورد، ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فالمؤمن ليس بأشعري ولا معتزلي، ولكنه محمدي يدور مع القرآن العظيم، ومع كلام سيدنا محمد ﷺ وكيفما دار، ولا ينزه عما شبه الله به ولا يشبه في موضع تنزيه الله، كما قال تعالى: (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ) [آل عمران:٧] والمحققون هم الذين قال في حقهم: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [البقرة:٢٦٩]، فأولوا الألباب يعلمون أن الحق إذا تجلى وظهر بصورة الإنسان يعجب ويضحك ويفرح وينسى

ويمل ويؤذي ويصبر ويغار ويجوع ويظمأ ويمرض ويَسب ويكذب ويشتم، وكل ذلك وارد في الشرع المطهَّر، حتى قال تعالى: **(وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا)** [مريم:٧١]، فالحتم والقضاء وقع منه عليه.

غاية الأمر أن الجهلاء يعرفون الحق إمَّا من جهة الإطلاق والتنزيه فقط كالإباحية الذين يقولون لا تكليف على العارف بالله تعالى على امتثال الأوامر والنواهي في حقه تشريف لا تكليف، وما علموا تنزلات الله إلى مرتبة التقييد حتى جعل نفسه داخلاً تحت أمر محمد ﷺ فقال: «**وقل رب احكم بالحق**»[١٨٨] أي: بالحق المنزَّل عليَّ، فكلف نفسه بما أنزله على محمد ﷺ، فكما أدخل محمد في حكمه أدخل نفسه في حكم محمد ﷺ، ولولا ذلك ما سُمي بالحكم العدل.

ولما صح قوله: **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ)** [فصلت:٤٦].

فمن أخرج نفسه عن قيود الشريعة المطهَّرة فقد كفر وضلَّ وتزندق، فلا يسمى مسلمًا فضلاً عن أن يكون وليًا عارفًا، بل هو مدلِس ضال مضل، أضر على الأمة المحمدية من الدجال، كما قال ﷺ: «**غيْرُ الدَّجَّال أخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ**»[١٨٩] وإما أن يكونوا لا يعرفون الحق إلا من جهة التقييد والتشبيه كعباد الأصنام.

والعالم بالله المحقق يعرفه منزهًا في عين التشبيه، ومشبهًا في عين التنزيه، ومطلقًا في عين التقييد، ومقيدًا في عين الإطلاق.

واعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا يجمع كمال الصورة الإلهية إلا الخليفة، وهو مجلي الاسم الجامع الذي هو الله، فإذا زال الخليفة فسدت السماوات والأرض؛ لأنه قد زال عمدها الممسك لها، فإن الله ما نفى مطلق العمد عن السماوات والأرض، وإنما نفى العمد المرئية، كما قال تعالى: **(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا)** [لقمان:١٠]، ومتى لم يبق في الكون خليفة من خلفاء الله وهو القطب الغوث الذي هو سلطان دوائر الأولياء قامت الساعة.

وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله الله**»[١٩٠] أي: من يقوله بحاله وذوقه لمعنى هذا الاسم الجامع.

واعلم ـ رحمك الله ـ أنه ما بين الدنيا والآخرة إلا كما بين اسم الله الأول والآخر، وكل

([١٨٨]).

([١٨٩]).

([١٩٠]).

من الاسمين مربوط بالآخر لا انفكاك له عنه، فلا يتحقق معنى هذا إلا بهذا، وإلا فلا أول ولا آخر، وكل من هذين الاسمين موصوف بالظهور والبطون، فإن ظهر عندك هذا بطن هذا، والكمال في قوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣].

فكن مع الله ترى الله معك، واستمسك بالله الذي (ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ)أي: من نظر المحجوب عن ثبوت الحضرات الإلهية (إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ)[فاطر:٤١] أي: لا يمسكها إلا هو، فيدور الدور ويقول: (إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ) [البقرة:٣٠]، مع أنه في السماء إله، وفي الأرض إله، فالسماء عالم الأرواح، والأرض عالم الأشباح. فافهم فتح الله علينا وعليك، والله الهادي لا رب غيره.

وارد طلسمي:

قال سيدي داود بن باخلا أستاذ سيدي محمد وفا رضوان الله عليهما: يا ابن آدم، لو علمت قدرك قبل آدم لندمت إلى الممات، أي: لندمت على جهلك بقدرك قبل آدم إلى الممات، حيث لو تعرف منزلتك من أول الأمر ومضى عليك زمان وأنت جاهل بك، محجوب عن منزلتك، وهي عظيمة لا أعظم منها في الوجود، فلو علمت قدرك تعلم أنه لا يقدر قدرك، قال تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ) [الأنعام:٩١].

وأستعين بالله وأقول في بيان ذلك: إن الله تعالى قال: (وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ) [البقرة:٣٠] ولا يخفى أن الخليفة هو المتصرف في الأرض الراجع الحكم إليه، فحينئذ المستخلف ما الذي بقي له من الحكم؟ هل بقي له الحكم في السماء فيكون في الوجود حاكمان: الحاكم الأول المستخلف، والثاني الخليفة؟ والله تعالى قال: (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ) [الأنبياء:٢٢] فمن هو الله؟ هل المستخلف أو الخليفة؟ ومن الذي له الحكم؟ (أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [النمل:٦٣]، وحينئذ ما معنى قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ)؟ [الزخرف:٨٤] بيان ذلك ـ والله المستعان ـ أن الإنسان هو دائرة الوجود من أحسن تقويم وأسفل سافلين، فأحسن تقويم هو الروح المحمدي، وهو الاسم الأول الذي هو باطنك، فهو الذي في سماء الأرواح إله، وأسفل سافلين هو الصورة التي هي الاسم الآخر، وهو ظاهرك، وهذا الظاهر إله أرض الأشباح.

فباطنك هو الروح المحمدي الذي كان نبيًا وأدم بين الماء والطين، ومن حكم نبوته الروحية التي لها الحكم في عالم الأرواح أن قال للملائكة: (إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ)

[ص:٧١] و (إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة:٣٠] أي: صورة هي لإنسانيتي مظهر الاسم الآخر، فكما أني من حكم الاسم الأول في سماء الأرواح إله كذلك بصورتي الإنسانية من حكم الاسم الآخر إلوهية الأرض، فهذا معنى قوله: «**إن الله خلق آدم على صورته**»(١٩١) وإلا فليس لله شبيه ولا مثيل.

فآدم الذي هو الخليفة هو صورة الله بعينها الجامعة للتنزيه والتشبيه، وليس في الوجود إلا من هو في السماء إله من جهة باطنه الذي هو أحسن تقويم، وفي الأرض إله من جهة أسفل سافلين، وهو الصورة، فالروح المحمدي هو أنت قبل آدم، وهو منبئ الملائكة بقوله في حق صورته التي هي صورة آدم، وهي اسم الله الآخر الظاهر، (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى**) التي هي أول الأرواح كلها وهي روح محمد ﷺ(**فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ**) [ص:٧٢].

فأعلمك بإشارة خفية سيدي داود ـ رضوان الله عليه ـ معنى قول روحك الأعظم: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»(١٩٢).

وأنت عين تلك الروح التي لها الخلافة بالصورة الإنسانية في الأرض، فما وقعت الملائكة ساجدين إلا إليك، فهذا قدرك قبل آدم من جهة أنك حقيقة الروح النافخ في صورة آدم، وصورة آدم التي سجدت لها الملائكة هي أنت.

ولذا قال سلطان العاشقين قُدس سره:

وإني وإن كنت ابن آدم صورةً فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

فانطبق قوله تعالى: (**وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ**) على روحك وهي أحسن تقويم، وقوله: (**وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ**) [الزخرف:٨٤] على صورتك وهي أسفل سافلين، وتلك دائرة الوجود، فأنت دائرة الوجود أيها الإنسان، (**فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ**) روحك الأعلى وهو روح محمدﷺ(**رَكَّبَكَ**) [الانفطار:٨] أي: ظهر بك في كل صورة من صور الوجود، ولكن اعرف قدرك، فأنت مستعد للخلافة عنه، فاستخرج كنزك بعد إقامة جدارك، وحينئذ لا تندم، فالجد الجد فأنت عظيم:

قد رشَّحوك لأمرٍ إنْ فطِنتَ لهُ فاربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَل

فلله در سيدي داود، فما أحسن هذا الإرشاد حيث نبهك أنك دائرة الوجود، والله

(١٩١).
(١٩٢).

الهادي لا هادي إلا هو، وعلى الله قصد السبيل.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم (**سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**) [الإسراء:١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه ورد في الحديث الشريف: «**للقرآن ظهر وبطن وحدّ ومطلع**»(١٩٣) فالمراد بالقرآن ـ بلسان الإشارة لا بلسان العبارة ـ حقيقة الإنسان، فظاهره صورته، وباطنه إطلاقه وكُليَّته، وحدّه ما يتميز به عن غيره من أجناس العالم وأنواعه، ومطلعه كنزه المخفي الذي أحب أن يعرف بعد أن أتى عليه (**حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا**) [الإنسان:١].

وذات الله تعالى لا يطلق عليها أنها شيء، بل ينطمس بها جميع معاني الأسماء والصفات، إلا أن الله تعالى سمَّاها إنسانًا فتسمى في تلك الحضرة إنسانًا مع أنها لم تكن شيئًا مذكورًا بالأسماء والصفات، وإلى هذه الإنسانية الإشارة بالحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»(١٩٤).

فحضرة الإنسانية ممحو بها كل شيء، والحين الذي أتى عليها من ذاتها لذاتها في ذاتها، وبهذه الحضرة لم تكن شيئًا مذكورًا، ومذكورًا اسم مفعول، أي: لم تكن شيئًا يقع عليه الذكر من غيره، بل ذكره عينه، فلذا قال في الحديث: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»(١٩٥).

ولا يخفى أن الدهر هو الله، فالحين الذي أتى على الإنسان من ذات الله الدهرية الوجودية تجليه من ذاته لذاته، بلا غير وبلا اسم شيء، بل بلا اسم ذات أيضًا، وهذه الحضرة يسمونها بالعنقاء، أي: بلا اسم بلا مسمى معلومًا، فلا يقع هذا الاسم على شيء معلوم، والله في تلك الحضرة ليس بمعلوم بشيء، فلا مسمى بهذا الاعتبار.

وإلى هذه الحضرة أشار العارف السمان بورده بقوله قدس سره: بسر من الطمس بالعماء، ولمَّا كانت النقطة المحمدية هي الواقع عليها قوله تعالى: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ**

---

(١٩٣).

(١٩٤).

(١٩٥).

﴿وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣] تحقق باعتبار هذه المعاني معنى الإسراء بهذه الاعتبارات، وإلا فلا ساري ولا مسري إليه، بل تقلباته ﷺ منه إليه.

انظر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨ـ ٢١٩] فهو الظاهر في المظاهر والأول والآخر، والمسجود له والساجد، والمشهود والشاهد، ولهذا السر منع أن يسجد أحد لصورته الخاصة الكريمة؛ لئلا يتقيد الساجد في العلم به في هذا المعنى الصوري، مع أنه مرجع قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:١٥] فليس كمن أمرت الملائكة أن تسجد له ولا كمن قيل في حقه: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠] فليس كل ساجد ومسجود إليه إلا صورة من صور نقطة وجود ذاته الجامعة التي هي القرآن العظيم.

ألا ترى إشارة الحق في قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ﴾ [الإسراء:٤٦] أي حقيقتك الجامعة بالذكر الذاتي في قرآن ذاتك الموصوف بأنه وحده بلا سوى ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ﴾ [الإسراء:٤٦] وهو عدمهم وانطماسهم بوجود ذاتك الماحي لهم نفورًا من الكثرة التي لا حقيقة لها، الحاكم مشهدها باللهو عن الأحدية كما قال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١، ٢] أي: أقبلتم عليها، فشاهدتم كل معنى إلهي مقبورًا في صورة خاصة، أي: شاهدتموه مقبورًا، أي: مقيدًا، فألهاكم تكاثر القيود عن إطلاق الحقيقة، فأشركتم في الوجود كل اسم بغيره مع أن وجود هذه الأسماء، واحد.

قال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة:١٦٣]، فلذا كان الله وهو الاسم الجامع ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]؛ لأن ذلك محال، فالشرك به عدم، فلو كان موجودًا لغفره، أي: لستره، وأما الشرك فهو لبقية الأسماء دون الله، فالعدم يشركون المعطي بالمانع، والضار بالنافع، والأول بالآخر، والظاهر بالباطن، وذلك مرجع قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] فلو عرفوا الله أنه عين كل شيء ما أشركوا؛ إذ ما أشركوا معه غيره، بل فأشركوا معه، بل ما أشركوا إلا بالله، فهو المشرك نفسه بنفسه مع نفسه بشريك هو عينه، وهو أول من أشرك صور التكاثر مع كنزيته المخفية، فقال: «**فأحببت أن أعرف**»[١٩٦] فسرى الشرك في العالم، فجاء الرسول بالتوحيد ليعرفنا الوطن الأصلي، فقال: «**حب الوطن من الإيمان، قولوا لا إله إلا الله**»[١٩٧] فأول من حجب نفسه عن نفسه بنفسه هو، ثم دعا نفسه إلى نفسه فعرج بالمجلى الكلي الكامل

---

(١٩٦).

(١٩٧).

المحمدي بنزوله من مسجده الحرام الذي حرم السوى على ذاته إلى المسجد الأقصى، وذلك هو العالم الصوري الذي هو مظهر الاسم الآخر، ثم أحب أن يكرر الرجعة كما قال: (فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ) [الملك:٣] ليمحو شرك التكاثر بأحديته.

ألا ترى أن الماحي اسم محمد ﷺ والنور اسمه، فأسرى به اسمه الباطن غيبًا من الاسم الآخر الشهادي الذي هو المسجد الحرام الذي حجب الأول بآخريته، التي محت بذاتها سائر المراتب؛ لأنها هي في الحقيقة نقطة البدء، فالأقصى هو الأول المسرى إليه، والحرام هو الآخر الساري، فلما حجب نفسه أولاً وباطنًا بنفسه آخرًا وظاهرًا أسري به غيبًا منه إليه(يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا) بحجاب نفسه عن نفسه بنفسه (وَهُوَ حَسِيرٌ) [الملك:٤] أي: مكشوف، ولله در من قال:

أترحــل عــن حبيبــك ثــم تبكــي عليــه فمــا دعــاك إلــى الفــراق

على أنه لا رحيل؛ لأن المدار على هذا الراحل؛ إذ هو بصورته ومعناه وجود الله الكامل من جهة جميع معاني الأسماء والاعتبارات، فكان الإسراء ليشاهد تفاصيل ذاته، كما قال: (لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ) التي هي معاني أسمائه، (إِنَّهُۥ) أي: محمدًا ﷺ (هُوَ ٱلسَّمِيعُ) كلام ذاته، (ٱلۡبَصِيرُ) [الإسراء:١] لمظاهر أسمائه وصفاته، ولمَّا كان القرآن المحمدي أربع مراتب: ظهرًا وبطنًا وحدًّا ومطلعًا فظهره الصورة، وبطنه الحقيقة، وحدُّه الكثرة الفاصلة؛ لتمييز المعاني والمظاهر، ومطلعه النقطة الغيبية التي هي غيب الغيوب كلها كان الإسراء المحمدي أيضًا من أول إلى آخر، ومن آخر إلى أول، ومن باطن إلى ظاهر، ومن ظاهر إلى باطن.

ومن وراء هذا الإسراء إسراء الذات بالذات في الذات للذات، فلهذا السر ابتداء الإسراء المحمدي بالتسبيح وهو تنزيهه ﷺ في هذا الإسراء المحمدي أن يرى سواه، وهذه نفحة وفائية وردت علينا من سر سيدي عليّ وفا رضوان الله وسلامه عليه حيث قال: ما رآه النبي ﷺ في إسرائه هو تفصيل آيات ذاته الجامعة، فشاهد حقائق جميع ما رآه منشقًا من سماء ذاته، فكل ما رآه فهو مرآته، فالأسماء أسمائه، والصفات صفاته، وكذا ورد في المعراج: فإذا أنا بموسى، أي: أنا الظاهر بتلك الصورة الموسوية وناطق بها، وقس الباقي على هذا المعنى. والله الموفق.

تنبيه رائق لمعنى فائق:

اعلم ـ رحمك الله ـ أن المعنى الإنساني هو الأصل في الوجود، ولذا ورد في الحديث:

«**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»(١٩٨) أي: باطن عبدي، فالمسمى بالأسماء كلها باطن الإنسان، فجميع ما ينزل من سماء باطنه من غيبه الباطن الأول، فلا ينزل إلا إلى ظاهر شهادته الخلقية التي هي الظاهر، فالعارف يرى نفسه مرآة العالم، أي: يرى معاني الأسماء والصفات في نفسه، وذلك قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ [فصلت:٥٣]، أي: نريهم الأسماء في الأسماء، فنريهم المعطي في المانع، والضار في النافع وبالعكس، فيشهدون الجلال في الجمال والجمال في الجلال، وهو أن يكون كل اسم مرآة أخيه المقابل له في المعنى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠].

فبهذا الإصلاح كل واحد منهما يقول: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فمن هذا المشهد يقول جلال النار: أنا جمال الجنة، ويقول جمال الجنة: أنا جلال النار، وذلك مرجع قول آدم عليه السلام لما تجلى حقه له ويداه مقبوضتان، فقال: «**يا آدم، اختر أيهما شئت، فقال: اختار يمين ربي وكلتا يدي إلى يمين مباركة**»(١٩٩).

ويكفي اللبيب هذه الإشارة؛ إذ تفصيل هذا المعنى دونه حز الرقاب؛ لأنه إفشاء سر الربوبية، وإفشاء ذلك كفر، ومن هذا السر ظهرت عين الكافور في الجنة؛ فافهم.

فهذا هو السير الآفاقي من جهة النزول، وله وجه آخر من العروج، وهو عروج الصور إلى المعاني، فيرى الصور أسماء إلهية فيعود الخلق حقًا كما كان في الوجه الأول يعود الحق خلقًا، ولا يزل في المشهد الآفاقي ما بين مشاهدة نزول اللطائف إلى صور الكثائف، وعروج صور الكثائف إلى معاني اللطائف، وهذا السير الآفاقي وجه من وجوه الإسراء المحمدي، وهذه الحضرة حضرة الواحدية، وحضرة الجمع، ومنها يقول محمد ﷺ للمشركين: ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[الشورى:١٥] وعن هذه الحضرة قال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] وهذا مشهد: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾ [الملك:٣] وهذا أيضًا مشهد: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧] أي: كالدهان الصابغ، فإن كانت وردة الجمال فهي دهان الجلال، وصبغه بحقيقة الجمال، وإن كانت وردة الجلال، فالأمر بالعكس، وكذلك وردة المقدم دهان المؤخر، وصبغه وبالعكس، والأول والآخر كذلك، والظاهر والباطن كذلك، فوردة الربوبية هي دهان العبودية، وصبغها بنور الربوبية فتعود ظلمتها نورًا، والنور هو

---

(١٩٨).

(١٩٩).

الله فيكون الأمر كما قال تعالى: (فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ) [الرحمن:٣٩] لأن الله (لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ) [الأنبياء:٢٣] فافهم.

وأما السير الأنفسي من وجوه الإسراء المحمدي، فهو أن يرى نفسه مرآة أسماء الله، فيرى جميع الأسماء المتجلية بصور الوجود في نفسه، فتكون نفسه مرآة الوجود بمقتضى حقيقة هذا الشهود، ولذا قال: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ) [فصلت:٥٣] أي: يتبين المرئي الذي هو آيات الله المنطبعة في أنفسهم التي هي مرآة ذلك المرئي أنه الحق المشاهد في نفس الخلق، فالخلق مرآة للحق وبقي من وجوه الإسراء المحمدي رؤية ذاته بذاته في ذاته لذاته بلا اعتبار من الاعتبارات، لا حقيَّة ولا خلقية، وإليه الإشارة بالشجرة المباركة الزيتونة (لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ) [النور:٣٥] بالظهور فيظهر النور الذاتي لذات النور (وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ) [النور:٣٥] ولكن ما اقتضت الحكمة ذلك؛ لأن إضاءة الذات لا تكون إلا بمظهر الأسماء والصفات، وإلا فلا إضاءة، قال الشيخ الأكبر ﵁ بلسان هذه الحضرة التي لا ظهور فيها ولا بطون:

لو ظهرنا للشيء كان سوانا　　　وسوانا ما تم أين الظهور

مع قوله أيضًا:

وليس تنال الذات من غير مظهر　　　ولو هلك الإنسان من شدة الحرص

والحاصل أن هذا الوجه من الإسراء المحمدي هو إسراء ذاتي لا تحكم الأسماء والصفات عليه؛ إذ هو المرآة والرائي والمرئي بحكم ذاته لذاته في ذاته بلا افتقار للتقيد باسم أو صفة،(وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ)[المؤمنون:٨٨] بل هو يملك المجير أن يجير (قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ) [الملك:٢٨] في ذاته فلم يكن إلا ذاته، ومن معي من صور الوجود أو رحمَنا بظهور ذلك تفصيلاً (فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ)[الملك:٢٨] القيد الصوري إلى تعميم الإطلاق الذاتي،(قُلۡ)، أي: أنت(هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ) المجير برحمة الذات بلا قيود الأسماء والصفات(ءَامَنَّا بِهِۦ)؛ لأنه بهذا المعنى غيبنا المطلق الذي لا تدركه أبصار أسمائه المقيدة، وهو بإطلاقه يدرك الأبصار؛ إذ كل اسم إلهي بصر،(وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا)، أي: استندنا؛ لأن استناد الأسماء والصفات، إنما هو الحقيقة الذات، (فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ)عن ذاته (مُّبِينٖ) [الملك:٣٠] وإنما كان مبينًا لأن من ضل عن ذاته إلا بذاته، فضلاً له حين ذاته، ولابدَّ أن ذاته تبين عن نفسها بنفسها، فيكون ضلالها عنها عليه هداها إليها، كما قال: (وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا) [السجدة:١٣] الذي حجبت به بضلالها عنها،

فتهتدي إليها منها كما قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ [الإسراء:١٥] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] فافهم ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] وقال أيضًا: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم:٤٧] ولله در من قال:

مـا بـين ضـال المنحنـى وضـلاله ضَـلَّ المتـيم واهتـدى بضـلاله

فالضال هو حقيقة محمد المضاف إلى منحنى الذات، والضلال هي الأسماء والصفات، والمقام المحمدي الذي أشرنا إليه هو ما أخبر عنه الإمام الربَّاني بقوله: ظهر لي أمر السير الأنفسي بالنسبة إليه كالسير الآفاقي بالنسبة إلى السير الأنفسي، وذلك لأن السير الأنفسي أن تكون مرآة الوجود، والسير الذي ظهر له أن يكون الوجود مرآتك، ولذا كان ﷺ يقول: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم:١٧]، هنا ينبغي أن يطلب، والزيغ هو الميل، وفي هذا المقام لا زيغ عنك لغيرك ولا ميل، وإلى ذلك الإسراء الإشارة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] أي: بزعم الغيرية التي هي جنابتهم عن ظهور ما وراء الحقيقة المحمدية ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨]؛ لأنه عام فتح مكة الذات الذي يجبي إليه ثمرات كل شيء، فالنجس هو الشرك الغيري، وهو وهم محال.

ألا ترى أن طعامك مادام قائمًا في ذاتك لا يقال في حقه نجس، فإذا خرج عنك وانفصل حكم عليه بنجاسة الغيرية؛ لأنه خرج عن حقيقة تلك الجمعية فلم يعطهم عام الفتح الأمان في ذلك الشرك، بل إما التوحيد وإما السيف حتى يقتلهم بالفناء عنهم، ويبقيهم به، قيل لرسول الله ﷺ عام الفتح: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: «**اقتلوه**»[٢٠٠] لأنه لم يكن المسجد الحرام سواه فلا يقربوه ماداموا على الشرك، فلا يحمى منه سواه؛ لأنه يجير ولا يجار عليه، فالكعبة لا تجير عليه؛ فافهم.

واعلم ـ أيَّدك الله بروح القدس ـ أن كل اسم إلهي حكيم على مجلى من مجالي الظهور، فذلك المجلى هو عبده مادام المجلي تحت حكمه، فقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] أي: عبد هويته الغيبية الذي ظاهره مجلاها، ولذلك أسرى به الاسم الإلهي هو﴿ لَيْلًا﴾ إشارة لغيبة الباطن على أن المجلى الظاهر عين ذلك الباطن، فإن اعتبرت حالة العروج من ظاهر الصورة الشهادية إلى الغيب الباطني.

قلت: المسجد الحرام هو ظاهر محمد الذي هو صورته الخلقية، والمسجد الأقصى

---

(٢٠٠).

باطنه الحقي الغيب.

وإن اعتبرت تنزل حقه الباطن لصورة الظاهر الذي هو خلقيته فيكون ذلك النزول عروجًا بالنسبة لحقيقته، فإن عروج الحق هو نزوله، وعروج الخلق صعوده، فعلى هذا يكون المسجد الحرام باطن محمد الحقّي، والمسجد الأقصى ظاهره الخلقي، فلا يزال الأمر من عروج إلى نزول ومن نزول إلى عروج فهو يعلم ما ينزل من سماء ذاته، وما يعرج من أرض صورتها إليها، ومن هنا يُفهم قوله تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ)** [الزخرف:٨٤]، والذات من حيث هي نقطة دائرة قوساها: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فإذا دار الدور كان الحرام هو الأقصى، والأقصى هو الحرام، وهكذا دائمًا من أول إلى آخر ومن ظاهر إلى باطن وبالعكس.

والذات على ما هي عليه فلا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن، فهي القطب الذي يدور عليها رحى الوجود، ولذا قال تعالى: **(ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ)** [الإسراء:١] أي: حول هذا العبد القطبي الذي له وجه المسجد الحرام ووجه المسجد الأقصى.

الأسماء الإلهية فلك يدور عليه، وهو قطب ذلك الفلك، وهذا الدوران **(لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ)** [الإسراء:١] عروجًا ونزولاً، أي: من صور معاني أسماءنا ليتجلى بها بحسب الحال والوقت المناسب.

وإن كانت الأسماء تحت حكمه فلكل منها مناسبة بشأن من الشئون الإلهية، ولذلك قيل له: **(وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ)** [طه:١١٤] أشار تعالى إلى علمه بالقرآن من رواء علم جبريل، وقوله: **(وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ)** [يوسف:٣] أي: عنك في مرتبة الكنزية المخفية، فالغفلة هنا بطون الأسماء والصفات في كنز الذات، وقوله تعالى: **(وَإِن)**، أي: إن عبد هويته وهو محمد ﷺ هو السميع كلام ذاته يسمع هو عين هوية الله كما قال: «**كنت سمعه**»، والبصير كذلك كما قال: «**كنت بصره**»[٢٠١].

فبالتجلي الأنفسي يقال له: ها أنت وربك، وبالتجلي الذاتي يقال له: ها أنت وهو الذي ظهر للإمام الرباني رضي الله عنه فطهر بشراب التوحيد عن نجس الشرك، فارتفع حدثه الأصغر وحدثه الأكبر، فمن ارتفع حدثه الأصغر شاهد أن فاعل الأشياء هو الله، وهو المحرِّك المسكِّن، والمخلوقات آلة يفعل الله بها ما يشاء، كما قال: **(قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ**

---

(٢٠١).

بِأَيْدِيكُمْ) [التوبة:١٤]، فالله المعذب وأيديهم آلة التعذيب، ومن ارتفع حدثه الأكبر هو من توجه عليه**(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)** [آل عمران:١٢٩] فلم يتغير بأنه الطهور عن أصله بنجس شرك السوى، قال ﷺ: «**خلق الله الماء طهورًا**»[٢٠٢].

وهو بلسان الإشارة ماء التوحيد، ثم قال ﷺ: «**لا ينجسه شيء ما لم يتغير**»[٢٠٣] أي: ما لم يتغير هذا الماء التوحيدي بنجس الشرك، وحيث أن حضرة التوحيد هي حضرة السراج المنير ﷺ لذلك قال الله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)** [التوبة:٢٨] والمسجد الحرام فيهم ولكنهم لا يشعرون.

وقد أفادنا رسول الله ﷺ الطهارة من هذا الشرك بما بلغه من قوله تعالى: **(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)** [آل عمران:١٥٤] فله جميع الأمور، والأصل في هذا المعنى من تجلى عليه **(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)** [آل عمران:١٢٩]، فأمر محمد ﷺ بأوله وآخره وظاهره وباطنه لله تعالى، فهو مجلي قدم الله، فلا حدث له لا أصغر ولا أكبر، فصورته عين معناه؛ لأن الله محا بشريته الحادثة، وأثبت نفسه قائمًا في بشريته، فلذا كان يمشي في الشمس ولا يظهر له ظل؛ لأنه نور محض، بل هو السراج المنير، فبشريته ليس كمثلها شيء، ولذلك تنام عيناه ولا ينام قلبه، وعَرقه أطيب من المسك الأذفر وبوله وجميع ما يخرج من بطنه طاهر، ودمه طاهر، فيجوز شرب جميع فضلاته، وقد فعل أصحابه ذلك ولم ينكر عليهم، بل كانوا يستشفون بذلك من الأمراض.

ألا ترى أن ريقه لما مجَّمنه في بئر ملح، عذب مائها، فقول الشاعر في محبوبته:

ولو تفلت في البحر والبحر مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذبًا

من قبيل الغلو، وأما كمالاته ﷺ فلا غلو فيها.

وإذا كان الله تعالى سماه باسمه صراحة بنص القرآن العظيم ـ والله تعالى لا يكذب ـ فليس وراء عبادات قربه، قال الله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)** [الفتح:١٠] ودليل تحققه بحقيقة الإلوهية أنه تعالى حمل جسمه على براق الغيب، ومشت في ركابه الأفلاك خدمة له بلا ريب، وحكم في الأفلاك العلوية فانشق بأمره القمر، وردت لأمره الشمس بعد المغيب بمشاهدة من حضر، وجاوز بجسمه الترابي السماوات والعرش وعوالم العقل والقلم واللوح والنفس، وترقى في معاني حقائق القدس، فلما استوى على

([٢٠٢]).

([٢٠٣]).

عرش الذات وكانت في قبضة يديه جميع الأسماء والصفات، ولم يمكن تجاوز مقام الذات قيل له منه: قف إن ربك يصلي؛ يعني: عليك بجميع الأسماء والصفات، فكان قبلة توجه الله إليه ﷺ بكافة شئونه عليه، ولما سقاني شرابه الطهور وأدار لي خمرة قدسه ـ الذي هو كنه النور ـ سكرت من ثغره لا من مُدامته، ومال بالنوم عن عيني تمايله، فمن سكر من شرابه خاض بحرًا وقف الأنبياء بساحله، والبحر هو حقيقة محمد ﷺ ومن سكر من ذاته كان عين البحر الذي يخاض، حيث تجلى الساقي فيه، فكان مجلاه الذي لذاته يصطفيه ومن در القائل:

قـــد أســـكر القـــوم دور كـــأس وكـــان ســـكري مـــن المـــدير

سر هذا المشهد **(ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ)** [الأحزاب:٦] **(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ)** [الأحزاب:٤].

سؤال: لعلك تقول: عُلم من كلامك أن محمدًا ﷺ هو القلب الذاتي الذي يدور عليه فلك الأسماء والصفات، كما يعلم من إشارة الحديث: «**قلب القرآن يس**»[٢٠٤] وهو ﷺ معنى كلمة يس؛ لأنها اسمه، وهو مدلولها، فالأولية والآخرية والظاهرية والباطنية تدور عليه، فما تصنع بالحديث الشريف القدسي الذي ورد عنه عن الله تعالى أن الله يقول: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»[٢٠٥] وكم من ذاكر لله في ملأ النبي ﷺ وأصحابه، فأخبر الله أنه يذكره في ملأ خير من ذلك، الملأ، وهو الملأ الأعلى، فهذا الحديث القدسي في بادئ الرأي دليل للمعتزلة في أن جبريل عليه السلام خير من محمد ﷺ.

قلت: إن محمدًا ﷺ له روحية قدسية نورية، بل هي منيرة لسائر الأرواح الوجودية، كما قال تعالى: **(وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)** [الأحزاب:٤٦]، وهذه السراجية المنيرة هي كنز الله المخفي، الذي أحب أن يعرف، ومن هذا الكنز ظهر جبريل، ومن هو أفضل منه من الأرواح العالمين، فالأرواح كلها مجالي روحيته، والأشباح كلها مظاهر حقيقته، فقوله في الحديث: «**من ذكرني في نفسه**»[٢٠٦] أي: في نفسه المقيَّدة بصورته المعينة التي هي مظهر نفسي المطلقة، ذكرته في نفسي المطلقة، وهي السراج المنير الذي هو الحقيقة التي

([٢٠٤]).

([٢٠٥]).

([٢٠٦]).

أنارت الوجود وأظهرته، وحينئذ إذا ذكره الله في هذه، نفسي المطلقة الجامعة لنفسه المقيَّدة، يعلم وطنه الأصلي، فيكون عين الحقيقة المحمدية، ومن ذكرني في ملأ فيهم صورة محمد ﷺ الخاصة المقيَّدة به المتميزة عن غيرها من صور المخلوقات ذكرته في ملأ خير منهم، وهو الملأ الذي فيهم روحية محمد ﷺ التي منها جبريل وغيره من الأرواح المخلوقة من نفس محمد ﷺ.

ألا ترى الحديث الشريف: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[٢٠٧] فهذا الحديث في باطن الأمر فيه تفضيل بعض محمد ﷺ على بعض؛ لأن جبريل مظهر عقله، وإسرافيل مظهر روحه، فيحي ويميت بنفخة واحدة، وعزرائيل مظهر وهمه، ففيه من القوة أن يجذب إليه سائر الأرواح كلمح البصر، ومحمد ﷺ، هو جميع ذلك، وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد، فإن قلت فما دليلك على هذا المعنى الذي ذكرته؟ أقول: لي دليلان يدركهما العقل، ولي دليل ثالث هو من وراء العقول لا يدركه إلا قوة الإيمان التي لا أقوى منها في الوجود.

فالدليل الأول: إن روحه أول الأرواح وأصلها، ومنها استنارت جميع الأرواح، فمن فضَّل روحًا على روحه فقد فضَّل روحه على نفسها.

والدليل الثاني: ما رواه في كتاب «المصابيح» بالسند إلى أبي سعيد الخدري إلى النبي ﷺ أنه قال: «**ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر**»[٢٠٨].

وأما علي عليه السلام فقد قال له: «**أنت مني وأنا منك**»[٢٠٩].

فحيث جعل جبريل وميكائيل وزيريه في العالم السماوي، فهو سلطان السماوات، وحيث جعل وزيريه في العالم الأرضي أبو بكر وعمر، فهو سلطان الأرضيين، فليت شعري كيف يكون جبريل أو غيره خيرًا منه، وجبريل وزيره؟! وهل يكون وزيره خيرًا منه وهو السلطان على جبريل وغيره؟! أهذا يقال فما أعظم جهل المعتزلة في هذه المسألة، فكيف لو قلنا لهم هو مجلي الإلوهية التي قال عنها رب السماء والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى

([٢٠٧]).

([٢٠٨]).

([٢٠٩]).

﴿ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌۚ﴾ [الزخرف:٨٤].

بل إني أقول: لا أقدر أنْ أفضِّل جبريل أو ميكائيل أو واحدًا غير محمد ﷺ على أبي تراب علي بن أبي طالب لقوله ﷺ له: «**أنت مني وأنا منك**»[٢١٠] فمن فضَّل أحدًا عنه من في ظهره ذرية محمد ﷺ فقد فضَّله على النبي ﷺ، وهذا أعظم ما يكون في سوء الأدب، ولاسيما وقد قال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[٢١١].

وهل كان أحد أقرب منزلة لموسى من هارون عليهما الصلاة والسلام.

وأما الدليل الثالث: فلا يقبله إلا من أخذ بظاهر الإيمان بلا تأويل، فكان مع النبي بنفس النبي لا بنفسه، وذلك قوله ﷺ: «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه غير ربي**»[٢١٢] فأين الملأ الأعلى عند ذلك والملأ الأسفل، فقد انطوى فيه الجميع.

ألا ترى قوله ﷺ: «**لواء الحمد بيدي**»[٢١٣] فهو مجلي الله الكامل في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وصح عنه ﷺ أنه قال: «**الحمد لله تملأ الميزان**»[٢١٤].

فإن فهمت فقد امتلأ ميزانك، ولكن ينبغي أن تفهم كفتي ميزانك ما هما وكيف ملأتهما الحمد لله؟ وكيف لواء الحمد بيد محمد ﷺ؟ وكيف يحمده الأولون والآخرون؟ فإن فهمت رحمك الله، فلسان حالك يقول:

تركنا البحار الزاخرات ورائنا فلم يعرف الأقوام أين توجهنا

فعليك بمحمد ﷺ فاستمسك به ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب:٦] فلا نفس لك، بل النفس نفسه، فاشتراها منك لطفًا منه، وعاملك بدعواك فسلمها إليه، إمَّا بأن تَرد الأمانة إلى أهلها، وإما بهذا الشراء الإيماني، وحينئذ تشرب شرابه القديم، وتدخل بسلام آمنًا جنات النعيم، فينشد لسانك الظاهر عما انطويت عليه من السرائر.

تَغَطَّيتُ مِن دَهري بِظِلِّ جَناحِهِ فَعَيني تَرى دَهري وَلَيسَ يَراني

فَلَو تَسأَلَ الأَيّامَ ما اسمي لَما دَرَت وَأَينَ مَكاني ما عَرَفنَ مَكاني

﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] والحمد لله رب العالمين.

---

(٢١٠).

(٢١١).

(٢١٢).

(٢١٣).

(٢١٤).

وارد الأسئلة

السؤال الأول: ما ابتداء الإنسان؟ وغاية انتهائه على أي كيفية؟

جوابه: إن الإنسان حقيقة واحدة بالأصل مختلفة بالصورة، والشكل فهو حقيقة لا تتجزأ بالجوهرية التي هي عجب الذنب، فالابتداء كان الله ولا شيء معه، مع أن كل شيء موجود ولكن مندرج به اندراج أمواج البحر في البحر، وغاية انتهائه الصورة وهي عين الحقيقة، وتلك الصورة كالثلجة بالنسبة للماء، فهي وإن تجسدت ظاهرًا إلا أنها عين الماء، وذلك معنى قولهم وهو الآن على ما كان، فالحقيقة الإنسانية كالواحد بالنسبة للأعداد، فهو الذي كثر الأعداد مع أنه عين ذلك الكثير وفي المعنى قالوا:

هـذا الوجـود وإن تعـدد ظـاهرًا   وحيـاتكم مـا فيـه إلا أنـتم

وهذا وجه من وجوه معنى كلام السائل، فإن أراد بغاية انتهائه فناء الصور الإنسانية فغاية الانتهاء نفخة الصعق التي هي النفخة الأولى وهو انتهاء الدورة الأدبية الترابية الجسمانية؛ لأن الدور الآدمي الجسمي أصله من تراب فيعود إليه ثم يبدو الخلق الجديد كما قال تعالى: (**إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ**) [البروج:١٣].

السؤال الثاني: ما هو حال وحدة الوجود في الماضي، أي: في الأزل؟ وهل ابتداؤه روح أم على ما هو الآن؟

جوابه: قال الله تعالى: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ**) [الحديد:٣] فالأولية هو والآخرية هو والظاهرية هو والباطنية هو فالحقيقة هو، وهي واحدة ولكن لها اعتبارات مختلفة الحكم ومن هذا الاختلاف كثرة الأسماء والمعنى واحد.

قال سيدي محمد وفا ﷺ: نفس قال الواحد من كل الجهات: أنا الأول بالرحمن والآخر بالإنسان، والظاهر بالخلق، والباطن بالحق، فمن عرفني كذلك تحقق بي في كل ذلك، حَشرت آخره في أوله، وأعددت ظاهره حتى يصير أزليًا لا آخر لأوله، وصمديًا لا ظاهر لباطنه. انتهى كلامه.

وقوله: وصمديًا لا ظاهر لباطنه، أي: باطنه ظاهره فلمن ظهر ولا غير، قال الشيخ الأكبر ﷺ:

لـو ظهرنـا للشـيء كـان سـوانا   وسـوانا مـا ثـم أيـن الظهـور

وقد قلنا في جواب السؤال الأول: إن الأعداد المتكاثرة عين الحقيقة الواحدة، وقد نبَّه الله على ذلك بقوله: (**أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ**) [التكاثر:١]، فافهم.

السؤال الثالث: ما هي المناسبة بين الروح والمادة؟ وهل كلاهما شيء واحد أم لا؟

جوابه: الروح ظاهر المادة، والمادة باطنها، والروح شهادة المادة والمادة غيبها، والحقيقة واحدة والحكم مختلف، قال تعالى: **(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى)** [الحجر:٢٩]، فروحه هي الحقيقة المحمدية قال ﷺ: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[٢١٥] على رواية الروح، وفي رواية: «**نور نبيك يا جابر**»[٢١٦]، والأمر واحد، فالروح مادة العالم وجوهره، وهي عندنا عجب الذنب الذي لا يبلى، كما في الحديث وإلى تلك الروح المحمدية الإشارة بقوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ)** [الأنبياء:٣٠] وتلك الروح هي المسماة في بعض الأخبار النبوية بالدرة البيضاء، وفي بعضها بالياقوتة الحمراء، وعنها قال «ابن الفارض» ﵁:

وإنّي وإن كنتُ ابنَ آدم صورةً فلي فيه مَعنًى شاهدٌ بأبُوتِي

فهي المادة بالنسبة لسائر العالم، وأما مادة تلك المادة فهي الغيب المشار إليه في قوله تعالى: **(وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ)** [البروج:٢٠]، وفي الحديث: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله**»[٢١٧] ، فالذات كنز مخفي فافهم

السؤال الرابع: وإذا كان الروح والمادة شيئًا واحدًا، فمن أي شيء حصل التفاوت في ظهور كل منهما؟

جوابه: التفاوت اعتباري صوري حكمي، لا حقيقي ذاتي عيني، كما أننا عقلاً ندرك التفاوت ما بين الأول والآخر والظاهر والباطن، مع أن الله أخبر أن هذه المعاني المختلفة الحكم ظاهرًا هي: هو قال تعالى: **(هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ)** [الحديد:٣]، فالأسماء مختلفة المعاني والمسمى واحد، فالواحد هو المسمى بالثاني والثالث والرابع... إلى ما يتناهى، وهو هو في ذاته وحقيقته، ولذلك لما خاف أهل الحقيقة أن يسبق التعدد إلى وهم المحجوبين قالوا: إن الله واحد لا من طريق العدد، لئلا يتوهم التعدد والتكاثر الملهي عن وحدة الوجود، فعندنا الشاهد عين المشهود والواجد عين الموجود، وإلى ذلك أشار صاحب المقام القدسي سيدي عبد الغني النابلسي فقال قُدِّس سره بلسان الحضرة الإلهية:

بذاتي لذاتي لا لكم أنا ظاهر وما هذه الأكوان إلا مظاهر

---

(٢١٥)

(٢١٦)

(٢١٧)

فافهم.

وإذا كان الاثنان شيئًا واحدًا، فلماذا لا يوصف الواحد منهما بوصف الآخر؟ الجواب: لثبوت المرتبتين: مرتبة الجمع ومرتبة الفرق، فلو ُوصف كلٌ بوصف الآخر، لالتبس الأمر، ولم يتميز معنى عن معنى، بيان ذلك: إنك أيها الإنسان واحد بالذات، ولكن اعتبارك بصيرًا مثلاً غير اعتبارك سميعًا، واعتبارك راضيًا غير اعتبارك غاضبًا، واعتبارك عفوًّا غير اعتبارك منتقمًا، وهذه مرتبة الفرق مع أنك في ذاتك واحد، وهذه الواحدية مرتبة الجمع المقول في حقها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، ولذا قال سيدي عبد الغني النابلسي ﷺ مشيرًا للمرتبتين: يا مُسمي بالأسامي كلها وهو المنزه، فافهم ذلك والله الموفق.

وقد تقدم مذهبنا في الفرق بين الروح والمادة، وأما مذهب الفلاسفة، فمنهم من يقول بالعقول العشرة، ومنهم من يقول بالجوهر الفرد، وهو الجزء الذي لا يتجزأ، ومنهم من يقول بالعلة، فيقولون يا علة العلل ويا قديمًا لم يزل، ونحن نقول الكنز المخفي ظاهره الروح وباطنه المادة، فهذا الباطن هو المادة التي يستمد منها عالم الأرواح فضلاً عن عالم الأشباح وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠]، وذلك مرتبة الغيب المطلق وهو الكنز المخفي، فهو مادة الحقائق. فافهم.

السؤال الخامس: وأما إذا كان الاثنان كل منهما غير الآخر، فما هي المناسبة في كيفية اجتماعهما؟.

الجواب: التغاير، كالتغاير في صفاتك والاجتماع، كالاجتماع في ذاتك، وأنت أنت، فلم اختلف عليك الحال بالسمع والبصر، والرضا والغضب، والعطاء والمنع، والضر والنفع، والعفو والانتقام، فاعرف نفسك تعرف ربك، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن:٢٩]، والأشياء كلها شئون، والذات هي الجامعة لسائر تلك الفنون، فالمناسبة وحدة الذات، والمغايرة اختلاف الصفات قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن:٢٩]، ولولا اختلاف الشئون، ما قال للشيء: : ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فإن ألقيت عصا الصفات ظهرت لك حية الذات، فإن لم تخف سطوة جلال الذات وضممت لنفسك سائر الأسماء والصفات فأنت صاحب سيرتها الأولى ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨]، أي: تجلى باطنك في أي صورة ما شاء، فكانت تلك الصورة ظاهر ذلك الباطن، فلا تخف منك. فافهم.

السؤال السادس: ما الفرق الجوهري بين الإنسان والإنسان الكامل والأنبياء؟.

الجواب: دار الوجود واحدة ومساكنها مختلفة، ولابد للدار الكاملة من قاعة وغرف وقصور علوية، ومساكن سفلية، ومياه عذبة رائقة، وموضع لإنضاج الطعام ومصرف للقاذورات، وباب للمدخل والمخرج وإيوان وساحة، وكل ذلك عين الدار لا غيرها، فالقاعة النفيسة مثلاً كالمظهر المحمدي، والمصرف كالمظهر الإبليسي، والمساكن الباقية كبقية المظاهر، وكل موضع يشتمل إما على أحجار أو أخشاب، ولابد لتشييدها من الحديد مثلاً والمسامير والتراب والصخور، والعتبات والسقوف، وكل ذلك عين الدار، فدائرة الوجود واحدة، فهي الصور وساكن تلك الصور حقيقة الإنسان الكامل، فهو رب الدار كلها، ولا يمكنني إفشاء هذا السر بأصرح من هذه العبارة، والله الموفق.

واعلم أن قولي: دار الوجود واحدة، يستلزم أن يكون لها ظاهر بمنزلة البرَّاني وباطن بمنزلة الجوَّاني، فظاهرها كالأشباح وباطنها كالأرواح، وبرَّانيها كالدنيا وجوَّانيها كالآخرة، وما فيها من صور الجمال كالجنان وأهلها، وما فيها من صور الجلال،كالنيران وأهلها، وسلطان هذه الدار المالك لها هو الإنسان الكامل بجميع وجوهه الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، والعالم جميعًا مظاهر وجوده وشئونه حتى أن تلك الدار بجميع ما فيها صورته الكاملة، التي هي بمنزلة آدم الجامع لصور بنيه وباطنها وغيبها ومنشأتها حقيقة محمد ﷺ.

قولي سابقًا: فالقاعة النفيسة مثلاً كالمظهر المحمدي، مرادي به صورته الخاصة التي رآها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وإلا فالإنسان الكامل من جهة حقيقته هو سائر العالم، وعين كل شيء؛ لأنه الجوهر الفرد الجامع وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد، وهذا السائل لو خاطبني مشافهة لخاطبته بما هو أرقى من هذا التمثيل، ولكن ما كل ما يُعلم يُقال، ولله در الإمام الغَزَالِيُّ حيث قال رضي الله عنه:

غزلت لهم غزلاً رقيقًا فلم أجد لغزلي نسَّاجًا فكسرت مغزلي

ويكفي في وصف الإنسان الكامل قول الله تعالى: (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) [الأحزاب:٤٦]، فهو الذي أنار الوجود بجميع الأنوار، فمن الوجود الشمس وهي ظاهر صورته الخاصة، ومنه القمر كخاتم ولايته، ومنه النجم ومنه البرق، ومنه الهلال ومنه السراج، ومنه الضياء الكهربائي ومنه النور الناري، ومنه استمداد الجميع؛ لأنه واحد الوجود وصاحب الحقيقة الجامعة، كما قال: البوصيري:

فإنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها يُظْهِرْنَ أَنْوَارَها للناس في الظُّلَمِ

والكل يطلب الترقي للتحقق بحقيقة الإنسان الكامل على كمالها، فهو الشجرة والباقي

كفروعها وأوراقها وزهورها وثمارها، والحب الذي في الثمرة والشجرة الوجودية واحدة، وعلى قدر همّة الطالب سيكون الطلب، فمن فهم فلله دره، والله الموفق الهادي من يشاء إلى صراط مستقيم

السؤال السابع : هل يُنتظر ظهور أشياء خارقة للطبيعة من الأنبياء؟ وإذا حصل، فبأي قوة يتأتى له ذلك؟

الجواب: إن الاستعدادات والقوابل مختلفة، والناس قسمين: شقيّ وسعيد، فالشقي: من مات على الكفر أو الشرك، والسعيد: إما سعيد من الفطرة كالأنبياء والرسل وكعلي ـ كرَّم الله وجهه ـ وإما سعيد بسبب إجابة الأنبياء والرسل، والمجيب: إما مُزكي كالصديق آمن من أول وهلة، وإما غير مُزكي مرآة قلبه غير مجلوة، فهذا كالمريض المحتاج إلى التداوي فيداويه الرسول بما يصلح له، إما بالخوارق للعادات وإما بالمجاهدة وإما بالإكرام وإما بالتخويف على حسب ما يصلح له من الأدوية، كالطبيب الذي يعلم الداء ويصف الدواء، وهذه القوة تحصل للرسول من تجليات الله بأسمائه عليه، فمن تجَّلى الله عليه باسمه المبين، أبان عما في الضمائر وكشف السرائر، وشاهد بواطن الأشياء وعلم ما تحت الأرض كعلمه بما فوق السماء.

ومن تجَّلى الله عليه باسمه الشافي أبرأ الأكمه والأبرص، أو تجَّلى عليه بالاسم المحي أحيا الموتى، ومن تجَّلى عليه باسمي الحي نبع الماء من بين أصابعه، ومن تجلى عليه بالحفظ والعلم **(قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ)** [يوسف:٥٥]، ومن تجَّلى عليه بالاسم الغيور المنتقم قال: **(لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا)** [نوح:٢٦]، ومن تجَّلى عليه بالاسم المُعز ملك الدنيا كسليمان ، أو بالمذل: **(قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً)** [هود:٨٠]، ومن تجَّلى عليه بالاسم القدوس لم يكن جبارًا عصيًا، ولا تخطر له المعصية كيحيى ، أو بعلم الأسماء كان أستاذ الملائكة، أو بالذات كانت مبايعته مبايعة الله، وقيل له خذ العفو، وبناء على ذلك يقول: «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[٢١٨] حتى كان عمر بن الخطاب يستسقى الغيث بالعباس عم النبي ﷺ.

السؤال الثامن: وهو في الحقيقة من تمام السابع: وإذا حصل منهم خوارق العادات، وكل واحد منهم إنسان مثلنا، فلماذا لا يحصل على يدنا ما يمكن حصوله على أيديهم؟.

الجواب: ما قاله النبي ﷺ لعمه العباس حين قال له: «**يا ابن أخي ما نرى ربك ألا**

---

(٢١٨)

يطيعك فقال له: وأنت يا عم لو أطعته لأطاعك»[219]، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لولا ** في حديثكم وتمزيج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع**»[220]، وأما المتبعون له ﷺ الملتزمون للحدود الشرعية، فإن الله تعالى يورثهم مقامات الأنبياء والرسل بسبب الاتباع.

ألا ترى ما ورد في القرآن العظيم في حق مريم عليها السلام (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا**) [آل عمران:٣٧]، وقد قيل لها كما في القرآن العظيم: (**وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا جَنِيًّا**) [مريم:٢٥]، وذلك لاستقامتها على الطاعة وإتباعها منهج من كَفَّلها وهو زكريا عليه السلام، وذكر الشيخ الأكبر رضي الله عنه عن بعض العارفين أن الحق تعالى قال له: «**ما أعظم ملكي**» فقال العارف: «**ملكي أعظم**» فقال الحق له وهو أعلم: «**ولم ذلك**» فقال: «**لأنك أنت في ملكي وليس في ملكك مثلك**» وسبب ذلك: إن الرجل المومئ إليه قال: «**لي خمسون سنة ما خطر لي أن أعصي الله عز وجل**» والله الموفق.

السؤال التاسع: هل الأولياء يقدرون أن يصلوا مقام الأنبياء؟ وإذا قدروا إحراز مقامهم فما الفرق بينهم؟.

الجواب: أما الإرسال من الله تعالى الذي هو في التشريع فهو خصوصية من الاسم الوهاب؛ لأنهم قالوا: الإنعام من الاسم الوهاب، إنعام تقتضيه الذات فلا يعلل بعلة؛ لأنه أمر خارج عن الكسب، ومن أراد أن يتحقق ذلك فلينظر الفرق مثلاً بين حجر الياقوت وحجر العقيق، فكل منهما لا يجاوز حده، بل لكل حجر خاصية لا تكون للآخر، فاسم الحجر واقع على الجميع، وأما ماعدا الشرائع فإن الأمر بمنزلة الإكسير الذي يُرقّي المعادن ويلحق الأدنى بالأعلى، ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «**ما صب في صدري شيء إلا وصببته في صدر أبي بكر**»[221]، وذلك بمنزلة تطعيم الأشجار، قال سيدي داود بن باخلا: « **ليس شيخك من يصف لك الدواء بل شيخك من داواك في حضرته**» وقال تلميذه سيدي محمد وفا رضي الله عنهما: «**شيخك من فرغك منك وملأك منه**» وقال موسى عليه السلام في حق أخيه هارون عليه السلام: (**وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي**) [طه:٣٢].

---

(٢١٩)

(٢٢٠)

(٢٢١)

وقال علي بن أبي طالب سلام الله عليه: «**لما لقنني رسول الله ﷺ كلمة التوحيد بالتلقين الخاص صار عندي من العلم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل فقيل: كيف ذلك يا أمير المؤمنين فقال: إن جبريل وقف عند سدرة المنتهى في مصاحبته المعراج**»[٢٢٢] وقال: « **وما منا إلا له مقام علوم**»[٢٢٣]

وترقى ﷺ إلى أن (**دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ**) [النجم:٨-١٠]، فأين جبريل من علم هذا الوحي وهو واقف عند سدرة المنتهى ثم قال: «**وأنا أعلم ذلك**» فدلَّ ذلك على أن عليًا ؓ أرقى من جبريل في العلم بالله، ولذا قال ﷺ: «**علي مني وأنا منه**»[٢٢٤]، وجعل ذريته في ظهر علي ؓ، ولما آخى بين أصحابه أخذ بيد علي، وقال: « **هذا أخي**» وقال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[٢٢٥] .

ولكن هاهنا نكتة لعلك تقول: لماذا لم يعامَل أبا طالب الذي هو والد عَليّ معاملة ابنه علي؟ فنقول: إن الأمراض الباطنة كالأمراض الظاهرة، فإن كانت الأمراض عرضية يمكن علاجها للطبيب، وإن كانت ذاتية فلا علاج لها.

ألا ترى أن الخضر قتل الغلام وقال: إنه طبع كافرًا، وأبو طالب ما صح له العلاج إلا بعد الموت قال ﷺ: «**إن الله أحيى لي عمي فآمن بي**»[٢٢٦]

السؤال العاشر: أي قدرة لدى الأولياء توجد حتى أنهم يفعلوا الكرامات وأفعالاً خارقة للعادات؟.

الجواب: ما ورد في الحديث الصحيح: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وفؤاده الذي يعقل به ويده التي يبطش بها**»[٢٢٧] حتى سمع أبو يزيد قارئًا يقرأ قوله

---

(٢٢٢)

(٢٢٣)

(٢٢٤)

(٢٢٥)

(٢٢٦)

(٢٢٧)

تعالى: (إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) [البروج:١٢]، فقال: « **بطشي أشد**»، يعني: إنه إذا غضب بطش بلا رحمة، لكن الله أرحم بالوالدة من ولدها، والوالدة تكوي ولدها بالنار مثلاً وتبكي عليه، وتمام الحديث: «**ورجله التي يمشي بها**»[٢٢٨] فإذا كان الحق سمعه سمع كلام الله كموسى عليه السلام، وسمع كلام الحيوان والنبات والجماد، وإذا كان الحق بصره أبصر المسميات قبل وجودها الظاهر.

ومن هذا المعنى قال تعالى للملائكة: (أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ) [البقرة:٣١]، فأشار إلى المسميات وهي حاضرة، ومن كان الحق يده فعل ما فعله النبي ﷺ لما شكا إليه أبو هريرة النسيان، قبض قبضته من الهواء ووضعها في ذيل أبي هريرة رضي الله عنه ثم قال: «**ضمه إلى صدرك**»[٢٢٩] فضمَّه، قال أبو هريرة: «**فوالله ما سمعت بعد ذلك شيئًا إلا وحفظته**»[٢٣٠] ومن كان الحق لسانه نطق بالمغيبات، ومن كان الحق فؤاده كان وارثًا لمن قيل في حقه: (مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ)[النجم:١١]، ومن كان الحق رجله مشى بها في الهواء وعلى وجه الماء، وخطا بها خطوة لأعلى جبل قاف، وغاص بها لقاع البحور.

ومن أحب معرفة علل الكرامات، فلينظر في كتاب «مواقع النجوم» للشيخ الأكبر رضي الله عنه، وملخصه أن العمل الشرعي لكل عضو سبب في الكرامة له، فمن استقام لسانه على الذكر مثلاً، يقول للشيء: : (كُن فَيَكُونُ) ومن هذا المعنى قول آصف لسليمان عليه السلام في حق عرش بلقيس: (أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ) [النمل:٤٠] وذلك من تربية سليمان، فإنه قال: (أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا) [النمل:٣٨]: على طريق الاختبار لأصحابه كما يختبر الأستاذ تلامذته.

السؤال الحادي عشر: ما عذر الأنبياء في كتم الأسرار؟

والجواب عن هذا ظاهر كنار على علم ولله در من قال:

فمـن مـنح الجُهـال علمًـا أضـاعه   ومـن منـع المستوجبين فقد ظلـم

فإن قلت: ولماذا لا تفعل الأنبياء ما فعله المصطفى بالصديق حيث قال: «**ما صب في**

(٢٢٨)

(٢٢٩)

(٢٣٠)

صدري شيء إلا وصببته في صدر أبي بكر»[٢٣١]؟ فمثل هذا السؤال مثل من يقول لمن تزوج بنت سبع سنوات مثلاً: لماذا لم تحبلها حتى يأتيك منها ولدًا؟ وانظر إلى ما قال الله: **(فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ)** [النساء:٦]، وكم من مريد لو أفشى إليه أستاذه الأسرار لكان أول من يكفّره ويزندقه! ولاسيما علم وحدة الوجود وعلم الأدوار، وقال زين العابدين سلام الله عليه.

يـا رُبَّ جَـوهَر عِلـمٍ لـو أبـوحُ بـهِ لَقيلَ لـي أنـتَ مِمَّـن يَعبدُ الوَثَنـا
وَلَاستَحَلَّ رجـالٌ مُسـلِمونَ دَمـي يَـرَونَ أقـبَحَ مـا يَأتونَـهُ حَسَـنا
إنّـي لَأكـتُم مِـن عِلمـي جَـواهِرَهُ كي لا يَرى العِلمُ ذي جَهلٍ فَيَفتَتِنا

وكان عمر بن الخطاب يدخل على النبي ﷺ وعنده أبو بكرﷺ فيتكلمان، فيقول عمر: «**والله كأني بينهما زنجي لا أفهم ما يقولان**»[٢٣٢] ، وهذا علم السطور، فهذا عذر الأنبياء في كتم الأسرار .

السؤال الثاني عشر: هل توجد أسرار حقيقية؟ وبأي واسطة يتوصل إلى حصول تلك الأسرار؟

الجواب: نقول للسائل: أعظم الأسرار أنت أيها الإنسان، فأنت حامل الأمانة الإلهية، ولا تعرف نفسك والتوصل لذلك بالتزكية المذكورة في القرآن، قال تعالى: **(قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)** [الشمس:٩، ١٠]، وقال ﷺ لأصحابه: «**لو تدومون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم**»[٢٣٣].

وأعظم عبرة تلقيح الأشجار وتطعيمها، فمن أراد علم الأسرار فليأكل الحلال وليصحب أهل الكمال، قال البكري ﷺ في ورد السحر: **إلهي دلني على من يدلني عليك وأوصلني إلى من يوصلني إليك،** والله الموفق .

السؤال الثالث عشر: هل يمكن أن تكون الأسرار الموجودة في عالم الحقيقة مخالفة للشريعة؟ وكيف يتوصل إلى الحقائق مع تضاد الشرائع لها؟.

الجواب: لا يقول بمخالفة الشرع الظاهر للحقائق والأسرار إلا جاهل بالطريق أو

---

(٢٣١)

(٢٣٢)

(٢٣٣)

إباحي ملعون زنديق، فإن الله قيَّد نفسه بالشرائع فلا يحكم في الدنيا والآخرة إلا بما تقتضيه الشرائع، ماعدا الحكم بواسطة إبليس أو الدجال الخارج عن طريق أهل الله أهل الحقائق والأسرار، وأما غير أهل الله فواسطتهم من قال تعالى فيه: **(لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ)** [ص:٨٥]، وبسبب ذلك قال: **(إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ)** [آل عمران:١٧٨]، فالإمداد لأمثال هؤلاء من الاسم المضل وقول السائل، وكيف يتوصل إلى الحقائق مع تضاد الشرائع لها؟ نقول: مسَّلم ذلك في الحقائق الإبليسية والدجَّالية، فلا يوصل إليها إلا بالخروج عن الإسلام وترك الأعمال المشروعة، وكم وكم ضلَّ في هذا المعنى من التبس عليه طريق محمد ﷺ بطريق إبليس! فطريق إبليس ترك الشرائع والمرشدون إلى تلك الطريق أبالسة ألعن من إبليس، فإن إبليس جبله الله على الإغواء مع علمه بالإسلام والكفر والحلال والحرام، فهو من كونه مجبولاً على الإغواء يأمر بالكفر ويتبرأ منه. قال تعالى: **(كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)** [الحشر:١٦]، فأخبر أن باطنه خلاف ظاهره، وأما الأبالسة من بني آدم فإنهم أباحوا ترك الشريعة المطهرة ظاهرًا وباطنًا، وقالوا لا يتوصل إلى الحقائق إلا بترك الشرائع، فهؤلاء ضالون مُضلّون، يجب على السلطان إذا عرف واحدًا منهم وحضر وقت الصلاة أن يقدِّم قتله أولاً على أداء الصلاة المفروضة، ثم يؤدي الصلاة المفروضة بعد قتله، وحيث كان الطعام مقدَّمًا على صلاة المصلي لئلا يشتغل له قلب المصلي، فكيف بمن يفسد عقائد الناس ويخرجهم عن دين الإسلام؟!

وقد قال الغوث سيدي عبد الكريم الجيلي - قدِّس سره- في كتابه «الأسفار شرح رسالة الأنوار»: إياك يا أخي أن تسكن بلدة فيها واحدًا منهم أي: من هذه الطائفة لعن الله جميعهم، وأما الأسرار المحمدية، فلا يتوصل إليها إلا باتباع طريق محمد ﷺ قال ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه**»[٢٣٤] وكان ﷺ متواصل الأحزان ويقول: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**»[٢٣٥] .

ويكفينا قول الله تعالى: **(قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)** [يوسف:١٠٨]، ويلزم من يقول أن الشريعة تضاد

---

(٢٣٤)

(٢٣٥)

الأسرار الإلهية أن يقول: إن النبي ﷺ غشَّ أمته حتى أتعبهم بهذه التكاليف الشرعية، حاشاه ثم حاشاه ثم حاشاه، فإنه بَّلغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وقال: «**تركتكم على بيضاء ونقية**»(٢٣٦) وأخبر أن أمته تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة في الجنة والباقي في النار، فقيل له: ما هي الناجية؟ فقال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢٣٧) وقال: «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»(٢٣٨) فنسأل الله كمال التوفيق، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وإنه يقول الحق وهو يهدي السبيل، وصلى الله على مولانا محمد وآله والحمد لله .

وارد:

فتح الرحمن عن إسراء أعضاء الإنسان.

اعلم ـ رحمك الله- أن لأعضاء الإنسان علمًا بالله تعالى، وعبادة وذكرًا وتسبيحًا على حدتها، بقطع النظر عن كونها ملكًا للنفس الإنسانية، تُصرفها النفس(٢٣٩) كيف شاءت، فلها عبادة جبرية تجبرها عليها النفس الإنسانية ولها طاعة لله تعالى من حيثها، فلا تطَّلع عليها النفس في تلك الطاعة، بل هي التي تطَّلع على النفس فتأمرها بالمعروف وتنهاها عن المنكر من حيث لا تشعر النفس بذلك، وهذا المعنى ورد عليًا من قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا) [الكهف:١١].

ذلك أن الذكر إنما يكون بالألسن لا بالأعين، والله تعالى ذكر هنا أن أعينهم في غطاء عن ذكر الله، فما هو هذا الذكر الذي الأعين في غطاء عنه؟ فأقول ـ وبالله التوفيق- ذكر

---

(٢٣٦)

(٢٣٧)

(٢٣٨)

(239) والنفس صنم زينها الحق بكسوة الربوبية، وملأها من القهر واللطف، وكسي زينة ملكه أموال الدنيا امتحانًا للعاشقين، فمَنْ نظر إلى نفسه بغير زينة الحق صار فرعونًا نطق لسان القهر منه بـ(أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ) [النازعات:٢٤]، وذلك مكر القدم واستدراجه.

ومَنْ نظر إلى ربوبية وفنيت نفسه فيها نطق لسان الربوبية منه كالحلاج ـ قدَّس الله روحه العزيز- بقوله: (أنا الحق، ومثاله في ذلك مثال شجرة موسى عليه السلام؛ حيث نطق الحق سبحانه منها بقوله: إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ) [القصص:٣٠]، نطق بصفته عن فعله.

الله تعالى مظاهره الوجودية، فإنها هي التي تذكر الظاهر بها، فالأعين التي تشاهدها تذكر الله تعالى بمشاهدة ذكر مظاهره له.

لا ترى أن الأعين في نفسها تقول: يا بصير، والسمع يقول: يا سميع، واليد تقول: يا معطي يا آخذ، والرجل تقول: يا متقرب بالذراع والباع، بل يا مهرول، ووجه كل شيء في الوجود من الأعيان الصورية يقول: يا ظاهر، وروحك الباطنة عنك تقول: يا باطن، ومرضك ينادي: يا مبلي، وأدويتك تنادي: يا شافي، ورياضك وأزهارك تنادي: يا لطيف، وألحانك المطربة تنادي: يا باسط، والروح تذكر: يا محيي، والسيف يذكر: يا مميت، وهذا المعنى يسميه الإمام الرباني ﷺ سير أهل النهايات، وهو السير في الأشياء ويُستفاد من قوله تعالى: (**فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ**) [الذاريات:٥٠]، وهذا مقام صديقي.

قال سيدنا الصديق ﷺ : «**ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قلبه**»، والمعنى أن قبل أن يعرف مرتبة الشيء الخلقية يعرف مرتبته الحقّية من الأسماء الإلهية، فيعرف الاسم المتجلي فيه أولاً من جهة الحق قبل معرفة صورته من جهة الخلق، فمن عرف الأسماء الإلهية الظاهرة في الوجود وشاهدها في المظاهر، فأعينه ليست في غطاء عن ذكر الله الذي يذكر به نفسه، فحينئذٍ الأعين تذكره بالذكر الذي يذكر به نفسه، فهذا هو ذكر الأعين لا ذكر الألسن، فلكل عضو من أعضاء الإنسان ذكر خاص به.

بل أقول: إن الإنسانية سارية في جميع صور الوجود لقوله تعالى: (**فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ**) [الانفطار:٨]، فمن فهم سر عبادة أجزاء الإنسان، بل أجزاء كل شيء في الوجود أدرك معنى قوله تعالى: (**وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ**) [الذاريات:٥٦]، حتى أني أقول: نعيم أهل الجنة في الجنة لعبادة الله، وعذاب أهل النار في النار لعبادة الله، ومن هذا الوارد فهمت سر سورة (**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ**) من كونها تعدل ربع القرآن، وذلك أن أمهات مراتب الوجود أربع: الأولية والأخرية والظاهرية والباطنية، فلابد أن العابد يعبد الله من جهة أسمائه الأربعة التي قال عنها: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ**) [الحديد:٣]، ومن هذه الجهة أثبت الله العبادة للكافرين، قال الله تعالى: (**قُلۡ**) أي: يا محمد (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ**) [الكافرون:١]، يعني الذين قال فيهم ومنهم: (**مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ**) [الحج:١١]، أي: على طرف من هذه الحقائق الأربع، إما يعبده من جهة الأولية كالمنزهين، أو الآخرية كالمشبهين، أو الظاهرية كالحسِّيين، أو الباطنية كالمؤولين الظواهر (**ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا**) [الكهف:١٠٤]، فأسقطوا التكاليف الشرعية عن أنفسهم وزعموا أنهم أولياء الله.

فلعمري هذه المعرفة ما عرفها رسول الله ﷺ ولا الخلفاء الراشدون ولا التابعون وأتباعهم، حتى أن إبليس بعد أن يأمر الإنسان بالكفر يتبرأ منه إذا كفر ويقول: (إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [الحشر:١٦]، فلهذه المراتب الأربع يقول ﷺ: (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ * لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ) [الكافرون:١، ٢]، أي: لا أعبد للتنزيه ما تعبدون من أصنام التشبيه، بل أعبد منزهًا وإن ظهر بجميع صور التشبيه، وحيث الأمر كذلك فعبادتي ليست كعبادتكم (وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ) [الكافرون:٣] لأنكم لا قدرة لكم على رفع بيوت المظاهر[٢٤٠]، فقوله: (لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ) هو ربع الاسم الأول، (وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ)ربع الاسم الآخر (وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ) [الكافرون:٤] ربع الاسم الظاهر، أي: لأني أنا عابد الله في جميع المظاهر لا فيما عبدتم فقط، (وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ) [الكافرون:٥] هو ربع الاسم الباطن، وهي مرتبة (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ) [الشورى:١١]، وهذا الباطن هو الذي كان يشهده في صورة من يدعوه إلى الله، فيقول لهم: «**من ينصرني حتى أبُلّغ رسالة ربي**»[٢٤١] وهو يعلم ويشهد أنه لا ناصر له إلا الله، فالعبد المحض يعبد الباطن في عين الظاهر.

ألا ترى قول لوط عليه السلام: (لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً) [هود:٨٠]، فهو مشهد حسي جسماني قال تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، ومن هنا قال بعض السادات النقشبندية: منذ ثلاثين سنة وأنا أعبد الروح وأظن في ذلك أني أعبد الله؛ لأنه كان يعبد الله من جهة التنزيه فقط، وصاحب هذا الحال مؤمن من وجه واحد، والكامل من يعبده بالوجوه الأربع ثم قال: (لَكُمۡ دِينُكُمۡ) [الكافرون:٦]، أي: المقيد (وَلِيَ دِينِ) [الكافرون:٦] أي: المطلق، فمن قرأ هذه السورة على هذا الحد فقد برئ من الشرك، كما ورد، والله الموفق.

وإنما رقمناها: (وَلِيَ دِينِ) بإثبات الياء للتنبيه على هذه القراءة ولإضافة الدين إلى ضمير محمد ﷺ فافهم وتنبَّه

وارد:

سألني أخي في الله، وفتح مغالق أبواب علمي صديقي الشيخ أحمد بن بكري

---

(٢٤٠) الإشارة: إذا طلبت العامة المريدَ بالرجوع، إلى الدنيا والاشتغال بها، يُقال له: قل يا أيها الكافرون بطريق التجريد، والتي هي سبب حصول التوحيد والتفريد، لا أعبدُ ما تعبدون من الدنيا وحظوظها، أي: لا أرجع إليها فيما يُستقبل من الزمان ، ولا أنتم عابدون ما أعبدُ من إفراد الحق بالمحبة والعبادة، أي: لا تقدرون على ذلك، ولا أنا عابد ما عبدتم من الدنيا في الحال. انظر: البحر المديد (١١٦/٧).

(٢٤١)

الفواخيري عامله الله بوده، وأتاه رحمة من عنده عن قوله تعالى، يخاطب حبيبه الأعظم ونبيه الأكرم ومجلوه الكامل الأكمل الشامل الأعم محمدًا ﷺ في حق أصحاب الكهف الذي قال تعالى في حقهم: (أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا) [الكهف:٩]، إلى أخر ما ذكره تعالى في حقهم، فهذا الأخ المومئ إليه أشكل عليه من هذه الآيات قوله تعالى: (وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا) [الكهف:١٨]، ومحل الإشكال أنه ﷺ هو القلب الذي يدور عليه الوجود، فكيف يفر ويملأ رعبًا منهم بالرؤية والشهود؟!

فأقول وبالله التوفيق: إن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام- وكل ورثتهم من الأولياء أموات في الله غير أحياء إلا به، تجلى فيهم الحي القيوم، وما يشعرون في أنفسهم أيان يبعثون؛ لأنهم لا يجدون أنفسهم، بل الله واجد نفسه بنفسه فيهم، فليس لهم من الأمر شيء بل أن الأمر كله لله، ومن المعلوم أن أصحاب الكهف (فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى) [الكهف:١٣]، فإيمانهم بربهم إيمان فتوتهم التي دعتهم أن يؤمنوا بالله تعالى مجردًا عن خلقه، باطنًا لا تدركه الأبصار، فربط الله على قلوبهم من جهة اسمه الباطن، فلا يدخلها سواه قال تعالى: (وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ) [الكهف:١٤].

فلهذا لما دعاهم الملك دقيانوس إلى عبادة الأصنام أو القتل قالوا: (رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا) [الكهف:١٤]، فلما أُرعبوا منه وفروا بدينهم أنزلهم الاسم الباطن باطن الجبل، وهو الكهف الذي سكنوه وتجَلَّى عليهم بجلاله وعظمته، وألبسهم هيئة يُرعب منها كل من رآهم بالخاصية حتى ولو كانوا نائمين يحسبهم الرأي أيقاظًا وهم رقود، ولما ربط الله على قلوبهم أنهم لا يعبدون من دون ربهم الذي هو رب السماوات والأرض إلهًا غيره، فعولوا على مرتبة البطون وخافوا من عبادة أصنام الظهور، صار لهم بسبب هذا الربط قوة حال عظيمة تؤثر في الجبال الراسيات، وتُرعب جميع المخلوقات، فلو اطَّلع ﷺ عليهم وعلى قلوبهم التي ربط الله عليها من جهة اسمه الباطن لولى منهم فرارًا؛ لأن قلبه مطلق ليس مربوطًا عليه، ومن المعلوم أنه ﷺ من جهة الربوبية لا يفر منهم ولا يرعبه شيء، ولكن لشدة كماله في تنزلات الحق فيه إلى أسفل مراتب العبودية يكون محكومًا لكل حاكم لمشاهدته الحق تعالى في كل شيء.

ألا ترى أن الحق تعالى يؤثر في علاهم الحاكم العبدي فيرضيه فيرضى، ويغضبه فيغضب، وينزل لأجله إلى سماء الدنيا ليقضي حاجته ويفرحه بتوبته فيفرح، بل يضحك

فيضحك - كما ورد - «**دعه يا موسى فإن هذا يضحكني**»[٢٤٢] لمن قال يا رب لو علمت حمارك لصنعت له برذعة.

وورد في الحديث: «**ضحك ربنا من قنوط عباده**»[٢٤٣].

ولا يزال في التنزل إلى أن يطلب النصرة من عباده بقوله: **﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾** [محمد:٧]، حتى جعل على عباده عين مَلله فقال: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**»[٢٤٤] حتى جعل نفسه يؤذي، فأين قوله: لا يعجزه شيء من كونه يؤذى ويسب ويشتم، بل من كونه يجوع ويظمأ ويمرض؟ وكل ذلك وارد في الكتاب والسنة، فمن هذا الوجه يولي ﷺ منهم فرارًا ويمتلئ منهم رعبًا أن يؤثر حالهم في باطنه أو في ظاهره، والله تعالى يقول: **﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلاً﴾** [الإسراء:٧٤]، حتى قال: «**نحن أولى بالشك من إبراهيم**»[٢٤٥] أي: لأن الله تعالى تنزل إلى رتبة الشك فقال تعالى: **﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾** [الصافات:١٤٧].

فالقلب المحمدي ليس مربوطًا عليه بل مشهده: **﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾** [البقرة:١١٥]، فلذا قال وارثه المحمدي: عند الخلائق في الإله عناية وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه.

ومما قررناه تعلم أن معرفة العموم بحال القطب هي من وجه واحد فيزعمون أنه حاكم ولا يحكم عليه، ومؤثر ولا يتأثر، ومتصرف ولا يتصرف فيه، وهذا جهل محض، ولو كان البر كذلك لما ذبح يحيى عليه السلام ولما نشر زكريا عليه السلام ولما فرَّ محمد ﷺ من قومه مع صديقه واختفى هو وإياه في الغار، بل أعظم من يكون فقيرًا منقادًا هينًا لينا هو الغوث أو الفرد، فكذا صحَّ، فكما أن الفرد أو القطب يحكم على كل ما سواه، كل ما سواه يحكم عليه؛ لأن مشهده الفقير لكل ما في الوجود قال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾** [فاطر:١٥]، وإلى ما قلناه الإشارة بما ورد من رواية ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ حامل الحسن على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام» فقال النبي ﷺ: «**ونعم**

---

(٢٤٢)

(٢٤٣)

(٢٤٤)

(٢٤٥)

الراكب هو»[٢٤٦].

فانظر إشارته ﷺ في قوله: « هو» ولكن أين من يفهم؟! وكان ﷺ كلما خطب امرأة يقول لمن يرسله: اذكر لها جفنة سعد بن عبادة، ولما مات ابنه إبراهيم قال: «**وإني عليك يا إبراهيم لمخزون»**[٢٤٧] ولما سمَّته اليهودية أثّر فيه السم ﷺ مع أن خالد بن الوليد لم يؤثر فيه السم بل همة خالد أثّرت في السم ألّا يؤثر، وأما رسول الله ﷺ فلا همة له إذ ليس له من الأمر شيء فيزعم النبي أن القطب هو صاحب الهمة المؤثرة ولا يعجزه شيء[٢٤٨].

فليت شعري لمَّا سُجن يوسف، ولمَّا ابتُلع يونس، ولمَّا تسلط البلاء على أيوب، وابيضَّت من الحزن عينا يعقوب، ولمَّا شُجَّ محمدٌ ﷺ وقال: «**كيف تفلح أمة شجوا نبيهم»**[٢٤٩] فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] ولربما واحد من أهل النوبة الذي يمده القطب في الباطن يؤثر حاله في القطب فيقتله بهمته.

وكان سيدي علي الخواص ﷺ مع قطبانيته يخاف من أهل النوبة، وبما قررناه اتضح قول الله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨]، ومن هنا يستبين لك قول سيدي داود بن باخلا ﷺ أنه قد يكون الكامل في سفينة، والأبدال الذين يمشون على الماء ولا تبتل أقدامهم يأتوه إليه ليستفيدوا من علمه بالله، ولو نزل من السفينة ومشى على الماء معهم لغرق، فانظر إلى هذه المعرفة من هذا الكامل ﷺ

والحاصل أنك ما تجد من الناس إلا من يعتقد بغوث الزمان مرتبة الإطلاق والتنزيه والتصرف المطلق بما يشاء، أفلا ينظر هذا القائل بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١] وكذا قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] وحيث لا يرضاه فلماذا لم يمحه بقدرته من القلوب، ولكن كل من الاسم الهادي الذي مظهره الكامل محمد ﷺ ومن الاسم المضل الذي مظهره إبليس اللعين مجبوران

---

(٢٤٦)

(٢٤٧)

(248) وقد وبَّخ الله من لا تصل يدُ همَّته إلى وثقى عروة نبوّته والإيمان برسالته والمعرفة بكمال شرفه خسرت في الأزل يده؛ إذ قطعها الحق عن مصافحة حبيبه صلاة الله وسلامه عليه، والأخذ بعروة متابعته، ذلك الخسران من خذلان الحق إيَّاه، فإذا كان محجوبًا عن طريق الرشد لا ينفعه أعماله ولا أمواله.

(٢٤٩)

للاسم العزيز الجبار، ومن تجليه قال إبليس: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ) [ص:٨٢]؛ لأن العزيز هو القاهر فوق عباده من بقية الأسماء، فهو يحكم ولا يحكم عليه وهم باطن محمد ﷺ فيجبر ظاهره فلا يكون مطلق التصرف في الدنيا.

ولذا قيد سيادته بيوم القيامة كما قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[٢٥٠] فما ُقيد بذلك سدى، ولو كان محمد ﷺ مطلق التصرف بكل شيء لآمن من كفر، بل إن الله تعالى قال: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ) [الزمر:١٩] فأين هذا النص القرآني من شطحه من قال: أصبحت أحي وأميت وأنا على كل شيء قدير؟! أتقول أن هذا من كماله، لا بل الكمال عبودية من أنزل عليه: (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ) [آل عمران:١٢٨] (وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ) [الأحزاب:٤].

نادرة وغريبة:

رأيت في كتاب «حياة الحيوان» أن النبي ﷺ أرسل خلفاءه الأربعة وهم: أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضوان الله عليهم ـ إلى أصحاب الكهف يدعوهم إلى تصديق رسالته فأمر الريح أن تحملهم إلى الكهف، فلما وصلوا إليه بعثهم الله وأحياهم، فقالوا لهم: نحن رسل رسول الله محمد ﷺ الذي بشَّر به عيسى ابن مريم عليه السلام ، فآمنوا وصدقوا ثم عادوا إلى مضاجعهم، فعلى هذا هم من أمة عيسى عليه السلام أولاً ومن أمة محمد ﷺ ثانيًا، فيؤتون أجرهم مرتين، ولكن هذه القصة لم تصح عند أهل الحديث مع جوازها وإمكانها، بل هي بالنسبة إلى المزايا المحمدية ليست بأمر مهم وهذه القصة نسبت إلى ثعلبة رضي الله عنه وبعض أهل الحديث والله أعلم.

فإنه والكهف: يطلق على البيت المنقور في الجبل أو الغار الواسع، والوصيد: هو الباب، وقيل التراب، والرقيم معناه: المرقوم، وهو كتاب أو لوح فيه أسمائهم، وأصحاب الكهف سبعة وهم كما قال ابن عباس: مكسلمينا، يحليخا، مرطونس، بينوتس، ساربوتس، وواتونس، كندسلططنوس، وكلبهم قيل: اسمه الريان، وقيل: قطمير، والكهف يُطلق على الملجأ كما في «القاموس»، ولعلهم يجدون هذا الملجأ في الغار الذي أووا إليه كما وجد أبو الحسن الشاذلي سيدي عبد السلام ابن بشيش ـ رضوان الله عليهما ـ في الغار، فحينئذ يكون الحق قد أمرهم أن يأووا إلى صاحب الزمان ليعرفهم بالله تعالى المعرفة المطلقة حتى يعذروا قومهم في باطن الأمر، وذلك يناسب قوله تعالى: (وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ) [الكهف:١٦]

---

(٢٥٠)

أي: اعتزلتم من عبد الصنعة دون الصانع ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف:١٦] الجامع ففررتم إلى رب السماوات والأرض الفاطر، ولم تعلموا أنه كما هو الباطن كذلك في السماوات والأرض هو الظاهر حتى فيما عبدوه من الأصنام، بل في صور الوجود على التمام، فقلتم: ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗا﴾ [الكهف:١٤] وهل إله مع الله؟!

أما علمتم أنه لا إله، أي: لا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن إلا الله، أما علمتم أن فطرة الناس على فطرته وأن صنعته لم تكن إلا على شاكلته، فأووا إلى كهف العالم ملجأ له وخليفته ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ ويمن عليكم بشهوده ومعرفته ويميتكم بالفناء ويحييكم بالبقاء ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف:١٦] أي: ما ترتفقون به من الغذاء القدسي المتنزل من أمركم النفسي فما قيل لهم: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾[الكهف:١٦] إلا ليعلمهم أن من اعتزلوهم ما يعبدون إلا الله الظاهر في الأصنام؛ لأن وجود الله سالم من سواه، فلذا كان اسمه السلام، ومن أوى إلى الكهف يتيقظ من الرقود، ويعلم من هو الشاهد والمشهود، ومن هو العابد والمعبود، فالكل منه وإليه وليس مدار الأمور إلا عليه، هذه الأكوان طلعته كل من قد هام فيه رقى.

والمرفق ورد فيه قراءتان: فتح الميم وكسر الفاء، وكسر الميم وفتح الفاء، وهو الرزق سواء كان رزق الجسوم أو رزق المعارف والعلوم، والله الهادي إلى صراط مستقيم.

وارد: مورود في ظل ممدود

قال الله تعالى لحبيبه الأعظم صاحب الخلق العظيم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾ [الزمر:٣٠] وقال ﷺ: «**موتوا قبل أن تموتوا**»[٢٥١].

فاعلم ـ رحمك الله ـ أنه ﷺ لما تجلى الله عليه بقوله: ﴿ٱلۡأَوَّلُ هُوَ﴾ [الحديد:٣] علم أن أوله هو الله، والآخر علم أن أمره هو الله، والظاهر علم أن ظاهره هو الله، والباطن علم أن باطنه هو الله، فمحاه الله وأثبت نفسه فقال: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] وحقق ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] ففي هذا التجلي انمحت خلقيَّته بمشهد حقيَّته فماتت منه الخلقيَّة موتة الأبد، فلا يرجو بعد هذه الموتة الأبدية حياة؛ إذ من المحال أن من مات هذه الموتة أن يحيا الحياة الخلقيَّة التي كان يزعمها، ولا يرجوا نشورًا؛ لأن الله تعالى هو ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾[المطففين:٩] صور الوجود في لوح ذاته

(٢٥١)

التي هي الرق المنشور.

فوجود الله هو الرق المنشور الحامل لرقوم صور كتابه المسطور، فثبت أن الله كما هو الظاهر هو المظهر، وكما أنه هو المعنى كذلك هو الصورة كما أخبر عن نفسه بأن عين أعضاء عبده فقال: «**كنت سمعه**»[٢٥٢].

ولما علم الله أن في العباد من يؤول كلامه ويخرجه عن ظاهره احترز، فقال: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**»[٢٥٣].

فمن صدَّق الله في كلامه وصدَّق رسوله ﷺ فيما أخبر عنه وتأدَّب مع الله ورسوله فلم يغيِّر ألفاظه ولا ألفاظ رسوله ﷺ واعتقد أن بيان رسول الله فيما نطق به أعظم من بيان المؤولين أيقن أن ذات الله المعبَّر عنها بضمير كنت هي سمعه الذي يسمع به، وما يسمع إلا بالجارحة المعلومة، وأيقن أن ذات الله بصره الذي يبصر به، وما يبصر إلا ببصره المعلوم، وكذا يده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ إذ لا يبطش إلا بيده المعلومة، ولا يمشي إلا برجله المعلومة.

فليت شعري من هو المخلوق حينئذ المُسمى بفلان؟ وما الذي بقي له من وجوده؟ وقد أخبر تعالى أنه لا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن إلا هو وقال: **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ)** [البقرة:١١٥].

فبالله عليك أيها الناظر في كلامي، هل أنت الصادق في قولك: هذا وجهي، وهذه يدي، وهذه رجلي، وكذا سمعك وبصرك وفؤادك، وأولك وآخرك وظاهرك وباطنك أم الله تعالى هو الصادق في كلامه؟ وأنت حينئذ لا شيء، لا والله بل هو الصادق **(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً)** [النساء:١٢٢]، لا أحد، فهذه موتة الأبد التي ماتها رسول الله ﷺ وماتها ورثته، فلا يرجون بعدها حياة؛ لأن الله هو المحيي فيهم حياة الأبد، ولا نشورًا لأن الله حي لا يموت حتى يكون له نشور؛ إذ لم يزل له الوجود على ما هو عليه.

ولما علم الشبلي رضي الله عنه أن هذه الموتة حياة الأبد، وقد سأله سائل عن نفسه فقال له: أين الشبلي؟ فقال له: مات لا رحمه الله، فالرسول ﷺ مُشهده أن الله هو الظاهر، فهو مهيم في

(٢٥٢)

(٢٥٣)

نور جماله وجلاله حي حياة الأبد مستغرق في لذة نعيم كماله، حاضر مع أحديته، ناظر لحكم فرديته، لا يسعه إلا ربه ولا ينام عن تلك المشاهدة قلبه، فإن تكلم فعنه، وإن سمع فمنه، وإن نظر فإليه، وإن توكّل فعليه، هو صاحبه في السفر، وخليفته في الحضر، نسي من الخليقة نفسه، وذكر في نفسه بربه ربه، فكان الله هو الذاكر لنفسه في صورة كاملة محمدية، فاسم محمد واقع على الله كما أن اسم الله واقع على محمد ﷺ كما قال تعالى: (**وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ**) [العنكبوت:٤٥]، أي: الذكر الذي يذكر به نفسه.

ومن هذا التجلي قوله لمن يؤبرون النخل: «**أنتم أعلم بمصالح دنياكم**»[٢٥٤] فإنه لا دنيا له ولا آخرة، فدنياه تجلي الله باسمه الأول، والآخرة تجلي الله باسمه الآخر، وصور الوجود التي من جملتها النخل الذي يؤبرونه تجلى الله باسمه الظاهر، والمعاني الغيبية تجلى الله باسمه الباطن، فليس مع أصحابه ولا مع أحد بل مع مولاهم، فهم أعلم منه وأعرف بأمر دنياهم، فقوله: لعلكم لو لم تفعلوا أو لو تركتموها من باب قوله في حديث آخر: «**لو توكلتم على الله حق التوكيل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[٢٥٥] وقد ورد: «**لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال**»[٢٥٦] فبالله عليك يا أخي من يكون كذلك هل يحتاج إلى تأبير النخل.

والحاصل أنه ﷺ لا يُقاس كلامه بالأفكار؛ لأنه نور مغمور بالأنوار، قلبه مورد لتجليات الأسماء الإلهية، فيختلف كلامه بحسب اختلاف تجليات الأسماء الإلهية، فطورًا يقول: «**أنا سيد ولد آدم**»[٢٥٧] وطورًا يقول: «**إنما أنا عبد**»[٢٥٨] وتارة يقول: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[٢٥٩] وتارة يقول: «**يا فاطمة لا أغني عنك من الله شيئًا**»[٢٦٠] فهو ﷺ يحسب تجليات من(**كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ**)[الرحمن :٢٩]، فلا يتخلف

([٢٥٤])

([٢٥٥])

([٢٥٦])

([٢٥٧])

([٢٥٨])

([٢٥٩])

([٢٦٠])

عن الصدق كلام الحبيب المختار، بل إنما من نقصنا تنقص الثمار، فأعمالنا ترد علينا وما بدا منا فهو يعود إلينا، فلا يصف لنا الطبيب الأعظم الداء بل ما يصف إلا الدواء وهو ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣] فلا يدري بحاله إلا حاله ولا يحيط بكماله إلا كماله:

وَكيـفَ يُـدركُ فـي الـدُنيا حَقيقَتُـهُ قَــومٌ نِيــامٌ تَســلو عَنــهُ بــالحِلمِ

ثكلتك أمك يا من يقول هو المقبور في يثرب، والله لا يخلوا منه المشرق ولا المغرب، أيزعم الزاعم أن موت النبي عدم أو استحالة جسم بشرى إلى الترب! كلا، والله بل جسمه نور رب الأرباب فلا يحتجب بقوله: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**»[٢٦١] أي: بالنسبة إلى التقييد بالمراتب الحاكمة فيكم بحسب تجليات الأسماء المقيَّدة لكم، فهذا منه تنزل لعلمنا المقيد لا بالنسبة لعلمه بنفسه الذي هو على قدر معرفته بذاته ﷺ فعلمنا ليس كعلمه.

ألا ترى أن تلميذ أبي تراب النخشبي كان يزعم أنه يرى الله فقال له أستاذه أبو تراب: لو رأيت أبا يزيد؛ يعني: لو رأيت الله برؤية أبي يزيد البسطامي ﷺ فقال: مالي ولأبي يزيد وأنا أرى الله، فقال له شيخه: لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة، ثم إنه بعد ذلك كان سائرًا هو وشيخه أبو تراب وإذا بأبي يزيد قد أقبل، وقد كوشف أبو يزيد بما يقوله المريد، فلما وصل أبو يزيد إليه كان عليه ﷺ فروة فجعل باطنها ظاهرًا وظاهرها باطنًا، فبمجرد ما نظر المريد الذي كان يدَّعي رؤية الله إلى أبي يزيد صُعق ومات، فقال أبو يزيد لأستاذه أبي تراب: مريدك هذا كان يرى الله على قدره، فلما رآنا رأى الله على قدرنا، فلم يضق فمات.

ومن هذه القصة يُدرك معنى قول الشيخ الأكبر ﷺ حيث قال: إذا أردت أن ترى الله تعالى أعظم رؤية فاطلب من الله رؤيته في مرآة محمد ﷺ ، فهي أعظم رؤية لله تكون، ومعنى كلام: إنك إذا رأيت الله في مرآة محمد ﷺ ترى الله من حيث الله، أي: من حيث اسمه الجامع، وهو الله لا من جهة الأسماء المقيّدة المعاني: كاللطيف والودود وغير ذلك بل ترى الله في مرآة محمد بجميع أنوع رؤية الله، أي: ترى الله على قدر الله من جميع الوجوه، ومن هذا المعنى يظهر كلام الإمام الرباني محمد والألف الثاني ﷺ حيث قال: الذي تيسَّر لوحشي قاتل حمزة ﷺ حين رأى النبي ﷺ وقال له: «**أنت قاتل عمي، فقال له: قد كان**

(٢٦١)

ذلك، فقال ﷺ : إن استطعت ألَّا تريني وجهك فافعل»[٢٦٢]، قال وحشي: فلم أدع عينه بعد ذلك تقع عَليَّ، فالذي تيسر لوحشي بتلك الرؤية الأولى لم يتيسر لأويس القرني في نهايته، هذا كلام الإمام الرباني، وقد أشكل عَليَّ كثير من أهل الطريق وهو الحق عندي الذي لا مرية فيه ولا إشكال، فإن قيل: إن وحشي رآه بوجه الخلقية؛ إذ لم يكن مكشوفًا عنه الحجاب في ذلك الوقت، وأويس القرني في نهايته لم يكن محجوبًا عنه ﷺ.

أقول: أليس وحشي قد تيسَّر له رؤية جسمه الشريف الترابي الشهادي من تجلي اسم الله الآخر الظاهر، وهذا المعنى لم يتيسر لأويس إن كان تابعيًا لا صحابيًا، فمن جهة الإيمان الذي يتبعه العيان تشرَّف وحشيّ برؤية الله في الوجه المحمدي الذي هو أعظم وجه لله؛ لأنه المثل الأعلى والظاهر بكمالات الله من جميع الوجوه، فهو عند العيان يجني ثمرة ذاك الإيمان، فيعلم أنه حصَّل من رؤية الله وقت إيمانه ما لم يحصِّله أويس عند عيانه، ولما كان ﷺ يتألف قريشًا بالعطاء حصل في نفس الأنصار ما حصل فقالوا: إنما يكرم أقرباءه، فقال لهم: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه أما يَسرُّكم معشر الأنصار أن الناس يذهبون بالغنائم وأنتم تذهبون برسول الله»**[٢٦٣] فقالوا:بلى يا رسول الله يسرُّنا ذلك؟ وما قال: ما بلغك إلا آحاد منا، لا يعول على كلامهم، أقول:ُ أقسم بهذا الحبيب الذي عيش البائس به يحلو ويطيب، لو أن الحق تعالى يعطيني على مصيبة فقد رؤيته الحسيَّة جميع ما يعطيه لأهل الجنة لا يعدل عندي رؤية وجهه الحسي ﷺ المذكور في الشمائل؛ إذ وجهه عندي وجه الله الكامل الجامع لجميع وجوهه.

والحاصل من لم ير محمدًا ﷺ بوجهه الذي رآه به أبو بكر وعمر لم ير الله، وإياك أن تقول رؤيته الحسيَّة لا يمكن الآن أن تحصل، بل أنه موجود مشهود ولكنه محتجب عن الغافلين، فلو زال من الوجود بمرتبة من المراتب الأربع التي هي: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، لم يكن كاملاً، وحاشاه من ذلك، وإنما النزول بالنسبة للمحجوب عنه لا بالنسبة إليه ﷺ، ولله در سيدي محمد وفا حيث قال:

فيا مدة الإمداد أو نقطة خطه ... ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك وإنني ... وحقك لا أسلو ولا أتحوَّل

ألا وهو الحري بقول من قال:

---

(٢٦٢)

(٢٦٣)

إذا شئت أن تلقي المحاسن كلها ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

فهو جامع المحاسن والجمال وقطب دائرة الجلال والكمال:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فهو واحدية الله الجامع الموتى بما انطوى في حقيقة ذاته جوامع الكلم، انظر قول علي ﷺ: العلم نقطة أكثرها الجاهلون وهذه النقطة هي فاتحة كتاب الوجود، وهي عين الوجود فأكثرها الجاهلون بصور الشاهد والمشهود، فلم ينظر تلك النقطة عين كل عدد ومعدود، فألهاهم التكاثر حتى زاروا مقابر الصور، ولم يعلموا الواحد الأحد الذي تجلى فيها، وظهر والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

لاحقة:

لعلك تقول: يظهر من كلامك أن محمدًا ﷺ هو الآن حي موجود بصورته الحسيَّة الترابية التي رآه فيها أبو بكر وعمر والصحابة الكرام ﷺ أجمعين، فما معنى موته حينئذ الذي احتجب به عن أعين الناس؟ فأقول وبالله المستعان: إن كنت من أهل التأويل الذين يتقيدون بالزمان الماضي والحال والمستقبل فنقول: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾[٢٦٤] [النحل:١]، أي: بمعنى يأتي فلا كلام لي معك، وإن كنت من أهل التسليم لظواهر القرآن والحديث، فأقول لك: أن محمدًا ﷺ احتجب بوجه ولم يحتجب بوجه فاحتجب عن رؤية العين الظاهرة المقيدة بالجسم الشحمي، ولم يحتجب عن عين البصيرة فبطونه من وجه التقييد لا من وجه الإطلاق والتقييد صفتك لا صفته، فالاسم الباطن أبطن محمدًا ﷺ عنك، ولم يبطن محمدًا ﷺ في نفسه، فإن كان باطنًا عنك فهو لغيرك ظاهر، وأنت لا تحيط بحضرات الأسماء الإلهية من جميع وجوهها.

ألا ترى إلى ما قاله سيدي علي الجمل ﷺ أستاذ سيدي العربي الدرقاوي: مهما خطر في بالي رسول الله ﷺ أو تذكرته آراه هو وأصحابه العشرة حالاً - يعني يقظة - لا منامًا.

---

(٢٦٤) الإشارة في إتيان الأمر الإلهي أنَّه تعالى كان قديمًا موصوفًا بالإرادة القديمة، والعلم القديم وفي الإرادة، والعلم كان كون العالم والعالمين فتقاضى سر الإرادة كون الوجود، فكوَّن الحق الكون بأمره القديم الذي كان في نفسه، فوقع الأمر منه بغير زمان ومكان، فصدر الكون من الأمر بما كان في إرادته وعلمه، فكوَّن ذلك أبد الآبدين بغير سؤال من الغير، ولا انتظار، ولا تعجيل، فإن الأمر قائم به، وللأمور معلق به وجفَّ القلم بما هو كائن، فإذا سقط السؤال والعجلة إذ هما صفتا جاهل بالله وبأمره، ولو كان الأمر يأتي بمراد الحدثان لكان نقصًا في الوحدانية، لذلك نزّه نفسه عن ذلك النقص بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقد بلغني عن سيدي أحمد بن إدريس ﷺ أنه هو وأستاذه عبد الوهاب النازي زارا قبر سيدي عبد العزيز الدباغ ﷺ فقال سيدي عبد الوهاب لسيدي أحمد: صاحب هذا القبر ـ يعني سيدي عبد العزيز الدباغ ﷺ ـ جمعني بالرسول ﷺ كيفي كيفك، أي: كما أنا وأنت، ولا يخفى أن اجتماعهما حسي لا معنوي، بل أقول: إن محمدًا ﷺ لا يزول من مظاهر اسم الله الأول ولا من مظاهر اسم الله الآخر، ولا من مظاهر اسم الله الظاهر، ولا من مظاهر اسم الله الباطن، ولا من مظاهر أسماء المعاني كالمبدئ والمعيد واللطيف والحفيظ وباقي الأسماء الإلهية هو الحامل لها، وإنما ابدأ بحكم الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية فله مع كل شيء في الوجود حضرة خاصة.

وأنا أضرب لك مثالاً حين ما كنت محجوبًا، فالخلق هو الظاهر عندك، والحق هو الباطن فلما تجلى لك الحق بحكم قوله: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، صار الحق عندك هو الظاهر والخلق هو الباطن، والأمر هو هو فأين ذهب الخلق لما جاء الحق، وظهر أمر الله؟ وهذا الذي ظهر في حقك هو في حق غيرك باطن، فليت شعري ما هو الحق الصحيح وما هو الظاهر على الحقيقة، وما هو الباطن.

ألا ترى أن عصا موسى واحدة فلما ألقاها بطنت صورة العصا وظهرت صورة الحية فأين ذهبت صورة العصا؟ ولما قال: (خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ) [طه:٢١] عادت عصا كما كانت فأين ذهبت صورة الحية؟ ومن هذا المعنى تفهم قوله تعالى: (يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ) [إبراهيم:٤٨] وما يدريك أنها الآن متبدلة في حق غيرك، وكذا قوله تعالى: (يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ) [سورة:١٨٧].

ألا ترى يا أخي أن وقتها عندك ليس عين وقتها عند غيرك، وإن الله يجليها بحسب سير السائرين، وما يدريك أنها انجلت لمن شاء الله وهي غير منجلية لمن شاء استتارها عنهم بمقتضى قوله تعالى: (فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ) [الأحزاب:٢٣] حتى أخبر ﷺ عن طلحة ﷺ الذي هو من العشرة المبشرين بالجنة أنه ممن قضي نحبه، فوجود الله أزلاً وأبدًا هو كامل بجميع تجليات أسمائه، ولكن (هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [الزمر:٩].

فإن قلت: ما معنى كون طلحة ﷺ قضى نحبه؟ أقول: يطلق النحب على الموت[٢٦٥]،

---

(٢٦٥) وقد يكون الموت موت الحرمان عن حياة العرفان، فكيف يحيى المحروم الجاهل، فالجاهلون في غمرات

ويطلق على الأجل، ويطلق على الحاجة، والمراد أنه مات قبل أن يموت وقامت قيامته وانتهى أجله وكُشف غطائه وقُضى حاجته وشاهد منزلته فإن قلت بين لي هذا الأمر كيف تدخل الآخرة في الدنيا والآخرة آتية، قلت: قدمت لك أن الله تعالى قال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل:١] بيان ذلك أنه إذا ظهر الدنيا بطنت الآخرة فيها عند العموم وظهر هذا الباطن للخواص، وإذا ظهرت الآخرة بطنت الدنيا فيها عند العموم وظهر هذا الباطن للخواص وإذا ظهرت الآخرة بطنت الدنيا فيها عند العموم، وظهر هذا الباطن لخواص، فطلحة ﷺ شاهد الآخرة التي هي باطن الدنيا.

ألا ترى ما أخبر عنه ﷺ من أن : «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[٢٦٦] فللقبر ثلاث مشاهد: مشهد حسي: وهو التراب والحجر، ومشهد للسعداء: وهو أنه روضة من رياض الجنة، ومشهد للأشقياء: وهو أنه حفرة من حفر النار والقبر، قبر واحد.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن من تحقق بإطلاق الوجود، وانفكَّ من أسر القيود وقضى نحبه، فماتت خلقيته وقامت بحياة ذاته حقيقته، فابتلعه حوت الحياة الإلهية، ونادى يونس نفسه في ظلماتها الكونية حين أشرقت بأنوار الأحدية: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] حيث لم أعط من قبل ذلك الأمانة لأهلها، والله تعالى هو أهلها حينئذ ينجيه الله من غم السوى، ويعود دائه عين الدواء، فيتجلى الله تعالى فيه من اسمه (القوي) بقوة فعاله، فهما صور في خياله من الاسم المصور يقول له: كن ظاهرًا من البطون، فيكتسب من الاسم الظاهر ظهورًا، ويكسوه الاسم النور من وجوده المطلق نورًا، فهذا لا ينتظر موتًا ولا قيامة ولا ساعة؛ لأنه شامل لأفراد الجماعة.

ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**يا بلال بما سبقتني إلى الجنة فما دخلت موضعًا منها قط إلا سمعت خشخشتك أمامي**»[٢٦٧] فأخبر أنه دخل الجنة وسمع خشخة بلال، فليت شعري هل علم بلال أن له صورة في الجنة سمع النبي ﷺ خشخشتها أم لم يعلم ذلك؟ فقال بلال ما

هوة الجهالة، والعارفين في حياة المشاهدة، أماتهم حيث طردهم عن أبواب لطفه، فهم يعمهون في ظلمات القهر وما يشعرون سبل الحياة وطريق النجاة، فمثالهم مثل الأصنام التي لا أرواح فيها، ولا استعداد لها لقبول الحياة، فكذلك أهل الجهل به ليس لهم استعداد قبول حياة المعرفة وروح المحبة.

(٢٦٦)

(٢٦٧)

أحدثت قط إلا توضأت ولا توضأت إلا صليت ركعتين فقال ﷺ: «**بهما**»[٢٦٨] فبلال في الدنيا وقد رآه ﷺ في الجنة وسمع خشخشته أمامه ولعل بلالاً ممن لم ينتظر، فمن قضي نحبه فالدنيا والآخرة تحت حكمه فليس شيء محجوبًا عنه لأنه كشف غطاءه وكان الحق تعالى إياه، فتقدم له ما تأخر لأهل الجنة من الكتاب الذي يكتبه تعالى لهم، وهو من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، أي: من باطنكم الذي هو الحي الذي لا يموت إلى ظاهركم الذي هو الحي الذي لا يموت.

أما بعد أيها الإنسان فإني أقول للشيء: (**كُن فَيَكُونُ**) [البقرة:١١٧] وقد جعلتك تقول للشيء : (**كُن فَيَكُونُ**) فهذا تجلي القدرة، ومنه قال بعضهم: أصبحت أحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير، فهو في هذا التجلي حق لا خلق، والحق يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

ومن هذا التجلي قال الغوث الجيلاني ﵁: كل الأولياء وصلوا إلى القدر فوجدوا بابه مصمتًا إلا إنا فتحت لي فيه روزنة فدافعت أقدار الحق بالحق للحق.

ومن هذا التجلي ما حكاه الغوث الشيخ عبد الكريم الجيلي ﵁ من أنه رأى امرأة كانت أرضعته وقد أسود وجهها من العذاب فألبس النار لها صورة الجنة، سر ذلك أن كل شيء ضده باطن فيه قال تعالى مخبرًا عن هذا السر: (**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ**) [الحديد:١٣].

ألا ترى أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما قضي نحبه ملكه العطاء والمنع، فقال: (**هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [ص:٣٩] فقد جعله مظهر مالك الملك. فافهم ذلك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وارد

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: (**وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ**) [العصر:١-٣].

اعلم ـ رحمك الله ـ برحمة تجلي ذاته بمعاني أسمائه وصفاته أن الله تعالى أقسم بالعصر وهي الصلاة الوسطى كما ورد في قراءة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر) وإنما كانت وسطى لأنها الخامسة وسط أربع صلوات، صلاتين

---

(٢٦٨)

نهاريتين: وهما الفجر والظهر، وصلاتين ليليتين: وهما المغرب والعشاء، فهي الوسط المختار، والصراط المعتدل بين مغالق الجمال وحقائق الجلال، فكانت حقيقة الكمال لأنها الوتر الخامس، فلها مقام الفردانية، فإذن لا يقوم بحقيقة شأنها إلا الإنسان الكامل المستثنى من الخسارة، فلم يخسر نفسه، كمن قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [هود:٢١] فإن من خسر نفسه فقد خسر الحق، وليس للحق صورة كاملة إلا الإنسان؛ لأنه الوسط المختار بين واجب الوجود ومحال الوجود، فهو الممكن الذي له وجه إلى الوجود به كان حقًا، ووجه إلى العدم به كان خلقًا، فالإنسان برزخ جامع لجميع أنواع المتضادات، كما أن الاسم الله جامع لمعاني المتضادات التنزهية والتشبيهية، فهو الأول كما أنه الآخر، والظاهر كما أنه الباطن، فالفلك الإنساني هو دائرة الوجود الكاملة المندرج فيها سائر الدوائر، سواء كانت من المعاني الحقيَّة الجامعة المطلقة، أو من المجالي الخلقية الصورية المقيدة، فهو حقيقة جمع الجمع.

ومعنى جمع الجمع أن الأمر دائر على حقيقتين: تنزيه وتشبيه، ربوبية وعبودية، جمع وفرق، فمرتبة الفرق تعطي الحق حقه من أوصاف التنزيه، والخلق حقه من أوصاف التشبيه، ومرتبة الجمع أن تجمع بالرب وما للعبد، وتضيف الأمرين جميعًا إلى الله تعالى، مثلاً تضيف إليه الاسم الصمد من وجه التنزيه، والاسم الجامع من وجه التشبيه للحديث القدسي: «**جعت فلم تطعمني**»[٢٦٩] الحديث بتمامه فهذا هو الجمع.

وأما جمع الجمع: فهو أن تشهد في نفسك جميع ما إليه، وجميع ما إليك، ففي مقام الجمع يقال لك ها أنت وربك، أي: فني أنت وثبت ربك، وفي مقام جمع الجمع ها أنت فقط، أي: ربك هو أنت، فمقام الجمع: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] ومقام الجمع: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥]، فما أعطاه إلا نفسه ونفسه ﷺ ففي نفس كل إنسان.

ألا ترى أن الله تعالى لما بشَّره بالفتح المبين ظاهرًا وباطنًا تمم الفضل بقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح:٢] فجعله عين جميع من تقدم ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] فجعله عين جميع من تأخر، فهذا هو الفتح المبين الذي أبان له حقيقة نفسه، فأنت أيها الإنسان عين نفسه ﷺ، فالإنسان في خُسر ما لم يعلم حقيقة نفسه؛ لأن من عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه عرف نبيه، ومن عرف نبيه رد الكل إليه، وهذا معنى من

---

(٢٦٩)

صلى على محمد ﷺ صلى الله عليه.

فلذلك استثنى الله من الخسارة أهل الإيمان والعمل الصالح؛ للكشف عن هذه الحقائق، والعمل الصالح هو اتباع محمد ﷺ، فمن تبعه فهو منه، فقال تعالى: **(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)**[العصر:٣] أي بمرتبة الأحدية المنطوية في الإنسان بسر: **(وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي)** [الحجر:٢٩] وروحه عينه**(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)**[العصر:٣]، أي: الأعمال الكاشفات للحجب عن وجوه هذه العرائس المخدرات، قال تعالى: **(حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ)** [الرحمن:٧٢] فالخيام من طريق الإشارة بنو آدم، أي: أجساد بني آدم، والحور مظاهر الروح الإنسانية التي قال عنها ربنا جلَّ وعلا: **(وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي)** [الحجر:٢٩].

ألا ترى أنك إذا عكست لفظة حور فقرأتها من الآخر إلى الأول عادت لفظة روح، وهي الروح المنفوخة بعينها، فهذه الروح الإلهية مقصورة علينا معشر آدم وبنيه، فهي في خيام أجسادنا محجوبة مخدرة لم يطمثها قبلنا إنس ولا جان؛ لأنها ما نشأت إلا منَّا فإلينا تعود.

قال تعالى: **(سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ)** [الأنعام:١٣٩] ولذا قال أيضًا: **(۞يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ)** [الواقعة:١٧] أي: ولدان متولدة منهم، كما قال: **(وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)** [النجم:٣٩] فهي صور الأعمال والأذكار والظنون الحسنة بالله.

ولذا قال العارف الكامل سيدي داود بن باخلا: اليوم أنت تقول للكون: أخبرني عن مكونك، وفي الآخرة يقول هو لك: أخبرني عن مكوني، أي: يظهر لك في الآخرة أنك الأصل؛ لأن الآخِرة صور المعاني المطوية فيك، كما قال تعالى: **(وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ)** [الإسراء:١٣]، فما يعود إليك إلا ما طار منك، فأنت معلوم العلْم القديم، وليس معلومه سواه ولذا قال تعالى: **(وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ)** [العصر:٣] أي: بكل حق له حقيقة ولا حقيقة إلا الحق، أي: تواصوا بمعرفته والعلم به والمعرفة والعلم حق **(وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ)** [العصر:٣] أي: لأن القابض على دينه كالقابض على الجمر.

ولا تظن أن المقصود بالعلم بالله العلم الكسبي، بل هو العلم الوهبي، وصاحب العلم الوهبي لا يدخل حضرة الله إلا بالعلم الوهب، ولو علم علوم الأولين والآخرين؛ لأن العلوم الوهبية دائمًا تتجدد ولذا قال ﷺ: «**منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا**»[٢٧٠] فكلما

---

(٢٧٠)

اتسع على العالم بالله رأى نفسه أجهل الجاهلين، وانظر لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٩] فمن لم يتأدب بآداب الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فليس بعالم، وليس كل عالم بأديب، إلا أن أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، فهو العالم الكامل الذي لا يأخذ العلم إلا من الله تعالى.

ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] ولله در الإمام الكامل سيدي داود بن باخلا ﵁ حيث قال: لا تجعل مستند إيمانك نتائج الفكرة البشرية، بل فر من ذلك إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، واستعذ بالله منه، واطلب ذلك من مدد الله ﷻ، وقال أيضًا: إن أردت سلوك المحجة البيضاء والوصول إلى ذروة أهل التقى والإقتداء بأهل الرتبة الأولى، فإياك أن تجعل دينك وإيمانك من نتائج العقول والأفكار، أو مستندًا إلى أدلة النظار، بل عرج إلى المحل الأعلى والمنزل الأعز الأحمى، واستمد البركات والأنوار من رسول الله ﷺ، واسأل الله تعالى أن يمن عليك بمدد من عنده يغنيك به عن كل شيء سواه، ويهديك بنوره إليه حتى لا تشهد في ذلك إلا إياه، وقل: رب إني أعوذ بك أن يكون إيماني بك وبما أنزلت وبمن أرسلت مستفاد من فكرة مشوبة بالأوصاف النفسية، أو مستندًا إلى عقل ممزوج بأمشاج الطينة البشرية، بل من نورك المبين ومددك الأعلى ونور نبيك المصطفى ﷺ.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فالحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا عظيمًا.

غزل رقيق ومعنى دقيق

اعلم أن أعظم الأرباح إنما هو المعاني الإلهية، وهي الأمانة المعروضة على السماوات والأرض التي لم يستعد لحملها إلا الإنسان، والمعنى أنها لم تطبع إلا في حقيقة الإنسان، ولا أمانة إلا أسماء الإلوهية، وهي مرتبة معنوية لا تقوم إلا بصورة، ولم تقبلها صورة في الوجود إلا الصورة الإنسانية، فمن كانت الأمانة عنده ولم يعلم ذلك بل يطلبها من خارج عنه فهو صاحب الخسارة التي ليس فوقها خسارة، فله عذابان: عذاب الجهل، وعذاب الحرمان، وأي خسران أعظم من هذا الخسران.

وقد نبهه القرآن لو انتبه، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] وفي الحديث: «**إن الله خلق آدم**

على صورته»[٢٧١] وهذه الصورة هي الأمانة التي حملها الإنسان، وهي مدلول الاسم الجامع الذي هو الله، فالأمانة له لا لغيره؛ لأنه لم يطق حملها سواه، ومع ذلك فقد ضيعها حتى حجب عنها فقد خسرها، وهي ملكه ومطبوعة في ذاته، وهي مرتبته؛ إذ ليست صورة الله إلا مجموع أسمائه تعالى تنزيهًا وتشبيهًا، فكما أنه القدوس كذلك هو الصبور، قال ﷺ: «**من أذاني فقد أذى الله**»[٢٧٢].

فلولا هذا المعنى لم يوصف تعالى بأنه الصبور فافهم؛ لأن المعاني سواء كانت تنزيهية؛ كالأحدية والصمدية والألوهية والرحمانية، أو تشبيهية؛ كالجوع والظمأ والمرض والعجب والضحك والفرح والشوق والتردد والكراهة والرضا والغضب، أمور حكمية لا تقوم إلا بصورة، كما أن السلطنة مثلاً لا تقوم إلا بصورة، فوجب أن يكون آدم عليه السلام على حقيقة وصورة تشاكل هذه المعاني؛ لتقوم بمقتضاها على الكمال، فهذا معنى الحديث «**إن الله خلق آدم على صورته**»[٢٧٣] وفي رواية «**على صورة الرحمن**»[٢٧٤] وقوله تعالى: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[٢٧٥] فمن أهمل هذا المعنى فهو الإنسان الحيوان الذي هو في غاية الخسران، ومن قام بهذا المعنى الإلهي فهو الكلمة الجامعة كآدم، وكذا عيسى روح الله وكلمته، وكل نبي أو وارث فهو كلمة جامعة.

وأما محمد ﷺ فقد أوتي جوامع الكلم، أي: أوتي الكلم الجوامع، أي: إنه حقيقة كل كلمة جامعة كما قيل: عيسى وآدم والصدور جميعهم هم أعين هو نورها لما ورد، فآدم روح العالم، ومحمد ﷺ روح تلك الروح، فروح آدم منفوخة من الروح المحمدي، وهذا معنى أنه السراج المنير، فهو الدهر الأول الذي دارت عليه الأدوار، والسراج المنير لسائر الأنوار، مشكاة الصورة الجامعة لكل صورة جسدية، فهي مصباح أنار سائر المصابيح الروحية، وذلك المصباح في زجاجة نفسه ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ [النور:٣٥]، وهي النفس الكلية النورانية المعبَّر عنها بالدرة البيضاء، وهذه النفس المحمدية هي مدلول

---

(٢٧١)

(٢٧٢)

(٢٧٣)

(٢٧٤)

(٢٧٥)

قول الله تعالى: (نٓ)وهو اللوح المحفوظ.

وأما العلم فهو روح محمد ﷺ المسمى أيضًا بالعقل، ولذلك اختلفت الروايات ففي الحديث: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[٢٧٦] وهي عين رواية: «**نور نبيك يا جابر**»[٢٧٧]؛ لأن روحه ﷺ نور الوجود وفي رواية: «**أول ما خلق الله العقل**»[٢٧٨] وهو هذا النور، وفي رواية: «**أول ما خلق الله القلم**»[٢٧٩] فهو الكاتب في نون اللوح المحفوظ، فلذا قال الله: (**نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ**) [القلم:١] فالقلم بمنزلة آدم، ونون الذي هو اللوح المحفوظ بمنزلة حواء؛ لأن النفس المحمدية التي هي نون من القلم الأعلى، الذي هو روح محمد ﷺ، ففتح القلم اللوح فجاءت سطور الأولاد، فالروح المحمدي والد الأرواح كلها بمنزلة آدم، والنفس المحمدية والدة الأنفس كلها بمنزلة حواء، ومنها خلق الله جميع الأرواح النورية والأشباح الصورية.

ومن هنا يظهر لك قول الغوث الكامل سيدي داود بن باخلا رضي الله عنه: الرجل الكامل يُربى بالدائرتين: بالأبوة والأمومة؛ أي يربي بروحه الروح، ويربي بنفسه النفس.

وقد أخبر الله تعالى أن النفس المحمدية التي(**كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ**)؛ أي ذلك الكوكب(**مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ**) وهي مجموع الأسماء الإلهية (**زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ**) [النور:٣٥] إشارة للعماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق، ما فوقه هواء وما تحته هواء، أراد بالفوق المؤثر، وبالتحت المؤثر فيه، وبالهواء النفس الرحماني الذي تنفس بحبه؛ لأن يعرف بخلق الخلق، فمرتبة العماء لا تقبل حقًا ولا خلقًا، بل هي تجلي ذاتي بنفسه لنفسه بلا اعتبار آثار، فكما أن الزيتونة ينطوي بوجودها غصونها وأوراقها وثمارها والشحم والقشر والدهن والحب كذلك التجلي العمائي لا يظهر فيه شيء وهو الكنز المخفي، أي: الحقيقة الإنسانية التي أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئًا مذكورًا، فهي (**لَّا شَرۡقِيَّةٖ**)؛ لأن الظهور كامن فيها،(**وَلَا غَرۡبِيَّةٖ**)؛ لأنه لا بطون إلا بالاعتبار، كما أن العماء اعتبار لا ينافي وجود الأشياء، وإنما هو مشهد ذاتي تنمحي فيه الأشياء مع وجودها في

---

(٢٧٦)

(٢٧٧)

(٢٧٨)

(٢٧٩)

نفس الأمر.

ولذا قال تعالى: (يَكَادُ زَيۡتُهَا) وهو الوجود النوراني(يُضِيٓءُ) بنفسه لنفسه (وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ) [النور:٣٥] توجه : (كُن فَيَكُونُ)، وذلك لأن الله كان ولا شيء معه، والعجب أن الله جامع لكل شيء، فكل شيء كائن قبل أن يكون.

ألا ترى قوله ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيًا ولا ماء ولا طين**»[٢٨٠] لأن نبوته كناية عن قيامه بمعاني الأمانة الإلهية التي حملها الإنسان، وكان ظلومًا لرتبة أحسن تقويم بارتداد، ولأسفل سافلين جهولاً بأنه عين حقيقة من كان نبيًا وأدم بين الماء والطين، فهو عين العين، ويقول: أين وأين؟ فأنت مع نبيك الذي هو جوهرك وأصلك وحقيقتك لو عرفت، ولكنك لا تدري ذلك.

ألا ترى قول سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: كنت أنا وأولياء الله تعالى أشياخًا في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله ﷺ، وأن الله عز وجل خلقني من نور رسول الله ﷺ، وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي فخلعت عليهم بيدي حتى قال رضي الله عنه:

وبي قامت الأنبياء في كل أمة ... بمختلف الآراء في كل أمتي
ولا جامع الأولى فيه منبر ... وفي حضرة المختار فزت ببغيتي
وما شهدت عيني سوى عين ذاتها ... وإن سواها لا يُلِمُّ بفكرتي

فلذا قال تعالى: (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ) أي: نور نبوة على نور ولاية، أو نور أول على نور آخر، أو نور ظاهر على نور باطن، أو نور حق على نور خلق، (يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ)الأحدي الذاتي (مَن يَشَآءُۚ)[النور:٣٥] أي: من غير أهل الخسر، بل من (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ)[العصر:٣] (وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ) أي: بالمشكاة والمصباح والزجاجة.. إلى آخره (وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) [النور:٣٥].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الإنسان فيه رقائق ممتدة إلى كل شيء في الوجود، فله رقيقة إلى كل شيء، تمتد تلك الرقيقة لذلك الشيء من حقيقة نفسه، فمن علمه بنفسه يعلم كل شيء، ولو علم كل شيء لم يعلم إلا نفسه، فأقسم تعالى(وَٱلۡعَصۡرِ) [العصر:١]وهي الحياة الإنسانية التي امتد منها كل شيء في الوجود(ٱلۡإِنسَٰنَ إِن لَفِي خُسۡرٍ) [العصر:٢] أي: في حجاب عن هذا الأمر فلم يدر حقيقة قوله تعالى: (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار:٨]، فيفيد هذا القول: إن الإنسان مركب في كل صورة في الوجود، فله أن يقول

---

(٢٨٠)

عن كل شيء في الوجود: أنا هو، كما قال سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ:

بذاتي تقوم الذات في كل دروة ... أجدد فيها حُلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب ... وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة ... وما لوحوا بالقصد إلا لصورتي
نعم نشأتي في الحب من قبل آدم ... وسرى في الأكوان من قبل نشأتي

واعلم ـ رحمك الله ـ أن حكمة الله اقتضت أن الحقيقة المحمدية وإن كانت سارية فينا كما قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٩] وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات:٧] لكنها لا تتجلى ولا تضيء إلا بنار مخالفة النفس، واتباع الشرع المصون المطّهر، والإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وذلك حال السعيد الذي قضى نحبه وهو الذي نودي من مكان قريب.

وأما الذي أخبر الله عنه أنه في خسر ـ وهو الشقي الذي نودي من مكان بعيد ـ فلا يُطهَّر إلا بنار جهنم، قال تعالى في الأشقياء: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النساء:٥٦] نظير الترقي في المقامات للسعداء إلى أن يلج الجمل الروحي في سم خياط الصورة، فتتروحن الصورة، وتغني جهنم الظلمة الطبيعية فلا يضيء زيتهم إلا بعد مسيس النار المخلوقة من شهواتهم؛ لأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فرانهم نارهم.

ألا ترى أن لفظة (رَان) تنقلب إلى نار قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] فكسبهم نارهم كما قال: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ [الأنعام:١٣٩] فإذا طهروا بمقتضى الجزاء الوفاق دارت الدائرة، وآل الأمر من التقييد إلى الإطلاق، فحينئذ يضع الجبار قدمه في النار فتمتلئ وتقول: قط قط، أي: حسبي حسبي، فتفنى وينبت في قعرها الذي هو أسفل سافلين شجر الجرجير، فينجر الأمر لأحسن تقويم.

وتنعطف فروع الأسماء والصفات على أصل نقطة الذات، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] فهو تعالى غاية الدائرة، كما أنه أولها، قال تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] وما ينقلبون إلا إليه كما ورد: «**لو دليتم بحبل لهبطتم على الله**»[٢٨١] أي: لأنه حقيقتكم وحقيقة كل شيء. فافهم.

وارد:

(٢٨١)

قال تعالى: (إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) [آل عمران: ٥٥] تعلقت بصمتي بالله تعالى أن يكشف لي حقيقة هذا التوفي فورد على قوله تعالى: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ) [الأنبياء: ١٨] فعلمت أن الله تجلى على عيسى ﷺ باسمه الحق فزهق، أي: اضمحل باطل خلقيته فظهر حقه وبطن خلقه، وهو المراد بالدمغ؛ لأن الدمغ هو الشجة التي تبلغ الدماغ فيظهر ما بطن، والدماغ باطن الرأس، ولما كان عيسى بهذه المثابة رفعه الله إليه، فهو الحق حينئذ، فينسب إليه ما يُنسب إلى الحق تعالى من الإيجاد والإحياء والإماتة وإبراء الأكمه والأبرص، ولذلك لما أرادوا قتله وصلبه أنشأ مثالاً من نفسه على صورته فتمثل لهم كما تمثل جبريل لأمه بشرًا سويًا، ورُفع إلى الله، ولا يمكن الوصول إلى التسلط على الله فقتلوا وصلبوا تلك الصورة التي على شاكلة عيسى.

فلهذا قال الله تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ) [النساء: ١٥٧] أي: قتلوا الشبه وصلبوه، الذي هو على صورة عيسى، فلم يشك اليهود أنهم قتلوا عيسى بعينه، حتى النصارى قالوا: رفع اللاهوت وصلب الناسوت، وهذا من الخرافات الباطلة؛ لأن لاهوت عيسى عين ناسوته، فإن الله أخبر أنه رفعه إليه، والله تعالى حقيقة اللاهوت والناسوت، وهذا الرفع ليس رفع مكان بل رفع مكانة بالتجلي الإلهي الذاتي، فناسوت عيسى عين ذات الله بنص الله، فإن الله قال فيه: روح الله، وروح الله عينه، فلذا قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا) [النساء: ١٥٧] أي: شبهًا وتمثيلاً، فإن الله لم ينف التشبيه والتمثيل بل نفى القتل والصلب عنه، فكان عيسى من كونه روح الله مقتدرًا أن يظهر بكل صورة في الوجود، وما أجهل من يقول: إنه رفع إلى السماء، فإن الله تعالى لم يقل: ورافعك إلى السماء، بل قال: (وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) [آل عمران:٥٥].

فإن قلت قد ورد الحديث: «**ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير**»[٢٨٢] إلى آخر الحديث، وهو حديث صحيح لاشك فيه، فالمراد بهذا النزول تنزله من رتبة(لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ)[الشورى:١١]إلى مرتبة الظهور بالصورة الحسيّة لنا مع أنه فينا، فهذا نزول إلهي مثل قوله: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا**»[٢٨٣] مع قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ) [الزخرف: ٨٤] وقوله: (وَهُوَ

---

(٢٨٢)

(٢٨٣)

مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ) [الحديد: ٤] والحاصل أن الله رفعه من الخلقية إلى الحقيّة فاستحق التحقق بقوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ) [الحديد: ٤] فعيسى ﵇ في السماوات وفي الأرضين حي بحياة الحي القيوم إلى أن يتزوج في الأرض ويولد له، فيظهر عند ذلك موته.

وأما قول الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ) فالضمير في خلقه راجع لآدم لا إلى عيسى؛ لأن عيسى لم يكن أصله التراب بل الروح، وقال الشيخ الأكبر قدس الله سره: معنى تشبيه عيسى بآدم بالنسبة لتمام الدورة بظهور ذكر ـ وهو عيسى ـ من أنثى ـ وهي مريم ـ كما ظهرت أنثى ـ وهي حواء ـ من ذكر وهو آدم، أقول: على هذا يكون عيسى ﵇ شبيهًا بحواء لا بآدم، والذي يظهر لي في التشبيه الدوري أنه كما ظهرت إنسانية آدم من جسم ترابي ظهرت إنسانية عيسى من روح قدسي، فانفصل آدم من الجسم، وانفصل عيسى من الروح الإلهي، وكانت مريم مجلي تجلي هذا الروح، فعيسى ما اكتسب الصورة إلا من أمه مريم، والصورة أمر حكمي لا وجودي عيني، فعيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وأخبر الله أنه روح منه فلم ينسبه إلى جبريل بل قال: (فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا) [مريم: ١٧]، وروح الله عينه، فلو قالوا: إن الله هو المسيح ولم يقيدوه بمريم ولم يحصروه لما كفروا، ولكنهم حصروا الله في الجسم البشري، مع أن الله(لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ) [الشورى:١١] بل ليس معه شيء، فافهم.

وارد:

قال الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) [الأحزاب:٥٦].

اعلم ـ رحمك الله برحمة كشف الحجاب وفتح لك إلى حقيقة الوصلة كل باب ـ أن معنى الصلاة والسلام على محمد ﷺ ليس إلا الوصلة والتحقق التام بذاتيته ﷺ، فيكون ما له من الله لك، ولولا ذلك ما قال: «**سلوا الله لي الوسيلة**»[٢٨٤]؛ لأنه حقيقتنا، فسؤال الوسيلة له سؤال لنا، فإن قلت أنهم قالوا له: كيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا اللهم صلي على محمد**»[٢٨٥]، نقول: الأمر كذلك، أي: ليكشف لكم عن محمد من هو، فتعلموا أن الصلاة عليكم، فلا يلهيكم التكاثر عنكم.

---

(٢٨٤)

(٢٨٥)

قال مريد لأستاذه: أين الله؟ فقال له: أسخطك الله؟ وهل مع العين أين؟ فقوله ﷺ: «**قولوا اللهم صلي على محمد**»[٢٨٦] بمنزلة التقرب بالنوافل لحصول المحبة، وبالمحبة تسقط المغايرة.

وألا ترى أنه بالتقرب بالنوافل تسقط المغايرة مع الحق كما في حديث: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنته**»[٢٨٧] أي: كشفت له أني عينه[٢٨٨]، ومعنى استحقك الله، أي: أفنى وجودك بوجوده حتى لا ترى منك سواه، فيزول الأين بوجود العين، وإنما قال: «**قولوا اللهم صلي على محمد**» وأحالنا على الله؛ لأن الوصلة به لا تتم إلا بالوصلة التي هي وصلته المطلقة بالحضرة الإلهية، فإذا كررنا هذا القول وجعلناه وردًا لنا، أنتج التجلي، يكشف الله لنا عن حقيقة هذه الوصلة الإلهية، فتنبه أن محمدًا ﷺ مظهر وجود الله وأول قابل فيض تجلي الوجود من الله؛ لأنه جوهر الكنز المخفي، فهو في الكنز ونحن فيه فنحن في الكنز كما قال: «**أنا من الله والعالم مني**»[٢٨٩] فالنتيجة العالم من الله، فهذه هي الوصلة، فما أمرنا بهذا القول وحث على الإكثار منه إلا ليثير نار الشوق إليه، وينقلنا بالمحبة الجاذبة من نفوسنا إليه، فتُطهِّرنا تلك النار بالاستحالة كما يُطهر الزبل بالنار العنصرية بسبب استحالته عن تلك الصورة، فمن خرج عن الفطرة وتمكن من الشرك فلا يطهره إلا النار، فلذلك لا يغفر الشرك للمشرك. فافهم.

فما بالك بنار المحبة(**ٱلۡمُوقَدَةُ**) في القلوب (**ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ**) [الهمزة:٧] فلا تبقى بها ولا تذر سوى حضرة المحبوب، فصاحب العمل سائر وصاحب الحب طائر.

ولذا قال سيدي داود بن باخلا ُقدِّس سره: لا تبع ذرة من المحبة بقناطير من الأعمال فالحب يجذبك إليه فيكون هو لا أنت، فهذا هو معنى الحديث: «**أنت مع من أحببت**»[٢٩٠] فسقط التغاير وزال التكاثر، فالتغاير الموهوم أصل كل حجاب، وهو باطل، قال ﷺ:

---

(٢٨٦)

(٢٨٧) رواه البخاري (٢٣٨٤/٥).

(٢٨٨) فكل عارف ينفق في عشقه ومحبته قلبه وروحه، فهو بذاته جل جلاله يخلف نفسه مكان قلبه وروحه، فيفنى القلب عنه، ويبقى الرب معه، فإذا فنيت صفات العارف في صفات المعروف صارت صفات المعروف صفته.

(٢٨٩)

(٢٩٠)

«**أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[٢٩١] ولذلك قال الله لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: ليس الأمر أنا وأنت؛ لأن المغايرة بيني وبينك ساقطة، وحيث الأمر كذلك فأنت تراني لأنك الرائي نفسك، وأنا أنت فأنت لن تراني، بل أنا الرائي نفسي بنفسي؛ إذ لم أكن يا موسى سواك، فلما تجلى لجبل جبلته وأوضح له حقيقة فطرته خرَّ موسى من كل شيء إليه وصعق وغاب به، بل بذاته حين دار الأمر عليه.

ألا ترى إلى ما فهمه منه فرعون لما قال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فسأله عن ماهية الربوبية فذكر له موسى عليه السلام تجليها في المظاهر الصورية، ولم يقل فرعون: ومن رب العالمين؟ لأنه لم يسأله عن الشخصية بل عن الحقيقة والماهية، فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] أي: ما حقيقة القائم على كل كائن بتربيته حتى يقوى ذلك الكائن، فيكون عين وجود كل من رباه ليحفظ عليه تلك التربية، فأجابه موسى عليه السلام بأنه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] وفي الثالثة قال: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] أي: هو الظاهر في سماوات الأرواح وأرض الأشباح وما بينهما من المواليد الصورية، فانتبه فرعون وأيقن وعقل ما جاء به موسى، وعلم أن رب العالمين هو وجود الكل والأمر له جميعًا فتوجه قوله: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي﴾؛ لأن القائم في الوجود واحد بلا تجزؤ، فلذا تمم وقال: ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] وحالة السجن تأبى الإطلاق، والإطلاق يقتضي انسحاب الوجود على كل موجود، فلما لم يمكن موسى عليه السلام إنكار هذا المعنى قال له: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ٣٠] وذلك أن فرعون ليس له إلا التصرف الفعلي في أمور خاصة، فكان في المرتبة غير كامل، وأما موسى عليه السلام فقد أبان تصرف الربوبية بالتحول في المظاهر مع وحدة الظاهر، فجاء له بعصا ظهرت ثعبانًا ليعلمه أن حياة الربوبية سارية في الجمادات وفي كل شيء؛ لأن الوجود الإلهي هو حقيقة العصا، وهو وجودها المتعين بها، فما جاء بمجيئها إلا هو تعالى؛ لأنه هو الوجود المطلق المتعين بصورة موسى عليه السلام فهو المتصرف بذاته في حجب تعيناته ومظاهر تجلياته فجاءه بالحق المبين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأما فرعون فلم يكن مجيئه إلا قوله: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف: ٥١] فاقتصر على هذا الملك، فليس له من الاسم الملك إلا هذا القدر، وليس له التصرف بصور الكائنات

---

(٢٩١)

أن يحيلها من شيء إلى شيء.

ألا ترى أن موسى عليه السلام كان أسمر اللون شديد السمرة وكان يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، أي: من غير برص، فكان تصرف موسى عليه السلام أعلى، ولذا قيل: (لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ) [طه:٦٨] وليس التفاوت في الذات، وإنما تفاوت الكمل بالتمكن من الأسماء والصفات، وقد علم فرعون ذلك فقال: (إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ) ولم يقل الذي يدعي أنه أرسل إليكم، ثم قال: (لَمَجۡنُون) [الشعراء: ٢٧] أي: لمستور عنكم فلا تعرفونه كما عرفته أنا، فلما علم أنهم ما انتبهوا للأمر استخفهم، كما قال تعالى: (فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ) [الزخرف:٥٤] وحمله على ذلك حب الرئاسة، ويدل على علمه بحقيقة الأمر قوله للسحرة: (ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ) [الأعراف: ١٢٣] فما لامهم إلا بعدم الإذن لا بالإيمان به، ولم يقل برسالته؛ لأنه أراد الإيمان بحقيقة الربوبية. فافهم.

ولم يقل عن موسى عليه السلام أنه كذاب، وقد شهد له موسى بالعلم في قوله كما حكى الله عنه: (قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ) [الإسراء:١٠٢] أي: علمت أن هذه الآيات بصائر وجود الحق المبين، فهذا العلم هو في باطنه فلم يكن يعتقد الكفر في باطنه، ولكن حمله حب الرئاسة على تكذيب الآيات، وإلا بآية ظاهرة مع علم حقيقة الأمر، كما قال الله: (وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ) [طه: ٥٦] أي: كَذَّب استكبارًا، وأبى الدخول تحت حكم موسى بالنزول إلى ذل العبودية مع أنه ملك بل معبود، فكيف يرجع لدى قومه عابدًا بعد أن كان معبودًا؟ وإذا كان أبو طالب قال: «**أخشى أن تعيرني العرب**»[٢٩٢] وهو لم يكن ملكًا معبودًا فكيف بفرعون؟ فكان فرعون كمن قال الله فيهم: (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا) [النمل: ١٤] فقال موسى عليه السلام: (رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي) [المائدة: ٢٥] وقال: (رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ) [يونس: ٨٨] وذلك من غيرته على الحق، وأما محمد ﷺ فقد قال: «**اللهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون**»[٢٩٣] وصح عنه كما في البخاري أنه قال: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٢٩٤] فاكتفى محمد ﷺ بعلم التوحيد من دون قول،

---

(٢٩٢)

(٢٩٣)

(٢٩٤)

فكل من علم أنه لا إله الله تشمله شفاعة محمد ﷺ جحد في الظاهر أم لم يجحد، وحديث البخاري: «**يقصم ظهر كل معاند**»(٢٩٥) على أن فرعون كان آخر كلامه من الدنيا: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[يونس:٩٠] فأظهر ما كان باطنًا وجمع النطق إلى العلم.

وأما أبو طالب فقد ورد فيه قوله ﷺ: «**أن الله أحيى لي عمي فآمن بي**»(٢٩٦) فمحمد ﷺ لم يقل لا أملك إلا نفسي وأخي، بل يقول: «**أمتي أمتي أنا سيد ولد آدم**»(٢٩٧) وقال: «**آدم فمن دونه تحت لوائي**»(٢٩٨) وقال: «**أنا لها أنا لها**»(٢٩٩)، وقد ورد أن موسى تمنى أن يكون من أمة محمد، وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: «**ليتمنَّين اثنا عشر نبيًا أن يكونوا من أمة محمد**»(٣٠٠) حتى أن عيسى عليه السلام لم يتم له الكمال إلا بنزوله إلى الأرض وحكمه بالقرآن، وبأن يتزوج ويولد له، فيترك الترهب الذي كان من دينه أولاً ويتبع سنة محمد ﷺ في التزويج؛ ليحصل له الكمال المطلق المحمدي صلى الله وسلم على محمد وعلى آدم وذريته أجمعين.

وفي نفسي من عظم محمد ﷺ سر مكتوم أخذته من القرآن العظيم لا أفشيه في الكتابة، ولكن إذا وجدت الصديق الصافي السليم القلب أبثه له مشافهة، ولله در من قال:

فمن منح الجهال علمًا أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد تطفلت على موائد جوده العظيم بهذه القصيدة فقلت:

يمم لطيبة خافض الأعناق ... وإلجاء لحجرة حافظ الميثاق

وإذا حللت حمى النبي محمد ... فألثم تراب ضريحه العباق

واقرا الصلاة على الحبيب مسلمًا ... واخضع لديه بذلة الإطراق

وقل السلام عليك يا خير الورى ... يا كامل الأوصاف والأخلاق

أطلق عنان أسير وجد ماله ... إلاك يسعفه بحل وثاق

---

(٢٩٥)

(٢٩٦)

(٢٩٧)

(٢٩٨)

(٢٩٩)

(٣٠٠)

واسـمح بعطفـك للمحيـر إذ هـب وجـدًا إليـك وبـات فـي اسـتغراق

أحمامـة فـي الـدوح مـن أوج النـوى نـوحي وبـوحي وأرصـدي أشـواقي

رومي اللوى واحكي الهوى واشكي الجوى وأبكي بدمع سائل مهراق

واسـتنجدي آل الوفـاء واسـتعطفي وسلي العطاء من طيب الأعراق

بـالله يـا عـرب النقـاء هـل مـن لقـاء لكـم البقـاء بمولـع مشـتاق

جـاري بميـدان الهـوى فرسـانه حتـى غـدا مـن أسـبق السُـبَّاق
يـا أهـل ودي سـاعدوا فـي حـب مـن سـلب الفـؤاد مطالـب بالبـاق
دعنـي عـذولي أننـي أنـا عبـده إن شئت نـادي علـي فـي الأسـواق
مـاذا علـي إذا مـلأت مسـامعي مـن ذكـره ووصـفت للطـراق
مـن مـات فـي هـذا الحبيب صـبابة فهـو الشـهيد الحـي بـالإطلاق
هـو مالـك للـروح بـل فـي ملكـه هـذا الوجـود بـأعظم اسـتحقاق
أليـت لا أنفـك أعشـق حسـنه حتـى الإلـه معـي مـن العشـاق
يسـع الهـوى قلبـي ومـن تعيانـه ريـق الحبيب المصـطفى ترياقي
بـأبي وأمـي مـن يطلقـه وجهـه سكر المـدام وهـام كـأس السـاقي
سـعد السـعود ورايـة الأفـراح مـن إقبالـه نشـرت علـى الأفـاق
طلـق المحيـا أزهـر بـاهي السـنا زاهـي الهنـا يـولي المنـى بـتلاق
وجناتـه ورد ونـدَّ جبينـة عطـر نمـا طيبًـا لسـبع طبـاق
عـذب الثنايـا أفـيح متبسـم أقنـى أزج أدعـج الأحـداق
شـمس محـت بالضـوء آيـة ليلهـا فبـدا الوجـود وضـاء بالإشـراق

لـم أخـش خطبًـا نـابني ومحمـد حصـن الأمـان المستجار الـواقي
والله لـو تُلـي اسـمه بجهـنم لأزال منهـا لفحـة الإحـراق
ناهيـك رد الشـمس بعـد غروبهـا والبـدر دان بطاعـة ووفـاق
يـا واحـد الـدهر الـذي مـا مثلـه مـن واحـد أوج المعـاني راق
كـن لـي مجـدًا يـا إمـام الأنبيـاء بـالفيض منـك الفـائض الغـداق
سـلطان عـزك دائـم لا ينقضـي ولسـواك ظـل كرامـة الخـلاق
أنـت الجـواد الجـود منـك أصـالة والكـل منـا فـي ظـلال رواق
صـلى عليـك الله مـا حـن إليهـا للقـاك يصـبو حاديًـا لنيـاق
أو فـاح خـتم المسـك مـن تاريخهـا زانـت بطيـب حديثـه أوراقـي

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزل الأمر من عالم الملكوت إلى عالم ملك صور الناسوت، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى

﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق:١٢] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**لو فسرتها لقلتم أني كافر**»[٣٠١]، وفي رواية «**لرجمتموني**»[٣٠٢] والسبب في ذلك أنه لو فسرها لزمه أن يتكلم على كيفية تنزل الأمر من الغيب إلى الشهادة، وعلى من يتولى ذلك التنزل، وعلى ما يقتضي ذلك التنزل من الحركات الفلكية، ومن تولية كل كوكب لأمور خاصة تتنزل من سمائه بسبب حركة ذلك الكوكب، فتحدث الحوادث مقسمة على حركات الكواكب حسب طبائعها مرتبة على دورانها في فلكها، مختلفة باختلاف صعود الكواكب وهبوطها، وأوجها، وحضيضها، واستقامتها، وشرفها في بروجها ومنازل سعودها... وغير ذلك من احتراقها ومحاقها، وما يحدث في حلولها في البروج، وسيرها في الدرج والدقائق والثواني والثوالث، والحكم في الطالع والغارب والسابع والعاشر والنظير من جهة البروج في التثليث والتربيع والتعشير والتسبيع، فجميع الآثار السفلية مربوطة بحركة الأفلاك العلوية، وكل كوكب له ولاية على أمور خاصة به، وهو المتولي لإجراء تلك الأمور حسبما قدره العزيز العليم.

ولذا قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] فأمر كل سماء لا يتعداها إلى غيرها، فالفلاسفة يرتبون على ذلك اختلاف الأسعار ونزول الأمطار وتكوين المعادن في الأرض ووجود المولدات واختلاف الفصول والأخلاط، وعلى ذلك اختلاف الأمزجة بالصحة والسقم، والقبض والبسط.، والفرح والحزن، والعز والذل، والخير والشر، والمناسبات والمشاكلات في الأغذية والأدوية، وعلم الرقي والعزائم والطلاسم، وعلم الخواص، كجذب المغناطيس للحديد، وعلم الطب، وعلم الموسيقى، وعلم الطبيعة من الفواعل والمنفعلات، وما تقضيه الصنائع الطبيعية من الأرواح الكهربائية، وما يحدث في ذلك من الأعمال المخترعة البديعة من ميازين الحرارة والبرودة والجواذب التليغرافية والفونغرافية، وعلم الاستحلالات، وعلم التوالد الطبيعي، كتولد الحيوانات من عفونات الأرض، وعلم البخارات السحابية وعلم البروق والرعود والصواعق والزلازل والخسوف والكسوف إلى غير ذلك، وجميع ما ذكرنا من تنزلات الأمر الإلهي من البطون إلى الظهور بين السماوات والأرض.

---

(٣٠١)

(٣٠٢)

وفي حق هذا التنزل قال تعالى: (وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا) [فصلت: ١٢]، ولما كان الموحي جلَّ وعلا لا يدرك من طريق العقل بل لا يوصل إليه إلا من طريق الشرع لم يعلم الفلاسفة إلا الموحى إليه الظاهر؛ لأن الموحي غيب عنهم لا يعلم إلا منه.

قال تعالى: (عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا) [الجن:٢٦] فمن ارتضى يشهد أن غيبه هو الظاهر في جميع تلك المظاهر، فالحكماء الطبيعيون يقولون بالعلة والمعلول وينسبون الآثار للأفلاك العلوية والكواكب السماوية، ويسجدون للكواكب ويعبدونها ويرصدونها لقضاء حاجاتهم وهم عن ربهم محجوبون، وعن أصل هذه الأصول كلها غافلون، ولاسيما وهم يشاهدون الليل والنهار من طلوع الشمس وغروبها ومن حرارتها ورطوبة الأرض وخروج النبات ونضج الثمار ومن سباحتها وحلولها في البروج المائية نزول الأمطار، ولذلك نفى الإيمان عنهم ﷺ في الحديث القدسي فيما يحكيه عن ربه جلَّ وعلا أنه قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب**»(٣٠٣) أي: لأنه لم يعلم أن الحقيقة الإلهية هي الظاهرة في صورة الكوكب، فالمؤمن وإن افتقر إلى كل شيء فليس افتقاره إلا لله؛ لأن الله تعالى قال: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة: ١١٥] ولولا ذلك لم يأمر الله الملائكة بالسجود لآدم، فلو كان السجود لآدم سجودًا لغير الله لكان سُنة للشرك، وحاشا أن الله ينهى عن الشرك ويأمر به، ولما كان علم الحقيقة للخواص لا للعوام امتنع ابن عباس - رضي الله عنهما- من التكلم على كيفية تنزل الأمر بين السماوات والأرض.

ألا ترى قول ابن الوردي رحمه الله:

صدق الشرع ولا تركن إلى ... رجل يرصد في الليل زحل

وأما العالم المتبحر المتشرع فيعلم أن الله تعالى جعل في كل سماء ملكًا يحكم على من فيها من الملائكة أعطاه الله علم الحوادث وجعل ذلك الملك روحانية الكوكب الموجود في تلك السماء فكوكب سماء الدنيا القمر، والثانية: عطارد، والثالثة: الزهرة، والرابعة: الشمس، والخامسة: الأحمر الذي هو المريخ، والسادسة: المشترى، والسابعة: زحل.

لكل كوكب يوم من الأيام، فالأحد للشمس، والإثنين للقمر، والثلاثاء للمريخ، والأربعاء لعطارد، والخميس للمشترى، والجمعة للزهرة، والسبت لزحل.

---

(٣٠٣)

فكل أثر ظاهر بين السماوات والأرض في يوم من هذه الأيام فهو من تولية كوكب ذلك اليوم، ومن توجه ذلك الملك الذي هو روح الكوكب.

فكوكب السماء الأولى التي لونها كالفضة لا الزُرقة التي يتوهمها الناس لشدة البعد هو القمر، وروحه إسماعيل عليه السلام، وتحت أمره جميع ملائكتها، وهو مظهر اسمه تعالى الحي، فالاسم الحي روح ذلك الروح؛ إذ للأرواح أرواح وهي معاني الأسماء الإلهية.

ولم أر من تنبه لذلك من الحكماء الإسلاميين إلا الشهيد الطغراني ـ رحمه الله ـ فإنه نص على أن للأرواح أرواحاً غير أنه لم ينص على أن الأسماء الإلهية هي أرواح الأرواح، فالله أعلم بما أراده رحمه الله، وهذه السماء مسكن آدم عليه السلام.

وأما كوكب السماء الثانية التي لونها أشهب ـ أي أبيض ـ يصدعه سواد فهو عطارد، وروحه يوحائيل عليه السلام، فهو مظهر اسمه تعالى القدير، واستمداده من الاسم العليم الخبير، وسمائه مسكن عيسى عليه السلام وإليها يتردد نوح ويحيى عليهما السلام، والحاكم على جميع ملائكتها يوحائيل عليه السلام .

وأما كوكب السماء الثالثة التي لونها الصفرة فهو الزهرة وروحه صورائيل عليه السلام وهو الحاكم على جميع ملائكتها والمتجلي عليه الحق باسمه الحبيب وملائكة هذه السماء يجيبون الداعي، لونها الصفرة، وهي مسكن يوسف عليه السلام

وأما كوكب السماء الرابعة التي لونها البياض المتورد فهو الشمس، وروح الشمس إسرافيل عليه السلام وهو مظهر الاسم الجامع الذي هو الله؛ لأن هذه السماء سماء القطبانية والاسم الله هو قطب الأسماء الإلهية وهي مسكن إدريس عليه السلام وكما أن إدريس عليه السلام روح يمد أرواح سائر الأقطاب؛ لأنه رقيقة روح محمد ﷺ فكذلك الشمس التي هي بضيائها مظهر الاسم النور المنطبق على أول الأنوار الوجودية، وهو الجوهر المحمدي المعبَّر عنه بالحديث: «**أول ما خلق الله ياقوتة بيضاء**»[٣٠٤] وفي رواية: «**درة بيضاء**»[٣٠٥] وفي رواية: «**العقل**»[٣٠٦] وفي رواية: «**نور محمد ﷺ** »[٣٠٧]وفي رواية: «**روح محمد ﷺ**»[٣٠٨]

---

(٣٠٤)

(٣٠٥)

(٣٠٦)

(٣٠٧)

ولما كان إدريس مظهر الروح المحمدي التي لها القطبانية في عالم الأرواح كانت أرواح الأقطاب كلها مستمدة من الروح الإدريسية، ولذا كان مسكنه الوسط؛ إذ فوقه ثلاث سماوات وتحته كذلك، وهو حيّ إلى قيام الساعة.

وأما كوكب السماء الخامسة التي لونها أحمر كالدم فهو الأحمر المعروف بالمريخ، وروحه عزرائيل عليه السلام حلاه الله باسمه القابض القاهر وهذه سماء الجلال، ولهذا سكنها يحيى عليه السلام وقد ورد فيه: «**إنه ما عصى الله قط ولا هم بمعصية**»[٣٠٩] وقد كان من سيرته عليه السلام أنه مازال يبكي حتى أثّر الدمع خطًّا على خده الأيمن وخطًّا على خده الأيسر، وهذا البكاء من تجلي إلهي عظموتي كحزن يعقوب عليه السلام مع كونه في أعلى طبقات الرضا بالقضاء، ولذا قال تعالى في حقه: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ**﴾ [يوسف: ٦٨]، واعلم ـ رحمك الله ـ أن يحيى عليه السلام لم يجعل الله له من قبل سميًّا وهو شهيد قتل مذبوحًا، وهذه السماء مسكن هارون عليه السلام

وأما كوكب السماء السادسة فهو المشترى المسمى بهرام، وكون سمائه الزرقة وروح كوكبها ميكائيل عليه السلام، وهو الحاكم على جميع ملائكتها، وهي مسكن موسى عليه السلام وهذه السماء سماء العلم ولها من الأيام يوم الخميس، فلذا ورد في الحديث قوله ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس**»[٣١٠] فمراده بهذه المباركة ﷺ إيصال العلم لهم بدليل قوله ﷺ: «**اطلبوا العلم يوم الخميس**»[٣١١].

وقد كنت في الصبا ألازم الدعاء يوم الخميس وأطلب العلم من الله تعالى فوجدت بركة هذا الدعاء، فمن أحب الإجابة فليصم يوم الخميس وليتطهر من الحدثين ويصلي ركعتين ويضطر إلى الله تعالى في طلب العلم يكن حريًّا بالإجابة، وليكرر الاسم المناسب للعلم كقول: يا عليم يا خبير يا علام الغيوب يا من يعلم السر وأخفى، يا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يا من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، يا من عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، يا من قلت: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا**

---

(٣٠٨)

(٣٠٩)

(٣١٠)

(٣١١)

عَلَّمۡنَٰهُ) [يوسف:٦٨] يا من قلت: (وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا) [الكهف:٦٥] يا من قلت: (ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ) [الرحمن:١-٢] يا من أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددًا، يا من قلت: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ* ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ) [العلق:١-٥] وليستعن الطالب بالذكر والصدقة ولا ييئس من روح الله (إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَا) [يوسف: ٨٧].

وأما كوكب السماء السابعة التي لونها أسود كالليل المظلم فهو كيوان، المسمى أيضًا زحل وروحه الملك المسمى بالنون ، وإنما تلونت هذه السماء بالسواد لسؤددها وعلوها وإحاطتها بالسماوات، وهي مسكن الخليل ، وفيها الكواكب الثابتة، ولهذا سير خفي لا يعلمه إلا أهل الكشف، وتسمى هذه السماء بالفلك المكوكب، وفوقها الفلك الأطبس، وهو فلك البروج الاثني عشر وفوقه الكرسي وفوقه العرش.

واعلم أن الإنسان فيه ما يقابل السماوات السبع، ففيه سر خياله وسماء وهمه وسماء حفظه وسماء ذكره وسماء تصويره وسماء تفكره وسماء عقله، وفيه ما يقابل الكواكب السبعة، وذلك بهمته وفهمه وحركته وشمه وذوقه ولمسه وحسه.

وأما الأرضون فهي سبع طباق: أرض بيضاء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء وأرض خضراء، وأرض زرقاء، وأرض سوداء، ويقابلها من جسم الإنسان جلده وشحمه ولحمه وعروقه وعصبه وعضلاته وعظمه، تشبيه قوله تعالى: (وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ) [الطلاق: ١٢] أي سبع أرضين في العدد، هذا هو المعلوم.

قال قائل: في هذا الكلام سر خفي، وهو أن قوله: (وَمِن ٱلۡأَرۡضِ) معطوف على قوله: (سَبۡع)، أي: وخلق من الأرض سبع سماوات مثل السبع الأوائل في عددهن وأشكالهن وألوانهن وكواكبهن، وبروجهن ومنازلهن، وقوله تعالى: (مِثۡلَهُن) يحمل على المثلية الكاملة لا على مثلية العدد فقط، وذلك أبلغ في القدرة؛ لأن الله كما أنه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي كذلك يخرج السماوات من الأرضين، والأرضين من السماوات، كما يخرج أيضًا النخلة من النواة، والنواة من النخلة، والذي اقتدر أن يخرج من الطين إنسانًا حيًّا سميعًا بصيرًا متكلمًا مريدًا قادرًا على صورته، قادرأن يخلق سبع سماوات من الأرض.

وهذا هو الذي يقتضيه سياق العبارة، عبارة القرآن العظيم، فلا تَحد عن الحق، فقلت

له: فإذن لا يخلو كلامك عن ثلاثة أمور:

إما أن تكون هذه السماوات السبع التي تشير إليها فوق هذه السماوات الأولى المعلومة.

وإما أن تكون تحت الأرضين السبع فنكون متوسطين بين سبع سماوات فوقنا وسبع سماوات تحتنا.

وإما أن تكون في دنيا ثانية غير دنيانا هذه ولا نعلمها نحن ولا نعلم ما فيها من العوالم.

فقال: وهل ذلك بعجيب!؟ أخبرني أين سد يأجوج ومأجوج؟ وما فيه من العوالم هل هو في البحر المحيط وقد غمرته المياه أو هو في أرض مسكونة والآن هي تحت هذه الأرض، أو هو وراء جبل قاف أو باطنه؟ وأخبرني عن جنة عاد أين هي الآن مع أنها حسية من بناء البشر؟ وأخبرني عن أول ما خلقه الله من نوع المولدات الثلاث ما أول النبات؟ وما أول المعدن؟ وما أول الحيوان؟ بل أخبرني عن القبر روضة أو حفرة أتراه كذلك؟ وعن الجنة تحت ظلال السيوف وتحت أقدام الأمهات؟ وعن قول الله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] هل ترى ذلك؟ قلت: لا، قال: إنما أنت أعمى، هل تسمع كلام الميت السعيد حين يقول: قدموني قدموني والميت الشقي حين ينادى بالويل ويقول: أين تذهبون بي؟ قلت: لا، قال: إذا أنت أصم، فالأعمى الأصم كيف يدرك ما قلت له؟ قلت: فهل هذا من الذي كتمه ابن عباس وخاف من التكفير أو الرجم؟ قال: كتم ما هو أعظم.

ألا تدري أن الله بك أمسك السماوات أن تقع على الأرض، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان:١٠] فالعقل الإنساني هو العمد الذي لا يرى لأحد، وهو مظهر القوة الإلهية، وهو القلم الذي أملى عليه الحق فقال له: أكتب علمي في خلقي، فهذا العقل الإنساني به يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا.

ألا ترى قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، فقلت: إذن لا محال في الوجود، وقد نبَّه الإنسان الكامل سيدي محمد وفا ـ قدَّس الله سره ـ على مواسك السماوات والأرض فقال في كتابه «نفائس العرفان»: من أنفاس الرحمان نفس العقول الإنسانية هي مواسك السماوات والأرض، والأفلاك متحركة بحركات الأنفس البشرية وإليها ينتهي قضايا كل متحرك منها، ولما حصل الحق

في الإنسان ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] استوى ما حصل فيه بالوجود مستوى الرحمانية. انتهى كلامه.

أقول: جميع دندنة القوم ﷺ تدور حول هذا الكلام عند من فهمه حق الفهم؛ لأنه اخبر أن العقل الإنساني نقطة دائرة الوجود، منه المبدأ وإليه النهاية، وأن الحق حصل في الإنسان أشار لآية المبايعة المحمدية، وأن الأمر الذي يرجع لمن بايع بيعة الرضوان فهو شهادة الله كما أنه غيبه فله الاستواء الرحماني بحكم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧] على عرش الوجود المحيط، وهو العقل المحمدي في كل عاقل، وهو عمد السماوات والأرض، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: بسم الله الرحمن الرحيم(٣١٢)

---

(312) ﴿بِسۡمِ﴾: كشف «الباء»: كشف البقاء لأهل الفناء، و«السين»: كشف سناء القدس لأهل الأنس، و«الميم»: كشف الملكوت لأهل النعوت، و«الباء»: برُّه للعموم، و«السين»: سرُّه للخصوص، و«الميم»: محبته لخصوص الخصوص، و«الباء»: بدء العبودية، و«السين»: سرُّ الربوبية، و«الميم»: منةٌ في أزليته على أهل الصفوة.

و«الباء» من بسم أي: ببهائي بقاء أرواح العارفين في بحار العظمة.

و«السين» من بسم أي: بسنائي سمت أسرار السابقين في هواء الهُويِّة.

و«الميم» من بسم أي: بمجدي وردت المواجيد قلوب الواجدين من أنوار المشاهدة.

وقيل في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾: بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت، وبتجلّيه حَسُنت المحاسن، وباستناره فُتحت المفاتح.

وقيل: إن « ﴿بِسۡمِ﴾» يبقى به كل الخلق، فلو افتتح كتابه باسمه؛ لذابت تحته حقيقة الخلائق، إلا مَنْ كان محفوظًا من نبيٍّ، أو وليٍّ.

وأما «ٱلله»: فإنه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع، وكل اسم يتعلق بصفة من صفاته إلا الله؛ فإنه يتعلق بذاته وجميع صفاته لأجل ذلك، وهو اسم الجمع أخبر الحق عن نفسه باسمه الله، فما يعرفه إلا هو، ولا يسمعه إلا هو، ولا يتكلم به إلا هو؛ لأن الألف إشارة إلى الأنانية والوحدانية، ولا سبيل للخلق إلى معرفتها إلا الحق تعالى.

وفي اسمه «ٱلله» لامان: الأولى: إشارة إلى الجمال، والثانية: إشارة إلى الجلال، والصفتان لا يعرفها إلا صاحب الصفات، و«الهاء»: إشارة إلى هويته، وهويته لا يعرفها إلا هو، والخلق معزولون عن حقائقه، فيحتجبون بحروفه عن معرفته «بالألف»: تجلّي الحق من أنانيته لقلوب الموحدين، فتوحدوا به، و«باللام الأولى»: تجلّي الحق من أزليته لأرواح العارفين، فانفردوا بانفراده، و«باللام الثانية»: تجلّى الحق من جمال مشاهدته لأسرار المحبين، فغابوا في بحار حبِّه، و«بالهاء»: تجلّى الحق من هويته لفؤاد المقرَّبين، فتاهوا في بيداء التحيُّر من سطوات عظمته.

وقيل في قوله: «ٱلله»: هو المانع الذي يمنع الوصول إليه، كما امتنع هذا الاسم عن الوصول إليه حقيقة، كأن الذات أشد امتناعًا، عجزهم في إظهار اسمه لهم؛ ليعلموا بذلك عجزهم عن درك ذاته.

وقيل في قوله: (ٱلله): «الألف»: إشارةٌ إلى الوحدانية، و«اللام الأولى»: إشارةٌ إلى محو الإشارات، و«اللام الثاني»: إشارةٌ إلى محو المحو في كشف الهاء.

وقال بعضهم: بالله تحيَّرت قلوب العارفين في علم ذات الله، وبشفقته توصلت علوم العالمين في صفات الله،

هذا الوارد ورد مصدر بالبسملة؛ لأنه وارد ذكري إذا بسمل الإنسان يقول الله تعالى: «**ذكرني عبدي**»[٣١٣].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه ورد في الخبر عن النبي ﷺ عن الله تعالى أنه يقول جلَّ وعلا: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»[٣١٤] وفي رواية: «**خير منهم**»[٣١٥] هاهنا سؤال، وهو أن النفس في الحديث المذكور هل هي نفس واحدة للحق والخلق أم النفس متعددة؟ فإن كانت واحدة فلِمَ ذكر في الحوار القدسي نفسين: نفس الذاكر ونفس المذكور؟ وكذلك قال الله تعالى حكاية عيسى عليه السلام: **(تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ)** [المائدة:١١٦]، وإن كانت النفس متعددة فما معنى قوله ﷺ: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[٣١٦] وفي رواية: «**والعالم مني**»[٣١٧]، وفي الحديث: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٣١٨] وفي الحديث: «**إن الشوكة تصيب أحدكم فأجد ألمها**»[٣١٩] فإن كان يجد ألمها إذا شاهد من أصابته الشوكة فكل مؤمن كذلك، وحينئذ لا يجد ألم نفس الشوكة وهو الألم الحسي، بل إنما يرحم من أصابته الشوكة، وهذا لا يختص به ﷺ، بل كل مؤمن يرحم من تألم، وإن كانت مطلقة في جميع الأنفس فهل هي بعينها نفس الحق الواحدة

وبرحمته أدركت عقول المؤمنين شواهد ما أشهدهم الله من بيان الله.

وقيل: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾: ترياق أُعطِي للمؤمنين، يدفع الله به عنهم سمَّ الدنيا وضررها.

وقال جعفر الصادق: «بسم»: للعامة، و«الله»: لخاص الخاص.

أما قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ رَحِم على أوليائه باسمه الرحمن، بتعريف نفسه لهم؛ حتى عرفوا به أسماءه، وصفاته، وجلاله، وجماله، وبه خرجت جميع الكرامات للأبدال والصدِّيقين، وبه تهيأت أسرار المقامات للأصفياء والمقرَّبين، وبه تجلَّت أنوار المعارف للأتقياء والعارفين؛ لأن اسم ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مخبرٌ عن خلق الخلق، وكرمه على جميع الخلق، وفي اسمه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ترويحُ أرواح الموحدين، ومزَيد أفراح العارفين، وتربية أشباح العالمين، وفيه نزهة المحبين، وبهجة الشَائقين، وفرحة العاشقين، وأمان المذنبين، ورجاء الخائفين.

وقوله ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾: موهبة الخاص لأهل الخاص، وهو مستندٌ لذوي العثرات، ومسرةٌ لأهل القربات.

و﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾: مطيّة السالكين، تسير بهم إلى معدن العناية، و﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾: حبل الحق للمجذوبين تجذبهم به إلى حَجال الوصلة.

(٣١٣)

(٣١٤)

(٣١٥)

(٣١٦)

(٣١٧)

(٣١٨)

(٣١٩)

أم لا؟ وإذا كانت حقيقة النفس واحدة فما معنى قوله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا * قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠] فهل هي النفس المسواة نفس آدم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩] فتكون النفس الملهمة للفجور والتقوى هي بعينها نفس آدم، وكيف نزكي نفس آدم ونحن منها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء:١] أو يكون المراد بالنفس الواحدة هي نفس محمد ﷺ التي أخبر عنها بقوله: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٣٢٠] أو حقيقة النفس هي الكنز المخفي المخبر عنه في الحديث القدسي بقوله تعالى: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف**»[٣٢١] أم كيف الأمر؟ وعلى أن حقيقة النفس واحدة فالأمر مشكل لما ورد من أنه ﷺ قام لجنازة فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال ﷺ: «**أليست نفسًا**»[٣٢٢] فما هي النفس؟ والجواب عن ذلك: إنه لا يعلم حقيقة النفس إلا من فهم قول باب المدينة العلمية النبوية وهو سيدنا أبو تراب عليه السلام:

وإنك فيك ولا تشعر ... ودواءك منك وما تبصر
وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه قد يظهر المضمر
فمالك حاجة من خارج ... لعلمك فيك بما يسطر
أتنظر في الكتب كي تستفيد ... وعنك مؤلفها يخبر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنشدوا في المعنى

وغنى لي مني قلبي ... وغنيت كما غنى

وكنا حيثما كانوا ... وكانوا حيثما كنا
فما بنا ولا بانوا ... ولا بانوا ولا بنا

والذي يظهر لهذا العاجز أن المراد بالحديث الشريف: «**من ذكرني في نفسه**»[٣٢٣] من جهة التنزل الخلقي «**ذكرته في نفسي**»[٣٢٤] من جهة التعالي الحقي، فيذكرني من تجلى الاسم الآخر في صورته الخلقية، فحينئذ أذكره في نفسي بمعنى: إني أشهده أني أنا الذاكر نفسي التي هي باطنه، ومعناه الحقي من جهة الاسم الأول الباطن، وذلك المعنى

(٣٢٠)
(٣٢١)
(٣٢٢)
(٣٢٣)
(٣٢٤)

الغيبي هو المتنزل إلى صورته الخلقية من جهة الاسم الآخر الظاهر، مع أن حقيقة النفس واحدة، وهي الأول والآخر والظاهر والباطن، ولكن اعتباراتها مختلفة فالتعدد حينئذ حكمي اعتباري لا عيني حقيقي، فقول عيسى عليه السلام: **(تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي)** أي:لأنك باطنها **(وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ)** أي: لأني ظاهرها، فالنفس واحدة لا يحيط بها لعدم حصرها، إذا فهمت ذلك علمت أن الذكر عين المذكور، وإنما التعدد اعتباري صوري لا حقيقي، ولقد أحسن من قال:

لقد كنت قدمًا قبل أن يُكشف الغطاء ... أخَالُ بأني ذاكر لك شاكر
فلما أضاء الصبح وانكشف الدجى ... عرفتك مذكور وذكر وذاكر

فحيث كان كذلك فقد شهد الله أنه لا إله إلا هو، فالشاهد هو المشهود له فما وحده سواه ولو وحدَّه غيره لم يكن توحيد **(قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)** [الإخلاص:١] وهو كلام الله الذي هو القائل. فافهم.

وبما ذكرنا من توحيد النفس يفهم قوله تعالى آمرًا لنبيه ﷺ: **(وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا)** [النساء:٦٣]، ولم يقل: قل لهم في وجوههم، إشارة لسريان نفسه في أنفسهم، فهو القائل فيهم، كما أنه النذير لجميع العالمين فيهم، حيث أخبر تعالى عنه أنه منه، حيث يقول: **(فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ)** [الذاريات:٥٠] وبذلك تتحقق معنى قوله تعالى: **(تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا)** [الفرقان:١].

فالعالمون هم عوالم الإنس والجن والملائكة، والفرقان المنزل عليه ليكون نذيرًا لهم هو جميع الأسماء المتفرقة المعاني؛ سواء كانت حقيقة أو خلقية، والمراد بقوله: **(عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ)** عبد الهُويِّة، أي: مظهرها، فهو مجلي الذات ومظهر هويتها في قوله تعالى: **(هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ)** [الحديد:٣] فاستحق مرتبة: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٣٢٥] وأما قوله: «**ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»[٣٢٦] فالمعنى من ذكره في ملأ البشر ذكره تعالى في عالم الأرواح المطهرة.

وهاهنا نكتة ناسب ذكرها وهي: ما ذكره الشيخ الأكبر رضي الله عنه في «الفتوحات المكية» وهو أنه رأى النبي ﷺ فسأله: هل الكامل من البشر أفضل أم الكامل من الملائكة؟ فقال له ﷺ: «**الملك أفضل**» فقال له: لو سُئلنا عن الدليل على ذلك فما نقول؟ فقال له ﷺ: «**أما بلغكم**

---

(٣٢٥)

(٣٢٦)

عني عن الله تعالى أنه يقول: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وكم من ذاكر لله في ملأ وأنا فيهم فيذكره الله في ملأ خير منهم»(٣٢٧).

فمن هنا قالت المعتزلة بأن جبريل أفضل من محمد ﷺ.

وقد صرح الشيخ الأكبر في موضع آخر بأن الملك أفضل من البشر، والبشر أكمل، وفي موضع آخر قال: إن الملك جزء من البشر، والذي يظهر أن جميع الوجود الحقي والخلقي مندرج في النفس المحمدية؛ لأن الله سماه السراج المنير، فالملائكة من ملكيته، والبشر من بشريته، ومعنى الحديث: إنه من ذكر الله تعالى في ملأ فيه بشرية محمد ﷺ الخلقية يذكره الله في ملأ فيهم روحيته الحقيَّة(٣٢٨)، وكان الجواب من النبي ﷺ بلسان الفرق؛ لأن المسألة خلاف بين الأشاعرة القائلين بفضله على الملك، وبين المعتزلة القائلين بفضل الملك عليه، فأجاب بطريق التعليل؛ لأن المسألة عمومية، والرسل لا يخاطبون إلا باللسان الظاهر في العموم، ويشيرون للخصوص بمشربهم.

ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ﴾ [طه:١١٤] فأفادت الآية أن علمه بالقرآن من وراء علم جبريل.

ألا ترى أن جبريل وقف في المعراج عند السدرة وقال: «**وما منا إلا له مقام معلوم**»(٣٢٩) وأين جبريل من قوله: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»(٣٣٠) فمن نوره كان جبريل وغيره، بل هو وجود الله الذي هو السراج المنير لجميع مظاهر الوجود.

ولذا قال الغوث الكامل الشيخ عبد الكريم الجيلي ﷺ: ولا أقول بما قاله الشيخ محيي الدين العربي من أن خواص الملائكة أفضل من الإنسان الكامل، وقد علمت أن الشيخ محيي الدين في كل مقام له مقال فتتجدد أقواله ولا يحاط بها، والذي يقوله العاجز أن محمدًا ﷺ هو حضرة الذات الجامعة لجميع الأسماء والصفات وهو السراج المنير الذي استنارت منه الأرواح جبريل وغيره والأشباح، آدم وغيره، والله الموفق.

---

(٣٢٧)

(٣٢٨) لأنه قد استغرق الذكرُ جميعَ أوقاتهم؛ فإن قاموا فبذكره، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذكر، فيقومون بحق ذكره ويقعدون عن إخلاف أمره، ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها والدعوى فيها.

(٣٢٩)

(٣٣٠)

نكتة لطيفة:

قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] لم يقل تعالى: أنتم، بل قال: ﴿كُنتُمۡ﴾ فإما أن يكون المراد: كنتم في علم الله تعالى، فلا دلالة بقوله: كنتم على الدور، وإما أن يكون المراد: كنتم في الوجود العيني خير أمة أخرجت؛ أي: أخرجت من آدم للناس، فحينئذ يدل قوله: ﴿كُنتُمۡ﴾ على أن أمة محمد من كل آدم خير أمة أخرجت للناس، فيدل ذلك على أن آدم دوري، ومحمد ﷺ دوري، وأمته كذلك أمة دورية، وحينئذ يقال في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] أن محمد ﷺ هو الوسط المختار بين كل آدم وآدم.

وحينئذ يفهم ما ذكره الشيخ الأكبر في «الفتوحات المكية» من أنه رأى في الطواف رجل غريب الزي والهيئة والشكل، فسأله من هو؟ فقال: أنا من أجدادك، فقال له: كم لك ميت؟ فقال: أربعون ألف سنة، فقال: إذن أنت قبل آدم؟ فقال له عن أي آدم تعني؟ أي: تسأل عن آدم الذي هو الأقرب إليكم، فقال له: وهل قبل آدمنا آدم غيره؟ فقال له: كم في خلق الله من آدم، فعند ذلك قال: تذكرت حديثًا لم يصححه علماء الظاهر، وهو قوله ﷺ: «**إن الله خلق مائة ألف آدم**»[٣٣١]

وعلى هذا فيكون لكل آدم دنيا، ولكل آدم ملائكة يؤمرون بالسجود له، ولكل آدم إبليس يأبى عن السجود، ولكل آدم مع ذريته جنة ونار، وبدوران الدور يعود الأول أولاً والآخر آخرًا، والظاهر ظاهرًا، والباطن باطنًا، ولو لم يكن الأمر كذلك لتعطلت معاني هذه الأسماء الأربعة، وبتعطلها تتعطل الألوهية، ومن هنا يظهر قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣] أي: في مرتبة البطون، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وإلا فمتى كان الناس أمة واحدة؛ إذ من أول الأمر وهو ظهور آدم اختلفت بنوه ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٣] ثم جاء ولده شيث عليه السلام، فكذلك إلى أن جاء نوح عليه السلام، فكذلك إلى زمن عيسى عليه السلام، فكذلك بعد عيسى من الناس من اتبع عيسى، ومنهم من اتبع ملة إبراهيم عليه السلام، ومنهم من اتبع ملة موسى، ومنهم عبَّاد الأصنام، فمتى كان الناس أمة واحدة فقول المفسرين: إنهم كانوا أمة واحدة في زمن الفترة غلط عظيم؛ لأن محمدًا ﷺ أخبر عن أُناس من أهل الفترة أنهم في النار، وأخبر عن أُناس منهم أنهم ناجون كقس بن ساعدة الذي خطب الناس ودعاهم إلى التوحيد، فأخبر أنه يبعث أمة وحده؟ فأين هو من

---

(٣٣١)

امرئ القيس، الذي أخبر عنه أنه حامل لواء الشعراء إلى النار؟ وأين قيس أيضًا من أمية بن أبي الصلت الذي أخبر عنه أنه آمن شعره وكفر قلبه؟

فلو كان الناس أمة واحدة في زمن الفترة لم يكن بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، اللهم إلا أن يقال: كان الناس أمة واحدة عند أخذ الميثاق، وقوله تعالى: **(أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ)** [الأعراف:١٧٢] فالجميع قالوا: **(بَلَى)** فحينئذ الجميع أمة واحدة.

ولكن ليت شعري هم في ذلك الموطن أمة أي نبي من الرسل؟ وهل كَلمهم الله تعالى كما كَلم موسى؟ أم كَلمهم بواسطة أي رسول؟ ومن هو ذلك الرسول هل هو من الأرواح المجردة؟ أم من الأرواح المتعينة في الأشباح؟ أم هذا الميثاق أيضًا دوري لكل آدم؟ وحيث إن محمدًا ﷺ قال: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٣٣٢] ولا يسمى النبي نبيًا إلا أن يكون على شرع من الله، وحينئذ فلمن هو نبي قبل آدم فهل هو لأهل الميثاق أم لا؟ **(سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ)** [البقرة:٣٢].

وارد:

روى مسلم بسنده إلى رافع بن خديج ﷺ قال: قدم النبي ﷺ المدينة ورأى أهلها يؤبرون النخل قال: «**لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرًا**»[٣٣٣] فتركوه فنقصت ثمارهم فذكر ذلك عند رسول الله ﷺ فقال: «**إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر**»[٣٣٤] وفي رواية: «**فإني ظننت ظنًا فلا تؤاخذوني به**»[٣٣٥] قوله: يؤبرون النخل، أي: يصلحونه باللقاح، وفيه ثلاث لغات: فتح الياء، وإسكان الهمزة مع كسر الباء أو ضمها، وضم الباء وفتح الهمزة وكسر الباء مع التشديد كما في «القاموس»، قوله فنقصت ثمارها، وفي رواية لابن ماجه: « **فجاءت شيصًا**»[٣٣٦] قال في «القاموس»: أشاصت النخلة لم تتلقح.

وفي رواية لمسلم: مر ﷺ بقوم يؤبرون النخل فقال لهم: «**لو لم تفعلوا لصلحت**»[٣٣٧]

---

(٣٣٢)

(٣٣٣)

(٣٣٤)

(٣٣٥)

(٣٣٦)

(٣٣٧)

وفي رواية: «**لو تركتموها لصلحت**»[٣٣٨] فتركوها فجاءت شيصًا فقال: «**أنتم أعرف بدنياكم**»[٣٣٩] وفي رواية: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[٣٤٠] وفي رواية: «**بمصالح دنياكم**»[٣٤١].

أقول: قد سبقني إلى الكلام على هذا الحديث الشريف سيدي ومولاي الأمير عبد القادر الحسني ﷺ في كتابه «المواقف» في موضعين من الكتاب المرقوم، وقد راعى غاية الأدب معه ﷺ، والغالب من العموم على أن كلامه ﷺ يخلف؛ لأنه في زعمهم ظن بغير وحي إلهي، والصحيح عند المحققين أن كلامه ﷺ لم يتخلف البتة لأنهم ما تركوها مع التسليم الباطني، وإن تركوها ظاهرًا فهو ترك صوري لا حقيقي، فلو ظنوا بالله أنه يصلحها بلا تأبير وتركوا الوقوف مع الأسباب الظاهرة لصلحت كما قاله ﷺ، لكن ما تركوها فما صلحت، ولا ينافي قوله: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[٣٤٢] ما ذكرناه؛ لأن أمر دنياهم هو الذي اقتضى عدم الاعتماد على مسبب الأسباب والوقوف مع الأسباب، والحاصل أن تركهم تجريبي.

ألا ترى أن خالد بن الوليد ﷺ لما كان إيمانه قطعيًا بأن من قال: بسم الله الرحمن الرحيم وأكل السم لم يضرّه، وأما غيره من المجربين فلو أكله لتقطعت أمعائه ولو بسمل ألف مرة، والذي يظهر لهذا العاجز أن مشهد النبي ﷺ حين قال لهم: «**لو تركتموها لصلحت**»[٣٤٣] عالم القدرة المطلقة، والقدرة الإلهية لا تتقيد بسبب ظاهر، فإن الله يوجد الشيء عند السبب الغيبي كما يوجده عند السبب الشهادي.

ألا ترى أن الله تعالى أوجد عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ بسبب غيبي عن قومها ـ وهو نفخ الروح ـ وهم لا يعلمون ذلك؛ إذ لا يجوزون أن الولد البشري يجيء إلا من والد بشري يأتي أهله الإتيان المعتاد، فتحمل منه الحمل المعتاد مدة معتادة، وحمل عيسى ﷺ متصل بمخاضها وولادتها بلا مهلة كما قال تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا**﴾ [مريم:٢٢] عنهم حياءً منهم وقوله تعالى **فَٱنتَبَذَتْ**(**بِهِۦ**)يشير أن حملها به كامل، وأنه

---

(٣٣٨)

(٣٣٩)

(٣٤٠)

(٣٤١)

(٣٤٢)

(٣٤٣)

موجود بتمامه في بطنها.

ولذا قال تعالى: (فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ) [مريم:٢٣] والفاء من قوله فَأَجَآءَهَا() للتعقيب لا للمهلة، ولم يقل تعالى: ثم أجاءها المخاض، فكان نفخ الروح والحمل والمخاض والولادة فجأة بلا مهلة، ولذا قالوا لها: (مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ) [مريم:٢٨] إذ ما عندهم خبر بحملها، فما قالوا لها: (مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ) إلا لمَّا أتت به قومها تحمله، وإلا لقالوا لها ذلك من حين الحمل إن اتهموها.

لا يخفى أن النخلة مخلوقة من طينة آدم، فهي عمتنا أخت أبينا، فجوز ﷺ أن يكون الحمل للنخلة من عالم القدرة لا من عالم الحكمة الظاهرة باللقاح الظاهر مثل ما كان لمريم؛ لأن النخلة مطبوع فيها المعنى الإنساني، ولذا تموت بقطع رأسها مثل الإنسان، فلذا قال: «**لو تركتموها لصلحت**»[٣٤٤] أي: بالقدرة الإلهية كما كانت مريم ـ عليها السلام ـ تهز النخلة اليابسة فتساقط عليها رطبًا جنيًا، فتركوا اللقاح ظاهرًا لكنهم ما تركوه باطنًا، ولما تركوها ظاهرًا وقلبهم متعلق بلقاحها شاصت لقوله ﷺ: «**لو تركتموها لصلحت**»[٣٤٥] هنا حرف لو حرف امتناع لامتناع، يعني امتنع الصلاح لامتناع الترك، فصح قول رسول الله ﷺ لأن مقصوده أنهم يعتقدون أن قدرة الله لا تنحصر بهذه الأسباب الظاهرة ولاسيما والله عند ظن عبده به وليس ظنهم إلا ما هم عليه من الأمر المعتاد، فما تركوها في قلوبهم للفاعل المختار، فما صلحت بل شاصت، فما ظلمهم النبي ﷺ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، بعدم التسليم إليه من كل وجه.

وقد قال الله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) [النساء:٦٥] فلو سلموا له ظاهرًا وباطنًا لأثمر نخلهم، وإذا كانت مريم ـ عليها السلام ـ كلما هزت النخلة تساقط الرطب فكيف لا تساقط بحب من يحبه الله ويسخر له الحجر والشجر وينبع الماء من بين أصابعه وينشق له القمر ﷺ؟

وأما قوله ﷺ لما شكوا إليه فساد نخلهم: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[٣٤٦] فالظاهر أنه أراد العلم الذوقي وهو من حكم الاسم (الخبير)؛ لأن الخبرة هي التجربة المعتادة وهم أعلم

---

(٣٤٤)

(٣٤٥)

(٣٤٦)

بها لاعتمادهم عليها، وأما هو ﷺ فلم يكن علمه بالتجربة ولكن علمه من الله تعالى، والعلم الإلهي لا يتقيد بالتجارب بل هو مطلق، ولذا قال لهم: «**بأمر دنياكم**» وفي رواية: «**بمصالح دنياكم**»[٣٤٧] فأضاف الدنيا إليهم، ولم يقل: أنتم أعلم فقط، وكذلك لم يقل أنتم أعلم بأمر الدنيا، فإنه ﷺ يعلم أمر الدنيا بالعلم المطلق من الله تعالى بلا تقييد بسبب معتاد ولا بوجه من الوجوه، بل بحسب التجلي الإلهي، وأما هم فعلمهم الخاص بهم ذوقي لهم فلا يعلم إلا منهم بأن يقوم به ما يقوم بهم على حد قوله تعالى: (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ**) [محمد:٣١] فلا يبلوا تعالى أخبارنا على طريق النسبة إليه إلا منَّا.

ألا ترى أنه لولا عبده ما وصف بالجوع والظمأ والمرض، فعلمه بذلك ذوقي مستفاد، فالعلم يتبع المعلوم على حسب ما هو عليه.

ألا ترى قوله ﷺ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**»[٣٤٨] فلا يوصف بالملل إلا بسبب ملل عباده، وكذا العجب والضحك والفرح والتردد والتقرب بالشبر والذراع والباع والهرولة وأمثال ذلك، إلا أن نسبة ذلك إليه مع التنزيه وعدم التقيد لا على حد نسبته إلينا فإنه (**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**) [الشورى:١١] وهذا ما ظهر لي والله ورسوله أعلم والله الموفق.

وارد:

حكمة بديعة محمدية وإشارة نبوية رفيعة.

اعلم أن محمدًا ﷺ له وقت مع الله لا يسعه فيه غير ربه، فهو مع تجليه له في سائر الأمور؛ لأنه كان يذكر الله على سائر أحيانه كما وصفته عائشة رضي الله عنها، وكما أنه مجلي الله فكلامه كلام الله الذي(**لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) [فصلت:٤٢] ولما أمرنا بالكلام الإلهي القرآني بقوله: (**فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ**) [الذاريات:٥٠] لم ندر كيف نفر إلى الله؟ فأبان لنا من كونه المبين ﷺ بقوله: «**أصدق كلمة قالها الشاعر**»[٣٤٩] وفي رواية قالها لبيد: «**ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[٣٥٠] أي: عدم لا وجود له، وبلغنا عن الله تعالى في القرآن العظيم قوله: (**كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا**)**وَجْهَهُۥ**

---

(٣٤٧)

(٣٤٨)

(٣٤٩)

(٣٥٠)

[القصص:٨٨] أي:كل شيء عدم باطل لا وجود له إلا وجهه.

وأعلمنا أننا أينما نولي فثم وجه الله فينا على الأمر الإلهي بقوله: **(فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ)** [الذاريات:٥٠] قال لمن يؤبرون النخل: «**لو تركتموها**»[٣٥١] أي: لو أخليتموها من الوجود، وشاهدتم وجه الله فيها لصلحت؛ لأن وجه الله هو الصالح لظهوره في كل شيء لأنه الأول والآخر الظاهر الباطن، وهو عند ظن عبده به.

وقد قال: (يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ) [يونس:٣١]، ولا حي إلا هو، فالميت هالك باطل؛ أي: عدم، وهو عين المسمى بالعدم، فالعدم بالنسبة إليه عين الوجود، فمن ولي إلى العدم فثم وجه الله، فهو يخرج نفسه من نفسه، وكل الصيد في جوف الفراء، فكأنه يقول لهم: لو تركتموها وتوجهتم إليه لصلحت؛ لأن الله تعالى لا يخلو منه شيء، فحينئذ لا تحتاجون إلى التأبير العادي؛ لأنه مطلق لا يتقيد بشأن دون شأن، وبهذا تمسك إبليس بقوله تعالى: **(وَرَحْمَتِى)** [الأعراف:١٥٦] أي: ورحمة ذاتي المطلقة وسعت كل شيء، فناظر سهل التستري ﷺ، وقال له: إن رحمة الله وسعت كل شيء، وأنا شيء فكلمه من مقام الذات، فحار سهل التستري وبهت، ثم تذكر تمام الآية فقال بالعين: إن الله قال: (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) [الأعراف:١٥٦]، فأجابه من تجلي الأفعال لا من تجلي الذات؛ لأن التقوى[٣٥٢] فعل العبد، فقابل تعالى فعلاً بفعل، فكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة، وهذا لا يقتضي تقييد الإطلاق الذاتي الذي لله، فنبهه إبليس وقال: يا سهل ما كنت أظنك هكذا، التقييد صفتك لا صفته، فعند ذلك تنبه سهل للتجلي الذاتي المطلق الذي لا يتقيد بشأن دون شأن.

قال أستاذنا الشيخ الأكبر:سلام الله عليه اللعين أستاذ سهل في هذه المسألة فمن هذا المعنى نبههم ﷺ بقوله: «**لو تركتموها لصلحت**»[٣٥٣] فلما لم يفهموا مراده قال: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[٣٥٤] فأضافها إليهم؛ لأن دنياه ليست كدنيانا، فإنه ليست له دنيا إلا هو تعالى ولا آخرة إلا هو، ولا ظاهر إلا هو ولا باطن إلا هو، وهذا مشهد إيماني نبوي هدانا إليه

---

(٣٥١)

(352) والتقوى أيضًا: ترك كل شيء تقع عليه؛ فهو في الآداب مكارم الأخلاق، وفي الترغيب ألا يظهر ما في سره، وفي الترهيب ألا يقف مع الجهل، ولا تصح التقوى إلاّ بالمقتدي بالنبي ﷺ وبالصحابة –رضي الله عنهم. [تفسير التستري (١٨٦/١)].

(٣٥٣)

(٣٥٤)

محمد ﷺ من وراء علم الفناء والبقاء، ومن وراء الجذب والسلوك فمن قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [الذاريات:٥٠]، هدانا إلى الله بالإيمان المطلق الذي هو الله تعالى من اسمه (المؤمن) فيكون الله آمن بنفسه لنفسه.

ومن هنا يفهم سر قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] فأعلمنا بذلك إذ أمره الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [آل عمران:١٥٤] فبلغنا ذلك بنبوته ورسالته، فنفى ﷺ الأمر كله عن كل أحد سواه وأثبته كله إلى الله، فالمنة لله ولرسوله ولورثته الداعين إلى الله على بصيرة من إيمان الله بهم المطلق، وكان فضل الله علينا عظيمًا.

اللهم اشكر أخي أحمد بن بكري الفواخيري حيث استخرج مني بسؤاله عن معنى هذا الحديث يواقيت البحور فكانت لأخواني المؤمنين قلائد النحور، ولقد حدثني سيدي الحسين الفاطمي المغربي عن شيخه الشيخ عربي بن عطية أنه كان يقول العارف بالله أبدا بحر مطلسم، وتضطرب أمواجه ببحث المريدين معه، ولكن الفضل لله ورسوله، فإني سائل عطائه، ومستمد منه والله تعالى قال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠] وفي قوله: ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ إشارة بديعة بتشبيه السائل بالأرض التي ينهرها الإنسان؛ أي: يحفرها ليظهر ماؤها الباطن منها ولا يكون ذلك إلا بهدم ظاهرها؛ ليظهر ما في باطنها وهو الماء والسائل في الحقيقة أرض؛ لأنه منها.

قال في «القاموس»: نهر كمنع وسمع؛ أي: بفتح الهاء وكسرها، والمضارع ينهر كيمنع ويسمع، فكأنه يقول له: من يريد منك الوصول إلى الله فابق ظاهره على ما هو عليه بلا فناء، وهذا بخلاف الطريق الموسوي الذي قال فيه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] فالطريق المحمدي من وراء التجلي أي: نبئ السائل أنه السائل ظاهره هو عين الباطن الذي يظهر بالصعق بلا صعق كما قيل:

يحــرق بالنـــار مـــن يمـــس بهـــا ومـــن هـــو النـــار كيـــف يحتـــرق

والله الموفق.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] فقال ﷺ: «**إذن لا أرضى وأحد من أمتي في النار**»[٣٥٥].

---

(٣٥٥)

اعلم ـ رحمك الله ـ أن أمته عند أهل الحقائق من خلقوا من نوره، فآدم وذريته من أمته لقوله ﷺ: «**آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة**»[٣٥٦] وقد أتاه الوحي الرحموتي ﷺ بقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣] وذلك لأنه ﷺ يشاهد سجود العالمين لله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٥] بل هو الساجد المتقلب فيهم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨، ٢١٩] وما من شيء في الوجود إلا وهو ساجد وتقلبه فيهم عين سجوده فيهم والمراد بالسجود قبول التجلي لكل اسم إلهي وما في الوجود إلا من يقبل تجلي أسماء الله فهو النور الساجد في كل شيء.

فمن هنا تفهم قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩] فعلم معنى قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:٢] فقوله تعالى عبارة عن طهارة هويته من نجس شرك السوى والظاهر لا يشقى فمن كان جنبًا عن حضرة النور المطلق كمن قال فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨] فليتطهر بماء الغيب المحمدي أو بشهادة ترابية آدم الناشئ من حقيقة محمد ﷺ فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ:٤٠] فيتحقق بالنفس الواحدة الآدمية الترابية وهي نفس واحدة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء:١] وهي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١] أي: حواء فبالمشهد الترابي يطلب صلة الرحم من آدم الجسم فإن آدم عين بنيه، وأما محمد ﷺ فهو جاء بالغيب المطلق الذي هو عين جسمه الأحدي ولذا نبع الماء من بين أصابعه فهو نور الغيب كما قال: «**وأوصلني نورًا**»[٣٥٧] فهو الواصل للرحم بمقتضى قوله ﷺ: « **الرحم شجنة من الرحمن من وصلها**»أي: من وصل الرحم بالرحمن «**وصله الله برحمته**»[٣٥٨] لأن الله تعالى يقول: «**اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبي**»[٣٥٩] وليس نسبه إلا ظهوره في كل شيء وقد حقق الله محمدًا ﷺ بهذا النسب الموصول فقال: «**كل سبب ونسب مقطوع يوم القيامة إلا نسبي**»[٣٦٠] ونسبي لأن العالم كله من نوره فأهل بيته بهذا النظر كل شيء في الوجود فبيته النور المطلق، ومظاهر الوجود أهل ذلك البيت، وهذا النور المحمدي المطلق منزه

---

(٣٥٦)

(٣٥٧)

(٣٥٨)

(٣٥٩)

(٣٦٠)

عن الشرك.

فمقتضى قوله تعالى: (**طه**) [طه:١] إشارة لطهارة هويته لا يشقى بالنظر لأفراد جمعيته العظمى؛ لقوله تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا**) [الأحزاب:٣٣] فمن كان جنبًا عن محمد ﷺ فهو المشرك النجس، فليس طهارته إلا به، فلابد أن يعطيه الله حتى يرضى بتطهير أهل بيته؛ أي: مجالي نوره الذاتي، وذلك معنى قوله: (**يسٓ**) [يس:١] يشير لسريانه في كل شيء فاستحق مقام: (**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ**) [الأنبياء:١٠٧].

ولذا قال تعالى: (**وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ**) [التوبة:١٠٣] إشارة للوصلة الذاتية (**سَكَنٞ لَّهُمۡ**) [التوبة:١٠٣] والسكن محل الإقامة، فمن ناره من حقيقة ذاته يا عيني ويا ذاتي ويا وجودي ويا حياة روحي، فهو العارف الذي من بحره غارف وإلا فليقل: (**يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ**)[الزمر:٥٦]، وعلى الله قصد السبيل، والله الموفق الهادي إلى صراط مستقيم

وارد: الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: (**وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ**) [الضحى:١، ٢].

اعلم أن وقت الضحى هو استواء الشمس في الإضاءة على عرش الكمال، ومحوها لآية الليل، وظهورها لذاتها بنورها الذاتي بلا مثال، وقد قال تعالى: (**ٱلله نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ**) [النور:٣٥] والسماء: كل ما سما، وذلك عالم الأرواح، والأرض: وهي كل ما سفل من الأشباح، فأقسم الله تعالى باسمه النور الذي هو عين وجوده، وهذا النور كل شيء هالك فيه، ولذا قال ﷺ في رؤيته ربه: «**نور أنى أراه**»[٣٦١] أي: لأنه يندرج به كل رائي ومرئي.

ألا ترى ما ورد من أن الله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه، التي هي أنوار أسماء التنزيه المسبحة المقدسة ما أدركه بصره من خلقه؛ أي: ما رآه تعالى من المظاهر التي هو بها الظاهر، فلو كشف هذه السبحات لاحترقت المظاهر وانفرد بنفسه الظاهر بلا مظاهر، فأقسم الله بالضحى وما أقسم إلا بنفسه؛ لأن المراد بالضحى وجوده الذي هو نور الوجود المطلق وعنه قال: (**كُلُّ شَيۡءٍ**

---

(٣٦١)

هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص:٨٨]، وفي الحقيقة[٣٦٢] سبحات وجهه مكشوفة، وما أدركه بصره محترق عند المؤمن بالإيمان المطلق بقوله تعالى: **(فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ)** [البقرة:١١٥] فوجه الله كني عنه بالضحى؛ لأنه هو الظاهر المندرج به جميع المظاهر ولذلك محا الله كل شيء وأثبت ذاته، فقال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ)** [فاطر:١٥] وأكد ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٣٦٣] ولما كان هو المثل الأعلى ومرآة وجود الأجلى جاء الأمر من باطن القدس إلى سراج ذاته المنير بنفسه كل نفس **(فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ)** [الضحى:٩] لأنه عزيز الذات، **(وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ)** [الضحى:١٠]؛ أي: لأنك أنت المعطي باسمه المعطي، وهو الذي يأخذ الصدقات فهو السائل المسئول كما قال ﷺ: «**لله ما أخذ ولله ما أعطى**»[٣٦٤] فلا فقير ولا مفتقر إليه إلا هو؛ لأنه الأول الآخر الظاهر الباطن، وما جهل اليهود إلا بقولهم: **(إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ)** [آل عمران:١٨١]، فلو قالوا: هو الفقير من جهة تنزله الخلقي، وهو الغني من جهة تعاليه الحقيّ لما جهلوا، فأعطوا المرتبة التنزيهية التي هي الغنى لمظاهره الخلقية وأعطوا مرتبة الفقر للحقيقة الحقيَّة، فعكسوا الأمر وجهلوا وُلعنوا بما قالوا عن حقيقة القرب الإلهي؛ لأنهم أطلقوا المقيَّد وقيَّدوا المطلق، والتحقيق المحمدي شهود كل مرتبة في الثانية؛ لأن المؤمن مرآة أخيه. فافهم.

وأما قوله تعالى: **(وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ)** [الضحى:٢] أي: أظلم، فالمراد بالليل الظلمة الإمكانية البرزخية، وهي مرتبة الأعيان الثابتة في رتبة إمكانها البرزخي الذي لا يقال فيه حق ولا يقال فيه خلق، وهو العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق، وما قوله ﷺ: «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره**»[٣٦٥] فالمراد بالخلق هنا الكشف العلمي، فإن الله يعلم ويبصر التفصيل من الإجمال، بل إنه يبصر الوجود من المعدوم، وهذه الظلمة وجه من وجوه ذات الله.

([362]) فإذا تبين الحقيقة للخليقة تفنى الخليقة في الحقيقة، ولا تبقى أنانية العارف في ألوهية المعروف، وتعالى الله عن الأضداد والأنداد.

قال الواسطي: إذا تحقق ذلك عنده أخذ العبد من العبد لقيام الحق به.

قال ابن عطاء: في كشف الذات هلكةٌ ومحرقةٌ، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ .

(٣٦٣)

(٣٦٤)

(٣٦٥)

فلذا قال: «**كان في عماء**»[٣٦٦] وكذلك النور المرشوش وجه من وجوه ذات الله فالنور المرشوش؛ أي: المنتشر هو الضحى الحقي، والليل هو ظلمة الإمكان العمائي الخلقي.

وقوله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**﴾ [الضحى:٣]، من المعلوم أنه نزل ذلك لما قالوا حين أبطأ عليه الوحي ﷺ: ودَّعه ربه، وبعض المشركين قال: قلاه ربه والوداع: المفارقة، والقلى: هو البغض، فأكذبهم الله بقوله: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ** ﴾ أي: ما فارقك، وحيث لم يفارقه فهو معه في الضحى الذي هو النور المرشوش الحقي، وهو وجه التنزيه، وهو أيضًا معه في ليل ظلمة الإمكان الخلقي، ومن هنا قال ﷺ: «**اللهم أنت الصاحب في السفر**»[٣٦٧] والسفر مفارقة الوطن، وذلك نزوله تعالى إلى سماء الدنيا؛ أي: التجلي بمظاهر الاسم الآخر التي هي الصور الظاهرة والخلقية في الأهل، وهي مرتبة: «**كان الله ولا شيء معه**»[٣٦٨] وهي مرتبة الاسم الباطن، فهو الصاحب في مظاهر الآخر الظاهر، كما أنه الخليفة في الكنزية المخفية التي هي الأول الباطن، وذلك هو الوطن الأول الذي حبه من الإيمان.

ولمَّا كانت تلك الحضرة المعنوية مشهودة في أهله التي هي عائشة ـ رضوان الله عليها ـ وكان الله خليفة عنه في تلك الأهل، كما أنه الصاحب في موته الذي هو سفره في عالم الغيب بدون أن يفارق خليفته في أهله، خاطبها ـ رضي الله عنها ـ بقوله: «**يا عائشة ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة والجنة مستورة عن الدنيا**»[٣٦٩] كنى بها عن الذات التي هي من وراء المظاهر؛ لأن الذات تجن الأسماء بنفسها أي: تسترها، وعائشة مظهر قابليته في تلك الحضرة، فهي مجلي قوله: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[٣٧٠] فهو عين قوله: «**والصاحب في السفر**»[٣٧١].

ولمَّا كانت الذات لها وجه الفاعلية ـ الذي هو الوجه الحقي ـ ولها وجه الانفعال ـ الذي هو الوجه الإمكاني الخلقي ـ وكل وجه لا يشهد إلا في الآخر؛ لأن المؤمن مرآة أخيه، وإلى

---

(٣٦٦)

(٣٦٧)

(٣٦٨)

(٣٦٩)

(٣٧٠)

(٣٧١)

ذلك الإشارة بقوله تعالى في النساء: (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ) [البقرة:١٨٧] بقابلية الانفعال المعبر عنها بقوله: «**فأحببت أن أعرف**»[٣٧٢] أي: مرتبة المحبوبية (وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ) [البقرة:١٨٧] بشهود الكنزية المخفية، وهي مرتبة الحب الإلهي، فكل منهما في الحقيقة محب محبوب؛ إذ لا يظهر إلا بمحبوب، والمحبوب لا يكون محبوبًا إلا بمحب، فمن هنا حُبب إليه النساء.

وهذا المعنى أشار له الشيخ الأكبر ﷺ في الفص المحمدي الذي هو خاتم كتاب «الفصوص» فارجع إليه فمن بحره يُغرف، وأما الطيب فهو النفس الإلهي مؤلف الأحدية بين الزوجين، والصلاة التي هي قرة عينه باطن الصلاة الظاهرة القرآنية التي هي وصلته بكل شيء. فافهم.

وقوله تعالى: (وَمَا قَلَىٰ) [الضحى:٣] أي: ما أبغضك، وكيف يبغضه وهو مرآة جماله وجلاله ومجلى استوائه على عرش كماله؟ أليس قد قال: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَا ۚ) [يس:٣٨] ولذا لا ينبغي أن تدرك القمر سواها؛ لأنه عين مجلاها (قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص:١] وقوله: (قل) فيه ضمير مستتر تقديره أنت، فمن هذا المعنى قوله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) [الضحى:٣] وقوله: (وَلَلۡأَخِرَةُ خَيۡرٌ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ) [الضحى:٤] آخريته ﷺ ختميته التي هي شمس نبوته الظاهرة بمظهر صورته خير من الأولى الباطنة التي كان فيها نبيًا وآدم بين الماء والطين؛ لاندراج الأولى بالآخرة، بل ما كُملت الأولى إلا بالآخرة، فبالختام كان (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأَخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣] وكل شيء تحت حكمه؛ لأنه مستقر جميع الأبناء مع أنه (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسۡتَقَرٌّ) [الأنعام:٦٧] لكنه الجامع الذي أوتي جوامع الكلم. فافهم.

وقوله تعالى: (وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ) [الضحى:٥] التسويف بالنسبة إلى ظهور العطاء لا إلى نفس العطاء، وظهور العطاء لكل أحد عند كشف الغطاء، فمن كُشف غطاؤه شاهد محمدًا ﷺ وعطاءه، وناهيك أن الله خلع عليه خلعة (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] وقوله تعالى: (أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمًا) [الضحى:٦] اعلم أن وجدان الله قديم، وقوله (يَتِيمًا) أي: لا مثل لك (فَـَٔاوَىٰ) [الضحى:٦] أي: فأوى إليك وآواك إليه، فكان باطنك وكنت ظاهره (وَوَجَدَكَ ضَآلًّا) [الضحى:٧] أي: غائبًا بالكنزية المخفية (فَهَدَىٰ) [الضحى:٧] أي: هدى إلى باطنك حيث أحب أن يعرف، وما عرف إلا

---

(٣٧٢)

بك؛ لأن الذات لا تعرف إلا بمظهر فإن حقائق المعاني في نفسها حكمية، ولا تكون عينية إلا بمظهر، كما قال الشيخ الأكبر ﵁ :

وليس تنال الذات في غير مظهر ولو هلك الإنسان من شدة الحرص

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨] من باب: الخلق عيال الله، وقد قال: «**خذ العفو، فصِل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك**»[٣٧٣] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى:٩] اليتيم: من قُطع عن أبيه وهو أبو العالم على الإطلاق فأمر أن يصل المقطوع عنه.

ألا ترى إلى قول من قال: ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت:٥] وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠] أي: لأن الله قال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة:٦٠] وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] وقد حلاه بصنعة الغنى كما قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨]، فحيث أغناه بعين غناه فهو الحميد عند جميع السائلين بعين عطائه، وقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١] نعمته عليه، أنه أحب له ما يحب لنفسه، فافهم.

وقوله: ﴿فَحَدِّث﴾ أي: حَدِّث صورهم بصورتك الظاهرة، وحَدِّث قلوبهم بحقيقتك الباطنة، وكل مُيسَّر لما خلق له، فافهم.

فهو ساقي القوم وآخرهم شُربًا؛ لأنه أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وورد أنه لا يدخلها إلا بعد دخول أمته، وأمته هم الأولون وهم الآخرون فإنه كان نبيًا وآدم بين الماء والطين بروحه، وكان رسول الله وخاتم النبيين بجسده.

واعلم أنني ما كتبت في المقام المحمدي إلا وأنا أحس بتنزل الإمدادات المحمدية في ذاتي، فهو الناطق بي ﷺ، وقد سقاني من شرابه وأمنن بكشف حجابه وكان هو الساقي والنديم والمكلم والكليم:

ونَقْلِـي مُـدَامي والحَبيـبُ مُنـادِمي وأقْـداحُ أفْـراحِ المَحَبَّـةِ تَنْجَلـي
ونِلتُ مرادي فوق ما كُنْتُ راجيًا فـوا طَرَبـا لـو تَـمّ هـذا ودامَ لـي

فلا أقول كما قال من قال: خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله، بل أقول: خضت البحر المحمدي الذي ساحله عينه لمَّا انمحى عن عين فؤادي عينه، ونلت مرادي من عطاء عظيم الجاه، ووصلني بصلاته عليَّ فكانت سكني، وجعل قرة عيني في تلك الصلاة، فما خمرتي

---

(٣٧٣)

إلا من شرابه، ولا سكرتي إلا من رضابه:

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ودعني من الأسرار إن أمكن الجهر

وبح باسم من أهوى ودعني من الكنى فلا ضير في اللذات من دونها ستر

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] أي:ذاتًا لا علمًا فقط،كما يقوله علماء الرسوم، ولذا قال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات:٥٠] ولم يقل: فِفروا من كذا إلى الله؛ لأن المحمدي فراره إلى لا من؛ إذ لو فر من شيء لكان فراره من ذلك الشيء فرارًا من الله؛ إذ الذي يفر إليه عين الذي يفر منه، والذي يزهده عين الذي يرغبه، فأين تذهبون وهو معكم أينما كنتم؟ ففرار المحمدي إلى لا يعرف، فالفرار من؛ لأن الفار منه هو مقصوده، ولا يدري فلو زهد في شيء لزهد فيه، وفي هذا المقام قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم:١٧] ولذا قال العارف الكبير سيدي علي وفا قُدِّس سره:

تجرد عن مقام الزهد قلبي فأنت الحق وحدك في شهودي

أأزهد في سواك وليس شيء أراه سواك يا عين الوجود

وحيث أن الله تعالى قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] فمن أي شيء نَفِر؟ قال محمد ﷺ في دعائه ربه: «**إني أعوذ بك منك**»[٣٧٤] أي: ألجأ وألوذ بك، ولم يقل: أفِر إليك منك؛ لأن المحمدي مع العين لا مع الأين ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣] وأما قوله لأبي يزيد: خل نفسك وتعالى فمن المقام الموسوي، قال تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء:٢١] ومحمد ﷺ يقول: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**»[٣٧٥] فهو مع سفره لم يترك الوطن فليس له فرار من كذا، بل يقال له: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] حتى نفسه ليست له، فكيف يقال له: خل نفسك، وهي هو، والله الموفق.

وارد: في الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ـ رحمك الله ـ أن النقطة الذاتية التي هي غيب الغيب التي يشيرون إليها باسم

---

(٣٧٤)

(٣٧٥)

الكتاب هي النقطة التي لا تدركها الأبصار، على أنها هي الممتدة بسبب ألف التأليف إلى نقطة بسم الله الموصوفة بالأولية، فأم الكتاب لا توصف لا بأولية ولا بآخرية، ولا بظاهرية ولا بباطنية؛ لأنها إذا انفردت على حدتها فهي طلسم محض لا يعقل لها اسم يميزها بذلك الانفراد، ولا يدري لها اتصال ولا انفصال، ولذلك يقولون عنها: العنقاء، وهو اسم بلا معنى.

وأما النقطة التي تحت الباء من(بِسۡمِ ٱللَّهِ) فهي مدلول الجلالة، فهي الحقيقة المحمدية الموصوفة باسم الله الأول الآخر الظاهر الباطن، فالحقيقة المحمدية هي المشار إليها بالماء الذي منه كل شيء حي، وهي المعبر عنها بالكنز المخفي، وبالعماء وبالحقيقة الإنسانية.

ولذلك لما قيل للشبلي ﵁ : أنت الشبلي؟ فقال: أنا النقطة التي تحت الباء، فهي الكتاب الذي هو الغيب الذي نؤمن به، وأم الكتاب غيب الغيب الذي هو النقطة المتصلة بألف بسم، وأما نقطة باء (بِسۡمِ ٱللَّهِ) المتعينة من غيب الغيب فهي الظاهرة في لفظة «**فبي**» من الحديث القدسي، وهو قوله ﷺ بلسان الحق: «**كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فبي عرفوني**»[376] فوافق قوله «فبي» في العدد اسم محمد ﷺ، فحقيقة محمد ﷺ هي معنى الجلالة، وذلك مدلول الاسم الله كما أتى في القرآن صراحة: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح: ١٠] والسر روح القدس الذي ظاهره جبرلة جبريل، فكان هذا السر باطن جبريل، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷻ: (وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ) [طه: ١١٤] حتى ورد أنه قال: له منك وإليك والميم عبارة عن الدائرة الصورية التي هي شهادة الكون ولذلك لما كانت في الحقيقة موصولة بحمد الفاتحة قول الله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) [الفاتحة: ٢]، ظهر اسم محمد ﷺ فكان بيده لواء الحمد، ومعنى ذلك أن جميع المحامد ترجع إليه؛ لأنه فاتحة كتاب الوجود، فنظر لما ورد في الحديث: «**من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب فإن الله أقسم أن يلقاه قبل الأنبياء والمرسلين**»[377] أي: من وصل البسملة بفاتحة الكتاب عثر على الحقيقة المحمدية التي هي مدلول لفظة الله، وهذه الحقيقة عين القارئ، كما قال تعالى: (وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ) [القمر:٥٠] فافهم وتحقق.

ولما كان الاسم الجامع الضدين، فلا يختص باسم وجود ولا باسم عدم، بل العدم في حقه عين الوجود وصفته بالاسم الرحمن، الذي هو عبارة عن الوجود المحض، ولذا قال

---

(٣٧٦)

(٣٧٧)

تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[٣٧٨] [الأعراف:١٥٦] فكان الاسم الرحمن شهادة غيب الله ومجلاه، ولذلك كان ﷺ في هذا المعنى رحمة للعاملين ومن مظهر هذا المعنى روح جبريل عليه السلام.

وأما الاسم (الرحيم) فهو الصورة المحمدية، ولذا قيل فيه : ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨] وبالنسبة للعالم الصوري قيل فيه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب:٦] فظهر ثلاث حقائق: الله الذي هو الغيب المطلق، والرحمن الذي هو المعنى الوجودي، والرحيم الذي هو المشهد الصوري، فالله باطن الرحمن، والرحمن باطن الرحيم، وتلك المراتب مرجع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٤] وقد ظهرت هذه الحقائق الثلاث في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم:٤] فالله هويته، وجبريل رحمانيته وروحانيته، وصالح المؤمنين رحيميته، وصورته، فجمع الاسم الثالث ـ وهو الاسم الرحيم ـ النقطتين: نقطة الغيب الذي لا يُدرى، ونقطة الشهادة، فكانت النقطتان لياء النداء لاقتضائها منادي ومنادى، وراحم ومرحوم، وشاهد ومشهود، فبالاسم الرحيم الصوري كَمُل الوجود، فالرحيم من جهة العروج مندرج بالرحمن، والرحمن مندرج بالله، وكانت الباء من لفظة (بسم الله) والسين للرحمن، والميم للرحيم، وإنما كانت ميم لفظة الرحيم، آخر البسملة، لتتصل بالحمد، فيظهر اسم محمد ﷺ.

وأما من جهة النزول فالله والرحمن مندرج في الصورة الرحيمية المحمدية ولكن من جهة النزول، فجميع الأسماء الإلهية والكونية لتلك الصورة، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤]، فالمراد بالملائكة حقائق جميع الأسماء ومعانيها، وهي ترجع إلى ثلاث حقائق ذاتية كالتي في صورة الإخلاص، فسورة الإخلاص خالصة للحقيقة المحمدية من دون المؤمنين؛ إذ لا تعدد؛ لأن جميع المؤمنين

([٣٧٨]) فجميع الخلائق مستغرقون في بحار رحمته؛ لأن إيجاد الحق إياهم على أي وصف كانوا عين رحمته، حيث جعلوا تحت نظره وسلطانه وربوبيته ومباشرة قدرته فيهم، ثم إن الخلق بالتفاوت في الرحمة، فالجمادات مستغرقة في نور فعله وهي الرحمة الفعلية والحيوانات مستغرقة في نور صفته، وهي الرحمة الصفاتية والعقلاء من الجن والأنس والملائكة مستغرقون في فوز ذاته وهي الرحمة الذاتية القديمة من جهة تعريفهم وربوبيته ووحدانيته، وهم من جهة الأجسام وما يجري عليها في الرحمة العامة، ومن جهة الأرواح وما يجرى عليها في الرحمة الخاصة وهم فيها بالتفاوت، فبعضهم في رؤية العظمة ذابوا، وبعضهم في رؤية القدم والبقاء تاهوا، وبعضهم في رؤية الجلال والجمال عشقوا فطاشوا، ومَنْ خرج من مقام الرحمة إلى أصل الصفة، ومن الصفة إلى أصل الذات استغرق في الراحم وفني عن الرحمة فصار رحمته للعالمين.

عينه، فمن تحقق بتلك الحقيقة فهو هو، فمن تحققه ﷺ بالجمعية الكاملة كما قال: «**أوتيت جوامع الكلم**»[379] اختص بنكاح الهبة لتحققه بالأحدية في ظاهره وباطنه.

ولذا كان نورًا يُرى من الإمام والخلف، فكله بصر، فظاهره وباطنه سواء، قال الله تعالى: ﴿**وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [الأحزاب:٥٠] لأنه في هيكله الظاهر متحقق بالأحدية المطلقة، فمن وهبته نفسها فما وهبته سواه، والذي أدين الله به أنه ﷺ له التصرف في نفوس العالم على الإطلاق لقوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ [النساء:٨٠] والدليل على ذلك تصرفه في زينب بنت جحش بدون أن تهبه نفسها، فهو تصرف ذاتي؛ لأن الأسماء الذاتية خالصة له كما قلنا، وقد تصرف في نفس الصديق وماله وعياله رضي الله عنه.

وأما تصرفه في علي عليه السلام فهو تصرف الاتحاد بدليل قوله: «**إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب عليّ**»[380] وإلى ذلك الإشارة في مؤاخاته له حتى أنه لما قال: ابن أخي قيل له أخوك وتعطيه بنتك فقال: نعم فمحمد ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة ـ عليها السلام ـ والذرية هم، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ**﴾ [القمر:٥٠].

ألا ترى أنه ﷺ أرسل أبا بكر رضي الله عنه يتلو على الناس سورة براءة ثم أرسل إلى أبي بكر وأرجعه عن ذلك وأرسل عليًا في موضعه، وقال: «**لا يبلغ عني الوحي إلا رجل مني**»[381] فعليّ مهبط وحيه في حياته، وأبو بكر خليفته بعد وفاته، ولذا قال ﷺ: «**أبو بكر أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين**»[382] فقوله: بعد النبيين والمرسلين تقييد، فلا يتناول قوله: من طلعت عليه الشمس حامل نبوته وباب مدينة علمه، ومن ظهره عين ظهره، وذريته عين ذريته، فلذا قال: «**علي مني وأنا منه ولا يبلغ عني إلا أنا أو علي**»[383]؛ لأنه بعل البضعة النبوية، وحامل أسرار الذرية، ومتمم الأعداد الخمسية التي هي مظاهرها الهُوِيِّة التي يقال عنها هو، فكل واحد من الخمسة أهل العباد للآخر هو، والاسم هو أصل دائرة الحقائق الذاتية، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ [الحشر:٢٢] فالمبدأ هو، والآخر هو، الظاهر هو، والباطن هو.

---

(٣٧٩)

(٣٨٠)

(٣٨١)

(٣٨٢)

(٣٨٣)

وأما القسم الثاني: الداخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤] فهو أسماء الصفات كالرحمن الرحيم الرءوف الحنان الأول الآخر الظاهر الباطن وهكذا.

وأما القسم الثالث: فأسماء الأفعال كالخالق البارئ المصور وهكذا فالسر في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم:٤] إنهما مظهراه وهو الظاهر بهما فالظاهر هو، والمظهر هو، ولا يقابل الظاهر إلا المظهر، فما قابله إلا هو.

ألا ترى أنه لا يقابلك في المرآة إلا أنت فكان قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ [التحريم:٤] حكاية لجمعيته الكاملة لما ذكر في تلك الآية، فكأنه يقول: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم:٤] فهما مندرجان فيه.

وقد ألهمني الله تعالى أن هذا المعنى من الحور المقصورات في الخيام لم يطمثهن قبلي إنس ولا جان؛ أي: لم يصرح فيه مثل هذا التصريح، وإلا فقد رمز له سيدي محمد وفا رضي الله عنه في كتابه «نفائس العرفان»: فكان كالفارس وكنت كالقاطف الآكل، ولله در من قال:

فلو قيل مبكى كما بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل الندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكاء بكاءها فقلت الفضل للمتقدم

واعلم ـ رحمك الله ـ أنه لما كانت الحقيقة المحمدية هي مرجع البسملة أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا كان أول من حصل له هذا الإمداد من باطن الحقيقة المحمدية سليمان عليه السلام كما حكى الله عنه من قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠]، قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في كتابه «فصوص الحكم» في الفص السليماني: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: سليمان، ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فجعله عين البسملة وحقيقتها، ولهذا كان له الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده؛ يعني ليس بعد الله أحد. فافهم.

فمن كان هذا التحقق مثله فهو كالمهدي عليه السلام وعيسى حين ينزل، ولم يقم به أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا إلا محمد ﷺ، ولا يظهر ذلك في أنه ليس القائم إلا هو بجميع القائمين إلا يوم القيامة، ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] وذلك مرجع قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] فما أُعطي إلا كمالات الله، وذلك معنى قوله: «**أوتيت جوامع الكلم**»[٣٨٤] أي: أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وفي هذا المعنى أقول وعن اعتمادي واتكالي عليه لا أحول:

---

(٣٨٤)

نقطة الغيب محمد طلعة الحق المبين ... نور ذات الله حقًا رحمة للعالمين
كنه بسم الله غيبًا باء بي للعارفين ... سر رحمن رحيم للبرايا أجمعين
دورة الحمد إليه حامد محمود ... أحمد الخلق محمد عرش رب العالمين
مالك في يوم دين عابدٌ في العابدين ... يا له عون مغيث فيه جمعًا نستعين
مجمع البحرين يهدي للصراط المستقيم ... فاتح ختم نبي حيث لا ماء ولا طين
ألف لام وميم صاد صدرٍ للصدور ... راء روح الله ياء سين ياسين آمين
صورة الحق كمالاً وجمالاً والجلال ... سورة الخلق مآلا مأمن للمؤمنين
بيعة الله تجلت في محياه الكريم ... زويد فوق الأيادي عهدها الحبل المتين
فجر شمس الذات ضاءت في صفات للظهور ... والضحى والليل يسري في شهادات تبين
جاريات اليسر منه مرسلات في الدهور ... سابقات بالعطايا موريات كل حين
ملقيات الذكر فينا ناشرات للعلوم ... فارقات جامعات سابحات في معين
يا أولي الألباب هذا المصطفى نور الفهوم ... شرعه جمع وفرق في صدور العارفين
عشقه ديني وروحي بل حياتي في الممات ... و ذات الذات أصلي في ذوات الكائنين
من فنى فيه وجودًا فهو حي لا يموت ... ظاهر فينا شهودًا قائم في القائمين

موقد الأرواح جودًا قوتها وهو السراج ... راكع فينا ركوعًا ساجد في الساجدين
جوهر الأشباح فرد واحد في كل ذات ... ما له مثل وشبه جامع للجامعين
فعليه الله صلى ما بدا دور السنين ... وسلام الله يتلى في حروف الناطقين
واشمل الآل وحي أمهات المؤمنين ... وأجمع الأصحاب جمعًا كلهم والمسلمين
قل لنا رب ادخلوها بسلام آمنين ... واسقنا فيض التجلي ختمه مسك اليقين
ما إليها البيطار أنشأ عقد ياقوت سمين ... روضة في المدح تزهو لذة للناظرين

وارد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله غني عن العالمين فلا يحتاج في إيصاله الرزق إلى المرزوق إلى الوسائط؛ لأنه عين الوسائط كلها فالرزق عين الرزاق، فما رزقك الله إلا بنفسه وما قضى حوائجك إلا بنفسه ومن هذا المعنى قال ﷺ: «**خادم القوم سيدهم**»[٣٨٥] فكان بلال الحبشي ﵁ يتولى نفقة رسول الله ﷺ ليشاهد السيادة فيه ﷺ فيتحد الخادم بالسيد، فالسيد هو العبد، كما أنه ﷺ بمشاهدة فقره لبلال هو السيد حقيقة؛ إذ من غفل عن فقره إلى الله ليس بسيد، ومن هذا قال: الفقر فخري وبه افتخر؛ إذ الفقير الحقيقي هو الذي يشاهد أن الله هو الذي يباشر حوائجه بنفسه، فالسيد على الحقيقة من يخدمه السيد، فالسيد ملك ملكه وعبد عبده.

ألا ترى ما قال بعض الأكابر لما قال له الحق: ما أعظم ملكي! فقال له: ملكي أعظم، قال: ولم ذلك؟ فقال: لأنك أنت في ملكي وليس في ملكك مثلك، فقال له الحق: صدقت.

---

(٣٨٥)

ولذا كان ﷺ إذا أرسل أحد يخطب له امرأة يقول للمرسول: «**اذكر لها جفنة سعد بن عبادة**»[٣٨٦]، فالجفنة جفنته، والسعد سعده، فسعد محمد ﷺ هو الله لا غيره، وهو المتولي لأموره، فاسم سعد هو اسم الله في المشهد المحمدي لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر:١٥] ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، فمن أقيم في العبودية فهو السيد حقيقة، ومن أقيم في السيادة فهو العبد.

ألا ترى أن رب العيال السيد عليهم إذا باشر قضاء حوائجهم بنفسه هو عبدهم في الحقيقة، وإذا باشر واحدًا نجمه فهو سيدهم ظاهرًا وعبد في الحقيقة، ولذلك ترى الملوك والوزراء لا يباشرون الحوائج بأنفسهم، بل بخدمهم للسيادة الظاهرة، وهذه الخدمة في باطن الأمر عين السيادة.

والملوك في هذا المقام سيادتهم عين العبودية، فانقلبت السيادة عبودية، والعبودية سيادة، وكلا الأمرين من السيادة والعبودية هما لمن هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فمن هنا قال ﷺ: «**خادم القوم سيدهم**»[٣٨٧] فأهل الله لا يشهدون في حوائجهم كيف ما كانت، وفي أي مرتبة كانت، وفي أي موطن كانت، وبواسطة أي كائن إلا هو، ولاسيما إذا استند لذلك في هذا المظهر أوصاف الحق الجمالية المحبوبة فيكون العارف بالله عبدًا حقيقًا لهذا المظهر.

ومن هنا قال ﷺ لعائشة قُدِّس سرها: «**ما أبالي الموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[٣٨٨].

فكما كان الحق في الحضرة الحسيَّة متجليًا ليعقوب عليه السلام في الصورة اليوسفية كذلك هو هو متجلي لمحمد ﷺ في العالم الحسي بصورة عائشة، والفرق بين المشهدين وإن فتح الحق به لا أبوح بذكره إلا بالمواجهة، ولكن أشير له بأن الزوج له العلو من كل وجه، فافهم.

قال الغوث الجيلي في العينية: ولما تزوجت الحقيقة صنتها... إلى آخر ما قال، فالعبد من السيد، والسيد من العبد، والأمر دوري عليَّ مني، وأنا منه. فافهم ما أشرنا إليه وتحقق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(٣٨٦)

(٣٨٧)

(٣٨٨)

وارد:

قال الله تعالى: (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ**) [الحجر:٨٦].

اعلم أن الله تعالى نعت الاسم (الخلّاق) بالاسم (العليم)، ومن المعلوم أن النعت يتبع المنعوت، فالعلم يتبع المعلوم ثبوتًا ووجودًا، فعلم الله تعالى كناية عن نور ذاتي تنطبع فيه حقائق الأشياء انطباع الصور في المرآة، فلا يظهر في المنطبع فيه إلا صورة المنطبع، ولا فرق بين أن يكون المنطبع متأخرًا عن وجود المرآة أو متقدمًا؛ لأن من خاصية المرآة أن تكشف الشيء على ما هو عليه.

وقال الإمام محيي الدين العربي بأن العلم مرآة الذات، فليس فيه إلا الذات على ما هي عليه؛ سواء تقدمت شئون الذات أم تأخرت؛ لأن التقديم والتأخير إنما هو باعتبار الظهور لنا من شئون الذات، وليس في نفس الذات من جهة الإطلاق لا تقديم ولا تأخير، فعلى هذا الكلام العلم يتبع المعلوم ولو تأخر وجود المعلوم.

ألا ترى علم يعقوب عليه السلام وحكمه على يوسف ألّا يقص الرؤيا على أخوته إنما هو تابع لرؤيا يوسف أخوته في صور الكواكب ساجدة له، فعلم يعقوب تبع الرؤيا ولو كان سجود الأخوة متأخرًا عن الرؤيا فليس للعلم إلا كشف الشيء على ما هو عليه، وبذلك قامت الحجة البالغة في علمه بسعادة السعيد وشقاوة الشقي، فالحق تعالى وإن حكم علمه بسعادة السعيد وشقاوة الشقي ولكن علمه محكوم عليه أن يحكم بما ظهر فيه، فقوله تعالى في هذه الآية: (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ**) [الحجر:٨٦] أي: المتعين بهويته في شئون ذاته، وشئون ذاته غير مجعولة لاسمه (العليم)، بل مكشوفة.

فالاسم (الخلّاق) تبع الهُويّة الثابتة من معنى اسمه هو، والاسم (العليم) تبع الاسم (الخلّاق) فليس المعلوم إلا ما ثبت، وليس الثابت سوى هوية ذاته التي قال في حقها: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ**) [الحديد:٣]، وفي هذه الحضرة قال الشيخ محيي الدين بسلب الاختيار عن الحق؛ لأن اختياره ليس إلا بأن يظهر ما عَلِمه من عْلمه بنفسه فقط؛ لأن ذاته تعالى لا يتجدد فيها شيء.

وأما قوله تعالى: (**وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ**) [القصص:٦٨] فهو كما قلناه من أنه يختار إظهار ما سبق به العلم، وهو الثابت من شئون الذات، ولا يَعلم هذا الثابت إلا هو، كما قال: (**وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ**) [البقرة:٢١٦] ولذلك سلب عنا الاختيار في باطن الأمر بقوله: (**مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ**)[القصص:٦٨]؛ لأننا لا نعلم ما ثبت في علمه

حتى نختاره، ولذلك نختار حصول الشيء، ولا يحصل بخلاف اختيار الله، فإنه واقع لا محالة، فلهذا السر سلب الله عنا الاختيار وأضافه إلى نفسه، فأكابر أهل الله لا يختارون شيئًا إلا إذا شهدوه في حضرة الثبوت قبل ظهوره في الوجود، ولذلك أدَّب الله نوحًا عليه السلام بقوله: (فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ) [هود:٤٦] لأن سؤال الأكابر تابع لعلمهم أدبًا مع الله، وعلمهم تابع لثبوت المعلوم في الحضرة الذاتية على ما هو عليه، وهذا البيان الذي بيَّناه هو الذي يقتضيه قول الله: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ) [محمد:٣١]، فالمقصود بقوله: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم) تعين الذات بصور ما لها من الأسماء والصفات، إذا علمت ذلك وتحققته انشرح صدرك لما يجريه الله عليك كائنًا ما كان، وتحققت أن الله لا يظلم مثقال ذرة، كما قال الله تعالى: (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف:٤٩] فالسعداء هم سعداء لاقتصار حقائقهم الذاتية، والأشقياء هم أشقياء لاقتصار حقائقهم الذاتية، فشقاء الأشقياء في الآخرة بمنزلة الأمراض والبلايا التي تصيب الإنسان في الدنيا، فلا يقال: إن الله قضى بشقاء الشقي وعذَّبه عليه، بل أخذ بناصيته إليه، بل ساقه إلى جهنم وردًا وحيث أنه أخذ بناصية الشقي إلى جهنم وساقه إليها بحكم القدر الأزلي، فما ذنب الشقي حتى يعذبه؟ ومع ذلك يقول: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) [فصلت:٤٦].

فإن قلت: إن الشقي يستحق التعذيب بكفره، وقد قال تعالى: (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ) [الزمر:٧]، فلمَّا فعل الشقي ما لا يرضي الله به عذَّبه، فنقول: من قدر الكفر عليه هل قدَّره على نفسه أو الله قدَّره عليه؟ فيقال: قطعًا إن الله قدره عليه، نقول: وهل لأحد قوة أن يخالف ما قُدِّر عليه؟

ألا ترى أن الله تعالى اعتذر عنهم في قوله: (وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف:١١]، فإن قلت: من لا يستطيع السمع لماذا يُعذَّب؟ فما عُذِّب إلا بما كسب كما قال تعالى: (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [الشورى:٣٠] نقول: إن الطفل الرضيع الذي يتعذب بأنواع البلايا والأمراض ما الذي كسبت يده حتى جوزيء بذلك؟ فإن قلت: هذا ترتيب القرآن فما معنى الآية عندك؟ وما معنى الجزاء عندك؟ قلت: معنى الجزاء عند أهل الحقيقة مطابقة ما يظهر في الوجود لما سبق به العلم في الثبوت.

ألا ترى ما ورد في الحديث الشريف: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وبالعكس بأن يعمل بعمل أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[٣٨٩] فمرجع دخول الجنة والنار

---

(٣٨٩)

في حقيقة الأمر إلى سبق الكتاب، والعمل تابع لذلك، والجزاء المرتب تابع لذلك، وهو عين ما قلناه من أنه لا يظهر في الوجود إلا ما سبق في الثبوت، فالأيدي التي كسبت هي الأسماء الإلهية فهي أيدينا، وكل ما يصيبنا من كسبها، فافهم.

وخلاصة الأمر: إنه لكل إنسان طريق خاص به لا يشاركه فيه غيره ولا يسلك على هذا الطريق إلا هو، وذلك معنى قوله تعالى: (أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [طه:٥٠] أي: أعطاه من ذاته المطلقة تعينه بما تقتضيه حقيقة الحق فيه ثبوتًا، ثم هداه لذلك وجودًا، وقد كشفنا لك بما قررناه أن الله حكم عدل، فعَدَل بين الحقائق بكماله الذاتي في كل شيء، فساقه إلى كماله ولو ساقه إلى جهنم وردًا، فكمال بما ساقه إليه، وكمال كل شيء وهو كمال الله في ذاته، وذلك سر قوله تعالى: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [هود:٥٦] فكل دابة معه على صراطه المستقيم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال ﷺ: «**اطلبوا العلم يوم الخميس**»[٣٩٠] رواه في «الجامع الصغير».

اعلم ـ رحمك الله ـ أني طالعت في شرح الأستاذ سيدي العارف عبد الغني النابلسي قُدِّس سره على «فصوص الحكم» للشيخ الأكبر أستاذ العلماء بالله ﷺ وعنهم، فرأيته تكلم على مسألة الحقيَّة المذكورة في النص المشيشي بكلام مقبول مناسب أحسنَ فيه الأدب مع خاتم الرسل ﷺ غاية الإحسان، وهو من مقام الجمع؛ لأن الحضرة المحمدية جامعة الجوامع كلها، فكل خاتم فهو هو؛ إذ هو عنصر الإيمان والولاية والنبوة والرسالة والجامع المحيط، كما أن الاسم الله جامع الأسماء كلها، لكن سيدي عبد الغني ﷺ لمّا أراد تطبيق كلامه على مقام التفصيل صار في كلامه بعض مناقضة من جهة التفصيل، ومن أمعن النظر فيما تكلم به وأدرك المعنى ظهر له التناقض.

فامتثالاً للحديث الشريف لمن طلب العلم يوم الخميس وفقني الله تعالى لزيارة الشيخ الأكبر، والتمثل تجاه ضريحه الأنور، وطلبت منه كشف معاني «فصوص الحكم»، وما طلبت منه ذلك إلا لعلمي أن العارف بالله سمعه حق وبصره حق، والحق لا يَبلى، واستشعرت الإجابة ـ ولله الحمد ـ ففتح الله تعالى عليَّ بمرتبة التفصيل المعني عنها بقوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلاً) [الإسراء:١٢] ومن هذه المرتبة قد قال الشيخ

---

(٣٩٠)

الأكبر بأن العلم يتبع المعلوم، وخالفه الشيخ الجيلي فقال: إن المعلوم يتبع العلم.

وقال سيدي عبد الغني النابلسي ُقدِّس سره: كل منهما أصلٌ في ذاته لا يتبع الآخر.

وقال سيدي علي وفا ُقدِّس سره: كل منهما متوقف على الآخر.

والذي أقول به من مدد الأستاذ الشيخ الأكبر: تفصيل الأمر، فالمعلوم يتبع العلم في مقامه الذي هو كشف الأشياء وبيانها، حتى نعلم مراتبها بما هي عليه، والعلم يتبع المعلوم في ثبوت شأنه الذاتي من ثبوت ذات الله تعالى على ما هي عليه، فهو مرآة الذات، والمرآة لا يظهر بها إلا عين الرائي.

وقد رجع كلام الغوث الجيلي في الكمالات إلى قول الشيخ الأكبر فإنه قال في العلم: هو تجلي إدراكي، فيه أوجد الله أعيان الحقائق حسبما اقتضته الشئون الذاتية الأولية، فجعل العلم تابعًا لاقتضاء الشئون الذاتية الأولية، فرجع إلى ما قاله الشيخ الأكبر؛ لأن قوله تعالى: **(وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً)** [الإسراء:١٢] المقصود به: تفصيل المعاني الذاتية الفرقية بتمييز كل معنى عن غيره في الحضرة الجامعة الذاتية، وبهذا المعنى فهمت مسألة الختمية التي ذكرها في «فصوص الحكم» المبنية على العطايا الذاتية الغير مجعولة.

ألا ترى أن الاسم (الله) مثلاً لم يعط الاسم (اللطيف) معنى اللطف بل اللطف شأن من شئونه الذاتية، فهو هو جمعًا، وليس هو تفصيلاً وتمييزًا.

ألا ترى أن سمعك مثلاً وإن كان عين ذاتك فلا تستمد معناه من بصرك حتى لو سمعت ببصرك فلا يكون هذا السماع إلا من مشكاة الاسم (السميع)؛ لأنه الأصل في هذا التعين، ومن كشف هذا العلم رضي عن الله في كل مرتبة أقامه الله فيها، وتحقق أن الله لم يظلمه ولو جعله وحده وقود جهنم؛ لأن العلم تابع للمعلوم، ولا معلوم إلا هو، **(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)** [الكهف:٤٩].

فالشيخ الأكبر مراده أنه في الولاية هو المعنى الأصلي لها المتعين في الحقيقة الجامعة التي هي الحضرة المحمدية، كتعين الاثنين والثلاثة في ذات الواحدية، فالواحدية تفيد الاثنين والثلاثة جمعًا ولا تفيدها تفصيلاً؛ لأنك إذا قلت: واحد، لا يفهم من هذا الاسم إلا الوحدة فقط.

ألا ترى أن الاسم (الله) وإن اندرج فيه الاسم (الولي) من جهة الجمع، ولكن لا يفيد ما يفيده الاسم الولي من جهة التفصيل مع أنه هو هو، ومن هنا قالوا: لكل إنسان طريق لا يسلك عليه إلا هو، فالحق تعالى حكم عدل من الأزل في قوله: **(فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)**

[هود:١٥]، فلا حاجة أن تقول كما تقوله المعتزلة بأن الإنسان يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وزعموا أنهم نزَّهوا الله عن الظلم، وكيف يخلق الإنسان أفعال نفسه، وقد قال تعالى: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ) [هود:٥٦] وهذه الإشارات كلها يقتضيها قول الله: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩] أي: بالسعي الذاتي، وهذا علم فوق القطبانية؛ إذ ما تصرف في كل أحد إلا ذاته.

ألا ترى أن يحيى عليه السلام كان قطب زمانه وقد ذبحوه، وكذا زكريا عليه السلام نشروه، وكذا محمدًا صلى الله عليه وسلم سمّوه، فأكل الذراع المسمومة فتنبّه، والله الموفق.

وارد: العلم المبني عليه الحكم

قال الله تعالى: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق:١٢] (وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) [الجن:٢٨].

اختلف الإمامان المحققان الشيخ الأكبر الأستاذ الشيخ محيي الدين العربي والمحقق الكبير الغوث الشيخ عبد الكريم الجيلي ـ رضي الله عنهما ـ هل معلومات الله تعالى تابعة لعلمه القديم؟ أم العلم القديم الإلهي تابع للمعلومات؟ فقال الشيخ محيي الدين العربي بالثاني، وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي بالأول، وهذا الخلاف مبني على خلاف آخر؛ لأن الشيخ محيي الدين العربي يقول: بأن المعلومات ما انتقلت إلا من وجود علمي إلى وجود عيني، فعلم الله بها كعلمه بذاته؛ لأنها شئون ذاته؛ إذ لا يظهر في المرآة إلا صورة الرائي، والعلم مرآة الذات، فمن علمه بذاته علم كل شيء.

وقال الغوث الجيلي: شئون الذات محو في الذات، فالله يعلم ذاته أولاً باعتبار أحديتها بلا وجود شيء، ثم إن العلم الإلهي يفصل الأشياء التي هي شئون الذات، ففي الحضرة الأولى وهي علمه بأحدية ذاته جميع المعلومات عدم محض، فالمعلومات انتقلت من عدم محض إلى وجود علمي ثم إلى وجود عيني، ويدل على هذا المعنى قوله في «الإنسان الكامل»: يعلم نفسه بما هو له، ويعلم خلقه بما هم عليه، فكانت المعلومات واردة على العلم الإلهي بعد وارد الأحدية، فإذا لولا العلم الإلهي لم تكن، فهي تابعة له رتبة، وإن كانت هذه الحضرة لا تقبل الزمان،

ولكن هذا التفصيل أمر حكمي، وأنا أضرب لك مثالاً تعقله في نفسك تفهم به حقيقة هذا الخلاف، مثال ذلك: علمك بنفسك أنك إنسان كانت لك حقيقة وهي الحيوانية والناطقية، ولكن لتلك الحقيقة شئون من سمعك وبصرك ويدك ورجلك وأمثال ذلك، فإما أن تقول بأن

الحيوانية والناطقية التي هي حقيقتك لولاها ما كانت صورتك بجميع ما لها من الأوصاف، فالعلم بها أولاً هو الأصل رتبة، وأوصافك محو لا شيء، لاندراجها بتلك الحقيقة، وما هو لا شيء لا يصدق عليه أنه يعلم حتى يبرزه العلم اختراعًا كما يخترع المهندس مثلاً في نفسه صورة دار خاصة ثم يبرزها، فقد انتقلت تلك الدار من عدم محض إلى وجود علمي، ثم إلى وجود عيني ظهوري، وهذا نظر الشيخ عبد الكريم الجيلي.

وأما نظر الشيخ محيي الدين العربي فإنه يقول: الأصل في العلم بالحقيقة - التي هي الحيوانية والناطقية - إنما هو الصورة الإنسانية؛ إذ لولا الصورة الإنسانية ووجودها في الحضرة العلمية لم تعلم الحيوانية والناطقية، فالصورة هي الأصل في العلم بالحقيقة؛ إذ لولا صورة الإنسان في الوجود لا يُستدل على الحقيقة الكلية؛ إذ هي معنوية، ولهذا السر قال ﷺ :« **إن الله خلق آدم على صورته**»[٣٩١] ولم يقل على روحه، ولا على حقيقته، وأنشد الشيخ محيي الدين في «الفتوحات المكية»:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر

والحاصل أن الشيخ عبد الكريم يقول بالمعدوم المطلق، والشيخ محيي الدين لا يقول بالمعدوم المطلق.

ألا ترى قوله في أول خطبة «الفتوحات المكية»: الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم، وعدمه عن عدم العدم، ولا يخفى أن عدم العدم وجود، فعلى هذا المعلوم في علمه تعالى برزخ بين الوجود والعدم لم يكن عدمًا مطلقًا.

فإن قلت: ما رواه ابن ماجة أن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»[٣٩٢] لأي مذهب يشهد؟ أقول: يشهد للمذهبين؛ لأنه يحتمل لم يكن شيء غيره؛ أي: غير وجوده الأحدي ووجوده الأحدي يمحو كل شيء علمًا ووجودًا، وذلك قول الشيخ عبد الكريم الجيلي لقوله تعالى: **(إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ)** [العنكبوت:٦]، ويحتمل أن المعنى لم يكن شيء غير ذاته، بل كل شيء في تلك الحضرة عين ذاته لقوله تعالى: **(هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ)** [الحديد:٣] فلا ينفك أول عن آخر ولا باطن عن ظاهر، فالمعلومات في العلم الإلهي هي هذه الحقائق الأربع، وبها ثبتت هويته وأحديته وحقيقته، وهذا ملحظ الشيخ الأكبر.

---

(٣٩١)

(٣٩٢)

وقال الشيخ الغوث الجيلي بأن الشيخ محيي الدين -قُدِّس سره- قد سها؛ لأنه لو كان العلم الإلهي مستندًا إلى المعلومات لم يكن غنيًا عن العالمين تعالى الله عن ذلك، ويُجاب عن الشيخ محيي الدين بأن المعلومات في تلك الحضرة شئون ذاتية هي عين الذات، ولا يُقال بأن الذات تفتقر إلى نفسها؛ إذ لا معنى مثلاً لقولك: أنا فقير إلى سمعي وبصري أو إلى يدي ورجلي؛ لأن سمعك وبصرك ويدك ورجلك هي أنت، لا تقول: أنا مفتقر إلى أنا؛ إذ لا غير حتى يثبت المفتقر والمفتقر إليه، بل الأمر واحد، فمعنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنه لا موجود إلا الله لا غيره، فالعالمون عينه، مندرجون فيه اندراج أمواج البحر في البحر، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١] أي: لنكشفكم في حضرة ذاتنا، فيكون علمنا بكم من علمنا بنفسنا؛ لتثبت لله الحجة البالغة، ولو أن العلم الإلهي له التأثير في المعلومات بما هي عليه لم يثبت لله الحجة البالغة؛ لأن الحجة البالغة هي التي يدعن بها المحتج عليه ظاهرًا وباطنًا، ويعترف بأن: ﴿ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء:٤٠]، فحكم الله على كل شيء هو عين حكمه على نفسه.

وقد نبّهنا الله على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم:٣٩] فلو كان العلم الإلهي هو الحاكم على الأشقياء مثلاً بشقائهم لم يسلم قوله:أن لكم لما تحكمون ولم يسلم قوله:أن الله لا يظلم مثقال ذرة ولم يسلم قوله: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩] وقوله: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩] ينبّه به أن تلك المشيئة محال لا تقتضيها حقائق الأسماء الإلهية؛ لأنه لو شاء الهداية لجميع عباده لانعدم اسمه (المضل)، فينعدم غضبه فينعدم اسمه (المنتقم) والذي أدين الله، الله يدانه، لا يرضى لعباده الكفر، ولو كان الكفر شأنًا من شئون ذاته -ولو رضيه- لم تكن له الحجة البالغة؛ لأنه لو رضي الكفر لظلم الكافرين في العذاب: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] ومن هذه الحضرة قال الشيخ الأكبر في «الفتوحات المكية»:

إذا كان علم الحق في الحق يحكم ففي غيره أحرى فمن يتحكم
وليس بمختار إذا كان هكذا فكل إلى سبق الكتاب يسلم
فلو كان مختارًا أمناه أنه رءوف رحيم بالعباد وأرحم

فالعلم يتبع المعلوم وليس المعلوم إلا هو، فإذا ما تبع علم الله إلا ذات الله، وله الحجة في ذاته على ما هي عليه.

ألا ترى أنه ورد: «**إنه يتردد في قبض نسمة عبده لأنه يكره الموت ويكره الحق**

مساءته»[٣٩٣]، ثم قال: ولابد له من لقائي، فليت المشيئة بقادرة على رفع ما يكرهه إذا ثبت العلم الإلهي بوقوع ما يكرهه؛ لأن العلم مجبر للمشيئة، والمعلوم الذي هو عينه لا يؤثر فيه العلم بل يكشفه العلم على ما هو عليه كما تكشف المرآة كل شيء على ما هو عليه، فصح قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد:٣١] أي: نعلم ما أنتم عليه من علمنا بذاتنا؛ إذ لا معلوم إلا ذاتنا، فلا افتقار أن الله ـ أي بذاته ـ لغني عن العالمين؛ إذ لم يكن للعالمين وجود غير وجوده حتى يفتقر إليهم.

فإن قلت: كيف لا يرضى الكفر وهو منه؟ فنقول لك أولاً: هكذا قال عن نفسه، ومثال ذلك في الإنسان كونه لا يرضى التضمخ بعذرته أو بوله مع أنه ما بدا إلا منه، فاقتضت ذات الإنسان أن يخرج شيء من باطنه، وبعد خروجه يتباعد منه ولا يجب أن ينظر إليه مادام في هذه الصورة، وقولنا: مادام في هذه الصورة تحته أسرار من جملتها قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود:١٧] ومن جملتها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ [الأعراف:٤٠] ومن جملتها قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١].

وسر هذا السر أن كل اسم إلهي له سلطنة خاصة به فإذا زالت سلطنته عُزل عن ولايته وصارت الولاية إلى غيره، فينتقل الحكم دائما بدوران الأسماء الإلهية، ودورانها لا يزال، قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣] ونحن أفلاك الأسماء، فإذا انقضت سباحة الاسم (المضل) مثلاً كانت السباحة للاسم (الهادي)، وإن لم تفهم الحقائق هكذا لم تفهم القرآن.

ألا ترى أن الله قيد اللعنة لإبليس بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص:٧٨] وذلك مدة حكم الاسم (المضل) فيه، ولذلك لعنه الاسم (الهادي) وطرده ولابد أن يعود الدور إليه كما كان بحكم استدارة نقطة الدوران، ولذلك لم يكن أولاً بلا آخر ولا ظاهرًا بلا باطن؛ لأن السباحة الأسمائية في أفلاك معانيها لا تقف البتة، ولو وقفت لبطل سر الألوهية، فكل اسم إلهي من الأسماء الإلهية سابح في أفلاك الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فمظاهر الأسماء وهي العوالم الصورية سائرة غير واقفة، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] ومن

---

(٣٩٣)

تحقق بهذا العلم علم حكمة فقر الفقير، وغنى الغني، وسعادة السعيد، وشقاوة الشقي، وعلم جميع الأمور لماذا ترجع؟ فلا يعترض على الله بأمر أجراه في الوجود كائنًا ما كان.

وانظر لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر:٢] ولقوله ﷺ: «**اللهم لا مانع لما أعطيت**»[٣٩٤] تعلم علم الأسماء الإلهية وحكمها في العوالم الصورية، وقد فتحت لك كنوز الغيب الإلهي بمفاتحه فاستخرج من جواهرها ما شئت، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

اعلم أن النكتة في هذه الآية تقييد الله العلو في الأرض، ولم يقل: لا يريدون العلو مطلقًا؛ لأن إرادة العلو وهو أن يكون الحق سمع العبد وبصره محمود، ولا يكون إلا لمن أحبه الله، فمن أحب العلو بالله فقد أحب الله، فرتبة عدم إرادة العلو في الأرض مقام أهل البداية.

ولذا قال العارف بالله ابن عطاء الله الإسكندري في حِكَمه: ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه، فالكمل لا يلتفتون للعلو في الأرض ويلتفتون للعلو الإلهي، ولذا قال الشهيد الطغرائي رحمه الله في لاميته

وإنْ عَلانِيَ مَنْ دُونِي فلا عَجَبٌ لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمس عن زُحَلِ

ولقد أحسن من قال:

ليس الخمول بعار على امرئ ذي كمال
كليلة القدر تُخفى وتلك خير الليال

وكم من عليّ بالله خمول في الأرض، وكم من عليّ بالأرض لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقد ورد في الحديث: «**رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره**»[٣٩٥] فإرادة العلو فيها تفصيل بالنسبة للمريدين والمحققين.

وأما عدم إرادة الفساد في الأرض فذلك من شيم أهل الله قاطبة، إلا إن كان الفساد

---

(٣٩٤)

(٣٩٥)

صلاحًا.

ألا ترى أن الخمر مثلاً إذا فسدت وصارت خلاً كان ذلك الفساد لها صلاحًا، وبهذا المعنى حلق الشبلي ﷺ لحيته لما مات ولده خشية أن يقول له الناس: عظَّم الله أجرك، ولا يستحضرون عظمة الله، فآثر عظمة الله على عِظَم أجره، وشغل الناس بحلق لحيته، وبعد هذا فأقول: الله أعلم بنيته، ويمكن أن يكون فعل ذلك اقتداء بربه في الحجاب؛ لأنه تعالى حجب أكثر الخلق عن معرفته، فكذلك الشبلي أراد حجب الناس عن ولايته إن كان حلق لحيته بعد معرفة الله، وإن كان في حال الإرادة، فنقول: هو من الذين لا يريدون علوًا في الأرض، فأسقط منزلته عند الناس؛ لئلا يعتقدوا به وذلك من شيم المخلصين.

قال تعالى: (أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ) [الزمر:٣] وقد حصل مرامه حتى قال: ذلي عطَّل ذل اليهود؛ لأنهم قالوا: الظهور يقصم الظهور، وأما بعد الكمال فالأمر كما قال أبو العباس المرسي ﷺ: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبد الله سواء عليه أظهره أو أخفاه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: هو الذي يصلي عليكم.

قال الله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا) [الأحزاب:٤٣-٤٨].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن ذات الله تعالى من جهة إطلاقها لا تقبل حكمًا ولا شأنًا ولا اسمًا ولا تجليًا البتة، حتى ولا الاسم (هو) الدال على الهُويِّة، ولا الاسم (الأحد) الدال على الأحدية، ولا الاسم الجامع الذي هو الله، بل الاسم الله دال على مرتبة الألوهية بمقتضى التنزيه للحقيقة المحمدية، ولا يخفى أن البرزخية الثابتة بين ذات الله تعالى ومرتبة الألوهية هي النور المحمدي، الذي قال فيه: (لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ) [الحديد:٩] والظلمات: هي الشئون الحكمية التي يقال عنها أعيان الممكنات الثابتة في رتبة الإمكان الذي هو برزخ بين واجب الوجود وبين المحال، فواجب الوجود هي المرتبة الحقيَّة التي هي ربنا ومعبودنا، وهذه المرتبة وجود محض، والمحال عدم محض، والممكن أمر برزخي، وهو المسمى بالخلق، فله وجه إلى واجب الوجود، ووجه إلى محال الوجود،

وهذه الحقائق الثلاث: الواجب، والممكن، والمحال، هي التي ينطبق عليها اسم الذات، وإن كانت الذات لا تقبل الاسم حتى ولو اسم الذات، وذلك معنى حديث: «**كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف**»[٣٩٦] أي: لا أتقيد باسم المعرفة لا لي ولا لغيري «**فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني**»[٣٩٧] فكانت الذات المطلقة بمنزلة البحر، فظهر في الذات نفس ذاتي هو عين الذات، وهذا النفس عين حبه؛ لأن يعرف كما يتموج البحر من ذاته لذاته، فتظهر فيه أمواجه وهي عين ذاته لا غير، فهذه الأمواج هي حقيقة محمد ﷺ المسماة بالنور، وهي عين البحر والظلمات إمكاناتنا البرزخية، فهي كامنة في هذا النور المحمدي الذاتي الذي هو عين ذات الله، فبسبب معرفة الذات بهذا النور المحمدي كما عُرف البحر بأمواجه ثبتت مرتبة الألوهية التي هي مدلول الاسم (الله)، فكانت هذه المرتبة لمحمد ﷺ كما صرح القرآن بذلك.

قال تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ)** [الفتح:١٠] ويشير لذلك قوله في الحديث القدسي: «**فبي عرفوني**»[٣٩٨] لأن لفظة فبي في جمل العدد عددها عين عدد اسم محمد ﷺ، فكان محمد ﷺ هو المعروف من ذات الله لا غير، ومرتبة الألوهية التي لها الاسم الله ثابتة له، فابتدرت الهُويِّة المحمدية من جهة الاسم هو بسبب تموج بحر الذات بالأمواج المحمدية العينية الحقيَّة النورية للصلاة علينا؛ لتخرجنا من الظلمات الإمكانية التي لها قِدم في نورانية الوجود، فتحصل على التحقق بالنور المحمدي الذي هو موج بحر الذات، فنكون بمنزلة موج الموج وهو عين الموج، والموج عين البحر، وهذا التموج البحري عين هذه الصلاة من الله علينا إذ الصلاة من الله على العبد صلة بينه وبينه حتى يكون هو هو، والأمر كذلك.

فالهُويِّة الإلهية تصلي علينا من الحضرة المحمدية بحقيقة الهُويِّة العينية؛ لتخرجنا من ظلمات الكثرة الإمكانية إلى وحدة نور الحقيقة المحمدية، ولذا قال تعالى: **(وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا)** [الأحزاب:٤٣] فقوله تعالى: (وكَانَ) اسم كان الذي هو ضمير مستتر في الذات عائد إلى النور من قوله تعالى(**إِلَى ٱلنُّورِ**) أي: كان النور المحمدي بكم رحيما؛ لأنه مظهر ذات الله، وأنتم مظهر ذاته

ومن هنا قال تعالى في محمد ﷺ **(بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ)** [التوبة:١٢٨] فتكون

---

(٣٩٦)

(٣٩٧)

(٣٩٨)

صلاة الله على محمد عين الصلاة علينا؛ لأننا مظاهر النور المحمدي، فما أمرنا الله بالصلاة والسلام على محمد إلا لنتنبه لوصلتنا به؛ لأنه إكسير وجودنا بنوره المقدس الذي يخرجنا من ظلمات نحاسية عدميتنا في جنب وجود العيني الذاتي إلى ذهبية كماله ﷺ، وكماله هو كمال الله بعينه، وهذا معنى السلام.

فقول أحدنا: اللهم صل على محمد؛ أي: صل على محمد من جهتي؛ لأني عين نوره ومظهره، فتظهر روح محمد ﷺ بروحي، فيكون نجم ذاتي شمسًا ضاحية؛ إذ ليس السها كالقمر، وليس الياقوت النفيس كمطلق الحجر، وهذا المعنى هو باطن قوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[399] فقرة عينه أن كلما ظهر في الوجود هو هو.

ولهذا قال: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ**﴾ أي: باللقاء الذاتي الماحي لشرك السوى ﴿**سَلَٰمٌ**﴾ ومعنى ﴿**سَلَٰمٌ**﴾ [الأحزاب:٤٤] أي: سلمتم من وجود الغير، فالملك الإلهي هو لكم، وهذا هو الأجر الكريم؛ لأن الكريم هو الله، فما أعدَّ لمن صلى عليه إلا هو؛ لأنه صلى عليه بهويته، ثم عطف بقوله: ﴿**وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ**﴾ وهم العوالم الروحية المنتشرة من النور المحمدي، الذي هو نبيهم بشرع الجمع النوري الأحدي وآدم بين الماء والطين، فهو الموصل بهذه النبوة كل روح إلى الله الجامع؛ ليحصل لهم كما يحصل إلينا هذا الأجر الكريم، فهو نبي في عالم الأرواح وحده، كما أنه النبي في عالم الأشباح وحده.

ألا ترى أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء في الإيمان به فقال: ﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ**﴾ [آل عمران:٨١]، فذكرهم تعالى بنبوته لهم في عالم الأرواح ليؤمنوا به وينصرونه إذا نصروا الدين[400] الذي أرسلوا به في عالم الأشباح؛ لأن الدين كله لله، ومحمد ﷺ مظهر ذاته على الكمال والأنبياء والرسل كلهم مظاهر ذاته، بل العالم كله مظهر الروح المحمدي، وهو المشار له بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ**﴾ [النبأ:٣٨] الذي هو البحر الأعظم بحر الألوهية، والملائكة أمواج ذلك البحر: ﴿**لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ**﴾ [النبأ:٣٨] وهو صورة عرش الرحمة الفاتح باب الشفاعة والمتقدم في هذه الشفاعة، حتى على الأسماء الإلهية؛ لأنه ورد في الحديث: «**شفعت الملائكة**»[401] وهم

---

(٣٩٩)

(٤٠٠) الدِّينُ الذي يرتضيه، والذي حكم لصاحبه بأنه يجازيه ويعليه، وبالفضل يُلقِّيه- هو الإسلام، والإسلام هو الإخلاص والاستسلام، وما سواه فمردود، وطريق النجاة على صاحبه مسدود. تفسير القشيري (٢٩١/١).

(٤٠١)

مظاهر روحه، «**وشفع النبيون**»[402] وهم مظاهر الأرواح العالية، «**وشفع المؤمنون**»[403] وهم مظاهر حضرات الغيب بالإيمان من اسم الله المؤمن، وبقى أرحم الراحمين فهذه شفاعته الآخرة من حكم أرحم الراحمين، فهو الأول شفاعة كما أنه الآخر، والظاهر كما أنه الباطن، فهو الذي يقول صوابًا، وقوله عينه إذ يقول للشيء: (**كُن فَيَكُونُ**) [البقرة:١١٧] وهذا هو الملك الكبير الذي لا أكبر من الله، ولذا خاطبه بقوله: (**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ**) أي: في الحضرة الذاتية (**رَأَيْتَ نَعِيمًا**) أي: نعيم الذات (**وَمُلْكًا كَبِيرًا**) [الإنسان:٢٠] أي: ملك الأسماء والصفات.

واعلم أن هذا المعنى الذي قررناه هو مدرج في تشهّد الصلاة لمن عرف؛ لأن الله بدأ بالثناء على نفسه ثم ألبس هذه الخلعة لمحمد ﷺ فسلم عليه؛ أي: أسلم الأمر إليه، كما قال: (**خُذِ ٱلْعَفْوَ**) [الأعراف:١٩٩] ثم ختم بالسلام علينا، لأننا مظاهره.

ومن هنا قال سيدي عليّ وفا ُقدِّس سره: إن الله جمع للأمة المحمدية مشهد قاب قوسين في الصلاة، وحيث أن الغوث الشاذلي رضي الله عنه قال لتلميذه أبي العباس المرسي: يا أبا العباس والله ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا، فما بالك بكرم من قال تعالى فيه: (**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ**) [النجم:٢] فنحن معه بتلك الصحبة جمعًا وتفصيلاً، وهو القائل: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**»[404] أي: أنت الباطن في الشئون الغيبية كما أنك الظاهر في الصور الشهادية، فهو في المقام الباطن صاحب، وفي المقام الظاهر خليفة، فلم يترك محمد ﷺ كلمة لقائل كيف وهو المنزل عليه: (**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ**) [القيامة:١٨،١٩] فالذات قرآنه والحقيقة المحمدية بيانه، ولذا تمم بقوله: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ**) [الأحزاب:٤٥] لم يقل: إني أرسلتك كما قال في حق موسى عليه السلام: (**وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى**) [طه:٤١] إشارة إلى أنه مرسل من جميع حضرات الأسماء الإلهية الواردة رسالته بها على حسب القوابل والاستعدادات، ولذا قال: (**شَٰهِدًا**) [الأحزاب:٤٥] أي: للكل في القبول؛ إذ لا يقبل أحد في الوجود إلا ما هو مستعد له في الثبوت.

ألا ترى أن الحنظل مثلاً لا يقبل طعم العسل، وإلى هذا المشرب الإشارة بقوله تعالى: (**مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ**) [الملك:٣] فلذا قال: () **وَمُبَشِّرًا**

---

(٤٠٢)

(٤٠٣)

(٤٠٤)

[الأحزاب:٤٥] أي: بالبشارة المطلقة، فلا تختص بشارته بأمر معين، بل كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحجر:٥٥] ﴿وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥] أي: مخوفًا من حجاب الوهم الذي هو برقع وجه الأحدية، ولذا قال المحقق الششتري ﷺ:

دع جمـــال الوجـــه يظهـــر لا تغطـــي يـــا حبيبـــي

ولذلك قال: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [الأحزاب:٤٦] أي: هو في حقيقة الأمر داع كل مدعو إلى الشأن الذاتي المختص به، وهذه دعوة حالية لا دعوة قالية.

ألا ترى قوله: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٤٠٥] قال تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ﴾ [الإسراء:٢٠] ﴿وَسِرَاجٗا﴾ أي: مصباحًا في مشكاة الذات، ﴿مُّنِيرٗا﴾ لمعاني الأسماء والصفات، وبشر المؤمنين؛ أي: المؤمنين بحقائق أنفسهم أنها هو؛ لأن المؤمن اسمه، فهو مرآة جميع المؤمنين بما به آمنوا.

وإن أحببت كشف هذه البشارة فهي في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب:٦] فكل من آمن بشيء فما آمن إلا بالله والنبي أولى بنفسه منه؛ إذ جميع العالم منه فدخل الشيطان الرجيم في دائرة الرحمن الرحيم، ولذا قال في الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالمعنى الذي قلناه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٩]؛ وأي توكل أعظم من أن يعتقده هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فأين الشيطان الرجيم حين ما يبدوا البر الرحيم؟! ولذا قال تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٧]، ومن أعظم الفضل أن المؤمنين بوجود مظاهر وجوده والقابلون لجوده، فهو الفضل الكبير كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ والإضافة للبيان؛ أي: نعمة هي الله ﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤]؛ لأن الله لا يُحصى، ففضله الكبير هو، ونعمته التي لا تُحصى هو، كما أن الأجر الكريم هو، ثم تمم فقال: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب:١]، أي: الساترين لهذه الحقيقة فيقولون: إنه منزَّه عن خلقه، وهل خلقه إلا مظاهر ذاته وصور أسمائه وصفاته؟! وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾ [الأحزاب:١]، وهم الذين لا إلى هؤلاء من المنزهين، ولا إلى هؤلاء من المشبهين بل الطاعة لمن يقول: منزَّه في التشبيه ومشبَّه في التنزيه، وحق في خلق وخلق في حق.

فنوح عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهارًا، أي: تارةً تنزيهًا وتارةً تشبيهًا، ومحمد ﷺ قال فيما أنزل عليه: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، فأنطق الله قوم نوح بما حكاه من

---

(٤٠٥)

قولهم: (وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا) [نوح:٢٣]، فلما غرقوا في بحر الأحدية لم يجدوا لهم من دون الله الذي هو الاسم الجامع لود وسواع أنصارًا، فلا ناصر لهم إلا الله الذي لم يخرجوا عن دائرته، ومن هنا قال محمد ﷺ: «**اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٤٠٦] أي: أوصلهم إليك وعرّفهم ما هو الأمر عليه، وهذا من شفاعته التي لا يعلم حقيقتها إلا العلماء بالله، ولذا تمم تعالى بقوله: (وَدَعْ أَذَىٰهُمْ) [الأحزاب:٤٨] أي: دع نسبته إليهم، فالله هو الضار كما أنه هو النافع، فلذا قال في مناجاته ربه: «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**»[٤٠٧]، فانقلب أذاهم في حقه خيرًا في الحقيقة، وإلا فمن أين يتحقق باسم الله الصبور؟ ولذا قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ) [النساء:٨١]، فإنه هو الحامل القابل لما يجريه في خلقه، وكفى بالله وكيلاً، فلما توكّل على الله كان تصرفه عين تصرف الله بما تقتضيه تجلياته وشئونه كما قال: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ) [الرحمن:٢٩]، ومن تلك الشئون: الشأن المسمى بالأذى مع أنه في الحقيقة خيرًا سواء كان في الدنيا أو في الآخرة وشأنه عينه، فالكل منه وإليه (فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ)ٱلْبَٰلِغَةُ كما قال. فافهم :

فمــن كــان منــا أو يقــول بقولنـــا   فبشــره فــي الـدنيا وأخـرى يبشـر

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: (وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ) [الضحى:٤] اعلم ـ رحمك الله ـ أن الأولى مظهر اسم الله الأول، والآخرة مظهر اسم الله الأخر، واسم الظاهر والباطن يدور عليهم، فإن ظهرت الدنيا كانت الآخرة باطنها، وإن ظهرت الآخرة كانت الدنيا باطنها، فلو زالت هذه لم تكن هذه وهمًا بمنزلة زوجتين للإنسان، ولذا يقال الدنيا والآخرة ضرتان، ولكن هما وإن كانتا ضرتين فهما متلازمتان لا تنفك واحدة عن الأخرى البتة، وهذا التلازم: الحق والخلق، فإن ظهر الحق بطن الخلق وإن ظهر الخلق بطن الحق والأمر بينهما دوري، ولذا قال الشيخ الأكبر ﷺ:

فلــولا الــرب مــا كنــا عبيــدًا   ولـولا العبـد لـم تـك أنـت أنـت
فأثبتنـــــي لنثبتكــــــم إلهــــــًا   ولا يفنـــى أنـــا فتـــزول أنـــت

فالأخرى والجة في الدنيا والدنيا والجة في الأخرى كما قال تعالى: (يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ) [الحج:٦١]، فكل باطن ليل، وكل ظاهر نهار، ومتى ظهر

---

(٤٠٦)

(٤٠٧)

أحدهما بطن الآخر فيه، كعصا موسى عليه السلام حين ظهورها عصا كانت صورة الحية باطنة فيها، فلما ألقاها من يده واستلم الأمانة ربها ظهرت منها صورة الحية التي هي عبارة عن الحياة الإلهية، فكان هذا الظهور بمنزلة ظهور الآخرة من الدنيا، وبمنزلة ظهور الحق من الخلق، وبمنزلة ظهور الربوبية من العبودية، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[طه:٦٧] أن تظهر حقيقة الحياة الإلهية فتظهر حجة فرعون في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]؛ لأن موسى ظاهر بالعبودية، فالربوبية باطنة فيه، وكان فرعون ظاهرًا بالربوبية، فكانت العبودية باطنة فيه، والمناسب في الدنيا ظهور العبودية؛ لأنها مجلى الاسم (الحكيم) الذي له التقديم والتأخير، وتوقيت الأمور في ظهورها شيئًا بعد شيء، وأما الآخرة فهي مظهر الاسم (القدير) فيكون الخمسون ألف سنة ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ [النحل:٧٧] ويكون لمح البصر أو ما هو أقرب منه خمسين ألف سنة، ولما كان الموطن موطن الدنيا الذي له ستر الربوبية بالعبودية وستر الحق بالخلق، وكانت السلطنة للاسم الأول كانت الحجة الموسوية أقوى من الحجة الفرعونية، فعادت الحيَّة سيرتها الأولى وعاد الإطلاق الفرعوني إلى القيد العنصري المائي، فقيل لموسى: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ [طه:٦٨] أي: من ظهور حجة فرعون: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [طه:٦٨] لأن حجتك أقوى؛ إذ الدنيا موطن التقييد لا موطن الإطلاق، والآخرة بعكس ذلك، فلهذا قال الله لمحمد ﷺ: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤] علم فرعون ذلك، وعلم أن حجة موسى هي القاطعة، وأيقن أن الله أكرمه بالإطلاق فانفلق له البحر فرقتين، وكان الوسط طريقًا يبسًا علم أنه ما حصل له ذلك إلا من مقام العبودية، فآل أمره إلى الإطلاق فندم على ما فعل، وأعلن بإيمانه وتوحيده وإسلامه رجاء أن يحصل له ما حصل لموسى، فلما تقيد بالعبودية بطنت فيه الربوبية، وأظهر الله عبوديته بإعجازه ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥] فغرق في الماء فأخذت منه العبودية حقها، وانقضى حكمها، فإذا كشف عن الاسم الآخر غطائه فكان بصره في الربوبية الباطنة حديد الآن عبودية إيمانه وتوحيده وإسلامه لابد أن تظهر بحكم السيادة والربوبية، والإسلام يجب ما قبله، فلم يكن له في الآخرة إلا إطلاق نعيم الربوبية؛ لأنه قضى نحبه بأن أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فلا نكال عليه بعد قول الله فأخذه الله، ولا يجمع على عبده جزاءين وهو الحكم العدل.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:٤١] ويوم القيامة هم من المقبوحين فإنه حق؛ لأن فرعون قامت قيامته بالغرق، وقد قال ﷺ: «**من مات فقد قامت**

قيامته»[٤٠٨] فما نصر فرعون في قيامته نصرًا ظاهرًا وكان من المقبوحين ظاهرًا؛ لأن النصر الظاهر لموسى عليه السلام، ولكن لابد أن يظهر نصر فرعون الباطني بسبب الإيمان الذي حل في باطنه بعد أخذه بالنكال، فإن الله تعالى قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] وليس إعانة عن يأس لأنه لو لم يكن راجيًا النجاة ما اقتحم البحر، فقبل الله إيمانه باطنًا وأغرقه ليكون على حسن ختام ولا يعود إلى ما كان عليه؛ لأن الله قال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] فأحب الله تعالى أن يموت على قوله: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠] فمات على إيمان وتوحيد وإسلام ثلاث، وأي ثلاث.

وحكى الله هذه القصة لمحمد ﷺ ليكون شاهدًا له بذلك، فإنه صاحب منصب السيادة على الكمال، فإذا قال موسى لفرعون: «نفسي نفسي» قال له محمد ﷺ: أنا لها يا فرعون، فيلوذ بالخاتم صاحب الأصالة، ويعلم أن موسى وعيسى والأنبياء هم نواب عنه وينكشف للجميع سيادة محمد ﷺ فيكون الجميع تبعًا له وتحت لوائه، فلذا قال الله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤] وسر ذلك أن الآخرة ظهور حقيقته والأولى ظهور خلقيَّته، وظهوره بالحقيَّة خير له من ظهوره بالخلقيَّة، فبالحقيَّة يقول للشيء كن فيكون، وذلك مرجع قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥].

فحقيقة هذا العطاء أن يقول له: كن أنا يا محمد، وتصرف بحكم إلوهيتي كما تشاء، فكما كنت لي عبودية فكنِّي أنت في الأخرى ربوبية؛ لأن الدور قد دار، وانتهى الليل الذي عسعس فتنفس صبح النهار، فإن قلت: إن قولك عن محمد ﷺ أنه يتصرف في الآخرة تصرف الربوبية فله أن يحكم بما شاء، ولاسيما مع قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٧] فيلزم على كلامك هذا أن يجير من النار المؤمنين والكافرين، فمن أين تأخذ ذلك من القرآن العظيم؟ فأقول: إن محمدًا ﷺ قد بَّلغنا في القرآن أن الله قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقضاء الله حكم، فإذا في حقيقة الأمر ما عبد عابد إلا الله، وإن لم نقل بذلك يلزمنا أنه ما نفذ مراد الله بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وإن لم ينفذ مراده يلزم العجز وهو محال فنقول: نفذ مراده وصح قضائه، ولا مخالف لحكمه فما عبد عابد إلا إياه، فبمقتضى قوله يحكم محمد ﷺ، ولاسيما وقد أخبر الله عنه أنه: ﴿قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢] ولا حق بعد القرآن.

---

(٤٠٨)

وقد قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣] فانظر إلى قوله: ﴿ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ولم يقل: أتى الجبار، بل الجميع عبيد للرحمن، والاسم الرحمن ولا يحكم إلا بمقتضى معناه وهو الرحمة، فوسعت هذه الرحمة كل شيء، وقد ورد: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»[٤٠٩] فالجنة تغلب النار فتندرج النار في بحرها، وهذا معنى ولوج الجمل في سم الخياط بحكم الاسم الواسع؛ لأن الجميع اجتمعوا على العبودية بحكم الاسم (الجامع)، ولذا قال آدم عليه السلام: «**اختار يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة**»[٤١٠] فبسط الله يمينه من اسمه (الباسط) فإذا فيها آدم وذريته، قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

فلـــذات الحـــق نحـــن الســـعداء ولإمكـــان الـــورى كـــان الشـــقاء

وذات الله تغلب الإمكان لأن إمكان الورى مندرج في ذات الحق فالشقاء مندرج في السعادة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] فأين الجنة والنار وما في الوجود إلا الله فأدرج كل حكم في قوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

فأدرج هذي الحقائق الأربعة في نفسك ولا ترى في الوجود إلا تكوير شمسك ودر على نفسك بشراب قدسك، ولا تشرب عين الكافور إلا بكأسك، فأنت الشارب الساقي والفاني بك الباقي قال الله لموسى عليه السلام: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [طه:٦٨] وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾ [الزخرف:٨٩] فكان موسى عليه السلام مالكًا لنفسه وأخيه، وكان محمد صلى الله عليه وسلم مالكًا لآدم وبنيه، وهذه خمرة محمدية دارت علينا بقداحها الروحية على نفسه، فليبكي من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

قول الإمام سيدنا الجيلي رضي الله عنه اعلم ـ وفقك الله ـ أن العالم الدنياوي الذي نحن فيه الآن له انتهاء يؤول إليه؛ لأنه محدث، وضرورة حكم المحدث أن ينقضي إلى آخره.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن كشف هذا السر وبيانه أن كل حكم في الوجود راجع إلى تجلي اسم من أسمائه تعالى، ودوام ذلك الحكم بدوام ذلك التجلي، وانتهائه بانتهاء ذلك التجلي،

---

(٤٠٩)

(٤١٠)

فيظهر حكم آخر بتجلي اسم آخر، وما بين ذلك هو الأجل، ولكل أمة أجل حتى من الأسماء الإلهية من حيث ظهورها في الأعيان القابلة، فمرجع الأحكام من دنيا وآخرة وعفو ورحمة ونعيم وانتقام وعذاب إلى الأسماء الإلهية، ومرجع تجليات الأسماء إلى القوابل، والقوابل إنما تقبل بأسماء مناسبة لتلك الأسماء المتجلية.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن جميع الأسماء التي ترجع إليها أحكام الوجود دنيا وبرزخ وآخرة ترجع إلى أمهات أربع في تجلياتها وظهور أحكامها، وهي: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، وكل منها باطن في حقيقة الهُويِّة، قال الله تعالى: **(وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا)** [النحل:٧٨] أي: بطريق الفكر، بل كل مولود يولد على الفطرة، (**فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِی فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَیۡهَا)** [الروم:٣٠] فما فطرهم إلا على صور هذه الأمهات من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، ولذا قامت نشأة الإنسان على التربيع، فأخلاطه أربعة، وعناصره أربعة، وطبائعه أربعة، ويعود ذلك الأربعة حياة، وعلم، وإرادة، وقدرة.

فجميع أسماء الله تعالى لا تظهر على الكمال إلا في الإنسان، إذا تقرر هذا فنقول أن الأسماء الإلهية في حضرة الذات، والهُويِّة المطلقة لا تفاوت بينها ولا آجال، فبالنسبة إلى الهُويِّة المطلقة لا أولية ولا آخرية، ولا ظهور ولا بطون، فكل اسم في هذه الحضرة عين الآخر، فوجود الله تعالى واحد دنيا وبرزخ وآخرة بلا تقديم ولا تأخير، وما ظهر الأول والآخر والظاهر والباطن إلا من حكم القوابل لتجليات هذه الأسماء، وهذه التجليات إن اعتبرت جريانها بعموم الحكم على المظاهر كلها، ذلك هو الساعة الكبرى، وإن اعتبرت التجلي باعتبار قابلية الأفراد من أحكام هذه الأسماء ظهرت جزئيات تلك الساعة الكبرى، وكل جزء منها ساعة صغرى، فالساعة الكبرى هي الصراط المستقيم الذي الرب عليه في تجلياته أزلاً وأبدًا، والقوابل إنما تقبل بحسب استعدادها، وما تجلى لها من الأسماء.

ولذلك قال ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٤١١] فقيام قيامته عبارة عن ملاقاة حقائق أحكامه الأسمائية من حضرة الهُويِّة، قال تعالى: **(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحࣰا فَمُلَـٰقِيهِ)** [الانشقاق:٦] فقد قامت قيامته بالنسبة إلى كشفه، وإلا فهي قائمة بالنسبة لعلم الله تعالى فيه، ولعلم أولياء الله، وما حجبه عن قيامته إلا الاسم المنافي لكشف قيامته، ولذا قال تعالى: **(فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡیَوۡمَ حَدِیدࣱ)** [ق:٢٢] فهذا الكشف نسبي

([٤١١])

لا أنه في نفس الأمر لم يكن مكشوفًا ثم كشف، ولذلك قال تعالى: **(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ)** [النحل:١]، ولذلك لما مات عبد الله بن أبي سلول سمع الصحابة هدة فقال ﷺ: «**إن حجرًا يهوي في جهنم منذ سبعين سنة إلى أن صار في قعرها**»[٤١٢] وقد كان عمره سبعين سنة، فهو عند المحجوب في الدنيا مشتعل بلذاته يهوى فيما يهوى، وعند رسول الله ﷺ يهوي في جهنم، فالساعة عند سول الله ﷺ موجودة في حال الحياة الدنيا، وكذلك الجنة والنار، وكذلك النعيم والعذاب.

ولذا أخبر الله تعالى بقوله: **(وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ)** [النحل:٧٧] وقال تعالى في اليوم الموعود: **(إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا)** [المعارج:٦، ٧] فساعة كل إنسان كشفه واحتداد بصره بزوال الغطاء المانع له عن ذلك الكشف، فما ظهرت الدنيا والبرزخ والآخرة إلا من حكم القوابل في التجلي، وإلا فالأمر واحد، فإن الأول عين الآخر، والظاهر عين الباطن، ولا يخفى أن القوابل لا تتحد في التجلي وإلا لم يظهر التفاوت في السابق والمسبوق، ولأشكل ما أخبر به ﷺ من دخول النار صاحبة الهرة وأمثال ذلك.

وبعد أن أخبر ﷺ عن أمر أنه وقع فحمله على أنه ما وقع ولكنه سيقع في المستقبل، وذلك سائغ بطريق المجاز لا يناسب مقام النبوة، وإذا أشكل عليك ما ذكره الإمام الجيلي من حكم الساعة الكبرى والساعة الصغرى، وقوله: فلا تظن أنهما ساعتان، فانظر لعموم حكم الموت للجميع مع التوقيت لكل فرد أوانه، خاصة اجتمع كل منهم في حكم الموت، والموت موت واحد لم يتعدد، فلا يقال أنهما موتان، كما لا يقال أنهما ساعتان، فالساعة الكبرى حقيقة كلية تتجلى في أفرادها بلا تعدد، كما يظهر الواحد في مراتب الأعداد المتكاثرة، والواحد واحد على ما هو عليه، فالأول أول على ما هو عليه، ولكن ظهوره يختلف، والآخر آخر على ما هو عليه، ولكن ظهوره يختلف، وظهور كل في الأعيان القابلة عين بطون الآخر، فتختلف المشاهد في الدنيا والآخرة، والبرزخ لاختلاف القوابل والفواعل، ويختلف الكشف لاختلاف تجليات الأسماء، فالشقي شقي من الأزل، والسعيد كذلك، ولذلك قال تعالى: **(أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ)** [الزمر:١٩].

وانظر إلى سر قوله ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس**»[٤١٣] أي: لا فيما يبدو له ﷺ، وكذا قوله: «**وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو**

---

(٤١٢)

(٤١٣)

للناس»[٤١٤] فليت شعري ما الذي أوجب اختلاف هذا النظر؟، فكذلك يختلف النظر والتجلي في جميع ما وعد الله تعالى به وما أخبر عنه، كل على حسب كشف غطائه، وفناء أوليته بآخريته وظاهره بباطنه (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩] وما سعى إلا بما هو عليه، وما هو عليه ليس إلا تجلي الأسماء، ولكل اسم حكم مادام التجلي في الاسم، فإذا تجلت العين زال الشقاء والبين، والله اعلم.

وارد: الحب والغرام وتعانق الألف مع اللام

قال الله تعالى: (إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ) [الواقعة:٦٦] يشير إلى تعشق ذاته بنا؛ لأنه كنز مخفي يحب أن يعرف، ولا يعرف إلا بنا؛ إذ نحن عين أسمائه وأوصافه في الحقيقة؛ لأن ذاته تعالى طلسم وجود محض لا تقبل من حيثها لا اسمًا ولا وصفًا ولا تجليًا ولا اعتبارًا ولا علمًا ولا معرفة، فهو مغرم بنا ومحب لنا؛ إذ ليس له اسم ولا وصف إلا ونحن ذلك الاسم والوصف، فلولانا لما كان له اسم ولا وصف، ولا شأن ولا حكم، ولا تظن أن قوله: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف**»[٤١٥] هو قبل وجود العالم، ثم بعد ذلك وجد العالم؛ إذ لو لم يكن العالم مظهر لنا ما وصف بقوله: «**فأحببت أن أعرف**»[٤١٦] ولا ثبت له اسم الحب ولا الغرام، فهو دائمًا أبدًا في كل لمحة ونفس يحب؛ لأن يعرف بنا، مغرم عاشق لنا، ولهذا عرَّفنا برتبتنا معه بقوله: (بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ) [القلم:٢٧] أي: أنا المستمد منكم، وأنا من جهة ذاتي لا اسم لي، ولا وصف فأنا محروم من جهة ذاتي من الأوصاف والأسماء لولاكم فلا يثبت لي شيء إلا بكم، بل إني أيضًا لولاكم لا أوصف أيضًا بالحرمان؛ لأن من لا يقبل العطاء لا يقبل الحرمان وقوله: (إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ) هو لسان أسمائه المطموسة في ذاته فلا يظهر لها حكم إلا بنا فإذا قطع النظر عنا فأسمائه تشكو لنا من الحرمان؛ إذ لولا المظاهر لم يُعلم الظاهر فهو تعالى دائمًا يحب أن يعرف ويظهر إلى ما لا يتناهى ونحن مظاهره إلى ما لا يتناهى، وهذا معنى قوله تعالى: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ) [محمد:٣١] أي: لولاكم لم يثبت لي اسم العلم؛ لأن ذاته تعالى من جهة الإطلاق لا تتقيد لا بالعلم ولا بعدمه، فنحن أعطيناه اسم العلم وما أخذ علمه إلا منَّا.

ألا ترى أن الله تعالى (وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ) [الحديد:٣] فلولا الأشياء وثبوتها في نفسها فبماذا يكون علمه؟ وكذلك يقال في بقية الأسماء جميعها من الحي والسميع والبصير

---

(٤١٤)

(٤١٥)

(٤١٦)

وأمثال ذلك، فهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ) [محمد:٣١] هي ترتيب الله العليم فلا نخرجها عن ظاهرها؛ لأنه تعالى أعلم بالأمور على ما هي عليه، وهذا معنى قول الشيخ الأكبر: إن الحق تعالى ما أخذ علمه إلا من المعلومات، وكذلك أقول: ما أخذ كل اسم من أسمائه أو حكم من أحكامه أو تجل من تجلياته إلا من أعيان الممكنات الثابتة في رتبة إمكانها وهذه المراتب ثابتة لذاتها لا بجعله ولا بإيجاده من عدم بل إنه كما هو واجب الوجود أزلاً وأبدًا، كذلك المعاني التي هي أعياننا ثابتة أزلاً وأبدًا، لم تبرح في رتبة إمكانها، والذات الإلهية تجمع الأمرين؛ لأن الوجود لها والعدم لها والوجود له الإفاضة والعدم له القبول، فنحن مرآته في ثبوت الحكم له لأننا الأصل فيه؛ إذ الحكم ليس له قدم في الوجود فلا يأخذه إلا منّا، وهو مرآتنا في ظهورنا لأنفسنا؛ إذ لا ذوق لنا في الوجود إلا منه، وهذا معنى قول الشيخ الأكبر في «الفصوص»:

فلولاه ولولانا ... لما كان الذي كان

وكذا قوله في «الفصوص» أيضًا:

فالكل بالكل مربوط وليس له ... عنه انفكاك خذ وما قلته عني

فنحن به أيضًا مغرمون،(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ)[الواقعة:٦٧]، أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فوجودنا ووجوده متعانقان تعانق اللام بالألف من قولك: لا إله إلا الله. فافهم ما أشرنا إليه، فمن فهم لا من لا إله إلا الله وحدها، وأدرك ائتلاف اللام بالألف وارتباط التعانق بينهما، فقد علم علم الأولين والآخرين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد محمدي:

قال الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ) [الشورى:٥٢، ٥٣].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن هنا إشكالاً؛ لأن ظاهر الكلام: إنه لو لم يأته الروح الذي هو جبريل بالوحي من الله ما كان يدري ما الكتاب؛ أي: القرآن، ولا الإيمان، فقوله على هذا: (أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا)أي: أرسلنا إليك جبريل (مِّنْ أَمْرِنَا)[الشورى:٥٢] أي: بأمرنا، وحينئذ ما معنى قوله ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٤١٧] وما معنى قوله: «**ضرب الحق**

(٤١٧)

يده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين»(٤١٨) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه:١١٤] يناقض قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لأن قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ يقتضي أنه عالم بالقرآن بدون واسطة جبريل، وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ يقتضي أنه قبل ورود جبريل ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان، وحيث الأمر كذلك كيف كان يعبد الله في غار حراء قبل الرسالة؟ هل بلا كتاب ولا إيمان أم بكتاب وإيمان؟ إذ الذي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان بأي صورة يعبد الله؟! فلا يعبد الله عبادة(٤١٩) خلوة وفرار من الخلق وتجرد للحق وحده إلا مؤمن به عالم، وحينئذ فكيف يجمع بين الآيتين الكريمتين وهما: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

فاستعين بالله تعالى وأقول مستمدًا من حضرة الغيب موارد الفتوح والسبب اعلم ـ رحمك الله ـ أن الإيمان الساذج حقيقة الله تعالى لا شيء معها أزلاً وأبدًا، فكل مظهر فيها على السواء.

غاية الأمر أننا نقول: الحقيقة المحمدية لعلمه أزلاً وأبدًا بتلك النكتة؛ لأنه القائل: «**أنا نقطة الوجود المستمد مني كل موجود»**(٤٢٠) كما صحَّ ذلك عند أهل الكشف فانشقت الأسرار من سماء ذاته، وانفلقت الأنوار من أسمائه وصفاته، وكان نبيًا وآدم بين الماء والطين بمثابة قول الله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠]، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩]، فلم يزل محمد ﷺ في حقيقة الذاتية عنده بالعندية الذاتية فهو من عند ذاته لا من شيء زائد على ذاته وذاته هي أم الكتاب فذاته حقيقة محمد ﷺ، فهو النقطة الوجودية كما قال، وهو السراج المنير الذي أنار، وأظهر كل شيء كما وصفه الله، فلا غيرية بين لفظة الله وبين لفظة محمد ﷺ، بل أن الاسم الله اسم حقيّ من عالم الأمر، واسم محمد ﷺ اسم خلقي من عالم الخلق، ولرفع الوهم والتغاير قدم الله الخلق على الأمر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] ومعنى قوله ﷺ:

---

(٤١٨)

(٤١٩) أراد بالعبادة المبنية على التوحيد، فإن العبادة بلا توحيد عبادة المشركين، فلا تعود إلى الله، وإنما تعود إلى الآلهة الذين اتَّخذوها معبودين من دون الله، دلَّ على هذا تقديم المعمول الدال على القصر، فإذا كانت العبادة مخصوصة به تعالى؛ كانت الاستعانة أيضًا كذلك، إذ لا يستعين المرء إلا بمعبوده.

(٤٢٠)

«**أول ما خلق الله نوري**»[٤٢١] أن الله تعالى جرد من نفسه نفسه تجريدًا ذاتيًا ليقع الخطاب من نفسه لنفسه، فيثبت له اسم المتكلم واسم السميع، وإلا فلا متكلم ولا سميع في حضرة الذات، بل لا أسماء ولا صفات، وذلك بمثابة ما تجرد من نفسك نفسك مم تخاطب نفسك وتقول لنفسك في نفسك: يا فلان الأمر كذا وكذا، ثم تجيبك نفسك فتقول لك: إن كان الأمر كذا يلزم أن يحصل كذا، فمن هذه الحضرة ثبت الفرق فتقول نفسك المخاطبة عن نفسك الأولى: هو، وتقول الأولى عن نفسها: أنا، وتقول للمجردة منها: أنت، وتقول عن الجميع: الله أو محمد.

وقد ورد توحيد أنا، وتوحيد هو، وتوحيد أنت، فمن هنا، فافهم قوله تعالى: (**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ**) [الفتح:١٠] (**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**) [النساء:٨٠] فإن لم تصدِّق الله في كلامه، فماذا أصنع بك؟ اللهم أشهدك أني وكاتبه صدَّقتك باطنًا وظاهرًا سرًا وعلانية، فلنرجع إلى قوله تعالى: (**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا**) أي: وجَّهنا إليك روحًا (**مِّنْ أَمْرِنَا**) [الشورى:٥٢] أي: من روحنا التي هي ذاتنا.

ألا ترى قوله: (**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى**) [الحجر:٢٩] وروحه عينه لا غيره إلا أن النفخ في آدم نفخ ذاتي باعتبار الأسماء، والنفخ المحمدي الذي أفهمناك عنه نفخ ذاتي باعتبار الذات، فهذا معنى قوله: (**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا**) [الشورى:٥٢] وقوله: (**مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ**) [الشورى:٥٢] بمثابة قوله في الحديث القدسي: «**كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف**»[٤٢٢] فالوحي الروحي هو قوله: «**فأحببت أن أعرف**»[٤٢٣] وقوله: (**وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ**) [الشورى:٥٢] أي: الروح الذي أوحيناه إليك من عين ذاتنا نورًا، فالجاعل الله والمجعول هو النور، قال تعالى: (**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**) [النور:٣٥] فهو الجاعل المجعول، فلذلك اقترنا في الشهادتين والأمر واحد، فقوله تعالى: (**وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا**) [الشورى:٥٢] بمنزلة قوله في الحديث القدسي: «**فخلقت الخلق**»[٤٢٤] وقوله تعالى: (**نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا**) [الشورى:٥٢] بمنزلة قوله في الحديث القدسي: «**فبي عرفوني**»[٤٢٥] فإن فهمت هذا فلتفهم قوله في

---

(٤٢١)

(٤٢٢)

(٤٢٣)

(٤٢٤)

(٤٢٥)

الحديث القدسي: «**فخلقت الخلق**»[٤٢٦] تجريد نفس محمد من نفسه بالتجريد الذاتي الذي سبق، والإشارة إليه في قوله: «**فبي**» فإن عددها في الجمل هو عدد اسم محمد ﷺ، الخلق الذي خلقه الله هو حقيقة محمد ﷺ بلا زيادة ولا نقصان.

ألا ترى ما ورد: «**لولاك يا محمد ما خلقت سماءً ولا أرضًا**»[٤٢٧] أي: لو لم أجردك من ذاتي تجريدًا هو عين ذاتي في حضرة عينية ذاتية ما ظهر سماء ولا أرض ولا عرش ولا كرسي، بل ولا تميزت أسماء الله بالفرق عن بعضها بعضًا، ومن هنا تدرك قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ**) وهي عالم الأرواح (**وَٱلْأَرْضَ**) وهي عالم الأشباح (**كَانَتَا رَتْقًا**) أي: عينًا واحدة في الحضرة العينية الأحدية الذاتية (**فَفَتَقْنَٰهُمَا**) أي: ميزناهما بسبب التجريد المتقدم، **وَجَعَلْنَا**(**مِنَ ٱلْمَآءِ**)وهو حقيقة محمد ﷺ المتموج من بحر ذاتنا(**كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**)[الأنبياء:٣٠]، فليس كل شيء حيّ إلا حقيقة محمد ﷺ وهي الموجة الكبرى من تموج البحر الذاتي وبسببه ظهرت الأمواج كلها.

وهذا معنى قول الغوث سيدي أحمد بن إدريس قدَّس الله سره: اللهم صل على طامة الحقائق الكبرى، ومعنى قوله تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ**) [المائدة:٣٥] أي: إلى ذاته؛ لتتحققون بها الوسيلة، وهي حقيقة محمد ﷺ فهي الوسيلة لنا إلى هذا التحقق فقولنا: اللهم آته الوسيلة؛ أي: من حيثنا لنشاهد هذا التحقق الذاتي فينا، ويؤول لذلك قولنا اللهم صل على محمد؛ أي: فينا، كما قال: (**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ**) [الحجرات:٧] فالصلاة عليه صلاة علينا؛ أي: اللهم اكشف لنا عن وصلتنا به في حضرة الأحدية. فافهم.

والحاصل أن الحقيقة واحدة مراتبها أربع، فإن اعتبرت الأولى الله كانت الآخرة محمدًا ﷺ، وإن اعتبرت ظاهرًا فالباطن محمد، واعتبر الأمر بعكس ذلك فهما شهادة في الأذان، فلذا قال: (**رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ**) [البينة:٢] فافهم.

ولمَّا قال تعالى عن النور المحمدي الذي هو عين ذاته: (**وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ**) أي: بذلك النور المحمدي (**مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا**) أي: نكشفه لمن نشاء فيهتدي إليه في نفسه، خاطبه من حيث التجريد الذي أشرنا إليه فقال: (**وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**) [الشورى:٥٢] .

---

(٤٢٦)

(٤٢٧)

فخاطب نفسه المجردة من نفسه بقوله: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ) وهو صراط أحدية ذات الله، ولذا قال: (صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ) [الشورى:٥٣] أي: كل ما فيها مظاهره، وهو الظاهر فقوله:(لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ) أي: لذاته ولذا قال: (أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ) [الشورى:٥٣]أي: تنكشف الأمور أنها إلى الله، أي: إلى ذاته؛ إذ لا زائد على ذاته وهي عند أهل الكشف صائرة إليه، وكذلك عند أهل الإيمان الصرف الذين يشربون بالعين لا بالكأس الممزوج.

واعلم أن الغوث الكامل سيدي عبد الكريم الجيلي تكلم على آية هذا الوارد في باب الروح من «الإنسان الكامل» في المناسبة، ولكن لا من المقام الذاتي إلا أنه فتح الباب ﵁ فأدخلنا لما هو إليه داخل، فاستمددنا مما استمد منه أصالة وهو حضرة محمد ﷺ وقلنا ما قلنا، فكان هو المنبه ﵁ وشكر الله سعيه.

وإذا تحققت ما تقدم علمت أن الوحي مراتب:

الوحي الروحي بالمعنى المتقدم، ولولاه ما كان يدري ﷺ ما الكتاب وما الإيمان.

ووحي علمي: وهو إما إجمالي، ومنه قال تعالى: (فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ) [النجم:١٠]، وهذا بلا واسطة جبريل ﵇؛ لأنه تَخَّلف عنه عند سدرة المنتهى، وقال: «**وما منّا إلا له مقام معلوم**»[٤٢٨] ومن هذا الوحي يستمد جبريل باطنًا منه ﷺ كما ورد: «**منك وإليك**»، وفي هذا المعنى قيل:

كـالبحر يسـقيه السـحاب ومالــه   فضــل عليــه لأنــه مــن مائــه

ومن هذا المعنى قال تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ) [طه:١١٤].

أو تفصيلي على حسب الوقائع، وهو مرجع قوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ) [الشعراء:١٩٣- ١٩٤] فقال له: ( )ٱقْرَأْ فقال: «**ما أنا بقارئ**»[٤٢٩]؛ لأن القراءة أمر كسبي في المعتاد، وما تعود إلا الوهب من الله بلا واسطة.

ومن أنواع الوحي: الإلهام، قال تعالى: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ) [النحل:٦٨] ومنه: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ) [القصص:٧]، وأما مريم عليها السلام وآسية امرأة فرعون فهما كاملتان كما أفاده رسول الله ﷺ.

---

(٤٢٨)

(٤٢٩)

واعلم ـ رحمك الله ـ أننا استفدنا من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا﴾ [الشورى:٥٢] أن جميع الأرواح مظاهر روحه، ولذلك تجلّت روحه في صورة الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ وإلا ما كان ينبغي له أن يقول لموسى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا﴾ [الكهف:٧٠]؛ لأن المرتبة لموسى، فإنه الرسول المتبوع، والمتبوع لا يكون متبعًا.

ألا ترى قوله ﷺ: «**يرحم الله أخي موسى لو صبر لقص الله علينا من أمرهما**»[٤٣٠] فجعل الخضر هو المتبوع، وما ذاك إلا؛ لأنه تجلت له روح خاتم النبيين الذي له النبوة بالأصالة وآدم بين الماء والطين، فهو فرد، والوجود في النبوة وحده والكل نواب وإذا حضر الأصيل، فلو حكم للنائب وهذا من إمداد الروح المحمدي لنا فإني أخذت هذا المعنى من قلب محمد ﷺ، والحمد لله رب العالمين

وفي النفس شيء لا أبوح بذكره ولو قُطّعت مني المفاصل والكلى

وارد:

سألني الولد القلبي السيد كمال شعلان ـ فتح الله عليه ـ عن الحديث الصحيح وهو: أن النبي ﷺ مر على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ ﷺ جريدة نخل رطبة فشقها نصفين، ووضع كل نصف على قبر، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٤٣١].

فقال: عجبًا إن المصطفى ﷺ راعى جانب الجسم الترابي ووضع على القبر جسمًا نباتيًا أصله من التراب وهو جريدة النخل، ولم يراع جانب الروح للميت، والروح ليست منحصرة في القبر، ولو راعى الروح لوهبها ما هو روح: كالقرآن، والقرآن سماوي فيتبع الروح أينما كانت، فلماذا راعى الجسم الأرضي الذي بلي وعاء وترابًا ووضع عليه جريدة النخل؟ ومن المعلوم أن التراب لا يُعذب ولا يستحق العذاب، فأين هو الذي كان يمشي بالنميمة والذي كان لا يستبرئ من البول وهو المعذب؟ فإن كان في السماء فماذا تنفعه جريدة النخل؟ وإن كان في الأرض فقد زالت الصورة الإنسانية وصارت ترابًا، والعذاب لا يقع على التراب مع أن خبر النبي ﷺ أن صاحبي القبرين يُعذبان، فحينئذ أين يعذبان؟ وما نرى في قبريهما إلا التراب وجريد النخل ليس موضوعًا إلا فوق التراب، فأين هو

---

(٤٣٠)

(٤٣١)

الإنسان المعذب؟ هل بُعث من قبره وصار في جهنم؟ أم كيف الأمر؟! فحيرني في هذا السؤال ولم يخطر لي إلا ما وقع مع موسى ؑ من أنه كان يرى ظاهر العصا، ولم يدرك الباطن من الظاهر، فلما قال الله له: (أَلْقِهَا) [طه:١٩] يشير له أن يجاوز النظر عن ظاهرها؛ لأنه ما سماها إلا بالعصا لما سأله الحق: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ) [طه:١٧]، فقال: (هِيَ عَصَايَ) [طه:١٨]، فلم يعرف لها إلا هذا الاسم، فأراد الله أن ينبّهه على شهود الحياة الإلهية في تلك العصا، وإذا شهد بها الحياة الإلهية علم أنها المسماة بجميع الأسماء وانتبه أن كل شيء يُرى من كل شيء، وأن كل شيء يُسمى باسم كل شيء وهذا مشهد محمد ﷺ بما فعل، فإنه متحقق أن الميت الذي هو الصورة الإنسانية باطنة في التراب الذي استحالت إليه فلم يحجبه وجود الظاهر عن وجود الباطن، فصورة صاحب القبر المعذب حاضرة لديه، فرآه بعينه فلان بن فلان في حفرة جهنمية بمجرد أن رأى تربته فلم يحجبه رؤية عن رؤية؛ لأنه يرى الباطن من الظاهر والظاهر من الباطن كما يرى الحق من الخلق والخلق من الحق فتحقق معنى قوله تعالى: (يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ) [يونس:٣١] أي: يخرج لأهل المشاهدة فعلمت ما معنى حياة الشهداء، وعلمت ما معنى البعث والحشر والنشر والعذاب، وفهمت قول الشيخ الأكبر لما أجاب سؤال الحكيم الترمذي ما معنى: (أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) [النحل:٧٧] فقال: المعنى أن الموت عين البعث عين دخول الجنة أو النار، وعلمت أن الميت له صور فيكون صورة البشر، وفي تلك الحالة هو حجر في جهنم، وعلمت حقيقة سؤال الملكين للميت وحقيقة الجواب مع أن الميت ميت، ففهمت أن الميت الذي يجلس ويُسأل ويجيب هو باطن هذا الميت الذي لا يتكلم، فلروحه صورتان: صورة باطنة، وصورة ظاهرة، كما أن له مثلاً صورتين: صورة في الجنة أو النار وصورة في القبر، وكذلك القبر له صورة الروضة في حق المحسن، وصورة الحفرة في حق المسيء، والقبر عندنا هو هو، ومن هذا تحققت أن لكل ميت جمعًا وفرقًا، فمن جهة الفرق لا يشارك مقامه أحدًا، وذلك قوله تعالى: (وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا) [مريم:٩٥]، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الأنعام:٩٤، وكذا قوله ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٤٣٢] فلكل ميت قيامة خاصة به من جهة الفرق، وأما من جهة الجمع فقيامة كل ميت عين قيامة العالم على الإطلاق، ولهذا نقول: رسول الله ﷺ هو مع كل ميت في مشاهدة مع أنه منفرد في مقامه الخاص به عند الله، فهو مع نفسه الصورة فرقًا ومع كل

---

(٤٣٢)

شيء جمعًا، فمن حيث الجمع قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾ [التغابن:٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩، ٥٠]، أي: إلى المشهد الباطني ولم يقل: في ميقات يوم معلوم؛ ليقيد تعالى أن المجموعتين منهم السابق إلى الميقات ومنهم المسبوق.

فإن فهمت ما ذكرناه فهمت قوله ﷺ: «**دخلت النار امرأة في هرة حبستها**»[٤٣٣] مع أن تلك المرأة هي في قبرها جسم بالي عاد ترابًا، فهي تراب في عين كونها في العذاب، فسبحان من يخرج الميت من الحي ويخرج الحي من الميت! فالساعة قائمة ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٧٨] ووقت الجلاء لبقية الخلق، حتى لا يبقى في الأرض من يقول: الله الله، فأمارات الساعة للجلاء لا إلى وجودها، ولذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ [غافر:٥٩]، واسم الفاعل للماضي كما تقول: زيد كاتب وزيد عالم، فجزا الله عنا هذا الأخ الذي فتح بسؤاله دار الحكمة خير الجزاء، والله الموفق.

وارد: الزينة الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله تعالى ألهمني أن زينته ظهوره في المظاهر التي هي صور الوجود الظاهرة، فهذه الصور الظاهرة هي زينة الله التي ظهر بها، فأبى علماء العقل أن يثبتوا ذلك وقالوا: كل ظاهر محدث، والله قديم فحرموا ذلك على الله، فأمر الله محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف:٣٢]، أي: أظهرها لعباده ونسبها إليهم باسم فلان وفلان حتى ظنوا أن هذا الوجود لهم وكفروه، أي: ستروه بهم ولم يعلموا أن المستور حينئذ هو هم، فما ستروا بأنفسهم إلا أنفسهم، فما وافقوه في قوله: «**فأحببت أن أعرف**»[٤٣٤] فكرهوا ما أحبه الله فعرّفهم أنه عينهم وقال: ما سترتم إلا أنفسكم في حقيقة الأمر، ولذلك قال في القرآن العظيم: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الروم:٤٤] أي: من كفر صور العالم باسم الخلق، ولم يقل: هي الحق، فهو الحق المكنوز فقد ظلم نفسه وأضاعها

---

(٤٣٣)

(٤٣٤)

وجهلها، وهذه حال أهل الأفكار لأهل الإيمان، فحُجِبوا بالحدوث الظاهر عن الوجود الباطن، ولم يشعروا ببطونهم أولاً في حقيقته العظمى، ولم ينتبهوا أنهم عين كنزه الأسمى الذي قال في حقه: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف**»[٤٣٥] فلما ظهر هذا الكنز ما كان إلا هم لا غيرهم، ولذلك قال: «**فخلقت الخلق**»[٤٣٦] فالخلق هو ذلك الكنز المخفي، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره**»[٤٣٧] فالظلمة بطون مظاهره والنور تجليه بتلك الصور التي هي المظاهر.

فالمراد بخلق الله: الخلق في الظلمة إبطان الصور في الأسماء الإلهية، فالمخلوق باطن في الخلاق والمرزوق باطن في الرزاق، فما كان كنزًا مخفيًا إلا باعتبار أنه عين صور المخلوقات، فلما أحب أن يعرف بلا جهل سابق فتح الحب الإلهي هذا الكنز المخفي فظهر الأمر المكنوز، وهو الذي نسميه بالمخلوقات، فنحن جوهر ذلك الكنز، ولذا قال: «**فخلقت الخلق**»[٤٣٨] فما عرف إلا بنفسه؛ لأنه هو الظاهر من ذلك الكنز كما أنه الباطن، فهو الكنز والمكنوز وإلا لم يَصدُق قوله: (**إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ**) [العنكبوت:٦]، ويلزم أن يكون محتاجًا في معرفته إلى خلق الخلق، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا فهو عين العالمين.

لو افتقر إليهم لكان فقره إلى نفسه لا كما زعمت اليهود لمَّا سمعوا قوله تعالى: (**مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**) [الحديد:١١]، فقالوا: (**إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**) [آل عمران:١٨١]، فقد أشركوا بذلك ولعنوا بما قالوا حيث جعلوا الفقر المكروه لله، والغنى المحبوب لأنفسهم، فما أجهلهم بمعرفة الله! ولو قالوا: إن صور الحق تفتقر لبعضها بعضًا لصدقوا بذلك، قال ﷺ: «**لله ما أخذ ولله ما أعطى**»[٤٣٩] فجعل عين الأخذ وعين المعطى، ومعلوم أنه لا يكون أخذ وإعطاء إلا بسبب الصور، فمن هذه الصور وُصف تعالى بالاستواء على العرش وبالنزول من العرش إلى سماء الدنيا، ووُصف أيضًا بالجوع والظمأ، والمرض والاستقراض، والفرح والعجب، والضحك والملل والنسيان، وإنه يؤذى وإنه يصبر، إلى أن قالت اليهود: (**إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**) [آل عمران:١٨١]، فلو

---

(٤٣٥)

(٤٣٦)

(٤٣٧)

(٤٣٨)

(٤٣٩)

قالوا: الغني هو والفقير هو لما كفروا بذلك؛ لأن الله قال عن نفسه: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ) [الحديد:٣]، فما أشرك اليهود إلا بقولهم (وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ) [آل عمران:١٨١]، وكذا قولهم: (نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ) [المائدة:١٨]، فلو قالوا: وله كل شيء كما في القرآن لأصابوا.

وأما النصارى فقالوا بتثليث الناسوت وتوحيد اللاهوت، فأين هم من قول الله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]؟ فالمحققون في شهود الله الوجود جميعه عندهم لاهوت، والناسوت حكم عقلي لا عيني وجودي، بل كل صورة في الوجود عين حقيقة الحق الباطن المنزّه، فزعم الجهلاء أن العالم الصوري حادث مشبه فحرموا على الله تعالى الذي: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ) [الشورى:١١] أن يظهر بهذه الصور الظاهرة؛ لأنها عندهم مشبهة، ولم يعلموا أن الله ـ وإن ظهر في الصور المقيَّدة المشبَّهة ـ هو باق على إطلاقه وتنزيهه، فهو عين الوجود وزينة الوجود وهذه الصور؛ لأن الظاهر لا يظهر إلا بها فهي(زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ) أي: أظهرها من حقيقة ذاته (لِعِبَادِهِ) [الأعراف:٣٢] أي: لأجل ظهور عباده من نفسه والطيبات من الرزق، ولا أطيب من العلم بالله تعالى ومن جملة ما رزقنا إياه أسمائه التي حلانا بها وهي عين المسمى، فوجوده رزقنا وغذائنا، وشرابنا ولباسنا، فهو زينتنا كما أننا زينته، وفي التحقيق هو زينة نفسه؛ لأنه الأحد بكل وجه وبكل اعتبار ثم أخبر تعالى عن هذه الزينة والطيبات من الرزق: إنها للذين أمنوا في الحياة الدنيا، فحياتنا الدنيا ظهوره في صورنا، فهو حياتنا الدنيا وهو زينتنا، ولا رزق أطيب لنا منه، وذلك للذين آمنوا في الحياة الدنيا لولا نزاع المؤلين من أهل الأفكار المنزهين له عن التجلي بالصور، فلم يفهموا زينة الله، ما هي؟ ولذا قال تعالى: (خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) [الأعراف:٣٢] أي: بلا نزاع؛ لأنه يوم كشف الساق كما كانت قيامة الملائكة سجودهم لآدم، فيتجّلى تارةً في ظلل من الغمام، وتارةً بصورة يقتضيها المقام، وتارةً بصورة يتعوذ منها، وتارةً بصورة يقربها، ويُقال: أنت ربنا، وتارة بصورة كصورة القمر ليلة البدر والشمس ليس دونها سحاب، وتارة بصورة البشر ويصافح عباده ويسلم عليهم ويأخذ بيدهم إلى الجنة ـ كما رواه ابن ماجة ـ حيث قال: «**أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة**»[٤٤٠] فرحم الله عمر، لابد أن يقول، كما قال جبريل: «منك وإليك»، وهذه الظهورات هي تفصيل الآيات، ولذا تمَّم تعالى بقوله: (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأعراف:٣٢]، أي: يعلمون في المستقبل، وأما

---

(٤٤٠)

أهله فهم العالمون بحقيقة الجمع والتفصيل، فدنياهم ظهوره وأخراهم بطونه، فالظاهر يبطن والباطن يظهر، والآخر يتقدم والأول يتأخر وهكذا، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد المتقين:

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤،٥٥].

اعلم - رحمك الله - أن المتقين[٤٤١] هم الذين جعلوا الله وقاية عنهم في أولهم وآخرهم وظاهرهم وباطنهم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: من خلقية عباده ﴿وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد:٣٩]، أي: يثبت حقيته كما محا محمدًا ﷺ وأثبت نفسه بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، فإذا ناديت واحدًا من هؤلاء المتقين أجابك الله: لبيك؛ لأن ذلك المُسمى بفلان محيي، وكان الله به عوضًا عنه، فهو تعالى حينئذ في جنات من قولهم:استجن إذا استتر يعني: إنه تعالى استجن أي: استتر في صورهم، فمن طلب الحق فليطلبه منهم، كما في حديث: «**لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**»[٤٤٢] وفي رواية: «**كنته**»[٤٤٣]، فهو تعالى من حيثهم في جنات وهي صورهم الظاهرة ونهر أي: نهر جار فيهم، وهو باطنهم الذي هو الحقيقة المحمدية، وماء هذا النهر الذي هو الحقيقة المحمدية ذات الله تعالى، ومن هذا الماء كل شيء حي؛ لأن حياة الله جلَّ وعلا.

فالمتقي على هذا هو اسم الله الحي الذي لا يموت، فلذا نقول بأن حياة محمد ﷺ لم تزل ولكن بُدلت، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فبدّل الجسم المحمدي بجسم ساري في جميع الأجسام وبروح سارية بجميع الأرواح، ولهذا

---

(441) وقد وصف الله سبحانه منازل المتقين الذين أقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبة، وخرجوا مما دونه من البرية، وتلك المنازل عالم بالمشاهدة ومقامات العندية جنانها رفارف الإنسان، وأنهارها أنوار القدس، أجلسهم الله في بساط الزلفى المداناة التي لا يتغير صاحبها بعلة القهر، ولا يزول عنها السر والحجاب؛ لذلك سماه مقعد صدق أي: محل كرامة دائمة وقربة قائمة ومواصلة سرمدية.

قال جعفر: مدح المكان بالصدق، فلا تقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد أوليائه بأن يبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم.

(٤٤٢)

(٤٤٣)

تُعرض عليه أعمالنا ويرد على من سَلّم عليه السلام من جميع أقطار السماوات والأرض، وهذا المعنى لا ينافي حياة جسمه الذي رآه أبو بكر وعمر ﷺ؛ لأن نشأة الاسم الآخر لا تنافي عند أهل الحقائق نشأة الاسم الأول، كما ورد عن ابن عباس «**إن في كل أرض من الأرضين السبع عالمًا هم أمثالنا حتى أن فيهم ابن عباس مثلي**»(٤٤٤) وهذا هو مقعد الصدق، فالمتقي في مقعد الصدق؛ أي: يصدق عليه القعود في كل مكان؛ لأنه مظهر من أخبر عن نفسه أنه معنا أينما كنا عند مليك مقتدر، وهو من ملك الأسماء الإلهية فتصرف بها تصرف المُسمي، ولا مُسمي إلا هو، فالمتقي هو كما قال تعالى: (**هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ**) [المدثر:٥٦]، ولذلك وصف تعالى المليك بقوله: (**مُّقْتَدِرٍ**)، ومن هذا المعنى ينادي التلامذة مشايخهم فيجيبونهم إذا افتقدوا هذا المعنى في شيوخهم، فإجابتهم للمعتقد هي إجابة الله بعينها من اسمه المجيب، كما قال تعالى: (**أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ**) [الأنعام:٤٠،٤١]، فمن نادى النبي ﷺ أو أحدًا من الأكابر واعتقد أن المجيب هو الله القائل:(**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**)، فما أشرك بالله حينئذ؛ لأن هذا المعنى لا تدركه الطائفة الوهابية الذين يقولون: النبي أو الأولياء لا يغيثون أحدًا بعد وفاتهم بل المغيث هو الله، ونحن نقول: المغيث هو الله على كل حال، ولو نادينا أهل السماء والأرض وطلبنا منهم الحاجات فما أجابنا إلا الله ولا قضى حاجتنا إلا الله.

ومن هذا المعنى قال تعالى: (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ**) [الأنفال:١٧]، فالرامي هو الله في صورة محمدية؛ لأن المسمى عندنا بمحمد ﷺ هو الله، فلا فرق عندنا بين أن نقول: الله رمى أو محمد رمى؛ لأن الأسمين عندنا لحقيقة واحدة، غاية الأمر أن الله اسم لباطن محمد ومحمد اسم لظاهره والباطن والظاهر هو الله، وعلى هذا بُني توحيدنا، فمعنى لا إله إلا الله عندنا: لا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن إلا الله، فاندرج عندنا محمد رسول الله في بحر لا إله إلا الله، بل هو عندنا عين ذاك البحر، فافهم وتحقق.

إذا علمت ذلك علمت صحة ما قاله بعض الصادقين من السادات النقشبندية لأستاذه: يا سيدي، الذي أستفيده منكم أستفيده من كل شجر وحجر، وهذا الرجل شهد سر أستاذه ساريًا في الأشجار والأحجار، وصحَّ بهذا المعنى قول أبي العباس المرسي: لو احتجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين، فهو يريد معنى رسول الله ﷺ لا صورته الكريمة؛ لأنه لو أراد الصورة لكان مُخلًا بالأدب؛ إذ من المعلوم أنه كان يمكث في بيت الخلاء لقضاء الحاجة، وفي هذا الموطن لا تناسب رؤيته لصورته الكريمة ﷺ وأما

---

(٤٤٤)

معناه: فمن المعلوم أن كل شيء أصله من النور المحمدي، فباطن كل شيء هو نور محمد ﷺ وباطن نور محمد ﷺ قلت: الله تعالى، فالنور المحمدي ظاهر الذات الإلهية والنور الإلهي باطن الحقيقة المحمدية، فلما أحب أن يعرف ظهر ما كان باطنًا والأمر هو هو، فما عرف إلا بنفسه نور باطن على نور ظاهر، يهدي الله لنوره الأحدي الذاتي من يشاء، فالظاهر عين الباطن والأول عين الآخر.

تنبيه:

قوله تعالى: (عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر:٥٥]، وقوله في الفاتحة: (مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) [الفاتحة:٤]، معنى واحد؛ لأن الملك يوم الدين مقتدر على ما يشاء[٤٤٥]، ولكن هنا نكتة ينبغي أن يُنتبه لها وهي: أن الموصوف في الفاتحة بأنه (مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) هو الرحيم، والرحيم صفة محمد ﷺ، قال تعالى في حقه: (بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة:١٢٨]، فوُصف هذا الرحيم بأنه مالك يوم الدين حتى أن ميم الرحيم تُدغم في ميم مالك يوم الدين، فتكون الميمان ميمًا واحدة على قراءة الإدغام، فالميمان: هما الميمان المذكوران في اسم محمد ﷺ والحاء: حاء رحمته المذكورة في قوله: (ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [الفاتحة:٣]، والدال: دلالته في قوله تعالى: (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة:٦]، فالمليك المقتدر هو: محمد ﷺ، فإن قلتَ: قد وصفت محمدًا ﷺ بأنه هو مالك يوم الدين، فهل وافقك أحد على ذلك، قلتُ: نعم.

قال الشيخ الأكبر ﷺ في الباب الخامس من كتابه «الفتوحات المكية»: في أسرار (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) والفاتحة في الكلام على مالك يوم الدين، والمالك في هذا اليوم من حقّت له الشفاعة واختُص بها، ولم يقل: نفسي، وقال: أمتي، فإن قلت: ما دليلك على أن المقصود بالمليك المقتدر هو محمد ﷺ ؟

أقول: دليلي عندية المكان المذكورة في قوله تعالى: (عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر:٥٥]؛ لأن هذه العندية تستلزم ظهور الحق بالصورة، ولا صورة في الوجود أكمل من صورة محمد ﷺ فهو صورة الله الكاملة من جهة الاسم الأعظم الذي هو الله، فكيف لا

---

(٤٤٥) وفيه إشارة إلى أن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى ليس لغيره في ذلك الملك يد إلا بطريق الخلافة والعارية، فإن الدين المجازاة، وهو جارية في الدّارين، فهو تعالى مالك يوم الدنيا، ويوم الآخرة، ومالك المجازاة فيهما، فظهر إن قيامة العارفين دائمة؛ لكونهم مع الله تعالى في كل نَفس من الأنفاس، ومحاسبون أنفسهم في كل لحظة من لحظات، فهم مملوكون لله تعالى؛ لأنهم أحرار عمَّا سواه تعالى، وقائمون لربهم بالخدمة في كل حين.

يكون صورته من جهة أنه مليك مقتدر؟! فلو كان الحق يظهر في الآخرة بمقتضى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولم يُوصف بأن له عندية بل أنه تعالى جعل نفسه شفيعًا آخر الشفعاء من جهة اسمه أرحم الراحمين.

ألا ترى ما قاله ﷺ من أنه يقول: «**يوم الدين شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين**»[٤٤٦] فيقتضي الحديث أن أول الشفعاء الملائكة وآخرهم أرحم الراحمين، فإن قلت: في هذا الحديث إشكالان:

الأول: تقديم شفاعة الملائكة مع أن المقرر المشهور: إنه لا يفتح باب الشفاعة إلا محمد ﷺ.

والإشكال الثاني: إن وصف الحق بالشفاعة من كونه أرحم الراحمين يقتضي أن له صورة خاصة موصوفة بكونها أرحم الراحمين، وأنت قلت: أكمل صورة لله صورة محمد ﷺ، وإذا قلنا بأن المراد صورة محمد ﷺ فهي داخلة في النبيين، فحينئذ لا محل لذكر أرحم الراحمين؛ لأن الأمر يتكرر، أقول: إن محمدًا ﷺ هو حقيقة وجود الملائكة والنبيين والمؤمنين، فله شفاعة ملكية من جهة كونه روح الأرواح.

قال ﷺ: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[٤٤٧] فشفاعته في هذا المقام هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨] والذي أذن له الرحمن هو الروح الأعظم المحمدي، فيفتح باب الشفاعة للملائكة من كونه هو الروح المقدم، وهو حقيقة الملائكة من كونه سراجًا منيرًا.

وأما شفاعته النبوية ﷺ فلأنه الأصل في النبوة، والأنبياء نوابه، فشفاعتهم مندرجة في شفاعته؛ إذ هو الممد للجميع حيث كان نبيًا وآدم بين الماء والطين.

وأما شفاعته الإيمانية في كل مؤمن فلأن النبوة معدن الإيمان؛ إذ لولا النبوة لم يكن إيمان، فالأصل في النبوة هو الأصل في الإيمان.

وأما شفاعة أرحم الراحمين فهي شفاعة الأسماء الإلهية والاسم الإلهي معنى من المعاني فلا يتحقق المعنى إلا بمظهر، ومحمد ﷺ من جهة حقيقته النورانية هو المظهر

---

(٤٤٦)

(٤٤٧)

الذاتي، فصورته الكريمة هي صورة أرحم الراحمين، بل صورة الاسم الجامع وهو الله المندرج فيه أرحم الراحمين، وجميع الأسماء الإلهية والكونية.

فإن قلت: إن أرحم الراحمين هو صاحب الحق وهو أحكم الحاكمين فعند من يشفع؟ وهل يكون الحاكم الملتجأ إليه شافعًا مع أنه هو المشفوع عنده؟ فنقول: هذه الشفاعة هي شفاعة الوجود الإلهي فمعناها: انكشاف الظاهر في المظاهر فيرحم أرحم الراحمين نفسه في هذه المظاهر؛ لأن ما يقع عليها يقع عليه.

ألا ترى قوله تعالى: **(وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا)** [مريم:٧١] ثم قال: **(كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا)** [مريم:٧١]، وإذا حصل تجلي أرحم الراحمين من مالك يوم الدين الذي هو على ما يشاء قدير لم يبق عذاب على مظاهر أرحم الراحمين، فيشفع لنفسه عند اسمه الجبار المنتقم فيتحول جبره وانتقامه رحمة، وهذا معنى ولوج الجمل في سم الخياط؛ لأن الانتقام بالنسبة إلى الرحمة دون سم الخياط بالنسبة إلى الجمل فيولج الرحمة في الانتقام، كما يولج الليل في النهار، والنهار في الليل، فيولج الجنة في النار، بل يضع قدم جبره في النار، فتُجبر على الخمود وتمتلئ رحمة، كما قال لنا إبراهيمعليه السلام: **(كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ)** [الأنبياء:٦٩] ووضع القدم يستلزم الصورة ولا أكمل من صورة محمد ﷺ فهو من كونه خاتم النبيين صورة الشفيع، ومن كونه أرحم الراحمين هو الحق البديع فهو **(بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)** [البقرة:١١٧] أي: المبدع، والمبدع بكسر الدال وفتحها فهو الوجود ورحمة العالمين أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وهو «**أول من يقرع باب الجنة**»[٤٤٨] كما ورد مع أنه «**لا يدخلها حتى تدخلها أمته**»[٤٤٩] كما ورد أيضًا، وإذا تخلف عن الجنة أحد من مظاهر نوره فلا يقال فيه أنه دخلها.

ألا ترى قوله تعالى: **(طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ)** [طه:١،٢] أي: يا طاهر الحقيقة المقدسة ما جعلناك مظهر ذاتنا وأسمائنا ليدوم على مظاهر حقيقتك شقاء العذاب بسبب وجود الحجاب، بل لابد من الانقلاب إلينا، فأنت صاحب الرتبة في كل مظهر من مظاهر حقيقتك الطاهرة النورانية، ولذلك قال: **(إِلَّا تَذۡكِرَةً)** [طه:٣] أي: إلا تذكرة للمظاهر، إنك أنت فيهم الظاهر، قال الله تعالى: **(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ)**، وهل يخلو النور المحمدي من شيء؟ أليس قد خلق منه الجنة والنار؟ فتنقلب النار نوراً كما قال تعالى: **(وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ)** [العنكبوت:٢١]، فما في الوجود إلا الله فاعتبروا

---

(٤٤٨)

(٤٤٩)

يا أولي الأبصار، ولتفرحوا بفضل الله ورحمته وفضله أن ظهر بكم بذاته وأسمائه، فتمايلوا به طربًا وتيهوا به عجبًا، ودندنوا في حان الشراب، وشاهدوه واسمعوا منه الخطاب، فيا عجبًا لمحب يبكي على المحبوب، مع أنه هو الطالب والمطلوب، قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل.

وقد جذبناك إلى الحضرة الأنسية إن كنت نديم المعاني الإلهية وإلا فلا تدخل لأن الله قال: (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة:١٨٥]، فمن كان من أهل الجحود لا يكون من أهل الشهود.

وتدبر قول السيد مصطفى البكري قدّس سره:

وادخـــل للحـــان خليلـــي ومـــل نحـــو الخمـــار أبـــي الســـرج

فألجأ إلى السراج الأعظم المنير فهو أبو السرج كلها

وكلهـم مــن رســول الله ملــتمس غرفًا من البحر أو رشفًا من اليم

وتحقق معنى قولك: اللهم صل على محمد وآته الوسيلة والفضيلة، تجد محمدًا في ذاتك ومدلول أسمائك وصفاتك، وقد نصحناك غاية النصيحة، وما بعد عبادات قربة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: (سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)[٤٥٠] [الإسراء:١] سبح الله نفسه بهذا الإسراء لاقتضائه من أسرى، ومن أسري به، ولاقتضاء المنزل والمكان إشعارًا بأن ذلك لا ينافي الأحدية، ولكن إنما هي اعتبارات حكمية لا وجود عيني.

قال لي الوارد: سُبْحَـٰنَ(ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ)بِعَبْدِهِ إلى عبده، وأراه أن الآيات التي هي مظاهر الوجود من عنده فهي تدور على حقيقة الوجودية العينية الذاتية، كما تدور الرحى على قطبها، وكما يدور الطائفون حول الكعبة المشرفة، فالقطب والكعبة حقيقة محمد ﷺ،

---

(450) في هذه الآية أربع إشارات: إشارة التقديس، وإشارة الغيرة، وإشارة الغيب، وإشارة السرِّ، فأما إشارة) أي: منــزَّهٌ عن إشارة الجهات والأماكن في الفوقية، وما يتوهم إليه الخلق أنَّه إذا سُبْحَـٰنَالتقديس فقوله: (وصل عبده إلى وراء الوراء إنه كان في مكان، أي: لا تتوهموا برفع عبده إلى ملكوت السماوات إنه رفع إلى مكان، أو هو في مكان، فإنَّ الأكوان والمكان أقل من خردلةٍ في وادي قدرته.

فهي المسجد الحرام بصورتها، وهو الجسم المحمدي، وهي المسجد الأقصى بباطنها الذي هو الحقيقة النورانية الإلهية المحمدية، وهذا الإسراء ﴿لَيۡلٗا﴾؛ أي: في مراتب الغيب؛ لأن محمدًا ﷺ وإن ظهر شهادة بصورته الكريمة فهو غيب، فجسمه نور، ولهذا كان يرى من وراء ظهره، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ويمشي في الشمس ولا ظل له.

وقوله: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ لم يقل: في المسجد الأقصى باركنا فيه أو عليه بل قال: ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ إشارة إلى أن المسجد الأقصى الذي هو باطن محمد ﷺ هو نقطة الوجود وقطبه، وكعبة الوجود، الذي تدور حوله جميع المظاهر المباركة؛ أي: الكثيرة؛ إذ المظاهر صور، والصور لا تدور إلا على حقيقة وجودها؛ لأن دورها هو السير في المراتب الأربعة التي هي: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، وهذه المراتب كعبة وجودها هو الهُويّة، ولذلك قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: لنري محمدًا ﷺ نفسه التي هي عين الهُويِّة من آياتنا التي هي مظاهر الوجود، فيرى نفسه أنه هو الظاهر بتلك المظاهر، فالقائل لنريه جميع الأسماء الإلهية الدالة على حقيقته؛ أي: لنرى ظاهره باطنه اللاهوتي من آياتنا؛ أي: من كل مظهر يراه في هذا الإسراء، فيرى أن كل مرئي هو عينه.

ولذا قال في حق إسرائه الله أنه: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ ﴾ [النجم:١٧] أي: عن نفسه؛ لأنه الرائي كما أنه المرئي، والمراد هنا بالبصر: ذات محمد ﷺ، فإن جميعها بصر، فهو يبصر بجميع ذاته ويسمع كذلك، ولذلك أرجع الأسماء الإلهية إليه فقال: إنه؛ أي: محمد ﷺ هو السميع البصير، وحيث كان هو المسمى بالسميع البصير فالإسراء منه إليه، فقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] أي: بعبد هويته، والمسمى بالعبد هو الصورة الظاهرة، فالمعنى: سبحان الذي أسرى بصورة هويته الكاملة الجامعة المسماة بعبده، فالمسري بها الرب الباطن، وهو حقيقة تلك الصورة، فالصورة هي اسم الله الأعظم المسمى بعبده، والرب الباطن هو مسمى ذلك الاسم، وهو معنى الاسم الأعظم الذي هو الله.

ألا ترى قوله ﷺ: «**فإذا أنا بآدم...، فإذا أنا بعيسى...، فإذا أنا بيوسف**...»(٤٥١) أي: حقيقتي هي الظاهرة بتلك الصور، ولما انتهى قيل له: قف إن ربك يصلي؛ أي: اتصل الرب الباطن بالعبد الظاهر، فأين تذهبون وهو الذاهب بكم؟ وهو عين الطريق وهو عين المنزل المرتحل منه، وهو عين المرحول إليه، ولهذا السر نقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] ولا نقول: اهدنا إليك؛ لأننا معه من أول قدم ولم نفارقه حتى نهتدي

---

(٤٥١)

إليه؛ إذ ما غاب عنا، ولكن نطلب هداية الصراط المستقيم، وهو طريق الشرع المطهر طريق المنعم عليهم وهو سلوكهم في الأسماء الإلهية؛ للترقي في الأسماء والتحقق بها، وإلا فذات الله تعالى؛ أي: وجوده المطلق هو الساري في المعاني والصور، وهو الظاهر في عين بطونه، فما استتر وباطن في عين ظهوره، فما ظهر فالعين واحدة والحكم مختلف، ويشهد العلم ما لا يشهد البصر؛ إذ البصر يقول: رأيت رأيت، والعلم يقول: ما رآه إلا هو.

ولذلك قال الشيخ الأكبر بلسان الحضرة الإلهية:

لو ظهرنا للشيء كان سوانا وسوانا ما تم أي الظهور

ولذا قال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير:٢٦] إذ ما غاب حتى تذهبوا إليه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤] فهو تعالى ذكرنا، فنحن مدلول ذكره، فإذا ذكر فنحن المذكورون، ولذا قال بعضهم: كن أنت المعروف لا تكن العارف.

قيل لبعض أهل هذا المشهد عند موته: اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فقال: هي تقرأني، أي: أنا مدلولها، وقد ذكر هذا المشهد الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه «زلفة التمكين عند الكلام على القدمين» الحقيَّة والخلقيَّة حيث قالت الواحدة: ثبتنا، فقالت الأخرى: سقطنا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد رمضان وهو حقيقة عين القرآن.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن هذا الوارد ورد علينا بإزعاج قوي، فلما استقر في قلبي وتحققته بعلم اليقين بل بحق اليقين صحت بقولي: الله، وأخذت بشرى من الله أن المقصود بقول الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] مغفرة ذنوب العالم على الإطلاق، بيان ذلك أن الله تعالى قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [محمد:١٩] أي: استغفر بهذا العلم لتعلم أن اسم الذنب واقع على الله، بيان ذلك أن الذنب صورة من صور الوجود، وكل صورة في الوجود هي وجه الله، ولا يعرف ذلك إلا من علم أنه لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود مطلقًا إلا الله، ومن أحب الذنب فقد عبده في الحقيقة والمعبود هو، فما عصى صاحب الذنب وجود الله، وإنما عصى الاسم الآمر والاسم الناهي وأطاع الاسم الظاهر، والظاهر هو الواقع، فالاسم الظاهر هو الغالب، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف:٢١]؛ لأن أمره لا يخرج عنه، فأمره يندرج فيه، وليس وجود الله مندرجًا في أمره؛ لأن الله هو الغالب، فمن علم أنه لا إله إلا الله فقد تحقق المغفرة بهذا العلم.

وأما من قال: لا إله إلا الله فليس له إلا ظن المغفرة لا التحقق، ولذلك أمر الله نبيه بالعلم لا بالقول؛ إذ ليس كل من قال علم، فمن علم أنه لا إله إلا الله فقد علم أن الذنب ليس إلهًا من دونه؛ إذ من وّلى إلى الذنب وّلى بوجه إلهي في الحقيقة؛ لأنه **(هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ)** [الحديد:٣] والله تعالى ما عاب إلا على من يقول: إني إله من دونه، لا على من يقول: أنا هو ولست بخارج عنه.

إذا تحققت ما ذكرته لك فهمت قول سيد المحققين الغوث ابن الغوث الشريف المحمدي سيدي عليّ وفا ـ قدَّس الله سره ـ حيث قال: من علم أنه لا إله إلا الله لم يبق لأحد عنده ذنب؛ يعني أن الذنب انقلب في نظره فكان عين وجود الله بهذا العلم، ثم قال: ولاسيما إذا تحقق بذلك، يعني ترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، فشاهد صور باقي علمه، ثم انتقل إلى حق اليقين، فقال: أنا المذنب وغافر الذنب، وأوقع الاسم الله على وجود ذاته، فهذا مآل قول الله، **(فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ)** أي: جمعًا **(وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ)** [محمد:١٩] أي: فرقًا وتفصيلاً، وما في الوجود إلا من يؤمن بسبب وجوده، ولو كان الإيمان بوالديه فما في الوجود إلا مؤمن بهذا المعنى، فما آمن إلا بمعبود، ولا معبود إلا الله، فما خرج أحد عن الإيمان بالله، ولما ُفتح على محمد ﷺ بالفتح المبين الذي أبان له هذا المعنى وكشفه أخبره الله، وبشره بأن هذا الفتح المبين ليغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ لأنه عين جميع العالم، فهي بشرى محمدية لكل كائن في الوجود، فلله در محمد ﷺ الذي علم أنه لا إله إلا الله.

ومن أسمائه: الماحي ﷺ، فقد محا اسم الذنب باسم الطاعة، وحول نجاسة خمر المعصية إلى خل الطاعة، فعاد البغيض خليلاً والضار نافعًا والبلاء شافيًا بالعلم المحمدي، وهذا وارد علينا في رمضان نهار الجمعة بعد صلاة الصبح جماعة سنة ١٣٢٦، فكان بشرى لنا وعتقًا من النار، وتحققًا بالاسم الكريم الغفار، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وبهذا العلم ألهمني الله تعالى إلى بدري المقام عنده، وهذه الحضرة تسمى حضرة التبديل من حكم الاسم المبدل، ومنها تتبدل شجرة زقوم الجلال بشجرة جرجير الانجرار إلى الجمال، قال تعالى: **(فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ)** [الفرقان:٧٠]، ومن تحقق وسع المغفرة تحقق أنها تطلب المذنبين كما تطلب الأم ولدها، انظر لسانها في قوله تعالى: **(قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ)** [الزمر:٥٣]، والكفر والشرك أحق باسم الإسراف من المعصية؛ إذ لكل شيء إسراف، والإسراف هو الكفر والشرك، فالله لا يغفر أن يُشرك به؛

لأن الشرك لا حقيقة له مع الاسم الله، ولكن الاسم الغفار وهو الذي ستر الأوزار ولاسيما حينما يضع الجبار قدمه في النار، وقدم الجبار نور، والنور يطفئ النار، فافهم.

واعلم أن قولي: بدري المقام لا يقتضي أنه النهاية، بل النهاية رفع الغافر والمغفور مع الثبوت، والثبوت مع الرفع، فالحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله علينا عظيمًا.

وارد: البروج وبها النزول والعروج

قال الله تعالى: **(تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا)** [الفرقان:٦١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الأرواح سماء الأشباح، فالأشباح أرض والأرواح سماء تلك الأرض، كما أن الأرواح أرض بالنسبة للأسماء الإلهية، فالأسماء الإلهية سماوات الأرواح، وكذلك الأسماء الإلهية الدالة على المعاني أرض لذات الله التي هي الوجود المطلق، والمقصود من جهة الحقائق هذه السماء التي هي ذات الله تعالى، وبروج هذه السماء التي هي ذات الله تعالى صور العالم بأسره، وهذه الصور ليل يغشى تلك الذات فيغطيها، فجعل الله تعالى في تلك البروج الصورية سراج الحقيقة المحمدية، والسراج معناه: الشمس، فالحقيقة المحمدية شمس تلك البروج الصورية، فلولاها ما أشرقت سماء الذات ولا بروج الأسماء والصفات، وكما جعل في تلك البروج شمس النبوة جعل فيها قمر الولاية المنير، فكما أنه لا نور للقمر إلا من الشمس كذلك لا نور للولاية إلا من شمس النبوة، ومن الشمس طلوع النهار، فلولا الشمس ما بدا النهار، كذلك لولا شمس الحقيقة المحمدية ما بدا الوجود ولا الصور الظاهرة فيه من أصلها.

لذا فتح الله الآية بقوله: **(تَبَارَكَ)** أي: تكاثر؛ إذ ما تكاثر الوجود المطلق الذي هو ذات الله الأحدية إلا بالصور الجلية والخفية، وإنما جعل الله تعالى البروج اثني عشر؛ لأن البسائط العددية التي هي بمنزلة الأرواح الأولية تسعة، وجعل الله منزلة الصفر بين العدم والوجود، فالصفر ليس بعدد فهو عدم من هذا الوجه، وله وجود في كل مرتبة من مراتب الأعداد، فهو وجود من هذا الوجه، بل الصفر هو النقطة ومن النقطة ظهر الواحد، ومن الواحد ظهرت سائر الأعداد، فالصفر بمنزلة العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق، فالصفر هو النور المحمدي، وهو برزخ بين الحق الوجودي والخلق العدمي، وبسبب هذا البرزخ الذي هو الصفر الذي تقدم على مرتبة الواحدية ظهرت العشرة لأن الواحد بسبب

هذا الصفر الذي هو الأول تأخر فكان هو الآخر فكان له المرتبة الثانية، فكان اسمه واحد فصار اسمه عشرة، ثم انتقل الصفر من مرتبة البرزخية إلى مرتبة الواحدية فانضمت مرتبة الواحدية إلى نفسها المسماة بالعشرة، فظهرت الإحدى عشر، فلما ظهر واحدان في الصورة لا في الحقيقة صار الواحد اثنين، فكانت الذات الإلهية بهذا الحكم هي السراج الذي هو الواحد الأول، والحقيقة المحمدية هي القمر المنير، وفي الحقيقة ليس بينهما تباين؛ لأن الواحد في نفسه سواء كان في المرتبة الأولى أو في المرتبة الثانية هو واحد، كذلك نور الشمس ونور القمر ليس بينهما تباين في الحقيقة، وإنما التباين أمر وهمي وصورة حكمية، ولذا أنبأ الله عن الحقيقة فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠]، فكان ظاهر واحدية الواحد الثاني من الإحدى عشر عين باطن الواحد الأول منها، فلما أبصرت العين واحدين صورة توهمت الاشتراك في مرتبة الواحدية، فظهرت مرتبة الاثني عشر من توهم واحدية الوجود ثم تبارك الواحد وتكاثرت الأعداد إلى ما لا نهاية له، كما تكاثرت صور الوجود إلى ما لا نهاية له، فكانت مرتبة الاثني عشر لها الأصالة الأولى في مرتبة الوهم في التكاثر، فبدت هذه المرتبة الوهمية في البرزخ الاثني عشر، ولم يكن فيها بالتحقيق إلا السراج والقمر المنير، والمنير في القمر هو الشمس، كذلك المنير في الحقيقة المحمدية هو الله تعالى، فالنور واحد والحقيقة واحدة والمراتب تكاثرت، فقال الله تعالى: (أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ) [التكاثر:١] يعني: وحقيقة الوجود واحدة، كما قال تعالى: (وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ) [القمر:٥٠]، وحيث كان كذلك فالظاهر الذي هو الواحد الفرع هو، والباطن الذي هو الواحد الأصل هو، والواحد الأول هو، والواحد الآخر هو، فالتكاثر يرجع إلى الواحد، والواحد يرجع إلى النقطة، وما وراء النقطة لا شيء، فالذي وراء المظاهر حقيقة العماء البرزخي الذي هو الصفر، والصفر هو النقطة، فلذا قال باب مدينة العلم عليه السلام: «العلم نقطة كثرها الجاهلون وهم الذين ألهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر، ولم يزوروا من بدا في هذه المقابر التي هي صور العالم التي لها مرتبة الاثني عشر الوهمية، فكان العالم وهمًا لا مرتبة له في الوجود العيني، ولولا هذا الوهم ما كانت الكثرة عين الواحد، فهي العين من هذا الوجه، فكانت البروج الاثنا عشر حصونًا في مرتبة الواحدية، ومن هذه البروج بدت الأحكام التي هي نتائج قوابلها فالنور ذكر، والبرج أنثى، والسباحة النورانية جماع، والحكم الظاهر في الوجود مولود، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن بدا آدم وحواء من النوع البشري، فبدت حواء من آدم كما بدا محمد ﷺ من الله تعالى؛ أي: النور المحمدي، وذلك في النكاح الأول الإلهي، فالنور المحمدي بمنزلة حواء، الذي أحب أن يعرف بمنزلة آدم، والحب بمنزلة الجماع، والعالم بمنزلة الذرية ولا

حقيقة للذرية إلا الزوجان والزوجان هما الواحدان، وهما نفس واحدة وهي الهُوِيِّة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال الله تعالى: (**تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا**) [الفرقان:٦١] المراد بالسماء من جهة الإشارة: ما له السمّو وهو العلو، ولا أعلى من وجود الله المطلق الظاهر في هذه المظاهر، والمراد بالبروج من جهة الإشارة: أصحاب محمد ﷺ العشرة الكرام، ولصورة الإنسانية والروح الإنساني، فهذه اثنا عشر جمعت آدم وبنيه، وجعل فيها سراجًا، السراج: الشمس، وشمس الوجود هو الحقيقة المحمدية، فإنها الفارقة بين ليل العدم ونهار الوجود وهذه الحقيقة هي الأمان من شقاء العدم، قال الله تعالى: (**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**) [الأنفال:٣٣] فوجود حقيقة فينا أمان لنا من الشقاء العدمي، والقمر المنير أخوه في حياته، ونائبه الذي كان يستخلفه على أداء القرآن، ومن في ظهره ذريته، فهو الذي اكتسب ذلك النور المحمدي من الحقيقة الشمسية كما يكسب القمر النور من الشمس، بل علي بن أبي طالب مظهر النور المحمدي، كما أن القمر يكتسب النور من الشمس فلذلك قال ﷺ: «**أهل بيتي أمان لأمتي**» ثم قال: (**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ**) أي: ليل الغيب (**وَٱلنَّهَارَ**) أي: نهار الشهادة (**خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ**) غيبه وشهادته وباطنه وظاهره وأوله وآخره، فإن الأول الروح والآخر الصورة (**أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**) [الفرقان:٦٢] أي: شكر الوجود المطلق الجامع لحقائقه الأربع التي هي: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية ثم قال: (**وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ**) أي: أرض الحقيقة الإلهية (**هَوْنًا**) أي: سيرًا هينًا سمحًا، وهو سير الشريعة المطهرة لا سير الفلاسفة بالرياضيات الشاقة الخارجة عن الاقتضاء الشرعي، (**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ**) وهم أهل الحجاب الغافلون عن شهود الحق بالخلق، (**قَالُوا۟ سَلَٰمًا**) [الفرقان:٦٣] أي: لكم العذر في حجابكم، فإن الكشف لكم له وقت معين.

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ لا حجاب إلا الوقت، (**وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ**) المربى لهم بوجوده (**سُجَّدًا**) لظهوره في الأرض التي يسجدون عليها (**وَقِيَٰمًا**) بقيومية الحق القائم بهم، فسجودهم سجود لنفسه من جهة أسمائه الحسنى، فإن الأسماء تسجد لبعضها بعضا، فيكون بعض الأسماء تحت حكم البعض إلا الاسم الذاتي فإنه السلطان الأعظم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال الله تعالى: (قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ) [الأنعام:١٤٩] البالغة: هي التي تبلغ السر فيسلمها وينقاد لها، فانقياد الظاهر من باب أولى، قال قائل: لا حجة له علي؛ لأنه إن قال: لم فعلت كذا؟ أقول: أنت الذي فعلت، فلك الإيجاد وإليَّ الإسناد، وكيف يلام أحد على ما لم يفعله؟! وأنت قلت: (وَلا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف:٤٩] فأفهمني يا مولاي ما حجتك البالغة علي؟ ولاسيما وقد قلت: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ) [هود:٥٦]، وحيث إنك الآخذ بنواصي العباد أيعجزونك عن الانقياد؟ وقد أنبأ عن هذا المعنى من قال:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

مع إنك قد قلت: (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [النحل:١١٨] فهل يشاركك في التصرف في ملكك أحد حتى يقال أنه ظلم نفسه؟ فأخبرني يا مولاي هل الأمر منِّي أو منك؟ فإن كان منِّي فلك الحجة البالغة عليَّ، وإن كان منك فأي حجة لك عليّ؟ والجواب عن هذا الإشكال لهذا القائل بأن نقول له: هل أنت صاحب شهود في كلامك أن المتصرف هو الله تعالى أو أنت صاحب دعوى؟ فإن كنت صاحب شهود فهو معك في شهودك؛ لأنه القائل: (فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ) [الأنفال:١٧]، فوصف نفسه بأنه القاتل مع أن القتل ظاهر منك، ومع هذا فقد سلبه عنك، فهو الحكم العدل الذي قضى على نفسه، وإن كنت صاحب دعوى تقول: أنا صليت وصمت وتصدقت، والعمل عملي، والقول قولي، والفعل فعلي، فإن الحق عند ذلك يُسنِد إليك ما أسندته إلى نفسك، فيقول لك: (مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ) [النساء:١٢٣] فإنه وإن كان هو العامل في الحقيقة فلا يعاملك إلا بحسب دعواك، إنما هي أعمالكم ترد عليكم، فما رد عليكم إلا ما نسبته لنفسك، فما ظلمك.

وحينئذ ثبت صحة المعنى في قوله: (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [النحل:١١٨] أقول: لهذا القائل أن يقول: لا حجة له عليَّ بدعواي؛ لأنه هو الذي أوجد بي الدعوى، فلو كشف لي الأمر كما كشفه للعارفين لما ادعيت، فعاد الأمر منه لا مني؛ لأنه القادر على ما يشاء، وحينئذ فالحجة لي على كل حال؛ لأنه المتصرف بي كما يشاء، فلو شاء لرفع مني الدعوى، فكيف تكون له الحجة عليَّ؟ نقول له: أفلا يكفي بيان الإيمان والاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: (وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ) [الأنعام:٧٩] يعني أن وجهي له لا لي، ومن لا وجه له لا وجود له، فلم لا تكتفي بالإيمان بالقرآن واتباع خليل الرحمن فيقول هذا أيضًا منه لا مني لأنه القائل، وما

توفيقي إلا بالله.

وحيث إن التوفيق منه فما ذنبي حينئذ حتى يلقيني في البحر، ويقول: إياك أن تبتل، ويقول: أنا الحكم العدل، ولا أظلم مثقال ذرة، أفهموني هذا العدل ما هو مع إسناد الأمور لي، وتعذيبي عليها وأنا منها بريء، وهل تعذيب البريء من العدل؟ فما معنى الحجة البالغة في الظهور، وإن لم أسلمها كيف تكون بالغة؟ فلا تكون بالغة إلا أن ينقاد لها ظاهري وباطني، فكيف هذا الأمر؟ والحاصل أن المراد بالحجة البالغة انفراده بنفسه في الوجود، وهو مشهد الأحدية الذاتية في الوجود، وحكم ذاته على ذاته باعتبار أسمائه وصفاته، وصور الأسماء والصفات هو العالم، فما حكم إلا على نفسه، فإنه حجب هذا المعنى، فهو الحاجب كما أنه المحجوب، وإن كشفه فهو الكاشف كما أنه المكشوف له؛ لأنه (**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**) [الحديد:٣] كما صرح به القرآن العظيم، فقد حكم وما وقع حكمه إلا عليه، كما قال: (**كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا**) [مريم:٧١] فما في الوجود إلا الله تعالى بذاته ومعاني أسمائه وصور معاني أسمائه المعبر عن تلك الصور بالخلق وبالكون وبالعالم، ومثال هذا المعنى مثال الحرباء التي تتلون بلون الذي تمشي عليه، فمن المعلوم أن ألوان ما تمشي عليه الحرباء ليست في جسم الحرباء، فلا يعلم لها في نفسها لون، كذلك ذات الله تعالى تتلون بحسب ما تتجلى فيه من معاني الأسماء والصفات، وهي في ذاتها ليس كمثلها شيء، وإنما الأحكام للأسماء والصفات، التي هي مثال ما تمشي عليه الحرباء، وظهور الألوان في نفس الحرباء، بمنزلة ظهور صور العالم ما بين الذات ومعاني الأسماء الإلهية، فكما أن الألوان الظاهرة في الحرباء إنما هي بسبب ما تمشي عليه ـ وهي معدومة في ذات الحرباء ـ كذلك ظهور صور العالم بالنسبة لذات الحق إنما هو بحسب ما تتجلى فيه من معاني الأسماء والصفات، مع أن صور العالم معدومة بالنسبة لذات الحق.

ومن هنا يظهر ما قاله الشيخ الأكبر من أنه تعالى يبصر العالم قديمًا مع أنه في نفسه عدم، ويعلمه مع أنه في نفسه عدم، كما أن الألوان الظاهرة في الحرباء في حقيقة الأمر عدم في نفس الأمر، ولذا قال ﷺ:

فما ترى عين ذي عين سوى عدم   فصـــح أن الوجـــود المــــدرك الله

فالوجود الذي هو الله وجود لذاته، والعدم الذي هو صور العالم عدم لذاته فصح أن علمه تعالى تابع للمعلوم؛ لأن المعلوم عدم ولا ذوق للوجود الحق في العدم، فلا يعلم العدم إلا من نفس العدم.

ولذلك أشار ﷺ بأن علم الله في العالم مستفاد من العالم، وذلك صريح قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١]، أي: نعلم منكم ما أنتم عليه في عدمكم الأزلي الذاتي، فما علمنا إلا منَّا وما ظهرنا في الوجود إلا على حسب ما نحن عليه في ثبوتنا في رتبة العدم، ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩].

فمن تصرف الحق في التجلي بمعاني أسمائه وصفاته ظهر العالم على ما هو عليه، فلهذا قال: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، إلا أنه لا يشاء؛ لأن معاني أسمائه مختلفة والظاهر من تجليه بها مختلف، فإن تجليه بالاسم الهادي يظهر منه خلاف الظاهر من تجليه بالاسم المضل.. وهكذا.

فقد أوضح الله تعالى حجته البالغة في قوله: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، وما فهم ذلك إلا العارفون بالله تعالى، وذلك لأنه لا يتجلى لنا أجمعين باسمه الهادي فقط، بل به وباسمه المضل ورفع أسمائه ممتنع كذلك، قوله: لو شاء ممتنع؛ لأن الوجود الإلهي على خلاف ذلك ولا تبديل لكلمات الله وكلماته عينه ولا تبديل له جلَّ وعلا.

وقد ألقيتك أيها الأخ في بحر الحقائق الإلهية فاغرق فيه ولا تخف، بل كن أنت عين ذلك البحر وعين الغريق فيه، فأنت الناجي حينئذٍ، فإنه لم يلقك فيه سواك، ولله در البكري حيث يقول:

واشرب واطرب لا تخش إياك تمل عن ذي النهج سوى

فعند الغافل قوله: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، حجة عليه لا له مع أنه لا يعلم أن ذلك فرض وهو محال الوقوع، فإن لو في كلام العرب حرف امتناع لامتناع، فهذا الغافل يرى كلام الحق متناقضًا؛ لأنه قادر أن يجعل الهدى للجميع، وما فعل ولا يعلم أن ذلك لا تقتضيه معاني الأسماء الإلهية المتضادة التي لابد من ظهورها بتنوع التجلي، فلذلك يقول:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

ولم يعلم الغافل أن الاسم الإلهي الذيُ ألقي في اليم مكتوفًا مراده هذا الإلقاء، والاسم القائل: إياك، وإياك أن تبتل بالماء مراده: ألا يبتل بالماء، فهذا الاسم حكمه يناقض حكم الاسم الثاني، والحكم لما سبق به العلم القديم والعلم القديم، والبصر القديم ناظر لما هو في الثبوت الذاتي الغير المجعول، كما أن الحرباء لم تجعل الألوان التي تظهر منها في نفسها،

بل ذلك اقتضاء ذاتي اقتضته ذات الحرباء بحسب ما تمشي عليه، وذلك من الجهتين معًا.

كذلك اقتضت ذات الله تعالى من العالم ما هو عليه العالم بحسب ما تتجلى فيه من معاني أسمائها وصفاتها، فله الحجة البالغة كما أخبر سواء نعم في النعيم أو عذب في الجحيم (أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [طه:٥٠] أي: هدى كل شيء لما هو عليه، وأين الغافل من هذه الحقائق الإلهية؟! ولله در القائل:

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذلُ مَن لا يَرعَوي عَن غَيِّـهِ وَخِطـابُ مَن لا يَفهَمُ

فالملقى في اليم، والملقى المكتوف واليم والقائل: إياك إياك واحد، فمن درى قوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣] لم يعترض شيئًا في الوجود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين.

وارد:

قال سيدنا في الفتوحات:

وفي المسح سر لا أبوح بذكره ولو قطعت مني المفاصل والكلى

أعلم أن المسح كناية عن ختم المقامات الإلهية والكونية، فالرأس مرتبة الحق المعبر عنها بالسماء والأرجل مرتبة الخلق المعبر عنها بالأرض، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ) [الزخرف:٨٤] فالهُويِّة الإلهية ظاهرة في كل متقابلين كالسماء والأرض، والجلال والجمال، والرب والعبد، والأمر دائر ما بين هابط وصاعد، فللروح الهبوط لمرتبة الجسم، وللجسم الصعود لمرتبة الروح، فبهذا الاعتبار ينزل الحق ليكون خلقًا، ويعرج الخلق ليكون حّقًا، وكل مرتبة ظهرت كانت الأخرى باطنها، فباطن الأول الآخر وباطن الآخر الأول، فإذا ظهرت عندك الدنيا كانت الأخرى باطنها، ومن كانت الأخرى ظاهرة عنده، فالدنيا باطنها والأول لا يفارق الآخر، والظاهر لا يفارق الباطن، كذلك اسم الله الهادي باطنه المضل، والمُضل باطنه الهادي، فالنار باطن الجنة، والجنة باطن النار، فمن بطنت عنده النار ظهرت الجنة، ومن ظهرت عنده الجنة بطنت النار، فالجنة عروج كالرأس والنار نزول كالأرجل فلا يزال الأمر ما بين صاعد وهابط.

وأما منزلة الأعراف فاستواء الطرفين كحالة السجود يستوي فيها الرأس والقدمان فلا عروج ولا نزول، بل هوية محضة، فللساجد تحقق بقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ) [الزخرف:٨٤] فيستوي الرأس والقدمان في حق الساجد، فكما أنه اشترك كل منهما في المسح كذلك ظهور الحق في السماء والأرض على السواء، فذلك معنى الأعراف في حق العارف استوت عنده جميع المتقابلات؛ إذ العارف لا دنيا له ولا

آخرة؛ لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه، ولذا قال تعالى لموسى ﷺ ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١٢] إشارة إلى الانسلاخ من الدنيا والآخرة، والتحقق بقدس الذات، وإنما أمر بخلع نعليه اللذان هما الأولى والأخرى؛ لأن الذات لا أول لها ولا آخر فكما أنها تجلت في دنيانا وآخرتنا التي نحن فيها، فلها التجلي بما لا يتناهى من مظاهر الدنيا ومظاهر الآخرة؛ لأن الاسم الأول دائرة كذلك الآخر، فكل آخر يعود أولاً وكل أول يعود آخرًا، وكل ظاهر يعود باطنًا وكل باطن يعود ظاهرًا، وكل جلال يعود جمالاً وبالعكس، وهذا السر يقتضي أن من كان في الآخر يرجع إلى الأول، ومن كان في الجلال يرجع إلى الجمال، وبالعكس كل في فلك وينقلب كذلك، وكل ذلك عن تجلي إلهي وتجليات الله تعالى لا تزول، فمن بطنت الدنيا عنده حصل في تجلي: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨] وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود:١٠٧] فإذا ظهر لهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣] فأين الدوام؟ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] وكذلك منه المبتدأ ويدور الدور، وعلى الله قصد السبيل فالساعة ﴿ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:١٥] أي: لترى في مرآتها الاسم الحاكم عليها، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذي جعل قرة عين سيدنا محمد ﷺ في صلاته، فكانت محل قربة ومناجاته، وأفاض عليه أنوار تجلياته وقدَّسه باسمه النور، فكان مشكاة لنور ذاته والمجلى الأعلى لقبول كمالاته.

وأشهد أن لا إله إلا الله المنفرد بالوجود المنزه عن الحلول والاتحاد، والصاحبة والمولود، وأن سيدنا محمد عبده ورسوله، الشاهد المشهود ﷺ ما دار عليه اللطف والحلم والجود، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى اليوم الموعود، وسلّم تسليما كثيرًا.

أما بعد، فهذه رسالة سميتها: «قرة العين في حل البيتين» اللذين هما للشيخ الأكبر والهيكل الأنوار والسر الأطهر والكبريت الأحمر سلطان العارفين أستاذ المحققين الإمام محيي الدين محمد بن عليّ بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه وأمدنا بعلومه ونفعنا بفهومه.

أمرني بتأليفها بعض سادتي الكرام، فامتثلت الأمر بعد الاستخارة المروية عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، مستمدًا من الكريم الوهاب مستمنحًا مواهب من يعطي بغير حساب، مستدرًّا فيوضات البركات الحاتمية، متوجها للواسطة العظمى وأسراره الحاتمية.

وأنا أعلم أن جولاني في هذا المجال من خلو السويداء عن الرجال، ولكن أجرأني سعة دائرة الفضل وقبول السادات للمتطفل، ولربما أدخلوه في الأهل حتى قال الغوث الجيلاني ﵁: أنا شيخ من لا شيخ له، وقال الشاذلي قُدِّس سره: من قرأ حزبنا له ما لنا وعليه ما علينا، على أني أتمثل بما قاله الغوث الرواس ﵁ حيث قال:

وإذا الأمور تغلَّقت أبوابها ... فأذكر محمد والمؤمل قد حصل

فها أنا أشرع مستعينًا بالله مقتبسًا من شموس أنوار رسول ﷺ فأقول: قال سيدي الأستاذ الفرد الملاذ:

يا قبلتي خاطبيني وسجودي لقد ... رأيت شخصًا بشخصي فيّ قد سجدا

لا هوته حل ناسوتي فقدَّسه ... إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا

تمهيد أمام المقصود:

اعلم ـ أيدك الله بروح القدس وسقاك من شرابه الطهور شراب المحبة والأنس ـ أن أولياء الله العارفين رضوان الله عليهم تتنوع عليهم الأطوار بتنوع واردات الخلوات

والأذكار، ومرجع هذا التنوع اختلاف التجلي، ويختلف التجلي باختلاف الأسماء المتجلي بها، وقد أجمع القوم ـ رضوان الله عليهم ـ على أن التجلي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تجلي الأفعال.

والقسم الثاني: تجلي الأسماء والصفات.

والقسم الثالث: تجلي الذات، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[٤٥٢].

وهذا التجلي هو للنبي ﷺ بحكم الأصالة، ولغيره بحكم التبعية له ﷺ ولا يكون إلا للمقربين الوارثين للسيد الأعظم ﷺ، فهو من نور[٤٥٣] مشكاته عليه الصلاة والسلام، وحقيقة هذا التجلي الذاتي نور الله جلّ وعلا، قال الله تعالى: (نُورُ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) ثم قال: (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ) [النور:٣٥]، وهي الحقيقة المحمدية المشار إليها بقولهﷺ: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[٤٥٤] ويكنى عن هذا النور المحمدي: بالدرة البيضاء، وبالياقوتة الحمراء، وبالزبرجدة الخضراء، وكلها أسماء والمسمى واحد، وهو النور المحمدي، وهذا النور وإن كان من فيضان نور ذات الله جلّ وعلا يحكم بأنه حادث بالنسبة لأصله الذي هو النور الأول القديم، مع أنه ما ثم زمان ولا تعدد ولا انفصال، بل الأمر الإلهي واحد، فإن الزمان والجوهر والعرض والشكل والجسم من النور المحمدي، فهو قديم عينًا وحقيقة، حادث حكمًا، وليس للزمان حكم في جميع شئون الحضرة الإلهية، فصح

---

(٤٥٢).

(453) قال جعفر بن محمد: الأنوار تختلف، أولها نور حفظ القلب، ثم نور الخوف، ثم نور الرجاء، ثم نور الحب، ثم نور التفكر، ثم نور اليقين، ثم نور التذكر، ثم النظر بنور العلم، ثم نور الحياء، ثم نور حلاوة الإيمان، ثم نور الإسلام، ثم نور الإحسان، ثم نور النعماء، ثم نور الفضل، ثم نور الآلاء، ثم نور الكرم، ثم نور العطف، ثم نور القلب، ثم نور الإحاطة، ثم نور الهيبة ثم نور الحيرة، ثم نور الحياة ثم نور الأنس، ثم نور الاستقامة، ثم نور الاستكانة، ثم نور الطمأنينة ثم نور العظمة، ثم نور الجلال، ثم نور القدوة، ثم نور الحول، ثم نور القوة، ثم نور الألوهية، ثم نور الوحدانية، ثم نور الفردانية، ثم نور الأبدية، ثم نور السرمدية، ثم نور الديمومية، ثم نور الأزلية، ثم نور البقائية، ثم نور الكلية، ثم نور الهُوية، ولكل واحد من هذه الأنوار أهل وله حال ومحل كلها من أنوار الحق التي ذكر الله في قوله: (نُورُ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)، ولكل عبد من عبيده مشرب من نور هذه الأنوار، وربما كان حظه من نورين ومن ثلاث، ولا يتم هذه الأنوار لأحد إلا للمصطفى ﷺ؛ فإنه القائم مع الله بشروط تصحيح العبودية والمحبة فهو نور، وهو من ربه على نور.

(٤٥٤).

أن الجوهر المحمدي نور الله تعالى، فلذا كان ﷺ يمشي في الشمس ولا ظل له؛ لأن الشمس وجميع الأنوار من آثار نوره عليه الصلاة والسلام.

ولهذا السر كانت فضلاته ﷺ طاهرة شرعًا، فهو وإن كان بشرًا لكنه لا كالبشر، كما أن الياقوت حجر لكنه لا كالحجر، ولله در البوصيري رضي الله عنه حيث قال:

وَكيفَ يُدْركُ في الدُّنيا حَقِيقتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ

واعلم ـ رحمك الله ـ أن هذا النور المحمدي إذا ُأسند إلى السيد الأعظم ﷺ سُمي بالروح وبالنور الثاني وبالحقيقة المحمدية، وبما تقدّم من الأسماء وهو الذي تغزَّل به القوم رضي الله عنهم ويكنون عنه بليلى وسعدى وأسماء وغير ذلك؛ سترًا لمقامهم ويحكم على النور بأنه حادث بالنسبة للنور الأول القديم كما تقدَّم، وإذا ُأسند لله تعالى سُمي بالنور الأول، وسُمي باللاهوت الذي ذكره في البيتين المتقدمين سلطان العارفين رضي الله عنه، إذ اللاهوت للناسوت كالمعنى بالنسبة للفظ، ويُسمى أيضًا روح القدس بطريق الحقيقة، وإطلاق روح القدس على جبريل عليه السلام بطريق التجوز؛ لأن روح القدس هو الوجود الساري، وهو روح الأرواح كلها، وهو المعبَّر عنه في كلام الله تعالى بالوجه الإلهي، قال الله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ**﴾ [البقرة:١١٥]، فهو المنزّه عن الدخول تحت حيطة كن، فلا يجوز أن يُقال: فيه أنه مخلوق، ووجه الله تعالى هو قرة عين المصطفىﷺ، وهو الذي كان يناجيه في صلاته ويتجّلى له في قبلته، ولا شك أن الصلاة سبب كشف هذا الوجه الإلهي، ولذا قال ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»[٤٥٥]، ولم يقل: أرحنا منها، ومن كان متبعًا له ﷺ فله نصيب من هذا الكشف، ولما كان سلطان العارفين على مشرب الإرث المحمدي الكامل ومنهج الاتباع الشامل تجّلى له وجه الحق في قبلته فعاين جمال وجهه تعالى في كعتبه، فقال رضي الله عنه: يا قبلتي خاطبيني في سجودي فقد، لما ورد أنه تعالى في قبلة المصلي، وأن المصلي يناجي ربه، فطلب مناجاة ربه الظاهر بوجهه تعالى في عين الكعبة المشرفة، التي بها يمين الله في الأرض، وحيث إن هذه القبلة مظهر اسمه تعالى الظاهر ناداها ليحظى بخطابها الأعلى، وليتشرف بسماعه ممن توجه إليه بقوله: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:٧٩].

وصاحب هذا المقام ليس كالمحجوب الذي لا يرى أمامه سوى الجدار، بل هو ممن يرى جمال المؤثر في صور الآثار، كما تجّلت طلعة الحق تعالى لموسى عليه السلام في صورة

---

[٤٥٥] .

النار فجاء ليقتبس فخاطبه العزيز الجبار، فقال تعالى مخاطبًا له: (إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى) [طه:١٢].

وفي ذلك قال بعضهم:

كنار موسى رآها عين حاجته وهي الإله ولكن ليس يدريه

وفي هذا المعنى قال الغوث الكامل سيدي بهاء الدين محمد مهدي الرواس الصيادي الحسيني رضوان الله عليه في ديوانه (مشكاة اليقين ومحجة المتقين) من قصيدة له:

أنا والحمد لوهاب الجميل قد أقر الله عيني بالشهود
وأنجلى لي مظهر الإنس فزوى عني علاقات الوجود الجليل
وبدا المدلول في عين الدليل وسرت أنوار أقمار السعود
وبأفق الباديات الخافيات شمس عزي أبدًا لم تغب

وإنما قال سلطان العارفين ﵁ (يا قبلتي خاطبيني) ليتلذذ بسماع كلام الحق بالثناء عليه من عين قبلته التي هي الكعبة المشرفة، وكان ﵁ يرى الكعبة المشرفة في صور تتكلم فيخاطبها وتخاطبه، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه «الفتوحات المكية» وفي الحديث الشريف: إن الله تعالى يقول: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فيقول الله: ذكرني عبدي، ثم يقول العبد: (الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيقول الله: حمدني عبدي، ثم يقول العبد: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فيقول الله تعالى: مجَّدني عبدي، ثم يقول العبد: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّين) فيقول الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، ثم يقول العبد: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فيقول الله تعالى: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، ثم يقول العبد: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فيقول الله تعالى: هذه لعبدي ولعبدي ما سأل**»[٤٥٦].

إذا تقرر ذلك فنقول: إن سلطان العارفين ﵁ أحب أن يسمع ثناء الحق عليه بقوله: «ذكرني عبدي» و«حمدني» و«أثنى علي» كما تقدَّم في الحديث الشريف من قبلته، كما سمع موسى ﵇ خطاب الحق من الشجرة، ومن النور الذي ظنه نارًا، فلذا قال: (يا قبلتي خاطبيني).

(٤٥٦).

والدليل على أنه أراد هذا المعنى قوله: (في سجودي)، ولم يقل: في قيامي والسجود[٤٥٧] محل القرب الإلهي، قال الله تعالى: **(وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب)** [العلق:١٩]، وفي الحديث الشريف: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[٤٥٨].

ولا يقال: يقتضي هذا السماع أن يكون نبيًّا، ولا نبي بعد رسول الله ﷺ لأننا نقول: يجوز ذلك بطريق الوراثة، كما ورد أن علماء أمته ﷺ كأنبياء بني إسرائيل، فالخطاب حينئذ خطاب تشريف لا خطاب تشريع، وقد ورد: «**إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر**»[٤٥٩].

ومن المعلوم أن سيدنا عمر ﷺ إذا حدَّثه الحق تعالى فإنما يحدّثه بالتشريف لا بالتشريع، وهذا أمر ذوقي لأهل الله تعالى، قال قائلهم:

يا مؤنسي بالليل أن هجع الورى ومحــدثي مــن بيــنهم بنهــار

وقد أتى القرآن العظيم بتحقيق ذلك في خطاب الله تعالى للكاملة الصديقة من قوله تعالى: **(يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِى لِرَبِّكِ)** [آل عمران:٤٣]، ولو نزل به الملك فالذوق الصحيح أنها لا تسمعه إلا منه تعالى، كما قال تعالى في حق الأعراف: **(فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ)** [التوبة:٦]، فسماه الله كلامه بنصِّ القرآن العظيم مع أنه مشتمل على الأصوات والحروف.

وقد أبى المتكلمون أن يوافقوا ربهم في هذه التسمية فقالوا: كلام الله منزه عن الحرف والصوت مع قول رسول اللهﷺ: «**إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده**»[٤٦٠] وهذا القول مشتمل عليهما مع كونه قول الله بشهادة من لا ينطق عن الهوى ﷺ فنزَّهوا الله عن شيء لم ينزه نفسه عنه، ولا نزَّهه عنه رسول الله ﷺ وحاشا السلف الصالح والأئمة الأربعة من ذلك ﷺ.

---

(457) فقد قال ابن عطاء: اقترب إلى بساط الربوبية فقد أعتقناك من بساط العبودية.

وقال الواسطي: العوام منقلبون في صفات العبودية، والخواص مكرمون بأوصاف الربوبية، ولا يشهدون غير صفات الحق؛ لأن العوام بمحتمل الصفات لضعف أسرارهم، وبعدهم عن مصادر الحق.

وقال جعفر: اقترب من حيث العبودية فقد قرَّبتك من حيث الربوبية.

(٤٥٨).

(٤٥٩).

(٤٦٠).

وقد شاهدت طائفة يزعمون بأنهم من أهل العلم ويصرحون بخلق القرآن وأن الذي نقرأه ليس كلام الله، بل يدل على ما يدل عليه كلام الله، وهذه سُنَّة سيئة نجا منها الأئمة الأربعة، وتقلدها من بعدهم خلف، نعوذ بالله من ذلك.

ألا ترى إلى ما قاله من هو سرٌّ أبيه، وهو السيد جعفر الصادق سليل البضعة الطاهرة النبوية رضوان الله عليه: «**لقد تجلى الله لعباده في كلامه وهم لا يشعرون**» فالتالون لكلام الله ـ على ما قاله السيد جعفر الصادق ﷺ ـ مثلهم كمثل الميزاب الذي يجري فيه الماء، فيُنسب الجري للماء لا للميزاب، فهم محل جريان الكلام الإلهي فيهم لا أنهم هم يجرونه، فعليك بالإيمان بلا تأويل، فليس بعد بيان الله بيان؛ إذ لا عطر بعد عروس.

وأما قول سلطان العارفين: رأيت شخصًا بشخصي في قد سجدا فالذي يظهر أن هذا الشخص صورة روحانية أصلها ومنشأها منه ﷺ؛ إذ لا يرد على الإنسان في باطن الأمر إلا ما هو منه، قال تعالى: ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ**﴾ [الأنعام:١٣٩]، وقال تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم:٣٩].

وقد نصّ أهل الله تعالى أن الخواطر الواردة على الإنسان إن كانت إلهية تظهر بصور نورانية تُسبح الله وتحمده، ويكون الأجر لصاحب تلك الخواطر، وإن كانت ملكية أو نفسانية أو شيطانية كانت بحسب أصلها، والخواطر الشيطانية وأن لم تكن ذنبًا حتى ينفذها صاحبها بالفعل، ولكنها تورِّث في القلب ظلمة تمنعه عن المكاشفة، وكذلك الخواطر النفسانية لكنها أخف.

وقد ذكر سلطان العارفين ﷺ أنه أّذن مرة فخرج الأذان منه صورة متشكلة مشهودة له ﷺ، وأخبر عن أستاذته فاطمة بنت المثني القرطبي أنها كانت تقرأ فاتحة الكتاب فتراها صورة مشهودة، فكانت ـ رضي الله عنها- تخاطب تلك الصورة وتقول: يا فاتحه الكتاب، أريد منك كذا، فيحصل مطلوبها في الحال، هكذا ذكره ﷺ في كتابه «الفتوحات المكية».

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ**﴾ [الحجرات:١٢] فدلَّ كلام الله على أن الغيبة هي عين جزاء صاحبها، فتظهر له بصورة اللحم الميت فيؤمر المغتاب بأن يأكله، نسأل الله السلامة.

ولما كان الشخص الذي رآه سلطان العارفين مثالاً كمثال الصورة التي في المرآة، وحقيقة تلك الصورة نور الهي روحاني، ولا مانع من حلول النور في ذاته كما قالﷺ في

دعائه: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا**»[461] وصفه بالممازجة له، فلذلك قال: (رأيت شخصا بشخصي في قد سجدا)

وهذا الشخص بالنسبة إليّ كالولد الصالح الذي يكون لأبيه مثل أجره لأنه من كسبه فالولد الصالح عمل صالح، وهذا الشهود الذي شهده سلطان العارفين ﷺ هو بشارة إلهية، ونوع من أنواع الفتح الإلهي.

وقد ورد أن عمل الإنسان الصالح يأتي بصورة رجل جميل الصورة طيب الرائحة نقي الثوب فيونسه في قبره فما اكتسبه سوى وصفه، فوصفه جزائه، فعلى الحقيقة ما حكم العبد إلا حقيقة نفسه، قال تعالى: (**إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ**) [القلم:٣٩]، فلله الحجة البالغة، فصح قوله تعالى: (**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ**) [فصلت:٤٦]، فان الله تعالى لم يرض لهم الكفر، كما قال:(**وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ**) [الزمر:٧]، مع أنه ما أوجد الكفر سواه، كما قال تعالى: (**ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ**) [الزمر:٦٢].

لا يقال: كيف تكون الحجة البالغة لله تعالى مع قوله تعالى: (**فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ**) [الأنعام:١٤٩]؟ فانه أقام العذر لعبادة وأرجع الأمر إليه؛ لأننا نقول: لو حرف امتناع لامتناع؛ لأنه لا يشاء إلا ما علم، وما علم إلا نفسه، فلله الحجة البالغة في ذاته وكل الصيد في جوف الفراء.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن أهل الله يشاهدون في الدنيا ما يشاهده العامة بعد الموت، فيشاهدون النار في جوف آكل الربا وآكل مال اليتيم ظلمًا في الدنيا والعامة تشاهد ذلك في الآخرة. نسأل الله الحماية.

وأما قوله ﷺ: (لا هوته حل ناسوتي فقدّسه) فليس على ما يتوهم من إضافة الحلول إلى لاهوت الحق؛ أي: حقيقته؛ لأن سلطان العارفين ﷺ عقيدته مطابقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ولما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ كما قال ﷺ:

ســــــائلي عـــــن عقيـــــدتي	**أحســـــــــــن الله ظنـــــــــــه**
علــــــــــــم الله أنهـــــــــــا	**شـــــــــــهد الله أنـــــــــــه**

وفي البيت الثاني تورية لطيفة؛ لأنه يحتمل أن يكون المراد: شهد الله أنه؛ أي أن السائل من المنكرين عليّ، ولهذا دعا له بقوله: أحسن الله ظنه، ويحتمل أن يكون المراد أن

(٤٦١).

عقيدته قوله تعالى: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلۡعَزِيزُ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ) [آل عمران:١٨]، ويحتمل أنه أراد المعنيين.

وله ﷺ رسالة سماها: «عقيدة الاختصاص» أفاد فيها أن الله تعالى منفرد بالوجود وحده لا يشاركه في معنى الوجود أحد، وهذه الأشياء الظاهرة لنا إنما هي من تجليه باسمه النور أزلاً بصور معلوماته وشئونه، كما قال: (كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ) [الرحمن:٢٩].

وكل ما تراه وما غاب عنَّا من جملة شئونه الظاهر بوجهه الإحدى فيها بلا تجزؤ، من ذلك الوجه لا تعدد ولا انقسام، بل كما يتجلي وجه واحد فيما لا يتناهي من المرايا والوجه واحد، ولكن يُنسب التعدد إلى المرايا، كذلك وجه الله الذي هو عين وجوده هو واحد جلَّ وعلا، والشئون التي هي أمثال المرايا لا تتناهى، وكما أن الرائي يظهر أنه مختلف بحسب اختلاف المرايا كذلك يظهر الوجود الإلهي في بادئ الرأي مختلفًا متنوعًا في أشكاله وألوانه وهيئته، والظاهر هو هو لم يتغير ولم يتبدل، وإنما الاختلاف بالشيء من قوابل المرايا، فمثال قوابل المرايا في اختلاف مثال اختلاف الأسماء الإلهية في معانيها ما بين النافع والضار والباسط والقابض والودود والقاهر واللطيف والجبار والرحيم والمنتقم، والمسمى بهذه المعاني كلها واحد.

فعلى هذا العالم جميعه على اختلاف طبقاته وأشكاله وخصائصه مجالي ومظاهر لهذه الأسماء الإلهية، وكل ما يظهر لنا شئون، وهو تعالى الظاهر بأسمائه في تلك الشئون على اختلافها، وهو واحد جلّ وعلا.

شاهد ذلك قوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ) [الحديد:٣]، وقال تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة:١١٥]، غاية الأمر أن وجود الله الذي لا تدرك حقيقته لنا و (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) [الشورى:١١]، بل ليس معه شيء غيب باطن (لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) [الأنعام:١٠٣]، وهو المسمى بالحق شرعًا.

والعوالم المختلفة من أرواح وصور هي المسماة بالخلق شرعًا، وجميع ذلك من أصناف العوالم مندرج في حقيقة اسم واحد من أسمائه تعالى وهو اسمه تعالى (هُو) فهو كالبحر المحيط وجميع العوالم بالنسبة إليه كالأمواج المندرجة في البحر، فمن أنكر الأمواج التي هي بمثابة الناسوت الخلقي المتوجه عليه التكاليف الشرعية فهو إباحي زنديق، ومن

أنكر البحر الذي هو اللاهوت، أي: الوجود الإلهي الذي من جملة أسمائه **(هُو)** فهو معطل للألوهية، كافر عار عن الإيمان والعلم والتحقيق.

ولذلك أثبت سلطان العارفين ﷺ اسم اللاهوت واسم الناسوت اعترافًا بوجود الحق جلَّ وعلا بثبوت الخلق بتجلي اسمه (هو) والعجب أن اسمه تعالى (هو) يدل على الغيبة والبطون، مع أنه ما ظهر في المظاهر إلا هو، فالله تعالى ظاهر من حقيقة بطونه وباطن من حقيقة ظهوره، فظهوره بطون وبطونه ظهور.

ولذا قال تعالى: **(لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ)** [الأنعام:١٠٣] لا تحيط به علمًا، وإن كانت الأبصار لا تقع إلا عليه، كما قال: **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ)** [البقرة:١١٥]، فوجه الله وإن كان ظاهر فمحال أن يُدرك كنهه، أو يضبط أو يحصر، أو يحل في شيء، أو يتحد بشيء، أو يتبعض، أو يتجزأ، أو يتعدد، أو يمتزج بشيء من الأشياء، بل هو الحي القيوم وحده، وكل شيء مضمحل بوجود اضمحلال أمواج البحر في البحر ولا يتبين هذا المعنى إلا لمن كشف الله عن بصره الغطاء، ومات بفنائه في وجود الحق قبل أن يموت.

وأما قول سلطان العارفين: لاهوته حل ناسوتي فقدَّسه، فمرجع الضمير في لفظه اللاهوت إلى الشخص النوراني المتشكل ظاهرًا، وهو في الحقيقة نور بسيط حل أجزاء ذاته كلها، وهذا النور مجعول مخلوق ينسب إليه الحلول، وهو المنكور في قوله تعالى: **(وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ)** [النور:٤٠]، وقالﷺ: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا... إلى أن قال: واجعلني نورًا**»[٤٦٢].

وقد ذكر سلطان العارفين ﷺ أنه ورث هذا الحال من السيد الأعظم ﷺ وكان يصلي صلاة العصر إمامًا، فرأى نورًا حل أجزاء جميع ذاته حتى صار يبصر من وراء ظهره، وإذا أخل أحد من خلفه في صلاته بركنٍ أو سُنة يراه من وراء ظهره ويقول له: أخللت بكذا وكذا، وقد نصّ على هذا المعنى في كتابه «الفتوحات المكية».

ولا شك أن من حل فيه هذا النور الإلهي فقد تقدَّست بشريته من كدورات المعاصي والشبهات، ومن ظلمة الشهوات الطبيعية، بمعنى أن العادات في حقه ترجع عبادات بالنية الصالحة، فيستعين بعاداته على طاعة الله عز وجل وعلا، وذلك وراثة نبوية، ولا يزال

([٤٦٢]).

حتى يترقى للوراثة الكاملة كما ذكر سلطان العارفين ﷺ عن نفسه أنه ورث المصطفى ﷺ بما أخبر به عن نفسه من قوله ﷺ: «**إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»[٤٦٣].

حتى كان ﷺ يطوي الأيام العديدة ويوضع بين يديه الطعام فلا يشتهيه ولا يأكله، ومع ذلك لا يؤثر ذلك فيه نحولاً ولا ضعفًا في جسمه، بل كان ﷺ يؤدي جميع الفرائض والنوافل بتمامها وكمالها، حتى كان لا يحلق رأسه إلا وهو على وضوء؛ ليشهد له الشعر أنه فارقه وهو على طهارة شرعية، وهكذا كانت تربيته لتلامذته حتى كان يقول: إذ أخل الشخص بسنة واحدة من سنن المصطفى ﷺ ولم يتبعها ولم يعملها فليس متبعًا عندي؛ لأن الاتباع واحد لا يتجزأ.

وكان إذا ذكر له شدة اتباع الإمام أحمد للسنة المحمدية يقول: هكذا هكذا وإلا فلا طرق الجد غير طرق المحال.

وكان ﷺ يقول: العارف بالله عندنا إذا تناول شهوة من شهوات النفس كالبدر إذا خُسف فما بالك بالشهوة والشبهة، فما بالك بالحرام!

حتى أنه ﷺ ترك شرب الماء مدة طويلة؛ لأنه كان يكثر النوم، وكان له خلوات للذكر لا يأكل فيها ولا يشرب ولا ينام، وذكر ﷺ أنه احترق لسانه بأنوار الذكر حرقًا حسيًّا فأثبت الله له لسانًا جديدًا.

وقد ترجمه تلميذه وربيبه صدر الدين القونوي ﷺ بقوله: كان شيخنا محيي الدين بن العربي مالكًا لرؤية النبي ﷺ ولمن شاء من أرواح الأكابر من أهل الله متى شاء.

وكان يقول: لا يجوز للولي إظهار الكرامة إلا أن يقصد بها تأييد شيء من الشرع المطهر عند منكر أو فيلسوف أو ضعيف الإيمان.

وكان ﷺ يقول: بالصدقة تقضى الحاجات.

ومن كراماته اللطيفة ﷺ أنه كان يخاطب الطفل الرضيع فينطق بإذن الله ويجيبه، فمن ذلك أنه قال لابنته الرضيعة: يا بنية، ما تقولين فيمن جامع امرأته ولم ينزل، فأجابته بلسان فصيح: يجب عليه الغُسل.

أقول: وهذه المسألة سأل عنها بعض أصحاب رسول الله ﷺ أم المؤمنين السيدة عائشة ﷺ فقال لها: يا أم المؤمنين، إني أريد أن أسألك مسألة وأنا أستحي منك، فقالت:

([٤٦٣]).

سلني عما تسئل عنه أمك، فقال: ما تقولين فيمن أتى أهله ولم ينزل، فقالت: يجب عليه الغُسل، فعلته أنا ورسول الله ﷺ[٤٦٤].

وبهذه الفتوى أخذ الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم.

وأما قول سلطان العارفين ﷺ: (إني عجبت لنفسي كيف ما عبدا) فلا يفيد رضاه بأن يعبد، بل هو في الحقيقة تعجب من حفظ الله له مع تحصيله للمقام العيسوي، وقد افتتن بنو إسرائيل بعيسى عليه السلام بلا قصد منه فعبدوه، لما أتى به من خرق العادة ولم يُفتتن بمثل ذلك أهل ملة الإسلام والحمد لله على ذلك.

مع أن أولياء هذه الأمة وإن لم تبلغ فضل عيسى عليه السلام لأنه رسول مشرع لكنها بسبب وراثة سيد الرسل محمد ﷺ تميزت بشيء لم يكن لعيسى عليه السلام وقد يوجد في الفاضل ما لا يوجد في الأفضل.

وقد ورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: «**كان عيسى يمشي على الماء ولو ازداد يقينًا لمشى في الهواء**»[٤٦٥].

فالمشي في الهواء خصت به هذه الأمة المحمدية بطريق الوراثة النبوية، وقوله تعالى: (**بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**) [النساء:١٥٨]، هو من دون اختياره.

والذي ندين الله به أن محمدًا ﷺ نقطة دائرة النبوة فهو المبدأ وهو الغاية، كما قال: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٤٦٦] فهو الفاتح الخاتم كما قال ﷺ: «و**جعلني فاتحًا خاتمًا**»[٤٦٧] ولذا أخذ الميثاق على النبيين والمرسلين أن يؤمنوا به وينصروه، وأشهدهم الحق على أنفسهم وأخبرهم أنه فيهم من الشاهدين، فأقروا بذلك أجمعين، كما قال تعالى: (**وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ**) [آل عمران:٨١].

وعلى هذا فجميع ما أتوا به من الشرائع والآيات إنما هو من إمداد روحه الشريفة باطنًا إلى أن استدار الزمان، وكملت الدائرة بالختام به ﷺ بصورته ومعناه، وأشرق الوجود بطلعته ومجلاه.

فهْوَ الـذي تَـمَّ معنـاهُ وصُـورَتُه ثـمَّ اصْطفاهُ حَبيباً بـارِئُ النَّسَمِ

---

(٤٦٤).

(٤٦٥).

(٤٦٦).

(٤٦٧).

مُنَـزَّهٌ عَـنْ شَـريكٍ فـي محاسِـنِهِ   فَجَـوْهَرُ الحُسْن فيـه غيـرُ مُنْقسِمِ

والعجب في حقيقة الأمر إنما من قوة العبودية في السيد الأعظم ﷺ حتى حُفظت أولياء أمته وأحبارهم من اتخاذهم أربابًا من دون الله، بخلاف من عبدوا العجل وقالوا لموسى: (ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ) [الأعراف:١٣٨]، وبخلاف من قالوا: (إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ) [المائدة:٧٣]، فحصروه في مرتبة من العدد، وقالوا بالتجسيم المطلق في حق من (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) [الشورى:١١]، مع أن كل أول وآخر وظاهر وباطن مندرج في أحدية اسم واحد من أسماء الله وهو الاسم الإلهي (هو) فالعالم أوله وآخره وظاهره وباطنه بالنسبة لهذا الاسم كموجة واحدة من أمواج البحر المحيط، فما بالك بتجليات الأسماء كلها ما عُلم منها وما لم يُعلم، مما استأثر الله به في علم الغيب عنده، تعالى الله عما يقول الظالمون (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) [الإسراء:٤٣]، (سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الطور:٤٣]،

واعلم ـ رحمك الله ـ أن سر اللاهوت النوراني بمعناه الغيبي السبحاني تجلى لسلطان العارفين رضي الله عنه وهو في صلاته إرثًا محمديًا من السيد الأعظم ﷺ القائل:«**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٤٦٨) وهذا السر الإلهي هو الذي هبَّت نفحاته على آدم عليه السلام فخرَّت الملائكة له سجدًا بأمر الله، وشوهد في جمال يوسف عليه السلام فأخبر الله تعالى أن أنبياء الله خروا له سجدًا، وبهذا السر استحق مثل آدم وداود وأمثالهما أن يكون خليفة عن الله، وما بلغنا أن أحدًا شرَّفه الله بمثل ما شرَّف محمدًا ﷺ بقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠].

حتى لما بايعوه بيعة الرضوان على الأنفس والأموال تمم الله له الشرف وقال: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ) [التوبة:١١١]، فالتجلي من نور الذات على باطن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأما التجلي على السيد الأعظم فهو على ظاهره وباطنه، ولذا كان فرد الوجود وخليفة الله الأعظم بلا اتحاد ولا تعدد ولا تجزؤ ولا تبعض، فمقامه ﷺ الوسيلة يعني أنه وسيلة كل طالب لنيل مطلوبة، فالكل نوابه وخلفاؤه وهو الخليفة الأعظم بالأصالة، فكان أحق من آدم ويوسف بالسجود له، ومع ذلك حينما قال له القائل: يا رسول الله مرني أن أسجد لك فقال: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(٤٦٩) فما ظهر عليه ﷺ إلا العبودية المحضة

(٤٦٨).

(٤٦٩).

لتمكن السر الإلهي فيه وقوته على تحمله، بخلاف موسى ﷺ ظهرت عليه أنوار التجلي حتى كان يتبرقع لأجل ألّا يُعمى الناظر إليه من سبحات الأنوار.

وكذا أفتتن بجمال يوسف ﷺ مع أنه أوتي شطر الحس، ولم يفتتن به ﷺ مع أنه هو الهيولي للحسن والجمال واللطف والكمال، فكان لا يتأثر من توارد التجليات، فآدم نفخ فيه من روح الله، ومحمد ﷺ حقيقة روحه الكاملة نور الله، فكيف يتأثر مما هو مودع في فطرته من الأصل، فما ورد عليه أمر غريب ولا ورد على أمر غريب.

قال تعالى في حق موسى ﷺ: **(فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا)** [الأعراف:١٤٣]، وقال في حق محمد ﷺ: **(مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ)** [النجم:١٧]، والله در من قال:

فطرت على هواك فصنت وجدي   كأني قد فطرت على جفاك

فالنور المحمدي روح روح آدم، وهو المسمى باللاهوت من جهة باطنه الذي هو نور الله القديم الأول، ومن هذا قال سلطان العاشقين ابن الفارض قُدِّس سره بسبب استغراقه في كنه النور المحمدية:

وإني وأن كنت أبن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

فمحمد ﷺ أبو الأرواح كما أن آدم ﷺ أبو الأشباح، فآدم ﷺ هو الأصل ومحمدﷺ أصل الأصل بل أصل الأصول كلها، ولما انجلى لسلطان العارفين ﷺ في صلاته من النور المحمدي ما هو كالشعرة الواحدة بالنسبة لمقام محمدﷺ عجب هذا العجب فكيف العجب في روح الأرواح وجوهرها، وحياة الوجود على الإطلاق! فهو ﷺ لا قيام له بنفسه بل باللطيفة الإلهية النورانية الذاتية، وسائر العالم قائم بالنور المحمدي فمرجع كلام سلطان العارفين باطنًا راجع للحضرة المحمدية، كيف لم تذهله أنوار الربوبية المودعة فيه عن وظائف العبودية؟! ولم تأخذ بعقول الناظرين إليه، وأما من رشح عليه من بحر أسراره رشحه وبلالة فقد سكروا وبدوا حتى طفح إنائهم وقالوا: أنا من أهوى ومن أهوى أنا[٤٧٠].

---

(470) فقد روي أن الشبلي قال: شربت بالكأس التي شرب بها الحلاج فصحوت وسكر الحلاج، فبلغ ذلك الحلاج فقال: لو شرب بالكأس التي شربت بها لسكر كما سكرت، فبلغ الجنيد أمرهما فقال: نقبل قول الصاحي على السكران، فرجح حال الشبلي على حال الحلاج.

ولذلك قالوا: أكثر الشطح يكون من سُكر الحال وغلبة سلطان الحقيقة، فمن ثم من تم صحوه وخلص عن بقية السكر ونزلت في قلبه السكينة ستر الحقيقة بالعلم، ووقف على حد العبودية، فاعلم ذلك فإنه عزيز علمه، إذ تنكشف به الالتباسات التي لم تزل خفية على أكثر أرباب القلوب.

وبعضهم قال: سبحاني، وذلك كله من عدم قوة التمكن وغلبة الحال ولذلك قيل:

يحـرق بالنـار مـن يمـس بهـا ... ومـن هـو النـار كيـف يحتـرق

وهذا العجب من سلطان العارفين وأمثاله إنما هو عند فيضان الوجد عليهم من تجلي سلطان الحقيقة الإلهية، وكلامهم ﵃ عند فيضان الوجد يطوي ولا يحكي، ولذا لما يرجع أحدهم من خطفة جذبة الأنوار لا يتكلم إلا في مقامات العبودية والوراثة المحمدية، وقد وقع من سلطان العارفين ضد ما قاله من هذا العجب وهو قوله في «الفتوحات المكية»:

الله يجعلنـي عبـدًا ويعصـمني ... مـن السـيادة حـالا إنـه شـؤم

فينبغي التسليم لكلامه ﵁ لأنه بحر متلاطم الأمواج لا تنضبط أقواله ولا تدري أحواله، ولله دره حيث يقول:

تركنـا البحـار الزاخـرات ورائنـا ... فلـم يعـرف الأقـوام أيـن توجهنـا

حتى قال ﵁: العارف بالله تعالى كلما كرر الآية من القرآن يفهم منها فهمًا جديدًا ليس كالأول، ولو كررها طول عمره لكان له في كل مرة فهم جديد، فسبحان الواسع العليم ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

وقد أحببت أن أتشرف بتشطير البيتين فجعلت في كل منهما شطرتين ضمن شطرتين فقلت:

يا قبلتي خاطبيني في سجودي لقد ... شاهدت وجه حبيبي ظاهرًا أحدا

وقـد تجلـي بـذاتي نـوره وبـدا ... رأيـت شخصًـا بشخصـي فـي قـد سجدًا

لاهوتـه حـل ناسـوتي فقدَّسـه ... كالبـدر حـل غـدير المـاء منفـردا

أقـامني الله مـرآة لطلعتـه ... إنـي عجبـت لمثلـي كيـف مـا عبـدا

أقول: هذا ما بلغه علمي القاصر وما أحاط به ذهني الفاتر، واستغفر الله مما تعديت به من الحد، وإن كنت قد بذلك به الجهد، وكان حقي الإقلاع عن ذلك بالمرة، وما هلك أمرؤ وعرف قدره على أنه ما كان من حق وصواب، فهو مغترف من بحره العذب المستطاب، وما كان من باطل أو خطأ فهو منسوب إليّ وعائد نقصي عليّ، والأستاذ رضوان الله عليه بمعزل عن كل ما يشين، وأنى يدرك الفحم مرتبة الدر الثمين، ولله در من قال:

وتسـابقت عـرج الحميـر ... فقلـت مـن عـدم السـوابق

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، ونسأل الله تعالى حسن الختام بفضلة عليه الصلاة والسلام.

وارد: البيت العتيق لكل مؤمن وصدِّيق.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن بيت الله عين ساكن؛ لأن الله هو وجود كل شيء أحد لا يتجزأ، وحقيقة مطلقة يندرج بها كل صورة في الوجود، فليس لله محل يسكنه؛ إذ ليس مع وجوده شيء آخر يحل فيه أو يتحد فيه أو يمتزج فيه، بل هو الله الواحد الأحد من جميع الوجوه كما قال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، فأين البيت وأين الساكن؟ بل البيت عين الساكن والساكن عين البيت، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥].

غاية الأمر أن الوجوه الإلهية منها العالي ومنها الأعلى، ومنها الكريم ومنها الأكرم، ومنها الرحيم ومنها الأرحم، ومنها القريب ومنها الأقرب، ومنها العظيم ومنها الأعظم، ولما كان هذا البيت أول بيت لله تعالى، أي: أول صورة إلهية شهادية تجلى الله بها من حضرة ذاته الغيبية المطلقة سمي عتيقًا، أي: قديمًا، لا يعلم له أولية فهو مجلي اسم الله القديم، ولهذا كانت تربة الجسم المحمدي ﷺ من هذا البيت، الذي هو وجه الله القديم، وقد طافت به الأمم السابقة على أبينا آدم الأقرب إلينا بأربعين ألف عام أو أكثر، وطافت به الملائكة قبل الجنس الإنساني، فحاز رتبة الأولية في مظاهر الحق بالنسبة لبيوته، كما قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٩٦]، فهو شهادة الله كما أن باطنه غيب الله.

ألا ترى أن النبي ﷺ صافح الحجر الأسود منه، ووصفه بالسواد من السيادة وقال: «**إنه يمين الله في الأرض**»(٤٧١) ليت شعري هل تقول بأن يمين الله حادث؟ حاشا وكلا، وحيث كان الحجر يمين الله فالكعبة صورة الحق المقدسة، ووجهه الأعلى فهو مجلى﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى:١١]، فلذا كان البيت عتيقًا، ولما كانت قبلتنا التي نسجد إليها نبهنا النبي ﷺ بأنها وجه الله الأعلى حيث نهانا أن نبصق في قبلتنا فقال: «**إن الله في قبلة أحدكم**»(٤٧٢).

خشية اعتقاد المحجوبين أنها بمثابة الأصنام التي قال المشركون في حقهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فنبهنا النبي ﷺ أن الله أقرب إلينا من أن يتقرب إليه ؛ إذ لا ظاهر في الوجود إلا وجهه؟ فهل في الوجود غيره حتى يقرب إليه؟! ولهذا أنزل على محمدﷺ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:١]، فالكعبة المشرفة هي اسم

---

(٤٧١).

(٤٧٢).

الرب الأعلى فكان ﷺ يشاهدها مجلى مقدسا ذاتيًا تطوف به كافة أسماء الله وصفاته، ولما كنا مظاهر أسماء الله وصفاته أمرنا الله بالطواف بها فقال: **﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾** [الحج:٢٩]، بمعنى أنه معتق عن طاف به من رق حجاب الغيرية، ومدخل له الأمان الذاتية، وبمعنى أنه معتَق بفتح التاء من رق الأسماء والصفات؛ لأن الكعبة المشرفة هي عين تجلي الذات، ولما كان الأمر كذلك أمرنا بالطواف سبعة أشواط؛ تنبيهًا على صفات الله السبعة الأئمة التي لها التقدم على جميع الأسماء والصفات؛ لنشاهدها هي المجلى الذاتي الساري بنا وبكل شيء في الوجود[٤٧٣].

ولقد كنت أراقبها أشاهد سريانها في قلبي، وأنها تخاطبني مني حين التفت عنها خطاب العتاب، وتقول: أما تستحي مني، تلتفت عني وأنت تشاهدني، فكأنما تقول لي: هل بعد مشاهدة الذات تلتفت إلى مشاهدة الصور المتفرقة؟ فلا تخرج من العين إلى الأين، بل أن الصور وإن كانت هي العين فأنا العين وإنسان العين.

أما علمت أن حجة الله على عبدة الأوثان في قوله: **﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡ﴾** [الرعد:٣٣]، فلو سمُّوهم لم يسمُّوهم بأسمائه كما فعل رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله في قبلة أحدكم**»[٤٧٤] فلم يشاهد عين قبلته إلا الله.

ولما كان هذا التجلي الذاتي المحمدي لا يقوى عليه إلا ورثته المقربون خاطب الضعفاء بمرتبة الإحسان؛ فقال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنه تراه**»[٤٧٥].

ألا ترى أن الوارث المحمدي الكامل الخاتم الأولياء المحمديين أستاذنا في العلم بالله الشيخ الأكبر محمد بن علي بن العربي محيي الدين لم يقيدها بصورة الحجر والطين بل كان يراها في صورة امرأة إشارة أنها الذات التي هي أم الأسماء والصفات فهي أم الوجود بأسره، وأولادها منها وعينها، فقال رضي الله عنه:

يـا قبلتـي خـاطبيني فـي سجودي   رأيـت شخصًـا بشخصـي فـي قـد

---

(473) يقال: إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل إليه من ناحية من نواحيه إلا بقطع المفاوز والمتاهات فكيف تطمع أن تصل إلى ربِّ البيت بالهوينى دون تحمُّل المشقات ومفارقة الراحات؟!

ويقال: لا تُعلِّق قلبك بأول بيتٍ وضع لكَ ولكن أفردْ سِرَّكَ لأول حبيبٍ آثرك، ويقال: شتَّان بين عبدٍ اعتكف عند أول بيتٍ وُضِع له وبين عبدٍ لازم حضرة أول عزيز كان له، ويقال: ازدحام الفقراء بهممهم حول البيت ليس بأقل من ازدحام الطائفين بقَدَمِهم ، فالأغنياء يزورون البيت، ويطوفون بقَدَمِهم، والفقراء يبقون عنه فيطوفون حوله بهممهم. انظر: تفسير القشيري (٣٥٧/١).

(٤٧٤).

(٤٧٥).

لقـــــــــــــــــــــــد سجدا

لاهوتـــه حـــل ناســـوتي فقدَّســـه إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا

والمخلص من هذا العجب أن الصورة الإنسانية لها الحركة الحسيَّة، فلو كانت في المرتبة المعبودية؛ لفاتها المرتبة العابدية، فكانت العابدة من جهة الصورة، والمعبودة من جهة الحقيقة؛ ولهذا السر نهى ﷺ من قال له: مرني أن أسجد لك عن السجود له وقال: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»(٤٧٦).

وقد كنت شطرت هذين البيتين وشرحتهما، فلا اعتمد على ما سلف، ولكني الآن أقول ما يجريه الله على لساني ويفيضه على جناني فأقول: إن الشيخ الأكبر لما كان مقامه نقطة الذات وتجليها بصور الأسماء والصفات فكان يشهد أعلى عليين عين صورة أسفل سافلين، خاطب قبلته وما خاطب إلا الله؛ لأنه طلب الخطاب في السجود، والسجود لا يكون إلا على الأرض، ورسوله الله ﷺ قال: «**لو دليتم بحبل لهبط على الله**»(٤٧٧).

فقد سمى الأرض باسمه الأعظم، فانقلب أسفل سافلين ـ الذي هو حقيقة الأجسام ـ أعلى عليين الذي هو نور الأرواح وأصلها وحقيقتها، فعلمنا أن المشهد الحاتمي عين المشهد المحمدي وراثة منه ﷺ فكان خاتم الأولياء مرآة لخاتم الرسل والأنبياء ﷺ في مشهده الذاتي الأحدى المطلق، الذي تتدرج أمواج الصور في بحر وجوده المحيط، كما قال تعالى: ﴿**وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ**﴾ [الرعد:٣٩]، فذاته تعالى هي الأم، وكل صورة في الوجود هي الكتاب.

وقوله رضي الله عنه: رأيت شخصًا بشخصي في قد سجدا معناه أن الأنوار الذاتية اللاهوتية تتشكل وتمتزج بالصور الجسمية، فتتجلى بالتصور والتشكل حتى تتحد ذاته وتكون عينه ويكون هو إياها، ولاسيما إذا كانت اللطيفة الإلهية ذاتية، وهذا مشهد البيعة الإلهية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ**﴾ [الفتح:١٠].

فقوله رضي الله عنه: يا قبلتي خاطبيني، هو تجلي الله في مرتبة المعبودية، وقوله: (رأيت شخصًا بشخصي في قد سجدا) هو تجلي الله في المرتبة العابدية، فالعابد عين المعبود وذلك معنى قولهم: عبادة العارف تشريف لا تكليف؛ لأن العابد في العارف هو الله العابد لنفسه في نفسه، وهذه حضرة سقط فيها التكليف، ومعنى سقوطه أن العارف لا يشهد اثنين، فليس الحق غيره حتى يكلفه بل هو القائم لجميع أحكام الربوبية، كما أنه القائم بجميع تجليات

---

(٤٧٦).

(٤٧٧).

العبودية، فالعارف بالله أعظم الناس تمكنًا في القيام بالأوامر المشروعة، والتنزه عن المخالفات القبيحة؛ لأنه متخلق باسم الله الطاهر القدوس، وخارج عمن قال الله في حقهم: **(إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)** [التوبة:٢٨]، فأين المشركون من مشهد **(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)** [الإخلاص:١].

ولقد رأيت من الجهلة السفلة من يزعم أن العارف لا يجب عليه صلاة ولا صوم، بل إن صلاته وصومه مجاراة للمحجوبين، فجعل هذا الجاهل العارف بمنزلة المنافقين الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ يصلون ويصومون حقنًا لدمائهم وخشية على أموالهم، فأين هؤلاء السفلة الأوغاد الذين خرجوا من (ربقة) دين الإسلام فضلاً عن المعرفة التي يدعوها من قوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٤٧٨] فالمنافقون يقومون فيها وهم لها كارهون، والعارفون بالله يقومون فيها وهم بالله قائمون.

قال ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»[٤٧٩] ولم يقل: أرحنا منها، بل راحته بصلاته لا منها، ويحتمل قوله: «أرحنا» من الرَّوح بفتح الراء، أي: أشممنا منها الرائحة الطيبة التي هي الأنفاس الإلهية والنفحات الربانية، ولذلك قام ﷺ حتى تورمت قدماه عن حب وعشق وصدق لا عن مجاراة للخلق، فان الله أنزل عليه: **(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً)** [المزمل:١،٢]، مع أنه مشاهد للحي القيوم القائم بكل شيء فنعوذ بالله من تبدل الصلاح بالفساد، ومن التكذيب والزندقة والإلحاد، وعلى الله قصد السبيل.

اعلم يا أخي أن العارف بالله يحب ضرب رقبة الزنديق الذي يزعم أن العارف بالله سقطت في حقه الأمور المشروعة، بمعنى أنه يستحيل تركها أكثر من حبه أن يضرب بالسيف رقاب عباد الأوثان من المشركين، والله على ما نقول وكيل.

وأما قوله ﵁: (لاهوته حل ناسوتي فقدَّسه) فالمعنى فيه أن لاهوت الحقيقة الكلية الذاتية تجلى على ناسوت صورته المقيدة الشخصية، فاندرج موج الصورة في بحر الحقيقة المحيط فلم يسمع لموج الصورة فيه غطيط، وهذا مشهد قوله تعالى: **(كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ)** [القصص:٨٨]، وفي هذا التجلي الذاتي تقديس صور الوجود، فيكون الله فيها هو الموجود والمشهود، كما قال باب مدينة العلم على المصطفى وعليه التحية: إن غبت بدا وان بدا غيبني، فلذلك قال الشيخ ﵁: إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا؛ أي: أنا هالك ووجه

([٤٧٨]).

([٤٧٩]).

الله هو الظاهر لا أنا، فلو عبدت لكان هو المعبود، فما المانع من جواز عبادتي؟ وقد بيَّنا لك أن المانع من ذلك هو كمال في العارف لا نقص؛ لأن الحق متنزل فيه لمرتبة العبودية، كما أن باطنه عين مرتبته الربوبية.

إلا قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، فالعارف بالله قاب القوسين، أي: الحقيقة البرزخية التي لها وجه لأحسن تقويم، وذلك مرتبة الربوبية، ولها وجه لأسفل سافلين وهو مرتبة الذل والعبودية.

ألا ترى أنه تعالى تنزل من مقام: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، إلى مقام «**جعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ومرضت فلم تعدني...** إلى أن قال: **ظلمني ابن آدم وشتمني ابن آدم**»(٤٨٠) حتى وصف نفسه بأنه لا أحد أصبر على الأذى منه، وتسمى تعالى بالصبور.

ومن المعلوم أنه لا يقوم بهذه المراتب كلها إلا العارف بالله فهو مطلق عن جميع القيود، فلا يقيد بمرتبة المعبود، بل كما له كمال الاسم الأعظم وهو الله، وأين الاسم المعبود من جمعية الاسم الذاتي الذي هو الله.

انظر إشارته ﷺ في قوله: «**أوتيت جوامع الكلم**»(٤٨١) ومن جملة الكلم الاسم العابد والاسم المعبود، فالبحر لا يتقيد بموجة من أمواجه؛ إذ جميع الموج مندرج في حقيقته العظمى، فكمال العارف أن يسمى بجميع الأسماء.

وقد انتهى الكلام على الأصل فلنذكر ما يفتح الله به من التشطير؛ تبركًا بخدمة سيدنا الأستاذ وإمامنا وقدوتنا المرشد الملاذ سلطان العارفين الشيخ الأكبر مرشد المحققين ـ قدَّس الله سره ـ فنقول:

يا قبلتي خاطبيني في السجود لقد	**شاهدت وجه حبيبي قبلتي فبدا**
وقد تشخص مثلي نوره فلذا	**رأيت شخصا بشخصي في قد سجدا**
لاهوته حل ناسوتي فقدسه	**كالبدر حل غدير الماء منفردًا**
دكت جبالي فناء فانطويت به	**إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا**
أقامني الحق مرآة لطلعته	**إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا**

(٤٨٠).

(٤٨١).

وأني والله لفي خجل من الهجوم على مقام سيدي الذي لست أهلاً أن أقف ببابه، ولا مثلي يصلح أن يتمثل بأعتابه، ولكن دائرة جوده الحاتمي واسعة فبه ﵁ تقدمت، ولقوة رجائي وزيادات حبه نطقت بما نطقت، فهو بحر السماع وطلعة السعد والرياح، وإلا فمن أين تقاس الملائكة بالحدادين؟ ولله در القائل:

أمـــا الخيـــام فإنهـــا كخيـــامهم وأرى نسـاء الحـي غيـر نسـائهم

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

العقد الفريد في وارد التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم: قال الله تعالى لمحمد ﷺ : (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**) [الزمر:٦٥ ـ ٦٨].

اعلم يا أخي ـ عّلمك الله من لدنه علمًا وأتاك حكمةً وفهمًا ـ أن عموم العلماء ذهبوا في هذه الآية غير مذهب التحقيق.

وزعموا أن هذا الخطاب لمحمد ﷺ وإلى الذين من قبله من الرسل تهديد ووعيد، وجعلوه غير مناسب لمقامه ﷺ ومقام من قبله من الرسل، فقالوا: هذا الخطاب إنما هو للأمة، والرسول قام مقامهم وتحمّل سطوة الخطاب عنهم؛ لأنه أولى بهم من أنفسهم ، فيكون هذا الخطاب من باب إياك، أعني فاسمعي يا جارة، والأمر كذلك هو خطاب وتعليم لنا في حقيقة الأمر، لكنه ليس من قبيل التهديد والوعيد كما زعموا، وإنما هو من حكم ما تقتضيه الحقائق في ذاتها على ما هي عليه، وتنبيه من الله أن الشرك جهل محض؛ إذ ليس التوحيد إلا إفراد الوجود لله بلا إثبات وجود معه لسواه، ولو أثبت الموحّد نفسه أنه موّحد، فهو المشرك الخالص بل كل من يقول : إن الله تعالى خارج عن أول وآخر وظاهر وباطن فهو مشرك، وإن ملأ الدنيا والآخرة تسبيحًا وتقديسًا؛ لأن الله تعالى قال: **(هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** [الحديد: ٣]، وهو يقول : لا ليس هو الظاهر، بل هو منزَّه عن أن يكون ظاهرًا بالصور، فما أقبح هذا التنزيه الذي به يكذّب ربه جلَّ وعلا ! فهو إذن مُشرك لا موحِّد.

حدَّثني سيدي الحسين الفاطمي المغربي عن بعض الذاكرين للاسم الأعظم[٤٨٢] وهو الله أنه مازال يذكر هذا الاسم حتى صار مرسومًا في كل شيء، فبال هذا الذاكر فرأى الاسم مرقومًا في بوله فأخذه حال عظيم، وإذا بقائل يقول له: ابتلاءً واختبارًا، نزِّه ربك، فقال: تنزيهه أن لا ترى سواه، فعند ذلك تجَّلت له الحقيقة الإلهية في كل شيء، وتقدَّس في نظره كل شيء، وتحقَّق بمشهد قوله تعالى : **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ)** [البقرة:١١٥] أي: لكل وجه في الوجود **عَلِيم()**بوجوهه كلها.

فإن قلت : إن البول من الأعيان النجسة، فكيف رأى الذاكر الذي عنيت عنه الاسم الذاتي مكتوبًا عليه ؟! وكيف يرتقم الاسم الظاهر في الأعيان النجسة ؟!

---

(٤٨٢) وقد تكلم الشيخ الأكبر عن الاسم الأعظم في «الفتوحات المكية» (١١٩/٣) فقال: الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع وفيه الحي القيوم ولابد، فإن قلت: فهو الاسم الله، قلت: لا أدري، فإنه يفعل بالخاصية، وهذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كانت صفة للمتلفظ بها بخلاف ذلك الاسم، ولكن الظاهر من مذهب الترمذي أن رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير وهو الكامل، وإذا كان هذا فهو الأول في طريق القوم أن يشرح به رأس الأسماء فإن آدم علمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقًا فتجلى له تجليًا كليًا فما بقي اسم في الحضرة الإلهية إلا ظهر له فيه فعلم من ذاته جميع أسماء خلقه.

فأقول: إن من المعلوم أن البول لو ُألقي في البحر ينقلب ماء طهورًا، فكيف إذا بدا نور الحق المطلق في عين من الأعيان ؟! بالضرورة تتقدَّس تلك العين، وإذا كانت النار تُطهِّر النجس في بعض المذاهب، فكيف بالنور القديم المطلق؟!

ومن المعلوم عند أهل الله أن الولي يبدِّل الله له الطعام الحرام بحلال؛ لئلا يأكل الحرام، فليس بالبعيد أن يُبدِّل الله له البول بماء طاهر، ويرتقم اسم الجلالة عليه، كما يُبدِّل الله سيئات التائبين حسنات، وكما يُبدِّل بغض المبغض فيجعله حبًّا وعشقًا، ولله در الغوث الجيلي ـ قُدِّس سره ـ حيث قال :

فكل قبيح إن نظرت لوجهه	**أتتك معاني الحسن فيه تسارع**
يكمل نقصان القبيح جماله	**إذا لاح فهو للقبح رافع**

إذا تقرر ذلك، فلنرجع إلى الكلام على الآية المتقدمة، وهي قوله تعالى لحبيبه ومجلاه وصورة كماله المطلق وكنه معناه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، فتقول : قال تعالى : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، ومحمد ﷺ هو المظهر الكامل الذاتي المنطبق عليه سائر الأسماء والصفات، والأعمال كلها من آثار الأسماء والصفات، فإذن كل عمل يُنسب إلى الله تعالى فهو منسوب إليه؛ لأنه مجلى الأحدية وطلعة الذات الإلهية بحكم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ﴾ [الفتح: ١٠].

فعلى هذه القاعدة خاطبه الحق بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ [الزمر:٦٥]، أي: لئن جعلت وجود الله تعالى خارجًا عن حقيقة وجودك، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]؛ لأن عملك هو عمل الله بك، فإذا نسبت الاسم الأعظم لغيرك وجعلت مدلوله خارجًا عنك ليحبطن عملك الذي هو عمل الله، ويكون إحباطه منك، فحينئذٍ تخسر حقيقة الحق الظاهرة فيك، وتخسر العمل المنسوب لتلك الحقيقة، مع أنك فرد الوجود أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا؛ لأن الحقيقة الإلهية لا تتجزأ، فكل صورة في الوجود هي مجلى حقيقتك الجامعة، ولا شك أن مشهد هذه الأحدية هو مشهده ﷺ، فما خاطبه إلا بما تقتضيه الحقائق من التجلي الذاتي الأحدى الذي يليق بكماله، والخطاب له بذلك والتنبيه لنا في الحقيقة، وهو ﷺ لا يزيغ عن هذا المشهد، كما قال في حقه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]، أي: ما زاغ بصره عن نفسه[٤٨٣]، فما رأى في كل ما رآه في إسرائه ومعراجه سواه؛ ولذا قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾

---

(٤٨٣) وذكر هذه الآية إلى الرؤية الثانية؛ لأن في الرؤية الأولى لم يكن شيء دون الله؛ لذلك ما ذكر هناك غضَّ البصر، وهذا من كمال تمكين الحبيب في محل الاستقامة وشوقه إلى مشاهدة ربه؛ إذ لم يمل إلى شيء دونه، وإن كان محل الشرف والفضل.

[الإسراء:١] أي: مظاهرنا المختلفة وصورنا المتشكلة، ولم يقل: لنريه آياتنا؛ لأن الرائي عين المرئي ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير:٢٦]، والمطلوب هو في الذاهب، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٧] أي: الحق جلَّ وعلا، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧]، فهو الذكر، والعالمون هم المذكورون بذلك الذكر، وقد نبَّهنا على ذلك بقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] أي: من جهة الغيب والشهادة، والظهور والبطون، والإطلاق والتقييد، والتنزيه والتشبيه .

ولاشك أنه ﷺ مطبوع على التوحيد، بل هو حقيقة الفردية العظمى، والمقصود من الله التنبيه لنا من باب: إياك أعني فاسمعي يا جارة، ولما كان أسوتنا كان هو المخاطب؛ لنقتدي به فلذا قال له: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ [الزمر:٦٦] أي: في كل صورة تجلى بها، مع أنه هو العابد لنفسه في مظاهر قدسه، ثم قال : ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٦] أي: اشكره في جميع ما يظهر لك به من سائر الصور، فامتثل الأمر وقال: «**تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى**»[٤٨٤]، وذلك لأن الله أخبره بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، وهو الظاهر بجميع الصور، فكل صورة في الوجود صورته، فالشفاعة شفاعته، ولا مرجو إلا هو، ومن لم يشهد هذا المشهد، فهو مشرك وإن وحَّد، ولهذا سجد وسجد معه من في المسجد من مسلم ومشرك وجن وإنس، والمحجوب يطعن في هذا الحديث، ويزعم أنه من إلقاء الشيطان في تلاوة رسول الله ﷺ، فلا يدري المنكر أن رسول الله ﷺ قال في قرينه :« **إن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[٤٨٥]، فانقلب الشيطان في حقه ملكًا يأمره بالخير.

وقد رأى بعض أهل الكشف الشيطان وهو يريد أن يقرب من بعض المصلين ليوسوس له في صلاته فرآه كلما تقدَّم يرجع ويتأخر، فقال له: مالك لا تتقدم على هذا المصلى. فهل خفت منه؟ فقال: ما خفت منه ولكني خائف من هذا النائم الذي إلى جانبه فإن النور صاعد منه وأخاف أن أتقدم على المصلي فيحرقني نور هذا النائم ، فإذا كان الشيطان يخاف من نور الأولياء النائمين أن تحرقه. فكيف لا يخاف من نور السيد الأعظم والحبيب الأكرم الذي منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار ؟ !

ولما كان الخطاب للسيد الأعظم، والمقصود في الحقيقة: الأمة، لذلك أخبره أنهم قاصرون عن مشهده في الأحدية ومشربه في الهوية، فقال في حقهم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

([٤٨٤]).

([٤٨٥]).

قَدۡرِهِۦٓ [الأنعام:٩١]، من جهة ما ينبغي له من الإفراد في الوجود وحده، **(وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)** أي: هي في قبضة ذاته باعتبار وجود كل شيء في قبضة ذاته : **(وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ)** من اليمن وهو البركة. ويمينه كناية عن تجلي تلك البركة ولا أبرك منه تعالى؛ لأنه الجامع للسماوات وغيرها، والواسع الذي وسع بوجوده كل شيء، ولذا قال : **(سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)**[الزمر: ٦٧] والمشرك من يزعم أن لغيره وجودًا معه.

فإن قلت: كيف قال الخليل عليه السلام: **(أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ)** [الصافات:٩٥] ؟

فأقول لك: الجواب في قوله تعالى: **(قُلۡ سَمُّوهُمۡ)** [الرعد:٣٣] فلو سمُّوهم لم يقولوا: هم هو، وإنما يقولون: هبل مثلاً، ولذلك لما قالت قريش في حرب النبي ﷺ : أعل هبل، فقال ﷺ : «**الله أعلى وأجل**»(٤٨٦) وذلك لأن هبل مندرج في الحق، وليس العلو إلا لله وحده الظاهر في كل صورة من هبل وغيره، فقامت الحجة على المشركين؛ لا لأنهم عبدوا غير الله، بل لأنهم لم يشاهدوا أنه هو المعبود في كل معبود.

ألا ترى تنبيه الحق لهم بقوله: **(أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)** [الأنعام:٤٠] فقوله:**(أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)** يسمى عند علماء العربية استفهامًا إنكاريا؛ أي: لا تدعون غير الله إن كنتم صادقين في التحقيق بقوله: **(فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ)** [البقرة: ١١٥] بل إياه تدعون في التحقيق، أي: ولو في وجوه من سماهم بالغرانيق، فما عرفوا حقيقة قبلتهم مع أنه ﷺ قال : «**إن الله في قبلة أحدكم**»(٤٨٧) ولذلك نقول: كل من دعا مدعو، فما دعا إلا الله في حقيقة الأمر ولذلك ذمهم الله لما زعموا الغير فقال: **(أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)** [الشورى:٩].

فلو اتخذوا الأولياء ولكن لا من دونه بل اتخذوه أنه هو الولي في مظاهر الأولياء كما ذمهم الله، ففي مشربنا معشر أهل الحقائق نقول: بأن الطائفة الوهابية هم المشركون؛ لأنهم يزعمون أن الأولياء غير الله، والله يقول : **(فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ)** [الشورى:٩] فلم يفهموا معنى قوله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٤٨٨).

---

(٤٨٦).

(٤٨٧).

(٤٨٨).

فلو سألوا أحدًا حاجة واستعانوا به نقول لهم: أشركتهم؛ لأنكم لا تعتقدون أنكم سألتم الله، وأنكم استعنتم بالله، وليس مقصود النبي ﷺ إلا أن نسأل الله في كل سؤال، ونستعين به في كل مستعان، فنحن الموحدون ولله الحمد، ونحن الفقراء إلى الله، ولو افتقرنا إلى جميع خلق الله، فليس عندنا في الوجود إلا الله.

ولله در القائل :

مـذ عرفـت الإلــه لـم أر غيـرًا وكــذا الغيــر عنــدنا ممنــوع
مـذ تجمعـت مـا خشـيت افتراقـا فأنــا اليــوم واصــل مجمــوع

بل أقول : إن كل ميت حي؛ لأن حياة الله سارية في الوجود حتى ولو صار الميت ترابًا، فأقول: إن صورته الإنسانية موجودة حاضرة في تلك الصورة الترابية حتى قال أهل الله: إن كل شيء فيه كل شيء، ومن هذا كان بعض الأولياء يقول لعصاه: كوني إنسانًا فتكون إنسانًا، فيستخدم ذلك الإنسان ثم يقول: كن عصا فيعود عصا كما ذكره الشعراني في «**الطبقات**» والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: الذات الماحي لصور الأسماء والصفات.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: **(وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)** [الصافات: ١٤،١٥]

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الذي وقع به الإلهام الإلهي في حق الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه كان من أهل التجلي الذاتي العيني، وهذا التجلي يحرق الصور التي هي براقع العين الذاتية، فكان يشهد الصور الكونية تماثيل خيالية لا حقيقة لها في عين الذات، وإنما هي كأمواج البحر بالنسبة إلى البحر، فكان الطريق الإبراهيمي في إرشاده تجريد التوحيد الذاتي عن الحجب الصورية، ولذلك **(قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ)** [الأنبياء:٦٢]، فمشهده **(كُل شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ)** [القصص:٨٨] أي: إلا ذاته، كما أن الموج هالك في البحر ولذلك كان يقول: **(إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)** [الأنعام:٧٩] أي: تجلى بذاته فيها فانمحت بوجوده.

فكان يدرج السالكين إلى علم اضمحلال الصور في الحقيقة، وإن إثبات الصور وهم وخيال ومجرد محض منام، ولما أتاه الله **(رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ)** [الأنبياء:٥١] أي: أعطاه مقام ثبوت الذات ومحو صور الأسماء والصفات، كان مرشدًا كاملاً إلى هذا التوحيد الأعظم بحسب تدريج السالكين، فيقول عن الكوكب: **(هَـٰذَا رَبِّى)** [الأنعام:٧٦] وهو لا يشهد من الكوكب إلا حقيقة الله الثابتة التي تتنوع بالصور الكوكبية وكل صورة في الوجود، فلا

تنحصر ذات الرب بالكوكب (فَلَمَّآ أَفَلَ) [الأنعام:٧٦] أي: غاب الكوكب:(قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ) [الأنعام:٧٦] وذلك لأن الصور كألوان الحرباء في الحرباء، ومعلوم أن الألوان في الحرباء ظهور خيالي، ولو كان ظهورًا حقيقيًا ما انمحت تلك الألوان، فمن هذا المعنى كسر الأصنام الصورية ليحمل على توحيد الحقيقة العينية، فتكسير الأصنام بمنزلة قوله تعالى: (لا إِلَٰهَ) وقوله تعالى : (إِلَّا ٱللَّهُ) [الصافات:٣٥] بمنزلة قول إبراهيم عليه السلام : (وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ) [الأنعام:١٩].

ولمَّا كان هو المرشد الكامل صلوات الله وسلامه عليه، وكان يحب ذبح ولده بسيف الفناء في الله والبقاء به قامت هذه الصورة المعنوية في خياله المتصل به، فأشهده الله إياها في منامه بمشهد خيال مطلق منفصل وهو أن يفني ولده عن نفسه ويبقيه بالله؛ فاختبر عليه السلام ولده بقوله: (إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ) [الصافات:١٢] أي: أفنيك يا ولدي عن شهود نفسك فتبقي بربك، (فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ) [الصافات:١٢] يقول الخليل عليه السلام لولده : ماذا ترى؟ هل ترى نفسك حتى أفنيك عنها؟ أو ترى ربك في نفسك فيكون هو الباقي بك وأنت هالك فيه؟ فقال: (يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ) [الصافات:١٢] سَّلم الأمر لوالده؛ لأنه تحقق أن الأستاذ أعلم بالمريد من نفسه، أي: عاملني بما أعلمك الله بي، واحكم عليّ بما تؤمر من إفناء أو إبقاء فما كانت المشقة على الخليل إلا من صعوبة الاختبار على ولده، أو لعله لم يستحكم فيه حال الفناء في الله، فيظن انعدام نفسه بالذبح، أو خاف أن ولده يخشى الألم ولا مشقة على الخليل في أوامر الله؛ لأن مقامه تكسير الأصنام، ولا صنم أكبر من الولد لأنه من أعظم القواطع عن الله عادة.

وفي مذهبي أن الخليل لا يؤلمه ذبح ولده؛ لأن إحياءه بيده، فإن الله تعالى حققه بقوله تعالى: (يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ) [غافر:٦٨] لمَّا طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى فعلم الله منه إنه يريد أن يحيي الموتى بنفسه؛ لأنه طلب الكيفية، فلذا أمره الله بقوله: (فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ) [البقرة:٢٦٠] ، فالمشقة على إبراهيم من خوفه على ولده من التألم بسبب عدم التحقق بحال الفناء في الله، وعدم كمال التسليم إلى الله، فلما قال: (يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ) [الصافات:١٢] علم أن الولد دخل حال الفناء عن نفسه وبقى بربه وحيث بقى بربه لا تؤثر فيه السيوف القواطع، فأحب أن يظهر للحس صورة ما شاهد من حال ابنه في عالم الخيال فنحره، فلم يؤثر فيه السلاح، فقال تعالى: (وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ * قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ) [الصافات:١٤،١٥] أي: أخرجتها من عالم

البطون إلى عالم الظهور؛ ليتحقق ابنك بالفناء معنى وصورة ويتبين صدقه بالمشاهدة في قوله ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، فتصديق إبراهيم عليه السلام للرؤيا من شدة تمكنه في الإرشاد، حيث حقّق ولده بالفناء ظاهرًا وباطنًا حسًا ومعنًا، وهذا عندي هو المناسب لقول الله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]؛ لأن المُفدى في كلام الله هو ولد إبراهيم بالكبش، وإنما كان الذبح سُنة لنا ليحققنا الله بالاسم المميت، وننتفع بمن في قابليته حل الأكل، فيكون ما كان لأبينا الخليل سنة لنا في ذبح الكباش وأكلهم، وتصديق هذه الرؤيا نظير ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها: «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة**»[٤٨٩].

فكان لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح، فيستوي الغيب والشهادة والظاهر والباطن، فقوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٥] أي: جعلت الحس مطابقًا للمعنى لترشد الأمة من علم اليقين إلى عين اليقين بل إلى حق اليقين، فالفداء على هذا حقيقي كما في ظاهر القرآن، وإذا تحققت ما ذكرناه علمت أن الخليل عليه السلام لم يفعل ما فعله بولده لأجل تعبير الرؤيا، ولم يكن علم تعبير الرؤيا خفيًا عنه، مع أنه علم يوسف الصديق عليه السلام؛ إذ من المعلوم أن مقام الخليل عليه السلام أسمى وأرقى من المقام اليوسفي، وقد قال نبينا ﷺ لمن قال له يا خير البرية: «**خير البرية إبراهيم**»[٤٩٠]، وقال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»[٤٩١] والحاصل أن الخليل كان في هذا المقام متحققًا بمقام الذات الذي لا يدخل تحت حكم الأسماء والصفات، ولذالك قدَّم ولده للقربان وماله للضيفان وبدنه للنيران، فصح أنه خليل الرحمن، فافهم.

وقال سلطان العارفين في «فصوص الحكم» الذي ترجم فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما ذكره حيث قال رضي الله عنه في الفص الإسحاقي: اعْلَمْ - أيّدنا الله وإيّاكَ- أنَّ إبراهِيْمَ الخلِيْل عليه السلام قال لابنِهِ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢]، وَالمَنامُ حَضْرَةُ الخِيال فَلَمْ يُعَبِّرْها، وكان كَبش ظهر في صُورة ابْن إبراهيم في المَنام فصَدَّق إبراهيمُ الرُّؤيا، فَفداهُ رَبُّهُ مِن وَهْمِ إبراهِيمَ بِالذبْح العَظيمْ الّذي هُوَ تَعبير رُؤياهُ عِنْدَ الله وَهُوَ لا يشعرُ، فَالتَّجَلّي الصُّوريُّ في حَضْرَةِ الخيال يَحْتاجُ إلى عِلْم آخَر يُدْرَك بِهِ ما أرادَ الله بِتِلك الصُّورة.

---

(٤٨٩).

(٤٩٠).

(٤٩١).

وقال الله تعالى لإبراهيم حِيْنَ ناداهُ: (أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ * قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ) [الصافات:١٠٥]، وما قالَ لهُ صَدَقْتَ فِي الرُّؤيَا أنّه ابْنُك، لأنَّه ما عَبَّرَها، بَلْ أخَذَ بظاهِرِ ما رأى، والرُّؤيا تَطْلُبُ التَّعبير، ولذلك قال العزيز: (إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ) [يوسف:٣٤] إلى آخر ما ذكره ﵁، وقد اعترض على الشيخ الأكبر ﵁ في هذا الفص من وجوه:

الأول: أن الله تعالى قال: (وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ) [الصافات:١٧] وقول الشيخ الأكبر ﵁: وكان كبش ظهر في صورة ابن إبراهيم يقتضي الحقيقة لا الفداء؛ لأن المراد بابنه عند الله هو الكبش، وقد وقع الذبح على الكبش فلا فداء.

الثاني من وجوه الاعتراض قوله: ففداه ربه من وهم إبراهيم بالذبح العظيم بأن ما رآه إبراهيم ﵇ وقع بعينه بأنه باشر الذبح وأضجع ولده وأخذ المدية وأمررها على حلقومه ليقطعه، ولكن لم يحصل القطع، فمعنى قوله: (أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ) [الصافات:١٢] أي: أرى أني مشتغل بأفعال ذبحك، ولا يلزم من ذلك تمامه، وقد وقع منه في اليقظة ما رآه في المنام فصدَّق الرؤيا حسًا كما فعل منامًا، فلم يكن ذا وهم وخطأ بل كان على حق وصواب.

والوجه الثالث: أن العزيز علم أن للرؤيا تعبيرًا، والخليل فاته هذا العلم والجواب عن ذلك: أن الشيخ ﵁ في كتاب «الفصوص» مترجم عن المقام المحمدي، فما نطق إلا بما حدَّه له رسول الله ﷺ فالمتكلم في حقيقة الأمر هو رسول الله ﷺ، فمن اعترض عليه عاد اعتراضه على النبي ﷺ القائل له: هذا كتاب «فصوص الحكم» خذه واخرج إلى الناس ينتفعون به.

وحاصل مرام الشيخ ﵁ أن الذي حصل للخليل ﵇ على حسب ما كان متعودًا من الله من أن الذي يراه في المنام يخرج في الحس بعينه، وهذا هو بدء الوحي الذي قالته عائشة ﵂ في حق رسول الله ﷺ من أنه كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، يعني أن الغيب عين الشهادة، والظاهر عين الباطن، فنقله الله إلى مقام أعلى كما أمر نبينا ﷺ أن يقول: (رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا) [طه:١١٤] فرقاه الله عن مشهده المعتاد، وما كان مراد ا لله من هذا المنام إلا ذبح الكبش؛ ليطابق الحس تعبير الرؤيا أن المراد بذبح ابنه هو ذبح الكبش، فتوهم إبراهيم ﵇ أن هذه الرؤيا جارية على حسب ما كان متعود من الله من إنفاذ الأوامر المنامية في الحضرة الحسيَّة، ولذا قال ابنه ﵇ : (ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ) [الصافات:١٢] لعلمه أن والده كان يؤمر بالمنام، فيبرز ما أمر به إلى الحس،

ولا يخفى أن الكامل إذا انتقل إلى المقام الأعلى والأكمل صار المقام السابق في حقه وهمًا بالنسبة إلى المقام الذي انتقل إليه، وإن كان في نفسه كمالاً.

ألا ترى قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولما دعا ﷺ على رعل وذكوان وعصية أوحى الله إليه: «**يا محمد، إن الله ما أرسلك سبَّابًا ولا لعَّانًا ولكن أرسلك رحمة للعالمين**»(٤٩٢) مع أن دعاءه عليهم لأنهم أغضبوا الله تعالى، فهو كما قال في حقه، فلما انتقل إلى المقام الأعلى قال: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»(٤٩٣) فليت شعري هل يقول هذا المعترض بأنه ﷺ كان أولاً غير مؤدب؟ حاشا وكلا.

ولا يقتضي كلام الشيخ بأن الخليل عليه السلام كان جاهلاً بتعبير الرؤيا بل كلامه يقتضي أنه لم يكن أولاً مأمورًا بتعبير الرؤيا، وإن كان متمكنًا من تعبير الرؤيا، فما وقع له الأمر بالتعبير إلا بعد أن نَّفذ أمر الله بالأخذ بالظاهر حكمة من الله وابتلاء ليظهر صدق إبراهيم عليه السلام في امتثال أوامر الله.

وقد قيل: إن الله لما أمره أن يختتن اختتن بالقدوم؛ لأنه لم يجد الموسى في ذلك الوقت فقيل له: لم لم تؤخر الختان حتى تجده؟ فقال: إن تأخير أمر الله لعظيم، فقول الشيخ عن إبراهيم: فلم يعبرها، أي: لم يؤمر من الله بتعبيرها؛ لأن الأنبياء لا يفعلون شيئًا إلا بأمر من الله تعالى لا من تلقاء أنفسهم، ويلزم هذا المعترض على الشيخ بأنه أساء الأدب في حق الخليل عليه السلام أن يعترض على النبي ﷺ لأجل قوله تعالى في حقه ﷺ: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ *أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ**﴾ [عبس:١،٢]؛ لأن الله لم ينزه النبي ﷺ كما أن الشيخ لم ينزه الخليل عن الوهم، فكراهة الأعمى أعظم من وهم الخليل عليه الصلاة والسلام في ظاهر الأمر، وحيث أن المعترض لا يقبل في حق الأنبياء إلا التنزيه المحض فكيف يفعل بقوله تعالى: ﴿**وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ**﴾ [طه:١٢١] وبقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ**﴾ [ص:٣٤] وبقوله تعالى: ﴿**وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ**﴾ [ص: ٢٤] وبقوله تعالى: ﴿**وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ**﴾ [الأحزاب:٣٧].

فوهم إبراهيم عن علم إلهي لا يدريه هذا المعترض فأبقاه الشيخ مستورًا؛ لأن ظهور الكبش في صورة ابن إبراهيم عين ظهور الحق في الصور والمعترض لا يدري أن الكبش صورة الحق، فهو من هذا الوجه عين ابن إبراهيم وعين كل شيء.

---

(٤٩٢).

(٤٩٣).

ألا ترى قول الحق لمريم عليها السلام : (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا) [مريم: ٢٦] أي: إ رأيت الأحد من البشر(فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا) [مريم: ٢٦] عن السوى، فلا أرى إلا الأحد (أُكَلِّمَ فَلَنۡ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا) أي: بل لا أكلم إلا الأحد المطلق، وذلك عين قوله تعالى: فَأَيۡنَمَا (تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة:١١٥]، وحسبك أن النبي ﷺ شهد لها بالكمال.

وانظر إلى قول الله لمحمد ﷺ في حق الفقراء: (وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)؛ لأنه تصدى لهداية الأغنياء كما قال تعالى: (أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ) [عبس:٥،٦] مع أنه ما تصدى إلا إلى الحق، ولكن سُمي المقام السابق الذي كان فيه ﷺ بالنسبة إلى المقام الذي انتقل إليه، (زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)، فو الذي لا إله إلا هو لا يرى محمد ﷺ زينة الحياة الدنيا إلا الله، فنقله الله إلى مشاهدة عبودية الحق في الفقراء المشار لها بقوله تعالى: (مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا) [البقرة:٢٤٥] كذلك الخليل عليه السلام نقله الحق إلى شهود الأحدية المطلقة، وأن الظاهر في صورة ابنه عين الظاهر في صورة الكبش، فكان الحق تعالى عين الفداء والمفدى؛ إذ كل شيء فيه كل شيء.

ولقد ُألهمت أن معنى قول الله تعالى للخليل عليه السلام: (وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ) أي: أذن فيهم بأحديتك السارية فيهم، فإذا سمعت أذان نفسك سمعه كل شيء؛ إذ أنت كل شيء، ولذلك أجابه الناس من أصلاب آبائهم[٤٩٤].

وكذا قوله لمحمد ﷺ: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ) أي: وأنت الساري فيهم بحقيقتك النورانية، فإذا رفع بهم عنك فيهم الحجاب فقد ارتفع العذاب، إذا تحققت ذلك فقل لهذا المعترض

وإذا لــم تــر الهــلال فســلم لأنـــــاس رأوه بالأبصـــــار

ويكفي ما ذكرناه في الذب عن أستاذنا في العلم بالله الشيخ الأكبر والكبريت والسر الأظهر والأبهر سلطان العارفين وسيد المحققين وخاتم الأولياء المحمديين سيدي محمد بن علي بن العربي محيي الدين رضوان الله وسلامه عليه وعلى أهل الله كافة، والشيخ رضي الله عنه هو أعلى وأجل من أن يذب عنه مثلي، ولله در القائل :

مــن كــان فــوق محــل الشــمس فلـيس يرفعـه شـيء ولا يضـعه موضـــــــــــــــعه

([٤٩٤]) فقد دعاهم بلسان الحق لذلك أجابوه بالتلبية بقولهم: «**لبيك اللهم لبيك**»، وتلك الإجابة من الأرواح القدسية من معادنها من الغيب عشقًا ومحبة، وهذه المعاني تدل على كون الأرواح قبل الأشباح يأتون مقام خلتك المحبين المفردين من غيرنا المتجردين من أنفسهم في زيارتنا.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين.

وارد: الختام في مرآة سيد الأنام.

قال الله تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب:٤٠].

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن مبدأ النبوة روح خاتم النبيين كما قال ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٤٩٥].

فتلك نبوة الروح وختام النبوة ظهور جسم تلك الروح التي لها البداية في النبوة، فالنبوة دائرة مبدأها عين غايتها، وكذلك الولاية كالنبوة لها مبدأ ولها ختام، فمبدأها خاتم الأولياء، وختامها ظهور جسم خاتمها، والذي نحن بصدده ولاية محمد ﷺ فختمها خاص لا عام، وبين كتفي هذا الختم الخاص خاتم الولاية الذي كان وليًا وآدم بين الماء والطين، وهذا الخاتم هو خاتم الأولياء المحمديين فما حصَّله محمد ﷺ من طريق النبوة يحصله خاتم الأولياء من طريق الولاية، والسر في ذلك قوله ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه**»[٤٩٦] فيكون خاتم الأنبياء في ظهور ولايته ويكون خاتم الأنبياء مرآة لخاتم الأولياء، فيما انطوى عليه ظاهره من الأمور المشروعية من أوامر ونواهي، فالنسبة بين الخاتمين أن باطن كل منهما هو ظاهر الآخر، ولا يخفى أن المرآة ينطبع فيها الصورة الظاهرة، فمحمد ﷺ مرآة ولاية خاتم الأولياء نبوة، كما أن خاتم الأولياء مرآة نبوة خاتم الأنبياء ولاية، فالولاية كانت مكتومة في زمنه ﷺ ولكن هي فيه ظاهرة إلا أنها خاصة فيه ولم تكن عامة، فالحاصل أن خاتم الأنبياء مرآة خاتم الأولياء في الشرائع، وخاتم الأولياء مرآة له في الحقائق.

وقد قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره مصرحًا بأنه خاتم ولاية محمدﷺ:

بنا ختم الله الولاية فانتهت ... إلينا مقامًا لي فلا ختم من بعدي
سوى الخاتم الأعلى الذي عم ختمه ... نبي الهدى عيسى الذي جاء من بعدي
يصدق ما قال النبي محمد ... من أنبائه إذ كلَّم الناس في المهد
وما فاز بالختم الذي لمحمد ... من أمته والعلم إلا أنا وحدي

فصح أن كلاً من الختمين مرآة الآخر، وحيث كان كذلك فكل للآخر هو هو حقيقة، وليس هو هو حكمًا واعتبارًا، وهذا الحكم والاعتبار هو المسمى بالوراثة؛ لأن الوارث

([٤٩٥]).

([٤٩٦]).

ظاهرًا غير الموروث، ومن جهة أن ما عند الموروث هو عند الوارث هوهو، ولاسيما الولد الروحي أو الجسمي فإنه سر أبيه، فالوالد سبب في وجود الولد، فهو حسنة من حسناته، والولد مجلى لوالده ومشهد له؛ إذ لولا الولد ما سمى الوالد والدًا، ولا نال ثواب التربية، ولولا فضل الولد ما قال زكريا ﵇: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم:٥،٦].

ألا ترى النبي ﷺ ورثنا ثواب رسالته في أمره لنا حيث قال: «**ليبلغ الشاهد الغائب**»[٤٩٧] فنحن مرآة له في تبليغ أحكام رسالته، فصح قول: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٤٩٨] فالوارث الكامل هو خاتم ولايته، كما قيل في المثل: وافق شن طبقة[٤٩٩]، وهذا معنى قول الشيخ الأكبر في الفص الشيثي من كتابه «فصوص الحكم»: فخاتم الرسل من حيث ولاية نسبته مع الختم للأولياء نسبة الأنبياء والرسل معه، كذلك الحق جلَّ وعلا، لولا الخلق من أين يسمى خلَّاقا، والعليم لولا معلوماته من أين يسمى عليمًا، فكل منهما يمد الآخر كإمداد الزوجين، في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ﴾ [البقرة:١٨٧].

---

(٤٩٧).

(٤٩٨).

(٤٩٩) قال الشرقي بن القطامي: كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم، يقال له: شن، فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها. فبينما هو في بعض مسير إذا وافقه رجل في الطريق فسأله شن: أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصدها شن، فوافقه حتى أخذا في مسيرهما قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل، أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكت عن شن، وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصد، فقال شن: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل، ترى نبتًا مستحصدًا فتقول أكل أم لا؟ فسكت عنه شن حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحب هذا النعش حيًا أو ميتًا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي؟ فسكت عنه شن فأراد مفارقته، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله؛ فمضى معه فكان للرجل بنت يقال لها طبقة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه، فقالت: يا أبت، ما هذا بجاهل، أما قوله: أتحملني أم أحملك؟ فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فأراد، هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الجنازة فأراد، هل ترك عقبًا يحيا بهم ذكره أم لا، فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ثم قال: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم فسره، قال شن: ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه، قال: ابنة لي، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله، فلما رأوها قالوا: وافق شن طبقة، فذهبت مثلاً. انظر: « مجمع الأمثال» (٣٥٣/١).

ولا يخفى أن اللباس سترًا للابس وصون له كما أن القشر الظاهر صون حافظ إلى اللب، فلولا القشر ما كان لب، ولولا اللب لم يكن القشر القشر، ومن هنا ينكشف قول الشيخ:

فلـــــــــولاه ولولانـــــــــا لمـــا كـــان الـــذي كانـــا

فالولاية لباس النبوة ومرآتها، وكذلك الخلق لباس الحق؛ أي: مجلس ظهوره بالصور، والحق لباس الخلق بالوجود؛ لأن الخلق من جهة نفسه عدم، فما لبس حلية الوجود إلا بالحق الظاهر فيه.

واعلم أن الكامل المطلق هو الذي يُستمَد من كل شيء؛ لأن كل شيء وجه الله.

ألا ترى أنه ﷺ بعد استوائه على عرش منبره نزل واعتنق الحسين ـ قُدِّس سره ـ وصعد به المنبر، فإن نزوله إليه فهو شبيه بنزول الحق من عرشه إلى سماء الدنيا لأجل حاجتنا فيقول: «**هل من داعٍ ....**»[٥٠٠] الحديث، وصعوده بالحسين إشارة إلى جذبه لمنزلته العليا، وكذا مصّه لسان عائشة إشارة إلى أنه يسقيها شراب باطنه السري وتسقيه شراب الحق من جهة القابلية لا من جهة الفاعلية، وكذلك كشف رأسه للمطر إشارة للتلقيات الإلهية وتنزل الكمالات عليه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: جناني في بيان قرآني

قال الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى:١١].

اعلم ـ رحمك الله تعالى وفتح فهمك للمعاني الإلهية ـ أن الكاف في قوله: كَمِثْلِهِۦ() [الشورى:١١]، أصلية لا زائدة كما يفهمه العموم، فإنا إذا جعلناها زائدة يكون المعنى ليس مثل الله شيء؛ لأن الحوادث لا تشبهه، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وهذه عقيدة من يعرف الله بفكره لا بإيمانه، ومثل هذا ينزل جميع ما ورد في الكتاب والسنة من العلم بالله على حسب ما يأوله بفكره، وهو الذي في قلبه زيغ عمَّا أبانه الله ونطق به رسوله ﷺ، فيصف الله بتنزيه لم يصف به نفسه، ويفضل في حق الله ألفاظه على ألفاظ الله ورسوله؛ فيقول مثلاً: حاشا ربنا من النزول والاستواء والضحك والبدء والقدم وأمثال ذلك، فالذي أثبته الله لنفسه ينفيه عنه، فما أقبح هذه المعرفة! وما أشنع هذا التنزيه! وهذا هو الجهل المركب فهو كما قال الله تعالى: (ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [الكهف:١٠٤] .

---

(٥٠٠).

وأما المحققون من أهل الله فلا زائد عندهم في القرآن العظيم، بل كل شيء له معنى ولا عبث في القرآن ألبتة، فالكاف عند المحققين بمعنى المثل، فيكون المعنى: ليس مثل مثله شيء، فالمثل الأول هو آدم ﷺ، ومثل هذا المثل هو محمد ﷺ فكون المثل آدم لقوله ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»(٥٠١) فهو المثل، وليس المراد أنه ثاني؛ لأن واحدية الله لا تقبل الثاني كواحدية العدد، بل واحدية الله وجوده الذي لا يقبل الغير كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وقد اجتمعت هذه الأربعة في آدم ﷺ فهو أول من جهة روح الله المنفوخ فيه، وآخر باعتبار أنه غاية تنزلات الحقائق، فهو الإنسان الذي هو أحسن تقويم وأسفل سافلين، فلا أعلا منه ولا أسفل منه، وهو صورة والباطن روحًا؛ فلهذا المعنى هو المراد بأنه مثل الله، أي: صورة الله الكاملة، ومجلى ذاته، ومحل ظهور أسمائه وصفاته، ولهذا على ملائكة الله حتى سجدوا له، فافهم.

وأما كون محمد ﷺ مثل هذا المثل؛ لأنه في الصورة إنسان مثل آدم فما هو من حقيقة غير آدم لحقيقة الملائكة مثلاً إلا باعتبار أحدية الوجود المطلق فليس المنفي عنه الشيئية في كلام الله تعالى المثل، بل المنفي عنه الشيئية هو مثل المثل وهو محمد ﷺ كما يفيده قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[الأحزاب:٤٠]، أي: منتهى دائرة الكل أجمعين، والمنتهى عين المبدأ؛ فهو مطلق عن الشيئية والوجود المحض الذي هو نور السماوات والأرض، فهو ليس شيئًا من الأشياء المقيدة؛ لأن الشيء المقيَّد كالجزء من الأجزاء، فنفى الله عن مثل المثل وهو محمد ﷺ الشيئية التي تطلق على كائن في الوجود من المظاهر المقيَّدة، وقد أشار ﷺ إلى شأنه الأحدي بقوله:«**كان الله ولم يكن شيء غيره**»(٥٠٢)

فلا شيء في حضرة الإطلاق المشار إليها«**كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**»(٥٠٣) وقد بيَّن الله معنى هذه النبوة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، أي: لا سميع إلا هو، ولا بصير إلا هو، فهو السميع لنفسه أزلاً والبصير كذلك، يعني أنه الحقيقة الجامعة لكل شيء سميع ومسموع ولكل بصير ومبصر، وحيث كان كذلك فليس شيئًا كما تعهدون بل كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(٥٠١).

(٥٠٢).

(٥٠٣).

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠]، فهذا بيان الله وأصرح من بيان الله لا يكون (وَمَن أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا) [النساء:٨٧] (وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً) [النساء:١٢٢].

فنبوته وآدم بين الماء والطين كونه روح آدم وحقيقة القائل: (فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ) [الحجر:٢٩]، فما سجد الملائكة إلا لتلك الروح المنفوخة في صورة آدم، فآدم قبلة وكعبة الملائكة كما أن الكعبة المشرفة قبلتنا، والسجود له هو المعنى الظاهر في صورة آدم، وهذا المعنى عين نبوته الباطنة ﷺ فبين الله ذلك بأن محمدًا ﷺ عين الوجود المطلق الذي يندرج فيه كل ما يسمى شيئا فكيف يكون شيئًا وهو حقيقة كل شيء ؟!

فلتفهم قوله تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) [الشورى:١١]، فالسجود الملكي لمحمد باطنًا وهو في الظاهر لآدم، ولله در من قال:

نظـرت إليهـا والملـيح يظننـي — نظـرت إليـه لا ومبسـمها الألمـى
ولكن أعارته التي الحسن وصفها — صفات جمال فادعي ملكها ظلمًا

أي: إن ادعى ـ وحاشا آدم عليه السلام من الدعوى ـ ولكن الدعوى للمحجوب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

واعلم ـ سقاك الله شراب محمد الطهور وألبسك من ملابس ظهوراته نور على نور ـ أنه فتح عليّ في الكلام على هذا الوارد الجامع للمعرفة الإلهية المحمدية، وأنا أطالع الفص النوحي من كتاب: «فصوص الحكم» لسلطان العارفين وأستاذهم الشيخ الأكبر، وقد تكلم على هذه الآية، ولكن لا بالمعنى الذي تكلمنا به، ولا أشك أنه من باطنه رضي الله عنه ، فإنه مظهر كمالات محمد ﷺ التي انطوى عليه باطنه ﷺ، وذلك لأني طلبت منه في مقامه عند ضريحه الشريف أن يفيض على معاني كتابه «الفصوص» حسب ما يفهمها هو من نفسه، فأخذ الشرح منه رضي الله عنه، ولاشك أن أجاب، وكيف لا وجدّه حاتم طي ما بدا منه الجود العظيم إلا من كون هذا المظهر المحمدي الكامل في ظهره، ومن جوده رضي الله عنه أنه أهدى لنا أذواقه وعلومه في كتبه لنحصل على ما حصل عليه؛ إذ المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والله هو المؤمن في الحقيقة، فافهم ما أشرنا إليه، وعلى الله قصد السبيل، فهو القاصد بنا وهو عين السبيل وعين ما يقصد، فالكل منه وإليه، فهو المؤمن المحب والمؤمن المسمى بالأخ والنفس هي نفسه والحقيقة حقيقته والمظاهر مظاهره(فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:١١٥] ؛ فكل وجه في الوجود وجهه، فما طلب طالب إلا منه، ولا أعطى إلا إليه، فمن قال: يا رسول المدد، أو يا محيي الدين، أو يا عبد القادر، أو يا رفاعي

لا يجيبه إلا الله؛ لأن الله قال: (ٱلنَّاس يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡفُقَرَآءُ أَنتُمُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ) [فاطر:١٥].

فمن زعم أن الذي ينادي الأولياء مشرك فهو المشرك؛ لأننا لا نثبت غير الله، والوهابي يثبت غير الله، فهو المشرك ونحن الموحدون بفضل الله ورحمته؛ لأننا نراه في كل شيء، ونشاهده في كل شيء، فحينئذ لا يغيب عنَّا: لأن الأشياء لا تغيب عنَّا، وكيف يغيب عنا ونحن المؤمنون بأنه هو الظاهر ؟!

وأما أهل غير الحقيقة لا يصدقونه في أنه هو الظاهر، ولا يسلمون له كلامه فيعبدون ربهم بالتخيل فيطلبونه ولا يجدونه؛ لأنهم على قاعدة: كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، فكذبوا الله في قوله: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣]، فمتى يجدونه وقد أعدموه؟! ولهذا أضل الله أعمالهم كما ضلوا فلا يجدون ربهم ولا يجدون أعمالهم إلا في العدم كما قال: (كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ) [النور:٣٩]،

وأما نحن فوجدنا عين الشراب لا عند السراب، فما ظمأنا ولكن شربنا وطربنا وساقينا، هو ساقي القوم، فهو أولنا شربًا وآخرنا شربًا، فلا يدخل الجنة حتى ندخلها جميعا مع أنه أول من يقرع بابها، ويدخلها بصورته الخاصة، ومن جهه حقيقته هو الآخر، فالأول هو والآخر هو، فلا يصدق من وصفه بدخول الجنة إلا بدخول مظاهر حقيقته، وهذا معنى قول الله تعالى: (وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ) [الأعراف:٤٠] أي: حتى يكشف لهم أن الحقيقة المحمدية عين المظاهر الصورية (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ) [إبراهيم:٢٠]، لأنه القائل: (ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) [طه:٥]، والمعنى استيلاء الحقيقة واندراج صور الوجود في حقيقة الرحمن فتلك الحقيقة موطن الصور والله الموفق.

وارد: التبديل والانقلاب، وحقيقة (سور له باب).

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: (يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ) [إبراهيم:٤٨].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن كل شيء في الوجود مربع المراتب فله أوليه وآخرية وكل منها له ظاهر وباطن، فكل أمر من سائر الأمور تجلي وظهر فهو أول عندك وظاهر، فإذا انقلب من صورة إلى صورة غيرها بطن الأول الظاهر، وكانت الصورة الثانية هي الآخر بالنسبة للصورة الأولي، وبالنسبة لما ينقلب إليه الأمر من صورة تظهر بعد ذلك هي الأول

الظاهر، والعين عين واحدة ولكن تختلف عليها الاعتبارات، وهكذا أبد الآبدين ودهر الدهرين، فالعين لا تبدل ولا تنقلب، فلا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن بالنسبة للحقيقة العينية، وإنما اختلاف الصور أدى إلى معنى الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فالانقلاب والتبديل للصور والتسمية بالأول والآخر والظاهر والباطن بالنسبة لمن ابتدأ عنده الأمر أو انتهى لأمر آخر أو ظهر عنده أو بطن عنه، فكم من أول عندك هو آخر عند غيرك وكم من ظاهر عندك هو باطن عند غيرك.

ألا ترى أن عصا موسى عليه السلام لما كانت عصا في يده كانت صورتها هي الأول الظاهر؛ فلما ألقاها وبُدِّلت حيَّة صارت الحية هي الآخر بالنسبة لصورة العصا التي بطنت بعدما كانت ظاهرة، وصورة الحية وإن كانت ظاهرة فهي آخر بالنسبة لمن تجلت له؛ فالعين واحدة والحكم مختلف، وهكذا تبديل الأرض غير الأرض والسماوات، فالأرض والسماوات كعصا موسى عليه السلام تقبل صورتين، والحقيقة واحدة، فإن كانت الدنيا هي الأول عندك تجلت لك في الصورة المناسبة للدنيا، وكان غير تلك الصورة آخرًا باطنًا بالنسبة إليك، كما أن الذي ظهرت له الآخرة بطن مشهدك عنه، وهكذا كل ضدين متقابلين في الوجود يلج هذا في هذا، وهذا في هذا قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج:٦١] أي: يدخل الباطن في الظاهر ويدخل الظاهر في الباطن، والنسبة الرابطة بين الأول والآخر والظاهر والباطن هي المسماة بالبرزخ، وهي سور الأعراف، أي: برزخ المعرفة لمعاني أسماء الله وتجلياته وظهوره، فإذا انقلب الأول للآخر والظاهر للباطن وبعكس ذلك لا ينقلب إلا إلى حقيقة ذاته وإن اختلفت الصورة، ومثال ذلك عصا موسى عليه السلام دار الدور فانقلبت لنفسها، فكل أمر في الوجود روحه سماؤه، وأرضه صورته والانتقال الصوري تبديل في حق من بدل عنده والحقيقة واحدة، فالدنيا عين الآخرة والجنة عين النار، والوجود كله واحد والبرزخ الذي هو الفاصل المميز بين الصورتين، وهو المشار له بسور الأعرف الذي ﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ [الحديد:١٣] أي: وجه إلى الظاهر ووجه إلى الباطن، فمن الباب تدخل من الظاهر إلى الباطن، وتخرج من الباطن إلى الظاهر، وهو هو، فالمبدل عين المبدل إليه، والمنقلب عين المنقلب إليه.

ألا ترى إلى بديع إشارة الله تعالى بلفظ الباب، فإنها إذا انقلبت لا تنقلب إلا إلى نفسها فهي لا تستحيل بالانعكاس على حقيقة نفسها، فالسور هو البرزخ بين الأول والآخر والظاهر والباطن، وله وجه لكل منهما، بل البرزخ هو الحقيقة الجامعة للضدين، فوجود الله تعالى برزخ الأمور كلها؛ لأنه جامع مراتب الوجود الأربع، وهو الباطن الذي فيه

الرحمة؛ أي: رحمة الحقيقة التي عرفها أهل الأعراف العارفون بأنفسهم العارفون بربهم (وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ) [الحديد:١٣]، عذاب الخلقية؛ لأن الظاهر هو الصورة الكونية، فهي في عذاب القيد لا في رحمة الإطلاق، فهذا السور البرزخي الذي له باب باطنه الحق وظاهره الخلق، ينقلب الأمر من جلال التقييد إلى جمال الإطلاق، وذلك معنى ولوج الجمل؛ أي: الحقيقة (فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ) [الأعراف:٤٠] أي: الصورة، فكل أمر في الوجود كعصا موسى عليه السلام فيكون الأمر الواحد مثلا له صورتان: صورة بشر لمن تجلت له، وصورة حجر لمن تجلت له، والمناسبة بين حجريته وبشريته هي السور البرزخي، فيكون البشر حجرًا في مشهد الباطن، ويكون الحجر بشرًا في مشهد الظاهر.

ألا ترى أن عبد الله بن أبي سلول هو على فراشة بشر مات وعمره سبعون سنة وقد أخبر النبي ﷺ أنه: «**حجر يهوي منذ سبعين سنة من أعلى جهنم حتى صار في قعرها**»[٥٠٤] فولادته هي أعلى جهنم، وموته هو قعرها، فهذا بُدِّلت سماؤه غير سمائه وأرضه غير أرضه، فروحه سماؤه وصورته أرضه، كالممسوخ من الإنسانية إلى الحجرية، فهو بشر حجر؛ لأنه عندك حجر وعند نفسه إنسان، وهذا يسمى: علم التبديل وعلم الانقلاب، فينقلب الأمر من حق إلى خلق، ومن خلق إلى حق، ومن أول إلى آخر، ومن ظاهر إلى باطن وبالعكس، (وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ) [الشعراء:٢٢٧]، قدم المفعول وهو (أَيَّ) أي: ينقلبون أي منقلب، أي: أولاً آخرًا؛ لأن الألف من قولنا: أي، أول الحروف والياء آخرها، فالألف بواحد والياء بعشرة، والجملة إحدى عشرة، وهي عدد الاسم الإلهي (هو) والاسم (هو) له وصف الأول والآخر والظاهر والباطن، فما ينقلب الذين ظلموا إلا إليه؛ لأنهم مظلمون في حقيقة الأمر حيث جعلهم مظاهر اسمه (الضار) فالثناء والحمد له والشكر، والمذمة عليهم، فكانوا وقاية له من ذم الألسنة؛ إذ ليس الظلم إلا أن يفعل الشخص ما يريد من هوى نفسه، وليس الفعال لما يريد إلا هو، فهو المسمى الذين ظَلموا بفتح الظاء، كما أنه المسمى بالذين ظُلموا بضم الظاء، فكما أن الأمر منه وإليه فكذلك هو منه وواقع عليه، فمن الظالم ومن المظلوم ؟! وقد قال ﷺ: «**لله ما أخذ ولله ما أعطى**»[٥٠٥].

---

(٥٠٤).

(٥٠٥).

ولا يقتضي كلامنا الرضا بعدم أداء الحقوق الذي هو المشروع؛ لأن أداء الحقوق لا يخرج عن قاعدة: «**لله ما أخذ وله ما أعطى**»[٥٠٦] فالآخذ عين المعطي، والضار عين النافع، والظالم عين المظلوم، ولولا أن الله تعالى أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسني لدعوناه بكل اسم في الوجود، فأهل الشهود باطنًا ينكرونه بذكر اسم كل موجود، ومن هنا قال بعض المجاذيب:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيستي

فكل اسم في الوجود فهو اسم الله في الحقيقة وإن لم يرد في ظاهر الشرع، ومن تحقق أنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن علم أن أسماء كل أول وآخر وظاهر وباطن هي أسماؤه من باب الإشارة والتلويح لا من باب النص والتصريح.

ومن غرائب ما وقع لسيدي عبد الغني النابلسي ﷺ ما ذكره في «شرح الفصوص» للشيخ الأكبر ﷺ في شرح الفص الشيثي حيث قال: وقد أخبرني بعض الإخوان أنه رأى في منامه قبر إبراهيم الخليل وقبر هود عليهما السلام، وإنه جالس بينهما يتلو أسماء الله الحسنى حتى فرغ منها كلها، فسكت فسمع من القبرين من يقول له: كمّلها ثم سمع إكمالها من القبرين بكلام يخرج على منوال ما تلاها، فإنه قال: اللطيف الخبير العليّ العظيم... إلى آخره، فقيل له: الكافر الفاجر الفاسق التاجر البائع المشتري... وهكذا إلى آخره، من هذا القبيل ما لا يحصى، فأصبح من ذلك خائفًا مذعورًا، فقصَّ عليَّ هذه الرؤيا فأخبرته بحقيقتها، وعرَّفته الأمر على ما هو عليه فاعترف به. انتهى كلامه، ويناسب هذه الرؤيا قول بعضهم:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا في صورة الآكل والشارب

أقول: هما حالتان: حالة فرق، وحالة جمع، فمن جهة الفرق نقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن جهة الجمع نقول: أعوذ بك منك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:٩١]، والأسماء شيء والمسميات شيء، ولذا قال صاحب المقام الأنسي سيدي عبد الغني النابلسي ﷺ: يا مسمى بالأسامي كلها وهو المنزه، أي المنزه وجوده الجامع وكنهه الواسع عن وجود السوى فصح أنه المسمى بجميع الأسماء حتى بهند أو أسماء.

---

(٥٠٦).

وقد علمت مما ذكرناه في هذا الوارد أن جميع الحقائق سواء كانت دنيوية أو أخروية لم يخل الوجود الإلهي عنها، وإن التقديم والتأخير والظهور والبطون أمر نسبي، أي: على حسب الكشف والتجلي، ولذا قال تعالى في حق الساعة: **(لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ)** [الأعراف:١٨٧] أي: لا يكشفها **(إِلَّا هُوَ)** والوقت يختلف باختلاف المكاشفين، ولذا قال لحبيبه ﷺ: **(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ)** [النحل:١]، مع أنه عندهم لم يأت، ولو رفع عنهم الحجاب لشاهدوا النعيم والعذاب، ولبدلت أرضهم غير الأرض وسمواتهم غير السماوات، ولبرزوا لله الواحد القهار في أي صورة تجلى بها من نور ونار، ولله در من قال:

كنار موسى يراها عين حاجته وهي الإله ولكن ليس يدريه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

قال رسول الله ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٥٠٧] وفي رواية: «**بين الروح والجسد**»[٥٠٨].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن النبي بشر رسول للناس كافة، ولا معنى لنبوته إلا أن يكون مبعوثًا لأمثاله من البشر بالتكاليف الشرعية من الأمر والنهي، وهو مأمور أن يخاطب الناس بلسانهم لا بما تفهمه عقولهم، والحضرة حضرتان: حضرة ثبوت ولا مزية فيها؛ لأن سائر الأشياء فيها على السواء، فلا مزية في تلك الحضرة لأحد على أحد، بل ولا نبوة فيها ولا تكليف، وإن كانت الأمور كلها في تلك الحضرة ثابتة ـ ولكن ثبوت بطون لا ثبوت ظهور كثبوت النخلة في النواة ـ فلا معنى النبوة في تلك الحضرة، فبقى أن يكون المراد في حضرة الوجود لا في حضرة الثبوت، وكذلك الوجود: وجود الأرواح ووجود الأشباح، فإن كان المقصود وجود الأرواح بدون الصور المادية فلا مزية أيضًا؛ لأن الأرواح لا تكليف عليها، بل عبادتها ذاتية، فهي مجبولة على التقديس والطهارة، فبقي أن يكون المراد نبوة الشبح والصورة، وحيث كان الأمر كذلك فمتى كان نبيًا بصورته الظاهرة والقرآن نزل عليه وآدم بين الماء والطين، والحال أنه في جسمه من ذرية آدم، وقد كان آدم بصورته الظاهرة ومحمدﷺ لم يوجد بجسمه البشري ؟!

---

(٥٠٧).

(٥٠٨).

وهذا سؤال تركه الشيخ الغوث الكبير المحقق سيدي عبد الكريم الجيلي كنزًا مطلسمًا ولم يشرح معناه، بل قال: أحَلْناكَ في الجواب على نفسك بما يفتحه الله عليك، فما الذي يقال حينئذ في الجواب؟

أقول: قد فتح الله عليَّ في جوابه نهار الخميس بعد صلاة الصبح في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب الفرد الحرام سنة ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، وبيان ذلك بحوله الله وقوته: إن الله تعال قال: (**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**) [الحديد:٣].

وكل صورة في الوجود عين وجود الحق جلَّ وعلا، فلابد أن يكون لكل صورة في الوجود دائرة في الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية دائما أبدًا؛ لأن وجود الله تعالى دائم لا ينقطع، فالصورة الآدمية دائمًا أول لما بعدها، وآخر لما قبلها، وظاهر بوجودها الجسدي وباطن بالوجود الروحاني، وكذلك صورة محمد ﷺ الجسمية، والله تعالى قد قال: (**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**) [البقرة:١٤٣]، فنحن دائما وسط بين محمد ﷺ الظاهر وبين آدم الذي سيظهر في الدور الآتي، فقوله ﷺ:« **كنت نبيًا**» بين آدم سابق وآدم لاحق الذي سيوجد وهو بين الماء والطين، فأشار سيدنا محمد ﷺ أنه كان نبيًا في الدور الذي قبل دورنا وقبل آدمنا الذي وجد بعد آدم الذي كان قبله، فعلى هذا دائما أبدًا آدم أول آخر ظاهر باطن، وكذلك محمد ﷺ، بل أقول: كل شيء في الوجود هكذا هو دائرة دائمًا تدور في الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، ولذلك قال الله تعالى: (**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**) [البقرة:١٤٣]، أي: بين آدم الأول وآدم الآخر ولا يزال الأمر هكذا، وبذلك اتضح قول الله تعالى: (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**) [آل عمران:١١٠]، واسم كان للماضي، وإلا لقال: أنتم خير أمة أخرجت للناس فأفاد أن أمته في كل دور خير أمة أخرجت للناس.

ألا ترى أن الله تعالى قال: (**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ**) [الأنبياء:٥١].

والرشد: هو العمل الصالح، أي: كان إبراهيم من قبل في الدور الذي قبل هذا الدور، وقال تعالى: (**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ**) [الواقعة: ٦٠ـ ٦١]، أي: لم يسبقنا أحد إلى تبديل صوركم بعد فنائها، فأشار تعالى إلى دوران الدور كما قال: (**كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ**) [الأنبياء:١٤] وقوله: (**و نُنشِئَكُم فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ**) [الواقعة:٦١]، لأن كل أول له آخر، والآخر يرجع أولاً فيكون الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا بحسب دوران الدورة، فالنشأة الآخرة ترجع أولاً فتبطن في حقنا النشأة الأولى، وإذا ظهرت النشأة الأولى بطنت في حقنا النشأة الآخرة، وهذا الدوران

اسمي لا ذاتي، وبالدور الاسمي اتضح حديث «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف**»[٥٠٩] النسبة لما ظهر هو معروف، وبالنسبة لما لم يظهر هو كنز مخفي، ولكن وجهة الذات هو على ما هو عليه، فلا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن، وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]، فالفلك هو الأسماء الإلهية، وصور الوجود هي السابحة، فتحقق هذا المعنى، فإنه يلقيك في بحور لا ساحل لها، وقد فتحنا لك الباب فلج، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وارد:

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الإبل عجيبة باسمها ومعناها؛ لأنها من جهة اسمها جمع وفرد؛ لأن الإبل لفظ يدل على الكثرة لاستغراقه لكل فرد منها مع أن هذا الاسم لا واحد له من لفظه مثل: تمرة وتمر، وحبة وحب، فاسم الإبل وإن دلَّ على الكثير فهو واحد في عين تلك الكثرة، كذلك صور العالم وإن تكاثرت فهي حقيقة واحدة بين الوجود والعدم؛ لأنها برزخية بين ذات الله ومعاني أسمائه وصفاته، فمن الذات التي هي الوجود المحض، ومن معاني الأسماء ـ التي هي أحكام لا وجود لها في العين، وإنما تتعقل في الذهن ـ فهي عدم في الوجود العيني ظهر العالم الذي هو عبارة عن الصور، فالصور برزخية لا وجودية من كل وجه، ولا عدمية من كل وجه فهي من جهة الوجود عين الذات، ومن جهة الحكم العدمي عين الأسماء والصفات، فشابه لفظ الإبل الحق في واحديته، وصور العالم في كثرته، كذلك لفظ الجلالة هو واحد في نفسه، ولكن اندرج فيه كل شيء.

وأما العجب في معناها، فإنها مع كبرها وعظمتها تنقاد لكل عظيم وحقير وصغير وكبير، وتحمل النفيس والخسيس، ولا تمنع أحدًا من التمكن منها ولو كان نملة أو بعوضة، كذلك وجود الله تعالى لا يأبى أحدًا، فهو ظاهر في السعيد والشقي والعزيز والذليل، فأشبهت الأرض التي هي تحت العزيز والذليل، مع أن الأرض لما ذُلّت تحت نعال الذليل أعزها الله تعالى بسجود الآدمي، ووضع وجهة الذي هو أشرف ما فيه عليها، وقد قالﷺ: «**لو دليتم بحبل لهبطتم على الله**»[٥١٠] والهبوط لا يكون إلا على الأرض، فقد سمَّاها باسمه مع أنه ليس كمثله شيء، كذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ

---

[٥٠٩].

[٥١٠].

﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الإسراء:٧٠]، وما حملهم في البر مثل الإبل، وإن كانت الوابورات الظاهرة في زماننا هذا تحمل بني آدم برًّا، ولكن لا تحملهم إلى ما شاءوا، بل حملاً مقيّدًا، فالحامل هو الله والصورة صورة الإبل، فصورة الإبل وجه من وجوه الله، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية:١٧] أي:كيف تَنزَّل الحق الذي ليس كمثله شيء إلى هذه الصورة الإبلية حتى حمل بني آدم بنفسه، فقال: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الإسراء:٧٠]، فالحامل هو الله في صورة الإبل، فصورة الإبل مخلوقة حادثة والحامل قديم، فظهر من ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ في صورة الحادث مع أنه باقي على قدمه، فمن نظر إلى الإبل فقد نظر إلى وجه الاسم الإلهي (الحامل).

ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما طلبوا الصحابة أن يحملهم فقال: «**والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه**» ثم أرسل لهم وأعطاهم من الإبل ما يحملهم، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، إنك أقسمت ثم أعطيتهم، فقال: «**أنا ما حملتهم ولكن الله حملهم**»[٥١١].

ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ [الغاشية:١٨]؛ لأنها بعل الأرض، فالأرض تحتها كما أن المرأة تحت الرجل، فالأرض منكوحة للسماء وزوجة لها، فحركات الأفلاك السماوية بمنزلة الجماع، والأمطار النازلة في الأرض بمنزلة الماء الذي يُلقى في الرحم، ونبات الأرض بمنزلة الولد الذي تخرجه المرأة من بطنها، فأشبهت السماء الذكر في الرفع، والأرض أشبهت الأنثى في السطح، وأما الجبال المنصوبة بين السماء والأرض فهي بمنزلة الخنثى من بني آدم، فهي برزخية المنزلة؛ لأن لها وجه إلى ذكورة السماء، ووجه إلى أنوثة الأرض لاتصالها بالأرض، وهي تحمل بني آدم من جهة السكن.

قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٨٢]، فلها مع الاسم (الحامل) الاسم (الواقي)، والاسم (الحفيظ) والاسم (الساتر) والاسم (المؤمن)، وجميع ذلك أسماء الله، والمسمى هو، فما في الوجود إلا هو، فهذه دلالات ظاهرة في هذه الأربع وهي: الإبل والسماء والجبال المنصوبة والأرض المسطحة، فأشبهت تربيع مراتب الوجود في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، وهذه المعاني متوجهة على هذه الصور الأربعة، فلكل منها نصيب من الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فنَصَّبها الله دلالات على وجود ذاته، إذ نظر الإنسان إليها ليتعدى نظره من صورها الظاهرة إلى الباطن فيها، وهو الحق تعالى، ولله در من قال:

---

(٥١١).

وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة تـــدل علـــى أنـــه الواحـــد

والعارف يقول:

وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة تـــدل علـــى أنـــه عينـــه

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وارد عجيب بنبأ محمدي غريب.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ أي: بالوجود وهو زيد بن حارثة ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾، أي: بالشهود ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وذلك أنه كان يطلبها من خارج عنه وهي تفر منه، وقد بُلي بحبها وعشقها والوصلة بها، فأرشده النبي ﷺ بإمساكها عليه بأن يردها إلى نفسها شهورًا فيشهدها من ذاته، فإذا تحقق أنها عين ذاته يبرد عشقه وغرامه ويسكن شوقه وهيامه، كمجنون ليلى لما قيل له: أتريد ليلى ؟ قال: لا، فقيل له: لم ذلك ؟ فقال: لأني أنا ليلى، ثم تعرضت له من خارج وقالت: أنا محبوبتك: فقال: حبك أغناني عنك.

ومن المعلوم أن الشهود في النفس أعظم من الشهود في الحس؛ لأن شهود الذات غير مفارق وشهود الحس غير دائم ثم قال له: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي اجعله وقايتك فيما تريد بأن تجعل الإرادة له إذ أرادته لا تتخلف وإرادة العبد بين بين ثم قال تعالى يثني على محمد ﷺ ويمدحه في المقام الأحدي الذاتي: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ [الأحزاب:٣٧] أي: كل ما يبديه الله تعالى من مظاهر وجودية، أنت ترده إلى باطن حقيقتك وتخفيه بأن تجعله غيبًا في نفسك فيبديه الله منك؛ لأنك الأصل، وهيولي العالم على الإطلاق، فلا يبدي الله شيئًا إلا هو موجود في خزانة حقيقتك الجامعة عن شهود منك وتحقيق؛ فأنت باطن الحق من هذا الوجه وإله ظاهرك في المظاهر الشهادية، وهذا مشهد انقلاب الأمر، فإن الله باطن محمد، ومحمد ظاهره، فانقلب الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا بحكم الأحدية التي لا تقبل التجزؤ بوجه من الوجوه.

فأثنى الله على محمد ﷺ بالأحدية المطلقة بأنه لا يبدو مظهر من مظاهر الحق إلا ويرده إلى ذاته بحكم تلك الأحدية ثم قال: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب:٣٧] أي: تُجلُّ وتُعظم الناس الذين هم مظاهر الحق إجلالاً نفسيًا أحديًا بدون أن يظهر لهم ذلك، فإن الخشية يراد بها الهيبة كما قال بعضهم:

أهابُـكِ إجـلالاً وَمـا بـكِ قُـدرَةٌ   عَلَـيَّ وَلَكِـن مِـلءُ عَـينِ حَبيبُها

فكان إجلاله للناس وهو يشهدهم من شهود حقيقة نفسه إجلالاً للحق، ولذلك وصف الحق بالخشية للعلماء في بعض القراءات قال تعالى: (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) [فاطر:٢٨]، برفع لفظة الجلالة ونصب العلماء، فيكون الله هو الذي يخشى العلماء، أي: يعظمهم ويجّلهم؛ لأنهم مظاهر علمه، وعلمه عينه، فإجلاله لهم إجلال لنفسه واحترام لعظمة ذاته.

ثم إن الحق عامل المصطفى ﷺ بحسب مشهده الإحدى الذاتي فقال:(**وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ**) [الأحزاب:٣٧]، أي: حيت كنت يا محمد ترى الناس عين الظاهر فيهم ـ وهو الله ـ فهو أحق أن تخشاه فيهم؛ لأن تسميتهم بالله أحق من تسميتهم بالناس، فكان ﷺ بقوله لزيد بن حارثة: «**أمسك عليك زوجك**»[٥١٢] بحثه على المشهد الأحدي المحمدي بدليل قوله: (**وَٱتَّقِ ٱللَّهَ**) [الأحزاب:٣٧]؛ لأن زيد لم يكن يعامل زينب بنت جحش بخلاف تقوى الله، فإنه كان يطلبها ويعشقها العشق الشديد، وهي تنفر منه ولا تريده، فكان يشكو للنبي ﷺ ودموعه تجري كأنها ميزاب فداواه ﷺ بالدواء الإلهي المتقدم، وأمره بأن يجعل الله وقاية له فيكون الله في مظهره عوضًا عنه، فلا يفوته شيء، ثم لمَّا تحقَّق زيد بالمعنى المحمدي وقضى منها وطرًا بالشهود الذاتي الأحدي أحب الله تعالى أن يريه هذا المشهد في أستاذه خاتم النبيين ﷺ فقال: (**زَوَّجۡنَـٰكَهَا**)؛ ليرد زيد وجود نفسه إلى وجود محمد ﷺ فعند ذلك يظهر بالوجود المحمدي في نفسه فيرى الله في مرآة محمد ﷺ ثم يرى ما في المرآة المحمدية في نفسه، ولكن بالبصر المحمدي لا ببصره الذي هو على قدر استعداده ثم قال تعالى: (**لِكَیۡ لَا یَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِینَ حَرَجࣱ فِیۤ أَزۡوَ ٰجِ أَدۡعِیَاۤىِٕهِمۡ إِذَا قَضَوۡا۟ مِنۡهُنَّ وَطَرࣰاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولاً**) [الأحزاب:٣٧] أي: إنما جرى ذلك في الأصل، وهو محمد ﷺ ليظهر في الفرع من الورثة المؤمنين بهذا الشهود إيمان التحقق، والمؤمن في الحقيقة هو الله، وقد قال ﷺ: «**المؤمن كثير بأخيه**»[٥١٣] أي: المؤمن من الخلق ـ وهو المظهر ـ كثير بأخيه الظاهر؛ لأنه مرآته يجمع ما جمعته المرآة؛ لأنه يشهد نفسه في تلك المرآة فيراها عين كل شيء، وذلك هو الفتح المبين.

---

(٥١٢)

(٥١٣)

ولذا قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره: الفتح المبين أن يُكشف لك عنك فترى كل شيء منك، ومن هنا تعلم أن السيد الأعظم لما كان هيولي العالم قام مقامهم بقوله تعالى: (لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح:٢].

ألا ترى قوله: نحن الأولون الآخرون، فما يشير إلا إلى حقيقته الجامعة التي قال عنها سيدي أحمد بن إدريس ﷺ : اللهم صل على طامة الحقائق الكبرى سر الخلوة الإلهية ليلة الأسرى، ثم قال تعالى: (وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولاً) [الأحزاب:٣٧] أي: جاريًا في حضرة الجمع جملة واحدة، وإن كان في حضرة الفرقية ليجري تفصيلاً فهذا التفصيل إنما هو مراعاة لسلوك المحجوبين عن مشهد الجمع الأكبر، إذ لا يطيقونه دفعة واحدة، وعلى ذلك نبَّه الله تعالى من كان محجوبًا عن ذلك بقوله: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [النحل:١].

فمن كشف له الحجاب أبصر ما تقدم وما تأخر، ثم قال تعالى بلا ثم: (مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ) [الأحزاب:٣٨] أي: فيما قسم الله له، وما قسم له إلا الذات الجامعة والأحدية المطلقة، فهو عين الوجود الجامع لمظاهر الشهود، فكل مشهود فهو إليه، بدأ منه وهو عائد عليه، (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا) [الأحزاب:٣٨] أي: من الأنبياء والرسل الذي هم مظاهر حقيقته الجامعة، فالجميع صوره، واسمه منطبق عليهم باطنًا، ولذلك قال في معراجه: «**فإذا أنا بآدم**»[٥١٤] «**فإذا أنا بموسى**»[٥١٥] أي: أشهد نفسي وحقيقتي الجامعة في صورهم، فما أسري به إلا منه وإليه، فصورته المسجد الحرام، وحقيقته المسجد الأقصى؛ لأنها باطنه وغيب ذاتي أحدي، ولا يشهد هذا المسجد الأقصى إلا من جاوز شهود الصور، فمن دخل كعبة الذات كان آمنًا أن تحكم عليه الأسماء والصفات، (وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا) [الأحزاب:٣٨] أي: قضاء مَّقۡدُورًا() [الأحزاب:٣٨]، أي: جاريًا في الحضرة الجامعة ومشهودًا في الحقيقة الواسعة، وأمر الله عين ما يتجلي فيه من المظاهر تفصيلاً وفرقًا، وهو كائن في الذات إجمالاً وجمعًا، ولما كان ﷺ هو نقطة الوجود والمتحقق بحقيقة كل موجود، كان هو منبع القرآن ومعدنه، وهو الملقى إلى جبريل باطنًا كما قال تعالى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ) [النجم:٨]، (فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ) [النجم:٩]، كل ذلك وصفه ثم قال: (فَأَوۡحَىٰٓ) [النجم:١٠]، أي: الذي دنا وتدلى هو الموحي، (إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ) [النجم:١٠]، وهو المظهر الآخذ منه كجبريل، (مَآ

---

(٥١٤)

(٥١٥)

أَوۡحَىٰ) [النجم:١٠]، أي: ما أوحاه جبريل إليه من جهة الفرق، والدليل على ما قلناه قوله تعالى: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا) [طه:١١٤] أي: تفصيلاً؛ ليظهر ذلك لمن يقتدي به حسب استعداده[٥١٦]؛ لأنه لا يطبق ما أطيق، فالوحي الأول: وحي القدرة، والوحي الثاني: وحي الحكمة، ولذلك قال له جبريل: «منك وإليك» فجبريل أستاذه ظاهرًا مريدًا له باطنًا.

ألا ترى تأدبه معه حين جاء يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ليتنبَّه الصحابة إلى أنه هو معدن العلم والحكمة في حقيقة الأمر ﷺ .

وهذا الوارد أصله منامي وهو: إني رأيت أني أذكر الجلالة منامًا حتى ظهر ذلك في الحس وسمعت ذلك من نفسي وسمعته من أهلي، فلما انتبهت إذا في قلبي قوله تعالى: (وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ) [الأحزاب:٣٧]، ووقع في قلبي أن الله يمدح السيد الأعظم بأنه كنز الذات ومنبع الأسماء والصفات، فداخلني من السرور والطرب ما لا يعلمه إلا الله، وقد محيي نومي وثبت فهمي وتحققت بشارتي أن الروح المحمدية هي التي تجلت في ذاتي وأوحت إلى عبدها ما أوحت، فالحمد لله على ما أنعم وأشكره على ما ألهم، (وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا) [النساء:١١٣]، (وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ) [الأحزاب:٤] .

الوارد: الرحماني بالمعنى العرفاني

بسم الله الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: (قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ) [الزخرف:٨١] أي: للرحمن المتجلي في صورة البشر الذي يتولد منه الأنثى والذكر، ويجوز أن يرجع قوله: (فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ) [الزخرف:٨١]، لولد الرحمن؛ لأن

---

[516] فالإنسان من حيث المناسبة الروحانية والقوة الملكية يقبل الوحي من الغيب، ومن حيث المناسبة البشرية يلقى الوحي إليهم، وهم يواسون الخلق ويربونهم بواضحات الشرع، وهم بالإضافة إلى الناس كالناس إلى الحيوانات، وهم في الناس كالشموس والأقمار في سائر الكواكب، وكما أن نور القمر عكس نور الشمس، فإن نور الناس من أنوار الأولياء والأنبياء، وإن نور العقل وإن كان منورًا لا يتم إلا بنور الشرع والعقل كالبصر، والشرع كالنور، ولا يتم البصر إلا بالنور، قال الله تعالى: (قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ) [الأنعام:١٠٤]، ولولا العقل ما جاء الشرع، ولولا الإنسان لم يأت العقل، والشرع من الحضرة والإنسان بالحقيقة من له عقل وعلم ويعرف الشرع ويستدين به حتى يكون كاملاً في الجمال الظاهر والباطن؛ لأن العقل نور الباطن والشرع نور الظاهر، قال تعالى: (نُورٌ عَلَى نُورٍ)، والنور الثالث معرفة الله التي هي مستفادة من تعريفه إياهم، وإشهادهم مشاهدة ذاته وصفاته وهو مقام النبوة والولاية والمخصوصية، من اصطفاه الله في الأزل به، قال تعالى: (يَخْتَصُّ برَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) [البقرة:١٠٥]، وقال: (يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ).

الرحمن عين صورة الإنسان كما ورد الحديث: «**إن الله خلق آدم على صورة الرحمن**»(517).

ألا ترى قوله تعالى في حق آدم: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ**﴾ [الحجر:29]، وروحه عينه، إذ الولد سر أبيه، فآدم سر الرحمن وسره عينه، ففي هذا الولد سر الواحد الأحد.

فإن قلت: قال الله تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ**﴾[المائدة:17]، وقال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ**﴾ [التوبة:30]، مع قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [المائدة:17].

فأقول: إن القرآن العظيم المنزَّل على محمد ﷺ نزل من حقيقة الأحدية الجامعة لأسماء التنزيه وأسماء التشبيه، فهو الجامع لكل شرع في الوجود، وسواء كان أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، والمنزَّل عليه هذا القرآن هو حقيقة الوجود، فله شرع عام وله شرع خاص، فمن شرعه العام اندرجت كل أمة في شرعه، ومن شرعه الخاص خصَّ أمته التي بعد ظهور جسمه الطاهر بخصوصيات، فآية تأتي بشرعه العام وآية تأتي بشرعه الخاص، فكان ما يجوز في حق هذا يحرم في حق هذا.

ألا ترى أنه أقرَّ أهل الذمة على ما هم عليه وقِبل منهم الجزية، فالتوراة شرعة في حق اليهود وهي مندرجة في القرآن، والإنجيل شرعة في حق النصارى، وهو مندرج في القرآن، وأما نحن معشر الأمة القرآنيين فآتينا من كتاب الله، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [آل عمران:85].

ألا ترى أنه قبل الرهبانية من أهلها، ولم يقبلها منَّا، فقبولها لأهلها في القرآن من قوله: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ**﴾ [الحديد:27]، فلما أوجبوها على أنفسهم كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله، فكانت في حقهم قربة إلى الله، لا في حقنا للحديث الشريف: «**لا رهبانية في الإسلام**»(518).

فهذا مما يدلك على أن كل أمة وشرعها اندرجت باطنًا في أمة محمد ﷺ وشرعه، فهو ﷺ كما أنه هيولي العالم، هو الهيولي في باطن الأمر لكل دين إلهي وحكمي من

---

(517)

(518)

الاستحسانات التي رتبها العقلاء بمقتضى دور الزمان؛ لأنه مظهر اسم الله الديَّان على الكمال، فالأديان في حق أربابها من باطن التنزلات المحمدية، ولذا قال: «**آدم فمن دونه تحت لوائي**»[٥١٩] وليس دون آدم إلا جميع من سواه من ذريته، أي: آدم وغيره من ذريته تحت لوائي، فلو لم يكن آدم وذريته منتسبين إليه لما كانوا تحت لوائه، فافهم .

فاتسعت الدائرة المحمدية لقبول جميع الدوائر، ومن هذا المعنى بدت تسوية الحرية التي ظهرت في زماننا، وهي السنة السادسة والعشرون بعد الألف والثلاثمائة من الهجرة المحمدية من تجلي الاسم الرحمن المذكور في هذا الوارد وإنما قلنا من تجلي الاسم الرحمن ؛ لأن الاسم الرحمن هو الذي كشف هذه التسوية قال الله تعالى: (مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ) [الملك:٣].

ومن النكت البديعة: أننا جمعنا لفظة «عابدين» بإسقاط (أل) التعريفية من قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ) [الزخرف:٨١]، ولكن حسبنا النون وحدها بخمسة بطريق الجمل الصغير، وضممنا عددها الموافق في العدد الاسم محمد ﷺ وهو اثنا وتسعون لعدد قوله تعالى: (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) [آل عمران:١٦٠]، وهو ألف ومائتان وأربع وثلاثون، فبلغ الجميع عدد سنتنا، التي هي سنة ظهور جمعية الاتحاد، وذلك ألف وثلاثمائة وستة وعشرون، فعلمنا أن هذه الجمعية ـ الذين هم رجال دولة مولانا السلطان عبد الحميد خان نصره الله ـ مظهر نصر الله والفتح، مؤيدون بالإمداد المحمدي، فلا غالب لهم؛ لأنهم عابدون لله متناصرون على الحق، (قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَـٰرِ) [آل عمران:١٣].

ومما يقوي هذا الاستخراج أننا حسبنا اسم محمد ﷺ بالجمل الصغير، فبلغ عشرين، وحسبنا عدد جمعية بالوقف على الهاء بالجمل الصغير، فبلغ عشرين وحسبنا عدد سنانيك بالجمل الصغير فبلغ عشرين، فهذه الموافقة تقوي نسبة هذه الجمعية إلى محمد ﷺ .

واعلم ـ رحمك الله ـ أنك إذا وقفت على قوله تعالى: (فَأَنَا۠)، من آية هذا الوارد وهي قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ) [الزخرف:٨١]، يكون الوقف هنا في غاية الحسن، ويكون الولد بمعنى النتيجة، لأنه ﷺ نتيجة رحمة الرحمن المتجلية في سائر الأكوان من حضرة أم كتاب السر والإعلان، ومن هنا يعلم قوله تعالى: (حم)

---

(٥١٩)

[فصلت:١] رمز محمد ﷺ الذي هو بذاته، (تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [فصلت:٢]، فهو منزَّل من إطلاق البطون العمائي الذي هو قبل خلق الخلق إلى شهادة ظهور نور ذات الله القديم، وقد استخرجت اسم محمد ﷺ من قوله تعالى: (حمٓ) من منه علم المعمي بطريق الدور والتدلي، وذلك أن الميم من قوله تعالى: (حمٓ) دورية أولها ميم وآخرها ميم، فحصل ميمان في النطق، ثم تدَّلت الميم من عدد الأربعين إلى عدد الأربعة، وهي عدد الدال فحصل من ميم (حمٓ) ميمان ودال، ضممنا ذلك إلى حاء، (حمٓ) فظهر اسم محمد ﷺ.

فمعني قوله تعالى: (حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [فصلت: ١،٢]، محمد ﷺ مظهر غيب (تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [فصلت:٢] أي: شهادة الرحمة الرحمانية الرحيمية، فلا تشهد الرحمة مطلقًا إلا بوجوده، كما يدل لذلك قوله تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ) [الأنفال:٣٣] أي: نورك الذاتي هو الظاهر فيهم، فعذابه عذب؛ لأنه تخليص من جلال القيود إلى جمال إطلاق الوجود، فيكون الشاهد عين المشهود، (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ) [النجم:٤٢]، فافهم .

واعلم أن تدلي الميم إلى الدال الذي قلنا عنه أنه من فن علم المعنى اصطلاح مخصوص من قاعدة: (أيقغ بكر حلش دمت هنث وسخ زعذ خفض طصظ) فالحروف على هذه القاعدة لها عروج ونزول، فالألف تعرج إلى الياء، والقاف والغين والياء تعرج إلى القاف، والغين والقاف تعرج إلى الغين، وهي نقطة النهاية ولذلك تتدلى إلى رتبة البداية وهي: الألف؛ لأن نقطة البدء هي المنتهى، فتنزل الغين من رتبتها إلى القاف ثم إلى الياء ثم إلى الألف، فالغين رتبة الإنسان في الوجود، فهو ألف الواحدية.

قال تعالى: (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ) [التين:٤] يعني: أن حقيقة الإنسان هي مظهر الواحدية في أحسن تقويم، وهي غين الكثرة التي هي غاية أصول العدد باعتبار الرد، (ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ) [التين:٥] يعني: أن الصورة الإنسانية نهاية مراتب التنزلات، وإليه الإشارة بحرف الغين، فإن محيت عنه نقطة الصورة عاد عين حقيقة الواحدية، ومن هنا قال تعالى: (أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ) [التكاثر:١]، وقال: (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ) [الذاريات:٢١]، فالواحد هو الكثير، فالحق عين الخلق يعني: أن الخلق كثرة، هو الحق حقيقة وواحدية، فالخلق من الحق كأمواج البحر من البحر، ومن بديع علم المعنى: التعبير عن الحروف بما يشابهها لأجل استخراج الأسماء، فيعبّرون عن الميم مثلاً بالخاتم بجامع التداور، ويعبرون عن الألف بالفص بجامع الاستقامة، ومن ألطف ما قيل في استخراج اسم (حيدر) قول القائل:

يـا نسـيم الصـبا إذا جئـت نجـدًا   وتيممـــت روضـــها المعطـــار
حــي دارًا عنهــا تنــاءت غصــون   قــد عهــدنا ثمارهـــا الأقمـــار

الشاهد في قوله: (حي دارًا عنها تناءت) أي: انتقلت وبعدت عنها (غصون)، يعني: أن لفظة (حي دارًا إذا تناءت) أي: زالت الألفان من لفظة (دارًا) التي هي مثل الغصون في الاستقامة يبقى اسم المحبوب وهو: (حيدر)، وحيث إن المقام مقام علم الحقائق فلنتكلم على هذين البيتين من طريق علم الحقائق سواء أراده الناظم أم لا فنقول:

قوله: يا نسيم، المراد بالنسيم: نفحة الأنس والجمال الإلهي من اسم (الله) الباسط، والصبا: حضرة الجمال المطلق التي يصبو لها العشاق، وهي حضرة الاسم (الجميل)، فخاطب نسيم جمال الأسماء والصفات إذا جاء (نجدًا) وهي: حضرة الذات المنجدة الظاهرة في تلك الأسماء والصفات بمقتضيات معانيها الذاتية، وتيمم روضها؛ أي: مظهرها الجامع لكمالاتها المعطار بظهور تلك الكمالات منه أن يحيي الدار الحيدرية، فإذا جئت بالتجلي الجمالي الذاتي المطلق (نجد)، التي هي موصوف تلك الأسماء والصفات، وهي الحضرة الذاتية التي وصفها الإنجاد المطلق بكل الوجوه من جميع الحضرات الجلالية، وتيممت روضها؛ أي: المقام المحمدي الذي هو جامع لأشجار التجليات وغصون الورثة الأفراد وأزهار النفحات الطيبة وثمار العلوم الإلهية، فهذا الروض معطار بالحضرة؛ لأن الحضرة عين الحضرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، فعند ذلك حي دار الحضرة الحيدرية؛ لأنها ضمن الروض المحمدي الجامع، أي: سلِّم على الحضرة الحيدرية؛ لأنها دار روض نجد التي هي الحضرة الإلهية المحمدية، وذلك أنها مظهر علوم الحضرة المحمدية ودار مسكن الذرية النبوية، وهي حضرة المسمى بـ (حيدر) الذي هو عليّ بن أبي طالب ﷺ؛ لأن الدار الحيدرية مشهودة في حضرة الإنجاد وهي الحضرة المحمدية، ولذا قال له: «**أنت مني وأنا منك أنت قسيم الجنة والنار**»[٥٢٠] وقال:«**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[٥٢١] وقال: «**لا يبلغ عني الوحي إلا أنا أو علي**»[٥٢٢] وقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[٥٢٣].

---

(٥٢٠)
(٥٢١)
(٥٢٢)
(٥٢٣)

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الحضرة الحيدرية هي: دار ولاية محمد ﷺ من جهة الاسم الظاهر بحكم ولاية السيف، ولذلك قاتل علي من نازعه في خلافته كما قاتل محمد ﷺ من نازعه في رسالته، فكان المنازع لمحمد ﷺ أبي سفيان أولاً قبل إسلامه، والمنازع لعلي ﷺ ابنه معاوية في ولاية الأمر إلى أن اصطلح مع الحسن، فظهر الحسن ﷺ باسم المصلح من الحضرة المحمدية، وأما الحسين ﷺ فغلب عليه حال أبيه، إلا أن جماعته نقضوا العهد فتركوه يقاتل هو وبعض الحجازيين، فكان ما كان وغلب القدر ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

ومن فهم ما قررناه في أمر علي ﷺ وأنه في الولاية شبيه بالنبي ﷺ تحققت الأخوة الواردة من أنه ﷺ لما آخى بين أصحابه أخذ بيد علي، وقال: «**هذا أخي**»(٥٢٤) ولأجل ذلك قال: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض**»(٥٢٥) فلذا أنطق الله الناظم بالسلام على الحضرة الحيدرية بقوله: (حي دارًا)، والإشارة بلفظ (الدار) لدوران الدور؛ لأن شمس النبوة المحمدية جرت لمستقرها الذي هو دار الولاية الحيدرية، فقاتل علي ﷺ بمقتضى ولايته الجن والإنس، وخطب على المنبر بحكم الولاية فقال: أنا كتاب الله الناطق أنا القلم أنا اللوح أنا العرش أنا الكرسي أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، فلذا حلَّ الروض المحمدي المتقدم في الدار الحيدرية، وإنما كان لحيدر ﷺ اسم الدار لدورانه في الوجود؛ لأنه رُفع كما رُفع عيسي ابن مريم، وسينزل كما سينزل عيسي ابن مريم كما حققه سيدي عليّ الخواص ووافقه سيدي عليّ وفا رضوان الله عليهما.

وأما تنائي الغصون عن تلك الدار الحيدرية المحمدية، فالمراد بالغصون: أهل تلك الدار وهم الأقطاب العلويون المحمديون، فإنهم لما برزوا من المظهر المحمدي وحّلوا في المظهر العلوي حتى خرجوا من ظهر علي ﷺ إلى عالم الحس والظهور فقد تغربوا عن الوطن الذي هو حضرة الجمع إلى حضرة الفرق وتباعدوا عن وحدة الحقيقة إلى تكاثر الصور، فهؤلاء السادات الكرام هم أهل الدار الحيدرية المحمدية والغصون المتفرعة من أصل الشجرة النورانية، فناسب ذلك قول الناظم: (قد عهدنا ثمارها) أي: ثمار تلك الغصون (الأقمارا)، وهم المريدون لغصون الأقطاب والأفراد؛ لأن ثمار الأستاذة إنما تظهر في المريدين لهم بنتائج العلم والمعرفة التي نورها يظهر بأقمار الهداية، فمثال المريد الصادق

---

(٥٢٤)

(٥٢٥)

الفاني في حضرة أستاذه مثال الصورة التي تظهر في المرآة من صور الرائي، فتلك الصورة المرئية عين صورة الرائي كما قيل:

(أنا من أهوى ومن أهوى أنا)، كذلك لا يظهر في مرآة الخلق إلا الحق، ولا يظهر في مرآة الخق إلا الخلق «**عليّ مني وأنا منه**»[٥٢٦] أي: علي مني وأنا منه شهودًا، و(عليّ) اسم من أسماء الله، والاسم من المسمي الذي هو الصورة في الوجود وإن كانت الصورة من الاسم في الشهود؛ إذ من الاسم تعلم الصورة، فافهم.

كذلك الولي مرآة النبي وجودًا، ألا ترى أنه ﷺ جعل الرؤيا المنامية جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، فأجزاء النبوة ستة وأربعون، كذلك أجزاء الولاية ستة وأربعون، ألا ترى أنك إذا جسدت كلمة (ولي) في عدد الجمل بلغت ست وأربعون فأشبهت الولاية النبوة في مبلغ أجزائها، وهذا مما يسّره الله تعالى من الكلام على هذين البيتين من فيض الفتاح العليم.

فلنرجع إلى تتميم الوارد من الكلام على الوارد، وهي قوله تعالى: (**قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ**) [الزخرف:٨١].

اعلم أن محمدًا قبل عبادة الله تعالى مع ظهوره بالصورة؛ إذ لا يكون والدًا وولدًا إلا لمن يكون صورة ظاهرة، مع أن الله يقول: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**) فما معنى التجويز حينئذٍ لعبادة الصورة، خصوصًا مع قوله تعالى: (**قُلْ**) فهي أمر من الله له بالامتثال قولاً وعملاً فيقال في جواب ذلك: كما أمر الله الملائكة بالسجود له في صورة آدم أمر محمد بعبادته في كل صورة مع شهود الأحدية المطلقة، فلا ينافي ذلك قوله تعالى: (**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**) [الإخلاص:١] لأن جميع صور الوجود على تفرقها واختلافها هي بمنزلة الحروف المسطرة من حقيقة المداد، فليس في الحروف إلا المداد، وكذلك ليس في الخلق إلا الحق.

واعلم أن الناس في معرفة الله تعالى على ثلاثة أقسام:

منزهون فقط: وهم الذين عرفوا الله بفكرهم حتى قالوا: كل ما يخطر ببالك فالله خلاف ذلك.

ومشبهون: وهم الذين حصروه في جهة أو صورة خاصة أثنوا أو ثلثوا، فهؤلاء كفروا الوحدة، أي: ستروها؛ لأنهم فرقوا بين المظاهر وقيَّدوا المطلق الظاهر.

---

(٥٢٦)

وموحدون: وهم الذين آمنوا حق الإيمان بقوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) ووجه الله ووجوده ليس كمثله شيء، فالعارف المحقق هو الذي يرى المقيَّد مطلقًا، والمشبه منزهًا، فالتنزيه عنده نفي الغيب.

وهذا معنى قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: المشارب واختلاف المذاهب

قال الله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة:٤٨]، وقال: (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ)[الأعراف:١٦٠]، وقال:(كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [المؤمنون:٥٣] أما قوله تعالى: ( )شِرْعَةًأي: طريقة مشروعة، (وَمِنْهَاجًا) أي: طريقًا في الحكم خاصًا يظهر به بدوران الزمان، وقوله: (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) [الأعراف:١٦٠] أي: ما يوافق استعدادهم الوقتي بحسب دور الزمان، فإن الحكم ينتقل بحسب انتقال الزمان كما تشاهده الآن من الحكم بمقتضى مجلة الأحكام، والحكم بالاستنطاقات لاستكشاف الأمور واستجلائها لدى الحاكم، والحكم بالإمضاء أو الختم لغلبة التزوير مثلاً وعدم التزام قول الحق.

وقوله تعالى:(كُل حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [المؤمنون:٥٣]، أي: من تلك الطرق المشروعة من: (صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ) [الأعلى:١٩]، أو الزبور أو الطرق المطلقة المتنزلة على ألباب الحكماء بحسب استعداد الزمان وأهله، فقوله تعالى: (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) إشارة إلى العدالة والتسوية في الحرية ورفع الإجبار، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: (لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ) [البقرة:٢٥٦].

وبذلك يفهم قول الله تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:١]، فالأنبياء المتفرقون مع شرائعهم المختلفة ومناهجهم المتنوعة، والحكماء والعقلاء في أحكامهم المطلقة ومشاربهم الذوقية ومذاهبهم الدينية كلهم مندرجون في حكم محمد ﷺ في باطن الأمر، وإلا لا يُفهم قول الله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:١٧]، ولا يكون نذيرًا إلا لأهل زمانه.

وسياق القرآن يقتضي أنه رحمة لكل مخلوق ونذير لكل مخلوق ؛ فكل في حكم الوجود من باطنية محمد ﷺ، وإن كان حكمه الخاص من ظاهريته الشخصية، ولا ينافي ذلك أن جميع الأحكام من حقيقته الكلية؛ لأن نبوته من جهة الاسم الأول الباطن هي التي

قال عنها: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٥٢٧]، فلما استدار الزمان ظهر نبينا من حكم الاسم الظاهر والآخر فقال: «**لا نبي بعدي**»[٥٢٨].

فهو النبي أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، فاختلفت الأسماء من آدم وشيث ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، والهيولي لمعاني هذه الأسماء حقيقة محمد ﷺ النورانية، بل حقيقة سائر العالم على الإطلاق، فكل موسوي أو عيسوي ظاهرًا هو باطنًا محمدي، وكذا كل حاكم في الوجود، فأسماء الوجود في باطن الأمر كلها أسمائه كما قيل:

يقولــــون ليلـــى بـــأرض نجــد كــــل نجـــد للعامريــــــة دار

فالأسماء أسماؤه والصور صوره، فصحَّ أنه (رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) من كل مرحوم في الوجود، وفي كل راحم في الوجود، (وَنَذِيرًا) لكل منذر في الوجود في كل نذير في الوجود، فهو واحد الوجود وسلطانه والهيولي لكل صورة وإن اختلفت أشكاله وألوانه، والديَّان لكل دين وإن اختلفت في الأشخاص أديانه وهذا معنى (تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:١] أي: هو الجامع لجميع ما تفرق في الوجود وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

فهذه الجمعية مثل جمعية الواحد العددي لما لا يتناهى من الأعداد المتكاثرة؛ إذ جميعها لا تخرج عن حقيقة الواحد، وما بلغنا أن أحدًا من الأنبياء فوَّض الله له الأمر إلا محمد ﷺ كما قال تعالى حاكيًا عنه: (وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ) [الزخرف:٨٨]، فأجابه بقوله: (فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ) [الزخرف:٨٩]، حكى الله: قال محمد، أي: قوله ﷺ: (يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ) أي: بمقتضى الأحدية المستغرقة لصور الوجود الكونية؛ لأنهم قالوا: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا) [ص:٥]، فآمنوا بالصور الكثيرة دون الواحد الظاهر فيها بأحدية ظهور البحر بأمواجه، فأمر إله محمد ﷺ بقوله: (فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ) أي: اضرب عنهم صفحًا؛ لأن الكثرة الوهمية الصورية ألهتهم عن حقيقة الأحدية، فكان اعتمادهم على المظاهر لا على الحق الظاهر (وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ) [الزخرف:٨٩] أي: سلِّم وجود الله من السوى إذ (كُل شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص:٨٨].

كما أن الأمواج هالكة في وجه البحر؛ إذ ليس في الأمواج إلا البحر، ولذا قال الله تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥] أي: لأي شيء تولون من المظاهر

---

(٥٢٧)

(٥٢٨)

الصورية (فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ) الظاهر بحقيقته الأحدية، وقوله تعالى: (يَعۡلَمُونَ فَسَوۡف) أي: عند كشف الغطاء كما قال تعالى: (فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ) [ق:٢٢] أي: قوي.

فإن قلت: إن الله تعالى قال: (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً) [الإسراء:٧٢] .

قلت: المراد من كان في هذه الدنيا أعمى الباطن فإنه يظهر العمى على ظاهره في الآخرة، وأما باطنه فهو مشاهد لصور أعماله التي كانت في الدنيا، ولهذا يُقال له: (ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا) [الإسراء:١٤]، فقوله: (ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ) أي: كتاب ذاتك، وما رقم ذلك الكتاب الذاتي الذي هو أنت من صور الأعمال والأقوال، وكذا يُقال في الحجاب عن السرب المشار إليه بقوله تعالى: (كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ) [المطففين:١٥]، فهو حجاب بصري لقوله ﷺ : «**ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»(٥٢٩) فالمراد عمى البصر، ومعلوم أن أعمى البصر محجوب عن رؤية الشمس فضلاً عن القمر، والكافر في النار ليس محجوبًا عن معرفة نفسه، فافهم.

والدليل على أن الكافر في الآخرة يظهر له الحق قوله تعالى: (فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ) [الحجر:٣]، والعالم خلاف الجاهل بالأمر، وقوله: (وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ) [الصافات:١٧٥]، ببصيرتهم لا ببصرهم؛ لأنهم ببصرهم عُمي محجوبون عن رؤية السرب رؤية بصرية كرؤية القمر ليلة البدر.

وبما قررناه اندفع التناقص بين قوله تعالى: (فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ) [ق:٢٢]، وبين قوله تعالى: (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً) [الإسراء:٧٢] فتحقق ذلك. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

قال جلَّ وعلا: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا) [البقرة:٢٨٦].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن حكمة بعث الرسل للتمييز بين المراتب كما قال ﷺ: «**كل ميسر لما خُلق له**»(٥٣٠) وذلك مطابق لقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ)

---

(٥٢٩)

(٥٣٠)

[الليل:٥-١٠]، فطابق الحديث والآية قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

إذ ليس في وسع كل أحد إلا ما ييسره الله له، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف:١١]، وإنما لم يستطيعوا السمع لعدم التيسير الإلهي للسماع.

غير أن هنا نكتة: لعلك تقول لأي شيء قيل له ﷺ: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣]، وهذا هو التكليف؟

نقول لك: ليس الأمر كما فهمت، وإنما الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، فبعض المعادن من أصلها نقية كالذهب، وبعض المعادن تنقيتها سهلة، كمن يرجع إلى الحق بأدنى موعظة وهو بمثابة الفضة، وبعض المعادن ممتزجة تحتاج إلى التخليص مثلاً بالماء أو النار، وهي بمنزلة من لا يؤمن إلا بالجهاد، وبعض المعادن لا تقبل الترقي بوجد من الوجوه، فهي كالتراب الذي لا ينتقل عن منزلته، كمن قال الله فيهم: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس:١٠] أي: لا يؤمنون بالخبر حتى يشاهدوا الأمر بالنظر عند كشف الغطاء، فالسعادة مقرونة بالإيمان لا بالكشف والعيان.

ألا ترى أن أبا جهل عاين محمد ﷺ مع أنه شقي، فالشريعة المطهرة مثلها مثل المناخل المميزة للدقيق الصافي الخالص من النخالة مثلاً، فالدقيق غير النخالة وإن كان الأصل واحد، فافهم ما أشرنا إليه.

وإن فهمت المعنى فلا تعول إلا عليه، رُفعت الأقلام وجفت الصحف، ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٨٤]، وللكل سبل هداية ولكن ليست هداية البدر كهداية الشمس، وليست هداية النجم كهداية البدر، وليس من يستهدي بالنار كمن يستهدي بالنور ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢] ﴿وَٱلله يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

وارد: ليل في نهار في ليل.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس:٣٧].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنك إذا جعلت المعنى: (نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ) أي: نبرز منه النهار ونوجده ونظهره، لا يناسب حينئذ قوله: (فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ) [يس:٣٧]، بل المناسب: فإذا هم منيرون أو مضيئون أو مشرقون، وما شاكل ذلك، مع أن المقصود خلاف ذلك وهو أن الأمر بين الليل والنهار دوري ما بين الحقائق الأربع المنسحب معناها على كل شيء في الوجود، وهي الأمهات التي هي: (ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ) [الحديد:٣].

فهذه الحقائق هي أم كتاب الوجود الإلهي والكوني وبيان كشف المعنى، حينئذ أن جميع المعاني المختلفة عين الحقيقة المؤتلفة فكل معنى من المعاني إن كان أولاً، فآخره ما يقابل معناه، وهذا الآخر هو عينه؛ لأن آخر الدائرة ليس إلا المبتدأ، فالأول عين الآخر، وهما مظهر وظاهر، فإن ظهر الشيء كان ضده هو باطنه، فهو مظهر له، فإن ظهر ما كان باطنًا بطن فيه ما كان ظاهرًا وهو هو، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: (كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ) [الأنبياء:٣٣] فهي تقرأ طردًا وعكسًا.

فعلى حسب ما قررناه أن النهار إذا تجلى، فالليل هو مظهره المتجلي فيه، فإذا انسلخ فيه النهار من جهة الاسم الظاهر بطن فيه، فكان الليل هو الظاهر والنهار هو الباطن، فلذا قال تعالى: (نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ) [يس:٣٧] أي: نقلب الأمر ونجعل الليل ظاهرًا والنهار باطنًا، (فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ) [يس:٣٧]، وبهذا التمهيد الذي بيناه اتضح المعنى غاية الوضوح كما لم يخف على كل نبيه منصف.

ويتفرع على هذا المعنى قوله تعالى: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) [يس:٣٨]، أفاد تعالى أن شمس الحقيقة الوجودية الذاتية العينية جريانها مستمر ظهورًا وباطنها هو المستقر الذي منه بدت نورًا، وهاهنا علم من وراء الأفهام اقتضاه الاسم: (ٱلۡعَزِيزِ) [يس:٣٨]، الموصوف بأنه: (ٱلۡعَلِيمِ) [يس:٣٨].

فمن حقيقة العزة بدا هذا العلم إذ على ما قررناه أولاً أن الدور ما بين الأسماء المختلفة في الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية يفيدك حينئذ أنه إن ظهر الحق فالخلق باطنه، وإن ظهر الخلق فالحق باطنه، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**مولى القوم من أنفسهم**»[٥٣١] وبقوله ﷺ : «**سلمان منّا أهل البيت**»[٥٣٢] الإشارة بـ سلمان للوجود الإلهي السالم من العدم فهو منّا أهل البيت الإلهي، إذ ليس أهل الظاهر إلا المظاهر.

---

(٥٣١)

(٥٣٢)

ألا ترى أن الظاهر لا يظهر منه إلا الصورة، والصورة هي عين الخلق، فالحق باطننا، إنه ظهرنا ونحن باطنه إن ظهر، وعلى هذا يترتب حكم الأول والآخر، فنحن أهل البيت الإلهي الذي دائمًا يريد الله أن يذهب عنَّا الرجس؛ رجس العدم؛ لأنا مظاهر أسمائه التي هي شئون ذاته ويطهرنا من السوي تطهيرًا، فقد عاد توحيدنا علينا، قال تعالى : **(لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)** [الأنبياء:١٠]، قال: **(وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ)** [الذاريات:٢١].

وهذه الطهارة هي غاية الطهارة، إذ لا أطهر من الله جلَّ وعلا، فاندفع رجس الشقاء وشره، ولذا نبَّه الله تعالى على ذلك بقوله: **(طه)** [طه:١] أي: يا طاهر من السوى، **(مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ)** [طه:٢] أي: قرآن ذاتنا **(لِتَشۡقَىٰٓ)** [طه:٢]، بل لتظهر بحقيقتك النورانية التي هي عين ذاتنا، ثم نبَّه بقوله: **(إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ)** [طه:٣] أي: يخشى رجس السوى من مظاهر حقيقتك، فبهذا التذكير نريد أن نذهب عنه الرجس وهو ذاهب في نفس الأمر، ولكن لمَّا سافر إلى بلده الخليقة نسي المواطن الحقيَّة، فذكرنا الله بهذا التذكير، وهذا التذكير هو عين التطهير.

ومما قررناه يبدو لك علم الانقلاب فكما أن محمد ﷺ يقول: «**أنا من الله العالم مني**»[٥٣٣] كذلك الحق يقول: «**أنا من محمد والعالم مني**»[٥٣٤] فكل منهما لباس للآخر **(هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ)** [البقرة:١٨٧].

ولما انكشف لي هذا الأمر أجبت الحق بقوله: «**الصوم لي**»[٥٣٥] كما ورد في الحديث: «**خلقت الفطر لي فأنا باطنك في صيامك، إذ لولا الاسم المفطر لم يكن الاسم الصائم بل أنا الصائم فأنت لي وصومك لي فبطن أنت وظهر أنا كما كنت أنت الظاهر وأنا الباطن**»[٥٣٦].

وبذلك يتحقق أني أنا معنى اسم رمضان فقد قال ﷺ: «**إن رمضان اسم من أسماء الله تعالى**»[٥٣٧] والاسم الإلهي (رمضان) يندرج فيه الاسم (المفطر) و (الصائم)، ولذلك

---

(٥٣٣)

(٥٣٤)

(٥٣٥)

(٥٣٦)

(٥٣٧)

ورد: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**»(٥٣٨) فعادل الإفطار لقاء الرب، وعادل الصيام تنزيه الرب، فمن أفطر فقد شبه من حقيقة: «**جعت فلم تطعمني**»(٥٣٩)، ومن صام فقد نزَّه، ولذلك ورد في الحديث: «**الصوم لا مثل له**»(٥٤٠) فهو من حضرة:(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) [الشورى:١١].

وأما اسم رمضان فهو يجمع التنزيه والتشبيه، ولذلك كان نوم صائمه عبادة، فلمَّا صُمت وكنت مظهر هذا الاسم الإلهي، وصدق عليّ اسم الله الصائم فتحت أبواب جنان ذاتي الجمالية، وغلقت أبواب نيران شهواتي الجلالية؛ لأن الصوم من المكاره ومظاهرها الجنان والشهوات الطبيعية من الجماليات الظاهرة، وهي في الحقيقة نيران.

ولمَّا صُمت سلسلت وقيدت شياطين جوارحي وظهرت ملائكتها، فقيّد شيطان لساني عن الكذب والغيبة، وظهرت منه ملائكة ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله، فمن قرأ القرآن فقد استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقبل القراءة لا استعاذة إلا تلفظًا ودعاء، والدعاء إجابته على حسب ما يريد الله بخلاف من قرأ القرآن، أي: تحقق به، فإنه على بصيرة من أمره، ولذلك قال الله تعالى للسيد الأعظم ﷺ: (فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ) [النحل:٩٨]، فكذلك من صام فقد قيدت شياطينه بالنسبة لصومه، وإلا فالشياطين في رمضان منتشرون في سائر البلدان، فلا ينجو منهم إلا من قرأ القرآن، أي: إلا من كان مظهرًا له متمثلاً لأوامره مجتنبًا لزواجره، وهذا الوارد من بركات صوم رمضان المبارك، أقرّ الله به دائمًا عيون أمة محمد ﷺ ونفعهم به، آمين.

وارد: الجنة وهو من المنة.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال تعالى في شأن الجنة: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ) [الزخرف:٧١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أنه ينبغي لك أولاً أن تعلم ماهية الجنة والنار وحقيقتهما، من أي شيء تنشأ الجنة والنار.

فنقول: قال الله عز وجل: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ) [النجم:٣٩،٤٠]، فأخبر جلّ وعلا أن ما يسعى الإنسان من نية وعمل وكلام – والكلام

(٥٣٨)

(٥٣٩)

(٥٤٠)

شرعًا من جملة العمل – وظنه حسن أو قبيح، وعقيدته حسنة أو سيئة، وكذلك الأوصاف حتى الخواطر والأنفاس، كل ذلك يراه الإنسان صورًا يشاهدها بعد الموت، (ثُمَّ يُجْزَىٰهُ) [النجم:٤١]، بعينه (ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ) [النجم:٤١].

فكل ما اكتسبه قبل التجريد المسمى بالموت يراه بعد تجريده عن جسم، وتلك الرؤية هي المسماة بالبرزخ الذي هو صور مشهودة تعرض عليه بالغدو والعشية كما في الحديث، وفي الحديث أيضًا: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[٥٤١] المقصود: ما يتمثل به القبر من الصور البرزخية المشهودة للإنسان، وهي بمنزلة ما يراه النائم في نومه من الصور المؤنسة أو الموحشة، فهذا معنى قوله تعالى: (وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ) [النجم:٤٠] أي: يشاهد، فهذه المشاهدة عين اليقين، قال تعالى: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ) [التكاثر: ٥ ،٦]، أي: إيمانًا، (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ) [التكاثر:٧] أي: مشاهدة ثم تمّم تعالى فأفاد أن سعي الإنسان الذي يراه إذا تجرد بالموت، يجزاه حسًّا (ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ) فهذا هو البعث وهو بمنزلة اليقظة بعد النوم، وهو التحقق بحق اليقين، فما يراه يلتبس به حقيقة، فحال البرزخ تمثل وتصور وتخيل كما يتصور الإنسان عروسًا، يتصورها طولها كذا ولونها كذا وشكلها كذا، وأنه يحدِّثها بكذا ويجري له معها كذا، فانتقاش هذه الصورة في ذهنه ومشاهدتها بعين بصيرته هي البرزخ ووقوع الأمر له بتزويجها حسًّا هو اليقظة والبعث.

فالجنة والنار حقيقتها ما يتجرد من الجسم الإنساني من نبه أو قول أو عمل أو وصف يظهر أثره أو ظن أو عقيدة إيمانية أو علم ولو من غير طريق الإيمان، فإن التوحيد عن علم عقلي مقبول؛ كحال قس بن ساعدة الذي يبعث أمة وحده، وقد كان في الفترة، فلا يتنعم الإنسان إلا بوصفه ولا يتعذب إلا بوصفه من جميع ما ذكرناه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: (وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ) [الإسراء:١٣] أي: الأمر الذي طار منه وتجرَّد عنه كما يتجرِّد الطائر عن محله ثم يعود إليه، ولذا قال: (فِىٓ عُنُقِهِۦ) [الإسراء:١٣] أي طائره ملازم له ملازمة العنق، فهو منه وإليه (وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا) [الإسراء:١٣] والكتاب هو الصور التي قال في حقها: (وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ) [النجم:٤٠]، ولذلك قال: (يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا) [الإسراء:١٣]، فأما صور جمالية تشتهيها الأنفس وتلذ بها الأعين، وأما جلالية تنفر منها الطباع كالحيَّات والعقارب والنيران والزبانية وأمثال ذلك، وإنما قال جلَّ وعلا: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ)

(٥٤١)

[الزخرف:٧١]، ولم يقل: ما تريده أو ما تحبه؛ لأن الشهوة متعلقة بالأجساد لا الأرواح، فنعلم من ذلك أن نعيم الجنة جسدي تلتذ به الحواس الخمس من شم وذوق ولمس ونظر وسمع، ففي الجنة نعيم الشم كالمسك، ونعيم الذوق الغذائي كما قال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، ونعيم اللمس كما ورد في الحوراء لها فرج شهي وله ذكر لا ينثني ونعيم النظر ـ كما ورد ـ يرى مخ ساقيها من وراء اللحم ونعيم السمع ـ كما ورد ـ أن الحور العين يغنين لأزواجهن، فالأمر المشتهي لا يكمل إلا بأن تلتذ به الحواس الخمس من شم وذوق ولمس ونظر وسماع بخلاف ما يريده الإنسان أو ما يحبه؛ إذ قد يحب ويريد بدون لمس أو شم أو ذوق أو نظر أو سماع، حتى أن المحبة تتعلق بالله، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾، فعدل الحق تعالى إلى قوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [الزخرف:٧١] ليُعلمنا أن نعيم الجنة ليس كحال النوم بل هو كحال اليقظة بل أعظم من يقظة الدنيا بما لا يُقاس، فإن يقظة الدنيا مقام عند أولي التحقيق لقوله ﷺ: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[٥٤٢].

واعلم ـ رحمك الله ـ أن ما ذكرناه في هذا الوارد من الكلام على الجنة والنار مستفاد من الحديث القدسي، قال رسول الله ﷺ مخبرًا عن ربه جلَّ وعلا أنه يقول: «**يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[٥٤٣] وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨]، ومن هنا يُفهم قوله ﷺ: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[٥٤٤].

فهذه الجنة مخلوقة من همة الوالدة، وهي متصرفة فيها تصرف الإنسان بما تحت قدمه، فالأم هي التي تُدخل ولدها هذه الجنة إن شاءت أو تمنعه إياها إن شاءت؛ لأنها مملوكة لها متصرفة بها تصرف القدم بما تحته، وكذلك قوله: «**الجنة تحت ظلال السيوف**»[٥٤٥] فهذه للمجاهدين تنشأ من مجاهدتهم كما ينشأ ظل السيف من وجود السيف بل هي في الرتبة تحت ظل السيف، أي: في رتبة الانفعال عن الجهاد أعظم من وجود انفعال ظل السيف عن السيف، إذ قد يكون السيف ولا ظل، وأما وجود الجهاد ولا يحبه

---

(٥٤٢)

(٥٤٣)

(٥٤٤)

(٥٤٥)

فهذا محال؛ إذ كان الجهاد لإعلاء كلمة الله فقط، لا بأن يقاتل حمية، حمية الجاهلية أو لاغتنام مال أو شهرة إذ «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٥٤٦].

من هنا يظهر لك أن الصور التي يراها الإنسان بعد التجريد هي بحسب ما اكتسبه قبل التجريد، فإن وافقت الأمر المشروع فهي جمال جناني، وإن خالفت فهي جلال نيراني، وإن كانت من قبيل المباح فلا نعيم ولا عذاب إلا أن عمل المباح على حضور إيمانه أنه مباح فيكون من قسم الجمال، ما قال تعالى: **(قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ)** [الأعراف:٣٢]، فلابد من الاستحضار ويرجع الأمر إليه كما قلنا.

نكتة: إنما قال الله تعالى: **(وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ)** [الزخرف:٧١]، ولم يقل: فيها ما تشتهيه النفس، مع أن حقيقة النفس واحدة مراعاة لسر غامض وهو سر الأحدية، فلو تحقق كل إنسان بأحدية النفس من أول الأمر لم يكن معنى لقوله تعالى: **(قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا)** [الشمس:٩]، **(وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)** [الشمس:١٠]، وذلك أن النفس تتقيد بحكم المرتبة التي هي فيها فتقول: نفس أمّارة، ونفس لوامة، ونفس راضية، ونفس مرضية، ونفس مطمئنة، ونفس طيبة، ونفس خبيثة، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه**»[٥٤٧] وقال تعالى: **(قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ)** [الإسراء:٨٤]، وكل محب لأمر يخلع عليه صورة محبوبه إذ هو معبوده، فإما أن يكون ذلك المعبود من عالم اللطائف فتتنعم النفس به وتلبس صورته، وإما أن يكون من عالم الكثائف فيكون حجابها عن الترقي لما هو أعلى، ولذا جاءت الشريعة المطهرة بالتخلي والتحلي لتحصيل سر التجلي.

ألا ترى قوله ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار**»[٥٤٨] فمثل هذا في سجن العناصر الأربعة من النار والهواء والماء والتراب فنفسه عنصرية، فقد حصل الانحراف في نفسه عن طريق الاعتدال الأحدى وتَّقيدت نفسه بالعالم العنصري فيعذب بتخيلات مدهشة وأوهام موحشة، وهذه هي الحقائق الجهنمية، فإما أن تكون أوهامه من جهة الماء كالغرق ونحوه، أو الهواء كالريح العقيم، أو من التراب كالخسف ونحوه، أو من النار كمن قال الله فيه: **(صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ)** [الدخان:٤٨].

---

(٥٤٦)

(٥٤٧)

(٥٤٨)

وقد يكون في سجن المولادات الثلاثة الناشئة من العناصر فيعذب بالمشهد الحيواني كالثعابين وأمثالها، والنباتي كشجر الزقوم، أو المعدني كمن يُصب في أذنيه الآنك، وهؤلاء جميعًا قال الله فيهم: (كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ) [المطففين:١٥]، فلو عرفوه لعلموا أنه هو الظاهر في تلك المظاهر.

ولكن لابد من المعارج إما دنيا وإما آخرة، وذلك مصداق قول الله تعالى: (سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ * تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ) [المعارج:١-٤] أي: الملائكة الإنسانية الناشئة من الروح الإنساني (فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ) [المعارج:٤]، وذلك لأنه مات على ما عاش عليه وبعث على ما مات عليه.

فبالله عليك يا أخا الإنصاف: هل تستوي معارج من عاش على حب الدرهم والدينار وإضاعة الصلاة واتباع الشهوات مع معارج من عاش على حب الله ومات فيه وبعث عليه؟! أليس قد قال الله تعالى: (فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ) [الأحزاب:٢٣]، ولا قضاء للنحب إلا بمشاهدة الحق، ولا انتظار إلا انتظار رفع الحجب (فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ) [المعارج:٤]، وهو يوم دائرة المعارج، أين هذا ممن أتاه الكتاب الذاتي من الحي الذي لا يموت إلى الحق الذي لا يموت.

أما بعد، فإني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك مثلي تقول للشيء كن فيكون، فهذا هو المرء الذي عاش نسخة الكل وتحقق بحقيقة الجمع الذاتي فكانت روحه على (أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ) [التين:٤]، وأعدل نظام وتكوين، فكتابه في عليين الذات ظاهرًا بحقائق الأسماء والصفات، فيصور لكل اسم إلهي من حقيقة من حقائق ذاته صورة تطابق معناه، فتكون نعيمه ومنتهاه.

قال الله تعالى: (وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا) [الإنسان:٢٠]، وليس إلا نعيم الذات، وملك الأسماء والصفات، فيعطي لكل حقيقة من حقائق نفسه حقها، وذلك سر قوله تعالى: (مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ) [الزخرف:٧١]، وحيث إن كل إنسان يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه هل يستوي حينئذ موت الناس وبعثهم أو من كتابه في عليين الأحدية ممن كتابه في سجين العناصر الكونية؟ (هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ) [الرعد:١٦]، أين من يمشي على أسنة ممن يمر كالبرق الخاطف، وأين من قيامته خمسين ألف سنة ممن قيامته (كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ) [النحل:٧٧]، ونحن لا نشك أن الله يطوي خمسين ألف سنة حتى تكون في حق إناس كلمح

البصر، كما أنه ينشر ما هو كلمح البصر، فيكون خمسين ألف سنة **(إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)** [النور:٤٥].

ولكن هاهنا سر في قوله تعالى: **(وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا)** [مريم:٩٥]، مع قوله تعالى: **(قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ * لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ)** [الواقعة:٤٩، ٥٠]، وذلك السر هو أن حقيقة النفس واحدة، فكل إنسان مات قامتً قيامتهً يشهد من حقيقة نفسه قيامة العالم على الإطلاق، ويرى في مرآة ذاته جميع المرائي بما فيها، لكن ليس كل من رأى عَلم، وليس كل من قرأ درى، فكم من ناظر في السراب يحسب أنه شراب، ولذلك يحشر الجسد على صورة عمله، وتحشر النفس على صورة علمها.

قال بعض المحققين: لو رفع الحجاب لكلمك من ذاتك بعدد ولد آدم من الخلق، ولرأيت رقائق ذاتك راكعة مع الراكعين، وساجدة مع الساجدين، فنعيم من في مشهد الأكوان **(جَنَّتَان)** [الرحمن:٦٢]، **(فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ)** [الرحمن:٦٨]، وحور وولدان وخيرات حسان، وأما من نعيمه مشهد الرحمن فهو صاحب الرفيق الأعلى، فصاحبه في السفر عين خليفته في الأهل، فهو من يقال له: كلني في المأكول، واشربني في المشروب، أي: اشهدني إلى غير ذلك.

فإن فهمت ما أشرنا إليه فهمت الأسرار المحمدية، وجمعت ما بين قوله ﷺ: «**لو اتخذت خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر**»[٥٤٩] وبين قوله: «**خليلي من هذه الأمة أبو بكر**» وكذلك قوله: «**لا تقولوا سيد إنما السيد الله**»[٥٥٠] مع قوله: «**أنا سيد الناس**»[٥٥١] وكذا قوله لعائشة قُدِّس سرها: «**ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[٥٥٢] مع قوله: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[٥٥٣] وكذا قوله لرسوله للمخطوبة: «**اذكر لها جفنة سعد بن عبادة**»[٥٥٤] مع قوله: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٥٥٥].

---

(٥٤٩)

(٥٥٠)

(٥٥١)

(٥٥٢)

(٥٥٣)

(٥٥٤)

فيا أخا الإيمان، فرّ إلى الله من جنابة الكون، وتطهر بماء التوحيد، وارفع حدثك بظهور قدم ربك، وتحقق بحقيقة: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، وإياك أن ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى، ولكن (قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ) [الأنعام:٩١] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد بديع في معنى رفيع.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ * ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ) [الانفطار:٦، ٧]، أي: خلقك من نفسه فسواك على صورته كما ورد: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[٥٥٦] (فَعَدَلَكَ) [الانفطار:٦] أي: سوَّاك في ميزان العدل بين الحقية والخلقية (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار:٨]، يعني أن الجوهر الإنساني قابل للظهور في كل صورة في الوجود باعتبار تطورات نفسه؛ إذ هو الجامع لحقائق الوجود الأربع: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، وما من شيء إلا وهو داخل في هذه الحقائق، فكل شيء في الوجود مجلى الحقيقة الإنسانية، ولذا قال تعالى في محمد ﷺ: (لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ) [الفتح:٩]، الضمير عائد للرسول، أي: تعظموه (وَتُوَقِّرُوه) [الفتح:٩] أي: تهابوه (وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً) [الفتح:٩] أي: تنزهون الرسول عما لا يليق به من وجود حقيقة غير حقيقته، وقد نبَّهنا على ذلك بكلامه الصادق فقال عقيب ذلك: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ)[٥٥٧] [الفتح:١٠].

فهو عين الحياة الذاتية، ومجمع البحرين: البحر الوجوبي بحر البقاء، والبحر العدمي بحر الفناء، فبالمرتبة الوسطى القابلة للحقائق الحقيَّة والشئون الخلقية سُمي ممكنًا، فمرتبة الإمكان هي البرزخ الجامعة للحق والخلق؛ لأنها البرزخ بين البحرين، ولأجل ذلك سماها سيدي محمد وفا رضي الله عنه بالوسط المختار، ومن هنا يظهر كلام بعض العارفين حيث قال:

---

(٥٥٥)

(٥٥٦)

(٥٥٧) وقد صرح الله في هذه الآية، وبيَّن أمر عين الجمع ومقام الالتباس وظهور العين، وظهور جمع الجمع في عين الجمع، حين جعل نبيَّه مرآة لظهور ذاته وصفاته، وهو مقام الاتصاف والاتحاد، بدا نور الذات في نور الصفات، وبدا نور الذات والصفات في نور الفعل، فصار هو هو؛ إذ غاب الفعل في الصفة، وغابت الصفة في الذات، ومن هاهنا ادَّعى الحلاج -قدَّس الله روحه- حيث قال: «أنا الحق»، وقال سلطان العارفين أيضًا من هاهنا «سبحاني سبحاني».

الجمع المحمدي أعظم من الجمع الإلهي، أي: لأن الجمع المحمدي قابل للقدرة والعجز، والعز والذل، والمربوبية والعبودية، والغنى والفقر، وأما الله فلا يسمى فقيرًا عاجزًا ذليلاً.

ألا ترى أن أبا يزيد البسطامي لما احتار في الطرق إلى الله وأحب أن يتقرب بأقربها قال: إلهي بماذا أتقرب إليك؟ قال: يا أبا يزيد تقرب إليَّ بما ليس لي الذلة والافتقار، فالذلة والافتقار ليس من شأن الربوبية، ولذلك إذا قال العبد الذليل الفقير: أنا الله، استهجنوا عليه ذلك؛ لأنه يفتقر إلى طعام يأكله ولباس يستره، ويجوع ويظمأ ويمرض ويموت، والله تعالى يُطِعم ولا يُطعَم، ويجير ولا يُجار عليه، فكان مشهد أبي يزيد مرتبة العز والغنى، وهذه حال أبي يزيد ﵁ في بداية أمره حال السلوك وإلا فقد، قال الله تعالى: (بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا) [الرعد:٣١]، وقال تعالى: (وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ) [هود:١٢٣].

ألا ترى أن محمدًا ﷺ قال: «**الفقر فخري**»[٥٥٨] وذلك لأنه يشاهد الله في كل حاجة يفتقر إليها، وفي كل من يفتقر إليه، فيشهد أن اسم كل شيء هو اسم الله، والله مسمى كل شيء، فمحال أن يكون شيء ليس له، فالتنزيه عند أهل الكمال ألا ترى غيره بحال، ولذا لم يرفع ﷺ همته عن عائشة بل قال لها: «**ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[٥٥٩] بخلاف رابعة العدوية فإنها قالت: ما عبدتك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك.

وليت شعري هل جنته غيره أو ناره غيره؟ لا والله وكيف وقد قال: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ)[٥٦٠] [الحديد:٣]، فهو المنعم المنتقم بنعيم نفسه كما أنه المعذب

---

(٥٥٨)

(٥٥٩)

(٥٦٠) هذه الآية أشار الله سبحانه وتعالى بها إلى سرِّ ذاته وصفاته ونعوته وأسمائه، وأظهر باطن غيبه، وغيب غيبه وسره، وسر سره؛ لتحير أرواح العارفين في بحار قدمه وبقائه، وفناء أسرار الموحدين في صفاته وذاته، وما أفادت هذه الأسرار إلا التحير عن إدراكه وذكر سرِّه، ولم يعرف أحدٌ ذلك السرَّ، ولا يعرف أحدٌ ذلك السرَّ، ولا يعرفه أحدٌ إلى الأبد، هو ذاكره، وهو عالم به لا غير، كيف يعرف الأولية من لا أولية له؟ وكيف يعرف الآخرية من لا آخرية له؟ وكيف يعرف بطن سر السر وأصل الأصل، من لا حقيقة له في إدراك كنة كنهه اعبُر من هذا البحر العميق، ولا تقف، فإنه أغرق الأولين والآخرين في قطرة من قطراته، وهم عطاشى من بعد أفواههم عن نداوتها أين أنا من الإقبال بنعت الإدراك على قدم القدم وأبد الأبد وبطن العلم وإشراق شمس الألوهية، وسبحاتها تحرق الأبصار، وأسرارها تحير الأفكار أنا والفرار من ضرغام الأزل، وتبين الأبد ما للتراب، ورب الأرباب سقط الزمان والمكان والأوائل والأواخر والظروف والأماكن والفهوم والعلوم عن بوادي أنوار أوليته وآخريته، وظهور سبحات ظاهريته،

المتعذب بعذاب نفسه (كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا) [مريم:٧١]، فهو الحاتم القاضي والمحتوم عليه والمقضي عليه (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ) [النجم:٤٢]، في كل طور وفي كل حال، فاعرف ربك كما عرفه نبيك ﷺ فإنه كان ﷺ إذا أرسل يخطب امرأة يقول لرسوله: «**اذكر لها جفنة سعد بن عبادة**»[٥٦١] فجعل سعد بن عبادة منعمًا عليه، وجعل نفسه فقيرًا إليه.

أترى رسول الله ﷺ في اعتماده على سعد بن عبادة معتمدًا على غير الله مع أنه هو الذي أنزل عليه (أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ) [الزمر:٣٦]، أليس سيد المتوكلين على الله؟ بل الذي لا يرى الله عين كل شيء لا يتم توكله على الله عند المحققين، بل المتوكل حقيقة هو الذي يرى وجه الحق في كل شيء، ويرى أسماء الأشياء أسماءه وهل يتوهم أن رسول الله ﷺ في قوله: «**اذكر لها جفنة سعد بن عبادة**»[٥٦٢] غفل عن ذكر ربه وذكر سعد بن عبادة؟ أو أنه لما أحب مرافقة عائشة في الجنة ترقى عن ذلك لقوله حال النزع: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[٥٦٣] فحاله ليس كحال من قال لهم: «**ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»[٥٦٤] لأنه تعالى هو الرائي كما أنه هو المرئي (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ) [الذاريات:٢١]، ففرحهم بهذه الرؤية حيث قالوا: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ومن هنا تعلم الفرق بين من قضى من نحبه وبين من ينتظر، فالذين قالوا: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ لم يعلموا أنه ليس في المرآة إلا شكل الناظر، فما ترى من ربك إلا صور معاني عقيدتك فيه، وتلك المعاني قائمة بنفسك في الدنيا فتراها صورًا ظاهرة في الأخرى إذ (لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩]، كما قال الله.

وهكذا ينبغي أن تفهم قوله تعالى: (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار:٨]، فمن مات وتجردت روحه إما أن تكون روحه في سجين وهم الذين حكمت فيهم العناصر

ولمعات أسرار باطنيته، فلم تبق لي اللسان حيث لا يبقى البيان والبرهان ولا العرفان ولا الإيقان الإيمان بمن والعرفان لمن والإيقان في من، وهو ممتنعٌ بغير جباريته عن درك الخواطر، وجريان الضمائر سبحانه سبحانه سبحانه.

(٥٦١)

(٥٦٢)

(٥٦٣)

(٥٦٤)

الأربعة فحجبوا بها عن الله، وبدت لهم منها الصور الجهنمية، وإما أن تكون الروح في عليين فترتقي عن عالم العناصر إلى العالم الروحاني فتظهر روحه بصورة طير يعلق من ثمر الجنة، وإما أن تظهر روحه بالمعنى القدسي الإلهي فلا تقيدها صورة عن صورة، بل روحه هي معنى الاسم المصور فهي تتمثل بما شاءت، بل هي المثل الأعلى، فتُجرد من حقيقة نفسها ما شاءت من جنات وعيون وفواكه مما يشتهون، ومن حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، ثم تتصرف تلك الروح بما شاءت من صور نفسها، فإن أحبت الأكل جردت من نفسها صور أطيار أو أثمار، أو الشراب فصورت الأنهار، أو النكاح فصورت من الصور الحسان ما شاءت ونكحت منها ما شاءت، فالروح الفعالة لا تصور شيئًا إلا وتراه بارز للوجود عن علم منها إن كانت من أهل الحقائق أو من أهل الإيمان القوي، لقوله تعالى: (سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ) [الأنعام:١٣٩]، وإلا فعن غير علم (**هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ**) [الزمر:٩].

فأهل العلم جاءتهم ذكراهم فعلموا أن المرائي الإلهية عين وصفهم القائم فيهم ،وغيرهم هم الذين قال الله تعالى فيهم: (**فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ**) [محمد:١٨]، ثم تمم فقال: (**فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ**) [محمد:١٩] أي: اعلمها من حقيقة نفسك وأنك مذكور هذا الذكر (**وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ**) [محمد:١٩]، أي: بهذا العلم؛ إذ لا ذنب معه وليس ذنبه إلا البطون عنه، وكونه كنزًا مخفيًا وهو قوله: « **إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله**»[٥٦٥] فهذا الغين تتجلى محض الأحدية الماحي للصور الكونية، ولابد للرسول أن يعطي الحقائق حقها، وكلها من حقيقة لا إله إلا الله (**وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ**) [محمد:١٩] لأن الإيمان متعلقه الغيب، والله هو الظاهر، فأين الغيب؟ فاستغفاره للمؤمنين والمؤمنات أن يتحققوا الغيب عين الشهادة، والعلم عين العين، فحينئذ لا غيب ولا شهادة ولا علم ولا عين.

قال الإمام الرباني ﷺ: الناس فرحون بالرؤية الموعودة بالآخرة وكل همي وابتلائي ألّا يظهر الأمر من الغيب إلى الشهادة، ومن العلم إلى العين، والذي أرى من حال هذا الإمام ﷺ أنه يريد ألّا يخرج عن مشاهدة حقيقة نفسه كما قيل: وفيك يطوى ما انتشر.

---

(٥٦٥)

وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٥٦٦] أين من مات خلقه؟ قام حقه، فليس خلقه قيومية الحياة الذاتية، فتلا مقام (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ) [البقرة:٢٥٥]، فكان خلقه القرآن إرثًا مما كان نبيًا وآدم بين الماء والطين.

وانظر إلى قوله تعالى: (وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[٥٦٧] [يونس:١٠] أي: قيامهم بهذا المعنى، فتحققوا به في نفسهم حين جاءتهم ذكراهم؛ لأن الذكرى إليهم كما قال تعالى: (بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ) [المؤمنون:٧١]، وأما العلماء بالله فقد شعروا بما أراده الحق بقوله: (لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [الأنبياء:١٠] ولذا نبَّه الله الإنسان فقال: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ) [الانفطار:٦] أي: إن ربك الكريم جاد عليك بكل ماله، وأعاده عليك، فأعلمك بما أنزله على نبيك ﷺ من أنت كما قال: (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ) [الذاريات:٢١]، فلا تكن من الغافلين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد العبودية.

قال الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ) [الفاتحة:٥].

اعلم أن الله قدَّم المعبود على العابد وقدَّم المستعان على المستعين للحصر، أي: لا نعبد إلا أنت ولا نستعين بسواك، فيقتضي هذا الحصر مشاهدة الله في كل معبود وفي كل مستعان، أي: ليس المعبود سواك، وليس المستعان سواك وكل من أحب شيئًا أو استعان به ولم يشهد وجه الله في ذلك الشيء، فهو كاذب في قوله: (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ).

واعلم ـ رحمك الله ـ أن العبودية المعتبرة عند القوم أن لا يملك العبد مع سيده مطلقًا، وأن يكون محرومًا من صبغة المالكية، ولذلك صار (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ) بعد (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) [الفاتحة:٤] فمن لم يسلم المالك حقه ونازعه في ملكه وتصرف في شيء من الأشياء فليس بعبد حقيقة.

---

(٥٦٦)

(٥٦٧) قال الشبلي في قوله: ﴿ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ): لو ألهموا حمد الحق في أوائل الأنفاس لسقطت عنهم الدعاوى، لكنهم لم يزالوا يركضون في ميادين الجهل إلى أن فتح لهم طريق الحمد، فلما فتح لهم طريق الحمد سقطت عنهم الدعاوى، فرجعوا إلى رؤية المنة، فكانت آخر دعواهم أن قالوا: الحمد لله رب العالمين فرضُّوا الكل به، ورجعوا بالكلية، فأنطقهم لما أنطقهم به من المنطق المحمود.

ألا ترى ما رواه الصديق ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[٥٦٨] أشار ﷺ أن الأنبياء عبيد خلص، والعبد لا يملك بل ملكه لسيده فلا يورث عنه شيء، فمن كان له شيء يملكه ولو الثوب الذي يلبسه على بدنه فليس صادق في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأن العبد لا يصح تصرفه مع وجود السيد، وهذا مقام ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] فالمؤمنون باعوا أنفسهم وأموالهم لله والثمن الجنة، والعارفون ما ملكوا شيئًا مع الله حتى يبيعوه إياه، ولهذا قالوا: الصوفي في ملكه مباح ودمه هدر، وإن كان له أستاذ فيجب عليه أن يحكم أستاذه في نفسه وماله بل وعياله، كما فعل الصديق ﷺ، فإن حضرة الأستاذ هي حضرة الله بعينها.

ألا ترى أنه لولا محمد ﷺ والمبايعة له ما كنا نعلم أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة، وصرح الله بهذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] فقد وفىَّ الصديق بحق هذه المبايعة على حقيقتها، وهذا من عمل الشريعة والحقيقة، فمن لم يكن مع أستاذه كالصديق ﷺ مع رسول الله ﷺ أو كعمر ﷺ مع الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ فليس بعبد حقيقة، وليس هو بصادق على الحقيقة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، وكان ينبغي لمعاوية أن يكون مع عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ على هذا الحد ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال:٤٢].

ومن هذا المعنى ترك رسول الله ﷺ التصرف فيمن أواه وشجه وكسر رباعيته وقال: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٥٦٩] وذلك لأنه عبد محض ليس له من الأمر شيء، امتثل أمر الله في قوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل:٩] ومن تحققه في مقام العبودية وعدم التصرف قال الله تعالى في حقه: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤] وأيده بالملائكة يوم بدر، ولو كان يتصرف بنفسه لم يحتج إلى الملائكة على أنه لم يتصرف بما يشبع نفسه وعياله من خبز الشعير حتى مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي اشترى منه شعيرًا لعياله، والجهلة يزعمون أن القطب الغوث يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

---

[٥٦٨]

[٥٦٩]

ليت شعري لم امتنع النبيون من التصرف فيمن أراد قتلهم؟ كما قال الله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) [البقرة:٦١] فذُبح يحيى عليه السلام، ونُشر زكريا عليه السلام، وسُجن يوسف عليه السلام بضع سنين، والتقم الحوت يونس عليه السلام، ولمَ لمْ يتصرف عمر رضي الله عنه ومنع نفسه من أبي لؤلؤة المجوسي الذي قتله، ولمَ لمْ يمنع عثمان نفسه من الذين تسوروا عليه الدار وذبحوه، ولمَ لمْ يمنع عليّ نفسه من ابن ملجم الذي قتله، ولمَ لمْ يمنع نفسه الحسين من الشمر.

وليت شعري لماذا تسمى الله بالصبور حتى قال ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله**»(٥٧٠).

فإن قلت: كيف قال أبو الحسن الشاذلي في تلميذه أبي العباس المرسي: نعم الرجل أبو العباس، والله لو أتاه الأعرابي يبول على ساقيه ما يمسي عنده إلا ويوصله إلى الله، بل يروى عن الشيخ الدرقاوي أنه قال: لو أتاه اليهودي يبول على ساقيه ما يمسي عنده إلا وأوصله إلى الله، وذكر الشيخ الأكبر رضي الله عنه أن الأقطاب العيسويين إذا رأوا رجلاً فيه الأهلية للسر الإلهي يلمسونه أو يعانقونه أو يقبلونه أو ينظرون إليه فيلبسونه الحال الذي فيهم.

فأقول: ولماذا لم يلمس حاله ﷺ كعمه أبي طالب الذي نزل في حقه: (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) [القصص:٥٦]، فالجواب في قوله: (وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ).

فالقطب هو الذي يكشف الأمور قبل حصولها فيتلقاها من الله تعالى ويقوم فيها بحسب ما كشف الله له، فإذا كشف ما هو كائن في حضرة الثبوت قام به في حضرة الوجود بمقتضى الإذن الإلهي، كما قال تعالى لسليمانعليه السلام: (فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [ص:٣٩] وإنما كان لا حساب عليه لشهود تصرف المنان المانع، فهي إرادة الحق لا إرادته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

سأل جبريل رسول الله ﷺ فقال له: أخبرني ما الإحسان؟ فقال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(٥٧١).

---

(٥٧٠)

(٥٧١)

اعلم ـ رحمك الله ـ معنى الحديث الشريف أن تعبد الله تعالى كأنك تراه، أي: تتخيل أنه حاضر لديك بصورة ذهنية تتخيلها في ذهنك وتتخيل أنك تراه في هذه الصورة لتتأدب معه، وتشتغل بمشاهدته بتلك الصورة، وتتفرغ لمناجاته عن شواغل الدنيا، فإن المصلي يناجي ربه كما ورد: «**ولا يناجيه إلا أن كان مشهودًا له**»(٥٧٢)، وهذه الصورة المتخيلة المشهودة هي مخلوقة للإنسان، فقد أوجدت معبودك كما أوجدك، فصحَّ قول سلطان العارفين: (فيوجدني وأوجده)؛ لأن الشرع إذن يتصور المعبود من حقيقة اسمه تعالى (المصور)، فهذا التصوير مستثنى من الحديث: «**أشد الناس عذابًا المصورون**»(٥٧٣) ولا يخفى أن الأتم معرفة بالشيء أتم تصورًا له، فمن تخيل معبوده وصوره في خياله فقد عبد إلهًا مصنوعًا، بل ما عبد إلا صنعته، بل ما عبد إلا نفسه، وإنما أمر الشرع بتخيل الإله وتصوره على حسب فطرة الإنسان واستعداده مع أن الفطر والاستعدادات مختلفة؛ لأن أنانية الحق قابلة لجميع تلك الصور الخيالية كما في الحديث: «**أنا عند ظن عبدي بي**»(٥٧٤) فليظن بي ما شاء فقوله: «**أنا**» أي: ماهيتي وحقيقتي حسبما يظنه عبدي بي، فمهما أوجدني من الصور في خياله فأنا ذلك الموجد المصور؛ لأن ذلك داخل في قوله: ﴿**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ**﴾ [الحديد:٣].

فكل ما يصوره مصور ـ أي مصور كان ـ فهو أنا، فإذا عبدت الله وتخيلته على صورة خاصة في ذهنك وصارت تلك الصورة مشهودة لك بعين الخيال حينئذ تناديك تلك الصورة: نعم إنني أنا الله، وهذه الصورة هي العلامة التي بينك وبين ربك، فإذا تجلت لك في القيامة وقالت: أنا ربك، قلت: بلى أنت ربي، وإذا تجلت لك صورة يعتقدها غيرك لا أنت وقالت لك الصورة المخالفة لمعتقدك: أنا ربك، تقول: أعوذ بالله منك لست ربي، ها أنا منتظر حتى يأتيني ربي.

وهذا التخيل والتصوير مشرب من يعتقد أن لله وجودًا مغايرًا لهذا الوجود المحسوس، وأن صور العالم المشهودة لنا حسًا هي غير الله تعالى، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ**

(٥٧٢)

(٥٧٣)

(٥٧٤)

ﭐنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ)[575] [الحج:١١]، أي لأنه يؤمن ببعض ويكفر ببعض، ولاسيما علماء الكلام من المسلمين الذين تركوا الوحي المنزل من الله تعالى وهو قوله عن نفسه: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣]، وقالوا كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، فهؤلاء ربهم معدوم وهو لا شيء عندهم؛ لأنهم لا يعتقدونه على وجه مخصوص يخطر لهم حتى يرونه في ذلك الوجه، فتنزيههم آل إلى العدم، فإذا أحبوا الدخول في مقام الإحسان بأن يعبدوا الله كأنهم يرونه فلا يصورون إلا العدم الخالص، وهو عند ظنهم؛ لأن الله تعالى كما أنه يسمي الوجود وهو أيضًا مسمي العدم، بل الذي تقتضيه الحقائق أن كل شيء مرآته نقيض معناه، فالأول مثلاً مرآة الآخر، والظاهر مرآة الباطن، والجلال مرآة الجمال وبالعكس.

ألا ترى قوله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات**»[576] فمن رأى المكاره المشروعة رأى الجنة، ومن رأى الشهوات المحرمة التي تستلذها الأنفس رأى النار، فقوم يعبدون الوجود، وقوم يعبدون العدم، والعارف يعبد وجودًا في عين عدم، وعدمًا في عين وجود، وتنزيهًا في تشبيه وتشبيهًا في تنزيه.. وهكذا، فيعبد الله من حيث ما يعبده كل فرد من أفراد بني آدم، كما قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا   وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه

ومما قررناه ينكشف لك قول الشيخ الأكبر رضي الله عنه في مناجاته، قال لي الحق: أنت الأصل وأنا الفرع، وهذا المعنى هو مستهجن بحسب الظاهر مع أنه عين قول الله تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ) [النجم:٣٩، ٤٠].

ومن المعلوم أننا نرى ربنا يوم القيامة كالشمس ليس دونها سحاب، أو القمر ليلة البدر، فلابد أن تكون هذه الرؤية من سعينا؛ لأن الله حصر الأمر فقال: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩]، ثم أخبر أن الذي يُرى إنما هو سعيه، فالذي نراه من مشاهد الرب إنما هو صور معتقداتنا، وليس إلا ما تخيلناه في أنفسنا وما تخيلناه فنحن أوجدناه،

---

[575] قال الواسطي: ﴿يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ على رهن التجنب واطمأن إليه.

قال بعضهم: على طمع أن يرى ثواب عمله أو يجازي على قدر أعماله.

وقال بعضهم: الخسران في الدنيا ترك الطاعات، ولزوم المخالفات، والخسران في الآخرة كثرة الخصوم والتبعات.

وقالت رابعة في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾: كيف يكون ما منك إليه عوضًا لما منه إليك، وما عنك إليه لا يكون إلا بما منه إليك؟!

[576]

فنحن الأصل وما نراه هو الفرع، فالتجلي على حسب المتجلي، وليس المتجلي في الحقيقة سواك أيها الإنسان، حتى أن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فلولا الأنفس ولولا شهواتها ما كان شيء في الجنة، بل ولا كانت الجنة، فأنت المصور لصور الجنان بشهواتك القائمة في نفسك، فلا يتكون ذلك إلا ما هو منك من أنهار وأزهار وثمار وقصور وحور وولدان وروح وريحان، بل أني أقول: إن الصراط الذي يظهر لك وتمشي عليه هو ما أنت عليه من سلوكك الطريق المشروع، وكذلك الميزان يوضع فيه صور أعمالك الجمالية في كفة الحسنات، والجلالية في كفة السيئات **(فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ)** [الأعراف:٨] أي: موازين جماله **(فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)** [الأعراف:٨]، وموازين كل إنسان منه.

ألا ترى قوله ﷺ: «**الحمد لله تملأ الميزان**»[٥٧٧] فما ملأه إلا ما هو منك؛ لأن الحمد لله قولك، وكذلك الكوثر الذي أعطيه رسول الله ﷺ هو صورة دموعه التي كان يجريها من بكائه من خشية الله، فلك نصيب من هذا الكوثر بسبب بكائك من خشية الله تعالى، وكوثرك مندرج في كوثره؛ لأنه حقيقتك، وأنت صورتك، ودموعك عين دموعه، وهو الذي خوفك من خشية الله حكمًا وكذلك النيران، قال الله تعالى للسعداء: **(كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ)** [الحاقة:٢٤]، أي: من الصوم، فطعامهم في الجنة صورة صومهم، وطيبهم هو خلوف فمهم من الصوم، وقال تعالى: **(إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا)** [النساء:١٠].

فهذه النار صورة ما في بطونهم في الدنيا تتجلى لهم بصورة شجرة الزقوم، فيملئون منها البطون، والعرق الذي نزل منهم في الدنيا من عمل المعاصي هو شرابهم الحميم، وبالجملة فليس للإنسان إلا ما سعى، فلا يتجلى لك إلا ما هو منك.

ألا ترى إلى ما قاله الكامل المحقق الإمام الرباني مجدد الألف الثاني: الناس فرحون بالرؤية الموعودة في الآخرة، وكل همي وابتلائي ألا يخرج الأمر من الغيب إلى الشهادة، ومن العلم إلى العين، أشار ﷺ أن الناس فرحون بما يتجلى لهم وما يتجلى لهم إلا ما هو منهم، وليس المقصود التجلي بل المقصود المتجلي، وليس المتجلي في حقيقة الأمر سواك، فإن كنت فرحًا فلتفرح بنفسك فأنت من وراء التجلي؛ لأنك الأصل في التجلي؛ لأن الله قال: **(سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ)** [الأنعام:١٣٩].

---

(٥٧٧)

وأنت موصوف الوصف، فأنت الذات فلا تشتغل بأوصافك عنك، وإنما قلنا ذلك لقوله ﷺ: والذي نحن بصدده أمر وراء التجلي، وليس وراء التجلي سواك.

قال مريد لأستاذه: علمني الاسم الأعظم فضربه بحصاة، يشير له أنت الاسم الأعظم، وقد قالوا: الاسم عين المسمى؛ إذ لولا المسمى ما كان الاسم.

ألا ترى قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنا كتاب الله الناطق، والقرآن كتاب الله الصامت، أي: أنا المسمى بما في القرآن، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ في النبي ﷺ: «**كان خلقه القرآن**»[٥٧٨] يعني أن جميع ما في القرآن من المحامد إنما هي لصاحب المقام المحمود.

فإن فهمت ما أشرنا إليه فهمت قوله ﷺ: «**بيدي لواء الحمد**»[٥٧٩] والحمد لا يكون إلا لله رب العالمين، فهو الفاتح الخاتم، كما قال: «**نحن الآخرون الأولون**»[٥٨٠] فإن قلت على ما قررت في حديث عبد الله: «**كأنك تراه**»[٥٨١] يقتضي أن يكون الخطاب للمبتدئ، والعارف يعبد الله على أنه يراه؛ لقوله تعالى: **﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾** [البقرة:١١٥]، فهو يراه حقيقة لا كأن يراه.

قلت: المريد يعبد الله كأنه يراه، والعارف يعرف الله على أنه يراه، والمحقق الكامل يعبد الله كأنه يراه؛ لأن ذات الله لا يحاط بها.

ألا ترى أنك لا تحيط بخواطرك ولا بأنفاسك ولا بشئونك ولا بكلامك ولا بما يجري عليك مطلقًا، ومن هنا قالوا: إن الحق تعالى يعلم ذاته ولا يحيط بها، وأما قوله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٥٨٢] هو عند من يثبت الرائي والمرئي، وأما الذاتيون فليس عندهم: لا تراه ولا يراك، قال تعالى: **﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾** [القمر:٥٠].

وفي هذا المعنى الأحداني قال العارف المحقق الكامل سيدي محمد وفا قدَّس الله سره: نفس من صدَّق الله صدَّق الله عليه، وصدَّق الله في التجريد، والتجريد نفى قضية الإضافة والمجرد وهو الذي لا يُضاف ولا يُضاف إليه. انتهى كلامه.

---

(٥٧٨)

(٥٧٩)

(٥٨٠)

(٥٨١)

(٥٨٢)

وهذا المعنى مرجع سورة الإخلاص التي من تحقق بها خلص الأمر إليه، قال اليهود: يا محمد، انسب لنا ربك، فنزلت سورة الإخلاص، وقال تعالى: **﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾** [الزمر:٣]، فالدين الخالص مدلول اسمه تعالى الديَّان[٥٨٣].

ومن النكت البديعة أن عدد اسمه الديَّان خمسة وستون، موافقة لعدد قوله لله، وذلك مطابق لقوله تعالى: **﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾** ودينه الخالص: انفراده بذاته وتجرده بذاته عما سواه، وذلك حقيقة قوله: **﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾** [محمد:١٩]، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد منور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

روى البخاري عن أسامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحى، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان، ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن سيدي عليًا الخواص رضي الله عنه فسّر الحديث الشريف: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[٥٨٤] قال رضي الله عنه: مراده ﷺ بالرجل الفاجر: عالم الرسوم الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، فمثاله مثال الشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها. انتهى.

وقوله ﷺ: «**يُلقى في النار**» أي: المخلوقة من سعيه؛ إذ لا يجزي أحد إلا سعيه، كما أنه لا يرى إلا سعيه، قال الله تعالى: **﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾** [الأحقاف:١٩]، وكذا دركات النار مخلوقة مما يعمله الإنسان؛ ليوفيه الله همله ولا يظلمه؛ لأنه الحكم العدل، وهذا من حقيقة الاسم الإلهي (المقسط) الذي يقيم الوزن بالقسط، كما قال تعالى: **﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾** [النبأ:٢٦].

وأما الاسم الإلهي (العفوّ) فإنه في باطن الأمر يحب أهل الجرائم؛ ليتكرم عليهم بعفوه، فيعارضه الاسم (المجازي)؛ لأن وظيفته أن يجازي كل إنسان بما عمل، سواء كان

---

(٥٨٣) أمر حبيبه ﷺ أن يعبده بنعت ألا يرى نفسه في عبوديته ولا الكون وأهله، ولا يتجاوز عن حد العبودية في مشاهدة الربوبية، فإذا سقط من العبد حظوظه من العرش إلى الثرى فقد سلك مسلك الدين، وهو طريق العبودية الخالصة عن رؤية الحدثان بنعت شهود الروح مشاهدة الرحمن، وذلك هو الدين الذي اختاره الحق لنفسه؛ حيث خلص عن غيره.

(٥٨٤)

العمل خيرًا أم شرًا، غير أنه إن كان العمل خيرًا فلا معارض للاسم المجازي، وإن كان العمل شرًا فيعارض الاسم المجازي الرحمن الرحيم، ويتعصب الاسم (الكريم الغفار) للاسم (العفوّ) وينضم لذلك جميع أسماء الفضل والإنعام، ويتعصب للاسم المجازي بالشر التابع للاسم الغاضب الاسم (المنتقم) وينضم لذلك جميع أسماء المؤاخذة والانتقام؛ كالغيور الخاذل والمعذِّب والقهار، فإن تاب المسيء إلى ربه تسلّمه الاسم التواب وفرح بتوبته، وأثّر في العبد هذا الاسم صفة الفرح الإلهي، فتخلص عند ذلك للاسم المحب الاسم المنعم المتفضل أن يُبدِّل سيئة هذا المسيء حسنة، وإن لم يتب العبد إلى ربه يجري الخصام ما بين الاسم (العفوّ) وما بين الاسم (المنتقم)، وكل من الاسمين يتعصب له الجماعة المشاكلة له في المعنى، وهذه المعاني التي تقوم بالملأ الأعلى فيختصمون، كما قال تعالى حكاية عن محمد ﷺ أنه قال: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) [ص:٦٩]، ثم لما يقع النزاع والخصام بين الأسماء الإلهية في تعارض معانيها يتوسط بينها الاسم الإلهي الحليم، فيقول: لابد أن أظهر بما تقتضيه مرتبتي من الحكم، فإن الحليم هو الذي يُمهل الأمور ولا يهملها، فيقول: معشر الأسماء لا تعجلوا، فإن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، فباب التوبة مفتوح، فتصدق جميع الأسماء الاسم (التواب) ولاسيما فيمن يكون من أهل الإيمان؛ إذ المؤمن أخذ المؤمن، وهو تعالى المؤمن القائل: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الروم:٤٧]، فبسبب ذلك يُعان الاسم (الحليم) على الإمهال دون الإهمال، فمتى انقضى الأجل الذي فرضه الاسم الحليم عاد الأمر إلى مقارعة الأسماء إن لم يتوسط الاسم (الماحي) قال ﷺ: «**اتبع السيئة الحسنة تمحها**»[٥٨٥] فإذا تصدَّق العبد مثلاً محا الاسم (الماحي) غضب الاسم (الغاضب) قال ﷺ: «**الصدقة تطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار**»[٥٨٦] إذا لم يقم توبة وعمل صالح يقع الحرب ما بين أسماء الجمال وما بين أسماء الجلال، فيقوم الاسم الإلهي (المُصلِح) وينصب له الاسم (الغفار) منبر الكرم والفضل، فيخطب بلسان الاعتذار ويتلو: (وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [الأحزاب:٣٨]، ثم يختم بقول الله: (قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [الزمر:٥٣]، ويقوم الاسم (المنتقم) وينصب له الاسم (الجبار) و(القهار) منبر القسط والعدل[٥٨٧]، فيخطب بلسان الغضب: (مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ

---

(٥٨٥)

(٥٨٦)

(٥٨٧) القِسط العدل، ويقع ذلك في حق الله تعالى، وفي حق الخلق، وفي حق نفسك؛ فالعدلُ في حقِّ الله الوقوفُ على حدِّ الأمر من غير تقصير في المأمور بهِ أو إقدامٍ على المنهيِّ عنه، ثم ألا تدخِّر عنه شيئاً مما خوَّلك،

بِهِۦ) [النساء:١٢٣]، لا أحد أغيَّر من الله، ومن غيرته حرَّم (ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ) [الأعراف:٣٣]، هؤلاء إلى النار ولا أبالي ثم يختم بآية: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ) [الأعراف:٤٠]، فيقول المصلح: أيها الإخوان، كلكم جنود الاسم (القادر) على ما يشاء، فهلمُّوا إليه، فرأيه هو المعمول عليه، فيأتون الاسم (القادر) فيقول: إنما اقتداري تحت إرادة الاسم (المريد)، فتمهَّلوا لأنظر ماذا أراد فله الأمر ولي الانقياد، فحين ما يأتي القادر حضرة المريد يقول: لا أريد إلا أن أسمع شهادة الاسم (الشهيد)، فيأتي المريد إليه فيقول: بماذا ترى أن آمر الاسم القدير فيقول: أنا وإن كنت الشهيد السميع لا أنفذ أمرًا حتى يقضي (البصير) فيأتي الشهيد إلى (البصير) فيقول: نعم أبصرت ما في ألواح المحو والإثبات، يمحو الله ما يشاء ويثبت، فلزوم الأدب مع الاسم (العليم) هو الأنسب، فإنه لقضاء أم الكتاب أقرب، فيدخل الاسم (العليم) حضرة الله الذي مدلوله حضرة الذات، وتتبعه جميع الأسماء والصفات، فيقول الله العظيم للاسم (العليم): (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ .....) إلى آخرها [البقرة:٢٥٥].

اعلم أيها (العليم) أن لي كرسيًّا وسِع السماوات والأرض، وما وسع هذا الكرسي إلا عرشي، وما وسع عرشي إلا رحمانيتي، وما وسع رحمانيتي إلا أنا، وأنا لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، فأنا عبارة لمن فهم الإشارة، وأمانة معروضة لم يحملها إلا الإنسان الفخيم الذي أتيته السبع المثاني والقرآن العظيم، أما علمتم أن الأسماء كلها هي الكلم، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، فهو الحليم العليم الذي يعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، وذلك مفاد قول الله تعالى: (يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا) [النبأ:٣٨]، وليس الإذن إلا لمن أنزل منه عليه: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:١٧]، فيقضي بقضاء القرآن العظيم إذ خلقه القرآن، والقرآن هو الذات الجامعة لجميع الأسماء والصفات، فلذا نطق القرآن المنزل على مجمع جميع الأكوان: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ) [القلم:٤]، فلآدم علم الأسماء، وهي حقائق العلوم الإلهية، ومحمد ﷺ معلوم تلك العلوم ومدلولها، بل هو ذاتها وحقيقتها، ولله در البوصيري ﷺ حيث يقول:

ثم لا تُؤثِرَ عليه شيئاً فيما أحلَّ لك، وأمَّا العدل مع الخلق - فعلى لسان العلم - بذلُ الإنصاف، وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف. وأمَّا العدل في حق نَفْسِك فإدخال العتق عليها، وسدُّ أبواب الراحة بكل وجه عليها، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نَفَس. تفسير القشيري (٣٦٢/٢).

فهو سلطان الديوان الإلهي، أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها، وقد أخبر أنه لا يدخلها إلا بدخول أمته، وأمته مظاهر حقيقته، وهم العالمون الذين جعلهما الله ما بين رحمتين:

الرحمة الأولى: رحمة بسم الله الرحمن الرحيم، والوسط الحمد لله رب العالمين، فالرب حقيقته المربية للعالمين، والعالمون مظاهر تلك الحقيقة.

والرحمة الثانية: الرحمن الرحيم، فأحاطت الرحمة بالعالمين، فكان البداء رحمة وكانت الغاية رحمة، والعالمون في الوسط.

ألا ترى قوله تعالى: **(فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ)** [الحديد:١٣]، ومعنى تندلق أقتابه، أي: تخرج من مكانها، والأقتاب جمع قِتب بكسر القاف، وهو المعاء، أي: تخرج مصارينه فتكون في النار، فإن قلت: فأي رحمة لمثل هذا؟! قلنا: لولا الرحمة ما استطاع أن يعقل خطاب أهل النار له، وأن يجيب سؤالهم خصوصًا في الحديث تندلق، ولم يقل: تذوب مثلاً، والرحمة لأهل النار كونهم أمكنهم الاجتماع عليه، ولم يكن كل أحد مشغولاً بنفسه عن السؤال والجواب، ولكن الرحمة الإلهية مبطونة في صورة العذاب، كما قال تعالى في حق السور: **(بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ)** [الحديد:١٣]، ويمكن أن يكون الضمير في قوله: **(بَاطِنُهُۥ)** راجعًا للباب لا للسور، وهو أقرب مذكور، أي: باطن الباب فيه الرحمة، وباطن الباب هو الدار، وظاهره الجدار، فالعذاب من قبل الجدار؛ فافهم الإشارة.

فإن الجدار هو الجسم، وذلك ظاهر السور، والروح هو الباطن، فإن انهدم الجدار ظهر كنز الروح الباطن، فليس السور في الحقيقة سواك، وباطنه نفسك التي لها وجه إلى الباطن ووجه إلى الظاهر، فمن عرفها عرف ربه في «الفتوحات المكية» في المجلد الأول في الكلام على تفسير الفاتحة، أنه تعالى يقول: «**يوم الدين شفعت الملائكة والنبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين**»[٥٨٨].

فعاد الفرق جمعًا، والفتق رتقًا، والشفع وترًا بشفاعة أرحم الراحمين من جهنم ظاهر السور إلى جنة باطنه، فإذا وقع الجدار وانهدم السور وامتزجت الأنهار والتقى البحران وعدم البرزخ صار العذاب نعيمًا وجهنم جنة، فلا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة

---

(٥٨٨)

العيان، وترنم أطيار بألحان على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والولدان، وعدم مالك وبقي رضوان، وصارت جهنم تتنعم في فطائر الجنان، واتضح سر إبليس وآدم فإذا هو ومن سجد له سيبان، فإنهما ما تصرفا إلا عن قضاء سابق وقدر لاحق لا محيص لهما عنه، فلابد لهما منه، وحج آدم موسى. انتهى.

فإن قلت: إن هذه شفاعة أرحم الراحمين عند الاسم (المنتقم) وهذه أسماء الله فلا دخل لمحمد ﷺ.

قلت: أرحم الراحمين معنى لا يقوم إلا بصورة، والصورة محمد ﷺ، وألعن الملعونين إبليس، وقد أنزل على محمد ﷺ في حق إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص:٧٨]، وما أذن الله بالشفاعة لأحد كما أذن لمحمد ﷺ حيث قال له: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢]، وليس الحق إلا ما أنزل عليه، وقد قيَّد في القرآن لعنة إبليس، فلابد أن المأذون يقول له: احكم بالحق فقد انتهت اللعنة، وحيث نجا إبليس نجا الجميع، فهذا هو الدليل من القرآن العظيم لما قاله الشيخ الأكبر من قوله: عدم مالك وبقي رضوان، والله الموفق.

وارد:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق:٢٢] أي: في نوم؛ لأن الناس نيام ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢] قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ﴾ أي: عن ذاتك، وهو الصورة، وبكشف هذا الغطاء تدرك حقيقة الغطاء، وإنه عين الذات؛ إذ لا غطاء للذات إلا عين الذات، جلّت الذات أن يسترها شيء غيرها، فسبحان الذي ما أبطنه إلا ظهوره، وما ظهر إلا الصورة، فالصورة عين الباطن المستور[٥٨٩]، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الإسراء:٤٥] أي: الصورة المحمدية التي هي عين غيب الحقيقة ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥].

---

(٥٨٩) فيا ليت لو علم الغافل هناك غاية أمره؛ إذ كان غافلاً عن مشاهدة الغيب، فصار له منكشفًا؛ فيرى ما يرى مشاهدة وعيانًا، وثبت له حقيقة العيان بلا علة الاستدلال؛ ليفرح بوجدانها حتى يطير من الفرح بكشفها ما يزيل عن قلبه هم العذاب وحزن العتاب، فإذا حصل المقصود فأنَّى العذاب خطر؛ إذ الاحتراق بالنار بعد اليقين والعيان سهل على من يسَّره الله عليه، وبيَّن سبحانه أنه إذا رفع غواشي قهره عن أبصار الغافلين صارت أبصارهم نافذة في رؤية الغيوب، فيرون ما يفرح به قلوب العارفين في الدنيا من كشف عجائب الملكوت وأنوار الجبروت، فأين أنت من العذاب والعقاب عند كشف النقاب وسماع الخطاب ومن ليس بغافل عن كشف عيان العيان وبيان البيان، ومن يطّلع على حقيقة الحقيقة هاهنا حتى أتى بساط الأعظم ومجلس الأقرب، هناك ينكشف أنوار الألوهية وسناء القدوسية، فيكحل عيون الكل ضياء مشاهدته، فيذهب من البين الدليل والاستدلال والمخاييل والمحال والإيمان والإيقان، بل يبقى العيان والعرفان أبدًا.

فالحجاب المستور عين الصورة المحمدية؛ إذ هي حقيقة الحق ولا يعرفونه، فليس هذا الحجاب ساترًا بل هو مستور عنهم، فالحجاب عين المحجوب، فهو مستور مع أنه مكشوف، فما حجبه إلا كشفه فعلمنا أن الغطاء ليس إلا الجهل، لا أنه من قبيل القشر على اللب أو من قبيل الساتر على المستور، بل أن المستور بنفسه هو الساتر، فهذا الكشف كشف معنوي لا حسي، وإنما هو كشف الجهل بالعلم، والجهل ظلمة معنوية، والعلم نور معنوي أيضًا، فمن كشف له غطاء ذاته فأبصر ذاته وأدركها أدرك أنها جميع ما يراه في آخرته، فكان بصره حديدًا، أي: قويًا؛ لأن بصره حينئذ هو الله تعالى، فالبصر عين المبصر، كما في الحديث القدسي: «**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**»[٥٩٠] وإذا كان الحق بصره فهو القوي؛ إذ لا أقوى منه جلّ وعلا.

فالذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بأن محمدًا ﷺ هو الاسم الآخر لله من جهة صورته، كما أنه الاسم الأول لله من جهة حقيقته ومعناه، فجعل الله بينه وبينهم حجابًا مستورًا، والحجاب المستور هو الرسول محمد ﷺ بعينه، فهو مكشوف لهم مع أنه مستور عنهم بلا ستر، فهم لا يؤمنون بالآخرة التي هي صورته الكريمة مع أنها هي الحق الناطق بالقرآن، وأن الكلام الظاهر من تلك الصورة هو كلام الله بعينه، وقد أعلمهم الله بحقيقة الأمر لو علموا.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ**﴾ [الفتح:١٠]، وقد أخبرهم الله أن الكلام الظاهر منه هو كلام الله بعينه، قال تعالى: ﴿**وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ**﴾ [التوبة:٦] أي: حتى يسمع كلام الله من صورة الله، فيعلمون أن الله هو الظاهر المتكلم بكلام نفسه في صورة تسمى محمدًا ﷺ وهي آخرة الله تعالى؛ لأنها مجلى اسمه (الآخر) المنطوي فيه الأول، فالحجاب المستور الذي جعله الله بينه وبينهم حين يقرأ عليهم القرآن هو محمد ﷺ بعينه، فهو حجاب الله وليس حجاب الله إلا هو؛ لأنه الأول الآخر الظاهر الباطن، فقدَّم الظاهر على الباطن ليكون هذا الظاهر هو الموصوف بالبطون، فإذن لا بطون، فالحجاب المستور عين المحجوب وعين الساتر، فلا حجاب ولا محجوب ولا ساتر ولا مستور، ولذا قال تعالى: ﴿**وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ**﴾ [الأنعام:٢٥]، الضمير في قوله: (يَفقَهُوه) راجع للحجاب المستور، فلو فقهوه لعلموا أن الداعي ـ وهو الحق تعالى ـ ما دعاهم إليه إلا بنفسه بلا واسطة، فإذن لا رسالة

---

(٥٩٠)

بل الأمر أصالة، فما كان رسوله إليهم إلا عينه لا سواه، فمن لم يؤمن بآية المبايعة صراحة على ظاهرها بدون تأويل وحيادة عن اللفظ الظاهر فليس عندنا من الذين لا يؤمنون بالآخرة ولو سميناه مسلمًا؛ إذ ليس كل مسلم بمؤمن حق الإيمان، ولذا قال تعالى: **(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ)** [الحجرات:١٤].

فالإيمان متعلقه القلب، والإسلام متعلقه اللسان، وكذلك نقول: طاعة الرسول ﷺ هي طاعة الله بعينها بلا واسطة؛ لقوله تعالى: **(مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ)**[٥٩١] [النساء:٨٠]، ولا يقال: يلزم من ذلك التشبيه والتجسيم؛ لأننا نقول: ليس عندنا مشبه ومشبه به، ولا حجاب جسمي، فإن الحجاب الجسمي إنما هو من الوهم فقط بسبب تقيد البصر بالأوهام.

ألا ترى أن بصر أهل الله لا تحجبه الجدران، ولا بعد البلدان، بل الكون كله مكشوف لهم كأنه ذرَّة في كفهم، حتى قال بعضهم: لو دبَّت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أعلم بها لقلت إني مخدوع، ومن تحقق بحقيقة قوله تعالى: **(ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)** [النور:٣٥].

فقد انفك عن قيد الجسمانية، وتحقق بالحقائق الروحانية، ثم يترقى إلى المعاني القدسية بمقتضى قوله تعالى: **(هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ)** [الحديد:٣]، فيكون الكثيف عنده عين اللطيف، بل يرى الوجود كله عينًا واحدة، فيتحقق أن الأمر الواحد يظهر بعدة صور، كالقبر مثلاً فإنه عند البعض حفرة تراب، وعند الشقي حفرة نار، وعند السعيد روضة من رياض الجنة، وقد صح في الحديث: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٥٩٢] وفي رواية: «**ما بين قبري ومنبري**»[٥٩٣] وقد صح أيضًا: «**منبري على حوضي**»[٥٩٤] مع أنه عندنا على الأرض، وبالجملة فمن كُشف غطاؤه خرق له حجاب

([591]) ظاهر هذه الآية تدل على الوسيلة، والوسيلة من الله هو الرسول، أي: من أطاع الرسول فقد أطاع الله ، وباطن الآية إشارةٌ إلى عين الجمع؛ حيث تندرج ﷺبوسيلة الرسول، وهذا مقام الأمر والعبودية في النبي صفاته تحت صفات القدم، ويغني خلقه في خلق الأزل، ويخرج من تحت الفناء بصفة البقاء، ويكون مرآة الحق تجلى منها للخلق، فإذا كان كذلك أمره وطاعته مع أمر الله وطاعته واحدٌ لموضع اتصافه واتحاده.

([٥٩٢])

([٥٩٣])

([٥٩٤])

الزمان، وبعث ودخل الجنان، ومن لم يكشف غطاؤه فهو محبوس في قفص التراب، مشغول بمشاهدة العذاب.

أقول: من كشف عنه الغطاء علم يقينًا أن الذات المحمدية ـ عليها صلوات الله وسلامه ـ أحق وأولى باسم الله الجامع من اسم محمد أو أحمد أو محمود؛ لأن التسمية لها بالاسم الله تسمية إلهية قرآنية لم يشبها ولم يخالطها كون من الأكوان، فهي منزلة في القرآن من الكريم المنان، وذلك محقق عند أهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣]، وأي غيب أعظم من محمد ﷺ بحيث إننا نجعل صورة إنسانية حاضرة بشرية هي الغيب الذي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾ [الشورى:١١].

وهذا الغيب لأجله الميثاق الذي أخذه الله على النبيين في قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١]، فالإيمان به عين الإيمان بالله، فلابد أن يجئ ﷺ جميع الرسل بمقتضى قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ﴾ [آل عمران:٨١]، وأن تقدموه بالزمان، ولو كان هذا الميثاق على سبيل الفرض لا التحقيق لم يكن له كبير فائدة، فمجيئه لهم محقق، ونصرتهم له دخولهم تحت حيطته، والانقياد إليه وإنزاله منهم بمنزلتهم لأتباعهم، فهو الرسول الأصلي في الوجود، والكل نواب، فهذا هو الغيب الذي نؤمن به.

ونقيم الصلاة بمعنى: إيصال معاني الألوهية بأسرها به ﷺ فنستحضره عند إحرامنا في الصلاة بقولنا: الله أكبر، ومن آمن هذا الإيمان فلا يخاف بخسًا؛ لأن هذا التكبير راجع إليه، فلا نقص ولا ظلم ولا رهق، أي: لا يخاف سفهًا؛ لأن تلك الحضرة منزهة عن السفه، فإن كنت من الأبرار شربت من الكأس الممزوج، وإن كنت من عباد الله شربت بالعين وفجرتها منك تفجيرًا.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[٥٩٥] [التوبة:١٢٨]، فما كان الله ليعذبك وهو قائم فيك، فإن علمت هذا العلم فإن شئت فأحيي وإن شئت فمت، فما عليك من بأس.

---

(٥٩٥) أخبر سبحانه عن كريم ميلاده ﷺ، وعظيم ميعاده ومراده، وشرَّف بها أمّته، حيث اختاره منها باصطفائية رسالته، وعظّم شأنه، والحمد لله الذي جعل طينته من طينتنا، وشرَّف طينتنا حيث جعلها من طينته، وخَصَّ جوهر روحه من أرواحنا، وشرَّف أرواحنا حيث كانت مع روحه في أول بديهة الأمر من الله سبحانه، وأي كرامةٍ أعظم كرامة مِن أن الله سبحانه جعل نبيّنا من أنفسنا، وأرسل إلينا بالرأفة والرحمة،

قيل للشبلي: أين الشبلي؟ فقال: مات لا رحمه الله، أي: لم يبق له أثر حتى يُرحم، بل محيي بالله فهو هو، وهو عين رحمة الله، والرحمة هي التي بها يرحم؛ إذ الرحمة الحقيقية عين وجود الله، فلله در الشبلي ﷺ إذ قد بدت صورته مقصورة بصورة محمد ﷺ فقال لمريده: أتشهد أني رسول الله؟ فقال المريد وكان من أهل المشاهدة: نعم أشهد أنك رسول الله، فمُحي الشبلي وظهر رسول الله، فلذا قال عن نفسه: مات لا رحمه الله، فمن لم يقوى على هذا الإيمان، فهو محجوب بالشكوك الفكرية والأوهام الخيالية.

ألا ترى الحديث الوارد في حق رجل استعمل بقرته للركوب فقالت البقرة: ما خُلقت لهذا، وإنما خُلقت للحرث، فعجب الحاضرون وقالوا: بقرة تتكلم، فقال ﷺ: «**آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»[٥٩٦] فانظر ـ رحمك الله ـ كيف ميَّز ﷺ إيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأشركهما معه في الإيمان، فالإيمان يختلف.

قال لي بعض الناس معترضًا عليّ: إنك دائمًا تلهج بقولك: يا رسول الله، يا سيد السادات، فكيف تخاطبه وقد مات والميت لا يجيب؟!

فقلت له: إنك لم تفهم معنى الموت ما هو، فقال: ما هو؟ فقلت له: الموت معناه عزل ولاية إلى ولاية غيرها، بمعنى أن الروح تُعزل عن تدبير معاش صورة خاصة، وتتولى تدبير صورة غير تلك الصورة، بل تدبير صور كثيرة على حسب مقام الميت، ألا ترى أنك ترى في المنام فلانًا بصورة فلان، فحياة الموت أعظم من الحياة المعروفة عندنا، فالحياة المعروفة حياة طبيعية تحت حكم العناصر الأربعة، والعناصر مقيَّدة بخلاف حياة الموت فإنها ذاتية مطلقة، فقال لي: لم أفهم معنى الحياة الذاتية، فأفهمني ما هي الحياة الذاتية؟ فقلت له: أما صح في الحديث الشريف الذي رواه البخاري في «صحيحه» **عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري ثم المازني عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذَّنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله** ﷺ»[٥٩٧]، فهل يشهد إلا من سمع الشهادة وعقلها؟ فقال: نعم هذا حديث صحيح، فقلت له: من يسمع الشهادة ويؤديها فهو حيّ، فهذه هي الحياة الذاتية وبها يُسأل الميت ويجيب، وأزيدك إيضاحًا أليس قد قال

وأكرم خلقه حيث جعله رحمة للعالمين.

(٥٩٦)

(٥٩٧)

رسول الله ﷺ عن جبل أحد الذي هو من جبال المدينة المنورة: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**»[٥٩٨] فهل يحب رسول الله ﷺ إلا لإدراك كمالاته؟ وهل يُدرك كمالات المصطفى ﷺ إلا حيّ عالم عاقل؟ فهل رتبة رسول الله ﷺ عندك بعد الموت أنزل من التراب والأحجار والأشجار التي تسمع المؤذن وتشهد له أو أنزل من رتبة جبل أحد الذي عقل رفعة قدر النبي ﷺ وأحبه؟ وهل تكون صفة الحب إلا لمدرك عالم بقدر المحبوب؟ فبهت الرجل وتحيَّر وسكت ولم يدر ما يقول، فقلت له: يا أخي هل تعتقد أن كمالات رسول الله ﷺ في نقص أم في مزيد؟ فقال: بل في مزيد، فقلت: حياته من جملة كمالاته، فلو لم تزد حياته بعد موته لقلنا بأنه انتقل من كمال إلى نقص، أيقال هذا في حق رسول الله ﷺ أو يقال أنه دائمًا في ترقي؟ فقال: بل هو دائمًا في ترقي، فقلت: لذلك أُخاطبه وأقول: يا رسول الله لاعتقادي سريان حياته في الأكوان، وهذا الذي أعتقده وأدين الله به **﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾** [الكهف:٢٩]، فوجدت الرجل بعد ذلك قد أقلع عن الإنكار وترك المعارضة، والله الموفق الهادي إلى صراط مستقيم.

تتميم في قوله تعالى: **﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ﴾** [ق:٢٢]، أي: عند كشف الغطاء **﴿حَدِيد﴾** [ق:٢٢]، أي: قوي كاشف لحقائق الأمور، ولما كانت أحوال الناس مختلفة في زمان الموت كانت مختلفة في زمان الكشف عند كشف الغطاء، وإذا اختلفت أحوال الناس في كشف اختلفت إدراكاتهم لمشاهد القيامة قطعًا.

ألا ترى قوله تعالى: **﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾** [الأحزاب:٢٣]، حتى ورد في حديث البخاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من الطريق كانت تؤذي الناس**»[٥٩٩] وأخبر: «**أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها**»[٦٠٠] والدخول لا يكون إلا بالروح مع الجسم، ولهذا السر لما سُئل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ أعرض عن جواب السائل وقال: «**ما أعددت لها؟ فقال: ما أعددت لها إلا حب الله ورسوله، فقال: أنت مع من أحببت**»[٦٠١] وأما الساعة المشار إليها بالأشراط وهي: طلوع الشمس من مغربها، والدجَّال وأمثال ذلك فهي نهاية دور الساعة، وتلك النهاية هي الساعة التي أخبر عنها أنها لا تقوم إلا على شرار الناس، وذلك قول الله تعالى:

---

(٥٩٨)

(٥٩٩)

(٦٠٠)

(٦٠١)

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ....﴾ إلى آخره [التكوير:١]، أي: استدارت فهو تمام انتهاء المعارج بانتهاء قيامه الجميع وإلا فأين كشف الغطاء للأشرار من كشف الغطاء للأخيار؟ ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾ [البقرة:٦٠]، كما أن كلاً يعمل على شاكلته، قال تعالى: ﴿قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلاً ﴾[الإسراء:٨٤]، فلا يستوي الأهدى مع الأردى، فالأهدى مع الأردى عند كشف غطاء الأردى، وأما الأردى فلا يكون مع الأهدى سبيلاً عند كشف غطائه، هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]، فعلم الساعة لا يحيط به إلا الله تعالى، فإياك أن تُقيّد الرسل والأنبياء والشهداء والصالحين مع المقيدين من عموم الناس لظاهر قوله ﷺ: «**إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»[٦٠٢] أي: غير مختونين «**وأول من يكسى إبراهيم** عليه السلام **فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض فقال** ﷺ**: يا عائشة، الأمر أعظم من أن يهمهم ذلك**»[٦٠٣] فهذا المنظر بالنسبة للمقيد لا أن الرسل والأنبياء في أنفسهم محصورين بهذه الحال.

ألا ترى أن النبي ﷺ اختلفت مشاهده لموسى عليه السلام حال الإسراء وهو حال واحد فرآه قائمًا يصلي في قبره، ورآه يصلي خلفه في المسجد الأقصى، ورآه في السماء السادسة، وراجعه مرارًا في سؤال التخفيف، فإبراهيم عليه السلام أول من يكسى في هذا المشهد الخاص لدى المقيدين به، ولاشك أنه ينقلب في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم، والأصل الجامع أن لكل اسم إلهي حضرة خاصة، فالمقيد تقيده الحضرات والمطلق لا تقيده حضرة عن حضرة، فهو مع كل أحد في حضرته المقيدة، وليس أحد معه إلا إن كان مثله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦].

---

(٦٠٢)

(٦٠٣)

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الخوف من مقامات الرجال قال ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه**»[٦٠٤] وفي الحديث أيضًا: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ولخرجتم إلى الصُعُدات تلدمون صدوركم**»[٦٠٥] والصُعدات بضم الصاد والعين مفرد، وصعيد يطلق على التراب، وعلى وجه الأرض، وعلى الطريق، وعلى القبر، والمراد هنا: لخرجتم إلى الطرق أو إلى المقابر تلدِمون صدوركم بكسر الدال، أي تلطمون صدوركم، واعلم أن الخوف على قسمين: خوف العباد وهو من نار جهنم، وخوف العارفين وهو خوف الإجلال كما قيل:

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم … لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

ومن هذا المعنى خوف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الأولياء، وهذا الخوف لا يمنعهم أن ينفعوا عباد الله، وأن يُمدُّوهم بالنفحات الإلهية والأدعية والنصائح الشرعية، وأما أرباب العبادة فقد غلب الخوف عليهم بحيث لو قلت لأحدهم: المدد يا سيدي، يقول: النجس لا يطهر غيره، وليس هذا بخوف العارفين.

واعلم أن مقام الرب انفراده بالتصرف في ملكه كيف شاء؛ لأن الرب هو السيد، ولا تصرف للعبد مع سيده، ولذا قالوا: السيد من لا عبد له، ولهذا السر قال ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[٦٠٦] لأنهم عبيد خلص، ومقام العبودية هو الدين الخالص، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وفي هذا المقام قيل للسيد الأعظم ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فخوف العوام من الذنوب لأنها لا تليق بمقام الرب، بل اللائق هو الطاعة، فلو قلت للعابد: هل أكرمك الله بكرامة؟ يقول: نعم أكرمني بكونه لم يخسف بي الأرض مثلاً أو لم يُنزل عليَّ صاعقة تحرقني، وأما مقام الرب عند العارفين فالتوحيد الذي لم يشاركه فيه أحد، فخوف العارف أن يغفل عن التوحيد وأنشدوا:

وإن قلت ما أذنبت قالت مجيبة … وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

حتى أن المتمكن في مقام العبودية هو الذي يشهد أن الحق هو القائم بوظائف العبودية فيه، ويثبت له اسم العبد كما يثبت له اسم الرب، وهذا مشهد محمد ﷺ في قوله:

---

(٦٠٤)

(٦٠٥)

(٦٠٦)

«**إنما أنا عبد**»[٦٠٧] فالقائل فيه: إنما أنا عبد هو القائل: «**أنا سيد ولد آدم**»[٦٠٨] ولما كان هذا المشهد بعيدًا من العموم قال: «**لا تقولوا سيدًا إنما السيد الله**»[٦٠٩] وأما هو ﷺ فالقول منه هو قول الله بنفسه، فمن خاف مقام ربه رد عبوديته إليه فلا يرى نفسه قائمًا بأمر من الأمور الجارية فيه أو الجارية منه، وهذا معنى قول من قال: الأوامر الإلهية والنواهي والقيام بالوظائف المشروعة في حق العارف بالله تشريف لا تكليف، يعني أن العارف يشهد أن القائم بهذه الوظائف كلها هو، فقد شرَّف الله العارف حيث أشهده حقيقة الأمر من أنه تعالى هو القائم بما فيه.

كما قال ابن عطاء الله ﷺ: إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك؛ أي تجلى فيك بالقيام بالأمور المشروعة؛ لأن له تعالى مرتبة التقييد كما أن له مرتبة الإطلاق، ولذا أمر ﷺ أن يعلمنا بذلك، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾** [آل عمران:١٥٤]، فكل صورة في الوجود وكل ما يبدوا من تلك الصورة لله تعالى، ولذلك من خاف مقام الرب نهى النفس عن الهوى، والمراد بالهوى: الدعوى، فمن نهى نفسه عن الهوى ينبغي أن يشهد أنه تعالى هو الذي ينهي نفسه عن الهوى في مظهرية نفسه، فيراه أنه هو الناهي والمنهي والآمر والمأمور، واسم الرب واقع عليه كما أن اسم العبد راجع إليه.

ألا ترى قوله ﷺ لما سُئل ما الدين؟ فقال: «**النصيحة لله**»[٦١٠] فهو القابل للنصح في مظهر العبد.

ألا ترى قول الله تعالى: **﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾** [الأنبياء:١١٢]، وفي قراءة: **﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾** فأدخل الحق نفسه في التكليف المشروع ولذلك أخبر تعالى بقوله: **﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾** [الرحمن:٤٦]، فأضاف الخوف لمن أضاف له الرب فله جنتان: جنة التقييد الصورية، وجنة الإطلاق الذاتية، فتلك الجنتان **﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾** [الرحمن:٤٨]، من الأسماء الإلهية فلجنَّة الإطلاق أفنان وهي أسماء التنزيه، ولجنَّة التقييد أفنان وهي أسماء التشبيه، فمن خاف مقام ربه فجزاءه مقام ربه **﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾** [يوسف:٧٥]، فلما نهى نفسه عن الهوى كشف عن حقيقة نفسه، ومن هو الناهي ومن هو المنهي، وحينئذ **﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾** [النازعات:٤١]، والجنة نفسه فهي مأوى الحق؛

---

(٦٠٧)

(٦٠٨)

(٦٠٩)

(٦١٠)

لأنه سمعها وبصرها، فهو عين أعضائها، فذات الرب المعبَّر عنها بضمير «**كنت سمعه**»[٦١١] في الحديث هي أعضاء العبد بعينها وإن شئت قلت بأن المراد بالجنة وجود الحق وذاته فهي المأوى للصور المشهودة وهذا معنى قولهم: إن الحق ذات كل شيء، والمحدثات أسمائه، والاسم بالنسبة إلى الله تعالى عين المسمى، لقوله تعالى: (**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**) [الحديد:٣]، فلا مأوى لنا سواه، ولم يأوي إليه إلا إياه، وهذا مقام الفردانية، فمن تحقق به فهو فرد الوجود، فالعالم حرف جاء لمعنى وليس الحرف إلا الصورة، وليس المعنى إلا هو، فأدر حمياك منك إليك تر كل شيء دائرًا عليك، (**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**) [النجم:٣٩]، فافهم، فالخمرة والكأس عين الخمار، والساقي والنديم عين شارب العقار، وفي هذا المعنى أقول:

رحت في راح الصفا سكرًا بمي ... مذ شربت الكأس من ذاك اللمي
غبت عن ذاتي بذاتي باقيًا ... وانمحى لمَّا بَدَت رسُم السويّ
قد تجلت بوجودي جهرة ... فشهدت الكل مني وإليّ
يا أهيل الحي طابت خمرةً ... من شذاها عاد ميت الشوق حيّ
أسكرتنا قبل خلق الخلق في ... حان قُدس تتجلى فيها رُقيّ
كنزها المخفي فينا ظاهر ... وسناها مشرقًا في كل شيء
لم يكن في الكون إلا حُسنها ... فهي حق وهي خلق دون زَيّ
كل من قد ذاق منها شربة ... قال ذي الأكوان قد دارت عَليّ
ما أنا أو أنت أو هو غيرها ... فهي أسماء لعين يا أخيّ
أينما وليت تلقى وجهها ... لا تزغ عنها بتعداد السميّ
يا غريب الحي إني صبكم ... فأديروا لي شرابًا من حميّ
وارفعوا الأستار عن وجهكم ... واكشفوا لي عنكم ستر الغشيّ
وامنحوا الإمداد من فيضكم ... واكحلوا بالنور منكم مقلتيّ
هل لعبد يرتجيكم نظرة ... أدركوني وأجيبوا يا آل طي
وصلاة الله تتلى دائمًا ... للنبي المختار من آل لوي
وسلام ختمه المسك بدا ... لحبيب الله ذا نور الهدي
وكذا آل وصحب أجمع ... مع محب هام شوقًا في الهوى في النبي

وارد:

---

(٦١١)

روى البخاري ﷺ في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو هريرة: **أقيمت الصلاة فسوى الناس صفوفهم، فخرج رسول الله ﷺ وهو جُنُب ثم قال: «على مكانكم فرجع فاغتسل، ثم خرج ورأسه يقطر ماء فصلى بهم»**[٦١٢].

هذا الحديث فيه فوائد:

الفائدة الأولى: إن الصلاة كانت تقام على عهد النبي ﷺ وهو في بيته.

الفائدة الثانية: إنهم كانوا قبل أن يخرج ﷺ من بيته يشتغلون بتسوية الصفوف.

الفائدة الثالثة: إنهم كانوا ينتظرون قيامًا بعد إقامة الصلاة؛ لأن منتظِر الصلاة في صلاة مادام ينتظرها كما ورد.

الفائدة الرابعة: إنه تقدم وهو جُنُب ناسيًا الجنابة قال ﷺ: «**إنما أنا بشر أنسى كما ينسى البشر**»[٦١٣].

الخامسة: إنه لا يلزم العارف بالله تعالى ألّا يغفل عن شيء من الأشياء؛ لأن ذلك قوة الربوبية، قال تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام: **﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾** [طه:٥٢].

السادسة: إن النبي ﷺ في نسيانه يتجلى بصفة إلهية؟ قال تعالى: **﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾** [التوبة:٦٧]، وهو أكمل مظهر لهذا الاسم الذي هو الله، فلابد أن يظهر الله فيه بوصفه بطريق الكمال الذي يليق به[٦١٤].

السابعة: إنه ﷺ يجب عليه في نفسه إقامة ظاهر الشرع والتزام شروطه الواجبة على أمته، فلا يجوز له أن يصلي بالجنابة، ولو كان مقدس الذات أعرف العارفين بالله على الإطلاق خلافًا لما يزعمه الزنادقة من أن العارفين بالله لا يلزمهم التقيد بالظواهر المشروعة من التكاليف الدينية، بل إنما التكاليف المشروعة إنما هي في حق المحجوبين عن معرفة نفوسهم زاعمين أن الشريعة طريق للوصول، فمن وصل إلى المنزل فلا حاجة له بالطريق، وكم وكم طرَق سمعي مثل هذا الكلام من أبالسة هذا الزمان، والعجب أنهم مع العقل والصحو الاشتغال بالدنيا، وإيثارهم ما يشتهون على ما يكرهون، يُصرُّون على هذه العقيدة التي يكون بها أحدهم أستاذًا لإبليس اللعين! لأن إبليس وإن كان يأمر بالكفر لكنه

---

(٦١٢)

(٦١٣)

(٦١٤) قال سهل في قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: نسوا أنعم الله عندهم، فأنساهم الله شكر النعم.

يعتقد التوحيد، ويتبرأ من الكافر ولا يرضى حالته ويقول: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر:١٦]، فهؤلاء الزنادقة ألعن من ألف إبليس، وأعظم منه في الإغواء والإضلال، مع زعمهم أنهم من أهل معرفة الله وأنهم أولياء الله.

فهذا رسول الله ﷺ الذي هو أعلم العلماء وأعرف العارفين لم يجوز لنفسه الصلاة مع الجنابة بدون الطهارة الظاهرة التي هي الغسل بالماء، بل إنه قال لهم: «**على مكانكم**» ورجع واغتسل وجاءهم، فأطهروا بأن يقول: فأطهروا بمشاهدة الحق مثلاً، بل إنه لم يخرج الظاهر عن ظاهره، كما يفعله الطائفة الضالون المسمون بالباطنية، ولو كان ذلك جائزًا له لقال: إن العارف بالله تكفيه الطهارة الباطنة عن الطهارة الظاهرة، فبناء على سوء فهمهم الباطل أبطلوا أحكام الإسلام الظاهرة، ويستشهدون بمثل قول الغوث الجيلي ﷺ: فصومي هو الإمساك عن رؤية السوى، وقاسوا جميع الأحكام الإسلامية على ذلك، ويقولون: الصلاة كناية عن الوصلة ما بين العبد وربه وارتفاع الغيرية، «**والحج عرفة**»[٦١٥] كناية عن معرفة الله، ويستحلون إفطار شهر رمضان، وترك الحج الظاهر، وهؤلاء الطائفة قال فيهم الغوث الجيلي: ما سمعت أذني ولا رأت عيني أشر ولا أقبح من هذه الطائفة.

فإياك يا أخي أن تسكن بلدة فيها واحد من هذه الطائفة، لعن الله جميعهم، وهذا اللعن أثبته الغوث الجيلي ﷺ في كتابة «الأسفار» الذي شرح به رسالة الشيخ محيي الدين العربي ـ قدَّس الله سره ـ المسماة بالأنوار: وعندي أن الجهاد بأمثال هؤلاء الزنادقة أهم من الجهاد بالمشركين، فمن تجاهر بشيء من ذلك وجب على إمام المسلمين قتله حالاً، نعوذ بالله أن نُرَد على أعقابنا.

اللهم أنا نبرأ إليك من سوء هذه العقيدة، فالحمد لله الذي عافنا مما ابتلاهم به. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفائدة الثامنة: إن إمام الصلاة إذا حصل له مثل هذا الأمر يقول كما قال رسول الله ﷺ: «**على مكانكم**»[٦١٦] ولا يخلف غيره على الإمامة؛ إذ لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ .

الفائدة التاسعة: كونه ﷺ رجع إليهم ورأسه يقطر ماء يفيد أنه لا يلزم الإنسان أن يخفي عن أصحابه غسل الجنابة المنبئ عن مجامعته أهله، ولا يعتد بالحياء من ذلك، فإن

---

(٦١٥)

(٦١٦)

رسول الله ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، ومع ذلك لم ينشف قبل أن يخرج إلى أصحابه ولم يستح ﷺ من شعورهم بذلك، بل يستفاد من فعله إظهار الأحكام المشروعة، ولو كان من متعلقات النساء.

وأما ما ورد من النهي عن كشف سر الأهل فهو في حق من يذكر حال أهله عند الجماع من خفّة حركتها مثلاً ولين حديثها مما يفعله النساء لأزواجهن، فإن إشاعة ذلك من المعاصي الكبائر، وذلك منهي عنه وسقوط المرق.

الفائدة العاشرة: إن هذه الواقعة تفيد أنه لا بأس بالمهلة بين إقامة الصلاة والإحرام فيها؛ لأن النبي ﷺ لم يأمرهم بتجديد إقامة الصلاة، فلو أقام المؤذن الصلاة والإمام لم يتوضأ ثم توضأ وجاء لا يلزم إعادة إقامة الصلاة.

غزل رقيق.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن نسيان الجنابة الذي وقع من الحبيب المختار ﷺ ليس كنسيان أحدنا لاشتغال قلبنا بأمور الدنيا، وأما هو ﷺ فقلبه مستغرق بمشاهدة الله وبصره ناظر إليه، وسمعه مصغى إليه، ولسانه ذاكر إليه، تنوعت له الأنوار، وتجلت له الأسرار، فأفعاله بالله لله مع الله، لا يرى إلا هو، ولا يسمع إلا منه، ولا يُحدِّث سواه، قد أخذه منه وكان فيه عوضًا عنه، فهو ﷺ ليس له من أمر نفسه شيء يتصرف الحق فيه كيف شاء، مشاهد في كل نفس تصرفات الحق فيه وفي سائر الوجود، محا نور التجلي عليه كل ظلمة من نظره، فذاته نور، وأقواله نور، وأفعاله نور، وبشريته نور، فهو بالله لله من الله إلى الله.

هيهات هيهات ندرك أحوال رسول الله ﷺ.

وَكيفَ يُدْرِكُ في الدُّنيا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ

تجلى الله فيه بذاته وقام تعالى بنفسه في أحكام صفاته، نسى نفسه بربه فلا يدري أنه أجنبي عنه قد محا به عنه وعما سواه، فإذا أثبته به كان هو الثابت، فذكر الله فيه نفسه بنفسه، فكان تعالى هو الذاكر المذكور فقال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ [الكهف:٢٤]، أي: حال بقائك به ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]، أي: حال فنائك فيه، فهو معه غيبة وحضورًا.

ألا ترى قوله: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[٦١٧] فيا مجمع البحرين ويا عين حياة الكونين اغسل جنابة نفسي بماء جوهر نورك القدسي، وطهرني بك مني، وكن فيّ ظاهرًا عني، وزكني بإمدادك الذاتي تزكية تمحو بها من نظري ظلمة الأغيار، وصل علي

---

(٦١٧)

صلاتك فهي سكني والقرار، حتى أكون مظهر الجوهر، قدس ذاتك قابلاً للتحلي بحلية أسمائك وصفاتك، واصبغني بصبغة الله الظاهرة ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةً﴾ [البقرة:١٣٨]، وهو روح قدس البصائر والسرائر، أنا اليتيم من والد روح الإمداد وأنا السائل منك رزق الهداية والإرشاد، فلا تقهرني بالصد والإبعاد، ولا تنهرني لسوء صنيعي، يا غوث الأنجاد كن جاذبًا لعبيدك من شوم الأباق وأحلله من قبور الوثاق ليرقى بك ذروة الإطلاق، حدثني بنعمة ربك عليك وآتني مما أتاك الله من تجلياته إليك، وكمل نقص معدني بجوهر إكسيرك الصافي واشف أمراض قلبي فأنت طبيب القلوب الشافي:

يا جوهر النور المقدس عن سوى ... يا كوثر الإمداد والإرشاد
يا طلعة الحق المبين بكشفه ... كنز الخفايا يا فاتح الإيجاد
مشكاة نفسك قد أضاء مصباحها ... بزجاجة الجسم المنير الهادي
ما الكوكب الدري إلا صورة ... لك أشرقت بضيائها الوقاد
زيتونة الذات الممدة أصلها ... والزيت نورك ضاء بالإمداد
يا واحداً للدهر ما مثل له ... يا جامع الأغواث والأفراد
لك في الحمى عبد يروم سماحة ... والجود منك على الحقيقة بادي
يا نزهتي يا بهجتي يا مهجتي ... صلني وجد وامنن بحل قيادي
يا أكرم الكرماء عبدك واقف ... بالباب يرجو نظرة الإسعاد
يا كامل الأوصاف أنت محمد ... محمود وصف أحمد الحماد
طه وياسين ونون والضحى ... شهدت بفضلك يا مليك فؤادي
يا روح روحي للحبيب وبلّغي ... أزكى السلام من المحب الصادي
نوحي وبوحي بالغرام صبابة ... ولتشتكي شوقي لأهل ودادي
وإذا حظيت بنور وجه محمد ... بثي له حال البهاء ونادي
أني المحب وأنت أصدق قائل ... مع من أحب المرء كالأولاد
من ذا الذي يرجو النبي محمدًا ... ويجيب سؤالاً وهو خير جواد
أيضام عبد أم باب المصطفى ... وله بكل الكائنات أيادي
يا مفردًا كل الوجود بأسره ... في أسره يا منهل القصاد
أشرق جمالك لا تكن متحجبًا ... عن عين صبك فاللقاء مرادي
واجب حسيتي الهوى بقراره ... يصبو إلى ركب الحجاز ينادي
صلى الله عليك يا نور البهاء ... ما رنم الشادي وصاح الحادي
وعلى الكرام الآل أرباب الوفاء ... آل الصفاء السادة الأمجاد
وعلى صحابك من سمو يتشرف ... بين الملأ بالنقل والإسناد
والتابعين وأهل ملة أحمد ... ما كررت بمحافل الإنشاد

الوارد الزاهر المستقيم.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله تعالى من حيث هو هو لا يوصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم، بل كان ولا شيء معه من جهة إطلاق ذاته كما كان وذلك هو الكنزية المخفية المعبَّر عنها بالعماء الذي ما فوقه هواء ولا تحته هواء، أي: لا مرتبة حقيَّة ولا مرتبة خلقية، ثم إنه تعالى أحب أن يعرف فكان له هذا الحب بمنزلة الخاطر الأول الذي يعرض للإنسان، وسبب هذا الحب إنما هو الرحمة الذاتية لأسمائه الكامنة في ذاته كمون النخلة في النواة، فكان هو من جهتها أول مرحوم ففتح باسمه الفتاح المبين غيب بطونه الذاتي بتجلي ذاتي من نفسه لنفسه، كما تجرد من نفسك نفسك، فكانت الحقيقة المحمدية هي الأول الظاهر له؛ لأنها عين واحدية ذاته، وكانت نسخة منه جامعة لما جمعه من الأسماء والصفات، فهي الحقيقة المسماة بالإنسان، وهي القرآن الذي تجلى عليه باسمه الرحمن، قال الله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ *عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ *خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ)(٦١٨) [الرحمن:١-٣]، وهو الياقوتة البيضاء التي هي النور المحمدي، وهذا التعليم كناية عن تجلي إلهي قبل به أمانة الذات التي هي القرآن الجامع للأسماء والصفات، فكان هو تعالى عين الأمانة التي قبلتها حقيقة محمد ﷺ فظهر اسم الله الأول من كنز اسمه الباطن، فالحقيقة المحمدية عين بطونه العمائي، كما أنه عين النور المحمدي الظاهر الإنساني والبطون هو الأول والظهور هو الآخر، ولا بطون ولا ظهور إلا باعتبار، وإلا فهو هو لا سواه (أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [النمل:٦٣]، وذلك معنى قوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ *خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ) [الرحمن:١-٣].

فالتجلي الذاتي هو التعليم، والقرآن حقائق أسمائه وصفاته، وخلق الإنسان قبوله أن يكون مرآة ذاتية من حقيقة الذات، تظهر به الذات لنفسها بنفسها، وهذا القبول هو المعبر عنه بالعبادة، فهي عبادة ذاتية، قال تعالى في حقها: (قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ) [الزخرف:٨١]، فجاء بالاسم الرحمن الذي علَّم القرآن، وأتى بالاسم الأول المنبئ بخلق الإنسان، ولما نُبئ ﷺ بأنه هو الحامل لتلك الأمانة من حقيقة ذلك التعليم من الاسم الرحمن الذي علمه القرآن، والقرآن هو الذات بجميع أسمائها وصفاتها، وما تقتضيه تلك الأسماء والصفات من المظاهر والشئون والآثار والأحكام، وأبان الاسم المبين جميع

---

(618) علَّمه بيان خطابه، وكاشف له لطائف أسراره، وعرَّفه بطون علم أفعاله، وأعطاه العقل القدسي الذي يرى الأشياء كما هي بنوره وبرهانه، و«علم البيان» أي: فصل الخطاب، وانتظام الكلام، وفصاحة اللسان في تأويل القرآن وسنة رسول الرحمن.

قال الجنيد: خصَّ آدم بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته هو تخصيص الخلافة.

ذلك متصلاً في كتاب ذاته موجودًا غير مفقود لديه؛ لأن الحضرة الأزلية لا زمان فيها ولا تقديم ولا تأخير، بل الأول والآخر والظاهر والباطن سواء في أمر الواحدية.

قال ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيًا وآدم لا ماء والطين**»[٦١٩] وإذا فهمت ذلك فهمت قوله تعالى: (**هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا**) [الإنسان:١] أي: نعم قد أتى عليه تجلي الحب الذاتي من الدهر الذي هو الله، فالحين تجليه تعالى بنفسه لنفسه من دهرية الذات المطلقة، والإنسان الذي هو حقيقة تلك الذات لم يكن شيئًا مذكورًا؛ إذ في تلك الحضرة كان الله ولا شيء معه، وذكره نفسه بنفسه هو عين نفسه؛ إذ لم ينس نفسه حتى يذكرها، فذكر الله نفسه عين وجوده لنفسه، ولمَّا خلق الإنسان علمه البيان، أي: تجلى عليه بتجلي البيان الذي هو الظهور، فبهذا الظهور علم أنه الظاهر الآخر كما أنه الأول الباطن، ولذا قال تعالى: (**ٱلشَّمْسُ**) وهو الحقيقة الممدة (**وَٱلْقَمَرُ**) وهو عين تلك الحقيقة باعتبار أنها مستمدة والأمر واحد؛ إذ ليس في القمر إلا نور الشمس (**بِحُسْبَانٍ**) [الرحمن:٥]، وهو التجلي الإلهي الذاتي المميز بين الممد والمستمد المعبر عنه بنبوة «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٦٢٠] فإنه تجلي أحدي جامع مندرج فيه فرقان: (**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا**) [الإسراء:١٢]، فالفرقان المفصل عين القرآن الجامع، ومن حكم تلك النبوة الأزلية نزل: (**وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**) [طه:١١٤] أي: بحقيقة ذاتي وما تنطوي عليه من الشئون التي لا تتناهى؛ لأنه تعالى قال: (**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ**) [الحجر:٢١] أي: إلى عالم الحس والشهادة (**إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**) [الحجر:٢١]، والقدر اقتضاء الأسماء الإلهية تلك التنزلات اقتضاء مرتبًا في حضرة التفصيل حسبما تقتضيه مقاماتها في الحضرة الذاتية؛ إذ الحياة مثلاً متقدمة على العلم، كما أن العلم متقدم على الإرادة، والإرادة متقدمة على القدرة، فهو المقدم المؤخر معاني أسمائه بعضها على بعض بالنسبة إلينا لا إليه، وهذا هو القدر المعلوم، ولما أشار سبحانه للأصل بالشمس الذي هو الحقيقة المحمدية باعتبار أنها ممدة بسبب الحب الإلهي لأن يعرف، وبالقمر إلى تلك الحقيقة بعينها باعتبار أنها مستمدة؛ لأن الله جميل يحب الجمال، فأحب جماله الشمسي فظهر جماله القمري، فهو المحب المحبوب؛ لأن نور القمر بعينه هو نور الشمس بعينه.

---

(٦١٩)

(٦٢٠)

أشار تعالى لمقام الخلافة بقوله: (وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ) [الرحمن:٦]، فكان النجم هو الخليفة الذي هو آدم؛ إذ لا يخلف الشمس والقمر إلا النجم، وأشار بالشجر إلى ما ظهر من شجرة خلافته في أرض جسمه الترابي من صور الخلفاء والأقطاب الذين هم من ذريته، فكلاهما يسجدان، والسجود عبارة عن اندراج آدم وذريته في تلك الحقيقة المحمدية الأصلية، كما أشار ﷺ لذلك بقوله: «**آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة**»[٦٢١].

ويوم القيامة هو يوم ظهور الحقائق الإلهية، فمن ظهرت له تلك الحقائق فقد قامت قيامته، وانجلت له حقيقته، ثم تمم تعالى بقوله: (وَٱلسَّمَآءَ) وهي كناية عن عالم الأرواح (رَفَعَهَا) أي: رفع مقامها عن الظهور الحسي (وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ) [الرحمن:٧]، لتظهر كل روح بميزان شجها من الاستقامة والاعتدال، أو الانحراف عن ذلك بالزيادة والنقصان حسب اقتضاءات الأسماء الإلهية؛ إذ من انحرف عن الاسم (الهادي) مثلاً مال لجهة الاسم (المضل)، فهما الكفتان لذلك الميزان، ولذا قال: (أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ) [الرحمن:٨،٩] أي: بالعدل بين حقائق الأسماء، فأعطوا كل ذي حق حقه بما يقتضيه الأمر المشروع (وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ) [الرحمن:٩] ولذلك اعتدلت أحوال رسول الله ﷺ حتى نهى عن صيام الدهر وعن الترهب فقال: «**أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وآتي النساء**»[٦٢٢] وقال: «**إن لنفسك عليك حق ولعينك عليك حق، ولزوجك عليك حق، ولربك عليك حق، فاعط كل ذي حق حقه**»[٦٢٣] ثم تمم بقوله: (وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا) أي: عن الرفع الروحي، فأنزلها إلى المقام النفساني، (لِلۡأَنَامِ) [الرحمن:١٠] أي: لظهور الأجساد البشرية من الأرض النفسانية الطبيعية العنصرية الترابية (فِيهَا فَٰكِهَةٞ) [الرحمن:١١]، وأول فاكهتها آدم عليه السلام (وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ) [الرحمن:١١]، وهم إخوانه في الخلافة والمقام كما أن النخل المعروف من طينة آدم قال ﷺ: «**أكرموا عماتكم النخل وذرية آدم**»[٦٢٤] وذرية آدم وإن كانوا بنيه فهم إخوانه في رتبة الإيمان قال تعالى: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ) [الحجرات:١٠]، ذات الأكمام: كناية عن المريدين الطالبين مقام أشياخهم، فكل شيخ كالنخلة، والأكمام: هم المريدون الحاملون لأثمار تلك النخلة؛ إذ الولد سر أبيه، سواء كانت الأبوة روحية أم جسمية، والكِم بكسر الكاف، وعطاء الطلع وغطاء

---

(٦٢١)

(٦٢٢)

(٦٢٣)

(٦٢٤)

النور بفتح النون أي: الزهر كناية عن أن هؤلاء الخلفاء أوعيته لما يطلع منهم من طلع الأسرار الخارجة من أكمام القلوب، ونور الأنوار التي هي زهور الأعمال الصالحة ﴿وَٱلۡحَبِ﴾ [الرحمن:١٢] وهو بذور النبات كناية عن المريدين الصادقين الذين مقامهم الحب الإلهي، فهم بذور نبات الشيوخ الكمل، فالبذر خارجة من زروعهم الطيبة المباركة، ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ [الرحمن:١٢]، والعصف: الزرع، قال تعالى: ﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۢ﴾ [الفيل:٥] أي: كزرع أكل حبه، أي أن المريدين للأشياخ هم بذور لزروع مريدين أخر؛ لأن المريد الصادق إذا كمل ينبت مريدًا آخر يخلفه، فيخرج منه مريد كما خرج هو من شيخه، كما قال بعضهم:

تلامــذة الأفــراد أفــراد عصــرهم فالبـذور مـن الـزرع والـزرع مـن البذور

كذلك المريدون من الشيوخ، والشيوخ من المريدين، ولذا عطف فقال: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ [الرحمن:١٢] وهو كل نبت طيب الرائحة، إشارة إلى أن روائح الأنفاس، هي الجامعة بين الزروع وبذورها وهم الأشياخ والمريدون الجامع لهم طيب نسيم القرب الإلهي الجاذب لهم إلى التحقق بمطالع طلع الأسرار، ولوامع نور الأنوار الفائحة بالنفحات الإلهية، والناجحة بالأثمار العلمية من زهور التجليات الربانية، وهذه هي اللآلئ الروحانية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٣]، ولنرجع إلى ما كنا بصدده من الكلام على الأسماء الأربعة التي هي: الأول والآخر والظاهر والباطن.

قال الكامل المحقق سيدي محمد وفا قدَّس الله سره: نفس قال الواحد من كل الجهات: أنا الأول بالرحمن، والآخر بالإنسان، والظاهر بالخلق، والباطن بالحق، فمن عرفني كذلك تحقق بي في كل ذلك حشرت آخره في أوله، وأعددت ظاهره حتى يصير أزليًا لا آخر لأوله، وصمديًا لا ظاهر لباطنه. انتهى.

فقوله ﷺ: قال الواحد من كل الجهات، يشير لمرتبة الغنى المطلق، وأن أحدية الله تعالى بالنسبة إليه جامعة لما تقدم وما تأخر، فالمظاهر بالنسبة لفهمنا هي كامنة في واحدية الحق كمون الذرية في صلب آدم، وكمون مراتب الأعداد في الواحد الأول، وأما هو جلَّ وعلا يعلم كل شيء في الوجود من علمه بذاته، بل يرى من جهة اسمه البصير سائر صور العالم متصورة في وجوده منتقشة فيه انتقاش الحروف من المداد، فالعالم مشهود له من شهود نفسه لم يغب عنه شيء؛ لأن نفسه لم تغب عنه، ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦].

فهو الآن كما كان، لا حاجة له لا إلى اسم ولا صفة، وهذا هو المعنى المطلق الذي نثني عليه بسورة الإخلاص: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص:١]، فلما رحم أسماءه بظهور آثارها لها تنزل من ذلك الإطلاق الأحدي، وجرد من نفسه نفسه بلا انفصال عنه، فهذا حقيقة لما يظهر منها العالم فكانت مظهر الاسم الرحمن، وهي روح محمد ﷺ المنفوخ منها في آدم، فهي فلك اسمه الحيّ فكانت أولاً لهذا الوجود، فلذا قال: أنا الأول بالرحمن، فكان محمد ﷺ بتلك الحقيقة الذاتية (رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:١٠٧]، وروح كل موجود، وهذه الحقيقة المحمدية التي هي مظهر الاسم الرحمن أول تجلي ذاتي للحق وإليها الإشارة بقوله: (لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ) [النجم:١٨]، وما رأى إلا نفسه، وما رأى إلا الحق، فالرأي والمرئي واحد، فكان القرآن الذي علمه الرحمن أنه هو هو، فلذا قال: (فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ) [النجم:١٠]، فما أوحي إليه إلا العلم بحقيقة نفسه، ولذلك قال: (مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) [النجم:١١]، فهو الفؤاد الظاهر من باطن الحق، فرأى نفسه بنفسه، وإلى ذلك الوحي الإشارة بقوله: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي)[٦٢٥] [الحجر:٨٧] وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، والقرآن العظيم ذات محمد ﷺ، وهي عين ذات الحق، فعلم القرآن، أي: ذات محمد ﷺ ما لها من الأسماء المتقدمة التي هي أمهات الوجود، وهذا التعليم من الرحمن الذي أحب أن يعرف؛ يعني أن تعرف أسماؤه آثارها؛ إذ الرحمن بلا مرحوم لا يتحقق معناه، فهو المعلم كما أنه المتعلم، فهذا المعنى هو مرجع قوله: (فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ) [النجم:١٠].

فعبده في تلك الحضرة عينه، فصحت له الخلوة الإلهية ليلة الإسراء، ولما عقلت تلك الحقيقة ما أوحى به إليها سميت بالعقل، وهذا العقل أول العقول، فظهرت منه النفس المسماة: باللوح المحفوظ ظهور حواء من آدم، كما ظهر هو من حقيقة الحق، فأوحى إلى اللوح بما عنده، فكان قلمًا لهذا اللوح، فلذا سمي أيضًا بالقلم، فكتب هذا القلم في اللوح

---

[٦٢٥]أي: ألبسناك أنوار سبع الصفات من صفاتنا؛ لتتصف بها، وتتخلق بخلقها، فتكون ربانيًا، ألوهيًا، جبروتيًا، ملكوتيًا، جلاليًا، جماليًا، نوريًا، قدسيًا، أوليًا، آخريًا، رحمانيًا، رحيميًا، ذاتيًا، صفاتيًا، والسبع المثاني سبع بحار الصفات القديمة، فغسله فيها، وألبسه من أنوارها كسوة الربوبية حتى تكون مرآة الله في بلاد الله وعباده، فسقاه من بحر علمه شرابات، ومن بحر قدرته، ومن بحر سمعه، ومن بحر بصره، ومن بحر كلامه، ومن بحر إرادته، ومن بحر حياته، فصار عالمًا بعلمه، قادرًا بقدرته، سميعًا بسمعه، بصيرًا ببصره، متكلمًا بكلامه، مريدًا بإرادته، حيًا بحياته، فعلم بعلمه علم ما كان وما سيكون، ويقلّب الأعيان في السماوات والأرض بقدرته، ويسمع حركات الخواطر بسمعه، ويرى ما في الضمائر ويبصره، ويتكلم بحقائق الربوبية والعبودية بكلامه، ويكون ما أراد بإرادته ويُحيي القلوب الميتة والأبدان الفانية بحياته.

النفسي كتابة وهي: ما كان وما يكون وما هو كائن، كناية عن انطباع كل شيء في هذه النفس، فلذا أورد: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٦٢٦] فافهم.

فالنفس عرش الرحمانية المستوي عليها الاسم الرحمن، ومن النفس انفهق ماء حياة الوجود، فكان العرش الرحماني على ذلك الماء النفسي، قال تعالى: (**وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ**) [الأنبياء:٣٠] وقال: (**وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ**) [هود:٧].

ثم خلق الله الأرض من زبد هذا الماء لمَّا تموج من تجلي الجلال، ثم نكح الماء الأرض فتولد الهواء، ونكحت حرارته يبوسة الأرض فظهرت النار، ومن هذه الأربع فتق الله سبع سماوات، فظهرت المولدات ما بين السماوات والأرض من معدن ونبات وحيوان، وكان قد مضى أحدى وسبعون ألف سنة، وهي يوم من أيام الفلك المحيط الذي هو العرش الذي في جوفه كرسي الاسم الملك، وذلك الكرسي مظهر الأمر والنهي، وأهل مجلس ذلك الملك سبعة أملاك في سبع سماوات، كل ملك بيده أمر سمائه، فلذا قال: (**وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا**)[٦٢٧] [فصلت:١٢]، إلى أن انتهى الأمر لأسفل سافلين بتسوية جسم آدم من طين، فاجتمعت فيه حقائق الوجود، فباطنه حق وظاهره خلق.

فلذا قال سيدي محمد وفا: قال الواحد من كل الجهات أنا الأول بالرحمن، والآخر بالإنسان... إلى آخره، فأرشد ﷺ إلى معرفة الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية.

تنبيه لطيف:

اعلم أن كل أمر في الوجود أول بالنسبة لما بعده، آخر بالنسبة لما قبله، والظهور والبطون تابع لتنقلات الصور في الأطوار، مثلاً الإنسان كان طعامًا في بطن أبيه، فاستحال الطعام منيًا إلى ظهره، ثم استقر ذلك المَنيّ في رحم أمه، ثم تكون في الأطوار إلى أن بدا مولودًا، ثم انتقل لحال الصبي، ثم إلى حال الشباب، ثم إلى الكهولة، ثم إلى الشيخوخة، ثم إلى الموت، ثم إلى البرزخ، ثم إلى البعث، ثم إلى الحساب، ثم إلى الشفاعة، ثم إلى الجنة إن كان سعيدًا، أو النار إن كان شقيًا فانظر إلى كل حال من هذه الأحوال باعتبار وجوده هو الأول الظاهر، فإذا استحال لأمراض ظهر الآخر وبطن الأول، والحقيقة واحدة، فالأول عين الآخر والظاهر عين الباطن، وإنما الاختلاف باعتبار من

([٦٢٦])

([٦٢٧]) بما أودعها من خزائن أسراره ولطائف أنواره وحقائق مقاديره التي لا يطلع عليها إلا من يكشف له منها شيئًا من الأنبياء والأولياء والملائكة، ثم خصَّ السماء الدنيا من بينهن بالزينة وشرف إلباسه إياها أنوار قدرته الخاصة، وأفعاله المقدسة من الشمس والقمر والنجوم.

ظهر له أو من بطن عنه، كما كان الأول أولاً باعتبار الآخر والآخر آخرًا باعتبار الأول، وإلا فلا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن كان على ما كان، والآن كما كان.

فإن فهمت فأنت الإنسان، فاحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: (إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلاً) [الفرقان:٤٤].

ألا ترى ما قاله سهل التستري ﷺ: اجتمعت بشخص من أصحاب المسيح ﷺ في ديار قوم عاد، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، فرأيت عليه جُبة صوف فيها طراوة، فقال لي: إن لها علي من أيام المسيح ﷺ ، فتعجبت من ذلك! فقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب، إنما يخلقها رائحة الذنوب ومطاعم السحت، فقلت له: فكم لهذه الجبة عليك؟ فقال: لها عليَّ سبعمائة سنة، فقلت له: هل اجتمعت بنبينا محمد ﷺ؟ فقال: نعم وآمنت به حين آمن به الجن الذي أوحى إليه في حقهم، (قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ) [الجن:١]، انتهى.

قال الإمام الشعراني ﷺ: وكذلك ثياب الخضر لا تُبلى؛ لأنه لا يذنب ولا يأكل الحرام.

وقال إسماعيل بن محمد المغربي ﷺ: اجتمعت بشخص من أصحاب أبينا إبراهيم الخليل ﷺ وقال: إنه ساكن في الهواء منذ زمن رمي إبراهيم ﷺ بالمنجنيق، فقلت له: ما حملك في الهواء وأنت من بني آدم؟ فقال: توكلي على الله ﷻ، فقلت: وما التوكل؟ قال: النظر إلى الله تعالى دائمًا بلا عين تطرف، والذكر له بلسان لا يتحرك، والجولان في مصنوعاته بلا روح تغفل.

والحكايات في هذا المعنى كثيرة، وقد اجتمع بعض الأولياء بشخص من قوم يونس ﷺ كما في «الفتوحات المكية»، فانظر ـ رحمك الله ـ إلى ما ظهر لسهل وكونه باطنًا عن عموم الناس، فليس إلا ظهور وبطون، ومن هذا تفهم ظهور الآخرة وبطون الدنيا، فلله رجال آخرتهم ظاهره لهم مع أنهم في دنياهم، ومن هذا المعنى قبَّل الغوث الرفاعي ﷺ راحة رسول الله ﷺ وألبس أبو بكر الصديق ﷺ في المنام بعض الأولياء قلنسوة، فانتبه فوجدها على رأسه.

تتميم مناسب للمقام في التكلم على الأسماء الأربعة التي هي (ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ) [الحديد:٣].

قال أبو يزيد البسطامي ﷺ: حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء: ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣] وكل فريق له اسم منها، فمن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته، وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون ما يجري في الأسرار والسرائر، وأصحاب اسمه الأول يلاحظون بما سبق، وأصحاب اسمه الأخر متربصون بما يستقبلهم، فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره. انتهى كلامه ﷺ.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن هذه الأسماء الأربعة هي الأب العلوي للعالم والأم السفلية، فالاسم الأول كالعقل الأول، والاسم الآخر كالنفس المنفعلة عن العقل انفعال الأخر عن الأول، كما انفعلت حواء عن آدم، ثم توجه الأول إلى الآخر توجهًا باطنًا يسمى بالنكاح المعنوي، ويسمى بالنكاح الإلهي بين الأسماء الإلهية، فكان الاسم الباطن محل الحمل، وهو الكنز المخفي في ظهر الاسم الأول، فاستقر في الاسم الآخر بطونًا كباطن رحم الأنثى، فظهر العالم بحكم الاسم الظاهر، فهو المولود، فلهذا السر ما صدر كل أمر في العالم إلا عن تثليث.

ألا ترى أن محبته تعالى أن يعرف اقتضت محبًا ومحبوبًا ومحبة، وهكذا كل أمر في الوجود، ولذا قالوا: إن ظهور العالم عن الاسم الفرد وأول الأفراد الثلاثة فكانت البسملة فاتحة الفاتحة وإنما كان هذا النكاح إلهيًا لسر «فأحببت أن أعرف»[٦٢٨]، فتوجَّه توجهًا نفسيًا من نفسه لنفسه في نفسه، فظهر العالم على صورته، فكان هو المظهر اسم فاعل، والظاهر والمعروف العارف، وهذا التوجه مقدّس الحضرة عن الزمان «**كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان**»[٦٢٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]، فهو عليم بنفسه؛ لأنه العليم، والعلم والمعلوم ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣]، ومن سر التثليث صدر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]، فالسماء أب كجبريل، والأرض أم كمريم، والإمداد السماوي للأرض بمنزلة النفخ الجبريلي في مريم عليها السلام، والأمر المتنزل بينهما كالمولود وهو عيسى ﷺ، فلو فسَّرها ابن عباس وتكلم على سر التثليث فلربما يُنسب إليه ما نسب لأصحاب الإنجيل.

---

(٦٢٨)

(٦٢٩)

ولولا أن أخي في الله أحمد بن بكري الفواخيري ـ فتح الله عليه ـ سألني عن سبب قول ابن عباس ﵄ في حق هذه الآية: لو فسرتها لقلتم: إني كافر أو لرجمتموني، ما كشفت هذا السر، وهذا السر من حكم الأسماء الإلهية، ونكاحها المعنوي المقدَّس لا من حكم الذات، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فالذات لها سورة الإخلاص؛ يعني: إن الأحدية له تعالى خالصة من شرك السوى، فلله الأمر من قبل ومن بعد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾**[٦٣٠] [الفتح:١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الجوهر الفرد الأصلي للعالم العقل المحمدي، وهو نور ذاتي مفاض إفاضة ذاتية من الحقيقة الكلية الجامعة للحق والخلق، إلا أن الحقيقة الكلية برزخ بين الوجود والعدم، وهي العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق ما فوقه هواء وما تحته هواء، المراد بالهواء الأول: حقيقة الحق، وبالهواء الثاني: الخلق، فالعماء حقيقة برزخية، ولا يخفى أن البرزخ إذا انتهى حكمه آل إلى أحد الطرفين مع عدم المنافاة لمقامه الأول العمائي، فتجلى الحق تعالى من اسمه الباطن تجليًا أحديًا من نفسه لنفسه في نفسه، فانفتح من غيب ذاته النور المحمدي، وهو جوهر العالم وحقيقته، فكان مرآة وجود الحق وهو العقل الأول الوجودي، ولولا هذا العقل لم يتقيَّد تعالى باسم الوجود، فلذا قال: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾** [الفتح:١] أي: من ذاتنا المطلقة التي لا تختص بالوجود ولا بالعدم، ولا تعلم لا من اسم ولا من صفة، وقد حجر الشرع المطهَّر التفكير فيها؛ لأنها لا ترتبط بأمر، وتظهر بنقيض ذلك الأمر، فالعلم بالذات عبارة عن الجهل بها وأنها لا تعلم، ففتح الله من ذاته جوهر الوجود المحمدي لأجل وجود محمد ﷺ؛ لأنه تعالى هو المحب لأن يعرف، ولا يعرف إلا بظهوره بصورة محبوبه؛ لأنه هو الجميل، فأحب نفسه فكانت نفسه عين الحقيقة المحمدية، فكان هذا الفتح لأجل المحبوب الجميل وهو يحب الجمال، فأحب أن يظهر جماله بمحمد وأن يعرف بأن الجوهر المحمدي عينه لا غيره، فلذا قال: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾**

---

(٦٣٠) نبَّهنا الله في ذلك من سرٍّ عجيبٍ، وهو أن أبواب كشف القدم مسدودةٌ على أهل الحدثان، ولم يظهر لأحدٍ عين ذات الأزل، ففتح الله أبوابه لعين محمد ﷺ حتى رآه كفاحًا، فتح سمعه فأسمعه كلامه شفاهًا، وفتح باب قلبه وروحه وسرَّه، فعرف نفسه لها، حتى وجدت أبواب خزائن علومه الغيبية مفتوحة، وفتح الله جميع أبواب وجود حبيبه ﷺ حتى الشعرة على بدنه وجعلها عيونًا مفتوحة بمفاتيح توحيده وأنوار حقيقته حتى رآه بجميع عيون وجوده، وذلك الفتح ظاهرٌ من وجوده حتى لا يراه أحدٌ إلا ويرى نور الصمدية ينتشر من بشريته، لكن كان محجوبًا من عيون الأغيار.

[الفتح:١] أي: لأجلك حتى نريك نفسك عيننا، وأنك المسمى بأسمائنا، فهذا الفتح من حقيقة اسمنا (الفتاح) يبين لك ذاتك، وأنك حقيقة حياتنا الذي منها كل شيء حيّ.

فالحقيقة المحمدية مستوى الرحمانية وعرشها، وبالرحمة كان الوجود فهو عين الرحمة، ولذا قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فكان هذا الفتح مبيّنًا له حقيقة نفسه بأنه نور الوجود المقدَّس الطيب الطاهر، كما قال ﷺ: «**سبحان الله إن المؤمن لا ينجس**»[٦٣١] فتبين من هذا أنه المسمى بالأسماء الحسنى؛ لأنه باطن الكنز المخفي، فقوله أي لأجل ظهور أحديتنا لك في نفسك، وأحديتنا تغفر ما تقدّم من ذنب الكثرة المتقدمة والمتأخرة الملهية عن تلك الأحدية، ولذا أخبره بقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، وليس ذنبه إلا الكون جميعه مع جميع ما يصدر منه، فالمقصود: ستر جميع ذلك بأحدية الذات الوجودية المطلقة؛ ليظهر تقديس تلك الحقيقة المحمدية بمحو كون شرك الأغيار، وتجلي وجود أحدية الغفار، فالذنب لتلك الحقيقة المحمدية حقيقي أصلي لا مجازي، بل نسبته الذنب الكوني لغير الجوهر المحمدي بطريق المجاز عند المحققين، ومع كون الحقيقة المحمدية جوهرًا وجوديًا ذاتيًا عينيًا فلا توجد إلا بالصور الكونية، فالصور الكونية هي ذنبه ﷺ المستور بحقيقة الأحدية، والعجب أن هذا الذنب لا عين له حقيقية، وإنما هو أمر وهمي يظهر أنه عيني من ظلمة الحجاب، ومع ذلك فلولا هذا العدم الوهمي ما ظهر الوجود، فالوجود لا مظهر له إلا العدم وبالعكس. فلذا فتح الله لمحمد ﷺ ﴿فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح:١]، ليغفر له، أي: لأجل أنه يبين هذا الفتح المبين له، مغفرة ما تقدَّم من صور حقيقته، وما تأخر بوجود حقيقته، وسُميت هذه الصورة الكونية ذنبًا باعتبار نسبة الوجود إليها؛ لأن ذلك من أعظم الذنوب كما قيل:

وإن قلت ما أذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

فلمابدا هذا الفتح المبين لمحمد ﷺ أبان له أن الكون كله مغفور بحقيقته، وحقيقته مغفورة بوجود الله الغافر بوجوده كل أول وآخر وظاهر وباطن، فالكل هو وهذه هي مغفرة الذنب الكوني ما تقدّم منه وما تأخر، فلذلك قال: ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾[٦٣٢] [الفتح:٢]، فأتمَّ نعمته بتجلي ذاته وأسمائه وصفاته وشئونه ووجوهه واعتباراته، وهذا هو الصراط

---

(٦٣١)

(٦٣٢) بيَّن أنه يهديه إلى طريق مشيئة الأزل المستقيمة بالإرادة والوحدانية، وذلك الطريق ما يسلك فيه عساكر جنود أنوار التجلي والتدلي بقوله: ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾، ذلك الصراط للحق لا للخلق؛ لأن الحادث لا يسلك في القدم، أقامه الحق على رأس ذلك الطريق، وكان لا يعرف أين يسلك حتى بدت أنوار بريد تجلي القدم الذي استقبله، فهداه إلى مسالك الديمومية، فأذهب به الحق إلى معارج دنوه.

المستقيم الذي قال في حقه: (وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا) [الفتح:٢]، ولمَّا اقتضى إتمام النعمة عليه بما ذكرنا أن يكون مظهر الاسم الأعظم الجامع قال تعالى: (وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ) [الفتح:٣]، أي: بكونه إياك (نَصۡرًا عَزِيزًا) [الفتح:٣]، إذ لا أعز من الله تعالى، وقد أحبَّه فكان سمعه وبصره كما في الحديث.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن من فتح الله له فتحًا مبينًا وكشف له عن حقيقة نفسه لا يرى في الوجود غير نفسه، وأهل الفتح متفاوتون في هذا المشهد، وقد قال فيه ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[٦٣٣] أي: أوتيت الكلم الجوامع، والكلم الجوامع هي أسماء الحق وأوصافه.

ألا ترى أن الاسم الله الأول مثلاً يجمع كل أولية، واسمه الآخر يجمع كل آخرية، واسمه الباطن يجمع كل باطنية، واسمه الظاهر يجمع كل ظاهرية، فهذه هي جوامع الكلم التي أوتيها، ومعنى أوتيها أنه مدلولها ومعناها، فمن تحقق بهذا المعنى فتحًا وكشفًا كان ذنب الوجود كله ذنبه، وأعظم الذنوب دعوى الوجود مع الله تعالى، فمن فتح له وشاهد مقام واحديته فقد غفر له ذنب شهود كونيته وأثنينيته، ولذلك علل سبحانه الفتح المبين بقوله: (لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ) [الفتح:٢]، فبهذا الغفران انمحى من الوجود سواه وبهذه الحال سماه الله بالفؤاد فقال: (مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) [النجم:١١]، لأن الفؤاد قلب القلب وسره وباطنه، وأشار لذلك ﷺ بقوله: «**قلب القرآن يس**»[٦٣٤] فالقرآن بلسان الإشارة وجود الله الجامع لكل شيء، فهو قلب كل شيء، وقلب هذا القلب هو الفؤاد وهو ياسين ﷺ، ولما اقتضى الفتح المبين أن يغفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر بأن يكون هو عين جميع من تقدم أو تأخر، كما قال: «**نحن الأخرون الأولون**»[٦٣٥] بشرَّه الله تعالى ببشارة مؤكدة لهذا المعنى بقوله: (طه) [طه:١]، أي طاهر الذات يا مرجع الأسماء والصفات (مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ) [طه:٢]، أي: ما تجلينا عليك بمقتضى واحديتنا (لِتَشۡقَىٰٓ) [طه:٢]، يعني أن هذه الحقيقة لا يلحقها الشقاء الذاتي، وإنما الشقاء عارض نسبي.

ألا ترى قوله تعالى: (إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا) [يونس:٤]؛ لأنه خلقنا منه كما قال: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ) [الجاثية:١٣]، أي: من ذاته، ولو كان المراد من فعله لاكتفى بقوله سخَّر لكم، فأفاد بقوله: (جَمِيعٗا مِّنۡهُ): إنه عين المسخر، كما أنه عين المسخر، فليس الشقاء إلا الحجاب، والحجاب عارض فداوى جلَّ وعلا علة،

---

(٦٣٣)

(٦٣٤)

(٦٣٥)

فمنهم شقي وسعيد بدواء آية طه، فكان الشقاء من هذه العلة هو العاقبة، ولاسيما وقد قال: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ) [الحديد:٣] فمن فهم هذا المعنى فقد فهم الفتح المبين وأدرك حقيقة قوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:١٧] فنزلت السكينة في قلبه فسكن إليها؛ لأنه يؤمن بأن محمدًا ﷺ حقيقته وعينه وذاته، وأي شيء نسكن إليه أعظم من ذلك، فمن أدرك هذا السر فقد شرب وسقي وطرب وقد دُعي لهذا المشرب سيدنا مصطفى البكري ـ قدَّس الله سره ـ بقوله:

وادخـل للحـان خليلـي ومـل نحـو الخمـار أبـي السـرج

ألا ترى من دخل هذه الحان وهو أبو تراب عليه السلام كيف شرب وطرب وعربد من سماع هاتيك الألحان، فقال: أنا العرش أنا الكرسي أنا القلم أنا اللوح أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، فبهذه السكينة التي نزلت في قلبه من إفاضة قلب القلوب وفؤاد كل محب ومحبوب حصل له كما قال الله تعالى: (لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)[٦٣٦] [الفتح:٤]، فمن ازداد إيمانًا مع إيمانه الأول أيقن بأن جنود الأسماء والصفات ومظاهرها في الأرض والسماوات هي لله الذي سكن إليه، فكان هو المسكن وكان الله إلى وجودنا الذي نسكن إليه (عَلِيمًا حَكِيمًا) [الفتح:٤] أي: بناء؛ إذ نحن مظاهره، وهو الظاهر بنا فثبتت جنود السماوات والأرض إلينا، ولذا قال: (لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ) [الفتح:٥]، وهي اللطائف المحمدية المشتملة على الأسرار الربانية تجري من تحتها الأنهار التي هي العلوم الإلهية، وهي من تحت هذه اللطائف؛ لأن الأسماء في الرتبة هي تحت الذات؛ إذ العلم والسمع والبصر وأمثال ذلك في قبضة حياة الذات، والذات التي هي الجنات، وهي المظاهر الحق من تحتها تجري أنهار الأسماء والصفات (خَـٰلِدِينَ فِيهَا) [الفتح:٥] يعني أن الذات التي يدخلونها بالكشف والتحقق هي خالدة وهم فيها خالدون فلهم بذلك البقاء الدائم (وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ) [الفتح:٥]، فلا يسوءهم شيء بعد ما عرفوا فيهن الخلود بل يفوزون فوز الأبد كما قال تعالى: (وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ) [الفتح:٥] الذين هم عنده بالعندية الذاتية فوزًا عظيمًا، أي: به هذا الفوز العظيم، فإذا سرت بهذا المعنى في هذه السورة فأنت الطائر في الأفق الأعلى (سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) [الإسراء:١] وهي صورته المحترمة إلى المسجد الأقصى، أي: باطن ذاته الذي هو أقصى عن أن تدركه الأبصار، وفي هذه السورة من

---

(٦٣٦) جنوده هم سماوات أرواح العارفين وقصور أرض قلوب المحبين، وأنفاسهم جنوده، تنتقم بنفس منهم من جميع أعدائه فيقهرهم، وذلك أن واحدًا منهم يضيق صدره من أعداء الله، فبان أنه يحترق بها أهل الضلالة.

البشارات واللطائف ما لا تدركه العقول، وقد مهدنا لك الطريق إلى سلوك تلك المسالك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد الكتاب ومنبئ الخطأ من الصواب.

قال الله تعالى: (**مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ**) [الأنعام:٣٨]، وقال: (**وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ**) [النمل:٧٥]، وقال ﷺ: «**تركتكم على بيضاء نقية**»[٦٣٧] وذكر الإمام الشعراني في «الطبقات» في ترجمة القطب الكامل سيدي عليّ وفا ـ قدِّس سره ـ ناقلاً عنه أنه قال بعضهم في حديث: «**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا وقد بيَّنته لكم**»[٦٣٨] فعلى هذا كل شيء لا يوجد في الكتاب ولا في السنة فليس بخير، ويؤيده: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٦٣٩]. انتهى كلام سيدي علي وفا.

وقد وافق الشيخ محيي الدين العربي في قوله: إن العمل بالرأي أو القياس شرع لم يأذن به الله، وهكذا قال سيدنا جعفر الصادق رضوان الله عليه: لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه، وقال أيضًا ﵁ للإمام أبي حنيفة ﵁ وقد بلغه عنه أنه يقول بالقياس: يا أبا حنيفة إياك أن تقيس في دين الله، واعلم أنه أول من قاس إبليس، فزعم أن الفضل في علو المكان فظن أنه أعلى من آدم ﵇ فقال: (**أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ**) [ص:٧٦].

واعلم أن الكامل يقول ما قاله عبد الله بن عباس: لو ضل عقال بعيري لوجدته من كتاب الله ﷿، فهذا كله موافق لكلام سيدي علي وفا ﵁، إلا أن الإمام الشعراني رد عليه: وأظن ذلك الرد مجاراة لعلماء الرسوم حيث قال: تحت كلام سيدي علي وفا قدِّس سره، قلت: هذا صحيح لو قام دليل على أن كل ما بيَّنه النبي ﷺ ودل عليه نقل عنه وبلغنا، لكن الصحابة ﵃ قد اعترفوا بأنهم نسوا كثيرًا وأخفوا كثيرًا شيئًا رأوا المصلحة في إخفائه، ومع هذا كيف يعرف أن ما لا وجدنا له ذكرًا فيما بلغنا من السنة ليس مما بينه؟ ودلَّ عليه الشرع، ولم يبلغنا وإذا لم نعرف ذلك فكيف نحكم أنه ليس بخير؟

هذا كلام الشعراني، وهو خروج عما قاله سيدي علي وفا ﵁ ومحاولة ظاهرة في قوله.

---

(٦٣٧)

(٦٣٨)

(٦٣٩)

قلت: هذا صحيح، لو قام دليل إلى آخره، ويُشعر أن كلام السيد الغوث سيدي علي وفا ليس بصحيح، مع أن سيدي علي وفا لم يقل ما لم يبلغنا من السنة عن النبي ﷺ ليس بخير، وليس كلامه في هذا المعنى، بل كلامه مع من يدعي الفقه في الدين، وهو يقدم القياس والاستنباط أو الرأي أو مفهوم كتاب من كتب الفقه، ولا يقدم الحديث على ذلك ولو كان صحيحًا، ولم يبلغ إمام مذهبه، ولا يجوز أن أحدًا بلغه من السنة ما لم يبلغ إمام مذهبه، فلو جئته بحديث يخالف ما قاله إمام مذهبه لا يقبله، ولو أتى به ألف بخاري وألف مسلم ويقول: فلان أعلم من إمام مذهبنا، ولو كان حقًا لأخذ به إمام مذهبي فيقول: إن مفاهيم كتب الفقهاء حجة، والحديث الصريح المخالف لمذهبه ليس عنده بحجة، مع أن لكل إمام مذهب، قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وقال مالك ﷺ: ما منكم إلا من رد أو رد عليه إلا صاحب هذا القبر الشريف، ولو كان كما يزعم أهل الرأي لأحاط كل إمام بالشريعة المطهرة ولم يختلفوا، ولكن المتبعون للمذاهب يزعمون أن أئمتهم لا يجوز عليهم الخطأ، وإن كل حديث يخالفهم مردود، فكلام سيدي علي وفا مع أمثال هؤلاء، وليس مقصوده أن ما لم يبلغنا ليس بخير حتى يشير أن كلامه ليس بصحيح، ولله در من قال وأجاد في المقال:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمَّرك الله كيف يجتمعان

هي شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يمان

ثم قال الإمام الشعراني: لكن الحق أن ما وجدنا له أصلاً ولو على بعد ولم نجد صريحًا يبطله فهو خير، وما لا نجد له أصلاً ولا مبطلاً فهو موقوف.

أقول: هذا الاستدراك ـ بقوله: لكن الحق ـ لا يحتاج إليه؛ لأن الشريعة المطهَّرة لا حرج فيها ولا تكلف ولا مشقة؛ إذ الحلال والحرام مُبيَّن في كتاب الله صراحة، وما لم يكن في الكتاب فهو عافيه.

قال ﷺ: «**الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو عافية**»[٦٤٠] قال عمر بن الخطاب ﷺ: حسبنا كتاب الله تعالى، وهذا لأمثال عمر، وأما نحن فنقول: حسبنا كتاب الله تعالى، والأحاديث الصحيحة التي بلغتنا فهي كافية في علم الدين، ولا حاجة إلى المفاهيم والقياسات؛ فإنه ﷺ تركنا على بيضاء نقية.

ثم قال الشعراني ﷺ: ما وجدنا له مبطلاً فالأصل بطلانه حتى نجد ما يصححه.

---

(٦٤٠)

أقول: هذا ليس على إطلاقه، فإنا لا نحكم ببطلان كلام ولي لله تعالى أو عالم من علماء السنة إلا إذا اتفق علماء الشريعة من كل مذهب من مذاهب الصحابة على بطلانه، لا المذاهب الأربعة فقط، فنقول: إن الأربعة معصومون من الخطأ وغيرهم ليس مثلهم، فإن العلماء ﷺ نقلوا مذاهب التابعين وأتباع التباعين، وكلهم سادات أئمة على الحق.

ليت شعري ما المانع من تقليد ابن سيرين وعمر بن عبد العزيز والزهري وجعفر الصادق وداود الظاهري وأمثالهم ﷺ.

ثم قال الإمام الشعراني: ولعل من قال بصحة العمل بالإلهام فيما يبطله بعض العمومات أو النصوص يخصص تلك المبطلات بقصة الخضر عليه السلام وأمثالها، ولقد انصف من قال في أصحاب الأحوال: إننا نسلم لهم أحوالهم، ولا نقتدي بهم حيث لم نجد ما يبطلها ولا ما يصححهما. انتهى كلام الإمام الشعراني رضي الله عنه.

أقول: ياالله العجب! مثل السيد الكامل الغوث الأعظم سيدي علي وفا رضي الله عنه بحر العلمين الظاهر والباطن يقاس بأرباب الأحوال، مع أنه من السادات الكرام والمشايخ العظام! وقد اشترط أهل الله أن الشيح المرشد لا يكون مرشدًا إلا حتى يجتمع بالنبي ﷺ يقظة، ويأخذ عنه علم الظاهر المنوط بالكتاب والسنة، وعلم الباطن الذي لا يخالف الكتاب ولا السُنَّة، وأنشدوا في ذلك:

وللشـيخ آيـات إذا لـم تكـن لــه　　فما هو إلا في ليالي الهوى يسري

إذا لـم يكـن علـم لديـه بظـاهر　　ولا باطن فاضرب بـه بلجج البحر

وسيدي علي وفا رضي الله عنه إمام مرشد من أهل الطريق وارث المصطفى جده ﷺ في كونه داعيًا إلى الله على بصيرة.

وقد نقل الإمام الشعراني عن أستاذه سيدي علي الخواص رضي الله عنه أنه قال: لا يصير الرجل عندنا معدودًا من أهل الطريق إلا إن كان عالمًا بالشريعة المطهرة، مُجملها ومبينها، ناسخها ومنسوخها، خاصها وعامها، ومن جهل حكمًا واحدًا منها سقط عن درجة الرجال، فقال له تلميذه الشعراني: إن غالب المسلكين في هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الكمال، فقال له شيخه الخواص: نعم إن غالب هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس من العلم في سائر ما يطلبونه.

فليت شعري هل جعل سيدي علي وفا دون هذه المرتبة حتى يجعل كلامه بمثابة كلام أرباب الأحوال الذين هم كالمجاذيب وغيرهم ممن لا يحافظ على الشرع الظاهر، مع أن المريد يأنف حال المجاذيب، بل المريد هو كما قال الجنيد ﷺ: لا يكون المريد مريدًا إلا حتى يجد في القرآن كل ما يريد، وحيث المريد هكذا فكيف بالأستاذ الكامل؟!

والعجب أن الإمام الشعراني جعل قصة الخضر من قبيل الإلهام، وقد قال بعضهم بصحة العمل بالإلهام، والذي يفيده القرآن العظيم أن قصة الخضر من قبيل العلم الإلهي الصحيح بالكشف الصريح من الله بلا واسطة كما قال تعالى في حقه: **فَوَجَدَا(عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا)**[٦٤١] [الكهف:٦٥] حتى ورد في الحديث الصحيح: «**إن الله أوحى لموسى** ؏: **عبدنا خضر أعلم منك لمّا قال موسى: أنا أعلم أهل الأرض**»[٦٤٢] وكل ما يفعله الخضر ؏ بأمر خاص من الله، كما يشهد لذلك ما حكاه الله عنه من قوله لموسى ؏: **(وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِى)** [الكهف:٨٢]، حتى قال ﷺ: «**يرحم الله أخي موسى لو صبر لقص الله علينا من أمرهما**»[٦٤٣].

فقول نبينا ﷺ في حق موسى ؏: «لو صبر» تقرير لصحة فعل الخضر، وأن ما فعله بأمر من الله، فعلى هذا هو رسول من الله مأذون له أن يحكم بالحكم الباطني، ولم يقدر موسى أن يتسلط عليه بحكمه الظاهر وإلا لقتله بقتل الغلام قصاصًا، ويشعر كلام نبينا ﷺ أن حكم الخضر مندرج في حكمه؛ إذ له ﷺ أن يحكم بما يقتضيه الحال من الحكم الظاهر أو الحكم الباطن؛ لأن مقامه أنه جامع لمقتضيات جميع الأسماء الإلهية، فله أن يحكم ولنا أن نسلم، ولا نجد في صدورنا حرج من حكمه، والذي يظهر أن الخضر وأمثاله صورة من صور الروح المحمدي تجلى لموسى ؏ ليفيده علمًا بالله من طريق الباطن.

---

(641) معرفة كاملة، وعلمًا من علومه المجهولة الغيبية التي مكتومة عن كثير من الأخيار، وهو علم اللدني الخاص الذي استأثره الله لنفسه، والخواص خواصه، وذلك العلم حكم الغيب على صورة مجهولة حقائقها مقرونة بمنافع الخلق، وهذا يتعلق بعلم عالم الأفعال التي براهينها لاستحكام العبودية.

وأخص من ذلك الوقوف على بعض سر القدر قبل وقوع واقعته، وأخص من ذلك علم الأسماء والنعوت الخاصة، وأخص من ذلك علم الصفات، وأخص من ذلك علم الذات، وعلم المتشابه خاص في العلم المجهول فكل ما يتعلق هذه العلوم يكون بالمكاشفات، وظهور المغيبات وعلم القدم الذي هو وصف الحق تعالى من علم الربوبية يتعلق بالإلهام الخاص، وسماع كلام القديم بغير الواسطة، وفوق ذلك ما استأثر الحق لنفسه خاصة، وليس للخلق إليه سبيل بحال.

(٦٤٢)

(٦٤٣)

ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٨١]، وأما كون الإلهام مقبولاً أو غير مقبول فذلك راجع لقوله ﷺ: «**استفت قلبك وأن أفتاك المفتون**»[٦٤٤] وفي رواية: «**وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك**»[٦٤٥] ولا يخفى أن القلب هو النسخة المحمدية المودعة في الصورة الإنسانية، وهي المشار لها بقوله ﷺ لأبي هريرة ﷺ: «**سبحان الله أن المؤمن لا ينجس**»[٦٤٦] فالمؤمن إن عمل على ما يقتضيه الإيمان وثبت على ذلك يستفتي قلبه.

ألا ترى قوله ﷺ: «**اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[٦٤٧] ونور الله هو الحقيقة المحمدية، فلذا قلنا: إن القلب هو النسخة المحمدية المودعة في الصورة الإنسانية، ولهذا ما وسع ربنا جلَّ وعلا أسماءه ولا أرضه، ووسعه قلب عبده المؤمن، وحيث أن قلب المؤمن وسع الحق أفلا يسع العلم بأحكام الشريعة المطهرة.

وأما قول الإمام الشعراني ﷺ بأن أرباب الأحوال يسلم لهم حالهم ولا نقتدي بهم فمقيد بأرباب الحال الصادقين، كالإمام العيدروس ﷺ الذي كان في زمن شيخ الإسلام ابن حجر، فقد كان كل من يعترض يعطب، وأما شيخ الإسلام ابن حجر ﷺ فإنه لتمكنه بمتابعة الشرع المطهر لم يتسلط عليه العيدروس؛ لأنه لم يكن في معارضته له صاحب غرض نفساني، وإنما ذلك لنصرة الشريعة المطهرة، فإن العيدروس كما قيل كان يمشي عريانًا مكشوف العورة، فأمر ابن حجر بإلباسه وستره للحكم الظاهر للشرع.

فإن قلت: قد قررت أن الحكم الخضري مندرج بالحكم المحمدي، والنبي ﷺ قال: «**أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر**»[٦٤٨] فمتى حكم النبي ﷺ بالباطن؟

قلت: من المعلوم أنه ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»[٦٤٩] ثم أقر أهل الكتاب على دينهم كأهل التوراة والإنجيل ماداموا ﴿يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، وقال: «**لهم ما لنا وعليهم ما**

---

(٦٤٤)

(٦٤٥)

(٦٤٦)

(٦٤٧)

(٦٤٨)

(٦٤٩)

علينا»[٦٥٠] فهذا يقتضي أنه مطلق التصرف، فليت شعري هل لمؤمن أن يقول بأنه ﷺ أقرهم على ما يشقيهم وهو القائل: «**من غشنا ليس منا**»[٦٥١] ولا نقدر أن نقول ظاهرًا بأنهم ناجون عند الله، ولكن باطن الأمر لا يعلمه إلا الله ورسوله، وإن شئت فتبصَّر في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ) [الحج:١٧].

فإن قلت: هذا حكم في أهل الذمة، فهل حَكم ﷺ في المسلمين بحكم باطني؟

قلت: من المعلوم أن النكاح لا يقبل إلا بولي للقاصر باتفاق، وللبالغ بولي أو وكيل على اختلاف، فعند الشافعي رضي الله عنه لا نكاح إلا بولي للقاصر والبالغ والبكر والثيب، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا ولاية إلا على القاصر. وكذا لابد له من شاهدين عدلين مقبولين على الخلاف أيضًا، وعند مالك الإشهار يكفي عن الشهود، وعند داود الظاهري لا يشترط شيء من ذلك، وقد صدّقناه ﷺ في أن الله زوجه زينب بنت جحش فدخل عليها بلا إذن ولا حجاب، ولم يعلم بذلك أحد إلا من دخوله عليها ﷺ فهذا حكم الله بحكم باطني خارج عن قواعد الظاهر؛ لأنها لم تهبه نفسها، ولا علم لها حتى قالت له: يا رسول الله، تدخل علي بلا إذن ولا حجاب؟! فقال ﷺ: «**إن الله زوجني بك**»[٦٥٢] وهل يطلب منه شاهدان على أن الله زوجه بها، لعمري أن الله تعالى ملكه الملك حتى يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

وحيث إن مبايعته مبايعة الله وطاعته طاعة الله أفلا يكون حكمه حكم الله، فمن حكمه أن قال في أهل الذمة: «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**»[٦٥٣] فإقراره لهم على ما هم عليه، وسيادته على بني آدم بأسرهم يقتضي ألا يتركهم من إحسانه يوم القيامة، وإلا فلهم أن يقولوا: لو جَبَرتنا على الإسلام بالقتال أو رغّبتنا فيه بالمال لكان خيرًا لنا من أنك تؤامننا في الدنيا وبعد ذلك نخلد في النار، ومع ذلك فإني لا أقطع لأحد بدخول الجنة ولا أزكي على الله أحدًا، بل أقول كما قال عيسى: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) [المائدة:١١٨]، والله الموفق لا رب غيره.

وارد الإيمان بالغيب الماحي لكل ريب.

---

(٦٥٠)

(٦٥١)

(٦٥٢)

(٦٥٣)

قال الله تعالى: (الٓمٓ) [البقرة:١] اعلم أن الألف باطن محمد ﷺ الذي هو غيب الله الذي لا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى، واللام شهادة محمد ﷺ التي هي مظاهر ذلك الغيب مع بقاء اسم الغيب عليه، وإن كان ذلك الغيب عين الشهادة الظاهرة.

ألا ترى تعانق الألف واللام بحرف لام ألف في الصورة الظاهرة ودخول الألف باسم اللام، ودخول اللام باسم الألف، فلا يعلم ما هو القبل ولا ما هو البَعد، فإن ابتدأت بالألف تعانقها اللام، وأن ابتدأت باللام تعانقها بالألف، وكذلك الغيب والشهادة الأمر بينهما دوري، فلا يعلم هل الأصل الغيب أو الأصل الشهادة، فيرجع الآخر للأول، والأول للآخر، والظاهر للباطن والباطن للظاهر، نظير ما قاله سيدي عليّ الخواص ﵁ حيث قال: الأفلاك تدور بدوران القلوب، والقلوب تدور بالأرواح، والأرواح تدور بالأشباح، والأشباح تدور بالأعمال، والأعمال تدور بالقلوب، فرجع الآخر للأول.

ومن تعانق الألف واللام ظهرت كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ولما كان الأمر دوريًا بين الغيب والشهادة، والحس والمعنى، والأول والآخر، والظاهر والباطن، اتصلت الألف واللام من ألف لام بدائرة الميم المحمدية، فكانت عين دائرة الغيب والشهادة، والمعنى والصورة، والأول والآخر، والظاهر والباطن، فدخلت حقائق الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية في ميم محمد رسول الله، فقولنا: محمد رسول الله هو عين التوحيد؛ لأنه لم يرسل غيره، وإلا على توحيده؛ لأن الله غني عن العالمين بذاته؛ إذ جميع العالمين مندرجون فيه، كل الصيد في جوف الفراء.

ولمَّا تمت دائرة جميع الوجود في معاني ألف لام ميم أخبر تعالى بقوله: (ذَٰلِكَ) أي: الألف لام ميم (ٱلۡكِتَٰبُ) أي: كتاب الوجود الكامل حقًا وخلقًا (لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ) أي: لأنه مشاهد، والمشاهدة تنفي الريب من عنده شك، مثلاً أن فلانًا طويل فلما شاهده انتفى عنده الريب (هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ) [البقرة:٢]، وهم الذين اتقوا الله بالله قال ﷺ: «**أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك**»[٦٥٤] ثم وصف تعالى المتقين بأنهم (يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ) فلو زال الغيب من الوجود لزال الإيمان.

ومن هذه الحضرة قال ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك**»[٦٥٥] مع أنه علم الأولين والآخرين.

---

(٦٥٤)

(٦٥٥)

وسر هذه الحضرة الغيبية أن كل ما بدا من الله من الغيب إلى الشهادة هو باقٍ عنده في حضرة الغيب، ولو ظهر الأمر الواحد بظهورات لا تتناهى فهو باقي في حضرة الغيب عند الله، فلا تظن أن الظهورات الإلهية تنتهي في أمر من الأمور، فإن ظهرت لك الدنيا فعند الله دنيا لا تتناهى، وإن ظهرت آخرة فعند الله آخرة لا تتناهى، وإن ظهر سماء أو أرض أو آدم أو ملائكة أو إبليس أو برزخ أو جنة أو نار أو أنت أيها المخاطب أو شأن من شئونك أو وصف من أوصافك فعند الله في غيبه المطلق من أمثال ذلك ما لا يتناهى؛ لقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]، ومن لم يتحقق الحضرة الإيمانية بهذا التحقق فما آمن بالغيب فهذه الحضرة الإيمانية فلكها أوسع أفلاك المعاني، فمنها قال ﷺ: «**ما أدري ما يفعل بي ولا بكم**»[٦٥٦] فلا يزال من تحقق في هذه الحضرة وإن بلغ أعلى طبقات العلم يرى نفسه جاهلاً بربه، ولذلك لوسع دائرة الحضرة الإيمانية ومن وسعها سمى الله تعالى الاستناد إلى الباطل إيمانًا فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:٥٢].

وإنما كان الإيمان بالباطل إيمانًا سواء نفع أم لم ينفع لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣] فالإيمان بالغيب حضرة تعم سائر العوالم من أفلاك وإنس وجن وشياطين وأرواح مطلقة وصور ومعاني، حتى أن الله تعالى سمى نفسه المؤمن، فلهذا السر سرى الإيمان في كل شيء في الوجود، فقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

فدخل في هذه الحضرة أهل التوحيد والتحقيق وأهل الأصنام والغرانيق؛ لأنهم مقرُّون بوجود الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء:١٣٦] أي: آمنوا بما استندوا إليه من وجوه الإيمان، آمنوا بمحمد ﷺ وبما أنزل عليه من القرآن الجامع لجميع أنواع الإيمان وفنون السلوك والعرفان، فهو الذي لا يبلى جديده ولا تنقضي عجائبه، فالإيمان بالغيب طرقه موصلة إلى الله تعالى، والطرق الإيمانية الغيبية أوسع من كل شيء في الوجود، وسر ذلك أن الشيء متى ظهر تقيد والغيب مطلق، فالظاهر طريق محصور وعند الله في غيبه طرق واسعة مطلقة لا تتناهى أزلاً وأبدًا، وكل مظهر طريق إلى الله من جهة ذلك المظهر، وكذا الشئون والأسماء والصفات، وما بقي في الغيب أوسع وأعظم. ومن هنا قال الله تعالى لموسى: عليه السلام ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]، فافهم.

---

[٦٥٦]

وسبب تحققي بهذا المعنى هو فتح تجلي لي من كلام سيدي علي الخواص ﷺ حيث أني رأيت في «طبقات» الإمام الشعراني ﷺ في ترجمته ـ قدَّس الله سره ـ نقلاً عنه أنه قال: إياكم والجزع في مواطن الامتحان، يمتحنكم الحق بأشد من ذلك، فقال له تلميذه الشيخ أفضل الدين :ﷺ الصبر لا يصح إلا عند حصول الاستعداد، ومن الاستعداد له كيف يصبر؟ فقال ﷺ: لا تقيد على الحق، فإن الطرق إليه أوسع من مظاهره وشئونه وأسماءه وصفاته، والاستعداد طريق واحد.

قلت: لا يخفى أن هذه المقالة إن حملناها على ظاهرها فهي من أشكل المشكلات وأعضل المعضلات؛ لأن المقصود بالطريق إلى الله طرق معرفة الله، ولا طريق لمعرفة الله إلا ما شرعه الله، إلا أن الأستاذ سيدي علي الخواص ﷺ لاحظ أن الله تعالى من جهة هويته الجامعة هو عين كل طريق إليه، فهويته تجمع مظاهره وشئونه وأسماءه وصفاته، فهي تجمع جميع ذلك ولا يجمعها شيء، فلهذا كانت الطرق باعتبار أنه لا طرق إليه إلا هو أوسع من مظاهره وشئونه وأسمائه وصفاته، وليس المقصود هنا طرق السعادة الموصلة على الجنان بل المقصود طرق وجه الله المقول عنه: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١١٥]، ووجه الله عين الطرق إليه، فافهم ذلك، فإنه في غاية الدقة والغموض، والله الموفق.

ولنرجع إلى الكلام على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[٦٥٧] [البقرة:٣]، فنقول: إن الغيب على قسمين:

غيب مقيَّد: وهو الغيب المضاف إلى المظاهر كما قال: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهذا الغيب المضاف يتجلى فيه الحق تعالى في مناظر مشاهدته على حسب استعاد الناظر فتختلف الآثار في التجلي لهم بحسب قوتهم في التمكين، فمن تجلى له هذا الغيب قال أن غيبه تعالى عين شهوده، وهذا التجلي هو الذي يسعه قلب المؤمن.

وغيب مطلق: وهو تجلي ذاته لذاته من جهة إطلاق ذاته، فهذا الغيب لا يمكن التجلي فيه من حيث هو هو؛ لأنه لا يسعه سواه، وهذا التجلي هو الذي قال تعالى فيه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠].

---

(٦٥٧) ما غاب عن الأبصار، منكشفًا بنعت الأنوار لعيون الأسرار.

و«الإيمان بالغيب»: هو تفرُّس الروح بنور اليقين مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، و«الإيمان بالغيب»: شوقُ القلبِ إلى لقاء الرب .

وأيضًا «الإيمان»: تصديق السر ما أبصرَت الروح من مكنون حقائق الغيب بنعت مباشرة حلاوة انكشاف نور الحق في صميم سرّ السرّ، واتصاله بروقة بطنان القلب، وتعريفه أوصاف صفات الحق عقل الكلِّ.

مثال ذلك: أنه إذا تجلى لك البحر المحيط مثلاً فإنك لا ترى منه إلا على حسب وسعك وكونك تحيط به من حيث هو بأوله وآخره وظاهره وباطنه محال، فلذا تقول بأن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣] حقيقة لا تزول أبدًا ولولا ذلك لم يقل رسول الله ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»(٦٥٨).

نكتة:

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩] في هذا المقام لم يقل تعالى: لا يؤمن بها إلا هو؛ لأن علم مفاتح الغيب لا يكون إلا لمن تجلَّت فيه هوية الله تعالى، وهذه الآية قصمت ظهر زنادقة الوقت ممن يدَّعي علم الباطن، والتحقق بوحدة الوجود بالظن والتخمين، فيقول: أنا هو تقليدًا لأهل الذوق المحققين مع أنه عاري عن علم الشرائع الظاهرة، فضلاً عن علم الباطن الذي هو غيب من غيوب الله، فيقال لمن يتبجح بعلم الحقائق ويقول: أنا هو: إن كنت كما تزعم فأخبرنا عن مفاتيح الغيب؛ لأن الله قال: ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وأنت هو، فما مفاتح الغيب؟ وقد شاهدنا في زماننا كثيرًا من هؤلاء الجهلاء وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، ولعمري إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

ولله در سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ حيث قال: من لم ينخلع من طوره ويخرج عن نفسه ويأتي هو بلا هو لا يجد عند ذلك هو، وقد بالغت جهدي لكم في النصح، قال: اتبعتم أفلحتم، هذا كلامه ﷺ يشهد على المدعين التحقق بالهوية مع عدم الانخلاع عن الطور والخروج عن النفس بكذبهم وفضيحتهم، ولاسيما الكثير منهم ممن أضاع الصلاة واتبع الشهوات ولم يتحاش المحرمات، فهم والله باسم الدجالين أولى وأحق من اسم العارفين، اتخذوا الدراهم والدنانير أوثانًا، والبطالين الغافلين عن أحكام الشرع المطهر إخوانًا، قلوبهم مملوءة من الحرام، وأعناقهم متقلدة أنواع الآثام، وبطونهم شابعة من أكل حقوق الأنام، فأنى لهم بالانخلاع من الطور والتجرد عن النفس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة:١١١] حتى قال بعضهم: الصوفي ملكه مباح ودمه هدر، وهؤلاء المدَّعون ترى دينار الواحد منهم ودرهمه يعدل روحه، فكيف يكون ملكه مباحًا؟! ولو سبَبَت الواحد منهم لسبّك وضربك، فكيف يكون دمه هدر؟! أين هو من قول الشبلي ﷺ: ذلي عطَّل ذل اليهود، ولقد صدق لأنه عقد العهد مع الله أنه لا ينتصر

---

(٦٥٨)

لنفسه إذا لقيه أحد بما يكره من مذمة أو شتم أو ضرب أو أمثال ذلك، واليهودي ولو كان ذليلاً يشكو من أذاه، وربما قابله بالمثل، فنفوسنا فرعونية تقول بلسان حالها: عظموني بجلوني أنا ربكم الأعلى، ونزعم أننا تحققنا بكلام القطب الكامل سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ من الانخلاع عن الطور، والخروج عن النفس، هيهات هيهات أين نحن من حال سيدي أحمد الرفاعي ﷺ يواجهه الأعداء فيقولون: أي أعور؟ أي دجَّال؟ أي زنديق؟ فيقول: غفر الله لي، اجعلوني يا إخواني في حل ويواجهه الأحباب، فيقولون له: والله ما رأينا مثلك ويمدحونه فيقول: يا إخواني هذا ببركاتكم:

هكـــــذا هكـــــذا وإلا فـــــلا لا طـرق الجـد غيـر طـرق المحـال

فأمثال هؤلاء المدَّعين لا يعلمون الظاهر فضلاً عن الغيب، وعن مفاتح الغيب، قال الله تعالى في سورة النمل: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النمل:٦٥].

فمن تجلى الله عليه بهذا الاسم الجامع فكان خليفة رسول الله ﷺ في مقام المبايعة التي أنزل في حقها: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠]، فهو الذي يعلم الغيب، ويشعر أيان يبعث، وهو اللابس لخلعة هذا الاسم إرثًا من محمد ﷺ، فالمراد بهذا الاسم في هذه الآية هو القطب الجامع الذي يدور عليه أمر الولاية، وإنما قلنا ذلك لأن الله لا يقال في حقه: إنه من جملة من في السماوات والأرض، واستثنى منهم بعلم الغيب؛ لأنه من جهة وجوده المطلق عين المستثنى والمستثنى منه، فلا يتصل بمن في السماوات والأرض حتى قال: الاستثناء متصل وليس مقطوعًا عنهم، ولا عن شيء، وحتى يقال الاستثناء منقطع، فثبت أن المراد بقوله: إلا الله المظهر الجامع لحقائق هذا الاسم بالتجلي الذاتي، وهو القطب الغوث، وإطلاق هذا الاسم عليه بحكم الخلافة الباطنية عمن قيل له: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠].

فإن قلت: قال الله تعالى: (عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) [الجن:٢٦،٢٧].

قلت: الوارث له حكم الموروث، شاهد ذلك: «**ما صب في صدري شيء إلا وصببته في صدر أبي بكر**»[٦٥٩] رضوان الله عليه، وحال لباب مدينة علمه قُدِّس سره: «**أنت معي**

(٦٥٩)

بمنزلة هارون من موسى»[٦٦٠] ولا يخفى أن موسى قال في حق هارون عليهما السلام: **(وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي)** [طه:٣٢]، وقال لجعفر بن أبي طالب ﷺ: أشبهت خُلقي وخَلقي، وقال في الحسن قُدِّس سره: «**إن ابني هذا سيد**»[٦٦١]، فعلمنا أن له نصيبًا من قوله ﷺ: «**أنا سيد الناس**»[٦٦٢].

ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول: قال تعالى: **(ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ)** [البقرة:٣] أي: ظاهرًا وباطنًا، فالظاهر معلوم، وباطن الصلاة صلة كل شيء بالله؛ لأنه تعالى: **(هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ)** [الحديد:٣]، وقال: **(فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ)** [البقرة:١١٥] فالمؤمن محا عنده وجه الكون، وثبت وجه الله بمقتضى إيمانه، ومن ولى للقطب فقد ولى إلى الله الجامع للوجوه كلها، كما قال سيدي محمد وفا قدَّس الله سره:

جمعنا نظام الكل في عين جمعنا وأصبح كف الدهر من مثلنا صفرًا

وقوله تعالى في تمام الآية: **(وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ)** [البقرة:٣]، فمن المعلوم أن الرزق يتناول رزق الأشباح، ويتناول رزق الأرواح، والمنفق ينفق مما رزقه الله، ومن للتبعيض؛ لأنه ينفق على نفسه البعض، وينفق على غيره البعض، وهذا من الاسم (المُنفق) فإن المُنفق قد يمنع بعض ما عنده فيبخل به، وأما الاسم (الكريم) فيقضي أنه لا يبخل بشيء كائنًا ما كان.

ألا ترى أنه تعالى لما تجلى للصديق ﷺ بصفة الكرم قدَّم للنبي ﷺ بنته وماله ونفسه ولم يبق شيئًا، فكافأه ﷺ كذلك، فصب في صدره ما في صدره وورث منه الخلافة والحكم ظاهرًا وباطنًا، فكان هو هو، ولما كان تعالى هو الرب الأكرم جاد على عباده الخاصة المتقربين إليه بالنوافل بنفسه، فكان سمعهم وبصرهم[٦٦٣].. الحديث، وجاد أيضًا بخلافته فأعطاهم في الجنة أن يقولوا للشيء: **(كُن فَيَكُونُ)** [النحل:٤٠]، ولكن بعض أهل الجنة لم ينتبهوا للكرم الإلهي، فأجابوا أهل النار بالمنع كما قال تعالى: **(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)** [الأعراف:٥٠].

---

(٦٦٠)

(٦٦١)

(٦٦٢)

(٦٦٣)

ولم ينتبهوا أن التحريم من جهة جنة الأعمال لا من جناب الكرم والجود، أما سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢]، فقال للناس ولم يقل للمؤمنين فقط، بل عم جلَّ وعلا، فلم يُقيد فتح الرحمة كما قيده أهل الجنة، وحيث إن أهل الجنة تقيدوا بالاسم (المانع) فما الفائدة في أن يقولوا للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]؟

وفي هذا المعنى قال لي بعض مشايخي وهو سيدي الحسين الفاطمي المغربي رحمه الله ورضي عنه: ألا ترى إلى بخل أهل الجنة يقول لهم أهل النار: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠]، قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠] بالذي لا إله إلا هو لو سألوني لأعطينهم.

أقول: هذا مشرب أهل الله، وأهل الله تعالى عطاؤهم عطاء الله، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠].

حكاية: نزل ضيف بدار إبراهيم الخليل عليه السلام فسأله عن دينه فأخبره أنه مجوسي فقال له الخليل عليه السلام: أسلم حتى أضيفك، فأبى المجوسي أن يسلم، فقال له: إني لا أضيف مجوسيًا، فخرج المجوسي من داره بلا طعام، فأوحى الله إلى الخليل عليه السلام: لي منذ كذا سنة وأنا أرزقه وهو يشرك بي ولا أمنعه من كرمي، وأنت من أجل طعمة واحدة تريد لا تطعمه إياها حتى يسلم، فعند ذلك انتبه الخليل للعمل على الكرم الإلهي وتبع المجوسي وجاء به إلى داره ورحب به وأضافه وأطعمه، فقال له المجوسي: يا إبراهيم، رأيت منك العجب، لمَ أبيت أولاً أن تضيفني؟ فلمَّا ذهبت تبعتني وجئت بي إلى دارك وضيفتني وعاملتني بالبشاشة والترحيب! فقال له الخليل عليه السلام: إن ربي عاتبني فيك، وقال لي: منذ عمره هو يشرك بي ولم أمنعه إحساني وأنت لم تطعمه أكلة واحدة إلا حتى يخرج عن دينه فندمت على ما فعلت واتبعتك وجئت بك وأكرمتك اقتداءً بربي جلَّ وعلا، فقال له المجوسي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وخليله، فكان الخليل بعد ذلك يكرم الأحباب والأعداء، فيقال له في ذلك فيقول: تعلمت الكرم من ربي، رأيته لا يمنع أعداءه من إحسانه، فإنا كذلك، فلما تخللت أوصاف الحق أوصافه سمي خليلاً، كما قيل: قد تخللت مسلك الروح مني، وبذا سمي الخليل خليلاً.

ويقرب من هذه الحكاية ما وقع لداود عليه السلام من أنه بنى بيت المقدس فتهدم، ثم بناه فتهدم، ثم بناه فتهدم، فقال: إلهي، أنا ابني بيتك وأنت تهدمه، فأوحى الله إليه يا داود، كما هدمت بنيتي ـ والبنية بضم الباء وكسرها ـ مايبنيه الرجل هدمت بنيتك، أنك قتلت عبادي،

قال: يا رب، أليس في الجهاد في سبيلك، فقال: يا داود، أليسوا عبادي؟ فالذي أمر بقتلهم أولاً تَعطَّف عليهم بالرحمة ثانيًا.

ولو انتبه المانعون للماء والرزق من أهل الجنة لقوله ﷺ لأم هانئ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[٦٦٤] لم يمنعوا ماءً ولا طعامًا والقوا للنار بمقتضى كن الإلهية كوني عليهم بردًا وسلامًا.

ألا ترى حال السيد الكامل الغوث الجيلاني ﷺ حيث قال: دافعت أقدار الحق بالحق للحق، ومن كرمه كان يقول:

لا تسقني وحدي، فما عودتني	**إني أشح بها على الجلاسي**

إلى أن قال ﷺ: أنا شيخ من لا شيخ له، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى في قوم نوح عليه السلام: (**مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا**) [نوح:٢٥].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله أدخل قوم نوح عليه السلام النار عقب غرقهم في الماء فانتقلوا من الغرق إلى الحرق، فطلبوا النصرة من آلهتهم الذين قالوا في حقهم: (**لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا**) [نوح:٢٣]، فلم يجدوهم، وأضل الله أعمالهم عنهم كما قال تعالى: (**ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ**) [محمد:١]، لأن الأعمال تطلب عاملها كما يطلب الابن أباه، وكما ضلت أعمالهم عنهم (**وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ**) [الأنعام:٢٤]، على أولئك المعبودين من أنهم آلهة (**فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا**) [نوح:٢٥]، أي: لم يجدوا غير الله ناصرًا، فأخبر الله تعالى أن قوم نوح أدخلوا النار، ولا يدخلون النار إلا بعد بعثهم فقدَّم الله بعثهم قبل خراب الدنيا، كما ورد في ذلك في حابسة الهرة فحقَّ فيهم قوله ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٦٦٥] فأتتهم ساعتهم بغتة، فكان البحر مأواهم ظاهرًا والنار مأواهم باطنًا، شاهد ذلك قوله ﷺ : «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[٦٦٦].

([٦٦٤])

([٦٦٥])

([٦٦٦])

وقد أخبر الله تعالى عن المؤمن الذي ذكره في سورة يس أنه قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦،٢٧] أي: عنده في الجنة، وقد ورد في عدة أحاديث أن إناسًا دخلوا الجنة وتزوجوا الحور العين وقال ﷺ في بعض الشهداء: «**رأيت زوجته من الحور العين تنفض عن وجهه التراب**»(٦٦٧)، وأخبر: «**أنه من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يبق بينه وبين الجنة إلا الموت**»(٦٦٨) فالساعة والجنة والنار يقولاها الاسم (المقدِّم) في حق بعض الناس، وفي البعض يتولاها الاسم (المؤخر).

روي في «مصابيح السنة» عن عائشة - رضي الله عنها- أنها قالت: كان رجال من الأعراب حفاة يأتون النبي ﷺ فيسألون الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**»(٦٦٩) فانظر إلى قوله: «حتى تقوم عليكم ساعتكم»، فأضافها إليهم، ولم يقل: حتى تقوم الساعة بالإطلاق، وقال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين فمن تقدَّمت ساعته دخل الجنة أو النار**»(٦٧٠) كما قال في قوم نوح عليه السلام: «**أغرقوا فادخلوا نارًا**»(٦٧١) وفيمن يقرأ الكرسي من موته إلى الجنة، وهذا كله من جهة الاسم الإلهي (المقدِّم).

ومن معنى الاسم (المقدِّم) قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد آية:٢١]، وفي آية أخرى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وورد أيضًا: «**إن الجنة تحت ظلال السيوف**»(٦٧٢) وورد أيضًا: «**أنها تحت أقدام الأمهات**»(٦٧٣) وورد أيضًا: «**الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**»(٦٧٤) فلو كان الناس على نسق واحد في الساعة والجنة والنار زال معنى المسابقة.

ألا ترى قوله ﷺ: «**الحمى حظ كل مؤمن من النار**»(٦٧٥) فقدَّمها الاسم (المقدِّم) إلى الدنيا كما قدَّم الجنة إلى الكافر بقوله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(٦٧٦) وفي

---

(٦٦٧)

(٦٦٨)

(٦٦٩)

(٦٧٠)

(٦٧١)

(٦٧٢)

(٦٧٣)

(٦٧٤)

(٦٧٥)

الحديث: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**»[٦٧٧] فمن حاسب نفسه قدَّم حسابه من حكم الاسم المقدم وانقضى من حكم الاسم الأول فحكم الاسم الآخر في حقه حكمه في حق من لم يحاسب نفسه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب:٢٣]، وفي الحديث: «**إن النار اشتكت لربها** ﷻ **فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف**»[٦٧٨] فكل زمهرير في الدنيا من نفَسها الذي في الشتاء، وكل حر في الدنيا من نفَسها الذي في الصيف.

إذا حققت ذلك فهمت قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم:٧١] فبهذا المعنى وردها جميع الناس حتى الأنبياء والرسل؛ لأنهم إما أن يكابدوا نفسها الحار أو نفسها البارد، فافهم ذلك فإنه سر لطيف، وإلا فقد ورد أن بعض الصالحين ممن يعمل بعض الأعمال الواردة لا ينصب له ميزان ولا ينشر له ديوان، ولا يجوز على الصراط، ولا يرى موقفًا لا حسابًا ولا عذابًا.

وحيث تكلمنا على الاسم الإلهي (المقدِّم) الذي منه قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧] أي: ذوقًا، كما أنه في بعض الأذواق خمسون ألف سنة من حكم الاسم (المؤخِّر) وحيث الأمر كذلك فلنتكلم على الاسم الإلهي (المؤخِّر) فمن ذلك ما ورد في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**»[٦٧٩] وروى أنس بن مالك عنه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»[٦٨٠].

وينبغي أن يعلم أن الاسم الإلهي المؤخِّر يؤخِّر على شرار الخلق مشهد الساعة، إلى أن تظهر الأشراط الواردة في الأحاديث الشريفة، وأعظمها ظهور عيسى عليه السلام عقب ظهور الدجّال فيطلبه عيسى فيهلكه، ويمكث سبع سنين، فلا يكون بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، قال ﷺ في شأن تلك الريح: «**لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه**

([٦٧٦])

([٦٧٧])

([٦٧٨])

([٦٧٩])

([٦٨٠])

حتى تقبضه»[٦٨١] ثم قال ﷺ: «**فتبقى أشرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحون، فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، ثم ينفخ في الصور فيقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه**»[٦٨٢] قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧].

وفي «المصابيح» عن عبد الله بن مسعود قال: «**جاء حبر من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر وتصديقًا**»[٦٨٣]، ثم قرأ الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فهذا حكم الاسم (المؤخر) في الساعة، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١، ٢].

تنبيه: هذه قيامة الدنيا، ولا تظن أن دخول الجنة أو النار متوقف على خراب الدنيا، وموت شرار الناس التي تخرب الدنيا عليهم؛ إذ لكل شيء قيامة، وقيامة ابن آدم موته، قال رسول الله ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٦٨٤] فكما أنه لا يستوي الناس في الموت لا يستوون في البعث، ودخول الجنة أو النار.

واعلم أن الناس في الموت على قسمين:

قسم يتسلط البلاء على جسمه فيأكله التراب إلا عجب الذنب كما ورد في الحديث: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب**»[٦٨٥].

---

(٦٨١)

(٦٨٢)

(٦٨٣)

(٦٨٤)

(٦٨٥)

وقسم لا يتسلط البلاء على جسمه، فيكون بجسمه وروحه في قبره، ويكون أيضًا في الجنة.

كذلك كالرسل والأنبياء والأولياء وبعض الشهداء، وأما من يبلى جسمه فتظهر روحه في الجنة بصورة طير يعلق من ثمر الجنة، وهذا للعوام لا للكمّل.

قال سيدنا السيد جعفر الصادق ﵁: المؤمن أكرم على الله من الطير، مراده بالمؤمن العارف بالله تعالى؛ لأن أهل المعرفة أحياء لحياة معروفهم، فلا حياة حقيقة إلا لأهل المعرفة لا غير، وإلا فقد ورد في شهداء العموم أن أرواحهم في حواصل طيور خضر يتنزهن في الجنة، كما قال تعالى: **(عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ)** [آل عمران:١٦٩]، وهذه الحال هي المسماة بالبرزخ.

واعلم أن الأرواح تظهر في البرزخ بحسب المعنى الغالب على الإنسان إلى أن يركب الله جسمه على عجب الذنب، فأخبر النبي ﷺ عن أناس لا تبلى أجسادهم، والباقون إمَّا مؤمنون عوام، وإمَّا كفرة، فأخبر أن المؤمن وبعض الشهداء أرواحهم طيور في الجنة، وأما الكفرة والمشركون والمنافقون والدهرية فأرواحهم بحسب المعنى الغالب عليهم، فمنهم من روحه في البرزخ خنزير، ومنهم القردة، ومنهم الظبي، فهم في البرزخ حيوانات شيطانية، حتى أن أرواح من يبغض بعض أصحاب محمد ﷺ تكون في صور خنازير في البرزخ، ولكن أهل الكشف في الدنيا يدركون ذلك فيرون روح الرافضي متصورة بصورة خنزير، وإن كان عند الناس إنسانًا كما يرون طعام آكل الربا والسرقة والغصب والظلم نارًا تتأجج في بطونهم، فهو عند الناس طعام، والله سماه نارًا، فالمؤمن المصدِّق لربه فيما أخبر ولو رأى آكل الربا، وآكل ما يجب عليه من الزكاة، أو آكل حق الغير مطلقًا طعامًا فهو يكذب رؤيته ويقول: هذا نار لا طعام؛ لأن الله سماه نارًا، والكشف الصحيح والحس الصحيح تابع للإيمان، وما يراه الناس هو تخييل لا حس صحيح؛ لأنه ﷺ أخبر أن: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[٦٨٦] فالحس الصحيح حس الأموات لا حس الأحياء، ما عدا أولياء الله، فإن حسهم يتبع القرآن والحديث، ومن يحيد عنهما لا يعبأ به رأسًا.

ألا ترى بعض العوام يقول: ما نعرف كيف يصير؛ لأنه ما أحد من الأموات رجع من موته إلى الدنيا، وأخبرنا عما بعد الموت، والذي يقول مثل هذا هو عندي ملعون كافر أنسل من الدين كما تسل الشعرة من العجين، إلا أن يتوب توبة نصوحًا، وإني لو ملأت

---

(٦٨٦)

طباق الأرض والسماوات ذنوبًا أهون عندي من أقول مثل هذا الكلام، أعوذ بالله منه وممن قاله أو يقوله.

وكيف نترك كلام الله وكلام رسول الله ﷺ ونحتاج على أن نرى واحدًا من الأموات يخبرنا عن الأمور، ولعله شيطان تصور بصورة ذلك الميت، أو الرائي بنفسه شيطان، وهل نترك كلام الرحمن ونتبع كلام الشيطان، فمن قال مثل ذلك وهب دينه وهوى في جهنم إلى أسفل سافلين، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

نكتة لطيفة:

ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا، قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا، قال: أبيت، وإنما قال أبو هريرة أبيت؛ لأن النبي ﷺ ما قيد الأربعين بشيء ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الصور قرن من نور القمة إسرافيل عليه السلام كما في الحديث قال تعالى: **(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** [الزمر:٦٨،٦٩] إلى آخر السورة.

اعلم أن إسرافيل عليه السلام ألقم نورًا ذاتيًا يفنى به ويبقى، وهذا النور ألقمه في ذاته لا في فمه، فهو باطن فيه؛ لأنه من حقيقة النور المحمدي الأول الذي خلق منه إسرافيل وسائر العالم على الإطلاق، فهو قرن باطنه روحاني بجميع سائر الأرواح، وظاهره في صورة قرن، أي: ظاهره صورة كل شيء وقوله: قرن، إشارة أن كل صورة مقرونة روحها، فظاهر هذا الصور كل صورة وباطنه كل روح، وحقيقة هذا القرن هو النور المحمدي الذي هو جوهر الأرواح والأشباح ومادتها وأصلها، فالنفخة الأولى: نفخة الفناء، وهي للأرواح فتصعق إلا من شاء الله، والنفخة الثانية: نفخة البقاء الصوري، وهي نفخة ظهور الأشباح الصورية، ولذا قرئ: **(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ)** [الزمر:٦٨] بفتح الواو، جمع صورة فجميع الأرواح مشهودة لإسرافيل، ونفخه كناية عن تجلي إلهي حقي يفنى منها حدث الخلقية فتفنى في مشاهدة الحق، كموسى عليه السلام لما تجلى الله في طور نفسه خرَّ صعقًا، والنفخة الثانية هي نفخة البقاء في الله، قال تعالى: **(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ**

يَنظُرُونَ) [الزمر:٦٨]، وذلك مثل قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ) [الأعراف:١٤٣]، فما أفاق إلا بتجلي ماء الحياة الذي أنزله الله من سماء ذاته فتبت بالله لا بنفسه، فقال: سُبۡحَٰنَكَ() أي: عن وجود ثاني، (تُبۡتُ إِلَيۡكَ) أي: أدركت أني أنت (وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) [الأعراف:١٤٣]، وأول مؤمن هو الله، أي: أنا المؤمن الأول الذي هو أنت.

قال سيدي داود بن بخلا أستاذ سيدي محمد وفا رضي الله عنهما: إذا نفخ في الصور قال المريد الصادق: سمعت هذا منذ زمان.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن القيمة عبارة عن تجلي إلهي يظهر في كل شخص بحسبه، أي: فناء وبعث وحشر ونشر وصراط وميزان وتبدل أرض بأرض بيضاء تكون خبزة واحدة هي نزل الله لأهل الجنة، وتبدل سماء، وتكوير شمس، وحساب، وموقف، ودخول جنة أو نار، فلكل فرد من النوع الإنساني من هذا التجلي نصيب خاص به بحسب ما يقبل من لك التجلي، مصداق ذلك قوله تعالى: (وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا) [مريم:٩٥]، وقال تعالى: (وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ) [الأنعام:٩٤]، وهذا التجلي الذي هو لكل فرد بحسبه الذي قال فيه ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٦٨٧] ينكشف منه قيامة سائر العالم على الإطلاق، فلذلك سمي أيضًا بيوم الجمع، قال تعالى: (يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ) [التغابن:٩]، وقال تعالى: (قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ * لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ) [الواقعة:٤٩، ٥٠]، فهو يوم الفرد ويوم الجمع؛ إذ قيامة كل فرد هي قيامة الجميع؛ لأن كل شيء فيه كل شيء، ولذا قال تعالى: (وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ) أي: الأرض النفيسة (بِنُورِ رَبِّهَا) الحقي (وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ) [الزمر:٦٩]، أي الكتاب الذاتي النفسي فيقال للإنسان: (كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا) [الإسراء:١٤]، (وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ) [الزمر:٦٩]، أي: من عين النفس الإنسانية التي قامت قيامتها؛ لأن تلك النفس عين جميع الأنفس (وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ) [الزمر:٦٩]، فمن نفسه شاهد الأنبياء والرسل والشهداء والقضاء والشفاعة وجميع ما أخبر الله ورسوله عنه، وإلا فالأنبياء والرسل والشهداء كل واحد بعث ودخل الجنة، ومن لم يفهم كذلك فليس له قدرة أن يجمع بين الأحاديث في هذا المعنى، فإنها تضاد بعضها بعضًا.

---

(٦٨٧)

ألا ترى على ما ورد من أنه ﷺ «**أول من يقرع باب الجنة**»[٦٨٨] مع أنه ورد أنه «**لا يدخلها إلا حتى يدخلها جميع أمته**»[٦٨٩]، فكل وارد على الجنة أول من يقرعها له محمد ﷺ مع أن محمدًا ﷺ ليس بينه وبين الجنة حجاب، وقد دخلها وهو في الدنيا ورأى جميع ما فيها في إسرائه ﷺ، فموته ﷺ عين حياته، بل أنه فاتح خاتم لجميع من سبق في سالف الدهور وفي كل العصور وفي جميع الأدوار، فله في كل موقف وفي كل قيامة وفي كل نفخ صور وصعق وقيامة وحشر ونشر وموقف وحساب وصراط وميزان وحوض، صورة ظاهرة وشفاعة محققة، بل هو أول من يدخل الجنة، وهو أيضًا آخرهم لأنه (**أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ**) [الأحزاب:٦]، بل هو هيولي العالم على الإطلاق بمقتضى قوله: «**نحن الأخرون الأولون**»[٦٩٠] فهو من جهة أنه طامة الحقائق الكبرى دائرة اسم الله الأول، ودائرة اسم الله الآخر، ودائرة اسم الله الظاهر ودائرة اسم الله الباطن، وهذه الدوائر وإن فقدت عندنا بالنسبة إلينا، فهي عند الله باقية؛ لأن هوية الله من قوله: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ**) [الحديد:٣]، باقية، قال تعالى: (**مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ**) [النحل:٩٦]، (**كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ**) [القصص:٨٨]، فوجهه ليس بهالك، فأسمائه ليست بهالكة، ومظاهر أسمائه من حيثه ليست بهالكة (**كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ**) [الرحمن:٢٩]، مع جمعه في كل شأن كل الشئون، والله يهدي إلى صراط مستقيم.

وارد المطلق بالأمر المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم، قال تعالى: (**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا**) [البقرة:٢٨٦]، وقال الله تعالى: (**وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ**) [هود:١٢١].

اعلم ـ أيَّدك الله ـ أن الله أرسل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين وجعله سيد الناس يوم القيامة، وجعل آدم فما دونه تحت لوائه يوم القيامة، وليس لواؤه في الدنيا إلا القرآن، وأما في الآخرة فيظهر بصورة لواء يلوذ به الخلائق لمن هو سيدهم؛ ليقضي للجميع مصالحهم بمقتضى سيادته العامة، وليس السيد إلا من ترفع إليه الحاجات، وعلى قدر نفع السيد تعظم سيادته، فالأمر قبل ظهور محمد ﷺ غالبه جلال لغلبة النقمة في من بارز أوامر الرسل عليهم الصلاة والسلام.

---

(٦٨٨)

(٦٨٩)

(٦٩٠)

فمن الأمّة من أهلك بالصواعق أو بالحجارة أو بالريح، ومنهم من أهلك بالغرق، ومنهم من أهلك بالخسف، ومنهم من أهلك بالمسخ، فلما أظهر الله الفاتح الخاتم ﷺ أرسله ﴿رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٧]، وأنزل عليه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وأمره تارة بالأوامر الشرعية الإسلامية، ومن خالف يقتل لما يقتضيه التجلي المناسب للوقت، وتارة أمره أن يقبل الجزية وأن يُقر أهل الذمة على دينهم، لما يقتضيه التجلي كما قلنا، وتارة أمره بجهاد الكفار والمنافقين والغلظ عليهم، ومرة قال له: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٦١]، ومرة قال له: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:١٤]، وقد أمره أن يقول للذين لا يؤمنون: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ [الأنعام:١٣٥]، وذلك بمقتضى نص القرآن: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فعلمنا أنه ﷺ أمر أن يدعو الناس بعمل الشريعة المطهرة ولكن على بصيرة، وأمر أن يدعو بعمل الحقيقة من لا يؤمن ولكن على بصيرة أيضًا، وعمل الحقيقة هو العمل على المكانة، أي: المنزلة، ومنزلة كل أحد ما تقبل ذاته من تجلي الأسماء الظاهرة فيه، فلذا أقام الله له عذر الموجودات بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ ۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٣٦]، فأخبر أن الموتى من الكفرة والمشركين لا يسمعون، ومن لا يسمع لا يستجيب، ولكن وعده في بعثهم وانتباههم، ولما آن أوان الانتباه وقتلوا يوم بدر جاء ﷺ إليهم واحدًا واحدًا فقال: يا فلان يا بن فلان، ويا فلان يا بن فلان ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقًّا ﴾ [الأعراف:٤٤]، فإنا والله وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فقالوا: يا رسول الله كيف يسمعونك وهم جيف؟ فقال ﷺ: «**ما أنتم بأسمع منهم**»[٦٩١].

فياليت شعري هل خاطبهم ﷺ بهذا الخطاب لحكمة إلهية أم عبثًا؟ فدعاهم إلى الاعتراف بالحق بعد أن قتلوا لعلمه أن الله تعالى بعثهم من موتهم، فلما علم استعدادهم للسماع طلب منهم الاعتراف بقوله: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم﴾ [الأعراف:٤٤]، ليقولوا: ﴿نَعَمۡ﴾ [الأعراف:٤٤]، فيشهد لهم بذلك وشهد ﷺ أن أصحابه ليسوا بأسمع منهم، فلمَّا عملوا على مكانتهم دعاهم بحسب مكانتهم في وقت وسعهم واستعدادهم للاعتراف، فلو لم نقل: إنه بمقتضى سيادته ينفعهم بذلك لكان فعله عبثًا لا فائدة له.

---

(٦٩١)

وهذا المعنى الذي استفدته من فعله ﷺ الذي أصون به فعل ﷺ عن العبث ولعظيم جاهه صحح عندي حديث: «**إن الله أحيا لي عمي فآمن بي**»[٦٩٢] بإلهام صادق لا أشك فيه، فدعوته ﷺ مطلقة عامة؛ لأنه في دعوته إلى الله (عَلَىٰ بَصِيرَةٍ) [يوسف:١٨] فيمن يدعوه، فمن المدعوين من يجيبه إلى الإسلام والصلاة وسائر الأحكام الشرعية، وهو الذي قال تعالى في حقه: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات:٥٥]، ومنهم من قال تعالى في حقه: (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة:٦]، فلا يطهَّروا إلا بقتله، فيدعوه بعد قتله كالذين ألقوا في قلب بدر من المشركين، فصار يناديهم بأسمائهم فردًا فردًا كما تقدم، ومنهم من يجيبه عندما يقيد بالسلاسل والأغلال من الأسارى كما قال ﷺ: «**عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**»[٦٩٣] ومنهم من أجاب بقلبه دون ظاهره فقال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحًا بذاك رهينا

كأبي طالب عمه، وكقيصر ملك الروم فإنه قال:«والله لو علمت أني أصل عليه لغسلت عن قدميه» وبَجَّل كتابه وعظَّمه وخبَّأه في خزائنه تبركًا فقال ﷺ: «**اللهم أيد ملكه**»[٦٩٤] فقال في حق هؤلاء: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٦٩٥] ومنهم من أدخله في شفاعة الغرانيق، ومنهم من قال: (وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ) [الجاثية:٢٤]، فقال توطئة لسعادتهم: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»[٦٩٦] ومنهم من قال: (قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ) [فصلت:٥] فهم من قسم الموتى، فقال في حقهم: (أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل:٢١]، وقال: (صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [البقرة:١٧١]، فنحن نسميهم أحياء والله سمَّاهم أمواتًا، ونحن نسميهم سامعين ناطقين ناظرين، والله سمَّاهم (صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ) [البقرة:١٧١]، فعذرهم الله بقوله: (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) [هود:١٢١]، وبقوله: (كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ) [الإسراء:٨٤]، فالمكانة:

---

(٦٩٢)

(٦٩٣)

(٦٩٤)

(٦٩٥)

(٦٩٦)

هي المنزلة التي هي نصيبهم من تجلي الأسماء الإلهية، والشاكلة: ما يشاكل حقائقهم من تلك الأسماء، ولذلك قال ﷺ: «**كل ميسر لما خلق له**»[697] بيان ذلك أن الله قال في البعض: (**فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ**) [الليل:٧]، وقال في البعض: (**فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ**) [الليل:١٠]، ولا يقدر أن يتجاوز أحد ما يسر الله له، ومنهم أهل ذمة قَبِل منهم الجزية والخراج وقال: «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**»[698] والجامع لذلك كله أن الله تعالى أدرج غير أهل الإسلام في أوامر خاصة بهم، فقال لإبليسهم الذي فسق، أي: خرج عن أمر ربه باسمه (الهادي) لأمر ربه من اسمه (المضل) (**وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ**) [الإسراء:٦٤].

وهذه حضرة قرآنية مندرجة في الحضرة المحمدية، فهي رسالة محمدية ولكن بواسطة إبليس، ولهذا صدقه رسول الله ﷺ لما قال له: «**يا محمد، إن الله خلقك للهداية وما بيدك منها شيء، وخلقني للغواية وما بيدي منها شيء، فقال ﷺ: صدق**»[699] ثم حالت الملائكة بينه وبينه.

ألا ترى أنه لما قال: (**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ**) [ص:٨٢]، امتثالاً لأمره بقوله: (**وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم**) [الإسراء:٦٤] (**إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ**) [ص:٨٣]، وهم حزب محمد ﷺ من جهة الاسم الظاهر، والقائل: (**فَبِعِزَّتِك**) وحزبه حزب محمد ﷺ من جهة الاسم الباطن أجابه بقوله: (**هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ**) [الحجر:٤١]، وفي قراءة يعقوب: (**عَليّ**) بالرفع صفة لصراط، فعلي القراءة الأولى المعنى أن استقامته واقعة عليّ؛ لأن الصراط صراط أسمائي التي منها الاسم (المضل) وعلى قراءة يعقوب: وصفه بالعلو وبالاستقامة، ولم يرد الحق هنا على إبليس، بل قال: (**لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ**) [الحجر:٤٢]، يعني: أنا الآخذ بنواصيهم جميعًا والميسر لهم ما تقتضيه حقائقهم من يسرى أو عسرى، فالسلطان لي لا لك، فهذا مثل قوله لمحمدﷺ: (**وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ**) [ق:٤٥]، وقوله: (**لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ**) [آل عمران:١٢٨]، فاندرج الجميع في العبودية التي قال عنها: (**وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ**) [الذاريات:٥٦].

فإن قلت: إن إبليس لما أُهبط إلى الأرض أمره الله تعالى بأوامر ذكرها في قوله: (**وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ**) [الإسراء:٦٤]، وامتثل أمر الله، ومن امتثل أمر الله

---

(٦٩٧)

(٦٩٨)

(٦٩٩)

فحقه أن يسعد بدخول الجنة، فكيف يقول له الحق: (لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ) [ص:٨٥]؟

قلت: إن إبليس أرجعه الله تعالى إلى أصله الذي خُلق منه كما يرجع الجسم الترابي إلى التراب في قوله تعالى: (مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ) [طه:٥٥]، فكذلك خلق الله إبليس من النار وفيها يعيده، فما رجع إلا لما تقتضيه حقيقته، وأما من تبعه فما تبعه إلا بغلبة الجزاء الناري على طبعه، والله تعالى قال: (سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ) [الأنعام:١٣٩]، فالجنة وصف أهلها، والنار وصف أهلها، وبهذا المعنى كانت لله الحجة البالغة، وإلا لا يصح التفريع بقوله: (فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ)[٧٠٠] [الأنعام:١٤٩]، فحجته البالغة أن يحكم عليهم بما تقتضيه حقائقهم، فلو لم تقتض حقائقهم دخول النار لكان قوله: (فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ) [الأنعام:١٤٩]، حجة عليه لا له، ولا تكن حجته بالغة؛ لأن الحجة البالغة هي التي تبلغ باطن المحتج عليه، فيسلمها باطنة كما يسلمها ظاهرة، فلو لم تطلب حقائقهم دخول النار والرضا بها والاستلذاذ لكان قوله: (فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ) [الأنعام:١٤٩]، حجة لهم لا لله، غذ لهم أن يقولوا: أنت يا ربنا شئت عدم هدايتنا وأنت الآخذ بنواصينا، ولا قدرة لنا على مخالفة مشيئتك، فكيف تخلدنا في النار، فلو قال لهم: إني فعال لما أريد رضيتم أم أبيتم، يقولون: يا ربنا أنت قلت: (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [النحل:١١٨]، وأي ظلم لنا إذا كانت مشيئتك أن نضل، والأمر بيدك لا بيدنا، فكيف تقول أن لك الحجة البالغة علينا مع قولك: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ) [النساء:٤٠]؟ وما معنى ظلمنا وأنت القائل: (فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ)؟ ولله در من قال:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

فأنت القائل: (إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمًا) [آل عمران:١٧٨]، وقلت: (قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا) [مريم:٧٥]، وقلت: (فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ) [الليل:١٠]، فأنت المملي والممد والميسر، وحينئذ لنا الحجة البالغة، وحل هذا المشكل أن حجة الله البالغة كونه عين خلقه لقوله: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ) [الحديد:٣]، فحجته عين حجة خلقه، والحجة كناية عن كشف كماله الذاتي في كل شيء، وهو معنى قولهم: إن

---

[٧٠٠] وقد أضاف علم البيان وهداية العرفان إلى مشيئته الأزلية، يختص بعلم الإلهام والحجة والبرهان مَنْ يشاء من أهل الإيقان، ومَنْ لم يكن له استعداد رؤيته ومحبته وصلته لم يكن له حجج في أجوبته أهل الحقائق عند مجازاة الدقائق ونشر علوم الغيبة، تظهر لأجنانه حجته ويُبْهم حجته، ويُبْهم على قلوب المتكلفين إلهامه وبيانه.

لله في كل موجود وجهًا خاصًا من ذلك الوجه الخاص لا يفضله نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولذا أخبر الله عن الجميع بقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣].

قيل إن إبليس لما لُعن هام وهاج حتى ملأ العالم بذاته، فقيل: يا لعين، تفعل هكذا وقد طردت عن الحضرة؟ فقال: هو خلعة ألبسني إياها الحق لم يعطها لنبي مرسل ولا لملك مقرب، فبهذا المعنى تظهر حجة الله البالغة، ولاسيما والأمر منه وإليه، وما فضله من الحكم فهو واقع عليه، فحجته البالغة أنك بأوليتك وآخريتك وظاهريتك وباطنيتك عين هويته والسلام، فالهوية هويتك والحجة حجتك، وأنت هو وعن هذا المعنى أفصح الغوث الجيلي فقال رضي الله عنه:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجوا فضله أو فاخشاه

ولو لم تكن عينه ما كان عند ظنك كما قال: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[٧٠١] ولو لم تكن أنت الحق ما كان ظنك حقًا، فالظان هو والمظنون هو وإليه يرجع الأمر كله ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].

وارد الصلاة المحمدية.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٧٠٢] وقال لمن أساء صلاته: « **ارجع فصل فإنك لم تصل**»[٧٠٣] وقال: «**حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٧٠٤] وفي رواية: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٧٠٥].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن قوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٧٠٦] حجة على الزنادقة والباطنية الملحدين الأحكام الظاهرة، فيقولون: المراد بالصلاة صلة العارف بربه، فمتى عرف أنه عين ربه فلا تجب عليه الصلاة الظاهرة، وإنما الصلاة في حق العارف عبارة عن المشاهدة، فيزعمون أن العارف غير مكلف بالصلاة الظاهرة ذات الركوع والسجود، بل صلاته باطنة، ومنهم من يقول: الصلاة في حق العارف تشريف لا تكليف؛

---

(٧٠١)

(٧٠٢)

(٧٠٣)

(٧٠٤)

(٧٠٥)

(٧٠٦)

لأن العارف عرف أنه هو وهو تعالى لا يحجب عليه شيء، فهي تشريف لا تكليف، ولا أدري ما مرادهم بالتشريف، هل مرادهم أن العارف يتشرف بالصلاة أو أنه يُشرِّف بصلاته الصلاة، فيجعل لها قدرًا وشرفًا بين الناس، فلعمري هذا رسول الله ﷺ قد قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٧٠٧) ولم ينقل عنه أنه حاد عن هذه الصلاة الظاهرة ولو في وقت واحد، وكذلك الخلفاء الأربعة بعده، وكذلك أصحابه الكرام لم ينقل عن واحد منهم أنه قال: تسقط هذه الصلاة الظاهرة عن أحد من خلق الله، فما رأى الناس من رسول الله ﷺ أنه ترك هذه الصلاة الظاهرة في وقت من الأوقات، إلا أنه امتاز عن غيره بأن قرة عينه مجعولة في هذه الصلاة المعلومة، فلو قالوا: إن قرة العين النظر، فقرة عينه نظره لربه، قلنا: مسلم ولكن جعل قرة عينه في صلاته الظاهرة، ولم يجعلها خارج الصلاة، فلا أدري أي شيطان أخبرهم بأن صلاة العارف تشريف لا تكليف، على معنى أنه لا يجب عليه الصلاة الظاهرة، وإن أراد هذا القائل بقوله: صلاة العارف تشريف لا تكليف، إن العارف لا يجد في صلاته كلفة ولا مشقة بل له فيها راحة ونعيم ولذة، فهذا مسلم وموافق لقوله ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»(٧٠٨) ويحتمل قوله ﷺ: «**أرحنا بها**» معنيين: الأول: من الروح، أي: الرائحة، والثاني: من الراحة، فالمعنى أن يكون: أشمِمنا رائحتها الطيبة، واجعل لنا بها راحة من سماع كلام من يكثر علينا اللفظ والحديث فيما لا يعني، فلو قالوا: إن الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج:٢٣]، والصلاة الظاهرة، لا تدوم فعلمنا أن الذين هم على صلاتهم دائمون هم أهل المشاهدة، فثبت أن الصلاة معناها مشاهدة الله تعالى، قلنا: من أين لهم دليل أن من حصلت له مشاهدة الحق تسقط عنه الصلاة الظاهرة ذات الركوع والسجود؟ بل إن هذه الصلاة الظاهرة تاركها كافر، وقد حل دمه وماله، وأما مشاهدة الحق فهي روح الصلاة والقيام والركوع والسجود وجسمها، والروح بلا جسم ظاهر لا تعرف ولا يظهر لها أثر، فلذلك أتى الأمر الإلهي بإقامة الصلاة، أي: بإنشائها روحًا وجسمًا فلا ينقرها نقرة الغراب.

وقد ورد الحديث الشريف «**بأن المرء ليس له من صلاته إلا ما عقل**»(٧٠٩) فبعض المصلين لهم قلوب لا يعقلون بها مع أنهم في حضرة الله ومناجاته، كما ورد أن المصلي يناجي ربه فترى عقولهم وهم في الصلاة عند دراهمهم ودنانيرهم أو في حوائج بيوتهم،

---

(٧٠٧)

(٧٠٨)

(٧٠٩)

يقولون: إياك نعبد خطابًا لربهم بلسانهم فقط، وأما القلب فهو عند درهمه وديناره، فهو المقصود عنده بقوله: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) [الفاتحة:٥]، فاللسان في وادي والقلب في وادي آخر، ولكن هذا على كل حال خير ممن يزعم أنه عارف بالله، ويترك الصلاة الظاهرة رأسًا.

ومن رحمة الله جلَّ وعلا قوله: (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**) [الماعون:٤، ٥]، ولم يقل: في صلاتهم ساهون، وإلا لهلكنا، فالويل لمن سها عنها رأسًا ولم يصلها إلا لمن سها عنها رأسًا، فلا يجبره شيء سوى التوبة النصوح والقضاء، ويجب السجود على من سها في صلاته، قال ﷺ: «**لكل سهو سجدتان بعد السلام**»[٧١٠] فقوله: «**لكل سهو**» يتناول أي سهو كان، ظاهرًا كان السهو أو باطنًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لكل سهو**» والسهو كما يتناول السهو الظاهر يتناول السهو الباطن، ولكن هنا دقيقة ما صح أن رسول الله ﷺ: «**سجد له قبل السلام**»[٧١١] فسجد له قبل السلام، ولا ينافي ذلك سجودنا للسهو الباطني بعد الخروج من الصلاة، وما صح أنه سجد له بعد السلام فيكفينا السجود بعد السلام حينئذ للسهو الظاهري والباطني.

فإن قلت: يلزم على كلامك أن يواظب الإنسان على سجدتين بعد كل صلاة؛ لأن الإنسان في صلاته لا يخلو عن نوع من أنواع السهو، وقد قلت: إن قوله ﷺ: «**لكل سهو**» يعم جميع أنواع السهو، فهل وافقك أحد من الأئمة على ذلك؟ قلت: نعم، فعله أهل بيت رسول الله كسيدنا زيد الذي صلب عريانًا خيفة من أعدائه الباغين أن يجُعل خليفة، وقد نسجت العنكبوت على عورته كرامة له في سترها كما نسجت على جده ﷺ في الغار، وهذا السجود متوارث عنه جيلاً بعد جيل إلى زماننا هذا وهو سنة ستة وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة نبينا محمد ﷺ.

فإن قلت: إن زيدًا ﷺ الذي تعنيه هل هو حسني أم حسيني؟ وهل هو من الأئمة الاثنى عشر أم لا؟ وما قصته حتى صلب عريانًا؟ ومن الذي صلبه؟

قلت: رأيت في كتاب «حياة الحيوان» للدميري ـ رحمه الله ـ في الكلام على العنكبوت أن العنكبوت نسجت على رسول الله ﷺ في الغار، وكان معه الصديق ﷺ، والقصة مشهورة ونسجت أيضًا على الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس ﷺ لما بعثه النبي ﷺ لقتل خالد بن نبيح الهذلي بالعرنة فقتله، ثم احتمل رأسه ودخل في غار فنسجت عليه

---

(٧١٠)

(٧١١)

العنكبوت، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئًا فانصرفوا راجعين، وكَتَب المصحح في الهامش أن المقتول سفيان بن خالد الهذلي، ثم إن عبد الله بن أنيس خرج من الغار فسار إلى النبي ﷺ والرأس معه، فلما رآه النبي ﷺ قال: «**قد أفلح الوجه**»(٧١٢) قال: وجهك يا رسول الله، ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر، فدفع له النبي ﷺ عصا كانت بيده وقال: «**تخطر بهذه في الجنة**»(٧١٣) فكانت عنده إلى أن حضرته الوفاة، فأوصى أهله أن يدفنوها في كفنه ففعلوا، وكانت مدة غيبته لقتل الرجل ثمان عشرة ليلة، قلت: وهذه القصة مشهورة ومذكورة في «المواهب اللدنية» للحافظ ابن حجر العسقلاني، فلتراجع.

ويستفاد منها أن عبد الله بن أنيس هو وعصاه التي أخذها من النبي ﷺ انتقل هو وإياها بجسمه وروحه حسًا إلى الجنة؛ لأن الروح من دون جسم لا تحمل العصا، ولا تخطر بها في الجنة، فهو ممن قضى نحبه ولا ينتظر قيامة غيره، ولا بعث غيره بل هو من السابقين إلى الجنة، ولو كانت الناس في الدنيا، ثم قال صاحب «حياة الحيوان» وفي «الحلية» للحافظ أبي نعيم عن عطاء بن ميسرة قال: نسجت العنكبوت مرتين على نبيين: على داود عليه السلام حين كان جالوت يطلبه، وعلى النبي ﷺ في الغار، في تاريخ الإمام الحافظ أبي القاسم بن عساكر رضي الله عنه: إن العنكبوت نسجت أيضًا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم أجمعين لمَّا صلب عريانًا في سنة إحدى وعشرين ومائة، فأقام مصلوبًا أربع سنين، وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة، ثم أحرقوا خشبته وجسده رحمه الله، وكان قد بايعه خلق كثير، وحارب متولي العراق يوسف بن عمر بن عم الحجاج بن يوسف الثقفي فظفر به يوسف ففعل به ذلك، وكان ظهوره في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان، ولما خرج أتاه طائفة كثرة من أهل الكوفة وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك فأبى رضي الله عنه، فقالوا: إذن نرفضك، فمن ذلك سُمّوا الرافضة، وأما الزيدية فقالوا: لا نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما، وخرجوا مع زيد فسموا الذيدية، وروى زيد عن أبيه زين العابدين رضي الله عنه وجماعة، وروى له أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه. انتهى.

فعلى هذا زيد رضي الله عنه من علماء الحديث المجتهدين، ومن أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، وأما الأئمة الاثنى عشر ـ رضوان الله عليهم ـ فقد تشرفت في نظم أسمائهم فقلت:

لآل رسـول الله مجـد مؤثـل هـم السـادة الأطهـار آل محمـد

---

(٧١٢)

(٧١٣)

بـــروج أمــــان الله أهـــل وداده وعُـدّتهم عشـر كـذا اثنـان فاعـدد
علـى أخـو المختـار علمًـا وحكمـة وزوج إلـى الزهـراء بصـفة أحمـد
كـذا حسـن الأفعـال نجلهمـا الـذي هـو السـيد المنصـان أكـرم بسـيد
وحيّـا حسـينًا بالكرامــة والحيـاء شهيد حوى في الخلد أعذب مورد
لقـد قبَّـل المختـــار جـوهر ثغـره فيـــاليتني هـــذا المقبـــل أفتـــدي
أتانـــا بـــزين العابـــدين علـــيهم إمـام رداء الزهـد والعلـم يرتـدي
وزيـن بصـبح النـور بـاقر ظلمـة حبانــــا ســـميا للنبـــي محمـــد
ومن سر هذا جعفر الفضل صادق إمـــام لـــدين الله قـــدوة مقتـــد
بدا منه موسى كاظم الغيظ محسن عفّـو عـن الـزلات أكـرم منجـد
علـي الرضـا منـه انجلـى بفضـائل بنـور سـناها يكتسـى كـل فرقـدي
لو أوتر الاثنين من عَليْن باسمه فـأكرم بـه مـن ثالـث ماجـد نـدي
حبانـا ضـياء وجـه الجـواد محمـد فياحبـــذا وجـــه الجـــواد محمـــد
ومـن جـوده الهـادي علـي مولـد وذا رابـع العـالمين طيـب مولـد
بدا حسن الأوصاف من كنز صلبه هـو العسـكري سلطان عـز ممجـد
ومنـــه ختـــام الأوليـــاء محمـــد هو السيد المهدي من صلب أحمد
إلا أنــــه شـــبه النبـــي محمـــد بخلـــق وخلـــق قـــامع كـــل معتـــد
فخـــذهم مـــلاذ للشـــدائد كلهـــا أئمــة ديــن الله أقمــار مهتـــدي
علـيهم مـع الهـادي صـلاة زكيـة وأبهـى سـلام زاهـر متيسـر مـد
وذريــــة جمعًــــا وآل قرابـــة لســـيدنا بـــدر الكمـــال محمـــد
كذا الخلفاء عن سيد الخلق أجمع وصـــحب وأتبـــاع وأهـــل تـــودد

حديث سجود السهو: روى الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ في «مصابيح السنة» عن أبي هريرة ﷺ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فسلم في ركعتين فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وفي القدم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل وفي يديه طول يقال له ذو اليدين، قال يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: كل ذلك لم يكن، فقال: **قد كان بعض ذلك،** فأقبل على الناس فقال: **أصدق ذو اليدين؟** قالوا: نعم، فتقدم فصلى ما ترك ثم سلَّم ثم كبَّر وسجد مثل

سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبَّر ثم كبَّر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع وكبَّر، وقال عمران بن حصين ثم سلم[٧١٤]. انتهى الحديث.

أقول سمعت بعض النساء من الذاكرات المتعبدات وهي تقول قول النبي ﷺ: «**كل ذلك لم يكن هو الحق**»[٧١٥] أي: لا قصَّرت الصلاة ولا نسيت، بل إنما ذلك عبارة عن تجلي إلهي يشير به إلى سفره الباطني من حضرة كل يوم هو في شأن، وذلك سفر ينتقل به في المشاهد الإلهية، فقصر صلاته ظاهرًا لعنوان سفره الباطن، فلم تقصر الصلاة في حق العموم ولم ينس، بل ذلك تجلي إلهي في ذلك الوقت خاصة فهو صادق ﷺ في قوله: كل ذلك لم يكن؛ إذ له إطلاق في التجليات، ولماَ اعترض ذو اليدين ورأى خفاء هذا المشرب عاد إلى مراعاة الظاهر؛ لئلا تتشوش القلوب، فأتم وسجد للسهو ﴿**قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشۡرَبَهُمۡ**﴾ [البقرة:٦٠].

هذا كلامها ـ رحمها الله ـ ومقصودها: تصديق النبي ﷺ في قوله: «**كل ذلك لم يكن**»[٧١٦] وأنه ﷺ ما نطق إلا بالحق ولم يكن ناسيًا بحكم قوله: «**كل ذلك لم يكن**» ثم أن تلك المرأة التفتت لي وخاطبتني سرًا فقالت: إن النبي ﷺ أشار بقوله: «**كل ذلك لم يكن**» إلى مشهد حقيقة: «**كان الله ولا شيء معه**»[٧١٧] ولا يخفى أن هذه الإشارات مقبولة عند علماء الباطن بشرط عدم الخروج عن الحكم الظاهر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد المنة فيمن دخل الجنة

روي في «مصابيح السنة» عن النبي ﷺ أنه قال: مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: «**لأنحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم فُأدخِل الجنة**»[٧١٨] وقال أيضًا ﷺ: «**رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس**»[٧١٩].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن هذا الرجل أماط الأذى عن الطريق فدخل جنة إماطة الأذى بنص رسول الله ﷺ، فهو ممن قضي نحبه فلا ينتظر صحبه، فهو من السابقين المقربين في

---

(٧١٤)

(٧١٥)

(٧١٦)

(٧١٧)

(٧١٨)

(٧١٩)

جنات، وأسبق منه من أماط أذى الشرك عن طريق التوحيد، فقال: لا إله إلا الله، واعلم أن القائل هو الله بلسانه، كما قال ﷺ: «**إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده**»[٧٢٠].

واعلم ـ رحمك الله ـ أن السالك في طريق التوحيد لابد له أن يميط الأذى عن طريقه، ولا أذى أعظم من الشرك، فمن أماطه ظاهرًا وباطنًا فقد حصل على التوحيد بل هو بنفسه عين التوحيد.

ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٧٢١] وكل ما يخالف الشرع المطهر فهو أذى في طريق توحيد لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه دخل جنة المعارف الإلهية وتصرف تصرف الحق فيقول للشيء: **﴿كُن فَيَكُونُ﴾** [البقرة:١١٧]، فيعود توحيد لا إله إلا الله عليه قال ﷺ: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**»[٧٢٢] وقال تعالى: **﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾** [النجم:٣٩]، فلا تضع نفسك أيها الأخ الحبيب وتقول كما قال القائل: أضاعوني وأي فتى أضاعوا.

وافهم إشارة الحق في قوله: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾** [المؤمنون:١١٥]، والمراد بالخلق: تجلي اسمه الظاهر في المرتبة الكونية من بطون الكنزية، وذلك ليس بالعبث؛ لأنه ظهور الله تعالى، فمن تحقق بحقيقة لا إله إلا الله فقد رجع الأمر إليه، ودارت الكلمة الطيبة عليه.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن كلمة لا إله إلا الله تجمع علم الفناء وعلم البقاء، ولهذا كانت أفضل ما قاله النبي ﷺ والنبيون من قبله كما ورد، وبيان ذلك أن الشرك ثلاثة أقسام كما أن التوحيد أيضًا ثلاثة أقسام، فمن فني عن شرك الأفعال حصل له توحيدها، ومن فني عن شرك الذات حصل له توحيدها، (فلا إله) تفنيك و(إلا الله) تبقيك، فإذا أفنتك (لا إله) وأمطت أذى شركك في أفعالك وصفاتك وذاتك وثبت (إلا الله) كانت الأفعال والصفات والذات له بك فتحصل على أعلى شعب الإيمان وذلك إيمان الله بشهادة التوحيد الذاتي في عين ذاتك، فتظهر فيك حقيقة **﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾** [الحديد:٣].

---

(٧٢٠)

(٧٢١)

(٧٢٢)

وهذه الحقائق الأربعة لا تنطبق إلا على الإنسان عند الإنصاف، فهو صاحب الأمانة، وفيه الأمانة وهو حاملها وصاحبها، وعينها وليست الأمانة سواه؛ إذ لا سواه ولا يدري ذلك، ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [يس:١٧].

فتعجب الله من كفره حيث كفر التوحيد بالشرك، ولم يمط الأذى عن نفسه، فلابد من قتله بسيف الفناء؛ ليبدو له من نفسه توحيد البقاء، (فلا إله) تميته، و(إلا الله) تحييه بالتجليات الثلاثة:

تجلي توحيد الأفعال، وإليه الإشارة بقول شرف الدين عمر بن الفارض ﵁:

لســـتُ أنســـى بالثّنايـــا قولَهـــا   كل مَن فـي الحيّ أسرَى فـي يَدي

إذ الأسر من خصائص الأفعال، وكون كل من في الحي في يديها يقتضي أنها هي المحركة والمسكنة، وهو مشهد: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم.

التجلي الثاني: تجلي الصفات وإليه الإشارة بقول سلطان العاشقين:

سَـــقَمِي مِـــنْ سُـــقْم أجفـــانِكُمُ   وبِمَعْسُـــول الثنايـــا لـــي دُوَيْ

فيظهر أن مراده بالأجفان: الأسماء والصفات، وبالسقم: ما يحصل له من آثار سقم تلك الأجفان، وسقمها كناية عن جلالها؛ إذ حالة السقم جلال كما لا يخفى وليس دواء ذلك الجلال إلا معسول الثنايا الذي هو الرضاب الحالي، الذي هو كناية عن الجمال الإلهي الشافي بارتشافه، الذي هو قبول تجليه داء الجلال والجلال والجمال من قسم الأسماء والصفات.

التجلي الثالث: تجلي الذات، وإليه الإشارة بقول سلطان العاشقين أيضًا:

لـــم يَرُقنـــي مَنْـــزِلٌ بعـــدَ النّقَـــا   لا ولا مُسْتَحْسَـــنٌ مِـــنْ بَعـــدِ مَـــي

لأن المنزل جوهر لا عرض؛ لأنه حقيقة قائمة بنفسها بخلاف الأسر فإنه فعل الفاعل وبخلاف الجلال والجمال فإنه وصف، والمراد بالنقاء فيما يظهر لي هو الإنسان الكامل، الذي هو الذات المنسوب لها الفعل والوصف، والإنسان الكامل باعتبار ظاهره هو النقاء؛ لأنه صورة محمد ﷺ النقية بالعصمة الإلهية عن كل أذى، فهي مظهر أعلى شعب الإيمان الذي هو توحيد لا إله إلا الله، وأما المراد بميّ فهو باطن الذات الإلهية، التي هي غيب ذلك النقاء الصوري، فالإنسان الكامل ﷺ أول كل أول بمعناه، وآخر كل آخر بمجلاه، وظاهر كل ظاهر بصوره، وباطن كل باطن بسوره، فهو الكل وممد الكل وعين الكل، فلهذا لم يرق منزل سواه؛ لأنه مجلي حقيقة لا إله إلا الله، فهي مرتبة تدانيه المعبر عنها بميّ.

وقولنا: محمد رسول الله، نדليه المعبَّر عنها بالنقاء؛ لأن كل صورة في نقية عن الغير، بل هي شهادة النور المحمدي وظاهره، كما أن ميّ وهي كنه الذات باطنه، فهو الشجرة الوجودية الطيبة وثمرتها المباركة اليانعة، وهذا المعنى مرجع قوله ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[٧٢٣] حتى أن فواتح السور القرآنية كلها إشارة إلى معانيه الذاتية.

وحيث إن سليمان ﵇ أخبر عن نفسه كما حكى الله عنه من قوله: ﴿**إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ**﴾ ﴿**وَإِنَّهُۥ**﴾ أي: إن سليمان ﴿**بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [النمل:٣٠]، فقد تحقق بهذه الأسماء الثلاثة.

فلا عجب أن يكون محمد ﷺ أوتي جوامع الكلم، فهو جامع كلمات الله التي لا تَنفد، وسليمان بل آدم وذريته بل عالم القدس وعالم النفس وعالم الجسم كله مندرج في كلمات الله، التي هي جوامع الكلم، فهو مرجع تسبيح الملأ الأعلى وتقديسهم بقولهم: ُقدوس سُبوح رب الملائكة والروح؛ لأنه ذو المعارج، ومن أعمال مظاهر نوره الأقدس تعرج الملائكة والروح إليه، وإلى هذا المعنى أشار الكامل البوصيري ﵁:

لَـكَ ذات العُلـوم مِـن عـالم الغَيــ ـــبِ وَمِنهـــا لآدم الأســـماء

ولقد ورد عليّ معنى من قوله ﷺ: «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[٧٢٤] أطرَبني طربًا لو قسم على الخلائق لوسعهم، وستأتي الإشارة إليه في الوارد الذي يأتي إن شاء الله تعالى: وارد أهل البيت الأمجد في أنهم عين النبي محمد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[٧٢٥].

اعلم أن طهارة أهل البيت وكونهم أمانًا للأمة هو أنهم عين محمد ﷺ المنزل عليه ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ**﴾ [الأنفال:٣٣]، وقد أخذت هذه الإشارة من قوله ﷺ: «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[٧٢٦] وذلك أن كلمة أمان بحساب الجمل عددها اثنان وسبعون، وذلك عين عدد اسم محمد ﷺ، فكأنه يقول: أهل بيتي محمد لأمتي، أي: هم أنا لأمتي، وهذا المعنى هو مرجع قوله جلَّ وعلا: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا**﴾ [الأحزاب:٣٣]، وحيث إنهم هو، وهو معصوم من الرجس مطهر، فهم معصومون من الرجس، مطهرون عند الله، فقد زدنا على الطائفة الإمامية بقولهم: الأئمة

---

(٧٢٣)

(٧٢٤)

(٧٢٥)

(٧٢٦)

الاثني عشر هم المعصومون فقط، وهذا نظر قاصر، ومحبة ناقصة في حق أهل البيت النبوي؛ لأن هذا المشهد وهو أنهم جميعًا إلى قيام الساعة هم عين جدهم، فجسمهم جسمه، ومعناهم معناه لم يذق طعمه الإمامية ولا غيرهم إلا من أخرجه الله من الظلمات إلى النور، ولا معنى لطهارتهم من الرجس، إلا كونهم ذات النور المحمدي حسًّا ومعنى، والنور المحمدي معصوم من كل رجس، فلو ملئوا أطباق السماوات والأرض من الأمور التي تسمى ذنوبًا فهم الطاهرون بنص القرآن العظيم.

ولذا قال سيدي علي الخواص: لو رأيت الشريف داخلاً على أهلي لا أتغير هكذا هكذا، وإلا فلا لا طرق الجد غير طرق المحال، وقد تقدم لي نظم أسماء الأئمة الاثني عشر رضوان الله وسلامه عليهم في وارد: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٧٢٧) فلا حاجة إلى إعادة ذلك هنا، وإذا كان مقام أهل بدر ﷺ ما أخبر عنه ﷺ لبعض أصحابه: «**وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: يا أهل بدر، اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٧٢٨).

فما بالك بأهل البيت بيت رسول الله ﷺ الذي أخبر الله تعالى عن نفسه أنه يريد أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا، ولعلك تقول: لَم لم يقل تعالى: إنما أراد الله وإنما أردت بصيغة الماضي؛ لأنه أبلغ في التحقيق؛ لئلا يتوهم أنه أراد ذلك بمن كان في زمنه خاصة، فأتى بصيغة الحال والاستقبال؛ ليفيد أن الأمر مستمر دائم إلى قيام الساعة، فتنسحب الإرادة على كل من ظهر منهم أو يظهر إلى قيام الساعة حتى نستفيد دخول جميعهم في هذا التعظيم والتكريم بدون أن يشذ فرد منهم عن هذا الحكم، ويقوي ما قلناه قوله ﷺ: «**إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب**»(٧٢٩) أو قال: «**في ظهره**»(٧٣٠) أو «**وجعل ذريتي في ظهر علي**»(٧٣١) والمعنى واحد، فذرية عليٍّ - سلام الله عليه- إلى قيام الساعة وخراب الدنيا هم ذرية محمد ﷺ، فظهر عليّ - كرم الله وجهه - له حكم ظهر محمد ﷺ في تقديسه، وطهارته والطاهر لا يخرج منه إلا الطاهر فأهل البيت وذراريهم طاهرون أبد الآباد، فالصلاة عليهم عين الصلاة على محمد ﷺ؛ لأن الشجرة بأصلها وفروعها وأغصانها وأوراقها وأثمارها واحدة.

---

(٧٢٧)

(٧٢٨)

(٧٢٩)

(٧٣٠)

(٧٣١)

وقد أشار ﷺ لذلك في تظليل العباءة عليه وعلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين فهم خمسة أركان الدين باطنًا، كما أن أركان الدين ظاهرًا خمسة، والعجب كل العجب من القاضي عياض رحمه الله حيث قال في كتابه «الشفاء» في شمائل المصطفى ﷺ، وشذ الشافعي في إيجابه الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير في الصلاة قبل السلام، وقد اختلف الأئمة، هل أوجب الشافعي الصلاة على الآل أيضًا؟ والصحيح أنه أوجب الصلاة عليهم أيضًا، وغفل القاضي عياض عن قوله ﷺ: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»[٧٣٢].

وما أحسن قول من أوجب الصلاة والسلام عليه كلما ذُكر، حتى يخرج من تسمية النبي له بالبخيل، ولا يجتمع شح وإيمان، وأما إيجاب الصلاة على آله ﷺ فافتراض ذلك من القرآن العظيم من قوله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ**﴾ [الشورى:٢٣]، وإجابة سؤال النبي ﷺ فرض، وليس من المودة أن نترك الصلاة عليهم، فالشافعي ﷺ ما أوجب ولكن الله أوجب، وقد أفصح الشافعي ﷺ عن هذا المعنى بقوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يُصل عليكم لا صلاة له

فأشار الشافعي ﷺ بقوله: (فرض من الله) لآية: ﴿**قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ**﴾ [الشورى:٢٣]، والشافعي ﷺ مجتهد مطلق، أذعن له الإمام مالك برتبة الاجتهاد المطلق، وأذن له بالإفتاء من صغر سنه، والإمام مالك متبوع للقاضي عياض، والقاضي عياض أسير التقليد، فما له وللإمام الشافعي ينتقصه بقوله: وشَذّ الشافعي، وقد احترمه مالك الذي هو شيخه رضي الله عنهما، وما كان حق القاضي عياض إلا أن يقوي قول الشافعي؛ لأن مبنى كتابه على تعظيم رسول الله ﷺ فنسي القاضي شيئًا ما نسيه أحد، فنسيانه نظير نسيان من أراد أن يقص لحيته من تحت فقصها من فوق.

وليس لنا أن نعترض على المجتهدين بعد أن قرر رسول الله ﷺ حكمهم سواء أصابوا أم أخطئوا، والشافعي ﷺ ممن أطبق سائر الأئمة على اجتهاده المطلق وعلى اعتقاد غزارة علمه وسعته ومعرفته بدقائق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فما أعظم فضول مقلد يقدح في حق مجتهد مطلق عظمه مثل الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأمثالهم من الأئمة ﷺ أجمعين! فما وقف من ينتقد على هؤلاء السادات مع قوله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا**

(٧٣٢)

يعنيه»[٧٣٣] وحيث إنا نسلم قول الإمام أبي حنيفة ﷺ في قوله: ينفذ حكم الحاكم ظاهرًا وباطنًا حتى أن شاهد الزور إذا شهد على رجل أنه طلق زوجته وحكم الحاكم بمقتضى شهادته بطلاقها منه نفذ الحكم ظاهرًا وباطنًا، حتى أنه يجوز لمن شهد زورًا على طلاقها أن يتزوجها بعد ذلك بمقتضى حكم الحاكم، وهو يعلم نفسه أنه شهد زورًا، أفلا نسلم للشافعي إيجاب الصلاة والسلام على محمد وآله ﷺ في تشهد الصلاة الأخير قبل السلام، ولو كان القاضي عياض ـ رحمه الله ـ مجتهدًا مطلقًا لقيل له حين قال: وشذّ الشافعي ما قاله الشاعر:

كَضَرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِها   حَسَدًا وَبَغيًا إِنَّهُ لَدَميمُ

ولكنه أسير التقليد، ولله در من قال:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه   أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولما كان الإمام الشافعي ﷺ مغرمًا هائمًا في حب آل الرسول ﷺ اتهم بالرفض فأنشد ﷺ:

إن كان رفضي حب آل محمد   فليشهد الثقلان أني رافض

فإن قلت: قد ذكرت أن أهل البيت ـ قدس الله أسرارهم ـ أذهب الله عنهم الرجس، والرجس القذر، ولا أقذر من الذنوب والمعاصي، فلو وقع من أحدهم ما يسمى في الشرع معصية هل تسميه عاصيًا أم لا؟

قلت: نعم أطلق عليه اسم المعصية كما أطلقها الله على آدم في قوله: **﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾**[٧٣٤] [طه:١٢١، ١٢٢]، فآدم بعد أن عصى اجتباه ربه فتاب عليه وهدى، وأهل بيت رسول الله ﷺ أذهب عنهم الرجس

---

(٧٣٣)

(734) عصيان آدم الرجوع من الأصل إلى الفرع ومن مكاشفة إلى الجنة، والميل من طريق الأمر إلى طريق النهي، ولو سلك طريق الأمر ليكشف الحق سبحانه ما كان في الشجرة بغير عصيان؛ لأن في بساتين غيبه مائة ألف ألف شجرة غيبية مملوءة حاملة من علوم الأسرار، ولكن سلبته صولة المحبة، وتعجيل الاشتياق أكل من شجر القدم، وصار سكران في وادي الأزل يكشف علم الأزل له فطلع على الجنان، وكاد يفشي سر السر وغيب الغيب، ويشوش أحوال الجنانين؛ فأخرجه الحق إلى حبس الدنيا، وحبس لسانه عن إفشاء سر القدم والبقاء؛ فكان اصطفائيته الأزلية مصحوبة زلته، فاستهلكت الزلة في الاصطفائية، وزاد عليها اجتبائيته الأبدية التي لا تغيرها حوادث الدهور.

وطهرهم تطهيرًا قبل المعصية، فلا تناط بهم المعاصي عند الله، وإن أطلقت في الظاهر عليهم حتى أن الحدود الشرعية تقام عليهم، والديون تؤخذ منهم، ولكن مقالاتهم عند الله الطهارة، فلو وقعوا في المعاصي فوقوعهم فيها كوقوع الخليل ﵇ في النار مع أنها عليه برد وسلام، فهكذا وقوع أهل البيت في الآثام، يقول قائلهم:

ألقنـــي فـــي لظـــى فـــإن أحـــرقتن فتـــيقن أن لســـــت باليـــــاقوت

وهذا المعنى لا ينافيه قوله ﷺ: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[٧٣٥] لأن ذلك حكم الاسم الظاهر، وما ذكرناه من منزلة أهل البيت هو حكمهم عند الله في باطن الأمر.

ألا ترى أن ماعزًا ﵁ أقام عليه الحد رسول الله ﷺ وما قبل ذمه، فأهل البيت لا يجوز ذمهم ولا الطعن فيهم بتعاطي المعاصي ولو أقيمت عليهم الحدود، فإقامة الحدود عليهم مع أنهم داخلون مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى: (**لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**) [الفتح:٢]، من قبيل الأمراض والمصائب التي تصيبهم في الدنيا، فهي عندنا درجات وعند الجاهلين بمقامهم عند الله تكفير سيئات، وإذا كان الله تعالى يعتق من النار من اسمه محمد كرامة لمحمد ﷺ فكيف لا يعتق من النار من هو من آل بيت محمد كرامة لمحمد ﷺ! بل الله يعتق من النار موالي أهل البيت لقوله ﷺ: «**مولى القوم منهم**»[٧٣٦] وفي رواية: «**من أنفسهم**»[٧٣٧].

ولذا قال الشيخ الأكبر ﵁ في «الفتوحات المكية» في الكلام على أهل البيت: والله يا أخي لو كُشف لك عن منازلهم عند الله لتمنيت أن تكون مولى من مواليهم؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**مولى القوم منهم**»[٧٣٨].

فإن قلت: إن رسول الله ﷺ قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[٧٣٩] فعلى هذا قوله تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**) [المائدة:٥٥]، يراد بالذين آمنوا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ فهو عام أريد به الخصوص، مثل قوله تعالى: (**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ**) أي: محمد ﷺ (**إِنَّ ٱلنَّاسَ**) أي: أبا سفيان (**قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ**

---

(٧٣٥)

(٧٣٦)

(٧٣٧)

(٧٣٨)

(٧٣٩)

إِيمَـٰنًا﴾[آل عمران:١٧٣] فلماذا لم يقدموا عليًا للخلافة؟ قلت: عليّ له الولاية الباطنة وإن كان صغير السن وقت الخلافة، فلا يقدح في مقامه كونه لم يتول خلافة السيف الظاهرة، وإن كان بمقتضى ولايته الباطنة أهلاً لها لقوله ﷺ: «**علي مع القرآن، والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض**»[٧٤٠].

ولما علم النبي ﷺ أن الناس ينقادون لأبي بكر ﷺ في الحكم الظاهر أكثر من انقيادهم لعلي ـ كرم الله وجهه ـ قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[٧٤١] فالخلافة الظاهرة لأبي بكر، والولاية والعلم لعليّ كما قال ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»[٧٤٢] بل إنه ﷺ أشار أن عليًا يختلف عليه قومه كما اختلفوا على هارون عليه السلام بقوله لعلي: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[٧٤٣] وقد اختلف القوم على هارون عليه السلام وهذا ابتلاء لعلي ـ كرم الله وجهه ـ من الله؛ ليرفع مقامه كما ابتلى محمد ﷺ فيمن آذوه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته، حتى قال: «**ما أحد أوذي في الله مثل ما أوذيت**»[٧٤٤] وقال : «**اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٧٤٥] فعلي له نصيب من هذا الإرث المحمدي في وقعة الجمل الأزب، تنبحها كلاب الحواب، والأزب كثير شعر الوجه والذقن، والحواب موضع بالبصرة، وإن نقض عهده طلحة والزبير وقاتله معاوية فكل ذلك يشبهه تأويل أعطاه اجتهادهم، وهم في ذلك مخطئون، فيقول علي ـ كرم الله وجهه ـ تأسيًا برسول الله ﷺ: «**اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٧٤٦] أي :لا يعلمون خطأهم هذا من لا يعلم خطأه، وأما معاوية فهو يعلم خطأه، ولكن حب الرئاسة غلب عليه بدليل قوله: هموا بمعالي الأمور فإن الأمور همم فإني هممت بالخلافة ولم أكن أهلاً لها فبلغتها، فعرف نفسه ـ رحمه الله ـ أنه ليس بأهل للخلافة، ولكن **﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾** [الإسراء:٥٨].

ويمكن أن يكون تمسك بقول النبي ﷺ حين كان راكبًا خلفه: «**يا معاوية، إذا وليت شيئًا من أمر هذه الأمة فارفق**»[٧٤٧] وكذلك فعل وقد صلح حال معاوية عفا الله عنه بسيدنا

---

(٧٤٠)
(٧٤١)
(٧٤٢)
(٧٤٣)
(٧٤٤)
(٧٤٥)
(٧٤٦)
(٧٤٧)

الحسن رضوان الله وسلامه عليه حيث نزل عن الخلافة وبايعه، وإلى ذلك أشار ﷺ فقال في حق ابنه الحسن: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٧٤٨] وأما طلحة والزبير فهما أحد العشرة المبشرين بالجنة وأما صاحبة الجمل الأزب وهي عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فهي زوجة النبي ﷺ في الجنة كما ورد ولقد أحسن من قال:

إنــي أحــب أبــا حفـص وشـيعته كمـا أحـب عتيقـا صـاحب الغـار
وقـد رضـيت عليًـا قـدوة علمًـا وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كـل الصـحابة سـاداتي ومعتقـدي فهـل عليًـا بهـذا القـول مـن عـار

والحاصل لولا أن أهل البيت بيت رسول الله ﷺ أمان للأمة لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين.

وارد الإنعام والإكرام وتحويل النار إلى البرد والسلام

روي في «مصابيح السنة» عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب: أخرجوهما، فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: فإن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه بردًا وسلامًا ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب إني أرجو أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني منها، فيقول له الرب: لك رجاؤك فيدخلان جميعًا الجنة برحمته**»[٧٤٩].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن في هذا الحديث الشريف عدة فوائد:

الفائدة الأولى: أن أوامر الله تعالى منها ما يقدمه الاسم المقدم للدنيا ومنها ما يؤخره الاسم المؤخر للآخرة قال تعالى: ﴿**يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ**﴾ [القلم:٤٢]، فبهذه السجدة يتميز المخلص السعيد من المنافق الشقي، وأما أصحاب الأعراف وهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم في الميزان فبهذه السجدة يرجح ميزانهم فيدخلون الجنة، ومن الأوامر المؤخرة ما ورد في هذا الحديث من قوله تعالى: «**فإن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيثما كنتما من النار**»[٧٥٠].

---

(٧٤٨)

(٧٤٩)

(٧٥٠)

الفائدة الثانية: أن إجابة الأمر المؤخر تنفع عند الله؛ لقوله في الحديث: «**فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه بردًا وسلامًا**»[٧٥١].

الفائدة الثالثة: أن الله تعالى يخرق العادة في الآخرة لمن يرحمه، فيجعل النار عليه بردًا وسلامًا، فيكون حاله حال السمندل لا يتأذى من النار، أو حال النعام الذي يلتقم الجمر ويأكله ولا يؤذيه، بل إنه يتغذى به.

الفائدة الرابعة: قوله ﷺ: «**إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما**»[٧٥٢] يفيد أن ذلك الدخول وقع وانقضى وإلا لقال: إن رجلين ممن يدخل النار يشتد صياحهما، فدل ذلك أن الأول لا ينتظر الآخر، وأن كل فرد سائر لا واقف.

الفائدة الخامسة: قوله ﷺ: «**اشتد صياحهما**»[٧٥٣] يفيد أن هذا الدخول دخول حسي حصل منه ألم حسي حتى اشتد صياحهما، وليس هو بعذاب برزخي كعذاب المقام.

ألا ترى إلى ما ورد من أن النبي ﷺ كان جالسًا في المسجد هو وبعض أصحابه فسمعوا هدة عظيمة كأنها الرعد فقال ﷺ: «**إن حجرًا يهوى في جهنم منذ سبعين سنة والآن صار في قعرها**»[٧٥٤] وهذه الهدة صوت ذلك الحجر فخرج من في المسجد، فإذا الصراخ على عبد الله بن أبي سلول المنافق وقد خرجت روحه وقت سماع الهدة، وكان عمره سبعين سنة فهو على فراشه في صورة البشر، وهو عند الله في جهنم في صورة الحجر.

وكذلك أخبر ﷺ أن الخوارج كلاب النار وهم الذين قاتلهم سيدنا علي ـ رضوان الله وسلامه عليه ـ فانتقلوا إلى النار في صور الكلاب، ولو رآهم الإنسان في صور البشر، فرؤية رسول الله ﷺ أصدق، وقد أخبر عنهم ﷺ: «**أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٧٥٥] من استحل قتال علي وابنه الحسين ـ قدَّس الله سرهما ـ كيف يوصف بالإيمان؟! قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]، ومن لم يحكم أهل بيت رسول الله ﷺ الطاهرين من كل رجس،

---

(٧٥١)

(٧٥٢)

(٧٥٣)

(٧٥٤)

(٧٥٥)

المقدسين بالجسم والنفس، فما حكم رسول الله ﷺ ولم يسلم تسليمًا، ولا هو ممن أجاب سؤال رسول الله ﷺ المذكور في قوله تعالى: **﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾** [الشورى:٢٣]، فالعجب كل العجب من أوغاد الرجال، آثروا الكفر على الإيمان حبًا في الرئاسة والمال:

أترجـــو أمــــة قتلـــت حســـينًا شـــفاعة جـــده يـــوم الحســـاب

وحيث إن السادة الحنفية أفتوا بأن من سخر بالعالِم واستهزأ به يكفر، أفلا يفتى بأن من استحل قتال عليّ ـ قدَّس الله سره ـ وابنه الحسين هو من أكفر الكافرين، فالأول قسيم الجنة والنار، وابنه قبَّل فمه رسول الله ﷺ وأخبر «**أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[٧٥٦] وكيف يجترئ الخادم على سيده في مقام السيادة **﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾** [البقرة:١٥٦]، اللهم نبرأ إليك مما فعل هؤلاء الكفرة المعاندون ولولا أنهم أمان الأمة كما أخبر ﷺ وبقي منهم في الدنيا بقية لانفطرت السماوات وزلزلت الأرض وخسفت بهم وانقلبوا من حينهم إلى جهنم وبئس المصير، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

فإن قلت: إن النبيﷺ قال في حق الرجلين: «**اشتد صياحهما**» وحيث أنه تعالى أمر بهما بعد ذلك إلى الجنة يدل أنهما من أهل التوحيد الذين لا يخلدون في النار، وقد ورد في «صحيح» البخاري و«صحيح» مسلم أن أهل التوحيد يموتون في النار والصياح الذي وقع من الرجلين ينافي الموت، قلت: الجواب من وجهين:

الأول: إن الميت يصيح وكل شيء يسمع صياحه إلا الثقلين، وقد ورد ذلك في الميت الذي يضربه منكر ونكير في قبره.

والوجه الثاني: إن الرجلين من أهل دخول النار لا من أهل المكث فيها، ولو كانا من أهل المكث فيها لماتا كبقية المؤمنين الموحدين، والحديث الذي رواه البخاري ومسلم في «الصحيحين» أنه ﷺ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فيميتهم الله فيها إماتة**»[٧٥٧].

فإن قلت: ما الفرق بين الموحدين وبين الكفار في النار؟

---

(٧٥٦)

(٧٥٧)

قلت: إن الموحدين إذا دخلوا النار تحترق أجسادهم وتكون حُممًا أي فحمًا ويموتون فلا يحيون، فتبقى أنفسهم في النار ذات وجهين الوجه الواحد هي من جهته في عذاب، وهى كونها ناظرة لحال أجسادها في النار من صورة الحمم، والوجه الواحد هي من جهته في نعيم وهو مشاهدة الأنفس ما أعد الله لها في الجنان من منازل النعيم، وأن ذلك معدود لها حين انقضاء مدة السجن في النار، هذا إن قلنا بأن الله تعالى لم يحجب عن أنفس الموحدين رؤية أجسادها المحترقة، وأما إذا قلنا بأن الله تعالى من رحمته يحجب عن أنفس المؤمنين الموحدين تلك الرؤية يكونون حينئذ بمثابة من يكون جسمه ميتًا يتقلب في الميزان وروحه تشاهد الرياض والجنان، وهذا هو الأنسب في حال المؤمنين الموحدين بخلاف الكفار فإن الله تعالى قال في حقهم: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وأما المؤمن الموحد فما أماته الله في النار ليذوق العذاب ولكن أماته رحمة به؛ لأجل أن لا يذوق العذاب، ولاسيما أمة نبينا محمد ﷺ، فإنها أمة مرحومة.

يروى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل**»[٧٥٨].

قلت: وهذا في حق من مات على الإيمان، نسأل الله حسن الخاتمة، وإلا فقد ورد عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»[٧٥٩] وورد: «**أن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا**»[٧٦٠] وخوف ما يكون في هذا المعنى قوله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٧٦١] وهذا أمر فشا في زماننا وهو التشبه بالكفرة في أغلب الأحوال مع استحسان ذلك من الرجال والنساء، ونسأل الله العافية، وكاد القابض على دينه في زماننا كالقابض على الجمر؛ إذ لا تجد ناصرًا على الحق والدين وإقامة الشرع المطهر إلا النادر من الخواص الذي لا قدرة له على مقاومة عموم الناس، فكاد أن يصير المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والأمين خائنًا والخائن أمينًا، بل الصدق والأمانة وأداء الحقوق قارب أن يكون حديثًا يحدث من دون أن يفعل، والتقوى والصلاح والورع من قبيل الحكايات التي تحكى في

---

(٧٥٨)

(٧٥٩)

(٧٦٠)

(٧٦١)

سطور الأولين، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من علمنا، قال ﷺ من جملة دعائه: «**وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها إنك أنت وليها ومولاها**»[٧٦٢] فنحن أولى أن نطلب ذلك بل هو منه ﷺ تعليم لنا والله الموفق لا رب غيره.

وارد الغزل الرقيق والسر الغامض الدقيق.

اعلم أن النور المحمدي مظهر ذات الله وشهادته الظاهرة من كنز الخفاء، وهو فاتحة كتاب الوجود الإلهي التي هي من كل داء شفاء، فهو ظاهر باطن حضرة الربوبية، وأنت أيها الإنسان مرآة تلك النفس النورانية المحمدية، وكل حقيقة ورقيقة في الوجود من كل شاهد ومشهود، فهو مجلي لتلك النفس المحمدية بمقتضى فهوانيته الأحدية، فالإنسان جوهر جميع العالم وأصله، وكل شيء في الوجود فرعه، على هذه الحقيقة العليَّة.

أشار سيدي داود بن باخلا في قوله: ذاتك مرآة، أي: مرآة النفس المحمدية، وشكل ذاتك مرآة ذاتك، وحيث علمت أن حقيقة النفس المحمدية جوهر نوراني عبر عنه في القرآن العظيم: بالسراج المنير، وأنت حقيقة ذلك السراج وعين ذاته، فذاتك مرآته، وشكل ذاتك، أي: تصورات ذلك النور المحمدي وتشكلاته الصورية والمعنوية من معاني الأسماء الإلهية، ومجاليها الظاهرة بصور الشاهد والمشهود.

فاعلم أن جميع ذلك مرآة ذاتك، فأنت الدنيا والبرزخ والآخرة من جهة الأمر الصوري، وأنت باطن ذلك من معاني الأسماء الإلهية الظاهرة بجميع تلك الصور، فأنت الوجود أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿**فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار:٨]، وقال ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٧٦٣] فالكون كله أصله الإنسان وهو المنشئ من وجه ربوبيته لأنواع صور الجنان والنيران.

ألا ترى قوله ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار كذلك**»[٧٦٤] وذلك لأن الجنة منك والنار منك.

ألا ترى إلى ما ذكره الله تعالى في سورة الزلزلة التي تعدل نصف القرآن كما ورد من قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ**﴾ [الزلزلة:٦]، أي: مؤمنون وغيرهم؛ لأنه قال

---

(٧٦٢)

(٧٦٣)

(٧٦٤)

الناس ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ [الزلزلة:٦]، أي: متفرقين ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة:٦]، أي: ليشاهدوا صور المعاني التي هي أعمالهم، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾ [الزلزلة:٧] أي: مطلقًا، سواء كان مؤمنًا أم كافرًا ﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا﴾ [الزلزلة:٧]، أي موافقًا للشرع، ﴿يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]، أي: يرى ذلك صورًا جنانية تعود عليه ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا﴾ [الزلزلة:٨]، أي: من أعمال الطبع شرًا ﴿يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨]، أي: يرى ذلك صورًا نيرانية.

ألا ترى في الحديث المتقدم في الرجلين أحدهما امتثل أمر الله فألقى نفسه في النار، فهذا الامتثال يصوره الله تعالى له منزلة جنانية يتنعم بها، والآخر قال: رجوت أنك لا تعيدني إلى النار بعد أن أخرجتني منها، فهذا الرجاء المعنوي يصوره الله تعالى له منزلة جنانية يتنعم بها؛ لأنه القائل: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرًا**»[٧٦٥] فكان أيضًا ممتثلاً أمر الله، فما رأى كل منهما إلا الخير الذي عمله، وما عاد عليه إلا عمله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور:١٦]، فعمل الإنسان عين جزائه، وقال تعالى: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ [الأنعام:١٣٩]، وإذا حققت آية الزلزلة المتقدمة ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ [الزلزلة:٦]، علمت أن كل فرد من بني آدم له نصيب من قسم الجمال الجناني، ومن قسم الجلال النيراني، وعن ذلك أفصح الحديث القدسي وهو قوله ﷺ: «**إنما هي**»[٧٦٦] أي: الحقائق الأخروية «**من صور الجمال والجلال أعمالكم أحصيها لكم**»[٧٦٧] أي: في حضرة التفصيل والتمييز «**فأصورها بحسب ما يشاكلها من جمال أو جلال ثم أردها عليكم**»[٧٦٨] فبضاعتكم ترد إلينا، فمن وجد خيرًا ـ والخير هو الوجود الحق الظاهر في جميع الصور والمظاهر ـ فليحمد الله؛ لأنه هو الوجود المشهود، والعارف بالله لا يجد إلا الخير؛ لأن الله جميل يحب الجمال، وحيث أنه جميل فلا يظهر له منه إلا ما يشاكله، وهو الجمال حتى أن جلاله من حيث هو عين الجمال، فقلب العارف إكسير يرفع الناقص لدرجة الكمال، كما وقع لسليمان عليه السلام خيل الشيطان جنة في عالم الخيال ليلبس عليه الأمر فيظنها الجنة الحقيقية، فشهد سليمان أنها مجلى إلهي وصورة حق، فسجد لله شكرًا، فانقلبت جنة محسوسة يتنعم بها، فالسجدة السليمانية هي التي أبرزتها من العالم الخيالي إلى العالم العياني الجمالي، ومن هذا المعنى جنة الدجّال وناره، فمن كفر به أدخله

---

(٧٦٥)

(٧٦٦)

(٧٦٧)

(٧٦٨)

النار وهي في باطن الأمر جنة محجوبة بصورة نار مخيلة، ومن آمن به أدخله الجنة وهي نار محجوبة بصورة جنة خيالية، فمن آمن بالدجّال فهو من الدنيا إلى النار، ومن كفر به فمن الدنيا إلى الجنة، وجنة الدجّال وناره خياليتان، ولكن كفر المؤمن به يجعل ناره عليه جنة حقيقة، والإيمان به يجعل الجنة الخيالية نارًا حقيقة، ولله در سيدي محمد وفا ـ قُدِّس سره ـ حيث قال: الجنة والنار في كل موطن بحسبه.

ولنرجع إلى تتميم الحديث القدسي، ثم قال: «**ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[٧٦٩] أي: لأنه لم يعرف نفسه فلامها، ولو عرفها لعرف به كما قال سيدي داود بن باخلا ﷺ: لو زال منك أنا لاح لك من أنا، قال تعالى: (**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ**) [الأنعام:١٣٩]، فمن كان وصفه الحق فلا يجد غير الحق، ولا يشاهد إلا وجهه وهو الجميل المحب للجمال، فمن رأى الجميل يبصر الجميل فقد تجرد عن مخيط تراكيب الخلق، وأحرم ببسيطه أحدية الحق، قال سلطان العاشقين قُدِّس سره:

ولم أزل منذ أخذ العهد في قدم   لكعبة الحسن تجريدي وإحرامي

ومن تحقق بأحدية الحق فهو صاحب سورة (**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [الملك:١]، ولقد جمع جميع ما قلناه من هذا المعنى حيث قال في كتابه «الأنفاس»: إذا تكاملت المعارف أوجبت معروفها لعارفها، والمعنى: إن العارف يرى أن قوله: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**) [الحديد:٣]، عائد عليه، فلا يبدو شيء إلا منه، ولا يخرج أمر من الأمور إلا عنه، والمعنى: إن جميع ما يبدو له إنما هو صور حقيقته الجامعة، ولذلك أوحى الله إلى داود عليه السلام: إذا وجدت لي طالب فكن له خادمًا، وفي بعض الكتب المنزلة: «**عبدي إذا لقيتني وأنت لي عارف كتبت لك بعدد الأكوان حسنات**»[٧٧٠] أي: لأن النظر لوجه العالم عبادة، فكيف بالنظر لوجه الحق في كل شيء، ولا حسنه أحسن من النظر لوجهه، ووجهه في جميع الأكوان، فالأكوان كلها حسنات العارف، فارتفع القبح والقلب إلى الجمال.

ولله در من قال:

فكل قبيح إن نظرت لحسنه   أتتك معاني الحسن فيه تسارع

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(٧٦٩)

(٧٧٠)

وارد الفرار والطيران في رفع الهمة عن الأكوان.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: (فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ) [الذاريات:٥٠]، وفي معنى ذلك قال سيدي داود بن باخلا رضوان الله عليه: لولا أن الله تعالى قيَّد الأرواح بقيد من ثقلين لطارت إلى الله تعالى طيرانًا، نقل هذه العبارة عنه الإمام الشعراني في «الطبقات» رضي الله عنهما، ثم قال: قلت: ولعل المراد بالقيدين الثقلين: الأمر والنهي، ويعترض على الإمام الشعراني بأن الأمر والنهي ـ وإن كانا قيدين ثقيلين على النفس ـ لا يحجبان الأرواح عن الطيران إلى الله، بل امتثال الأمر، واجتناب النهي، سببان لرفع الحجب، والتحقق بالحقيقة الإلهية، فهما يعينان على الطيران إلى الله، لا أنهما يقيدان، ويجاب عنه: بأن الله تعالى لمَّا توجهت إرادته على الأرواح بامتثال الأمر واجتناب النهي، حكم عليها بالتصور والتشكل؛ لتتقيد بامتثال الأمر واجتناب النهي، فبسبب الامتثال الأمر واجتناب النهي خرجت عن حكم البساطة، ولولا ذلك لتحققت بالوطن الأصلي وهو: الكنه الذاتي وحب الوطن من الإيمان، وموطنها الروح الإلهي المنفوخ منه في آدم، وهو روح القدس، قال تعالى: (نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ) [النحل:١٢]، فالطيران إن تحققها بكنه ذاتيتها فلا يحكم عليها لا أمر ولا نهي ولا اسم من الأسماء ولا صفة من الصفات بل تتجرد عما سوى ذات الحق كما قال بعضهم لما قيل له كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي وهذه حالة الإطلاق التام والطيران الأكبر والفرار إلى الله وهذا غاية ما قدرت عليه من الجواب عن الاعتراض على كلام الإمام الشعراني ﷺ يقول هذا العبد: لعل المراد بالقيدين الثقيلين الدنيا والآخرة ولذلك قال السادات ﷺ في معنى قوله تعالى لموسى ﷺ :(فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ) [طه:١٢]، أي: تجرد عن الدنيا والآخرة (إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى) [طه:١٢]، أي: الحضرة الإلهية التي انطوى فيه النعلان وهما: الدنيا والآخرة، بل جميع الأسماء والصفات بمعانيها القدسية ومظاهرها الصورية، وهذا المعنى من طريق الإشارة الباطنة لا من تفسير الظاهر، قال قائلهم:

وعــن الكــونين كــن منخلعًــا وأزل مـــا بيننـــا مـــن بيننـــا

وسمع أبو يزيد ﷺ فلانًا يقرأ:(مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ)[آل عمران:١٥٢] فصاح وقال: فأين من يريد الله؟ ولذا نقل عنه أنه قال: إن أردت السلامة فسلم على الدنيا، وإن أردت الكرامة فكبر على الآخرة، فطيران الأرواح إلى الله تعالى أن تتجرد وعن مشاهدة الكونين، وأن تتحقق بتوحيد العين، وهو معنى الفرار إلى الله، ومشاهدة الوجه الإلهي في كل شيء، وحيث أن الله قال: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ)

[البقرة:١١٥]، فقد محا وجه الله كل شيء فأين الدنيا وأين الآخرة؟ وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، فالدنيا هو، والآخرة هو، ولا ظاهر إلا هو، لا باطن إلا هو.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن معنى الفرار إلى الله: الفرار من العوائق الشاغلة عن الله، وتلك العوائق هي الدنيا الملعونة إلا ذكر الله وما والاه، فكل ما شغلك عن الله فهو دنيا، حتى قالت رابعة العدوية: مساكين أصحاب الجنة في شغل فاكهون، أشارت لمن قال الله فيهم: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٢]، فرحلوا من كون إلى كون.

قال العارف ابن عطاء الله رضي الله عنه: لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير، والذي انتقل إليه عين الذي انتقل منه، فمن تخلى عن الكونين وهما القيدان الثقيلان، فقد طار إلى الله، ونفد من أقطار السماوات والأرض.

واعلم أن للدنيا أهلاً وللآخرة أهلاً، ولله تعالى أهلاً، فأهل الدنيا لا يصلحون للآخرة، وأهل الآخرة لا يصلحون للدنيا، وأهل الله لا يصلحون إلا لله، ومن صلح لله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فإن أنكر قلبك هذا المعنى وطلبت الدليل فإني آتيك من الحديث القدسي، فإن لم تؤمن به على ظاهره فابك على إيمانك، قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**»[٧٧١] فقوله: التي يمشي بها احترازًا من التأويل، وما بعد بيان رسول الله ﷺ بيان، فالنوافل المشروعة تكشف لك هذا المعنى حتى تتحققه ذوقًا، وعدم التسليم يشهد عليك أنك تارك للنوافل، فكيف بك إذا تركت الفرائض؟ نسأل الله العافية.

فقد شهد الحديث القدسي أن ذات الله عين صورتك الباطنة والظاهرة، فاثبت على الإيمان، فهو أقوى من العيان، ولذا قال عليّ سلام الله عليه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا، فإن كنت مؤمنًا حقًا فالمؤمن لا ينجس، وإلا فالمشركون نجس لا يقربون مسجد التوحيد الحرام أن يدخله سواه، وقد جعل الله لنا جناحين في مقابلة القيدين الثقيلين: الإيمان والعمل المشروع، فمن طار بهما إلى الله فشغله بالله لا بالجنة ولا بفاكهتها، بل هو دنياه وآخرته وجنته وفاكهته، وهو خالد فيه لا فيما اشتهت نفسه.

---

(٧٧١)

وقد أرشدك باب مدينة العلم سلام الله عليه على أمر وراء الجذبة والسلوك، ووراء التجليات والظهورات؛ لأن جميع ذلك يكون على قدرك وعلى حسب استعدادك، وأما الإيمان فهو أعلى؛ إذ المؤمن مرآة أخيه، والله هو المؤمن، فهو مرآتك وليس في المرآة إلا الرائي.

يحــرق بالنــار مــن يمــس بهــا ومــن هــو النــار كيــف يحتــرق

ولذلك قال المحقق الكبير سيدي داود بن باخلا: قلب العارف كالنار لواحة للبشر لا تبقي ولا تذر، ومذهب سيدنا عليّ بن أبي طالب في معرفة الله تعالى أعظم ما يكون، ولذا قال ﷺ: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض**»[٧٧٢].

فاحذر يا أخي أن أراك مع الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم مع أنه الشفاء والرحمة، وقد نصحتك والدين النصيحة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق وما الحق إلا هو، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وارد آدمي.

قال الله تعالى: **﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾** [طه:١٢١]، قال قائل: إن رسول الله ﷺ قال: «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه**»[٧٧٣] حتى قال الشافعي ومالك رضي الله عنهما: ليس على مكره طلاق، وآدم عهد إليه من قبل بقوله: **﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾** [البقرة:٣٥]، فأخبر الله أنه نسى كما قال: **﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾** [طه:١١٥]، أي: عزمًا على المعصية، لا أنه ليس من أولي العزم كما فهمه بعضهم، وحينئذ فلَم لمْ يرفع عنه النسيان اسم المعصية كما رفع عن أمة محمد ﷺ؟ وأيضًا الأنبياء لا يأخذون إلا بظاهر اللفظ، والله تعالى قال: **﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾** [البقرة:٣٥]، ولم يقل: ولا تأكلا من هذه الشجرة، والأكل غير القرب منها، فإن قيل: يلزم من الأكل القرب، يقال: لا يلزمه؛ إذ كم من أكل من شجرة وهو لم يقربها بل غيره يقطف له، فلعله بقطف الغير انتقل الحكم كما انتقل الحكم باللحم الذي أهدته بربرة للنبي ﷺ مع أنه صدقة، والصدقة محرمة عليه، فقال ﷺ: «**هو صدقة على بربرة ولنا هدية**»[٧٧٤] مع أنه

---

(٧٧٢)

(٧٧٣)

(٧٧٤)

أولاً منع الحسن ابن بنته من أكل تمر الصدقة وقال له: «**كخ كخ**»[٧٧٥] وقد أخذ اللحم هدية من بربرة، فلعل آدم تناول من غيره ولم يقرب من الشجرة، وعلى فرض القرب فالناسي غير عاصي، والجواب عن ذلك أن أمر الله بالفعل وأمره بالانتهاء عن الفعل على قسمين:

أمر يكله إلى العبد بأن يفعل أو لا يفعل، وهذا هو الذي يعصى الإرادة الإلهية في الحقيقة هي التي تعصى هذا الأمر، كما قالوا:

يقول لي استقم ويريد مني مخالفة يؤيدها الشهود

ومعصية آدم عليه السلام من هذا القبيل وإذا كان الأولياء يشاهدون المقدور قبل وقوعه، فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإطلاق المعصية على آدم لأجل أن يسري ذلك على بنيه، فتحصل منهم التوبة، والله تعالى يفرح بتوبة عبده، وفي الحقيقة هو التواب أيضًا ولكن إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك.

والأمر الثاني: هو الذي لا يكله الله تعالى إلى العبد بل يأمر الشيء الذي يريد تكوينه أن يتكون حسبما يريد فعلى هذا الأكل من الشجرة هو المأمور في الحقيقة أن يتكون في آدم فالله تعالى هو القائل للآكل من الشجرة كن في آدم فلابد أن يكون بحكم قوله تعالى: (**إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**) [يس:٨٢]، وقد أراد الله أن يجعله خليفة في الأرض، ولا يهبط من الجنة للأرض الترابية العنصرية إلا بالأكل من شجرتها التي تشاكل طينته، فعلى هذا مراد الله أن يأكل وقوله: (**وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ**) [البقرة:٣٥]، حكمة منه ليرتب المسببات على الأسباب (**حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ**) [القمر:٥]، فإن قلت ما السبب أن الله قال في حق آدم: عصى، وقال في حق إبليس: أبى؟ وما الفرق بين المعصية والإباية؟ والجواب: إن آدم فعل ما من شأنه القدرة عليه وهو الأكل، فلما نهي عنه وكان قادرًا على الترك ظاهرًا؛ إذ له مندوحة عن هذه الشجرة، فإن الله قال: (**وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ**) [البقرة:٣٥]، فبسبب قدرته على الترك ظاهرًا سمي عاصيًا، وإن كان العصيان صوريًا لا حقيقيًا، بل في حقيقة الأمر معاصي بني آدم كلها كذلك، (**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ**) [هود:١٧]، وأما إبليس فإن الله أمره بما لا تقتضيه حقيقته؛ إذ هو روح إلهي لا يقبل إلا العلو، فمحتده الفلك العلوي كسائر الكواكب العلوية النارية، فلم يكن له طاقة على التوجه الأرضي؛ إذ فلك النار أعلى الأفلاك، ثم بعده فلك الهواء، ثم فلك الماء، ثم فلك التراب، ولذلك لما قال له الحق: (**مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا**

---

(٧٧٥)

خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ) [ص:٧٥]، وهم الملائكة المقدسون عن العالم العنصري أجاب بحقيقة الواقع فقال: (أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ) فقوله: (أَنَاْ خَيْرٌ) [ص:٧٦]، أي: عنصري أعلى؛ لأن الناس أعلى من التراب[٧٧٦].

ألا ترى أنك لو أخذت الشمعة ونكست برأسها إلى تحت لا يرجع اللهب إلا إلى فوق، بخلاف الطين فإنك لو أخذت كفًا منه ورميت به إلى فوق رجع هابطًا، فالمراد بإبايته: ما تقتضيه حقيقته ولم تسعه طاقته، قال الغوث الكامل سيدي عبد الكريم الجيلي ﵁ في كتابه «الإنسان الكامل» في قول إبليس: (قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ) [ص:٧٦]، هذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب؛ لأن الحق لم يسأله عن سبب المانع، ولو كان كذلك لكان صيغته: لم امتنعت أن تسجد لما خلقت بيدي؟ ولكن سأله عن ماهية المانع، فتكلم على سر الأمر.

أقول: ينبغي أن يعلم أنه تعالى غني عن هذا السؤال والجواب، ولكنه سبحانه أراد إعلام عباده بما تقتضيه الحقائق؛ لينتبهوا لدقائق الأسرار، فإبليس لم يلعنه الحق من كل وجه، ولو كان الأمر كذلك لم يجب سؤاله في قوله: (فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [ص:٧٩]، ولكنه جعله خادمًا للقيام بآثار صفات الجلال، وما تقتضيه من الشقاء والضلال، ولما علم أن الله له العزة والعزيز يفعل ما يشاء فيقهر ولا يقهر، ويتصرف كما يريد رضي بتلك الخدمة التي اقتضتها عزته تعالى، الحاكمة بقوله: (فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ) [الشورى:٧]، فما طلب الأنظار إلى يوم يبعثون إلا ليقوم بإغواء من أشقاه الله، فاقتضى هذا الأنظار لعنه من أسماء الجمال، وقيامه بأسماء الجلال إلى حين الدوران وقوله: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ) أي: أن عزتك هي المقتضية للإغواء فليس لي من الأمر شيء؛ إذ أنت الحاكم أزلاً بحكم (فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ) [الشورى:٧]، رفعت الأقلام وجفت الصحف، ولو لعن إبليس من كل وجه فمن الذي يمده؟ (أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [النمل:٦٣].

---

(٧٧٦) وقع في قياس النار والطين، ولم ير أنوار جمال الحق التي ظهرت من وجه آدم، وهكذا حال المدعين والسالوسيين والمرائين المداهنين في حق أوليائه، لا جرم كان مخاطبًا بالطرد والإبعاد إلى يوم الميعاد، حتى لا يذوق حلاوة برد الوصال، ولا يرى أنوار الجمال والجلال، ولا يدرك فضائل الأنبياء والأولياء إلى أبد الآباد، بل إذا يرى أثر سلطنة ولايتهم وعزة أحوالهم، يذوب كما يذوب الملح في الماء، ولا يبقى له حيل، ولا يطيق أن يمكر بهم، بل ينسى في رؤيتهم جميع مكرياته، ولا يطيق أن يرمي إليهم من أسهم وسوسته، سبل وسوسته تلحق بأهله لا بأهل الحق.

قال بعض العلماء: ما حجني أحد وغلبني مثل مجوسي، قلت له: يا فلان لَم لمْ تسلم؟ فقال: لو أراد الله إسلامي لأسلمت، فقلت له: إن الله يريد إسلامك ولكن الشيطان يمنعك من الإسلام، فقال: إذن أكون مع الأغلب، ولقد صدق رسول الله ﷺ في قوله: «**كل ميسر لما خلق له**»(٧٧٧) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

قال الله عز وجل: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [الأعراف:٢٩].

اعلم ـ فتح الله سمعك وبصرك وبصر فؤادك ونورك ـ أن كل شيء في الوجود نقطة دورية، فدوائر العوالم الإلهية لا تحصى، فقوله تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [الأعراف:٢٩]، خطاب إلهي لمظاهر الحق في الوجود، وكل مظهر للحق محفوظ في خزائن الغيب الذي نؤمن به إن كان باطنًا، ونراه إن كان ظاهرًا، وحقيقة صور الوجود هي الحقيقة الإنسانية، ولذلك لم يقل جلّ وعلا لشيء: ﴿**فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار:٨]، إلا للإنسان، فعلى هذا التراب مثلاً إنسان مركب في صورة التراب، والحيوان إنسان مركب في صورة الحيوان، والنبات إنسان مركب في صورة النبات، فما في الوجود إلا حيوان ناطق، وكذلك قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ**﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال الله تعالى للجبال: ﴿**يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ**﴾ [سبأ:١٠]، أي: مع داود عليه السلام، وقد سبح الحصى في كف رسول الله ﷺ، وكلّمه الذراع المسموم، فإن قلت: هذه معجزة، نقول: المعجزة إنما هي إسماع المحجوب لأنطق الجمادات، فإن الجمادات ناطقة.

ألا ترى أن من أشراط الساعة أن الإنسان يخبره فخذه بما فعله أهله، وليس هناك معجزة، بل ظهور الحقيقة المستورة للمحجوبين عنها المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ**﴾ [التكوير:١]، والدليل القوي على أن صورة كل شيء حقيقة الإنسان المسماة بحقيقة الحقائق، وبالحقيقة المحمدية، وبالماء الذي منه كل شيء حي، قوله ﷺ عن جبل أحد: «**جبل يحبنا ونحبه**»(٧٧٨) ولا يتصف بالمحبة إلا المدرك العاقل، فلو لم يكن فيه معنى الإنسانية المدركة ما أدرك كمال الرسول ﷺ وأحبه، وهكذا حنين الجذع إليه، وتسليم الظبية عليه، وشهادة الضب برسالته، وشكوى البعير، وإقبال الشجرة بالسعي إليه والسجود بين يديه.

---

(٧٧٧)

(٧٧٨)

ولما كان الإنسان حقيقة الحقائق المعبر عنها بأحسن تقويم كان نقطة دائرة الوجود من أوله إلى آخره، وكانت صور الوجود جميعها دوائر مندرجة في دائرته الجامعة، وإلى ذلك أشار باب مدينة العلم ـ سلام الله عليه ـ بقوله: «**العلم نقطة كثرها الجاهلون**» أي: الجاهلون بحقيقة الواحدية، والجاهلون هم من قال الله فيهم: ﴿**أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ**﴾ [التكاثر:١]، فعلم مما تقرر أن الكون الشهادي مندرج في ظاهرية آدم، وظاهرية آدم مندرجة في الروح المحمدي المنفوخ منه، والروح المحمدي مندرج في باطنه الذي هو روح القدس، فروح القدس هو النقطة التي امتدت منها سائر الدوائر الغيبية والشهادية، ولا يخفى أن علم الدور مربوط بعلم الاستحالات التي أخبر عنها الحق بقوله: ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ [نوح:١٤]، والأطوار هي التنزلات الإلهية من ﴿**أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين:٤]، إلى ﴿**أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ**﴾ [التين:٥]، وهي الحقيقة الترابية الأرضية التي ما نال آدم الخلافة إلا بتنزله وهبوطه إليها، فالشجرة التي ذاقها آدم شجرة فيها معنى الإنسانية، فهي من ترابية آدم، بل ورد أن آدم كان شجرة بوادي نعمان فاستحال من النباتية إلى الحيوانية، ثم إلى الإنسانية.

لقد سألني أخي وصديقي السيد أحمد بن بكري الفواخيري أسعده الله بشهوده وعرفه حقيقة وجود عن قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا**﴾ [طه:١١٥]، فقلت له: ليس العهد إلا قوله: ﴿**وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ**﴾ [البقرة:٣٥]، فنسى العهد الإلهي، فقال: إن الله قال من قبل، فأشار أن النهي عهد من قبل هذا النهي الذي قاسمها عليه إبليس أنه لهما من الناصحين، فتوقفت في معرفة نسيان هذا العهد الذي هو من قبل، فلما أتى الوارد: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [الأعراف:٢٩]، علمت أن النهي سبق في الدور الأول بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ**﴾ [البقرة:٣٥]، فنسى آدم عهد الدور الأول لا العهد الجديد، ولم يكن له عزم على الأكل من الشجرة لولا إبليس النفس الشهوانية الذي نقله من الروح الملكوتية إلى الجسمية الملكية الترابية، وهي أسفل سافلين لسر قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ**﴾ [التين:٥]، وقوله تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [الأعراف:٢٩]، يشير أن حال أسفل سافلين أيضًا دور وكذا قوله: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ**﴾ [التين:٥]، بل الدور في كل صورة في الوجود ولولا الدور ما سمي بالمبدئ المعيد ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ**﴾ [البقرة:٢٨]، ولا يوصف بالموت إلا من تقدمت له الحياة، فمن الحياة إلى الحياة دور ومن الموت إلى الموت دور، ولكن لا يكون الموت إلا في عالم الخلافة البشرية الدنيوية، وأما عالم الآخرة فالجسوم فيه تندرج في الأرواح، فيذبح الموت يحي عليه السلام بعد أن يموت المؤمنون في النار ويخرجوا منها، ويقال

عند ذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وحيث انتقل الأمر من الاسم الأول إلى الاسم الآخر فهل يدور الدور ويعود الأول بمقتضى ﴿**كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ**﴾[الأعراف:٢٩]؟ والذي يظهر أن العالم الأخروي دور الأرواح المنطوية فيها الأشباح، والعالم الدنيوي دور الأشباح المنطوية فيها الأرواح.

ألا ترى أن عالم الجنة لا بول فيه ولا غائط ولا مرض ولا عري ولا جوع ولا ظمأ ولا شقاء، وهذا حال آدم حين كان في الجنة قال تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ**﴾ [طه:١١٨- ١١٩]، وقال: ﴿**فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ**﴾ [طه:١١٧]، أي: بالجوع والعري وأمثال ذلك ولا يدور هذا الدور إلا أن يقول الحق: ﴿**إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ**﴾ [البقرة:٣٠].

فمن استعد أن يكون في الجنة آدم أستاذ الملائكة في علم الأسماء الإلهية فهو الذي يأكل من الشجرة الإنسانية الترابية، ومن حقيقة التراب أن يهبط إلى الأرض، وفي الأرض تكون الخلافة البشرية كما كانت في الجنة ملكية، فالدور دائمًا ما بين الأول والآخر، فإن كان الظاهر الأول بطن الآخر، وإن كان الظاهر الآخر بطن الأول، ولله رجال لا يحجبهم أول عن آخر ولا ظاهر عن باطن؛ لأن جميع ذلك هو وهو لا يزول، وكل صورة في الوجود هو فعل هذا كل صورة تقبل الاستحالة إلى كل صورة.

ألا ترى أن الحق إذا أراد بعثك من ترابيتك أنزل مطرًا كمني الرجال، فهذا المطر عين روحك التي تنزلت إلى صورة الماء، فإذا التقى هذا الماء الروحي بتربة جسمك ونكحها تولد نبتك واستحلت من الترابية إلى النباتية ولذا قال ﷺ: «**فتنبتون كما تنبت الحبة**»[٧٧٩] وهذا النبات أمر وراء البعث الوارد في قوله: «**يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه**»[٧٨٠] حتى أن الشهيد يبعث ودمه ينضح، والمصلي يبعث مصليًا، والذاكر يبعث ذاكرًا، وهكذا فلا تظن أيها الأخ أن كونك في الدنيا ينافي أن لك روحًا تتنعم في الجنة، ولذا قال ﷺ لبلال: «**ما دخلت موضعًا من الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامي**»[٧٨١] فبلال معه وبلال في الجنة.

---

(٧٧٩)

(٧٨٠)

(٧٨١)

ألا ترى أن أهل الله يراه الواحد في الشام ويراه الآخر في عرفات ويراه الآخر في الصين مثلاً، وكل هذا مندرج في قوله تعالى: (فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار:٨]، حتى أنك بنفسك تقبل أن يجعلك آدم إذ آدم وحواء منطويان في ابنهما فالابن فيه الترابية وزاد بالنطفة الأمشاج ولهذا السر قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) [الأعراف:١٧٢]، ولم يقل: أخذ من ظهر آدم ذرية آدم؛ لأن كل واحد من بني آدم آدم، بل أقول: إن الحقائق تقتضي أن كل فرد من بني آدم لابد أن يجري عليه جميع ما جرى على آدم؛ إذ الولد سر أبيه، وما يدرينا أنه جرى ذلك، ونسينا العهد الذي هو من قبل كما نسيه آدم، قال ﷺ: «**نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته**»[٧٨٢] والحكمة الإلهية اقتضت لعن من قال فيه(فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ) [الأعراف:٢٢]، أي: بصورة الغرور، وحيث أن آدم نسى فمن دَّله نصحه، وما دَّله إلا على الخلافة، ولم يقل تعالى: فغرهما، ولكن قال: (فَدَلَّىٰهُمَا) وهنا سر عجيب؛ إذ ليس المقصود الدلالة، وإلا لقال: فدلهما، ولكن دلاهما من التدلي، والتدلي هو الكمال، ولا أكمل من الصورة الإنسانية.

والدليل على ما قلناه، قوله الأستاذ الكامل سيدي علي وفا ـ قدَّس الله سره ـ أن آدم ما أعطى الخلافة إلا لما هاجر من الجنة، وما فيها من شهوات النفوس إلى أرض العبودية، قال تعالى: (فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ) [النساء:٨٩]، أقول: هذا يقتضي صدق من قاسمهما (إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ) [الأعراف:٢١]، وبره في قسمه في حقيقة الأمر وباطنه وكيف لا وهذا النصح موافق لما في نفس الحق من قوله: (إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة:٣٠]، فمن فهم معنى الخلافة سلّم الأمر، وفوضه إلى الله في باطنه من التزام ظاهر الشرع في ظاهره، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

(هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا) [الإنسان:١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن (ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ) [الرحمن:١، ٢]، للإنسان قبل خلق الإنسان ثم (خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) [الرحمن:٣، ٤]، والقرآن الجامع لكتاب الوجود الإلهي خلق رسول الله ﷺ الموصوف بالعظمة الإلهية، فتعليم القرآن له هو تجلي الأحدية، وفي هذا التجلي لم يكن شيئًا مذكورًا مع الأحدية الغنية بأحدية ذاتها عن العالمين، وإتيان الحين من الدهر عبارة عن انفراد الأحدية بذاتها لذاتها بتجلي أحدي هو عين ذاتها، واندراج كل شيء بتلك الأحدية عبر عنه بتعليم الرحمن القرآن وبأحسن تقويم، وخلق

---

[٧٨٢]

الإنسان هو الرد، أي: التنزل من أسفل سافلين؛ لأن الصورة الإنسانية وفق كمال الوجود مفتاحًا ومغلاقًا، وهذا المعنى هو مراد سيدي عبد السلام بن شيش ﷺ بقوله: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار... إلى آخر ما قال.

وقال فرد زمانه وغوث أوانه سيدي محمد وفا قدس الله سره: قلب القطب هو اسم الأعظم، ووجه ذاته الأكرم الذي قام به الخلق والأمر وعليه مدار السر والجهر، وكل قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابعه كقلب واحد، فهم ألسنته الناطقة، وكلماته الصادقة وأقلامه الفاتقة والراتقة، ولو برز جامع عالم القدرة يفسد نظام عالم الحكمة،(**وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ**)[الشورى: ٢٧]. انتهى كلامه.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن القطب مظهر الأخلاق المحمدية بحسب استعداده واستعداد وقته وزمانه، فهو في كل زمان مظهر محمدي كامل؛ لأن خلق رسول الله ﷺ هو القرآن، والقطب مظهر ذلك الخلق الذي هو القرآن، وأما قلب القطب الذي قال عنه سيدي محمد وفا بأنه اسم الله الأعظم ووجه ذاته الأكرم، فهو السراج المنير الذي هو قلب القرآن يس، وهو النور المحمدي الذي هو الحقيقة الإنسانية المحمدية التي علم الرحمن: أي: تجلي الرحمن على تلك الحقيقة بكنه ذاته التي هي مدلول جميع ما في القرآن قبل خلق صورة الإنسان، فهي غيب القطب، والقطب الذي هو المظهر المحمدي الكامل في وقته هو شهادة ذلك الغيب، وذلك الغيب هو الإنسان الذي **هَلْ**(**أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا**) بل كان الله، ولم يكن شيء، والشيء المذكور هو المظهر، وفي حضرة الأحدية لا يمتاز مظهر عن مظهر، قال الشيخ الأكبر ﷺ بلسان تلك الحضرة:

لـو ظهرنـا للشـيء كـان سـوانا وسـوانا مـا تـم أيـن الظهـور

واعلم أن القطب هو فجر الشهادة لليالي الغيب العشر الخمسة بشرية والخمسة ملكية وتلك الليالي العشر محمد ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح الأكبر المذكور في آية: (**يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا**) [النبأ:٣٨].

وقد أخبر القطب سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ أنه كان يقوم في أبحر عشرة، وهي العشرة التي ذكرناها، وقال أبو الحسن الشاذلي: للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيئًا منها فليبرز أن يمد بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الموجودين، وانفصال الأول عن الأولى، وما اتصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم

ما قبل وحكم ما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء وهو: العلم المحيط بكل علم، وبكل معلوم بدءً من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه. انتهى كلامه ﷺ.

ولا يخفى أن طلسم هذا الكنز لا يحله إلا من تحقق بما تحقق به أبو الحسن الشاذلي ﷺ ولله در من قال:

وإذا لم تر الهلال تسلم   لأناس رأوه بالأبصار

جمع سيدي محمد وفا ـ قُدِّس سره ـ هذا المعنى الذي ذكره سيدي أبو الحسن الشاذلي، بل جمع سائر تفاصيل الكمال بقوله: الكامل هو الذي لا يفقد عنده شيئًا تعلق به العلم القديم، أقر العلم القديم بتعلق بالكمالات الحقيَّة القديمة، وبالأمور الخلقيَّة الحادثة، فعلى هذا الكامل عين الحق القديم وعين كل شيء، فهو الوجود غيبًا وشهادة وأولاً وآخرًا برمز **(وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ)** [النمل:٤٠]، والله الموفق.

وارد

قال الله تعالى: **(فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ)** [البقرة:٣٧]، وفي قراءة: بنصب آدم ورفع كلمات، وعلى هذا المعنى أن الكلمات الإلهية هي تلقت آدم بالتوبة والمغفرة والرحمة، وعلى كل حال فقد قال ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٧٨٣] وحيث الأمر كذلك فلم لم يعد آدم إلى الجنة؟ بل بقي في الدنيا على هبوطه إلى الأرض بسبب الأكل من الشجرة، ولماذا لم يرفعه الله هو وذريته في الأرض مع الملعون إلى يوم الدين الجواب من قول الشيخ الأكبر ﷺ:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها   مولدة الأرواح ناهيك من فخر

فأول توليد للجسوم توليد الصور الإلهية بسبب القوة المتخيلة، والقوة الواهمة، والقوة المصورة، ثم ينتقش ذلك في القوة الذاكرة، ثم في القوة العالمة، ثم في القوة الحافظة، ثم في القوة المدركة، ثم في القوة المنشئة، ثم في القوة الباصرة، وفي هذا المعنى ورد الحديث: «**أنا عبد ظن عبدي بي**»[٧٨٤] والظن ليس من شأن الأرواح بل من شأن الجسوم الترابية ولذا قال الشيخ الأكبر في «الفصوص»: فيوجدني وأوجده، فليس لك من ربك إلا ما سعيت، قال تعالى: **(وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ)** [الإسراء:١٣]، فما يرجع الإنسان إلا ما طار منه فهو كتابٌ ذاته المسطور في رق الوجود المنشور، فآدم أولاً كان

---

(٧٨٣)

(٧٨٤)

روحًا في صورة الإنسان لا إنسانًا حقيقيًا ثابتًا، بل روحًا متشكلاً بصورة إنسانية، وأما التشكل بغير تلك الصورة فما تقيد بالصورة الإنسانية إلا بالأكل من الشجرة الترابية الجامعة للعناصر الأربعة، وبذلك انتهى كماله؛ لأن الكمال هو الجمع بين الضدين.

قال الخراز ﷺ: عرفت الله بجمعه بين الضدين، فبذلك ثبت في آدم القدرة والعجز والذل والعز والغيب والشهادة والأولية والآخرية والظهور والبطون والربوبية والعبودية، فتمت الصورة الإلهية، وصح ما ورد: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[٧٨٥] فلا تمكن خلافته بحمل الأمانة الإلهية إلا في الصورة الإلهية الإنسانية، وذلك سر قوله في الحديث القدسي: «**فأحببت أن أعرف**»[٧٨٦] أي: بجميع أنواع المعرفة اللاهوتية والجبروتية والملكوتية التي هي الروحية والملكية التي هي الجسمية والإنسانية الحيوانية الناطقية الحسَّية الترابية الأرضية، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ**﴾ [الزخرف:٨٤]، والإنسان ﴿**وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ**﴾ [الزمر:٦٧]، لأنه مختصر العالم الجامع لجميع ما تفرق في الكون، فبهذه الجمعية كان الإنسان أكمل صورة في العالم، فلا يبايع الله على المشاهدة الحسية إلا من بايع الإنسان الكامل، قال القائل:

يا مؤنسي بالليل إن هجع الورى ومحدثي من بينهم ينهار

قال الله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا**﴾ [النساء:١٦٤]، فكلمه من النار والشجر، ومحمد ﷺ قال لعائشة: « **كلميني يا حميراء**»[٧٨٧] من احمرار الخد، فكان الله يكلمه في صورة عائشة، وصورة عائشة صورة إنسانية كاملة، فاجتمعت له المشاهد الإلهية في الصورة الإنسانية حتى في التجليات الشهوانية، فكان ﷺ يمص لسانها ويقول لها: «**ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[٧٨٨] فإذا كان الصديق يقول: «**ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله**»[٧٨٩] فما بالك بالرؤية المحمدية، فتم له بوصلة النساء سر الفعل والأفعال والوجود دائر على هذين الأمرين؛ فافهم.

---

(٧٨٥)

(٧٨٦)

(٧٨٧)

(٧٨٨)

(٧٨٩)

واعلم ـ رحمك الله ـ تعالى أنه لا تكمل الصورة الإلهية إلا بالتجلي في صورة البشر المقتضية للجوع والظمأ والمرض والنسيان والتردد والملل والضحك والفرح والعجب والمكر والكيد والخداع والاستهزاء، حتى وصف نفسه بالقتل والشوق والقرض وأخذ الصدقة، وكونه عين السمع والبصر واليد والرجل حتى تنزل إلى التقرب بالذراع والباع والهرولة، وإنه يعادي ويوالي ويحارب، وله جنود وأنه يستدرج ويملي ويمد لمن كان في الضلالة، بل أنه يؤذي ويستنصر، ولولا أن محمدًا ﷺ حاز على طبقات الكمال ما جاع حتى وضع على بطنه الحجر من الجوع ولم يصبر على الأذى إلا ليتحقق بالاسم الصبور، ويتجلى: «**جعت فلم تطعمني**»[٧٩٠] الحديث حتى توفي ودرعه مرهون عند يهودي في ثمن الشعير لطعام عياله، وكل ذلك يشهد به تنزلات الحق فيه لنهاية مراتب العبودية، كما أنه من جهة مرتبة الإطلاق تحقق بأعلى مراتب الربوبية، ويشهد أن الحق هو المتنزل في ذاته لتلك المراتب، وقوله: «**إنما أنا عبد إنما أنا بشر الفقر فخري**»[٧٩١] في مرتبة التقييد والعبودية بمنزلة قوله: «**أنا نقطة الوجود في مرتبة الإطلاق والربوبية**»[٧٩٢].

ومن هنا يظهر لك أن من زعم أن العارف بالله خرج عن قيد التكليف الواجب أجهل الجاهلين وأنقص الناقصين، ألا يسمع قوله تعالى: (**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) [الروم:٤٧]، (**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**) [مريم:٧١]، وجميع ما ذكرناه سر أكل آدم من الشجرة وثبوته في أرض التنزل والافتقار، وكل ما ذكرناه من مقتضيات إطلاق الربوبية؛ لأن الكامل في الإطلاق من لا يختص بشأن دون شأن حتى تنزل تعالى لمرتبة الشك، فقال: (**وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**) [الصافات:١٤٧]، ولهذا السر قال ﷺ: «**نحن أولى بالشك من إبراهيم**»[٧٩٣] أي: أنا أولى بأن أكون مظهر شك الربوبية، ومن هذا المعنى سهوه في الصلاة وسجوده للسهو الإلهي فيه كما سجد لمن لا تأخذه سنة ولا نوم، فنسيان الكامل مثلاً هو نسيان الله فيه، قال تعالى: (**نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**) [التوبة:٦٧]، أي: نسيهم في مظهر محمد ﷺ كما نسوه في نسيانهم إياه في المظهر المحمدي، فهذا النسيان تسبيح لله باطنًا فاق به البشر على الملائكة ولذلك قالوا: (**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) [البقرة:٣٠]، أي: من أن الأوصاف الخاصة بالبشرية، هي

---

(٧٩٠)

(٧٩١)

(٧٩٢)

(٧٩٣)

تسبيح وتقديس؛ لأنها أوصافي عند الملائكة كان عند آدم، وأما الذي عند آدم من التسبيح البشري ليس عند الملائكة، فما هبط في الحقيقة إلا لتحصيل تمام الصفوة وكمال الخلافة، ولذلك لم يرجع بعد التوبة إلى الجنة، فلو رجع لفاته من الحق جميع أوصاف التشبيه، وأول ذلك ظهور السوءة، فافتقر إلى اللباس وستر السوءة ولم يزل الأمر، حتى افتقر لكل شيء، فكان الله مشهوده في كل مفتقر ومفتقر إليه، وفي هذا المعنى أسرار يقتضيها قول الله: (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا) [البقرة:٣١]، فهي في الحقيقة أسماؤه، وبذلك صرح بعض من جذبه وغلبه الجذب فقال:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا　　وما الله إلا راهب في كنيستي

وهذه وإن كانت أسماؤه على الحقيقة شهودًا وكشفًا إلا أنه لا يصرح به شرعًا، قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا) [الأعراف:١٨٠]، وهذه عند المحجوبين ليست بحسنى فلا يجوز العون للغير إلا للأهل، أي: الزوجة أو ملك اليمين؛ فافهم وتنبه والله الموفق.

وارد

قال الله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ)[٧٩٤] [الحشر:١٩]، يعني: إن نسيانهم لله هو نسيانهم لأنفسهم، فلو تنبهوا لعلموا أن المنسي هم في الحقيقة؛ لأن الاسم الله واقع على الإنسان حقيقة؛ لأن كل صورة في الوجود مظهر لاسم إلهي خاص، ولا يقبل الأسماء كلها لا فلك ولا ملك ولا جان فلا يقبلها إلا الإنسان، وإن كان الاسم الله يسمى به عندنا كل شيء يفتقر إليه لقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ) [فاطر:١٥]، ونحن نعلم افتقارنا إلى الأشياء، فهو اسم الأشياء المفتقر إليها بنص القرآن العظيم، ولكن هو اسم الشيء باعتبار نيابته عن الأسماء الخاصة؛ كاللطيف والجميل والحفيظ والواقي وأمثال ذلك، وليس كلامنا في هذا المعنى بل كلامنا فيمن يقبل هذا الاسم

---

(٧٩٤) قال سهل: نسوا الله عند الذنوب، فأنساهم الله الاعتذار وطلب التوبة، وقد وقعت لي نكتة: بأن الإشارة في الحقيقة إلى المتّحدين والمتّصفين الذين غلب عليهم سكر الأنائية، ورأوا وجودهم في عين الجمع، فمن حدة السكر خرجوا بدعوى الأنائية، وذلك بأن رؤية الصفة فيهم غلبت على رؤية الذات، فبقوا في رؤية الصفات عن رؤية الذات، ثم وقعوا في نور الفعل، وبقوا عن رؤية الصفة، فطابت قلوبهم بالشطارة ودعوة الأنائية، وهذا مقام المكر، فلما سكنوا في هذا المقام ولم يرتقوا إلى مدارج الفردانية أنساهم الله أنفسهم الحديثة حتى لم يروها في البين، فبقوا بأنائيتهم عن رؤية الحق، ولولا إنساء الله إياهم أنفسهم لوجدوا مقام العبودية أعلى مما هم فيه؛ إذ فيه إفراد القدم عن الحدوث وحقيقة صرف التوحيد، وهو مقام النبي ﷺ، حين عبَّر عن هذا المقام ولم يتعلق ذيل همته بحظ الالتباس والمحبة، ووصل إلى رؤية الأحدية.

باعتبار جمعه للأسماء كلها، ولا يقبلها كلها من جهة هذا الجمع إلا الإنسان على حسب استعداده والاستعدادات تختلف، فقبوله عبر عنه بالحمل، شاهد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب:٧٢]، والظلم والجهل من جملة الأسماء التي قبلها الإنسان، ولولا الظلم والجهل ما طعنت فيه الملائكة وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]، وما ظهر الإفساد وسفك الدماء إلا بأكل آدم عليه السلام من شجرة الأسماء الجامعة للخلافة الإلهية في الأرض، فلذلك لما تلقى آدم من ربه الكلمات وتاب عليه لم يعد إلى الجنة مع أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له فبسبب أكل آدم من الشجرة وهبوطه إلى أرض الخلافة قتل قابيل هابيل، فاتصف بالاسم القاتل وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧]، فلولا الصورة الإنسانية ما اكتسب الحق هذا الاسم، فإن قلت: يكفي الاسم المميت الذي مظهره عزرائيل عليه السلام ولا حاجة للإنسان، نقول: القتل اسم خصصي في الأمانة لا يفيد معناه الاسم المميت؛ لأن الأمانة تكون بغير القتل، فيجذب عزرائيل روح الشخص بقوة روحية، كما يجذب المغناطيس الحديد، ولكن عزرائيل لا يسمى بالقاتل بل يسمى: بالمميت وبالقابض وبالمتوفي، اسم فاعل، واسم القاتل لا يكون إلا للإنسان، وإماتة عزرائيل لا تظهر حسًا بالمشاهدة فلولا الإنسان القاتل ما ظهرت إماتة الله حسًّا بطريق الظهور والمشاهدة الحسَّية، وهو تعالى أحب أن يعرف، وما أحب أن يعرف بالبطون فقط، بل بالبطون والظهور في كل اسم من أسمائه، فاتضح لك أن عزرائيل لم يبلغ قوة الإنسان؛ لأن الولي من أولياء الله له القوة العزرائيلية الباطنة، ويزيد عليه بالأسباب الظاهرة من القتل الظاهر بالسيف أو غيره، كما قال بعضهم: أصبحتُ أحيي وُأميت وأنا على كل شيء قدير، فالقتل مثلاً من جملة الأسماء التي علمها الحق لآدم عليه السلام ولا يكون ذلك إلا في الأرض؛ إذ الجنة التي كان فيها ليست دار القتل ولا دار المنع ولا دار الإضلال ولا دار الإضرار، والقاتل والمانع والمضل والضار هو الله، فقد اتضح لك أن أمانة الأسماء الإلهية ما حملها إلا الإنسان، فلذلك كان ظلومًا، وما من ظلمه أنه نسي الله فلم يشاهده في نفسه.

ومن جهله أنه هو المسمى بهذا الاسم الجامع الذي نسيه وهو لا يدري، فلذلك من نسوا الله لم يكن جزاؤهم من الله إلا أن أنساهم أنفسهم أنهم هو فنسيانهم لله عاد عليهم وهم لا يشعرون. ولذلك تمم الحق تعالى الآية بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

[الحشر:١٩]، والفسق: الخروج، وهؤلاء خرجوا عن طريق التوحيد الذي هو معرفة نفوسهم، وقد قال ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٧٩٥].

فإن قلت: إنك جعلت القتل من جملة أوصاف الكمال؛ لأن الله نسبه إلى نفسه، فعلى هذا من تحقق به فهو كامل، لاسيما وقد قال ﷺ: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[٧٩٦].

قلت: الاتصاف بأوصاف الله والتخلق بأخلاقه محمود من جهة ما تقتضيه الشريعة لا من جهة ما تقتضيه الطبيعة، والقتل إذا كان بالأمر الشرعي محمود.

ألا ترى قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ) [التحريم:٩]، فهذا إفساد محمود، وسفك دماء محمود، ومن لم يتيسر له ذلك فقد شرع له إفساد صور ما يحل ذبحه بسفك دماء الأضاحي مثلاً تقربًا إلى الله تعالى، بل ورد في الشريعة المطهرة أن الكاذب للإصلاح بين الإخوان ليس بكاذب، ومثل ذلك الحسد، والحرص، والمعاداة في الله، وقتل القاتل، وقطع يد السارق، وضرب الزاني مائة جلدة أو رجمه... وأمثال ذلك، وهذا كله مما تقتضيه الأسماء الإلهية التي أمرنا بالتخلق بها.

ومن هذا المعنى زل بعض أهل الطريق فقال: يلزم العارف أن يتصف بجميع الأوصاف لارتباطها بالأسماء الإلهية، ولم يفرق بين أن يتصف بها من جهة المظهر المحمدي وبين أن يتصف بها من جهة المظهر الإبليسي، فتحول من طريق محمد ﷺ إلى طريق إبليس زاعمًا أن الاسم (المضل) مثلاً هو اسم، فلابد أن العارف بالله يتحقق به ليحوز درجة الكمال في التحقق بأسماء الله، حتى قال لي بعض من زلَّ عن الطرق: إن الدار الخالية من الكنيف ليست بكامله، ولو كانت دار السلطان مثلاً، فقلت له: وكذلك الأمر أن الوجود الخالي من إبليس ليس بكامل، فالدار هي الوجود والصورة المحمدية بمثابة ما يختارها صاحب الدار منها لنفسه، والصورة الإبليسية بمنزلة ما يختاره صاحب الدار لمصرف النجاسة والأقذار، وكل ذلك من شأن صاحب الدار، فاختر لنفسك ما يحلو لك، قال الله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان:٣]، وأما التحقق بالاسم (المضل) للعارف فالضلال الحيرة، والعارف يحير العباد بإيضاح تجليات الله تعالى التي لها العظمة، كما أنه أيضًا يحتار في تلك التجليات، ومن هذا المعنى قوله تعالى:

---

(٧٩٥)

(٧٩٦)

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧]، فالذي ضل فيه اعتدى إليه، ولذا قال سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض قُدِّس سره:

مـا بـين ضـال المنحنـى وظلالـه ضـــل المتـــيم واهتـــدى بضـــلاله

فالضلال الذي هو الحيرة محمود في مشاهدة عظمة الحق وسعة تجلياته، بل أن العارف يشاهد الضدين من التجلي الإلهي في آن واحد من نفس ذلك التجلي، فيرى الحق أولاً من جهة أنه آخر وبالعكس، ويراه ظاهرًا من جهة أنه باطن وبالعكس، وقد أومأ العفيف التلمساني قُدِّس سره:

ومـــا احتجبــت إلا برفــع حجابهـــا ومـــن عجـــب أن الظهـــور تســـتر

فإن قلت: قد صرحت أن الأمانة التي حملها الإنسان هي جميع أسماء الله، ولا يقدر كل إنسان أن يظهر بمقتضى أسماء الله إلا الكامل كعيسى عليه السلام مثلاً فإنه يبرئ الأكمه والأبرص، وذلك حكم الاسم (الشافي) ويحيي الموتى بإذن الله، والإذن هو التجلي بالاسم المحيي عليه، وهذا المعنى ليس في كل إنسان، قلت: الإنسان الكامل هو البحر، وباقي الأناسي بمنزلة أمواجه، بل الكون كله عين مائه المتموج، وكل موجة لها قسم من البحر على قدرها، مع أن البحر في نفسه حقيقة واحدة، والإنسان الكامل عندنا حقيقة محمد ﷺ، وكل صورة في العالم لها قسم وحظ من تلك الحقيقة حتى آدم وذريته والملائكة والجن وسائر العالم على الإطلاق، والبحر هو «**الطهور ماؤه الحل ميتته**»[٧٩٧] كما في الحديث؛ إذ النور المحمدي هو الأول الذي بدأ منه كل شيء وإليه يعود، والنور المحمدي عين النور الإلهي، فهو نقطة الوجود المستمد منها كل موجود، ولله در من قال:

فيـــا مـــدة الإمـــداد نقطـــة خطـــه ويـــا ذروة الإطـــلاق إذ يتسلســـل

محـال يحـول القلـب عنـك وإننـي وحقـــك لا أســـلو ولا أتحـــول

وقال بعض السادات رضوان الله عليهم أجمعين:

عيســى وآدم والصــدور جمــيعهم هــم أعــين هــو نورهــا لمــا ورد

فهو المبدأ والختام عليه، وعلى مجاليه أتم الصلاة وأعم السلام.

وارد

---

(٧٩٧)

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الطائفة الوهابية يقولون: إن فضل رسول الله ﷺ قد انقطع بوفاته، ونحن نقول بما قاله أهل الكمال والمعرفة، ومنهم البوصيري حيث قال ﷺ:

فـإن فضــل رســول الله لـيس لــه حــد فيعــرب عنــه نــاطق بفــم

فقوله تعالى: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة:٥٩]، معناه: ورسوله يؤتينا من فضل الله لا أن له فضلاً آخر غير فضل الله حتى يكون شريكًا مع الله بالإعطاء كما يظن الوهابية فينا سوء هذا الفهم، بل أننا نقول بأن رسول الله يؤتينا من فضل الله ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩]، في عين رغبتنا إلى رسول الله ﷺ وفاقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، ونحن نرغب إليه ﷺ حال وفاته كما نرغب إليه في حياته؛ لأن وفاته عبارة عن استتاره عن الحضرة الحسيَّة فهو موجود عند الله كما هو؛ لأن ما عند الله باق حسًا ومعنى، وإن فقد من عندنا وهذه الرغبة هي إلى الله لا إلى سواه، والله تعالى هو الحي لا إله إلا هو، ومظهر حياته العظمى حقيقة محمد ﷺ، وليس في الوجود إلا حقيقته العظمة؛ إذ هو طاقة الحقائق الكبرى، وتلك الحقيقة عندنا هي المسماة بسائر الأسماء.

فاحذر أيها الأخ أن تكون ممن قال الله في حقهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٥٠].

ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦]، ثم قال محمد، فعند علماء العربية محمد خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، أي: هو محمد، فالمعنى كفى بالله شهيدًا هو، أي: الشهيد محمد رسول الله، والشهيد بوزن فعيل يصلح أن يكون اسم فاعل بمعنى الشاهد أو اسم مفعول بمعنى المشهود، فهو بهذا المعنى شاهد مشهود وعابد معبود، قال الغوث الجيلي ـ قُدِّس سره ـ في «الإنسان الكامل» في الباب الخامس عشر في تجلي الذات: إن الحق إذا تجلى على عبد وأفناه عن نفسه أقام فيه لطيفة إلهية، فتلك اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية، فإن كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الإنساني هو الفرد الكامل ،والغوث الجامع عليه يدور أمر الوجود وله يكون الركوع والسجود وبه يحفظ الله العالم، وهو المعبّر عنه بالهدى والخاتم، وهو الخليفة والمشار إليه في قصة آدم، تنجذب حقائق الموجودات إلى امتثال أمره كانجذاب الحديد إلى حجر المغناطيس، ويقهر الكون بعظمته

ويفعل ما يشاء بقدرته، ثم أنه ﷺ أوضح حكمة ذلك والسر الموجب لوصفه بهذا الوصف بأحسن بيان وأتم تبيان، فإن أردت العرفان فارجع إلى كمال ذلك الإنسان.

وقد حكى هذا المعنى خاتم عصره وفريد دهره سيدي محمد وفا ﷺ في كتابه «نفائس العرفان من أنفاس الرحمن» حيث قال: نفس إذا تمكن العارف بالله تمكنًا يوجب نفي المغايرة من كل الجهات، تصرف فيه تصرف القدرة المضافة إليه إضافة الصفة الذاتية في عوالمه المنسوبة إليه، وأطال في ذلك ﷺ في ذلك النفس إلى أن قال: ثم إنه لا يصح الملك الإلهي لغير نوع الإنسان بل مستحيل الوقوع، فمن اتبع شيئًا سواه حشر لا مولى له، وكان إلهه هواه؛ لأن متبوعه لا مولوية له وإن اتبع غير عارف متمكن من نوعه، فإما أن يكون ذلك المتبوع في حرموت أو رهبوت فهو معه كيف كان، وعلى أي وجه كان يحشر المرء على دين خليله، فأفاد كلام سيدي محمد وفا: إنه يستحيل الملك الإلهي لغير العارف المتمكن، وإن اتبع غير عارف متمكن كان التابع على شاكلة المتبوع، فإن قلت: من هو العارف المتمكن على مذهب سيدي محمد وفا ﷺ ؟قلت: قد ذكر أنه فياض الصور في عالم الكون، إليه يرجع الأمر كله، قال ﷺ في الكتاب المذكور: نفسي موصوف صفات الذات هو الاسم العظيم الأعظم في أفق الأسماء الحسنى، وهو المثل الأعلى في عالم الجبروت والسابق القيوم في عالم الرهبوت والروح المحيط في عالم الأمر، وهو روح القدس في عالم الملكوت والحق الواضع في عالم الخلق والإنسان الكامل فياض الصور في عالم الكون، إليه يرجع الأمر كله، فكلامه ﷺ وكلام الغوث الجيلي ﷺ واحد في المعنى، فإن قلت ما ذكره هذا: إن الإمامان الغوثان: سيدي عبد الكريم الجيلي وسيدي محمد وفا رضي الله عنهما: إن مدار الوجود كله على الإنسان الكامل في أي آية من كتاب الله تعالى يوجد؟ قلت ما ذكره وهذان الإمامان وكافة العارفين في وصف الإنسان الكامل كله تفسير لقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ) [الأحزاب:٧٢]، فقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ) متنزل من باطن حقيقة محمد ﷺ بألسنة جميع الأسماء الإلهية، والمعروض مرجع تلك الأسماء ومدلولها من جميع المعاني الإلهية وتجلياتها التنزيهية والتشبيهية، والحامل لها الحقيقة الإنسانية، وهي التي عبَّر عنها الغوث الجيلي باللطيفة الإلهية الذاتية، فهي الأمانة التي ما وسعها سماؤه ولا أرضه ووسعها قلب عبده المؤمن، وليس قلبه إلا الذات الواسعة لجميع الأسماء والصفات.

واعلم أن هذا القلب واحد وإن تعددت القلوب، فهي حقيقة واحدة عبَّر عنها بالسراج المنير، وهذا السراج المنير يعبرون عنه بحقيقة الحقائق، وكما أن المبدأ منها فكذلك هي غاية المسالك والطرائق وإليها الإشارة بقوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا) [النجم:٨]، أي: من نفسه (فَتَدَلَّىٰ) [النجم:٨]، أي: هبط على نفسه من الغيب إلى الشهادة (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) [النجم:٩]، أي: برزخ قوسي الدائرة (أَوْ أَدْنَىٰ)، أي: نقطة تلك الدائرة (فَأَوْحَىٰ) [النجم:١٠]، أي: الذي دنا فهو بتلك المنزلة موحي (إِلَىٰ عَبْدِهِۦ) [النجم:١٠]، أي: إلى صورة معنى ذلك الكمال (مَآ أَوْحَىٰ) [النجم:١٠]، فهو باعتبار الصورة موحي إليه، فمنه وإليه، فقيل له: قف، إن ربك يصلي، فالموحي قال في صلاته: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فأجاب الموحى: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين باعتبار ورثته ومرآي حقيقته، فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد الرحمة الذاتية التي وسعت كل شيء في الوجود والمقضي لها الوجه الإلهي الظاهر بصورة كل موجود.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الكمال على قسمين:

القسم الأول: الكمال العرضي الشرعي وهو سعادة المرء بدخوله الجنة.

والقسم الثاني: هو الكمال الذاتي، وهو قبول النوع الإنساني لتجلي الأسماء الإلهية، سواء اقتضت السعادة أم الشقاء؛ إذ الحضرة الذاتية لا تفاوت بين أسمائها من جهة الذات وإن كانت من جهة معانيها المتميزة عن بعضها بعضًا، فيها التفاوت، كالتفاوت بين الأول والآخر والظاهر والباطن والناصر والخاذل، وفي هذه الحضرة الذاتية رحمة الله التي تقتضيها ذاته التي يستوي فيها السعداء والأشقياء، وقد أوضح الله هذا المعنى في قوله: (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ) [الأعراف:١٥٦]، فقوله: (وَرَحْمَتِى) اسم مضاف لضمير الذات التي اسمها الرحمن، وهو اسم ذاتي؛ لأنه مستوي على عرض مظاهر الوجود التي ظهر بها الرحمن بمقتضى الإنعام والجود، ولذلك قال تعالى: (مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ) [الملك:٣]، فالرحمن اسم عام جامع، وهو أقرب ما يكون للاسم الجامع الذي هو الله قال الله تعالى: (قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ) [الإسراء:١١٠]، وفي هذا الاسم قال الله تعالى: (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) [فاطر:٢]، فجعل فتح الرحمة للناس وأطلق هذا الاسم الذي هو الرحمن، هو الذي اقتضى توقيت لعنة إبليس إلى يوم الدين، بل هو الممد في الحقيقة لإبليس لسر: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم**

يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[٧٩٨]، ولما كانت رحمة الاسم الرحمن لا ممسك لها في الوجود، وهي الممدة لكل شيء بما هو عليه حتى إبليس قد بيّن ذلك تعالى بقوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥]، فما بالك بأهل الهداية.

اعلم أن الاسم الرحمن هو الذي سبق جميع الأسماء الإلهية إلى كل شيء بإذن الاسم الجامع، وهو الله الدال على الذات، ولذا ورد الحديث الشريف: «**رحمتي سبقت غضبي**»[٧٩٩] وفي رواية: «**رحمتي تغلب غضبي**»[٨٠٠] ولسان هذا الاسم هو القائل: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [العنكبوت:٤]، والسيئة كل ما يسوء، سواء كان معصية أو كفرًا أو شركًا، ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [العنكبوت:٤].

فهذا الاسم من جهة أنه ذاتي يسبق الاسم المنتقم أو المعذب إلى أهل النار فيعطيهم قوة في باطنهم يقابلون بجمالها جلال النار، ولا يزال كذلك كلما نضجت جلودهم وبدلوا جلودًا غيرها يعطيهم في كل تبديل قوة فوق ما سبق، ولا يزال فكلما أراد الاسم المنتقم أن يزيدهم عذابًا فوق القوة، فالرحمة الذاتية هي أمنا التي أوجدتنا بحبها لنا، فلا تزال تتودد لنا من الاسم الودود ونحوه إلينا من الاسم الحنان، وتكرمنا من الاسم الكريم وتقينا بنفسها من الاسم الواقي.

ألا ترى أن الأم إذا أراد الإنسان ضرب ولدها أو قتله تقيه بنفسها، ولا تدع من ذلك شيئًا يصيبه! ومن هذا الاسم الرحمن يعامل العبد ربه بالإساءة فيجعلها الحق إحسانًا.

ألا ترى أنه أمر الصدِّيق بالعفو والصفح عن مسطح الذي كان ينفق عليه الصديق رضي الله عنه، وقد كان مسطح مع هذا الإحسان من الصديق إليه لما رمى المنافقون بنته بما رموا، وجاءوا بالإفك في حق أمنا عائشة زوجة رسول الله ﷺ يشيع ذلك معهم ذلك الإفك وهو من المؤمنين، فلما تبينت براءتها، قال الصديق قدِّس سره: والله لا أنفق على مسطح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور:٢٢]، ومعنى لا يأتل: لا يحلف، وحيث أمر الصديق أن لا يقطع الإحسان عمن أساء، فهو أرحم الراحمين حتى أنه أرحم من الأم بولدها، ولما كان الرحمن يجازي بالإساءة إحسانًا أشار تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾

---

[٧٩٨]

[٧٩٩]

[٨٠٠].

[الزخرف:٣٣]، فهم يكفرون بالرحمن ويريدون معاملتهم بالإحسان، ولذلك ورد: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[٨٠١]، فالإصبع الواحدة للإيمان، والثانية للكفر، والثنتان للرحمن، وقلب المؤمن بينهما، وأما العبرة للخاتمة بل للسابقة، وقد كان الصديق ـ قُدِّس سره ـ متمكنًا بمشهد الرحمة الذاتية، ولذلك تسلطت عليه الروافض بالطعن والسب والذم وأمثال ذلك؛ ليظهر يوم القيامة عفوه وصفحه، وإحسانه وحلمه، وفضله وامتنانه، وللصديق ـ قُدِّس سره ـ في ذلك أسوة حسنة برسول الله ﷺ المتجلي عليه بالاسم الرحمن على مقتضى الكمال في الرحمة كما قال تعالى: (**وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ**) [الرعد:٣٠]، وإنما قال ﷺ (وإليه متاب) لأنه قنت شهرًا يدعو على رعل وذكوان وعصية، حتى قيل له: يا محمد، إن الله لم يبعثك سبَّابًا ولا لعَّانًا، ولكن أرسلك رحمة للعالمين، فتاب إلى الرحمن الذي هو ربه وحقيقته، فصار يقول: «**اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٨٠٢] وفي رواية: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٨٠٣] ثم بعد العفو والصفح قابل إساءتهم بالإحسان فقال: «**كل من سببته أو لعنته أو دعوت عليه فاجعل ذلك عليه رحمة**»[٨٠٤] فكان بذلك مجلي الاسم الرحمن الذي يجير الكافرين من عذاب أليم.

قال تعالى: (**قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ**) [الملك:٢٨،٢٩]، أي: قل يا محمد: الرحمن هو الذي يجير الكافرين من عذاب أليم، ومن هذا المعنى قال تعالى: (**أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ**) [الزمر:٢٤]، ولم يقل تعالى: هنا بعلمه ولا بإيمانه، بل قال: بوجهه، أي: بوجه ذلك المتقي ولا وجه له إلا الله الظاهر بوجوده فيه، ووجوده تعالى فيه هو عين الرحمة التي وسعت كل شيء أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ولما تمكن ﷺ بالتحقق بالاسم الرحمن صار يجير الكافرين في الدنيا، فقال عام فتح مكة: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»[٨٠٥] فأجار من دخل دار أبي سفيان ولو كان مشركًا، بل أذن لابنته شمس أخت علي

---

(٨٠١)

(٨٠٢).

(٨٠٣).

(٨٠٤).

(٨٠٥).

بن أبي طالب أن تجير، فإنها أجارت مشركًا، وأراد علي ـ كرم الله وجهه ـ قتله، فاشتكت إليه ﷺ فقال: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[٨٠٦].

ومن تجلي الاسم الرحمن، قال بعض السادات ﷺ: إني أود أن يعظم الله جسمي، فأملأ به جهنم، فلا يدخلها مؤمن ولا كافر، مع أن هذا وأمثاله بالنسبة إلى من أرسل رحمة للعالمين كقطرة من بحر محيط، وليته قال: إني أود أن أطلع في سواء الجحيم فأحولها بنفحة من النفحات المحمدية إلى جنات النعيم ولعله رضي الله عنه يقول بلسان ذوقه معربًا عن حقيقة إيمانه وصدقه:

ألقني في لظى فإن أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت

فإن قلت: قد قررت أن كلاً من الفريقين الأشقياء والسعداء له نصيب من الكمال الذاتي، وأن الحكم في الشقاء والسعادة إنما هو للخاتمة، بل هو للسابقة، وأن الإمداد لكل منهما من عطاء الاسم الرحمن الذي هو الرحمة كما قال تعالى: **(كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)** [الإسراء:٢٠]، وحينئذ، فما هو الموجب لتخصيص فلان بالجنة وفلان بالنار؟ هل هو العمل كما هو ظاهر الكتاب والسنة أم العمل على الشاكلة؟ أي: ما يشاكل كل حقيقة ذلك العامل في عمله من الأسماء الحاكمة بالجمال والجلال، أم كيف الأمر؟ قلت: الحكم في الوجود إنما هو للأسماء الإلهية، لا للأوامر الشرعية القائم بها رسول الله ﷺ، ولا للأوامر الإبليسية القائم بها إبليس الملعون.

ألا ترى أن إبليس طلب الاجتماع برسول الله ﷺ، فأجيب إلى ذلك ولكن قيل له: أصدق، فإن الحضرة المحمدية لا تقبل إلا الصدق، فلما كشف الحجاب له عنه ﷺ قال: يا محمد إن الله خلقك للهداية، وما بيدك منها شيء، وخلقني للغواية، وما بيدي منها شيء، فقال رسول الله ﷺ: صدقت، ثم حالت الملائكة ما بينهما، والسر في ذلك: إن الأمر الإلهي بالهداية أو الإغواء على قسمين:

أمر بالواسطة وهو المتوجه على الشخص المأمور، فهذا قد يحصل وقد يتخلف، «**وكل ميسر لما خلق له**»[٨٠٧] لا أمر الواسطة.

وأمر من الله تعالى للأشياء أن تقوم في المظاهر الوجودية من تجليات أسمائه الحاكمة وقت الأمر، كأن يقول تعالى للصلاة أو للزكاة أو للصوم أو لغير ذلك من الأعمال

([٨٠٦]).

([٨٠٧]).

الشرعية، أو كأن يقول للكفر أو الشرك أو للنفاق: كن في فلان، فهذا الأمر الحقيقي هو الذي لا يتخلف ألبتة، قال الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) [النحل:٤٠]، فالمأمور في الحقيقة هو الشيء أن يتكون في فلان الذي يظهر أنه صالح إن كان شرعيًا أو غير شرعي، فيظهر في تكونه فيه أنه صالح، فالقول الإلهي: (كُن) هو الحاكم، لا أمر الواسطة، ولكن هذا القول راجع للإرادة الإلهية لقوله تعالى: (إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ) [النحل:٤٠].

واعلم أن إرادة الله تحت ترتيب حكمته، فالحكمة رتبت أن الصلاة والزكاة والصوم والحج مثلاً يناسب الجنة، والكذب في الجناية والنفاق والظلم مثلاً يناسب النار، فتبين أن الاسم القائل لهذه الأمور: (كُن) تحت حكم الاسم المريد، والاسم المريد تحت حكم الاسم الحكيم، فهذا الاسم اقتضت حكمته أن العمل الشرعي تنشأ منه الجنان، وهو عمل صالح لها، وأن العمل الإبليسي تنشأ منه النيران، وهو عمل صالح لها، وكل من العملين بالنسبة إلى الأخر غير صالح، مثال ذلك: إن الخبز واللحم مثلاً صالح لغذاء الإنسان، والشوك ليس صالحًا له، كما أن الشوك صالح لغذاء الإبل، والخبز واللحم ليس صالحًا لغذائها، فهذا ما اقتضته الحكمة في ظاهر الأمر فوردت الشريعة المطهرة بحسب ذلك المقتضى الذي رتبه الاسم الحكيم من صلاح هذا لهذا وعدم صلاحه لهذا وبعكس ذلك.

لكن هاهنا نكتة يقتضيها العلم الإلهي من حكم الاسم العليم الحكيم بمقتضى علمه على الاسم الحكيم بسبب الاسم القدير الذي هو مأمور من الاسم العليم أن ينقض تلك الحكمة الظاهرة بمقتضى حكمة العلم الباطنة، فلا يجعل لحكمة الحكيم الظاهرة نفوذًا بل ينفذ ما سبق به العلم من الحكمة الباطنة العلمية، فيقول الاسم العليم: أيها القدير الحكم بمقتضى قدرتك على فلان بالجنة وعلى فلان بالنار، فيعارضه الحكيم، ويقول: هذا لا تقتضيه ظاهر الحكمة؛ لأن فلانًا عمل بعمل أهل الجنة، وفلانًا عمل بعمل أهل النار، فيقول القدير: سل الاسم العليم: ما شأن فلان للنار وهو قد عمل بعمل أهل الجنة؟ وما شأن فلان للجنة وقد عمل بعمل أهل النار؟ فيقول العليم: هذا ما اقتضاه علمي، وما اقتضى علمي إلا ما أعطاني المعلوم من حقيقة ذاته.

ألا ترى أيها الحكيم ما رواه ابن ماجه في «سننه» **عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار، فقلت يا رسول الله: طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء، ولم يدركه، فقال ﷺ: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق الجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم**

لها وهم في أصلاب آبائهم»[٨٠٨] أما علمت أيها الحكيم أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فيقول الحكيم: أخبرني يا مولاي، ما حقيقة هذا الكتاب؟ فيقول العليم: هو المعلوم ومنه أخذت علمي، فيقول: وما حقيقة المعلوم؟ فيقول العليم: إن الله تعالى علم نفسه فعلم العالم بنفسه مستلزم لعلمه بالعالم، فالمعلوم شأن الله الذاتي الذي هو عين ذاته وعلمه كما هو ذاته، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم من علمه بنفسه، فسلّم الأمر إليه، **(وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ)** [البقرة:٢١٠].

أقول: وفي هذه الحضرة لا سؤال ولا جواب، بل الأمر يسبق الكتاب، وقد علمت أن الكتاب عين الذات الظاهرة بمقتضى شئونها من الأسماء والصفات، وعن هذا المقام أوضح العارف الهمام سيدي عبد الغني النابلسي ـ قُدِّس سره ـ فقال:

رب شـــخص تقـــوده الأقـــدار للمعـــاني ومـــا لـــذاك اختيـــار

غافـــل والســـعادة احتضـــنته وهـــو منهـــا مســـتوحش كفـــار

يتعـــاطى القبـــيح عمـــدًا فيلقـــا جمـــــيلاً وفلســـــه دينـــــار

كلمـــا قـــارف الـــذنوب أتتـــه توبـــــة طهرتـــــه واســــتغفار

وعليـــه أن ذل عـــين مـــن الله تقيـــــه ويســــــتر الســـــتار

فهـــو بـــالله وإنمـــا يترقـــى لا بـــه حيـــث تشـــرق الأنـــوار

وفتـــى كابـــد العبـــادة حتـــى منـــه قـــد مـــل ليلـــه والنهـــار

يتســـامى بالـــذكر والفكـــر قصـــدًا وهـــو نـــار وعنـــه شـــط المـــزار

يفعـــل الخيـــر ثـــم يلقـــاه شـــرًا وإذا رام جنـــــة فهـــــي نـــــار

حكـــم حـــارت البريـــة فيهـــا وحقيـــــق بأنهـــــا تحتـــــار

وعطايـــا مـــن المهـــيمن دلـــت أن الله فاعـــــــل مختـــــــار

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: إبداء إلهي وختام محمدي.

---

(٨٠٨)

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: (الٓمٓ) [البقرة:١].

اعلم ـ رحمك الله ـ بدأ سورة البقرة بالألف ومعناها المقصود إثبات ذاته ومحو سائر أسمائه وصفاته لأنه تعالى يفصح عن ذاته بقوله: (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ) [طه:١٤]، فهذا للألف تثليث إلهي، والتثليث ألف إنني وألف أنا وألف الله، والتثليث مظهر الاسم الفرد، فظهرت فرديته في الثلاثة الأسماء التي للبسملة: الله، والرحمن، والرحيم، فكانت البسملة مفتاح فاتحة الكتاب، كتاب الوجود، والوجود ما ظهر إلا من حكم الاسم (الفرد) بحكم النكاح الإلهي المطلق؛ لأنه تعالى قال: (إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) [النحل:٤٠]، فقوله لشيء هو حقيقة الممكن البرزخي الثابت في علم الله القديم، والممكن وسط بين الواجب والمحال، فلذلك كانت حقيقته تقبل الوجود بوجه والعدم بوجه، فكان هذا الممكن هو الزوجة القابلة لنكاح وجود كن، فقوله تعالى: (كُن) بمنزلة النطفة التي يلقيها الزوج في حرم زوجته، والإرادة التي قال عنها: (إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ) هي عين الوجود الواجب الذي هو الزوج الفاعل، وقوله تعالى: (فَيَكُون) هو ظهور الصورة من حقيقة العين الثابتة التي هي الأم، فالصورة الظاهرة في الوجود هي الولد الناتج من هذا النكاح، فما ظهرت صور العالم إلا من أمور ثلاث: بعمل، وأهل، وتوجه نكاحي، لنتج الأمر الرابع الذي هو: صورة الولد من أمه التي هي العين الثابتة وهذا سر قوله تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ) [الذاريات:٤٩]، حتى سرى هذا النكاح في الأجسام وفي المعاني.

ألا ترى أن الاسم المتكلم ينكح الاسم السميع، فتقع منه نطفة الفهم فيتولد من الفهم ولد يقتضيه الفهم يظهر حكمه من ذلك الفهم، وهذا سر التثليث الذي سرى في النصارى فقالوا: (إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ) [المائدة:٧٣]، وهذا السر هو من الألف التي ألقيت بين الزوجين حتى ظهرت نتيجة الولد، ومن سر هذا التثليث قال ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث**»[٨٠٩] فالألف التي بدأ الله بها سورة البقرة مثلثة في قوله: (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ) [طه:١٤]، لأنها بسر هذا التثليث ألفت وجود العالم، فمن هذا السر التأليفي أحب الله تعالى أن يعرف، ولا يعرف إلا بما هو منه على صورته وشاكلته، فهو ثمرته وخليفته، وذلك هو الإنسان الكامل، فلولا الإنسان الكامل لم يخلق سماء ولا أرضًا ولا جنة ولا نارًا.

وبما قررناه تعلم سر بداء الإنجيل بالأب والابن والأم وأما اللام من قوله تعالى: (الٓمٓ) [البقرة:١]، فهي لتوحيد ذلك التثليث؛ لئلا يزعم الزاعم تعدد الآلهة فيثبت مع هذا

---

(٨٠٩)

التثليث مرتبة الواحدية المذكورة في قوله تعالى: (إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ) [النحل:٢٢]، بيان التوحيد اللامي أن مراتب الوجود تدور على ثلاث مراتب:

مرتبة الغيب: المعبر عنها بهو.

ومرتبة التكلم: المعبر عنها بأنا.

ومرتبة الخطاب: المعبر عنها بأنت.

وهذا التثليث يوهم التعدد في الآلهة فجاءت اللام لتوحد هذا التثليث باسمه تعالى الواحد الشامل للمراتب الثلاث التي يدور عليها سائر الوجود، فجاء كلام الله تعالى بتوحيد الأنانية من قوله: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠) [طه:١٤]، وبتوحيد: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) [الزمر:٦]، وبتوحيد: (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ) [الأنبياء:٨٧]، فوحدت اللام مرتبة الغيبية ومرتبة التكلم ومرتبة الخطاب، ولما كانت الألف الاسم الجامع وهي ألف الاسم ألف المراتب الثلاثة وجمعتها في ذاتها الدال عليها الاسم الجامع وحدتها اللام توحيد الجمعية، فأنزل الله على ميم الفلك المحمدي (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) [محمد:١٩]، ثم إنه بسبب هذه الدائرة الميمية وجمعيتها للمراتب الثلاث جاءت ميم محمد رسول الله فاقترنت بالألف ألف ولام لام، وختمت توحيد المراتب الثلاث التي هي التكلم والغيبة والخطاب بميميتها الخاتمة فكانت ألف لام ميم عين الاسم الجامع الموحد بقوله: (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) [محمد:١٩]، وكانت هذه الكلمة الطيبة عين الخاتم الجامع للمراتب الثلاث المعبر عن جمعيتها بميم الدائرة المحمدية الجامعة فاندرج جميع ذلك في قوله تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ) [الفتح:٢٩]، فهو حقيقة الألف واللام والميم، ولذلك اقترنت الثلاث به في مقام انشراحه المطلق بأنه صدر جميع الوجود، فقال تعالى في سورة انشراحه المطلق الجامع: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)[٨١٠] [الشرح:١]، فضم انشراح صدره بصدور الحقائق منه (أَلَمْ) فالمقام العيسوي (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) [البقرة:١٦٣]، والمقام المحمدي: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص:١]، فألف ألف لاسم ميم هي التي ألقت الوجود بالنكاح الأول الإلهي، وهي ألف

---

(٨١٠) وشرحَ صدره- صلوات الله وسلامه عليه- طلوع شمس جلال الحق فيه، فأضاء منه روحه وقلبه وعقله، وطار روحه في الأزل، وطار عقله في الأبد، وطار قلبه في الجبروت، ونفسه في الملكوت، فتوَلّى الحق شرح صدره بنفسه لا بغيره، وذلك حين ظهر لسرِّه ذاته القديم، وصفاته الأزلية، فصار موسعًا مبسوطًا بوسع الذات والصفات، فشرْحُه يزيد إلى الأبد؛ لأن جلال الحق لا نهاية له، وكان صدره محل تجّلي الحق، فبقي مع الحق في ساحة الكبرياء حيث لا حيث ولا زمان ولا مكان، بل نور الذات في نور الصفات، ونور الصفات في نور الذات، فهو بين النورين محتجبًا بأنوار الحقيقة عن أوهام الخليقة.

ختمية دائرة أحدية محمد ﷺ التي هي عين ألف أحد، فكان فلكه الميمي دائرة خاتمة جامعة لسائر دوائر الوجود كما أشار لذلك بقوله: كل الصيد في جوف الفراء، بلسان الرمز والإشارة، أي: هو الحقيقة الجامعة لكل مطلوب، فكل من أحب أن يصيد من التحف الإلهية ما ليس حاصلاً عنده فليطلب ذلك من محمد ﷺ؛ إذ دائرة جوده الواسع يندرج بها سائر العطايا، سر ذلك ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى:١٠] لأن خزائنك المحمدية لا يفقد منها شيء، فسائر المطالب هي في جوف محمد ﷺ، أي: في باطنه، فهو غيب الله الذي قال فيه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، أي: من ذلك الغيب، وهو شهادة الله التي قال فيها: ولا تكتم شهادة الله؛ لأن صورة غيب الله شهادة محمد رسول الله، فلذا اقترن ذلك الغيب والشهادة في كلمة التوحيد الإسلامي، فيقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فافهم.

فإن قلت: الميم المتصلة بالألف واللام من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:١]، ميم واحدة واسم محمد ﷺ فيه ميمان، فلم لم تذكر الميمان؟ لأن الميم الأولى من محمد ﷺ هي: دائرة حقيقته، والثانية: دائرة خلقيته، والحاء: دائرة حياته السارية في كل حي، والدال: دلالته في كل دليل، سواء كان نبيًا أو رسولاً أو وليًا، وأي دليل كان.

قلت: الميم من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ فلك أوله عين آخره في النطق، فاكتفى بالميم الواحدة رقمًا؛ لأنها مربوطة بالثانية نطقًا، اكتفى بها في قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ [غافر:١]، فالحاء: من ﴿حمٓ﴾ حياة الله الذاتية المتجلية في حقيقة محمد ﷺ، والميم: دائرة الملك المحمدي الذي هو عين ملك الله الذاتي الشامل لمعاني أسمائه تعالى التي لا تحصر ولا تنفذ مظاهرها على الدوام.

فإن قلت: فلم اقترنت الصاد مع ﴿الٓمٓ﴾ في سورة الأعراف؟

قلت: هي صاد الصدر المحمدي الذي شرحه الله فوسع الحقائق كلها، فهي صاد الصدور من صدره ﷺ الذي صدر منه كل شيء في الوجود، فلذا اقترنت الصاد أيضًا بالصلاة والسلام عليه إشارة أن كل شيء في الوجود موصول به، والسلام إشارة أنه سالم مما سواه.

ولما كان عيسى عليه السلام من أمة محمد ﷺ وكان له الإرث المحمدي أدرك ذلك من محمد ﷺ فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [مريم:٣٣]، ألا ترى قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴾

[النساء:١٥٩]، فأهل الكتاب يؤمنون به قبل موته حينما ينزل حكمًا مقسطًا يحكم بالحكم المحمدي فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وهذا حكم محمد ﷺ ، فالإيمان به قبل موته إيمان بمحمد، وهذا يدلك أن عيسى عليه السلام هو الآن حي لم يمت؛ لأنه لا يموت إلا بعد نزوله، فيترك الترهب ويتزوج ويولد له ثم يموت، والتزوج سنة محمد ﷺ، ولا رهبانية في الإسلام المحمدي، فعيسى عليه السلام له حشران كما ورد: حشر في صف الرسل، وحشر آخر في صف أمة محمد ﷺ لأنه تابع له، ولذلك كان خاتم ولاية محمد العامة صلى الله عليهما وسلم.

ألا ترى إلى ما ذكره سلطان العارفين الشيخ الأكبر ـ سلام الله عليه ـ من أن عيسى عليه السلام من جملة مشايخه، فقال: هو شيخنا الذي تبنا على يديه، وله في الكلام على ختميته العامة كتاب سماه «عنقاء مغرب في خاتم الولاية المحمدية وشمس المغرب».

فإن قلت: فلم اقترنت أيضًا الراء الروحية في أل فظهرت في سورة إبراهيم عليه السلام فكانت الراء في سورة إبراهيم نائبة عن الميم التي اتصلت في أل في سورة البقرة؟

قلت: لمناسبة التثليث المحمدي الذي سبق الكلام عليه في (الٓمٓ) والتثليث الذي جاء به الروح وهو عيسى عليه السلام في الإنجيل من قوله: باسم الأب والابن والأم إله واحد متصل بتثليث (الٓمٓ) فروح عيسى من روحية محمد ﷺ وقوله: (إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) [النساء:١٧١]، هو الواحدية التي جاء بها عيسى عليه السلام، إلا أن أمته لم تراع إلا التثليث وغفلوا عن أن الإله الواحد له الظهور في كل ما يسمى إلهًا، بل في كل مظهر في الوجود؛ إذ ما من حقيقة إلا وقد عبدت، فأبان محمد ﷺ الأمر لما التبس على النصارى بما أنزل عليه من قوله تعالى: (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) [محمد:١٩] أي: لا معبود من كل معبود، قال: التثليث العيسوي باتصال راء روح عيسى عليه السلام بألف لام محمد ﷺ عوضًا عن الميم لنيابة عيسى عليه السلام عنه في آخر الزمان، وآلت الواحدية التي جاء به عيسى عليه السلام إلى أحدية محمد ﷺ المخبر بها بقوله تعالى: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص:١]، فكان المنتهى راء صدر محمد ﷺ فاندرجت روحية عيسى بروحية محمد ﷺ وناسبت صاد صدره الأحدي من جهة أن راءه الروحية كانت تمام الصدر المحمدي وختامه، ولاسيما وقد اتصلت الراء الروحية في(الٓمٓ) المحمدية في بعض السور فقيل: (الٓمٓر) [الرعد:١] إشارة لاتصال التابع في المتبوع، والوارث بالموروث، والخليفة بالمستخلف، فينزل في آخر الزمان لختم ولايته العامة ويكون من أمته، وإنما ظهرت روح محمد ﷺ المتصلة بألف لام في سورة إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: (الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ) [إبراهيم:١]، أي: مطلق

بني آدم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، لأن إبراهيم والد محمد صلى الله عليهما وسلم، فلذا قال ﷺ: «**خير البرية إبراهيم**»[٨١١] ولهذا السر أخبر ﷺ أنه يوم القيامة يرغب إليه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام كما رواه الإمام البغوي المحدث رضي الله عنه في كتابه «مصابيح السنة»، فرغبة إبراهيم عليه السلام إلى محمد ﷺ رغبة الوالد إلى ولده؛ ليخرج أباه آزر من الظلمات إلى النور، ولو بعد دخول آزر النار فهو ﷺ ثمرة فؤاد إبراهيم عليه السلام فبسبب هذا الابن المبارك يجيب الله دعوة إبراهيم ولا يخزيه في أبيه آزر، كما قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم أنه قال: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٧].

فإن قلت: كيف تقول حجاب دعوة إبراهيم بعدم خزيه يوم البعث في أبيه آزر وقد مات أبوه آزر على عبادة الأصنام؟ بدليل قول الله في حق إبراهيم: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبة:١١٤] ولولا أن الخليل عليه السلام تبين له أن أباه يموت على الشرك ما تبرأ منه، وقال الله تعالى لمحمد :ﷺ ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٩].

وقد ورد في حق آزر الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في «مصابيح السنة» «أن النبي ﷺ قال يلقى إبراهيم أباه يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي إلا بعد، فيقول الله عز وجل: «إني حرمت الجنة على الكافرين» ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»[٨١٢]. انتهى الحديث فكيف يقال أن محمدًا ﷺ يكون سببًا في خلاص آزر بعد هذا النص الصحيح الذي أنبأ أن آزر يمسخ بصورة الذبح وهو ذكر الضبع أو الذئب ويؤخذ بقوائمه ويلقى في النار؟

قلت: ورد النص الإلهي القرآني قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٧]، وورد النص القرآني وهو قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف:٨٨]، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٩] أي: يعلمون قدرك يا محمد، وليس قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾ إلا عبارة عن السلامة والأمان، فما أمره بهذا القول سدى، ولكن أمره ليقبل منه قوله، وأبلغ من ذلك كله في الصراحة في أن شفاعته مقبولة في المشرك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

---

(٨١١)

(٨١٢)

لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ [المؤمنون:١١٧]، ولم ينته الأمر هنا عند عدم فلاح الكافرين، بل قال له: **(وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ)** [المؤمنون:١١٨]، فامتثل أمر الله وصار يقول: «**اللهم أغفر لقومي إنهم لا يعلمون**»[٨١٣] وفي رواية: «**اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[٨١٤] فما جوابك في هذا القول يجاب دعاء النبي ﷺ الذي دعاه عن أمر الله له بقوله: **(وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ)** [المؤمنون:١١٨] أو لا يجاب؟ وليس المذكور في هذا المقام إلا من يدعو مع الله إلهًا آخر.

فإن قلت: ورد في الحديث الشريف أن الله تعالى يقول: «**ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم**»[٨١٥] وليست الأعمال إلا أعمال الشرع من أركان الإسلام الخمس المشهورة وغيرها، وأي عمل شرعي لكفار والمشركين، قلت: سلمنا أنهم في جنات الأعمال الشرعية لا قدم لهم، فما تقول في قوله ﷺ: «**إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة**»[٨١٦] فقال: من تخلق، ولم يقل هنا من المؤمنين أو من المسلمين؛ لأن الأخلاق ليست مقيدة لا بمؤمن ولا بغيره، فمن كان كريمًا مثلاً فيدخل جنة الكرم.

ألا ترى قوله تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ)** الانفطار:٦]، فلم يقل: يا أيها المؤمن أو المسلم، بل قال: يا أيها الإنسان، والإنسان يعم جميع بني آدم، وانظر لطف الله في تنبيهه على كرمه المطلق حيث قال: **(مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ)** ولم يقل هنا: ما غرك بربك المنتقم، أو شديد العقاب أو الجبار أو أمثال ذلك، بل قال: الكريم؛ ليقول الإنسان: غرني جهلي بمقام الكريم من أنه يعامل بالطاعة، وها أنا معترف بجهلي ومحتاج إلى كرم سيدي، فالكريم يمضي ما يقتضيه كرمه وجوده، فسيدي هو الرب الكريم وأنا عبده الفقير إلى كرمه وجوده ومنته ورحمته الواسعة لكل شيء، وأنا شيء من الأشياء التي نسميها الرحمة من النار في سائر طبقاتها ودركاتها وما فيها من آلات العذاب من الأشياء التي تسعها الرحمة، فإن قلت: إن الله تعالى قال: **(خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ)** [البينة:٨] يقتضي الدوام.

---

(٨١٣)

(٨١٤)

(٨١٥)

(٨١٦)

قلت: الدوام الذي ورد مطلقًا هو في بعض الآيات مقيَّد، وذلك في سورة هود ﵇ بدوام السماوات والأرض، وقُيِّد أيضًا بقوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [هود:١٧]، ولا يخفى ما تقرر في أصول أدلة الشريعة من أنه أورد أمر مطلق وأمر مقيَّد، يحمل المطلق على المقيَّد، فعلى هذا الأبد مقيَّد لا مطلق.

ويقوي ما ذكرناه أن أشقى الأشقياء إبليس ومع ذلك فما لعنه الله بالإطلاق، بل قيَّد لعنته إلى يوم الدين، فهذا كلام الله وحديث رسول الله ﷺ ولا عطر بعد عروس، فمن انقاد وأيقن وآمن وسلم فلله ولرسوله لا لنا، ومن عَاند مكابرة وحمقًا فنقول له كما قال القائل:

لكـــل داء دواء يســـتطب بـــه إلا الحماقــة أعيــت مــن يــداويها

وليس مقصودنا إلا بيان الحق، مع أننا لا نرضى ما لا يرضاه الله، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ**﴾ [الزمر:٧]، إلا أن الله مع كونه لا يرضى لعباده الكفر قال: ﴿**وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ**﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال: ﴿ **قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ**﴾ [الزمر:٥٣]، والإسراف على النفس شامل الكفر والشرك والذنوب؛ لأنه ذكر مطلق العباد، ولم يقيد بمؤمن أو غيره، وتمم بقوله: ﴿**لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [الزمر:٥٣]، فإذا كان هذا قوله، وقد نهى العباد عن القنوط من رحمته، فهل نقول له لأي شيء ترحم عبادك؟ ألم يقل ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[٨١٧] تبارك وتعالى: «**ارحموا من في الأرض**»[٨١٨] ولم يقيد بالمؤمنين ثم قال: «**يرحمكم من في السماء**»[٨١٩] لا إله إلا هو الرحمن الرحيم خير الغافرين وأرحم الراحمين وقال ﷺ: «**ارحموا ترحموا**»[٨٢٠] وقال: «**لا من لا يرحم لا يُرحم**»[٨٢١] وأخبر أن امرأة مومسة، أي: زانية غفر الله لها برحمتها لكلب ظمآن أدلت خفها في البئر حتى نزعت له الماء وسقته، حتى روي، فكيف والله يقول: ﴿ **وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ**﴾ [الإسراء:٧٠].

---

(٨١٧)

(٨١٨)

(٨١٩)

(٨٢٠)

(٨٢١)

بالله عليك يا أخي حيث ورد: «**إن الصدقة تطفئ غضب الرب**»[822] أفلا يطفئ غضب الرب حبيبه الذي قال في حقه: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى:٥]، ألم يقل له: «**قد اتخذتك يا محمد حبيبًا ولولاك ما خلقت سماءً ولا أرضًا**»[823]، وجعل من أسمائه الماحي، وحيث إن الله أرسله رحمة للعالمين ولا يمحو شقاء العالمين وعذابهم فليس بالماحي، ومن قال: «**أنا سيد الناس**»[824] وفي رواية: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[825] ولا يخلصهم من كرب النيران، فأنى تكون له السيادة التي لا تتحقق إلا بالإحسان، نعم والله هو السيد على الإطلاق، والمنعم على من سادهم من تخلقه بالاسم الرحيم الرحمن، وتجلي الكريم الحنَّان المنَّان والمحسن العطوف على العدو والصديق، وذوي العدوان حتى على الكفرة وأهل الغرانيق والأوثان.

وارد أمجد في الصلاة والسلام على محمد

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**اللهم صل على محمد**» الصلاة على محمد وصلته ما بينه وبينه كما قيل: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، والمعنى: اللهم صِلْ محمدًا ﷺ صلة ذاتية فتكون شهادته الظاهرة عين غيبك الباطن، وآخريته الصورية الخلقية عين أولية حقيقتك المطلقة عن كل صورة في الوجود، في عين كونها جامعة لكل صورة في الوجود، فتظهر بربوبيتك المطلقة في عبوديته المقيَّدة، ويظهر بعبوديته المقيَّدة بروبيتك المطلقة، فتذكر بذكره، ويذكر بذكرك، ويكون حيث كنت بالأسماء المقدسة الحقيَّة، وتكون حيث كان بالأسماء المشبهة الخلقية.

«**وعلى آل محمد**» أي: مظاهر روحه الكلية التي نشأ منها جميع العوالم الصورية «**كما صليت على إبراهيم**» من كونه والده وأصله وحامله في ظهره، أي: كما صليت عليه في إبراهيم لوصلة الأبوة بالنبوة، فبسبب هذه الوصلة قال ﷺ: «**خير البرية إبراهيم**»[826].

«**وعلى آل إبراهيم**» من كونهم أخوة محمد ﷺ من كون الجميع أولاد إبراهيم عليه السلام كما أن أولاد آدم بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف:٢٦]، كلهم أخوة.

---

(822)

(823)

(824)

(825)

(826)

«**وبارك على محمد**» أي: اجعل البركة الوجودية بسائر وجوهها واقعة على محمد ﷺ حتى يكون بأحدية ذاته عين كثرة جميع الوجود كما هو مرجع قولك مخاطبًا له: (إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ) [الكوثر:١].

«**وعلى آل محمد**» أي: اظهر معنى المباركة التي له في آله المتقدم ذكرهم أنهم مظاهر روحه النورانية.

«**كما باركت على إبراهيم**» فكان أمة تجمع سائر الأمم من كون محمد ﷺ في ظهره، قال تعالى: (إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً) [النحل:١٢٠]، لتحققه بالأحدية الذاتية من كونه أصل الفرع المحمدي، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نصلي عليه فرعًا وأصلاً في الصلاة الإبراهيمية لنعرفه في إبراهيم الذي هو الأصل كما عرفناه في محمد الذي هو الفرع والأصل، والفرع شجرة واحدة (أَصۡلُهَا ثَابِتٌ) جسمًا (وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ) [إبراهيم:٢٤] روحًا، والفرع متولد من الأصل كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها   مولدة الأرواح ناهيك من فخر

«**وعلى آل إبراهيم**»؛ إذ حيث إنه أصل جسم محمد ﷺ فالكل أولاده من هذه الجهة حتى آدم عليه السلام والولد سر أبيه.

ألا ترى إلى قول ابن الفارض قدَّس الله سره:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وهذا القول من سيدي عمر بن الفارض قُدِّس سره باللسان المحمدي لفنائه وقت هذا القول في محمد ﷺ وقوله في العالمين، وأي صلاة مباركة مشهودة في العالمين الذين هم مظاهر حقيقة محمد ﷺ.

«**إنك حميد مجيد**» أي: هذا الحمد والمجد للعالمين لأنهم مظاهر وجودك المطلق فهم صور وجودك فلا سواك، بل الحمد والمجد لك وحدك إنك حميد مجيد.

وارد إيماني وكشف.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: (لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ) [ق:٢٢].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الإنسان كتاب الوجود الذاتي؛ لأنه جامع لسر الحقائق الأربعة التي هي: الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية مجسمه الصوري أرضه وروحه سماؤه،

وأن شئت قلت: جسمه دنياه وروحه آخرته، وإن شئت قلت: جسمه أوله وروحه آخره، وإن شئت قلت: جسمه ظاهره وروحه باطنه، وشهواته الطبيعية الظلمانية نيرانه، وأعماله الصالحة جنانه وشرعه صراطه وحسناته وسيئاته ميزانه، وسره المحمدي مقامه المحمود، وكنزه المخفي فيه أحدية ربه جلَّ وعلا، وتفاصيل ذاته التي هي مظاهر أسماء الله، وصفاته هي أكوانه وعقائده وظنونه في الله مشاهده؛ لأنه تعالى يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[٨٢٧] وجميع ذلك هو كتابه الذاتي قال تعالى: **(مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ)** [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: **(ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ)** [الإسراء:١٤]، أي: كتاب ذاتك الجامع للحقائق الخلقيَّة والمعاني الحقيَّة **(كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)** [الإسراء:١٤،١٥]، ولم يقل: عنها؛ لأنه معها، ولو ضل عنها؛ إذ ما ثم غيرها حتى يضل عنها؛ لأن جميع ما يشهده ويراه هو مظاهر حقيقة نفسه، فالحقيقة الإنسانية وإن كانت صورتها في الظاهر نسخة صغرى، فهي طاقة الحقائق الكبرى الجامعة لتفاصيل معاني الوجود وصوره، وإن كانت لا تتناهى، وعن هذا المعنى أنبأ الغوث الجيلي ﷺ بقوله:

ما في الديار سواي لابس مغفر فأنا الحمى والحي مع أثلاثه

فمن كشف الله تعالى له غطاء ذاته وأدرك مظاهر أسماءه وصفاته، فكشف له عنه وشاهد كل شيء منه فبصره حديد، ولا يكون إلا بموت خلقيَّه وحياة حقيَّه، قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[٨٢٨] فحينئذ يقال له: **(ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)** [الإسراء:١٤]، يعني أن الأمر منك وإليك، فأنت المحاسِب والمحاسَب، فباطنك محاسِب بكسر السين، وظاهرك محاسَب بفتح السين، فإذا تجلى تعالى في طور ذاته وقرأ كتاب ذاته المسطور في رق وجوده المنشور أدرك طائر بيته المعمور؛ إذ هو سقف الحقيَّة لهذا البيت المرفوع، كما قال تعالى: **(فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ)** [النور:٣٦]، فلما رفعت من الحديث الخلقي الذي هو أرض الصورة إلى سقف حقيقة الحق، ظهر بحر العلوم الإلهية منها المسجور بنار محبة «**فأحببت أن أعرف**»[٨٢٩] وهذا الطائر هو ملك الإنسان، فهو وإن كان طائرًا عنه ظاهرًا، ولكنه ملزم ثابت في عنقه؛ لأنه معانق له، ولا يخرج عنه بوجه من الوجوه، فهو طائر عنه لا طائر، بل هو في ذاته

---

(٨٢٧)

(٨٢٨)

(٨٢٩)

ويحسبه أنه طائر عينه، فإذا كشف غطاؤه يتبين له أن الغطاء هو غطاؤه، فما أعطى إلا نفسه.

قال تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ) [النجم:٤٠، ٤١]، أي: عند كشف الغطاء، فلا يرى الإنسان إلا صور سعيه.

ألا ترى أن قوله: الحمد لله هي التي تملأ ميزانه، وأن قوله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر صور نشأت منه، فكانت رياضه وجناته قال تعالى: (وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ) [الواقعة:٢٠]، فلولا تخيره لها في نفسه ما كانت فاكهة (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) [الواقعة:٢١]، فلولا ما قام في نفسه من شهوته لذلك اللحم ولتلك الطيور ما حواها ولا أكلها.

وقال تعالى: (كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ) [الحاقة:٢٤] أي: من صومكم، فإمساككم عن الطعام والشراب من حقيقة الاسم (المانع) القائم بهم هو الذي ظهر لهم بالاسم (المعطي) فأعطاهم ذلك الطعام والشراب، وما أعطاهم إياه إلا منع أنفسهم في الدنيا، وقد نبَّه الله على ذلك بقوله: (بِمَآ أَسْلَفْتُمْ) أي: المنع الصومي الذي أسلفتموه هو الذي أعطاكم ذلك الطعام والشراب، وكذلك صور الإنسان وقصوره هي صورًا لمعاني كان عليها في دار الدنيا، وأما تجليه تعالى له بالأسماء والصفات التي هي مظاهر حقيقة الذات، فيتجلى له باطن ذاته برحمته إن كان في الدنيا رحيمًا، وبكرمه إن كان كريمًا، وبعفوه وغفرانه إن كان في دنياه عفوًا غفورًا، وبجنة اليسرى إن كان في دنياه ميسرًا على عباد الله، وبجنة المأوى إن آوى يتيمًا أو فقيرًا أو مسكينًا، وبجنة الخلد لخلود التوحيد في باطنه، وكذلك الحسنى وزيادة للذين أحسنوا وزادوا بالإحسان، ولا يزال الأمر كذلك إلى أن يتجلى الحق له بالغنى الذاتي، كما ورد أنه يأتيه كتاب مضمونه من الحق: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، وليس الكتاب إلا من باطنه لظاهره، وتمام الكتاب:

أما بعد: فإني أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلناك تقول للشيء: كن فيكون، وليس المراد تعداد الآلهة بل المراد تجلي حقيقة الإنسان على صورته بحكم الواحدية؛ إذ الواحد هو الذي تتركب منه الأعداد وبه تتحلل، فهو القائم بجميع المراتب العددية، فهي وإن اختلفت عليها الأسماء فالمسمى في الحقيقة هو الواحد، وهذا معنى قول صاحب المقام القدسي سيدي عبد الغني النابلسي ﷺ: يا مسمى بالأسامي كلها وهو المنزه.

ومما قررناه يفهم قوله تعالى: (كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) [المطففين:١٨]، فالمعنى أن كتابهم الذاتي آل إلى عليين علو قولهم للشيء: كن فيكون، ولا أعلى من ذلك، وأما كتاب الفجار فكتاب ذاتهم في سجين، وما سجنهم إلا أنفسهم.

ألا ترى ما قال الله تعالى في حقهم: (وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ) [التوبة:٤٩]، فقال تعالى: (أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ) [التوبة:٤٩]، فهذا الكلام الذي قالوه لرسول الله ﷺ هو عين الفتنة، فهو الذي يظهر لهم في صورة الوادي الجهنمي فيسقطون فيه ويسجنون فيه، فما أسقطهم إلا هم، وما سجنوا إلا بما هو منهم، فالذي بدا منهم عاد عليهم، كما قال الله تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩].

ألا ترى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا) [النساء:١٠]، فهو نار في حقيقة الأمر وإن كانوا لا يحسون بذلك، بل يحسون به طعامًا فلا يعتد بحسهم، بل الحس حس الشرع الظاهر، فلو كشف غطاؤهم لراءوه وهم في الدنيا نارًا تتأجج في باطنهم، ولكنهم نيام كما قال ﷺ: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[٨٣٠] فعلمنا أن حياة الموت وحسه أصدق من حياة الدنيا وحسها، بل حياة الدنيا وحسها خيال ونعيمها وعذابها خيال، وشاهد ما قلناه ما ورد في الحديث الشريف عنه ﷺ من قوله: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له: يا فلان، هل رأيت نعيمًا؟ فيقول: والله ما رأيت نعيمًا قط، ويؤتى بأبس أهل الدنيا ويغمس في الجنة غمسة فيقال له: يا فلان، هل رأيت بؤسًا؟ فيقول: والله ما رأيت بؤسًا قط**»[٨٣١].

تنبيه:

أشار هذا الحديث الشريف أن الجنة من مكاره جلالك الذي كان في الدنيا، والنار من شهوات جمالك الذي كان في الدنيا، وذلك قوله ﷺ: «**حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره**»[٨٣٢] فالجنة مكاره الإنسان في الدنيا والنار شهواته.

ألا ترى قوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا) [مريم:٥٩]، فالجنة هي الشرع، والنار هي الطبع، فأعمال الشرع جنان وأعمال الطبع نيران.

---

(٨٣٠)

(٨٣١)

(٨٣٢)

ألا ترى قوله ﷺ: «**الجنة أو النار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**»[٨٣٣] فالإنسان مثلاً يكره الصدقة ولا يعلم أنه بصدقته يحول ناره لجنته، فناره شحه وبخله، وجنته عطاؤه وصدقته، شاهد ذلك الحديث الشريف: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[٨٣٤] وقال تعالى: (**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ**) [آل عمران:١٨٠]، فما طوقهم إلا بخلهم.

والحاصل أن صور النعيم أو صور العذاب هي المعاني الإنسانية، لكن من سبقت له الحسنى بدلت معاني شقائه صورًا جنانية، ومن حقت عليه كلمة العذاب بدِّلت معاني سعادته صورًا نيرانية، فالسعيد ولو دخل النار فإنه يدخلها للتطهير والشقي ولو أنفق ملء الأرض ذهبًا ليفتدي بذلك من كفره وشركه فما له ألا السعير.

روي في «مصابيح السنة» عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً للجنة وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: إن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه**»[٨٣٥] انتهى الحديث.

أقول: مقتضى هذا التجلي مقابلة كل سيئة بإحسان، ولقد بدا هذا المعنى في أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد ـ رحمهما الله ـ فكان المأمون يقول: لو يعلم الناس حبي في العفو لتقربوا إلي بالجرائم.

ورأيت في «طبقات» الإمام الشعراني ﷺ في ترجمة سيدنا زين العابدين علي الصغير بن سيدنا الحسين رضوان الله وسلامه عليهما: أن رجلاً سبَّ زين العابدين بمسبة عظيمة، فلما انتهى قال له: ما خفي عليك منا أكثر مما ذكرت، فأراد غلمانه أن يبطشوا به فمنعهم عنه وألبسه خميصة كانت عليه، وأمر له بأكثر من ألف، فقال الرجل: أشهد أنك

---

(٨٣٣)

(٨٣٤)

(٨٣٥)

ابن رسول الله، فمثل زين العابدين ـ سلام الله عليه ـ هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[٨٣٦] فهذه أخلاقهم مع المسيء، فما بالك بالمحسن.

فهذه الحضرة حضرة الكرم إذا تجلى الله على عبد تمنى أنه أتى جميع الخطايا أو حمل ذنوب البرايا وفي هذه الحضرة يقول الله تعالى للإنسان: **(مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ)** [الانفطار:٦]، ومن هذه الحضرة قال ﷺ في أهل بدر فقال: «**يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٨٣٧] ومن هذه الحضرة قيل له: «**يا محمد، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك**»[٨٣٨].

ولله تعالى جنات هي جنات أخلاقه جلَّ وعلا، ولذلك ورد تخلقوا بأخلاق الله، فمن كان على خلق من تلك الأخلاق الإلهية دخل جنة ذلك الخلق، وقد ورد: «**إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة**»[٨٣٩] أي: جنة ذلك الخلق الذي تخلق به من تلك الثلاثمائة، فلو تخلق بالجميع دخل جنان الجميع، وقال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[٨٤٠] أي: جنة إحصائها، فهي جنة الأسماء الإلهية، ومن لم يحص جميعها كان له بقدر ما أحصى، وكل ذلك داخل في قوله تعالى: **(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)** [النجم:٣٩].

فهذا أمر من وراء دائرة الأعمال الجنانية أو النيرانية، وورد أن لله تعالى في الجنة دار تسمى: دار الجلال، ويظهر لي أن هذه الدار أنشأها الله تعالى من معاني البلايا والمصائب والمكاره والهموم والأمراض، وإليها الإشارة بقوله ﷺ: «**إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها إلا هم العيال**»[٨٤١].

فهم العيال مثلاً لابد أن يظهر له منزلة في دار الجلال، وجلال الله تعالى لا يختص به أحد دون أحد، وهذا مما يفيدك أن الجنان خلقت من الرحمة الذاتية، والنيران خلقت من

---

(٨٣٦)

(٨٣٧)

(٨٣٨)

(٨٣٩)

(٨٤٠)

(٨٤١)

غضب الله العارض، ولو كان ذاتيًا ما أطفأته الصدقة قال ﷺ: «**الصدقة تطفئ غضب الرب**»[٨٤٢] وإذا أطفئ الغضب طفأت النار، ولله در القائل:

لي خمسة أطفئ بهم نار الجحيم المصطفى والمرتضى وأبناؤهما الحاطمة وفاطمة

نكتة:

اعلم أن الأمر ما بين السماء المتقابلة ورد بالجلال والجمال والرفع والخفض والمعطي والمانع والقابض والباسط.. ومثال ذلك، وكل اسم من هذه الأسماء له أول وآخر وظاهر وباطن، فهي دوائر أربع للمعاني كلها، وكل معنى به أبطن فيه المقابل له إلى تمام الدائرة، فيظهر ما كان باطنًا ويتأخر ما كان أولاً بحسب القابل، وهو المتجلي له بتلك المعاني، وهذا التقابل هو المعبر عنه بالصور الحاصل معنى الجنة والنار، وبابه هو المعنى البرزخي الذي فصل هذا المعنى عن هذا المعنى قال تعالى: (فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ) [الحديد:١٣]، (وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ) [الأعراف:٤٦]، فهؤلاء لا يحكم عليهم السور، بل السور تحت حكمهم، فمتى شاءوا فتحوا الباب المغلق، وذلك سر قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ) [الأعراف:٤٠]، فهذه الآية تشبه قول الله تعالى لإبليس: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ) [ص:٧٨]، انتهت دورة الدائرة الأولى من الاسم الأول، وابتدأت دائرة أخرى من الاسم الآخر فيعود الأول آخرًا والآخر أولاً، والظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، وإلى ذلك الإشارة بتبدل السماوات والأرض قال تعالى: (خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ) [هود:١٠٧]، ولا دوام إلا إلى الله، فإذا تجلى الحق بطن الخلق وظهر ما كان باطنًا، وكان أولاً ما كان آخرًا.

واعلم أن الخلقيَّة أضيق من سم الخياط؛ إذ لا وجود لها إلا في الوهم لا في العين؛ لأن الله تعالى قال: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، فأين الخلق؟! فالجمل الحقي والج في سم الخياط؛ لأن الجمل كناية عن إطلاق الذات، وسم الخياط عبارة عن مظاهر الأسماء والصفات التي هي الصور الظاهرة، وهذه الصور الظاهرة وجوه الله تعالى، فهو الظاهر لا سواه، فأين سم الخياط؟! فمن هنا سبقت الرحمة الغضب، فوسعت رحمة ظهور الله بوجوده كل شيء، والنار وجميع من فيها شيء وسعته الرحمة.

---

(٨٤٢)

وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**دخلت العمرة في الحج لأن العمرة من أجزاء الحج**» قالوا: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم للأبد؟ فقال: «**بل لأبد الأبد**»(٨٤٣).

فالعمرة عمارة الكون، «**والحج عرفة**»(٨٤٤) فعاد هو تعالى عمرة عمارة الدارين بأسمائه وصفاته الداخلة في عرفات حج ذاته؛ لأن الحج عرفه والحج: القصد، وعلى الله قصد السبيل، فهو القاصد والمقصود ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦].

وارد في القيام فعله ﷺ.

قال في «مصابيح السنة» عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «**ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا ودلاً** - وفي رواية: «**حديثًا وكلامًا**»- **برسول الله ﷺ من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها**»(٨٤٥).

والسمت: الهيئة والذل والوقار والسكينة، وقوله في الحديث: «**فأخذ بيدها فقبلها**» ظاهره أنه ﷺ قبَّل يدها وهي قبّلت يده، هذا وإن كان جائزًا في مقام الحب إلا أن المعروف أن النبي ﷺ كان يقبِّل فاطمة بين عينيها، وكونه أجلسها في مجلسه لم يعرف منه ذلك لغير فاطمة، وذلك لأنها بضعة منه، فالجسم الفاطمي جسم محمد ﷺ، وكان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه لا يفضل عليها أحد إلا النبي ﷺ.

أقول: يظهر من قوله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني**»(٨٤٦) أن من فضل أحدًا على تلك البضعة النورانية الطاهرة المقدسة فكأنما فضل أحدًا على رسول الله ﷺ؛ لأن الولد سر أبيه، فكونه أجلسها في مجلسه يشير أنها هي هو ذاتًا ومعنى وحسًا وروحًا فاتحادها به أعظم من اتحاد من يقول: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، والله الموفق لا رب غيره.

نفحة جيلية في شرح حكمة حاتمية.

أورد الحق علي وأنا أطالع كتاب «الإنسان الكامل» لسيدي المحقق الكبير عبد الكريم الجيلي قُدس سره قول الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

يا قبلتي خاطبيني في السجود لقد رأيت شخصًا بشخصي في قد

---

(٨٤٣)

(٨٤٤)

(٨٤٥)

(٨٤٦)

سـجدا

لاهوتـه حـل ناسـوتي فقدسـه إنـي عجبت لمثلـي كيف مـا عبـدا

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الشيخ الأكبر نادى قبلته باعتبار أن الله تعالى مشهود في تلك القبلة لسر خاص وهو: إن الله تعالى وإن كان غيبًا محضًا لا يتناهى وجوده، ولا يحصر ولا ينضبط بوجه من الوجوه، فهو بكمال ذاته عين كل حاضر بلا تجزؤ ولا انقسام ولا تركيب؛ إذ وجوده تعالى عين كل شيء، ولك شيء باعتبار وجوده المطلق عين كل شيء، فالوجود على هذا واحد لا يتعدد ألبتة، فالقبلة مظهر الاسم المعبود في كل شيء، إلا أننا لمَّا كنَّا مقيدين وعاجزين عن استقبال كل شيء توجهنا لشيء خاص وهو الكعبة؛ اختيارًا من الله تعالى؛ ليخرجنا عن هوى أنفسنا، وإن كنَّا لم نخرج بهوى أنفسنا عن التوجه إليه من جهة العبادة الذاتية فكل شيء في وجوده يستحق أن يكون معبودًا من جهة الحقيقة لا من جهة الشرع، فالمتوجه بالعبادة لكل شيء في الوجود مصيب في حقيقة الأمر الذاتي، والمتوجه إلى الكعبة المشرفة مصيب من جهة الأمر الذاتي والشرعي، فهو أهدى سبيلاً وأقرب طريقًا؛ لأنه مع الشرع ومع الحقيقة، فهو سائر بربه لا بهوى نفسه، وإن كان الحق معه في هوى نفسه ولكن لما لم يكن الشرع معه سمي مشركًا؛ لأنه أشرك بحكم الشرع الطاهر، فقد اتخذ آلهة هواه وأضله الله على علم بأن الله عين هواه، فهو مشرك شرعًا، وإن كان موحد حقيقة؛ لأن حق المعبود أن يكون معبودًا بكل وجه وبكل اعتبار، فالعابد من وجه خاص لا يسمى عابدًا، ولذلك قال ﷺ: «**تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار**»[٨٤٧] مع أن الدرهم والدينار مظهران كاملان لله تعالى، فعبد الدرهم وعبد الدينار عبد لله تعالى ولكن من وجه الحصر والتقييد لا من جهة الإطلاق، ولو لم يكن الوجود الإلهي عين الدرهم وعين الدينار ما سمي النبي ﷺ للمتوجه له بالحب عبدًا، ويلزم أن يكون الدرهم أو الدينار إلهًا ولكن من جهة التقييد إلى الإطلاق بقوله: «**قولوا لا إله إلا الله**»[٨٤٨] وما من شيء في الوجود إلا واسم الإله له حقيقة؛ لأن الله هو الظاهر فيه، فعرفنا أن الله عين كل شيء، فإذا عبدناه شرعًا وحقيقة بالتوجه للكعبة المشرفة حينئذ فقد عبدناه في كل شيء، فلا نكون مشركين؛ لأن التوحيد مصاحب لنا فلا حصر لله عندنا ولا تقييد.

وهذا المعنى لم يتحقق به عبدة الأوثان، ولا من يقول: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾** [المائدة:٧٤] فهم كفار، بمعنى أنهم ستروا الإطلاق في التقييد، والكامل هو الذي يظهر له

---

(٨٤٧)

(٨٤٨)

الإطلاق من عين التقييد، ويظهر له التقيد من عين الإطلاق، فإن التصور والتمثل عنده أمر حكمي لا عيني ذاتي، وأنت خبير بأن المداد مثلاً حقيقة واحدة متشكلة بصور الأحرف والكلمات والسطور، فهذه الأحرف والكلمات والسطور بمنزلة العالم المركب المشهود، والمداد بمنزلة الغيب المطلق، فالغيب عين الشهادة، فالبعوضة مثلاً على هذا عين الوجود بأسره.

وانظر لسر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة:٢٦]، ولما كان مشهد الشيخ الأكبر قوله ﷺ: «**إن الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تلقاء وجهه**»[٨٤٩] لذلك أخبر عن مشهده الكامل الأكمل بقوله: يا قبلتي خاطبيني؛ إذ الغيب الإلهي منطو في قبلته كما أنه تعالى منطو فيما يسمى عبدًا؛ لأنه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فلا يكمل الوجود الإلهي إلا بالحضور لا بالغيب، فالكل يطلق اسم الله هو على العبد الحاضر، فالعبد وإن كان ظاهرًا مقيدًا فهو عين حقيقة الذات لا تنتهي مظاهرها ولا تنحصر ولا تنضبط، فالبعوضة عين حقيقة الوجود.

فإذا قال الشيخ: يا قبلتي، فإنه لا يخاطب إلا الله، وقوله: خاطبيني، يشير أن الصفات السبعة والذات ظاهرة عنده بالفعل لا بالقوة، ولذلك كان يخاطب الكعبة المشرفة كما يخاطب الإنسان، ولذلك أمرنا أن نطوف بها لننتبه إلى طواف الأسماء الإلهية، فيعود ذلك الطواف علينا فنكون عين الطائف والمطوف به، ولذلك نستلم يمين الله ولا يستلم الأمر إلا صاحبه، فافهم.

وإنما قلت: فافهم؛ لأنه ليس كل من استلم الحجر استلمه حقيقة؛ إذ فرق بين من مسه وبين من استلمه، وقد ورد الحديث بأنه «**يأتي يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق**»[٨٥٠] ولا يستلمه بحق إلا حامل الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال فلم يحملها إلا الإنسان الكامل، وليست الأمانة إلا ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، وإنما وصف بالظلم لأنه أخفى نفسه في دار الدنيا وحجبها عن العامة فظلمها، وهذا الظلم من الحكمة.

وتسميته بالظلم من جهة الظاهر، وإنما وصف بالجهل لأنه لا يحيط بذاته إذ مظاهر حقيقته لا تنتهي ولا تنضبط، والحاصل أنه لا يشهد الحجر إلا لمن استلمه بحق، ولا يستلمه

---

(٨٤٩)

(٨٥٠)

بحق إلا الحق، فالكعبة هي الذات واليمين عبارة عن جملة الأسماء والصفات، وذلك هو القبلة هي مرآة الإنسان الكامل.

فلذلك قال رضي الله عنه: يا قبلتي خاطبيني والقبلة هنا إشارة إلى القابلية التي قبلت حمل الأمانة، وهي الصورة الإلهية، فكان الحق يخاطب صورته من جهة أنه لا يظهر إلا بها، ولذا قال في السجود: والسجود غاية التنزل الإلهي، وقد ثبت أنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، فنزوله من الحضرة المعنوية إلى الحضرة الحسيِّة فيكون سمع عبده وبصره ويده ورجله، فالمراد بسماء الدنيا جسم الإنسان الكامل، ونزوله إليه ظهوره به.

وقول الشيخ: رأيت شخصًا بشخصي في قد سجد المرء، وبالشخص الذي سجد فيه شخص الوجود الحق المتجلي بصورته، كناية عن أنه قبل تجلي الذات والأسماء والصفات، ولذا قال: لاهوته حل ناسوتي، وهذا الحلول كحلول المعنى في اللفظ، فإنه أمر حكمي لا عيني، وأما في روية العين فلا نري إلا اللفظ، وأما المعنى فهو المدرك من اللفظ ذهنًا وتصورًا لا حسًا وعينًا، وقوله: فقدسه، أي: صار اسم بعد أن كان اسما لصورة مقيدة ألا ترى أن الألف واللام والهاء ما قدسها إلا الدلالة علي وجود الحق الذي هو معناها وإذ أقطعت النظر عن هذا المعنى فهي كبقية الحروف فاللاهوت هو المعنى الإلهي والناسوت هو الصورة، فالمراد بالحلول التجلي، والتجلي يعطيك أن المتجلي عين المتجلى فيه، فلا إذ ما تم اثنان بحل أحدهما في الآخر، ولما كان الإنسان الكامل هو صاحب الأمانة الإلهية نشأ.

عجب الشيخ في قوله: أني عجبت لمثلي كيف ما عبدا، أي: ظاهرًا، وإلا فهو المعبود حقيقة؛ لأنه الجامع للوجود، فلا يكون معه من يعبده؛ لأنه مسمى العبد هو وكماله أن يسمى باسم العبد؛ لأن العبد حضرة الحضور، والحق حضرة الغيب، والغيب مندرج في الحضور اندراج المعنى في الحس، فلا يكمل اسم الله إلا بالآخر الظاهر لا بالأول الباطن فقط، ولذا قال ﷺ «**لو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبطتم على الله**»[٨٥١] ولهذا السر ذكر الشيخ السجود دون غيره.

([٨٥١])

وقد ورد الحديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[٨٥٢] لأنه يلاصق التراب، والإنسان ما خلق إلا من تراب، والتراب مندرج في الإنسان، ومن هنا تفهم سر قول الشيخ رضي الله عنه:

ومــا الفخــر إلا بالجســوم لأنهــا مولــدة الأرواح ناهيــك مــن فخــر

فمن التراب ظهر الروح الإنسان، والصورة الإنسانية كذلك بسبب الخلق ظهر الحق، كما يشهد لذلك الحديث القدسي: «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق**»[٨٥٣] ومع كون الخلق ليس له قدم في الوجود، بل له قدم في العدم، لا يعرف الوجود إلا به، وبضدها تتميز الأشياء.

وهذا معنى قول الشيخ الأكبر في «الفتوحات المكية»: فما ترى عين ذي عين سوى عدم، فصحَّ أن الوجود المدرك لله.

فقد جعل الوجود المدرك الذي هو الله عين العدم، فصور العالم كلها عدم، ولهذا لم تعبد صورة من الصور، بل المعبود هو الحقيقة الكلية.

ألا ترى أن الشارع ﷺ نهى أن يُسجد له؛ لأنه ربما يتوهم الساجد له أنه بمنزلة الصور التي يسجد لها عباد الأصنام، وأما العلماء بالله فإنهم يعلمون أن كل صورة في الوجود هي صوره، فلا يتوجهون إلا إليه، ولا يعولون إلا عليه؛ لشهودهم فيه الإطلاق، وحينئذ نقول بأن قول الشيخ: إني عجبت لمثلي كيف فاعبدا، أي: عجبت لماذا لم يكشف هذا السر لعموم الخلق! وإلا فما عبد غيره، بل كل شيء باعتبار الحقيقة معبود.

ولله در الغوث الجبلي حيث قال: لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي، فأرجو فضله أو فأخشاه، وكما أن كل شيء معبود فكذلك كل شيء عابد، باعتبار أن كل شيء كما أثبت ذلك قوله تعالى.

فإن قلت: لم قال تعالى في حق الأمانة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب:٧٢] ولم يقل: الإنسان الكامل؟ فنقول: حيث حملها الإنسان الكامل فقد حملها كل إنسان في الوجود، ولكن هذا الحمل للكامل بالفعل، ولغيره بالقوة، إلى أن يصل إلى درجة الكمال، ويتحقق بإنسانيته دنيا وآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢].

---

(٨٥٢)

(٨٥٣)

واعلم أن الإنسان الكامل هو بغيبة ذات الله جلَّ وعلا، وبشهادته هو الصورة الجامعة لجميع الأسماء والصفات، فغيبه أعظم الغيوب، أي: لأنه متحقق بأعظم الغيوب الذاتية، وشهادته أعظم الشهادات، أي: إنه أعظم تحققا بكل شهادة في الوجود، فهو مسمى الله، قال تعالى: (قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ) [الأنعام:١٩] فشهادة الله، أي: ظهوره بالتحقق العيني، وشهادة غيره بالتخيل الذهني، ولذا قال ﷺ: «**أصدق كلمة قالها لبيد**»[٨٥٤] وفي رواية: «**قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[٨٥٥] أي: عدم، فصحَّ كما قاله الشيخ الأكبر: إن الوجود المدرك هو الله، وأن ما تراه العين من كل كون نعتقد وجوده عدم باطل، بل حقيقة الأمر هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فاستمسك بما شرحناه لك، فقد أهدينا لك روية الله تعالى إن كنت مؤمنًا حق الإيمان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

لطيفة:

تفهم مما تقدم سألني الشيخ محمد خليل أفندي ابن المرحوم الشيخ علي أفندي ابن الشيخ خليل الهيجاني القادري ـ حفظه الله ـ عن كون الحق تعالى «**قبض من الأزل قبضتين وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**»[٨٥٦] ومن المعلوم أن هذا قضاء وحكم جبري لا يمكن خلافه، وذلك قبل أن يخلق الخلق أهل الجنة وأهل النار، وقبل أن يكفر الكافر، ويشرك المشرك، ويعصى العاصي، ثم إنه تعالى أرسل الرسول يقول للكافر: أسلم، والأمر المحتوم، يقول: لا تسلم.

وأخبر الله تعالى أنه (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ) [هود:٥٦] فهو الآخذ بناصية المسلم والمشرك، والكافر والعاصي، فلماذا يعذب أهل النار مع قضائه السابق والآخذ بنواصيهم اللاحق؟ وما ذنبهم بعد هذا القضاء الأزلي المجبر لهم على ما فعلوا؟ مع أنه تعالى قال: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ) [فصلت:٤٦].

وقد قال من أشكل عليه هذا الأمر:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

نقول في الجواب: إن أهل النار قضى الله عليهم بترقيهم في الجلال لمناسبة المزاج الذي هم عليه، وهذا فشاهد في الدنيا، فإن بعض الناس إذا أمرته بأمر ولم تباسطه بالقول

---

(٨٥٤)

(٨٥٥)

(٨٥٦)

اللين بل بالعنف والشدة عن امتثال أمرك، ولو كان يحب إجرائه لا يجريه مع إغلاظك عليه وتشديدك، كما قال تعالى لنبيه ﷺ، وهؤلاء هم الذين قال الله في حقهم: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات:٥٥] وهؤلاء مظاهر الاسم اللطيف الباسط الحنان الجميل، وأن بعض الناس على العناد والتكبر فلا يمتثلون الأمر إلا بأن تعاملهم بالشدة والغلظة والتعذيب، وهم الذين قال في حقهم: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) [يونس:٩٦،٩٧] وقال في حقهم: (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة:٦] وهؤلاء مظاهر الاسم الجليل القابض المتكبر الجبار، فكلما ذكرهم الرسول قسوا قلوبهم كما قال تعالى: ولو كان يحب إجرائه لا يجريه مع إغلاظك عليه وتشديدك، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران:١٥٩]، وهؤلاء هم الذين قال الله في حقهم: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات:٥٥]، وهؤلاء مظاهر لاسم اللطيف الباسط الحنان الجميل وأن بعض الناس جبلوا على العناد والتكبر فلا يمتثلون الأمر إلا بأن تعاملهم بالشدة والغلظة والتعذيب وهم الذين قال في حقهم: (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) [يونس:٩٦، ٩٧]، وقال في حقهم: (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [يس:١٠]، وهؤلاء مظاهر الاسم الجليل القابض المتكبر الجبار القابض المتكبر الجبار، فكلما ذكرهم الرسول تقسوا قلوبهم، كما قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ) [الزمر:٢٢]، وقال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة:٧٤]، فهي بمثابة الحديد لا يصفو ولا يلين، ولا يذهب عنه الصدأ إلا بالنار، هذا في ابتداء الأمر قبل أن يعرف أهل النار أنفسهم، فمتى عرفوا نفوسهم أنهم مظاهر أسمائه، يتعشقون بالأسماء المتوجهة عليهم من الحق، فأهل الجمال يتعشقون بالأسماء المتوجهة عليهم، وأهل الجلال يتعشقون بالأسماء المتوجهة عليهم، حتى يتحققوا بتلك الأسماء أنها عينهم، والأسماء عين الذات، فيكون هؤلاء عين هؤلاء وذلك سر قوله تعالى: (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ) [النور:٤١]، فأهل الهداية عابدون بالنسبة إلى الاسم (الهادي)، وأهل الضلال عابدون بالنسبة إلى الاسم (المضل)، وهذه العبادة هي شأن الله الذي أخبر عنه بقوله: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن:٢٩]، فيتحقق عند كشف الحجاب أن شأنه شأن الله، وأنه هو لا غيره، وأنه هو الظاهر بذلك الشأن وعند ذلك يقول: أنا عين الوجود، والظاهر بصورة كل شاهد ومشهود.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن التعشق الذاتي الذي ذكرناه يرى للعاشق المعشوق في غاية الجمال، ولو كان في نفسه في غاية القبح، فلا يدرك قبحه إلا جمالاً حتى قال مجنون ليلى:

أحب لحبها السودان حتى   أحب لحبها سود الكلاب

وقال الشاعر:

نَحنُ بَني ضَبَّة أرباب الأسل   المَوتُ عِندَنا أحلى مِنَ العَسَل

وكم شوهد من إنسان يكون عنده جارية شوهاء وغادة حسناء فيقدم الشوهاء على الحسناء.

يحكى عن طائفة في المغرب يقال لهم أولاد أم عيسى أنهم بمجرد ما يرون الضبع يلقون بأنفسهم إليه، وينجذبون إليه انجذاب الحديد للمغناطيس، وكذا يذكر عن طائفة أنهم يتعشقون البحر، ويلقون فيه أنفسهم ولا يبالون، حتى أننا نرى المجوس لا يزالون يحبون النار حتى يلقوا أنفسهم فيها، ونرى الفرسان يتلذون بخوض حروب الطعن والضرب، ويكون لهم في ذلك غاية الطرب، فكأسهم سيفهم، ومدامتهم سفك الدماء، وعناقهم مقارعة الأبطال، وشد الأدهم والأشقر لمنازلة الرجال.

ألا ترى قوله تعالى: **(فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ)** [البقرة:١٧٥] فلو لم يكن عندهم من القوة الإلهية ما يحملهم على مقاومة عذاب النار لما صبروا، وعندهم من الجبروت والعظمة ما يكون ضرس الواحد منهم كجبل أحد، فالنار تحسب أنها تنتقم منهم، وعظمة الله فيهم هي التي تتلقى ذلك الانتقام، فتكون تلك العظمة كالترس الذي يتلقى به السيف، فالأسماء الإلهية تدفع بعضها بعضًا، فالاسم (الرحمن) يدفع (شديد العقاب) والاسم (الوهاب) يدفع (أليم العذاب)، والكل مظاهره، والحقيقة تنادي:**(هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)** [الحديد:٣] والله الموفق ونسأله حسن الختام بجاهه ﷺ.

وارد الفطرة وهو من بحر القدر الإلهي قطرة.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٨٥٧].

اعلم ـ نور الله قلبك ـ أن علماء الظاهر اختلفوا في الفطرة، فقال بعضهم: هي فطرة الإسلام، وقال بعضهم: هي فطرة الإقرار بالربوبية؛ لأنه تعالى أشهد العباد على أنفسهم بتجلي ربوبيته فأقر الجميع و**(قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ)** [الأعراف:١٧٢] والذي أقول: إن حديث

---

(٨٥٧)

رسول الله ﷺ يمشي مع القرآن العظيم حيثما مشى، حتى لو تصوَّر القرآن بصورة لكانت تلك الصورة هي عين محمد ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠] أي: لا يعلمون أن الله فطر الناس على فطرته التي هي الدين القيم، ومعنى أنه قيّم: إن الله أقام الوجود عليه فلا تبديل لخلق الله، فوجود الله هو الأصل، ووجود الناس هو الفرع، والأصل مقدم.

ومن هذا المعنى يقول الغوث الكامل الأستاذ سيدي عبد الكريم الجيلي: إن المعلومات تتبع العلم الإلهي فيما هي عليه؛ لأن علم الله عين فطرة وجوده، فكان الناس على تلك الفطرة، فعلم الله كشف فطرته، وفطرته هي علمه، فعلمه هو معلومه هو، فذلك هو المرتبة الأولى حكمًا، والمعلومات الخلقية هي المرتبة الثانية حكمًا، وإن كانت فطرة الناس بالنسبة لفطرة الله كالموج بالنسبة إلى البحر لكن لو لم يكن البحر لم يكن موج، هذا محط نظره ﷺ فرقًا بين القديم والحادث.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ [النحل:١٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]، فعلى هذا الكلام الاستعداد تابع للعلم الإلهي، وهو إدراك الله لمعلوماته من نفسه، فلولا إدراكه لنفسه ولشئونها الذاتية لم تكن معلومات.

وقال الشيخ الأكبر: إن ذات الله تعالى لها وجهان، وكل منهما أصل في نفسه، فالحق أصل في الوجود، والخلق أصل في العدم، فالخلق ما شم رائحة الوجود، والحق ما شم رائحة العدم، فلا يطلق على الخلق الوجود حتى يكون فرعًا بل هو باق على أصليته، وحيث أنه وجه ذات الله، والعلم وصفه، فالموصوف حكمًا واعتبارًا هو الأصل وإن كان وصف الله عين ذاته، وهذا الكلام أنسب بقول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩] وذات الله تعالى التي لها وجهان: عين حجيته البالغة فارتفع الاعتراض عليه كما قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] ولاسيما والله يقول: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١] فبلاهم بنفسه فعلم بنفسه فعلم نفسه على ما هو عليه فما هم عليه عين ما هو هو عليه كما حكى الله عن موسى ﵇ قوله: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ [طه:٥٠] أي: خلق ذاته التي هي وجه ذات الله، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: ظهر بحقيقته التي هو ثابت عليها في نفسه، وله الحجة البالغة في نفسه على ما هو عليه، قال ﷺ في حق من يعمل بعمل أهل الجنة أو بعمل أهل النار فيما يبدوا للناس «**فيسبق عليه الكتاب**» فعند الشيخ الأكبر: الكتاب ذات المعلوم، سواء كان وجه الوجود أو وجه العدم، وذلك هو ذات

الله تعالى، وعند الغوث الجيلي: الكتاب علم الله تعالى الذي هو عين ذاته، ويرجع قول كل منهما إلى معنى واحد، فاختر لنفسك ما يحلو، فالشيخ الأكبر يقول: الاستعداد هو الأصل في التجلي، والغوث الجيلي يقول: التجلي هو الأصل في الاستعداد.

وأنا أضرب لك مثلاً تفهم به حقيقة هذا الكلام، وهو أن كلام الشيخ الأكبر بمنزلة من عنده خاتم يطلب له فصًّا على قدره، وكلام الغوث الجيلي بمنزلة من عنده فص يطلب له خاتمًا على قدره، وعلى كل حال لابد أن يطابق الفص الخاتم، ولا يكون الخاتم خاتمًا إلا بوجود الفص ومحله المطابق له، فبعد أن فهمت الأمر فاعتبر ما شئت فكل من الأستاذين لنا كالأم والأب ونحن الأولاد، والولد لا غنى له عن أمه وأبيه، والله الموفق.

جرى بنا القلم في بحري الوجود والعدم، فلنرجع على مجمع البحرين وهو فطرة الله فهي حياة العين فنقول: لو كان المولود يولد على فطرة الإسلام لا يجوز للخضر عليه السلام أن يقول في حق الغلام الذي قتله: إنه طبع كافرًا، ولا يمكنه الشرع من قتله والاعتذار بقوله: **(فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا)**[٨٥٨] [الكهف:٨٠]، دليل على أن فطرته الكفر لا الإسلام، وقد صرح النبي بأن الغلام طبع كافرًا.

فإن قلت: إن موسى عليه السلام أنكر قتله، والخضر استحل قتله، فكيف الأمر؟ ومن هو الأحق بالاتباع؟

قلت: إن الخضر أنصف، حيث قال: «**يا موسى، أنت على علم من الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم من الله لا تعلمه أنت**...»[٨٥٩] الحديث، وقد برأ الخضر نفسه حيث قال: **(وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي)** [الكهف:٨٢]، ومعنى كلامه عليه السلام: أني ما أظهرت في الوجود إلا ما كان في الثبوت، ومن جملة حال الغلام في الثبوت أنه يقتل في الوقت الذي قتلته به، فأظهرته في الوجود، فكان حكمي منسوبًا إلى الله لا إليَّ كرمية محمد ﷺ قال تعالى: **(وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ)** [الأنفال:١٧]، فهذا حكم الحقيقة.

وأما في الشرع الظاهر فالرامي محمد ﷺ وفي الشرع الظاهر يقتل الخضر بقتل الغلام ولكن الخضر في هذه المسألة بمنزلة ملك الموت قال تعالى: **(قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ**

---

(٨٥٨) قد عجبت من هذا الأمر، وأن الله سبحانه كان في الأزل عالمًا بذلك قادرًا على أن يخلقه مؤمنًا، ولم يطبع على قلبه الكفر حتى لا يكون أبواه بسببه كافرين، لكن حكمته الأزلية جارية بغير إدراك إفهام الفهماء، وهو لا يحتاج إلى قتل الغلام بغير جرم، بل هو قادر على أن يهديه إلى طريق الحق؛ حتى لا يغشى عليه، وعلى أبويه ظلمة الكفر.

(٨٥٩)

ﭐلۡمَوۡتِ) [السجدة:١١]، ثم يحيي الله ملك الموت وأثبت نفسه فقال: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا) [الزمر:٤٢]، فأين ملك الموت؟ فعلى هذا موسى مرسل بالشريعة، والخضر مرسل بالحقيقة، فكان موسى عليه السلام يطلبه فجمع مجمع البحرين ليفوز بعين حياة المشربين، فالخضر يحيي ويميت، فكيف يحكم بقتله؟ فلو كان للحلاج تمكن من تجلي الاسم الحي لما تسلطوا على قتله، فإن أبا يزيد قال: ما في الجبة إلا الله، وما تسلطوا على قتله، فإن قلت مقتضى قوله ﷺ: «**وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٨٦٠].

إن المولود مسلم، أقول: ليس كذلك، بدليل قول النبي في الغلام طبع كافرًا وبدليل قول الله: (فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا) [الروم:٣٠]، وفطرة الله أسماؤه، وأسماؤه منها: الهادي والمضل، ومنها: الخادع والماكر، ولا مستهزئ، وهذا هو خلق الله ولا تبديل له، فالأبوان لا قدرة لهما على تبديل خلق الله، فالفطرة في كلامه ﷺ معناها: ما هو عليه المولود من فطرة الله وقوله: «وإنما أبواه...» إلى آخره، دليل لما هو الواقع عند الله بدليل قوله تعالى: (لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ) [الروم:٣٠]، فافهم هذا فإنه من العلم الخضري، وهو العلم اللدني الذي قال تعالى فيه: (وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا) [الكهف:٦٥].

وإذا لـــم تـــر الهـــلال فســـلم   لأنــــــاس رأوه بالأبصــــــار

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: الحق والباطل والفرق بين العارف الواصل والواقف الجاهل

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ) [ص:٢٧]، وحيث إن الله تعالى نفى الباطل عن السماء والأرض وما بينهما ثبت ضد الباطل وهو الحق، فكأنه قال:ما خلقنا ذلك إلا حقًا، وحيث الأمر كذلك فما معنى قوله ﷺ: «**أصدق كلمة قالها شاعر**...»[٨٦١] وفي رواية: «**قالها لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[٨٦٢] ، فدلّ الحديث أن كل شيء باطل إلا الله والسماء والأرض وما بينهما أشياء، فكيف يعارض الحديث القرآن؟ وما المراد بالحق وما المراد بالباطل؟ وهل ما ذكر من وجه هو حق ومن وجه هو باطل؟ وهل يُقال للخلق حق أم لا ؟ والأشكال المهول أن الله تعالى سمى الباطل باطلاً وعلق الإيمان به فقال تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(٨٦٠)

(٨٦١)

(٨٦٢)

بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ) [العنكبوت:٥٢]، فما هو هذا الباطل الذي آمنوا به؟ وهل له وجود أم هو عدم؟ فإن كان له وجود فما وجه خسرانهم مع وصفهم بالإيمان به؟ وإن كان الباطل عدمًا فما وجه إطلاق الإيمان عليهم والعدم لا يتعلق به الإيمان؟ وهل يدخل المؤمن بالباطل في قوله تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) [الروم:٤٧]، وهل انتصار المشركين على أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لإيمانهم بالباطل وثباتهم عليه؟ وإن لم يكن كذلك، فكيف ينتصر مشرك على مؤمن مع قوله تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) [الروم:٤٧]، وما معنى قول بعضهم:

لا تنكر الباطل في طوره فإنه بعض ظهوراته

وأعطه منك مقدار حقه حتى توفي حق إثباته

توضيح وبيان وبالله المستعان.

اعلم ـ شرح الله صدرك ورفع بالعلم قدرك ـ أن الوجود دائر على أمرين: حقيقة وجودية نورانية، وصور متشكلة متنوعة خيالية، فالأمر الأول الذي هو الحقيقة: هو الحق الظاهر، والأمر الثاني وهو الصور: هو الخلق الباطن الذي لا وجود له إلا في التخيل، فالسماء والأرض وما بينهما، بل كل شيء باعتبار حقيقته هو حق، وباعتبار صورته وشكله هو خلق وحق وجود محض، والخلق عدم محض، فالخلق لا يظهر إلا متصورًا بصورة الخلق الذي هو العدم، كذلك الخلق العدمي لا حقيقة له إلا الحق الذي هو الوجود المحض المطلق، فإذا تجّلى الله تعالى بصور الأشياء ظهر مقيّد المحسب تلك الصور، فأطلقت عليه أحكامها عند أهل الحقائق مع أن تلك الصور لم تتعين في حضرة الوجود إلا في الخيال، فالعارف بالله إذا شهد حقيقة العالم، قال: هو حق، وإذا شهد صور العالم، قال: هو خيال باطل، وهو الخلق ومن شهد الأمرين، قال: هو حق خلق، فتبيّن أنه برزخي من وجه هو حق ومن وجه هو خلق، ولذلك أنشد بعض العارفين:

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

والذي يعرف هذا حاز أسرار الطريقة

ومثال الحق مع الخلق مثال المداد المتشكل بصور الحروف، فأنت مع حكمك بأن هذا ألف وهذا باء وهذا تاء إلى أخره، نحكم بأنه ليس في الوجود الخارجي إلا المداد والألف والباء والتاء إلى آخره، ما خرجت من علمك النفسي بها إلى العين الوجودية مع رؤيتك لها وحكمك عليها بالأسماء، وهذا معنى قول أستاذنا الحاتمي قدّس الله سره: إن

الأعيان الثابتة ما شمت رائحة من الوجود ولكن الله تعالى ظهر بوجوده في صور معلوماته التي لها من نفسها رتبة العدم المحض، فعلى هذا من آمن بحقيقة السماء والأرض وما بينهما وبحقيقة كل شيء، فقد آمن بالله الحق، ومن آمن بالصور العدمية فقد آمن بالباطل، ولما كان هذا الباطل العدمي مظهرًا للحق الوجودي اعتبر الله الإيمان بالأمرين فقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا**﴾ [ص:٢٧]، أي: ما ظهرتا بصورة السماء والأرض وما بينهما إلا بوجودنا، ووجودنا حق لا باطل وإخبار النبي ﷺ: «**بأن أصدق كلمة قالها لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[٨٦٣] ، مراده الصور بلا اعتبار الحقيقة، ولذلك قال ما خلا الله، والله حقيقة الوجود، أي: كل شيء فكل شيء من جهة حق، فمن الناس من آمن بالله وهو حقيقة الوجود وكفر بالباطل، ومن الناس من آمن بالباطل وهو الصور المتكاثرة وكفر بالله، وهم الذين قال عنهم: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ**﴾ [العنكبوت:٥٢]، أي: الذين خسروا الأشياء مع الإيمان بها، فلو رأوا الله فيها لم يخسروها، ولهذا السر أنطق الله عباد الأصنام بقولهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ**﴾ [الزمر:٣]، فاعتبر الله الإيمان مطلقًا فقال: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم:٤٧]، فلما اعتمد من اعتمد على الكثرة يوم حنين وأعجبته وغفل عن الواحد الأحد بطن إيمانه، ولما اعتمد أهل الأصنام على من يقربهم إلى الله زلفى وغلب عليهم قوة الإيمان بذلك ظهر إيمانهم، وحق على الله نصر المؤمن بأي وجه كان، وعلى أي حال كان فالمؤمنون ماداموا حاضرين مع إيمانهم لا يغلبون أبدًا، فما هزم مؤمن قط، وما ولىّ مؤمن دبره في الجهاد قط، ولذلك ثبت رسول الله ﷺ ومن معه من الصادقين وقال: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[٨٦٤] والقصة شهيرة في كتب السير فراجعها إن شئت.

وقد قال سيدنا الحاتمي - قدس الله سره- أن المؤمن إذا كان حاضرًا مع إيمانه لا يتعدى حدًا من حدود الله ألبتة ولذا قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٨٦٥] وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ**﴾ ولكن الله إذا قضي أمرًا سلب ذوي العقول عقولهم، قال ﷺ: «**إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي**

---

(٨٦٣)

(٨٦٤)

(٨٦٥)

العقول عقولهم، فإذا أمضى فيهم قضائه وقدره ردها عليهم ليعتبروا»[٨٦٦] فكانت وقعة حنين وأحد وأمثالها من حكم القضاء والقدر سأل بعضهم أيزني العارف بالله؟ فقال: (**وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**) [الأحزاب:٣٨].

ولله رجال يشاهدون الآخذ بناصيتهم عند وقوع الفعل منهم وإلا كمل مشاهدة المقدور قبل وقوعه، فيبادر إليه وهو في حكم الشريعة الظاهرة عاص، وفي حكم الحقيقة الباطنة طائع، ومن المؤمنين من مشهده الاسم (الماحي) وذلك قوله ﷺ: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**»[٨٦٧] ومنهم من يندم عقب الفعل فيكون ندمه توبة ومنهم من لا يندم لتحققه بالقضاء السابق، وهؤلاء أرباب حال لا يقتدى بهم، والأكمل حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد بكى آدم عليه السلام على خطيئته مع التحقق بالقضاء السابق: (**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**) [البقرة:٦٠]، والله الموفق.

وقوله تعالى: (**ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟**) [ص:٢٧]، أي: الذين لا يشاهدون الله في المظاهر، ولا يدرون أنه هو الظاهر، فيقولون: (**وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ**) [الجاثية:٢٤]، ويقولون: (**مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ**) [يس:٧٨]، فربهم الحق عندهم خيال، والكون الباطل حقيقة فعكسوا الأمر فخسروا قرب الحق فنودوا من مكان بعيد، إلا أن الله من رحمته سماهم مؤمنين بحسب مقامهم، وإن كان بعيدًا من القرب الإلهي وذلك للإقرار الأول عند قوله: (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) [الأعراف:١٧٢]، فأخبر عن الجميع أنهم (**قَالُوا۟ بَلَىٰ**) [الأعراف:١٧٢]، فاعتبرها الله لهم لشرف الإيمان وعمومه؛ لأنه تسمى بالمؤمن، فسرى إيمانه في المظاهر؛ لأنه عين الوجود الظاهر، فلابد أن ينصر الاسم المؤمن من تلبس به لقوله تعالى: (**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) [الروم:٤٧]، للأخوة الإيمانية بين المؤمن الحق وبين المؤمن الخلق، وقال تعالى: (**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) [الحجرات:١٠]، فكان من جملة النصر اعتبار الإيمان بالباطل وبالجبت والطاغوت، ومن هنا قال ﷺ: «**تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى**»[٨٦٨] وسجد هو ومن في المسجد من الجن والإنس المؤمنين والمشركين، فلذا قال في البيتين المتقدمين:

لا تنكر الباطل في طوره فإنه بعض ظهوراته

---

(٨٦٦)

(٨٦٧)

(٨٦٨)

يعني: أن الله هو الظاهر فيما يسمى باطلاً، فمن جهة ظهور الله فيه هو حق فلذا قال: وأعطه منك مقدار حقه، وهو حق الله فيه من جهة أنه مظهره حتى توفي حق إثباته، أي: من جهة أنه مندرج في وجود الله، قال تعالى: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ) [الحديد:٣]، فما خرج عنه شيء، فمن هذا الوجه، أي: الباطل وما ثم إلا هو، فالسراب عين الشراب، ولذا قال تعالى في السراب الباطل: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ) [النور:٣٩]، فكما أن الله عند الشيء كذلك هو عند لا شيء، فالعدم في حق الله عين الوجود، فيخرج الله كل شيء من كل شيء.

وقد أشرنا بهذا الكلام إلى حقائق عالية وأسرار غالية، فيخرج الرب من العبد والعبد من الرب، قال ﷺ مشيرًا لهذا المعنى: «**يا علي، أنت مني وأنا منك**»[٨٦٩] وورد أيضًا: «**أبو بكر مني وأنا منه**»[٨٧٠].

ألا ترى أن الرب يظهر لك يوم القيامة بصورة معتقدك، واعتقادك منك، فربك منك، فقد أوجدته كما أوجدك، وهكذا يظهر لك نبيك بحسب الصورة التي تخيلته فيها، فأنت منه في عالم الملك؛ لأنك مخلوق من نوره، وهو منك في عالم الملكوت؛ لأنه صورة معنى قائم فيك، وقد أفشيت سرًا دونه جز الرقاب، فسأل الله أن يكون عنده لي لا علي، وأن لا يؤاخذني به؛ لأن العلم جرى به فظني بالله أن يحجبه عن غير أهله؛ لأنه من وراء العقول، ولكن من عرف أن الله تعالى عين كل شيء في الوجود، وأن الأمر منه وإليه، وأنه هو المسمى بالرب كما أنه المسمى بالعبد لم يثقل عليه سماع مثل هذا الكلام، بل يتحقق أن هذا الوسع الإلهي كما قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:١١٥]، ومن شهد أن هذا وسع الله ومندرج بحقيقة: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، وعلم أنه لا إله إلا الله فقد مات وزال نومه وحصل على الانتباه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ولما توفي ولده الشاب الفالح السيد محمد فريد رثاه فقال:

كـل امـرئ أضـحى عليهـا فـان	حقًـا ويبقـى وجـه ربـي الـداني
هـو ذو الجـلال وذو الجمـال وذو الحيـــــــــــــــــــــا	ومواصـــل الإكـــرام والإحســـان
عَـدل الحكـيم يقـبض أنفـس خلقـه	والمـوت تحفـة صـاحب الإيمـان

(٨٦٩)

(٨٧٠)

ورسـوله اختـار اللقـاء لربـه   فـي حضـرة جلـت عـن الحـدثان

لـو دام شـخص دام أكـرم مرسـل   عمـت فضـائله علـى الأكـوان

لـي أسـوة بالسـيد الهـادي إذا   جـل المصـاب وواصـلت أشـجاني

ومحجـب كالبـدر بعـد طلوعـه   قـد ظللتـه غمامـة الأكفـان

هـو يوسـف فـي جـب رمـس لبتـه   أن لا يجـاوز قبـة الميـزان

ذاك الفريـد محمـد سـر إليهـا   روح صـبا للـروح والريحـان

إنسـان قلبـي مـذ أتـاه رحيلـه   قـد صـار يتلـو سـورة الإنسـان

حجـر النـوى عنـه البيـات بركبـه   وحصـار أوج الشـوق رصـد جنـاني

أيـن القـرار ولا جـواب مـن الـذي   قـد صـد عـن أهـل وعـن أوطـاني

عهـدي بصـبري أنـه لـي طـائع   مـا لـي أراه مصـمم العصـيان

وبمهجتـي أفـديك يـا أنـس البهـا   يـا فـرد حسـن مـا لـه مـن ثـاني

جاريـت فيـك حمامـة ونفاسـة   فسـبقت أهـل السـبق فـي الميـدان

إن قلـت يـا أسـفى عليـك فإنمـا   يعقـوب أول قالهـا والثـاني

يـا مفـردًا بكمالـه وجمالـه   كسـرت جمـع الصـحب بـالأحزان

يـا راحـة الصـب العليـل وروحـه   مـن بعـد بعـدك مـا صـفت أزمـان

قـد كنـت السـبي فـي الخطـوب إذا دهت   فغـدوت تـؤنس حـور عـدن جنـان

قـد كنـت أيـوب البلايـا صـابرًا   حتـى حظيـت بحضـرة الـرحمن

مازلـت بعـدك ذاكـرًا لـك شـاكرًا   أهـدي إليـك تحيـة الرضـوان

يـا صـاح إن رمـت المعاهـد زائـرًا   أهـد الفريـد فـواتح القـرآن

واسـأل لـه الفـردوس أعلـى جنـة   أنهارهـا تجـري مـع الـدوران

ولـذا شـهدت مقامـه البـاهي السـنا   أرخ عزيـز أكـرم الضـيفان

وارد طرائف بمعنى لطيف.

ورد في الخبر القدسي أن الله قال: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[٨٧١].

اعلم ـ نور الله قلبك وضاعف فيه طاعتك وحبك ـ أن الصور الكونية هي الحاملة لمعاني الأسماء الإلهية، وتسمى عندنا أسبابًا للأمور التي يجريها الله تعالى في الكون، فالخبز مثلاً سبب للشبع، والماء سبب لإزالة الظمأ، وهكذا فبطريق العادة أن الإنسان إذا جاع يظن في الخبز أنه يشبعه، ويظن في الماء أنه يرويه، ويظن في الثوب أنه يقيه الحر والبرد، ويظن في الدار أنها تأويه، ويظن في السلاح أنه يقيه العدو، فيكون الأمر كذلك حسب ظنه، فمن ظن في الذهب والفضة مثلاً قضاء الحاجة كان الأمر كذلك كما ظن فأراد الحق تعالى تنبيه عباده يقول لهم: إنكم تحبون الأسباب التي يكون قضاء الحوائج بها عند ظنكم، والأمر كذلك هي عند ظنكم لكنكم ما عرفتموها إنها هي أنا فيقول أحدكم: ظننت أن الأمر الفلاني يتكفل بمطلوبي فيكون كذلك، ولولا قوتي وزادي مثلاً ما كنت أعيش ولكنت أموت من الجوع، فعرف الحق عباده بهذا الخبر القدسي أن الذي كان عند ظنك وأشبعك ليس هو الغوث بل إنما هو صورة الحي الذي لا يموت، فما تسميه خبزًا وماء وثوبًا ودارًا هو أنا فسمه باسمي، واعرفني فيه فتكون ذاكرًا لي عند رؤيتك لكل شيء في الوجود سواء احتجته أنت أو احتاجه غيرك ففقرك يا عبدي إلي لا إلى الأشياء والأشياء التي تسميها أشياء هي أنا، وأسمائها واقعة علي لا على غيري. وأنا الذي عند ظنك لا غيري، وأكد الله ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر:١٥]، فسلب الأشياء عنها وأثبتها أنها هو فمن ضل بمقتضى هذا النص الإلهي أن الله عين كل صورة في الوجود كان الله عند ظنه، وكان الأمر كذلك تحقيقًا، فينقلب ظنه يقينًا وهذه الحضرة هي حضرة الانقلاب، وتحتها من الأسرار الإلهية ما يغار أهل الله على إفشائه؛ لأنها تعطي أن الرب عبد لعبده كما أن العبد رب لمن هو ربه، فينقلب هذا هذا وهذا هذا.

ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ [فصلت:٢٣] فما أرداهم عند الله إلا ظنهم فيه، فكان الله عند ظنهم، فلو ظنوا به الخير لكان عند ظنهم فعلمنا أن العبد متصرف في ربه كيف يشاء، فانقلب العبد سيدًا والسيد عبدًا.

ومن هذا المعنى قال الشيخ الأكبر: فيعبدني وأعبده، والعبادة هي الطاعة والانقياد، وأي انقياد أعظم من انقياد من يكون عند ظنك، فحينئذ لا يسعدك إلا أنت، ولا يشقيك إلا أنت؛ لأنك المتصرف بربك كيف شئت، فمن هذا المعنى أنت المعبود وهو العابد، فدار

---

(٨٧١)

الدور، ومن هذا السر يقول أهل النار كما حكى الله عنهم: **(مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ)** [ص:٦٢]، فيفقدونهم مع أنهم منهم إلا أنه ميزهم عن الأشرار، حَسُن ظنهم بالله فجعلهم من الأخيار، كما أنهم يجدون معهم من ليس منهم من عالم أو شهيد أو حافظ قرآن، ترديهم نياتهم فيكون الحق يعاملهم بحسب ما نووا فيجعلهم من الأشرار بعدما كانوا ظاهرًا من الأخيار، وذلك سر سبق الكتاب، والكتاب أنت لا غيرك؛ إذ أنت الذي كتبته، فالكتاب يتولد منك، فما أحسن العلم بالله! وما أقبح الجهل بالله! ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدرهم أو الدينار**»(٨٧٢) وجه الله تعالى لما تعس؛ لأنه حينئذ لا يكون محجوبًا عن الله بالدرهم أو بالدينار، بل يشاهد الله عند مشاهدته، وليس ذلك خاصًا بالدرهم وبالدينار، بل هو ساري في كل محبوب وفي كل مطلوب.

ويدل لما قلناه من أن الأمر بحسب المشهد أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أحب أن يكون فعلي حسنًا وثوبي حسنًا فهذا بمنزلة من قال فيه: «**تعس عبد الخميصة**»(٨٧٣) وهي ثوب بمثابة الجبة، فلما حكى ذلك لطبيب القلوب ﷺ نقله من شهود الكون إلى شهود الوجه الإلهي الظاهر في كل شيء، فقال له: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(٨٧٤) يعني: حبك هذا هو حب الله لجماله فهو المحب المحبوب فأوصله إلى الله بكلامه الذي لا ينطق فيه عن الهوى، ولما كان الإمام الرباني مجدد الألف الثاني متمكنًا من الورثة المحمدية أخبر أنه فتح له باب الإرشاد إلى الله من طريق النبوة، وهو غير طريق الولاية الذي فيه الفناء والبقاء، ولقد صدق الله عنه؛ إذ أي حاجة للفناء والبقاء بعد قول رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(٨٧٥) لأنه ﷺ أفاد هذا القائل أنه عين الله المحب لجماله، فما في الوجود إلا الله، والقرآن العظيم يصرح بذلك.

قال الله تعالى: **(هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ)** [الحديد:٣]، وليس وراء عباد أن قربه، فأي إرشاد أعظم من إرشاد وكتاب الله وحديث رسول الله! ولذلك ما دعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى إجابة الدعوة؛ لأنه بقي على إيمان الفطرة ولم يطلب الكشف؛ لأن الإيمان أعظم عند المحققين من الكشف، فإن الكشف ربما دخله التلبيس الشيطاني؛ لأن المكاشف غير معصوم، وأما الإيمان **(لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ**

---

(٨٧٢)

(٨٧٣)

(٨٧٤)

(٨٧٥)

مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ) [فصلت:٤٢]، ومن تحقق بهذه الحضرة الإيمانية رفه مريده من أسفل سافلين إلى أعلا عليين، وأعلى عليين هو الله، ومن هذه الحضرة قال الشيخ الأكبر في الفص الهودي: بأن قوم هود انقلب عليهم العذاب نعيمًا حيث ظنوا بالله خيرًا فانقلب شقائهم سعادة، كما يفيده كلام «الفصوص» فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد العلم وهو أعلى طبقات الولاية في الحكم.

قال الله تعالى لخاتم المرسلين ﷺ: (**وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا**) [طه:١١٤]، وقال في حق يعقوب عليه السلام : (**وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ**) [يوسف:٦٨]، وقال في حق الخضر عليه السلام : (**فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا**) [الكهف:٦٥]، وقال الله تعالى: (**هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**) [الزمر:٩]، وقال ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين**»[٨٧٦].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن العلم الكاشف لكتاب الله وسنة رسول الله هو أعلى طبقات الولاية؛ لأن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام: (**هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا**) [الكهف:٦٦]، فعلمنا من حال موسى عليه السلام ـ الذي هو رسول من رسل الله ومن أولي العزم ـ أن اتباع المرشد إنما هو لزيادة العلم بالله[٨٧٧]، وهو الذي أمر محمد ﷺ بطلبه من الله تعالى، فلو لم يكن العلم بالله أنفس الأشياء وأحسنها لم يؤمر رسول الله ﷺ بطلب الزيادة منه، فكان ﷺ يقول: «**اللهم أغنني بالعلم، وزيّني بالحلم، وجمّلني بالتقوى**»[٨٧٨] وكان يقول: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، وعملاً متقبلاً**»[٨٧٩] وقال الله تعالى: (**إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ**) [فاطر:٢٨]، بنصب الجلالة ورفع العلماء،

---

(٨٧٦)

(٨٧٧) وقد أحسن الأدب موسى عليه السلام حيث استأذن في المتابعة عرف موسى أن علم الحق لا نهاية له، فاشتاق إلى ما فوق علمه، فاستعلم مكنونه من مواضع تجليه وخاصية خطابه ،وذلك الرشد الأعلى بحيث إذا علم عرف في جنبه الحق بنعت خاص دون ما علمه السيار والسباح في بحر وحدانيته، وميادين قدرة غرثانه إلى علم ألوهيته، ولا بأس، فإن ذلك العلم الذي عند الخضر لم يكن عند موسى، فأراد سبحانه أن يعرف موسى ذلك العلم السري النور الغيبي فامتن بصحبة الخضر؛ لاستقامة الطريق ولتقويم السنة في متابعة المشايخ،وليكون أسوة للمريدين والقاصدين في خدمتهم أشياخ الطريقة، وكان موسى اعلم من الخضر بما عنده من الحق، ولكن ليس عنده ما كان عند الخضر في ذلك الوقت فساعده التوفيق، فعرف منه أبواب تلك الأسرار المكتومة، فدخل في باب علم الخضر إلى عالم العلم المجهول، وبلغ إلى مقام فيه غاب علم الخضر، وعلم جميع الخلق هناك، وهذا زيادة فضل الله علي موسى.

(٨٧٨)

(٨٧٩)

وفي قراءة برفع الجلالة ونصب العلماء، وعلى هذه القراءة الثانية يكون الله تعالى هو الذي يخشى العلماء ويهابهم ويوقرهم، وقد ورد: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٨٨٠] وقال رسول الله ﷺ: «**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**»[٨٨١] وفاقًا لقوله تعالى: **﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾** [البقرة:٢٨٢]، وقال في حق طالوت: **﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾** [البقرة:٢٤٧]، وليس المراد بالعلم أن يكشف حوادث الأكوان، كأن يعلم مثلاً أن فلانًا يصير ملكًا وأن فلانًا يعزل عن ولايته، أو أن فلانًا يتزوج بفلانة، لا؛ لأن هذا مما لا يعني، بل المراد بالعلم العلم النافع وهو العلم الظاهر بكشف معاني الكتاب والسنة، بحيث لا يشذ عنه شيء من علوم الدين والعلم الباطن وهو العلم بأسماء الله تعالى، وما ينسب إليه مما ورد في الكتاب والسنة لا غير، وهذا هو شرط المرشد الكامل.

قال سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب ﷺ باب مدينة العلم المحمدي: لما لقنني رسول الله ﷺ كلمة التوحيد صار عندي من العلم ما ليس عند جبرائيل ولا ميكائيل، قيل له: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن جبريل وقف ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى وقال: «**وما منا إلا له مقام معلوم**»[٨٨٢] ثم رفع الله محمدًا إليه وقال: **﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾** [النجم:١٠]، فليس لجبريل علم بهذا الوحي الذي هو بلا واسطة جبريل، ولذلك قال له: **﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ﴾** [طه:١١٤]، فتلقى هذا الوحي علي بن أبي طالب من قلب رسول الله ﷺ، فإذا كان الشيخ لا يلقي على مريده العلوم الغيبية فليس له أن يلقن الذكر للمريدين كما قال بعضهم:

وللشـيخ آيـات إذا لـم يكـن لـه فما هو إلا في ليالي الهوى يسري

إذا لـم يكـن علـم لديـه بظـاهر ولا باطن فاضرب بـه لجج البحر

ومن العار أن يتصدى للمشيخة ويسأل عالمًا من علماء الشريعة عن حكم من أحكام الدين، وحكى لي بعض مشايخي ـ رحمه الله ـ عن شيخه أنه كان عنده عالم من علماء الشرع الظاهر، فجاء مريده وسأل هذا العالم عن حكم من أحكام الدين، فقال له شيخه: ولماذا يا ولدي تسأله بحضرتي؟ إذن أنا جاهل بشريعة رسول الله ﷺ، وإذا كنت جاهلاً بشريعة رسول الله ﷺ فكيف أكون وليًا حتى يعلم مذاهب المجتهدين ويعلم أدلتهم من الكتاب

(٨٨٠)

(٨٨١)

(٨٨٢)

والسنة، بحيث إنه إذا جهل عالم من العلماء دليل إمام مذهبه يخبره الولي عنه، وكان تلميذه الشعراني ﷺ يسأله عن مسائل في الشريعة فيقول له: هي كذا وكذا، وهي مذكورة في الكتاب الفلاني، فيخبر الشعراني أقرانه بذلك فيجدون الأمر كما قال الشيخ، مع أنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وهكذا وقع للسيد البدوي ﷺ أن عالمًا من علماء الظاهر امتحنه في مسألة من مسائل الشرع الظاهر، فقال له: انظر الكتاب الفلاني تجدها فيه في باب كذا، وكان الشيخ أحمد المبارك يسأل سيدي عبد العزيز الدباغ ﷺ عن علوم القرآن وعلوم الحديث فيأتيه بما يبهر العقول، وقد سأله عن قوله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»[٨٨٣] فأتاه بعلوم من وراء العقول مع أن سيدي عبد العزيز كان أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان يخلط له القرآن بالحديث القدسي عن الله فيميزه له، ويقول له: هذا قرآن، وهذا حديث يسمى بالحديث الرباني، فقال له: بماذا تميز القرآن من الحديث الرباني؟ فأجابه الشيخ: بأن القرآن حينما يخرج من الفم له نور مخصوص، والحديث الرباني له نور مخصوص، وحديث المصطفى ﷺ الذي يقوله من نفسه له نور مخصوص، وما قلناه مذكور في كتاب «الإبريز».

هكذا هكذا وإلا فلا، لا طرق الجد غير طرق المحال، وقد ادعى رجل مشيخة الطريق في مجلس بعض تلامذة الشيخ الأكبر محيي الدين العربي ﷺ، فقال له تلميذ الشيخ: أي اسم إلهي من أسماء الله تعالى توجه على إيجاد جهنم؟ فقال له المدعي: المتوجه على إيجادها هو الاسم (القهار)، فقال له تلميذ الشيخ الأكبر: أخطأت يا هذا، فمثلك لا يصلح للتصدر إلى الإرشاد، المتوجه عليها هو الاسم (اللطيف)؛ لأنه لما آنسها الله بلطفه انتصرت له، وتمردت وتكبرت على أعداء الله فانتقمت منهم، ولو تجلى الله عليها بالاسم (القهار) لخشعت وذلت وظهر منها الضعف، واشتغلت بمعنى القهر الإلهي وسكنت تحته، فلا يمكن أن تتكبر ولا أن تتجبر.

ألا ترى أنه لما كان التجلي إلى لوط ﷺ بالاسم الملك الجبار أثر في قلبه أن الله هو المتصرف في ملكه كيف يشاء وهو الجبار الذي جبرهم على فعل الفاحشة المعلومة، فأخبر عن ضعفه وقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود:٨٠]، فأخبر عن نفسه بمشاهدة تصرف الحق تعالى، وأن ليس له من الأمر شيء، فلماذا لم يتصرف ولم ينتقم من أعداء الله؟ وقال لقومه حين خاف على ضيوفه منهم: بناتي خير لكم؛ يعني: أزوجكم بناتي وهو خير من وطئ الذكور، حتى أعلموه أنهم ملائكة الله وأخبروه بنزول العذاب على قومه، فقال رسول الله

---

[٨٨٣]

ﷺ إعلامًا بمنزلة لوط عليه السلام: «**يرحم الله أخي لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»(٨٨٤) فالذي أراده رسول الله ﷺ أن لوطًا كان يأوي إلى الله، وأما لوط عليه السلام فذكر الأمر المعروف عند عموم الناس، والذي أراده لوط عليه السلام بالقوة: الهمة المؤثرة بالتصرف فيهم، وبالركن الشديد: القبيلة والعشيرة التي تحميه منهم، فإنه كان يشاهد الحق في الخلق، فشهود كمال الأحدية منعه من التصرف فيهم؛ لأن ذوق كمال الأحدية أعطاه أنه بمن يتصرف، وما في الوجود إلا الله.

وهذا المشهد مشهد الفردانية الكبرى، والمتصرف بعباد الله محجوب وقت التصرف عن شهود الأحدية، وهو الذي انتقل إليه سيدي علي وفا حتى تصرَّف فيه سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه، وانتقل إليه سيدي عبد السلام ابن بشيش رضي الله عنه، فقتله ابن أبي الطواجن، وانتقل إليه الرفاعي رضي الله عنه حين ما قال له تلميذه: أنت القطب، فقال له الرفاعي: نزه شيخك عن القطبانية، فقال له: أنت الغوث، فقال له نزه شيخك عن الغوثية، فقال له: فمن أنت؟ قال: من لا تصل إليه عقولكم، ولا تدركه أفهامكم، ومن هذا المعنى ترك رسول الله ﷺ التصرف بالهمة، وقد شجوا وجهه وكسروا رباعيته وشتموه وسبوه وأذوه مع أنه سيد الأقطاب والأفراد، ومن هذا المشهد ذبح يحيى عليه السلام ونشر زكريا عليه السلام وقال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١]، فالنبيون يشاهدون أن الله هو القائل في القاتلين، وأنه انقضى أجل المقتولين عند الله تعالى، لما تجلى الله عليهم بعلمه الأزلي الحاكم بحكم: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق: ٢٩] فلو كان لمحمد ﷺ همة مؤثرة في العالم ما كان يقال له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق:٤٥].

وقد أخبرني من أثق به أن الفرد الكامل الجامع للمقامات الإلهية سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه تصرف بهمته فندم على ذلك طول عمره، وهذا عين ما قاله الشيخ بأن التصرف بالهمة نقص في العلم بالله، إلا أن يكون نصرة للقرآن في حق منكر طبيعي، أو في حق منكر للحديث الشريف، فيكون التصرف بإذن من الله تعالى؛ لأن الله أذن في نصرة الدين، كما حكي أن بعض المسيحيين قال لبعض السادات، والمظنون أنه الشيخ الأكبر: إن نبيكم قال: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»(٨٨٥)، وعيسى من بني إسرائيل، وقد كان يحيي الموتى، فأي عالم منكم يحي الموتى؟ فأحيى له الميت فأسلم حينما قال للميت: كن حيًا فكان حيًا.

---

(٨٨٤)

(٨٨٥)

وقد حدث جماعة في زماننا يدعون المشيخة ويتخيلون أنهم يجتمعون برسول الله ﷺ ويستفيدون منه العلوم، ولو سألتهم عن معنى الله أكبر التي يدخلون بها في الصلاة بأن قلت لهم الله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣]، فهل يكون في الوجود غير الله حتى يكون الله أكبر منه؟

والحاصل أن المستشيخين الذين رأيناهم في زماننا حالتهم كما قال الحكيم الترمذي ﷺ دعوى عريضة وضعف ظاهر.

وفي المثل السائر: أرى جعجعة ولا أرى طحينًا، ولاسيما الذين يحيلون على الأموات، وحيث الإحالة على الأموات فرسول الله ﷺ أولى من كل أحد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد المدافعة.

قال الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ) [الحج:٣٨].

قال لي الوارد: المدافعة إنما هي للأذية والضرر، وهل أحد له فعل دون الله تعالى حتى يدافع الله فعله، أو أهل أحد موجود معه حتى يدافع أمره وحكمه؟ قلت: لا، قال: فإذا هو المدافع والمدافع، وكيف يكون كذلك وهو واحد لا شريك له ولا ضد له؟ قلت: إن لله تعالى أسماء جمال مندرجة في الاسم الله، وأسماء جلال مندرجة أيضًا فيه، فأسماؤه الجمالية تدافع أسماءه الجلالية، والمدافعة من الطرفين والحكم للغالب، ولذلك قال علماء العربية: صيغة المفاعلة لا تكون إلا بين اثنين، مثل قولهم: قاتل فلان فلانًا، وخاصم فلان فلانًا، فلابد أن يكون الأمر من الجانبين طالما حقيقة هذه المدافعة عندك.

قلت: هي مدافعة المظاهر، فالأستاذ يدافع عن مريده، والمريد يدافع عن أستاذه.

ألا ترى أنه ﷺ دافع عن علي بن أبي طالب بالتوجه النوراني خواطر ظن السوء والشك والتهمة والكذب، فحصل عنده الظن الحسن واليقين والبراءة من كل ما يشين، وصدقه في نبوته، وفيما دعا إليه، وكذلك عليّ دافع عن رسول الله ﷺ ما أجمعوا عليه من الأذية والضرر في دار الندوة، وصمموا على أن يقتلوه، فنام علي عليه السلام في موضعه ليكون فداء له، وهاجر ﷺ مع صاحبه أبي بكر فرارًا منهم؛ لأنهم صور أسماء الجلال، أي: الضرر، فهذا المعنى هو مدافعة الله تعالى بالنسبة للكثرة لا بالنسبة لوحدة الحق الظاهر، فلا تضاد بين قول الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ) [الحج:٣٨]، وبين قوله: (وَلَا يُشۡرِكُ فِي

﴿حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٢٦]، فأحكام الله تعالى يدافع بعضها بعضًا، والناس مظاهر تلك الأحكام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة:٢٥١]، فبالناس يدفع الله عن الناس فساد الأرض، فصحَّ أن الله تعالى يدفع عن الناس البلايا والمحن بالقطب الغوث وأهل دائرته، ومن في حكمه من الأولياء والصالحين، وإن كانت البلايا والمحن من الله تعالى فكذلك الدفع من الله تعالى، وفي قراءة: إن الله يدفع عن الذين آمنوا، فإن كنت لبيبًا فهمت قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله الله**»[886] فأفاد ﷺ أن قيام الساعة يدفعه من في الأرض بقولهم: الله الله، فدفع من في الأرض هو بعينه دفع الله، فانطبق اسم الله عليهم هكذا، فلتفهم الأمور المنسوبة إلى الله فإنها ليست بخارجة عنك ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، وحيث تقرر ذلك وعلمت أن المنسوب إلى الله عين المنسوب إليك، تعلم أن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨]، منطبق على العبد الصالح الذي لا يحب الخيانة والكفر.

ألا ترى قوله تعالى في ناقة صالح عليه السلام: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣]، فجعل الله لنفسه ناقة، وهي ناقة صالح بعينها، ولكنه تعالى برأ نفسه من عقرها فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الشعراء:١٥٧]، فما عقرها إلا الخوان الكفور، فنسب العقر إليهم، وليس لهم من الأمر شيء، ولذلك قال أبو سعيد الخراز رضي الله عنه: عرفت الله بجمعه بين الضدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣]، وقد اقتصر أبو سعيد في بيان الضدين على هذه الأسماء الأربعة تسترًا، وخشية الفراعنة من علماء السوء، وإلا فهو عين جميع الأضداد، وقد قال سيدنا الحاتمي في «فصوص الحكم»: بل هو عين الضدين، وهو المسمى بأبي سعيد الخراز، فتمم حكمه أبي سعيد الخراز، ومن بركاته فتح لنا علم الأسماء الإلهية ففهمنا أن شكاية الحق لعبده، وقوله: «**مرضت فلم تعدني، وجعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني**»[887] شكاية صحيحة منسوبة إلى الله بطريق الحقيقة على أصلها، لا أن ذلك بطريق الكناية والمجاز، بل بطريق الصراحة، وإن لم نقل بأن ناقة الله المراد به ناقة صالح بطريق الصراط لم نؤمن على الحقيقة بأن الله يؤذى، ويكون اسمه (الصبور) حينئذ مُعطلاً، فهو صبور من كونه عين صالح الذي صبر على عقر الناقة، وشهد أنه تعالى هو العاقر لها في حقيقة الأمر، وأنه عين المسمى بصالح، وعين الموصوف بالعاقر،

---

(٨٨٦)

(٨٨٧)

فالخير منهُ إليه، والبلاء منه ونازل عليه، فمن كونه هو الذي يقبل النعمة يسمى شكورًا، ومن كونه يؤذى يسمى صبورًا.

ألا ترى أنه مع قوله: (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) [الأنعام:١٨]، وكذلك قوله عن نفسه: (وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ) [النحل:٩٠]، مع قوله: (إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا) [آل عمران:١٧٨]، وقوله: (قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا) [مريم:٧٥]، فهو الناهي عن الفحشاء والمنكر في صورة محمد ﷺ، والممد لأهل الضلالة في صورة اللعين، فاللعين لعين بالنسبة للاسم الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر وليس لعينًا بالنسبة للاسم الممد والمملي والمسول والمزين والفاتن، ولذا قال الكليم عليه السلام: (إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ) [الأعراف:١٥٥]، فقد أغرق إبليس في بحر الأحدية تبعًا لإغراق الله في قوله: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ) [الحديد:٣].

وقد فتحنا لك علم الأسماء الإلهية التي هي مفاتيح الغيب، وبها تعلم جميع ما ورد من المتشابهات والكتاب والسنة، فإن سرت على هذا المنهج فأنت على مذهب من دعا له رسول الله ﷺ بعلم التأويل وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال ﷺ: «**اللهم علمه التأويل**»[٨٨٨] مع قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ) [آل عمران:٧]، أي: إلا من قبل هذا الاسم الجامع، فكان ابن عباس موقع هذا النجم الأكبر، ولكل نجم من الأسماء موقع خاص به، وهذه النجوم عين القرآن الكريم الذي حواه الكتاب المكنون، ولاشك أن كتاب الوجود الكامل محمد ﷺ فهو القلب الذي نزل القرآن عليه، قال سيدي أحمد بن إدريس رضوان الله عليه: يا قلب قرآن الحقائق يا ياسين ومعنى (يسٓ) [يس:١]، يا سر ذا الله وقوله: (وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ) [يس:٢]، إشارة إلى أنه الجامع للحكمة الإلهية، فلذا قال: (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) [يس:٣]، أي: من الإطلاق إلى عالم التقييد (عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [يس:٤]، وهو صراط أحدية الله (تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ) [يس:٥]، أي: إن العزيز الرحيم أنت، وهو منزل إليك من مرتبة غيب الإطلاق إلى شهادة ظهور مرتبة التقييد البشرية، فافهم ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد التمثل وسيد التبتل.

قال الله تعالى في حق جبريل ومريم عليهما السلام: (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)[٨٨٩] [مريم:١٧].

([٨٨٨])

([٨٨٩]) وهذا عادة ظهور الحق في بداية عشق العاشقين ليجذب بها أرواحهم، وقلوبهم إلى معدن تعريف الصفات

اعلم ـ رحمك الله ـ أن تمثل الأرواح دخولها في عالم المثال، وهو برزخ بين الوجود والعدم، وهذا البرزخ لا يدخله إلا الروحانيون كعزرائيل عليه السلام يتمثل لمن احتضر فيراه المحتضر دون غيره، وكذلك أهل الكشف كمريم عليها السلام كوشفت بجبريل لما تمثل لها بشرًا سويًا، فظنت أنه بشر طبيعي ظلماني متكون من العناصر الأربعة، وله شهوة كشهوة البشر، والحال أنه ملك في صورة إنسان لا إنسان حيواني جسماني، فلما تمثل لها الروح الأمين الذي هو جبريل عليه السلام تخيلت أنه بشر يريد مواقعتها فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨]، فخصت الاسم الرحمن ليرحمها بالوقاية والحفظ منه، فلما قال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩]، تجلى عليها البسط والانشراح وعلمت أنه يأتيها وله موهوب من الله تعالى، فكان عيسى كلمة الله وروحه ألقاها جبريل بالنفخ إلى مريم اعتناء من الله بها، فنفخ في فرجها وسرت فيها لذة روحانية بتلك اللذة ظهرت النطفة في فرجها، وسرت فيها الحياة الإنسانية، فخرج عيسى عليه السلام صورة متمثلة نورانية روحانية لا جسمانية عنصرية، فما اكتسب من أمه إلا ناسوت الشكل الإنساني، وحقيقة أنه روح الله وكلمته، فخرج لا يشتهي النساء؛ لأنه روح في صورة بشر، فناسوته عين اللاهوت، ولهذا السر عبد لأنه ظهرت فيه الحقائق الإلهية، فهو مقيد وهما مطلق حقيقة.

واعلم أن الله تعالى جعل في الدورة العيسوية خروج ذكر من أنثى في مقابلة دورة آدم من ظهور أنثى من ذكر، فقام النفخ في ظهور عيسى مقام الجماع، والقدرة الإلهية صالحة لذلك؛ لأن جبريل في تلك الحال إنسان خيالي لا إنسان بشري حقيقي، فكان حاله مع مريم بمنزلة حاله مع رسول الله ﷺ حين كان يأتيه في صورة دحية الكلبي، فما كان يراه جميع الناس حسًّا مع أنه في صورة إنسان، ولكن كان يراه من كشف له عنه ولو كان جماعًا بشريًا كما توهمه البعض لقال لمريم: إنما أنا رسول ربك، وقد زوجني بك، ولم يقل: لأهب لك، فكان جبريل وهَّابًا لا مواقعًا.

ألا ترى أن النبي ﷺ لما دخل على زينب بنت جحش فقالت: يا رسول الله، تدخل عليَّ بلا إذن ولا حجاب، فقال لها: «**إن الله زوجني بك**»[٨٩٠] فالتمثل ظهور صورة في عالم الخيال، أي: المثال، مع بقاء الصورة الأولى على حقيقتها.

والذات صرفًا بعد انفراد الحقيقة عن الخليقة، ومن ذلك قوله عليه السلام: «**رأيت ربي في أحسن صورة**».

(٨٩٠)

ألا ترى أن القبر يظهر للميت بصورة من رياض الجنة مع أنه في الحس تراب وحجر، ولو ظهر القبر بروضة حسيِّة لرآه جميع الناس، فما أثر في مريم إلا الخيال كالإنسان النائم يتخيل الجماع في العالم النومي فيظهر منيه، فالخيال وإن كان في الرتبة فوق عالم الحس لكنه يؤثر فيه، ولذلك كانت الأنبياء تغيب عند الوحي الإلهي وإن كان الوحي من عالم المعاني.

ومن هذا المعنى رؤية الأكابر من أهل الله، فتتمثل روح الشيخ عبد القادر الجيلاني مثلاً لمن يستغيث به من الحجاج المنقطعين، فتتصور روحه بصورة خاصة تغيث المستغيث بها مع أنها لم تبرح عن لباسها البرزخي، فهي صورة ملبوسة والملابس تختلف، وهكذا هو حال الميت بعد موته، يظهر بصورة طائر مثلاً مع أن روحه إنسانية لا أنها روح طائر، فلا يتقيد الميت بالطائر.

وقد أشار لهذا المعنى سيدنا جعفر الصادق عليه السلام لما سمع الحديث: «**نسمة المؤمن طائر تعلف من ثمر الجنة**»[٨٩١] فقال جعفر: المؤمن أكرم على الله من الطير، خوفًا من تقييده بهذه الصورة فقط، مع أن روح الميت تتشكل بما شاءت من الصور، فافهم ذلك فإنه نفيس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

لعلك تقول: إن الله تعالى قال في حق جبريل: **(فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)** [مريم:١٧]، ومعنى السوي: أنه تام الأعضاء بلا نقص عضو، فجبريل حينئذ له ذكر كسائر البشر، فحيث إن الله سماه في تلك الحال بشرًا سويًا فلَم لمْ تجوز أنه واقع مريم بجماع بشري فحملت بعيسى عليه السلام، ويكون إرسال جبريل من الله عين الأذن له بنكاحها، قلت: منعت ذلك لأمرين:

الأول: إن الله سماه نفخًا ولم يسمه وقاعًا ولا وطئًا لا جماعًا، ومن المعلوم أن اسم النفخ في لغة العرب غير اسم الجماع، فلا أخرج عن ألفاظ القرآن كما يفعله البعض في قوله تعالى: **(وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ)** [طه:١٢١]، فأقول كغيري: أن آدم ما عصى وهو منزه عن المعصية، وهذا مصادرة لكلام الله تعالى، بل لا أقول إلا كما قال الله، ولا أغير لفظ القرآن العظيم إلا أني أقول: إن معصية آدم هي أفضل عند الله من طاعتي، وكذلك لا أقول في جبريل: إنه ناكحها بهذا اللفظ كما قاله البعض.

---

(٨٩١)

الأمر الثاني: من جهة ما تقتضيه الحقائق؛ لأن روح جبريل وإن تمثلت بصورة بشرية فهي روح نورانية ملكية، فأعضاء صورته كلها نورانية، وقد خرج عيسى على صورته فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، بخلاف الروح الإنسانية، فهي متولدة عن طين بشري وحقيقة آدمية، ولذلك كانت أرواح الشهداء إذا تمثلت بالصور تأكل وتشرب وتجامع جماعًا بشريًا، ويولد لها ولد طبيعي على الترتيب البشري، وعيسى عليه السلام ليس كذلك، فإن حمله ووضعه ونطقه وإدراكه وعلمه في آن واحد، ولو كان في المهد صبيًا ولذلك: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٠-٣٣]، فكان عيسى حقًا في صورة بشر فحياته إلهية يقول بها للشيء: كن فيكون، كأهل الجنة في الجنة، فعيسى حي لا يموت إلا إذا نزل للدور الأرضي، وخرج من المنارة الأرضية، فافهم ذلك.

وأما حياة الشهداء فهي وإن كانت روحانية لكن أرواحهم متولدة عن حقائق عنصرية من ماء وطين، ومن صلصال كالفخار، ومن حمأ مسنون، فلها مشرب من العناصر الأربعة، والروح الجبريلية ليست كذلك، فإن أصلها من نور محض، كما ورد: إن الله خلق الملائكة من نور فلا تجري عليهم أحكام البشر، ولذلك كان غذائهم التسبيح، وهو أمر معنوي لا حسي، وأنزل منهم في الرتبة: الجان، فإنهم يشمون العظم فيكفيهم، فغذائهم شم العظم لا أكله كما يتوهمه من لا علم له بالحقائق.

فإن قلت: إن ملك الموت عليه السلام تصور لموسى عليه السلام بصورة بشرية ودخل عليه بلا إذن، وأراد أن يقبض روحه الشريفة بلا إذن منه فلطمه موسى ففقأ عينه، فعينه على هذا حسيِّة حيث إنها ُفقأت، وكذلك جبريل له ذكر حسي جامع به مريم.

قلت: هاهنا علم كبير، وسر غامض، وهو أن موسى عليه السلام لما تصور له ملك الموت بصورة البشر قيَّده بهمته فأنزله إلى عالم الحس المقيد، كالعفريت الذي تعرض للنبي ﷺ فهم ﷺ أن يقيده ويربطه في سارية من سواري المسجد ليلعب به صبيان المدينة، وما منعه إلا دعاء سليمان عليه السلام فللأدب لم يتصرف بالجان، ومريم لم تقيد جبريل بهمتها ليجامعها جماعًا حسيًا بل استعاذت بالرحمن أن يخلصها منه لما نشأت عليه من العفة والتبتل والانقطاع عن الرجال، فكان جبريل روحًا مطلقًا لم يقيد بالصورة الحسيَّة.

ألا ترى أن إبليس لما خيل لسليمان عليه السلام صورة جنة ذات أشجار وأثمار وأنهار وأراد أن يفتنه بها سجد سليمان شكرًا لله على وجودها، فقيَّدها بهمته، وأنزلها إلى الرتبة الحسيَّة فثبتت وبقيت وصارت من جملة بساتينه يتنعم بها كما يتنعم بملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده، فلذا أقول: إن مريم ـ عليها السلام ـ لو وجهت همتها إلى الله تعالى أن تقيد جبريل ولا تخرجه عن إطلاقه لقيدته مادامت متوجهة بهمتها إلى ذلك؛ لأنها كاملة، وشهد لها رسول الله ﷺ بالكمال كأهل الجنة، تقول للشيء: كن فيكون، ولذلك يظهر أهل الجنة بجميع ما يظهر به أهل الدنيا خلافًا للنصارى، فإنهم جاهلون بهذا المعنى، وأهل الله تعالى المتمكنون يفعلون في الدنيا ما يشتهون، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد أحدي عن فرد صمدي.

قال الله تعالى: **(وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا)** [الإسراء:٧٢].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن للإنسان أولاً وأخرًا وظاهرًا وباطنًا، بالنسبة إلى وجود صورته، وأما بالنسبة إلى حقيقته الكاملة التي هي الوجود المطلق لا يقال أن له أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، بل حقيقة أحدية لا غير، فالعارف بالله تعالى أعمى عن رؤية غيره في الوجود في هذه الدنيا، وهي موضع الحجاب، وأما في الآخرة دار الكشف والبيان فهو أعمى عن رؤية الغير وأضل سبيلاً؛ لأنه لا يهتدي لرؤية الغير ألبتة ولذلك يقول باطن الإنسان لظاهره **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ)** [الانفطار:٦]، أي: بحقيقتك التي تربيك بأولها روحًا، وآخرها جسمًا، وظاهرها خلقًا، وباطنها حقًا، وتلك الحقيقة هي المسماة بالكريم؛ لأنها أفاضت كل صورة في الوجود من حقيقة ذاتها، ولذا قال: **(ٱلَّذِي خَلَقَكَ)** أي: أفاضك من كرم ذاته **(فَسَوَّىٰكَ)** أي من أسمائه وصفاته **(فَعَدَلَكَ)** [الانفطار:٧]، بأحديته حتى لا يكون غيرك في الوجود **(فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ)** [الانفطار:٨]، أي: إما يركبك وجودك في حقائق الأولية التي لها مظهر الدنيا بما فيها من صور ومعاني، وإما أن يركبك باطنك في حقائق البرزخية التي لها البطون العمائي، وإما أن يركبك في حقائق الظهور الجمالي والجلالي بالنسبة للآخرة المحجوبة عن عالم الحس الآن، وإما أن يركبك في حقائق الآخرية وذلك حقائق المعاني الحقيَّة التي هي الأسماء والصفات، وهذه بعينها هي حقائق الأولية؛ لأن المبتدأ عين المنتهى، ونقطة الدائرة هي الأول والآخر ومنها يمتد الظاهر والباطن، فهذا العمى من طريق الإشارة غاية الثناء والمدح، فهو كالواحد في الأعداد لا يرى غيره في سائر الأفراد، فهو عين الفرد والجمع،

ومنه الوتر والشفع، وقد نبَّه الله على هذا المعنى باسمه (الكريم) وخلعه على الإنسان، فما في الوجود إلا حقيقة الإنسان، وصوره كما قال الغوث الجيلي ﵁:

لـي الملـك فـي الـدارين لـم أر فـي سـواي فـأرجو فضـله أو فأخشـاه

وإنما لم ير سواه؛ لأنه إما أن يركب في صورة الخلق، وإما أن يركب في صور الحق، وكل منهما من آثار المصور الذي في ضمن حقيقة الإنسان هذا هو العالم الصوري خلقًا وحقًا، وأما عالم الأحدية فهو من غيب قلبه الوارد فيه: «**ما وسعني أرضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[٨٩٢] والأحدية غيب، والغيب متعلقه الإيمان، ولا يظهر إلا من الإنسان، ولذلك قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﵁: الناس فرحون بالرؤية الموعودة في الآخرة، وكل همي وابتلائي ألا يظهر الأمر من الغيب إلى الشهادة، ومن العلم إلى العين، مراده ﵁: أن جميع ما ظهر من الصور مرئية سواء حَقًا أو خلقًا فإنما هو من تجلي حقيقتي الغيبية إلى عالم الشهادة، فهو عين اسمه الظاهر إما خلقًا وإما حقًا، فالخلق صور المعاني المطبوعة في ذاتي، والحق صور العقائد الإيمانية التي أتصورها وأثبتها من عقيدتي في الله، وجميع ذلك تجليًا للاسم الظاهر مني، فليس لي إلى ذلك النظر المعتد به حقيقة، وكل همي وابتلائي أن يظهر.

ألا ترى من الغيب إلى الشهادة ومن العلم إلى العين، أي: كل همي وابتلائي أن أكون غيبًا مطلقًا ذاتيًا أرى نفسي عين الأول والآخر والظاهر والباطن، وذلك هو الذات المطلقة، فما أراد إلا تجلي الذات بالذات في الذات، بلا ملاحظة أسماء وصفات؛ لأنها تحت حكم الذات، فهو لا يفرح بالرؤية لأنها لآثار ذاته، بل يفرح بالغيب المطلق الذي هو عين ذاته، فكأنه يقول: من كان عين البحر فلا يفرح بالأمواج، بل فلاحه بالعين المتموجة بهذه الأمواج، فالناس يفرحون بالرؤية ولا يعلمون أنها عائدة عليهم، وهي منهم وإليهم، ولو عرفوا أنفسهم لعرفوا ربهم، وفي هذا المعنى أقول:

رحت في راح الصفا سكرًا بمي مذ شربت الكأس من ذاك اللمي
غبت عن ذاتي بذاتي باقيًا وانمحى لمَّا بَدَت رسُم السويّ
قد تجلت بوجودي جهرة فشهدت الكل مني وإليّ
يا أُهيل الحي طابت خمرةً من شذاها عاد ميت الشوق حيّ
أسكرتنا قبل خلق الخلق في حان قُدس تتجلى فيها رُقيّ
كنزها المخفي فينا ظاهر وسناها مشرقًا في كل شيء
لم يكن في الكون إلا حُسنها فهي حق وهي خلق دون زَيّ

---

(٨٩٢)

أول بل آخر بل ظاهر ... باطن شمس بدت من دون في
خمرة من ذاق منها شربة ... قال ذي الأكوان قد دارت عَليّ
كل ما في الكون كاسات لها ... راح أنس روح قدس للحشي
ما أنا أو أنت أو هو غيرها ... فهي أسماء لعين يا ُأخيّ
أينما وليت تلقى وجهها ... لا تزغ عنها بتعداد السميّ
خمرة من نور طه أشرقت ... فأضاء الكون منها بالهُدي
طلعة الله ومجلى ذاته ... سر أسماء لوهاب علي
وصلاة الله تتلى دائمًا ... لوحيد هو مرأى مقلتي
وعلى آل وصحب والملأ ... مع سلام ختمة المسك الشذي

و اعلم ـ رحمك الله ـ أن معنى قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) [الحج:٤٦]، على حسب ما قررناه سابقًا في آية الوارد فإنه لا تعمى الأبصار عن شهود الكثرة؛ لأن الأبصار هذا شأنها، ولكن تعمى القلوب، وقلب كل شيء ذاته، ومرجع ذو الأشياء إلى ذات الذوات كلها، فلذلك كانت القلوب هي التي تعمى عن رؤية السوى، وهو عالم الكثرة التي هي المظاهر، وكل مظهر صدر له قلب ظاهر فيه، فالقلوب هي بعينها تتقلب في الصدور، فلم تر في الصدور التي هي المظاهر إلا نفيها، فلذلك وصفت بالعمى عن السوى، وقلب كل شيء أحديته، وأحدية كل شيء هي عينها في كل شيء، فلكل شيء أن يقول: أنا عين كل شيء، فأين الغير، وليس إلا الأحد، وهذا المشهد فوق مقام التصرف في الكون، ولا تظن أن التصرف بالهمة هو مقام القطب الغوث حاشاه من ذلك، بل مقام القطب شهود استمداد الأسماء والصفات من حقيقة الذات، فالمتصرف والمصرف فيه عند القطب الغوث سواء، ولذلك قال لوط ﵇ لقومه: (لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً) [هود:٨٠]، أي: همة مؤثرة؛ لأنه ﵇ لا يرى غير الله حتى يرسل همته عليه؛ لأن مقام الأحدية يمنعه من ذلك.

ومن هذا المعنى قال الله تعالى لمحمد ﷺ: (لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ) [آل عمران:١٢٨]، ولو كان للسيد الأعظم همة مؤثرة لأثرت امتثال أبي طالب له، فالهمة المؤثرة للسالكين لا للكاملين، ومشهد الكاملين: لا حول ولا قوة إلا بالله، فكيف يشهد القطب نفسه متصرفًا مع الله تعالى، حاشاه من ذلك، ولكنه يشهد تصرفات الحق جارية منه لقوة تحققه في مشهد الأحدية، فله أن يقول: أنا ُأحي وُأميت، وأنا على كل شيء قدير؛ لشهوده ذلك من حقيقة نفسه، ومن تحقق ما ذكرناه عرف أن الولي حينما يتصرف بالهمة محجوب عن المتصرف الحقيقي، فيدعى لتصرف وقد حجب عن المتصرف، فلو كان في حال شهود لم يدع التصرف، فالتصرف حجاب عن الأحدية قطعًا، ولذلك يتصرف الأدنى في

الأعلى، وقد تصرف سيدي محمد الحنفي في سيدي علي وفا وعلم سيدي علي وفا أعلى وأكمل، وشهوده لأحدية الحق أعظم.

وأما قول سيدي عبد القادر الجيلاني: دافعت أقدار الحق بالحق للحق، فقد تاب منه قبل وفاته ﵁ ورجع إلى قول الله تعالى: (رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا) [المزمل:٩]، فالله وكيل عبده لا أن العبد وكيل الله؛ فافهم.

ذلك فما يرى أنه أحسن إلا إلى نفسه، وكذلك إذا أساء لا يرى أنه أساء إلا إلى نفسه، فم تصرف أحد حقيقة الأمر إلا في نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه، فشمل قوله تعالى: (إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا) [الإسراء:٧] أي: فلأنفسكم المعنى الحقي والخلقي، فصحَّ قوله تعالى: (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا) [الكهف:٤٩]، فأين المظلوم وما في الوجود سواه؟! قال تعالى: (إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ) [القلم:٣٩]، ولا حاكم في الوجود ولا محكوم عليه إلا هو؛ فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: الأحجار يتفجر منها الأنهار

قال الله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ) [البقرة:٧٤]، في هذا الوارد سؤال وهو أن الله تعالى قال: (وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ) [البقرة:٧٤]، وقال في حق النار: وَقُودُهَا(ٱلنَّاسُ) [البقرة:٢٤]، فهل تتفجر الأنهار من حجارة النار كما تتفجر من حجارة الدنيا؟ وكذلك قوله: (وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) [البقرة:٧٤] فهل تشقق أحجار النار فيخرج منها الماء؟ وهل تهبط من خشية الله؟ وإذا هبطت أحجار النار من خشية الله، فإلى أين تهبط والنار في أسفل سافلين؟ وأيضًا، كيف حال الإنسان من أهل النار إذا استحال حجرًا في النار؟ كما قال: (إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ) [الأنبياء:٩٨]، وفي قراءة: (حطب جهنم أنتم لها واردون) هل يبقى على صورة الحجر في النار، أو يستحيل ترابًا؟ وإذا استحال حجرًا، والحجر استحال ترابًا، فأين الصورة الإنسانية التي تستحق العذاب؟ وهل قول الكافر: (يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا)

[النبأ:٤٠] مثمر له الراحة أو لا؟

فإن قلنا: ليس يثمر له الراحة، فهو باطل؛ لأنه خرج عن الحد الإنساني، وإن قلنا: صار ترابًا وأثمر ذلك الراحة، فقد دار الدور من الفرع إلى الأصل؛ لأن أصل الإنسان التراب وعاد إلى التراب، والتراب من جملة العناصر الأربعة، وهل هذا التراب يعود آدم بعد دوران هذا الدور؟ قال تعالى: **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)** [آل عمران:٥٩] أي: خلق آدم من تراب؛ لأن الحقائق تقتضي ألا يكون فرع إلا من أصله، فالزرع المثمر بالقمح مثلاً لا يكون إلا من حب القمح والأرز كذلك، فالإنسان الترابي الذي هو آدم لا يكون أصله إلا من تراب، هو إنسان كحبة القمح والشعير أو غيرهما، لا تكون إلا من أمثالها.

أقول وبالله المستعان: العالم أنواع: عالم أرواح، وعالم أشباح، وعالم أجسام عنصرية، وعالم معاني، وعالم الأجسام العنصرية: هي العناصر الأربعة، ومن خواصها الاستحالة، والنار من عالم العناصر؛ فلذلك ورد أنها تفني وينبت في قعرها شجر الجرجير، وحينئذٍ فأحجارها تتفجر منها الأنهار، وتشقق فيخرج منها الماء، وتهبط من خشية الله إلى مرتبة التراب، والتراب أسفل العناصر الأربعة، ولم يكن بعد هذا الهبوط والنزول إلا معراج الترقي، من أسفل سافلين إلى أحسن تقويم، وهذا غاية الصعود والعروج، فلا يزال الأمر من عروج إلى نزول، ومن نزول إلى عروج، كما قال تعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)** [التين:٤]،(**ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ)** [التين: ٥]، فأمَّا (**أَحْسَنِ**)**تَقْوِيمٍ** [التين:٤]، فهو مرتبة الأحدية[893]، وأمَّا(**أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ)** فهو المرتبة الترابية، ومنها يترقى ويعرج إلى مرتبة الأحدية؛ ولذلك يقول الكافر:(**يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا)** [النبأ:٤٠]؛ لعلمه بأن التراب هيولي الجسم الإنساني وأصله، فتكون إنسانيته في الدور الثاني، طاهرة مطهرة متحلية بالكمالات؛ إذ عذاب النار لأهل النار بمنزلة عذاب أهل الله في الدنيا بمخالفة النفوس، وارتكاب المشقات في طاعة الله، فلكل أهل دار طريق، وكما صبر السعداء عند الله على ارتكاب المشقات في طريق الله من ترك الشهوات، والقيام بالفرائض، والمسنونات، كذلك قال الله في أهل النار الأشقياء: **(فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ)**

([893]) وقد أقسمَ الله بهذه المكرَّمات أنه خلق آدم في أحسن منظر، وأكرم خلقه؛ إذ سوَّاه بنور كشف صفاته، وإلباسه إياه سنا ذاته.

وقيل: في أحسن صورة. وقيل: في أتمِّ معرفة.

وقال بعضهم: «حسن التقويم»: وصف قائمٌ بالحق لا عبارة عنه، وكل عبارة عن تمام تقويمه من تفسيره، وليس لنهاية العبارة عند لفظ.

[البقرة:١٧٥]، فصبروا على النار الظاهرة كما صبر السعداء على النار الباطنة؛ ولذلك ورد: «**القابض على دينه كالقابض على جمر**»[٨٩٤] فلا يكون الجمال إلا من جلال والجلال: إمَّا باطن، وإمَّا ظاهر، هذا هو الذي تقتضيه الحقائق، وقد تقرر بما ذكرناه : إن العالم الدنياوي العنصري الجسماني يستحيل إلى النار، والنار تستحيل إليه، بدليل قول الكافر في النار (**يَلَيْتَنِي كُنتُ تُرَابَاً**) وهذا العلم من جملة العلوم التي تحصل لأهل النار إذا دخلوها، فإن الأستاذ محيي الدين العربي -قدس الله سره- نص في كتابه: «الفتوحات المكية»: إن أهل النار إذا دخلوها تحصل لهم علوم خاصة بهم، فما يتمنى الكافر أن يكون ترابًا إلا لعلمه بمنزلة التراب، وأنه نهاية الدور العنصري الجسماني، فافهم ذلك.

والتنبيه على هذا الدور ما رأيته لغيري، ولا سمعته من غيري، ولكنه من بركات القرآن العظيم، وبركات أنفاس أستاذنا سلطان العارفين الحاتمي محيي الدين ﷺ، وهذا هو ترقي العالم الأسفل، وهو عالم العناصر الأربعة الجسمانية من دنيا إلى نار، ومن نار إلى دنيا، وذلك ما عدا ما ورد في الشرع من كون ما بين قبر النبي ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة، ومن كون الحجر الأسود يأتي يوم القيامة بصورة يشفع لمن استلمه بحق، وما عدا المساجد ومجالس القرآن، والذكر والعلم.

فإن قلت: إن الكافر في النار لا يعطى ما تمنى، **قلت**: يُعطى ذلك إذا ولج الجمل في سم الخياط، فافهم، وأمَّا ترقي العالم الأعلى، وهو (عالم المعاني)، ومن جملته عالم الأسماء الإلهية، ففيه: العروج والنزول أيضًا، وبيان ذلك أن الأسماء الإلهية، بل جميع المعاني الإلهية والكونية تستحيل لبعضها بعضًا؛ لأجل عناصرها الأربعة العلوية، وهي: الأولية والأخروية، والظاهرية والباطنية، فيكون الاسم الإلهي مثلاً أوله قبض، وآخره بسط، وظاهره جلال، وباطنه جمال، فالأسماء الإلهية بسبب هذه الأربعة التي ذكرناها التي هي هوية وجود الله تعالى في قوله: (**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**) [الحديد:٣]، يكون بينهما المناسبة، فتستحيل لبعضها بعضًا، وشبيه ذلك استحالة الأخلاق للأخلاق في عالم المعاني، كما ورد: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[٨٩٥] وشبيه ذلك في عالم الحس التطعيم الذي يكون بين الأشجار، فيظهر الأدنى بمرتبة الأعلى، ويكون هذا عين هذا، ويكفيك في استحالة المعاني قوله تعالى: (**فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ**) [الفرقان:٧٠]، هذا عروج، فإن معصية آدم عرج بها على براق التوبة إلى معنى الاجتباء والهداية، كما أن

---

(٨٩٤)

(٨٩٥)

علم (بلعام بن باعورة) أنزل هابطًا، بسبب انسلاخه عن معراج الإخلاص إلى مرتبة الجهل، فالمعنى يستحيل لضده، كالغضب يستحيل إلى الرضا في السعداء، والرضا يستحيل إلى الغضب في الأشقياء، ألا ترى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢]، فكان ذكر الله في حقهم مستحيلاً لمعنى الويل ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وأمَّا استحالة الأسماء الإلهية وهو أصل علم السلخ والخلع، فيعزل هذا ويولي هذا، ألا ترى أن أيوب عليه السلام بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] عزل الاسم المبلي وولي الاسم الشافي، فكانت الأسماء الإلهية تحت حكمه حين هذا القول، وأنزل من هذه الرتبة المذنب يعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، فبهذا العلم يستحيل معنى ذنبه لمعنى المغفرة، وهذا وارد في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ألا ترى أن أخوة يوسف عليه السلام لمَّا اعترفوا له قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] فقد محا ما جرى منهم، وبدله بحسنة الإكرام، وأمَّا استحالة الأرواح فهو من الأسرار المكنونة، فتظهر روح فلان بروح فلان، فيكون لفلان حكم فلان، فتظهر على هذا روح النبي ﷺ بروح صاحب الزمان، قال سيدي عبد السلام بن بشيش رضي الله عنه: واجعل اللهم الحجاب الأعظم حياة روحي كشفًا وعيانًا، وأمَّا استحالة الأشباح الطبيعية دون العنصرية، فهو كاستحالة أشباح العالم النومي، فترى في المنام صورة فلان بصورة فلان، والقاعدة الأصلية في ذلك قولهم : كل اسم إلهي يظهر في كل اسم إلهي، وكل شيء هو عين كل شيء، فمن هذا المعنى للإنسان الكامل في حين كونه له وقت مع الله لا يسعه فيه غيره أن يظهر بسائر صور الوجود؛ لأنه في هذا الوقت ما هو هو بل هو هو، ألا ترى ما ورد : إن في الجنة سوقًا كله صور إذا اشتهى الإنسان صورة خاصة دخل بها، فتكون صورته مادام يشتهيها، فإذا أحب الانتقال عنها له ذلك، فعلى هذا له أن يظهر بصور الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وبما شاء من الصور، فالإنسان هيولي الوجود أوله وآخره، وظاهره وباطنه، فإن شئت فاتل قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨]، ولقد صدق رسول الله ﷺ في قوله: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٨٩٦] وإن لم يصح عندك الحديث فاقرأ قوله تعالى: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ [يونس: ١٨] أي: ولو اهتدى في حقيقة الأمر إلا لنفسه، فقد طابق الحديث القرآن، فدل ذلك أنه حديث صحيح، وإن لم يصح عند أهل الرسوم، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

([٨٩٦]) .

وارد التراب

وهو مجلي رب الأرباب (فيه نسبه لما قبله).

اعلم رحمك الله أن الفلك الترابي هو الأصل في الأفلاك كلها، فلا يحل طلسمه إلا الأكابر من أهل الله، فهو من جهة أنه أصل العناصر الأربعة مجلي اسم الله الأول، ومن جهة أن الجسوم تعود إليه، مجلي اسم الله الآخر، ومن جهة المولدات تتولد منه فتنفتح منه الصور والأشكال والألوان، مجلي اسم الله الظاهر، ومن جهة أنه يبطن في الجسوم، مجلي اسم الله الباطن، ومن جهة أنه معدن الحياة، مجلي اسم الله الحي، ألا ترى أنه أصل الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة، ومن الأحجار يظهر الماء حتى أن ماء النيل الذي هو من الجنة منبعه جبل القمر، فالماء أصل في الحياة قال تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ)** [الأنبياء:٣٠] وهذا الأصل أصله التراب، فالتراب أصل الجسوم بأسرها، من نبات ومعدن وحيوان، حتى أنه أصل الجسم الإنساني، فهو مبتدأ الدائرة الجسمانية ومنتهاها، فهو عرش الأجسام المحيط بها، ومن الأجسام تتولد الأرواح، بل تتولد الأسماء الإلهية، إذ لولا الجسم الإنساني ما بدت الكتب المنزلة، ولا ظهر الوحي الإلهي بما قال الله تعالى: **(إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)** [الحاقة:٤٠]، والرسول ﷺ أصل جسمه من آدم عليه السلام وآدم من التراب، ألا ترى أن غراس الجنة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ومنشئ هذه الكلمات هو الإنسان الناطق بها، فالإنسان أصل الجنة، والتراب أصل الإنسان، وكلام الإنسان كلها أرواح تتصور بصور ملائكة مطهرين، فالتراب هو عرش الرحمن، ألا ترى أن الله جعله طهورًا للإنسان، حيث قال: **(فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا)** [النساء:٤٣]، فتجلى عليه باسمه القدوس الطيب الطاهر، ولشرفه ألصق الله به جبهة الإنسان في السجود، والوجه الإنساني: أكمل ما في الوجود، فالأسفل هو الأعلى؛ لأن منتهى الدائرة عين أولها، فاستحق التراب أن يكون مجلي الاسم الجامع، وهو الله، قال ﷺ: «**لو دليتم بحبل لهبطتم على الله**»(٨٩٧) وفي رواية: «**لهبط على الله**» فالتراب مظهر الله تعالى، ومنه تظهر نفائس الجواهر، كالذهب والياقوت والزمرد وأمثال ذلك، ومنه تظهر المطعومات من أملاح ونباتات، وحبوب وثمار، وحيوانات مأكولة وغيرها، فهو معدن الاسم الرزاق، وبما يظهر منه يتغزل الصب المشتاق، كالأطلال والمنازل والديار كما قيل :

أمُــرُّ عَلــى الــدِيار دِيــار لَيلــى   أقبِّــلَ ذا الجِــدارَ وَذا الجِــدارا

---

(٨٩٧) .

ولقد تغزلت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وعليها فقالت :

مـــاذا عَلــى مَــن شــمّ تُربــة أحمــدٍ   أن لا يشــمّ مَــدى الزمــان غواليــا

ومن أسلحة رسول الله ﷺ في الحرب (التراب) قال الشاعر:

رمـــاهم بكــف مــن تــراب فــأدبروا   فــأكرم بهــا كفًــا وأحســن برميــة

ألا تري أن الله تعالى تجلى على اسم التراب باسمين إلهيين فكان في ضمن لفظة (تراب) اسم الله (الرب) واسمه (البر) والوجود ما قام إلا من (الرب) الذي هو (المربي)، (البر) الذي هو المحسن، فلهذا يقول الشيخ الأكبر ﷺ:

وما الفخر إلا في الجسومِ وكونها   مولـدة الأرواح ناهيـك مـن فخـر

والحاصل أن التراب جوهر الدنيا والآخرة، ألا ترى ما ورد من أن: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»(٨٩٨) وليس تحت قدم الأمهات ظاهر إلا التراب، إلا أنه يتحول لمسك وزعفران، وكذا قوله ﷺ: «**الجنة تحت ظلال السيوف**»(٨٩٩) والسيوف من التراب، فما أعظم شرف التراب، فلهذا المعنى حين كشف الغطاء **(وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا)** ويكفي هذا القدر؛ لأن الله تجلى على الفلك الترابي باسمه (الواسع)؛ لأنه أصل القلب الإنساني، وما وسع الحق إلا القلب الإنساني المؤمن، ويكفي في التراب، أي: من لفظة (تراب): أب فهو أصل في لفظه وفي معناه، **(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ)** [الأحزاب:٤].

وارد الأدوار الترابية

وهو المثلث من ثلاث آيات قرآنية:

أنـــا واحــد مــن نســل فــرد آدم   وأبـي هـو ابنـي مـن تـراب قـد بـدا
إنـــي وحيــد العــين نقطــة ذاتــه   قــد كنــت كنــزًا والنبــي محمــدا
فـي كـل عصـر واحـد يسـمو بـه   وأنــا لكـل العصـر كنـت الأوحـدا
بــابي تــراب قــد عرفــت إشــارة   إنــي وجــود الله أدعــي الســيدا
وعلمــت أنـــي للجلالـــة ســـرها   عــين الأوائـل والأواخـر سـرمدا

قال الله ﷻ: **(وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ)** [الروم:٢٠]، **(وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ)** [الأعراف:١٧٢]، وفي قراءة (ذرياتهم)، **(وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)** أي: بحقيقتكم **(قَالُواْ**

---

(٨٩٨) .
(٨٩٩) .

)بَلَى، وقال الله تبارك وتعالى: وَلَقَدۡ(خَلَقۡنَـٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَـٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ) [الأعراف:١١].

اعلم رحمك الله تعالى أن الآية الأولى وهي قوله تعالى: (وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) وردت عليَّ أولاً وأنا في المسجد بين المغرب والعشاء، فلما وردت علي قلت: إني مخلوق من ماء مهين لا من تراب، والذي هو من تراب أبي آدم، فالتراب أصل أبي آدم لا أصلي، مع أن الله صادق في قوله: (وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) وقد ذكر الله في القرآن أنه خلق الإنسان من ماء مهين، فقال تعالى: (أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ) [المرسلات:٢٠]، وذكر تعالى أن آدم خلقه من تراب، فعلى هذا ما الفائدة في قوله: (وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) فلو لم يكن كل فرد من أفراد آدم قد كان أصلاً في دور من الأدوار آدم، لكانت الآية عبثًا، فوردت الآية الثانية وقت السحر وَلَقَد(خَلَقۡنَـٰكُمۡ) فقلت: أي من تراب، (ثُمَّ صَوَّرۡنَـٰكُمۡ) أي: بصورة الإنسان، (ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأَدَمَ) أي: لكل فرد منكم فقد جرت هذه القصة على كل فرد منا أنه مضي عليه الدور وكان آدم، وسجدت له الملائكة، ولا معنى لآدم إلا ذات خلقت من أديم الأرض، وبَيّنَ الله أن كل فرد من تراب، ثم تلت هذه الآية الثالثة، وهي قوله تعالى: (وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدۡنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ) [الأعراف:١٧٢]، ولم يقل من آدم من ظهره ذريته، فعلمنا أن كل واحد من ذريته آدم مثله، ثم ورد الحديث الشريف وهو: «**إن الله تعالى أقام آدم بين يديه ويداه مقبوضتان، فقال: يا آدم، اختر أيهما شئت؟ فقال آدم: أختار يمين ربيّ، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، فبسطها جل وعلا فإذا فيها آدم وذريته**»[٩٠٠] فكان آدم في يمين الحق بمنزلة ذريته، وكان بين يديه فعلمت أن آدم فرد من الأفراد الإنسانية، وكل فرد كان في الأدوار السالفة آدم في نفسه، وخلقه الله من تراب، فآدم هو فرد له ذرية، وخُلق من أديم الأرض، وكل فرد من ذريته كان آدم في الأدوار السالفة التي لا أول لها ولا آخر، وخلقه الله من تراب، وهذا ما يقتضيه اسمه تعالى (الحكم العدل).

فإن قلت: إن الله قال: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) [غافر:٦٧]؛ فالمعنى خلق إياكم من تراب، ثم خلقكم منه من نطفة.

---

(٩٠٠).

قلنا: نعم، هذا هو الأمر المعلوم للجميع، وليس نظيره قوله تعالى: (**وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ**) لأن الله تعالى لم يرتب في هذه الآية المتقدمة أولاً، ولم يقل من نطفة، بل أراد الله تعالى أن يظهر أمرًا، هو آية على أن المظاهر لها حكم الظاهر، وأن حكم الأول لابد أن يكون للآخر، وإلا لم يكن ثمرة لقوله تعالى: (**وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٲتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**) [الروم:٢٧]، ألا ترى قوله تعالى: (**وَكُنتُمۡ أَمۡوَٲتًا فَأَحۡيَـٰكُمۡ**) [البقرة:٢٨]، ومن المعلوم أنه مالنا أمواتًا إلا بعد سبق حياة، والذي يلزم الخصم أن هذا هو المعنى في قوله تعالى: **وَلَقَدۡ**(**خَلَقۡنَـٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَـٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓٮِٕكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ**) [الأعراف:١١]، ولهذه النكتة قال الله تعالى: (**وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدۡنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ**) [الأعراف:١٧٢]، فنبّه الله بني آدم أن كل فرد منهم كان بنفسه آدم، وأخرج الله منه ذريته، وأشهدهم على أنفسهم فقالوا: (**بَلَىٰ**).

والحاصل : أن اسم آدم ليس مقيدًا في آدمنا هذا، بل هو اسم لكل من خلقه الله من أديم الأرض، وصوره بصورة إنسانية، فصَحَ الحديث الشريف: «**إن الله خلق مائة ألف آدم**»[٩٠١]، وقوله تعالى: **وَلَقَد**(**خَلَقۡنَـٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَـٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓٮِٕكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ**) [الأعراف:١١]، فقدَّمنا على آدم هذا الذي نحن ذريته ليس بالكذب، وقول بعض المفسرين : أي: (خلقنا) أباكم (**ثُمَّ صَوَّرۡنَـٰكُمۡ**) أي : صور أباكم، (**ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓٮِٕكَةِ ٱسۡجُدُواْ**) كلام في غاية البعد، وهو تكلف لا داعي له، مع الخروج عن ظاهر القرآن العظيم.

فإن قلت: هذا الاستكشاف الذي حصل لك من الآيات الثلاث المتقدمة، ومن حديث القبضة الذي قدمته، هل لك فيه حديث صحيح أخذ به العلماء؟ وهل سبقك أحد لهذا المعنى الذي ذكرته من أهل الله تعالى؟ أهل الكشف الصحيح.

قلت: نعم، أمَّا الحديث الصحيح فهو تكنية النبي ﷺ عليًا ﷺ بأبي تراب، فلو لم يكن علي إنسانًا أولاً وتولد منه تراب؟ أي: من جسمه وإنسانيته البشرية، لا يسمى أبا تراب، فَعَلي ﷺ من التراب والتراب منه، وهذا هو الدور، وهذه الكنية كانت أحب الكُنَي إليه،

---

(٩٠١) .

فكانت أحب إليه من كنيته بأبي الحسن وأبي الحسين، وفي تكنيته بأبي تراب إشارة أنه سر الحقيقة المحمدية التي تنزلت للعالم الترابي، وإن لم نَقُلْ ذلك، لا يُكْنىَ بهذه الكنية إلا سيدنا محمد ﷺ ؛ لأنه ﷺ هو والد التراب، ووالد الوجود، فكأنه يقول له: أنت أنا يا علي، فكشف عَليّ بهذه الكنية اتحاده بالنبي ﷺ في قوله: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»(٩٠٢) ولما تحققت بحقيقة النفس الواحدة التي قال فيها تعالى: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ**﴾ [النساء:١] أي: من نفسه، قلت ما قلت في «النظم» المتقدم، فإن قلت بأن النفس الواحدة هي آدم، أقول لك أن النبي ﷺ قال: «**من عرف نفسه عرف ربه**»(٩٠٣) ولم يقل عرف آدم، والنفس الواحدة هي نفس الحق لا غيرها، ولو كان في الوجود نفس غير النفس الإلهية لم يصدق قول الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد:٣].

فلذلك كان أبو تراب ﷺ ورسول الله ﷺ طينة واحدة، ونفسًا واحدة، ولهذا أخذ النبي ﷺ بيده، وقال: «**هذا أخي**»(٩٠٤)، وقال أيضًا: «**إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي**»(٩٠٥)، فعلى هذا صلب علي ﷺ هو عين صلب رسول الله ﷺ وذرية علي هي ذرية رسول الله ﷺ فلم يكن باب مدينة علمه إلا علي ﷺ، فكان هو المدخل إلى النبي ﷺ فلذلك قلت في «النظم» بأبي تراب قد عرفت إشارة من أجل أنني في الحقيقة الإنسانية، التي هي الكنز المخفي في الوجود عين أبي تراب، بل عين الحقيقة المحمدية التي بها يشرب عباد الله، يُفجرونها من أنفسهم تفجيرًا، فلذلك قلت في «النظم»: إني وحيد العين... إلى آخره.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن النبي ﷺ لما كَنَّى ابن عمه علي ﷺ أبا تراب، جعله أبًا للجسوم كلها؛ لأن التراب أصل الجسوم كلها، آدم وغيره، فيلزم أن روح علي روح الجسوم بأسرها، فكانت الروح العلوية مدلول الأسماء الإلهية بأسرها، فهو فرد الوجود، ولذلك قال عن المصحف: «أنا كتاب الله الناطق، وهذا كتاب الله الصامت، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه أنا اللوح، أنا القلم، أنا العرش، أنا الكرسي» فلهذه الثمرة قال ﷺ: «**لا يبلغ عني إلا أنا أو عَلي**»(٩٠٦) فكان كفؤًا لزهرائه التي قال عنها: «**فاطمة بضعة**

---

(٩٠٢) .

(٩٠٣) .

(٩٠٤) .

(٩٠٥) .

(٩٠٦) .

مني»[٩٠٧]، فخالط لحمه لحمها ودمه دمها، وكان صلبه صلبها وذريته ذريتها، وكان هو الباب إليه، ووسيلة إلى الأسرار المنزلة عليه، وقال له: **«أنت قسيم الجنة والنار»**[٩٠٨] أي: من أحبك فهو للجنة، ومن أبغضك فهو للنار، فقد تحقق عَلي بأحديته ﷺ، فلذلك قال في حقه: **«أنت مني وأنا منك»**[٩٠٩]، وقال أيضًا: **«من كنت مولاه فعَلي مولاه»**[٩١٠]، وقال أيضًا: **«علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض»**[٩١١] أي: حوض الأحدية الإلهية، وهذا الحوض يقتضي الكرم الإلهي والمشرب المحمدي، أن لا بدَّ من الوصول إليه لكل فرد إنساني، هذا هو الذي تقتضيه الحقائق من قوله تعالى: **﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾** [الحديد:٣] أي: لأنه عليم بنفسه، وبهذا المعنى حصل عندي حينما أذكر كلمة لا إله إلا الله إنها واقعة علي وأنا مدلولها، وصار معناها عندي لا موجود إلا الله الظاهر الواحد في كل مشهود وشاهد، فهي واقعة على كل فرد في الوجود، من كل عابد ومعبود، ولو لم يكن هذا المعنى لم تصدق الأحدية الإلهية، إذ لو شاركه في وجوده أحد لم يكن في نفسه أحد، وقد قال تعالى: **﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص:١]، فما وحده إلا هو، وما شهد أنه لا إله إلا هو، إلا هو، فاندرج فيه الملائكة **﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾** أي: وحده؛ لأنه عدل في أحديته، فلم يخرج عنها أحد، فكان في نفسه عزيزًا بأحديته، حكيمًا بوجوده في كل موجود، ومعبود في كل معبود، فلذلك اتبع الشهادة في قوله: **﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾** [آل عمران:٦].

وأمَّا السؤال عن كون أحد سبقني لتحقيق الدور، فالجواب عن ذلك ما ذكره الشيخ الأكبر في كتابه «الفتوحات المكية»: وهو أنه ﷺ رأى رجلاً في الطواف غريب الزي، لا يشبهه أحدًا من أهل الزمان، فعلم أنه روح مجسد فقيده بنظره إليه، وقال له: من أنت؟ فقال: أنا من أجدادك الأول، فقال له الشيخ: كم لك ميت؟ فقال الرجل: أربعون ألف سنة، فقال الشيخ : إن آدم لم يبلغ هذا المقدار، فقال الرجل: عن أي آدم تسأل عن آدم الأقرب إليك؟ فقال الشيخ: وهل ثم آدم غيره؟ فقال الرجل: إن الله خلق من أمثال آدم ما لا يحصى،

---

[٩٠٧] .

[٩٠٨] .

[٩٠٩] .

[٩١٠] .

[٩١١] .

قال الشيخ ﷺ: فتذكرت حديثًا قال العلماء بضعفه وهو قوله ﷺ: **«إن الله خلق مائة ألف آدم»**(٩١٢) فنبه ﷺ على مائة ألف دور واكتفى عن الأدوار الباقية بقوله تعالى: **(وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ)** [الروم:٢٠]؛ ليؤيد الآية بالحديث، ويؤيد الحديث بالآية، وفيما قلناه كفاية عن أدوار الموت والحياة، والبرزخ والدنيا، والجنة والنار، حيث إن ذلك ملازم لكل آدم وأولاده، بل عن أدوار الأسماء الإلهية ومعانيها المستديرة الفلكية، وقد أوضح تعالى الدور في قوله: **(لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ)** [يس:٤٠]، لفظًا ومعنى، أمَّا المعنى فظاهر، وأمَّا اللفظ فقوله: **(وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ)** تقرأ طردًا، وعكسًا، فآخرها يعود أولها وأولها يعود آخرها، وعلى الله قصد السبيل، **(وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ)** [هود:٨٨].

وارد قاف وله منزلة الأعراف

قاف وقرآن مجيد الشان	**في نقطتين ككفتي ميزان**
إحداهما للحوم والأخرى لنا	**فلذا بدا من ضمنها نونان**
فالنون خطًا نصف قاف عده	**واللفظ منه كامل الدوران**
فالأمر زوج في حقيقة أحمد	**لعروجه ونزوله المنصان**
والقاف قاب البرزخية للذي	**منه تبدت قبة الميزان**
فالتسع والتسعون أسماء له	**والذات طلسم كنهه النوراني**
صلى عليه الله وهو وجوده	**وسلامه منه له لا ثاني**

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم **(قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ)** [ق:١].

اعلم ـ رحمك الله ـ أن قاف حرف برزخي؛ لأن عدده مائة، وهي برزخ بين العشرة والألف؛ لأنك إن نقصت من عدد القاف صفرًا كان عشرة، وإن زدت عليه صفرًا كان ألفًا فله منزلة الأعراف، وهي منزلة وسطى ما بين الجمال والجلال، قال تعالى: **(وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ)** [الأعراف:٤٦] أي: يعرفون أهل الجمال الجنانيين بسيماهم، ويعرفون أهل الجلال النيرانيين بسيماهم، ومنزلة الأعراف هي منزلة العماء، الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق، وهو برزخ؛ لأنه ما فوقه هواء وما تحته هواء، أي: لا ظاهر ولا مظهر، ألا ترى أنه إذا انتفى الخلق انتفى اسم (الرب)، وإذا انتفى اسم (الفوق) انتفى اسم (التحت) وبعكس ذلك، وإذا انتفى الظاهر فلا مظهر، وإذا انتفى المظهر فلا ظاهر، فلا يتحقق أحدهما إلا بالآخر، إذ لا رب بدون مربوب، ولا مربوب بدون رب، فعلى هذا لا عماء ولا فوق ولا تحت، ولا هواء، فالسؤال أين كان ربنا قبل أن يخلق

---

(٩١٢)

الخلق؟ أمر حكمي اعتباري، والجواب عنه بالعماء أمر اعتباري حكمي، وكل من السؤال والجواب لا حقيقة له، إلا في الحكم والاعتبار لا في الواقع؛ لأن أمر الحق مربوط بالخلق، وأمر الخلق مربوط بالحق، وكل منهما لا يُتَصور إلا بالآخر فلا حق إلا بخلق، ولا خلق إلا بحق، كالحقيقة والصورة، فلولا الصورة لم تعلم الحقيقة، ولولا الحقيقة لم تعلم الصورة، ولذلك كان العماء عند الأكابر من أهل الحقائق عبارة عن الأمر الجامع للطرفين وذلك هو البرزخ، ولذلك ظهر برزخ القاف بلفظ القرآن، تنبيهًا على برزخيته بين الغيب والشهادة، فظهر من حقيقة الأولية، وهي حقيقة محمد ﷺ، ومن حقيقة الآخرية وهي خلقية محمد ﷺ، وكذلك ظهر برزخًا من حقيقة باطنة، ومن صورة ظاهرة، فظهر في قومه ﷺ العجب، فقال تعالى: (قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ) [ق:١]، فكان محمد ﷺ عين القرآن المجيد[٩١٣]؛ لأن أصله مجد الحق، وشرفه المعبر عنه بروح القدس، وهو من جهة صورته بشر مثلهم، فلذلك قال الله تعالى: (بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ) [ق:٢]،فَقَالَ ( )ٱلۡكَٰفِرُونَ وهم المحجوبون عن ظهور الحق فيه، (هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ) أي: هو صورة بشرية من حقيقة الإنسانية المشتركة بيننا، فأي شيء يوصله إلى مرتبة الغيب حتى يخبر عنها كحال المعاد بعدما آل الجسم البشري إلى التراب؟! ولذلك قالوا: أَءِذَا(مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ) [ق:٣]، فلمَّا قرن الله تعالى قوله: (قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ) [ق:١]، بقوله: (بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ) [ق:٢]، علمنا أن الله تعالى نبَّه على ما هو أعجب، فقال تعالى: (قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ) [ق:١]، إشارة للحقيقة المحمدية الجامعة للأسماء الحسنى التسعة والتسعين وللذات المحيطة بكل موجود، وهي مدلول الأسماء التسعة والتسعين إذ عددها مائة، فكما أن قاف جبل محيط بالدنيا، كذلك حقيقة محمد ﷺ مُحيطة بأهل هذا العَجَب، وبكل موجود في الوجود، فكأنه تعالى يقول: عجبتم من كونه صورة بشرية منكم؛ أي: من أفراد الصور البشرية، ويكون منه الإنذار إليكم، حيث يخبر أنكم بعد استحالة أجسامهم إلى التراب، تبعثون وتعادون، وذلك رجع بعيد عندكم فثم ما هو أعجب، وهو أن هذا الذي ترونه بشرًا مثلكم هو حقيقة أحدية الوجود؛ لأنه وإن كان مقيدًا بشخص معين يسمى محمدًا، فهو نور مطلق الحقيقة، جامع لكل شيء في الوجود، لما أنه حقيقته التي هو متحقق بها تجمع الأسماء الإلهية، وذاته

جميع معانيها من خبر الذات والصفات والأفعال، وهو عرف بالله ما قال الله فيه ﷺ([913]) وقد أعلم بذلك حبيبه بأقل لمحة، فإنها تنبئ عن جميعها، وهذا رمز بين المحب والحبيب، ألا ترى كيف أنشد العاشق لمعشوقه:

فقلــتُ لهــا قفــي قالــت لــي قــاف　　　فكنـــت عـــن الوقـــوف بعاشـــقها

والمعاني التي فيه بحرف القاف، وهو فهم بها عنها ما كان في خاطرها من الوقوف على مراد عاشقها.

المطلقة العظمى هي مدلول تلك الأسماء، فليس العجب من شخص منكم ينذركم بالرجع البعيد عندكم، بل العجب من صورة مقيدة ظاهرًا، مطلقة باطنًا، تجمع الأول والآخر، والظاهر والباطن، ولذلك أخر الله تعالى: (**أَفَلا تُبْصِرُونَ**) وإن أبصرتموه صورة، فما أبصرتموه حقيقة، قال تعالى: (**وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ**) [الأعراف:١٩٨]؛ لأنه كتاب الله الحفيظ الذي يحفظ كل شيء بذاته، وليس كتاب الله إلا أسماءه، ولا يحفظها من أن تكون عدمًا إلا الحقيقة المحمدية، بظاهرها ومعناها، إذ المعاني لا تتصور أن تقوم بذات تظهر بها فالمعاني في حقيقة الأمر تتولد من الجسوم، فالجسم هو الكتاب الحفيظ للمعاني الإلهية، فلذلك قال علي ﷺ : «أنا كتاب الله الناطق» وإنما استبعدوا رجع التراب إلى الجسوم الإنسانية البشرية؛ لأنه إذا كان الأمر كذلك فلابد أن تجري العادة كما كانت، أولاً: بأن يخلق الله آدم، ثانيًا: من تراب ويخلق منه زوجة له تسمى (حواء) ويتناكحان، ويتوالدان، ويدور الدور الإنساني إليهم، فإذا دبت الحياة بالتراب وصار إنسانًا، وصل الدور إليهم بسبب التناكح والتناسل، فهذا الرجع بعيد؛ لأنه ذو وسائط كثيرة، فوقفوا عند العادة التي تقدمت أولاً، ولم ينظروا لقولهﷺ: «**كل ابن آدم يُبلى إلا عجب الذنب**»[٩١٤] فقال العلماء في عجب الذنب : هو عظم صغير في العصعص يركب عليه الخلق الإنساني بعد النفخة الثانية، التي هي نفخة البقاء.

ومن العجب الخفي أن الأمر البرزخي سري فيهم، فما أقروا بالرجع ولا أنكروه، بل استبعدوه فهم في استبعادهم في حال برزخي، بين الإقرار والإنكار، وعجب الذنب عند أهل الحقائق: هو النفس الرحماني الذي به يحُيْي الله ويميت، وهو معدن الحياة والموت البرزخي، ومظهر هذه البرزخة إسرافيل عليه السلام فهو من كونه برزخ الموت والحياة، يميت الخلق بنفخة، ويحيهم بنفخة، فبدأ الخلق كان على الترتيب، وهو ما تقتضيه الحكمة، والإعادة على حسب ما تقتضيه القدرة، ولذلك بدأ الله هذه السورة بقوله: (قٓ) وهذا الحرف هو تاج الاسم (القدير) الدال على القدرة الإلهية، والإعادة حسبما تقتضيه القدرة، قال تعالى: (**وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ**) [الواقعة:٦١]، فنبه أنه يعيدنا على غير مثال سبق، وقال تعالى: (**لَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ**) [الواقعة:٦٢].

والنشأة التي لا نعلمها نشأة أهل الجنة ونشأة أهل النار، وهذه النشأة ليست هي الدور الترابي الذي يقول فيه الكافر: (**يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا**) لأن الدور الترابي نزول لأسفل سافلين، وأهل الجنة والنار لا في العروج ولا في النزول، فمن العروج إلى العروج دور، ومن

---

(٩١٤)

النزول إلى النزول دور على حسب أيام الله، التي قال تعالى في حقها: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٥]، فمن الأيام ما هو للاسم الأول فقط، ومنها ما هو للاسم الآخر فقط، ومنها ما هو للاسم الظاهر فقط، ومنها ما هو للاسم الباطن فقط، ومنها يوم الرب وهو ألف سنة، ومنها يوم ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح فيه إلى الله، ومقداره خمسون ألف سنة، وأما يوم الاسم الجامع وهو الله، فهو الكتاب الحفيظ الذي يحفظ مرتبة كل شيء عليه، ويعيده كما بدأ، وإليه ترجع الأدوار كلها، وهو الحقيقة المحمدية، ولهذه النكتة أزال الله العجب الذي زعموا أن حصوله بعيد، فقال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:٤] أي: علمنا أن الأرض تفني صورهم الإنسانية بأعضائها الصورية كأيديهم وأرجلهم، وقواها الروحانية كأسمائهم وأبصارهم، وعندنا كتاب الوجود المطلق، وهو الحقيقة المحمدية التي هي عين الحياة ومجمع البحرين، فمن شرب منها أعادت ما تنقص الأرض منه؛ لأنها مدلول الاسم الحفيظ الذي يحفظ المراتب كلها، فلا يزول من كل شيء ما نقص منه بالنسبة للكتاب الحفيظ؛ لأن كل شأن وجسم، وروح، وصورة، ومعنى مندرج في الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، وكل دور من هذه الأربعة محفوظ في الكتاب الحفيظ حتى الرجع البعيد الذي عجبوا منه فإنه في خزائن هذا الكتاب الحفيظ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، فإذا جاء قدره الدوري نزل، فإن اعتبرت دور الأولية الإنسانية من ماء مهين نزل بقدر معلوم أو من آدم، فكذلك أو من تراب كما اعتبره الذين عجبوا نزل بقدر وإن استبعدوه، وإن اعتبرته بالنبات نزل بقدر قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧،١٨].

فانظر إلى هذا الدور القرآني في إنْبَاتنا من الأرض وإعادتنا فيها، ثم إخراجنا منها، وقد ورد: «**إن آدم كان شجرة بَوَادِي نُعْمَان**»[٩١٥]، وكذا محمد ﷺ كان كوكبًا درّيًا يوقد من شجرة مباركة الأدهان، وأول الأدوار الكنز المخفي، وهو ما قبل العرفان، وجميع أدوار الوجود في ضمن القرآن.

قــرآن ذاتــي قافــه نونــان	**وألقاب سر الفصل في الإنسان**
والنقطتــان لحقهــا ولخلقهــا	**قوســان كانــا كفتــى ميــزان**
فأنــا المجيـد بوحـدة يبـدو لهـا	**بعروجهــا ونزولهــا وجهــان**
أدنـــو إلـــي ترقيــا وتــدليا	**منــي وإنــي واحـد فــي الثــاني**
فالتسـع والتسـعون أسـماء بـدت	**والـذات سر القـاف فـي الحسـبان**

(٩١٥)

يا نور قلبي يا مجيد فؤاده ... يا واسعًا للمشهد النوراني
يا طلسم الكنز الخفي حقيقة ... يا نوره نور الله في الأعيان
كاف الكفاية هاء هو ياء الندا ... أنت المنادى يا عزيز الشان
يا عين صار للصدور حقيقة ... ياسين سر الغيب في الإعلان
ألف تألف شفعه من وتره ... لام للطف الله بالإحسان
يا ميم دائرة الوجود بجوده ... يا ميم حكمة سره المنصان
يا راء رؤية ظاهر بمظاهر ... يا كاملاً يا نقطة الدوران
أنت الكتاب لجمعنا مسطوره ... طور التجلي صورة الرحمن
أنت الحميد وحامد ومحمد ... محمودنا يا ساطع البرهان
يا أحمد مني إليك وسائلي ... أنت الذي أرجو وأنت الداني
كن لي مجيبًا أنت غاية مطلبي ... فاعطف وواصل يا حبيب جناني
اسق إليها متى حان قدسك شربة ... أقداحها جلت عن الحدثان
وأمطر حجاب القلب حتى لا يرى ... إلاك في روح وفي جسماني
يا واحد جمع الجميع بذاته ... يا أولاً يا آخرًا يا داني
يا ظاهر ببطونه يا باطنًا ... بظهوره في سائر الأكوان
كن عين ذاتي يا مليك عوالمي ... وأجذب بهائك جذبة المنان
صلى عليك الله ما دامت له ... أسماؤه مشهورة ببيان
وسلامة تجري إليك تحية ... من عنده موصولة الجريان
والآل والأصحاب مع أتباعهم ... ما صاح حبك يا صفا الأزمان
أو ما شدا الشادي ورنم ... منشدًا قرآن ذاتي قافه نونان

وَٱللَّهُ(يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى)ٱلسَّبِيل [الأحزاب:٤].

وارد الإيمان: وهو أن يحب ما لنفسه للإخوان

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[916]، وهذا المقام كان خلق موسى عليه السلام حيث أخبر الله عنه أنه قال: (وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى* هَـٰرُونَ أَخِى *ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى) [طه:٢٩-٣١]، والأزر الضعف، ويطلق على الظَّهْر، وكلاهما هنا جائز، ثم قال: (وَأَشْرِكْهُ فِىٓ)أَمْرِى [طه:٣٢] أي: في رسالتي، فقد أحب لأخيه هارون ما يحبه لنفسه، ولما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه أخذ بيد علي وقال: «**هذا أخي**»[917] فلأجل ذلك قال: «**علي مني بمنزلة هارون من موسى**»[918] فلذلك قال بعضهم في قوله ﷺ: «**أبو بكر خير من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين**»[919] أن عليًا

---

(٩١٦)

(٩١٧)

(٩١٨)

(٩١٩)

مستثنى ممن طلعت عليه الشمس؛ لأنه داخل في النبيين والمرسلين، ولا يشكل قوله ﷺ أن الرسالة والنبوة قد انقطعت: «**فلا نبي بعدي ولا رسول**»[٩٢٠]؛ لأن عليًا عليه السلام ليس له النبوة بعده، وإنما أشركه في أمره في حياته، كما أشرك موسى هارون ـ عليهما السلام ـ ألا ترى أنه ما ورد عنه ﷺ أنه دعا عليًا إلى الإسلام؛ لأنه كان يتلقى شريعة رسول الله ﷺ بوحي من الله، كما كان هارون يتلقى من الله تعالى شريعة موسى عليه السلام فلمَّا آخى النبيﷺ عليًا، أحب له أن يشركه في أمره، كما فعل موسى بأخيه هارون، فكان عَلي مع القرآن، والقرآن مع عَلي، وقال ﷺ: «**لا يبلغ عني إلا أنا أو علي**»[٩٢١].

فلهذا المعنى كان أستاذنا سيدي الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه إذا ذكر في تأليفه عليًا، قال عنه ﷺ كما وجد ذلك بخطه في نسخة «الفتوحات المكية» الموجودة في بلده قونيا، والحاصل أن عليًا امتاز عمن طلعت عليه الشمس بأنه ليس واحد من الأمة التابعة، بل هو أحق من يستحق قوله تعالى: (**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**) [يس:١٢]، فكان إمامًا يبين أسرار رسول الله ﷺ ولذلك أوضح ﷺ منزلته بقوله: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[٩٢٢] فطابق اسمه مسماه، فهو خليفة الله بلا واسطة، وخيرة خليفة رسول الله ﷺ بعده، ولعلوه عن الإفهام لم يستخلفوه، ولا تظن بأني أقول بعدم صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول اللهﷺ، بل أقول: إن رسول الله ﷺ اختاره للدين، فقال: «**مروا أبا بكر فليصلي بالناس**»[٩٢٣] أفلا تختاره للدنيا؟! أي: للحكم بين الناس بالحق، فكان أبو بكر داودي المقام بالنسبة لرسول الله ﷺ حيث قال: «**مروا أبا بكر**»[٩٢٤] فكان من رسول الله ﷺ بمنزلة داود من ربه، حيث قاله له: (**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**) [ص:٢٦]، وكذلك المهدي عليه السلام حين يظهر بالرايات السود هو خليفة الله، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما مُلئت ظلمًا وجورًا، وأما عَلي فلظهوره سر لا أبديه، يشير له قوله ﷺ: «**لا يبلغ عني إلا أنا أو علي**»[٩٢٥]، وذلك يظهر في يوم من أيام الله الدورية؛ لأنه باب المدينة العلمية، فظهوره ظهور رسول الله ﷺ على التمام، فلذلك علا وجل عن الأفهام، وإن

---

(٩٢٠)

(٩٢١)

(٩٢٢)

(٩٢٣)

(٩٢٤)

(٩٢٥)

تفطنت لقول رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٩٢٦] تجد الإشارة إلى ذلك بالتمام، وإن شئت فاضرب عدد اسم علي في عدد قوله تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣]، يتضح لك المرام وتمام هذا العلم في كتاب «عنقاء مغرب» للشيخ الأكبر ـ رضوان الله عليه ـ وهو كتاب لا يفهمه إلا السباق من العلماء بالله.

فإن قلت: من أين لك أن جعلت منزلة علي فوق منازل أصحاب رسول الله ﷺ ؟

فأقول: الجواب من وجهين: الأول تقدم، والثاني : من قوله ﷺ لما وجده نائمًا على التراب قال له ﷺ : «**قم أبا تراب**» وآدم أبوه التراب، فهو جد آدم، وآدم أول الأنبياء والبشريين، ولما لاح هذا المعنى لابن الفارض ـ قدس سره ـ قال:

إنـــي وإن كنـــت ابـــن آدم صـــورةً فلـــي فيـــه معنـــى شـــاهد بـــأبوتي

وإذا كان ابن الفارض يقول هذا، فما بالك فيمن هو كفء للزهراء ـ عليها السلام ـ وفيمن هو مع القرآن، والقرآن معه، ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ﷺ وفيمن سماه أخاه بأخوة الاختصاص، وقال له: «**أنت مني وأنا منك**»[٩٢٧]، وفيمن قال له: «**أنت قسيم الجنة والنار**»[٩٢٨]، وفيمن قال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[٩٢٩]، وقد زاد رسول الله ﷺ في الكرم، فإن موسى عليه السلام قال في حق أخيه: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه:٣٢].

وأما محمد ﷺ فقد قال في أهل الذمة: «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**»[٩٣٠] وهذا قوله في أهل الذمة، فما بالك فيمن قال فيهم: «**واشوقاه إلى إخواني**»[٩٣١] فكل واحد ممن يشتاق إليهم كهارون عند موسى، ألا تراه ﷺ ضحى بكبشين أملحين فقال: «**اللهم هذا عن محمد وآل محمد، وهذا عن أمة محمد**»[٩٣٢] فأحب لأمته ما يحبه لنفسه، وأكد ذلك بقوله: «**سلوا الله لي الوسيلة**»[٩٣٣]، فأحب أن ينالها بدعاء أمته له، فتكون أمته سببًا في نيله

---

(٩٢٦)
(٩٢٧)
(٩٢٨)
(٩٢٩)
(٩٣٠)
(٩٣١)
(٩٣٢)
(٩٣٣)

إياها، ومن تسبب في خير فله مثل أجر الفاعل، فبذل الوسيلة التي هي أعلى المنازل لكافة أمته، حيث أحب لهم ما يحبه لنفسه، ولهذا المعنى كان ﷺ يقبل كل ليلة جِفنة سعد بن عبادة؛ لأنه إذا أكل منها يستعين بأكله على طاعة الله، وسعد بن عبادة الأنصاري ﷺ هو سبب هذه الاستعانة، فله حينئذ مثل أجر عبادته، وتهجده في الليل ﷺ؛ لأنه غذاه بطعامه فقوي على تلك الطاعة، فرسول الله ﷺ هو الذي تكرم على سعد في الحقيقة، حيث قبل منه تلك الجفنة، فما بالك بعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي وقاه بنفسه، ونام في موضعه ليقتل بدله، ويكون فداء له، فبخ بخ لعلي، فهو المستحق لقوله: لا فتي إلا علي، ومن فتوته أنه كان لا يؤثر فيه الحر ولا البرد، فكان يلبس ثياب الشتاء في الصيف، وثياب الصيف في الشتاء، ويكفيك أن المصطفى ﷺ قال: «**المؤمن مرآة أخيه**»[٩٣٤]، وعلي أخوه الخاص، فكل منهما يرى نفسه في مرآة الآخر، وأعظم من ذلك لا يكون.

ولقد أذكرني ذلك قول بعضهم:

رأيت قمر السماء فأذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرًا ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعيني

بل الأنسب لمعنى الوحدة قول بعضهم:

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

فإن قلت : إن الله تعالى من أسمائه (المؤمن) وقد سمى عبده بالمؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، فهو أولى من جهة هذه التسمية أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

قلنا: الجواب عن ذلك من أمرين:الأول: ظاهر، والثاني: سر خفي، فالظاهر أن نقول: إن الاسم (المؤمن) له الأخوة مع باقي الأسماء الإلهية، وكل منهما في منزلة الأحدية عين الآخر قال الله تعالى: (**قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ**) [الإسراء:١١٠]، ففي مقام الأحدية كل اسم لله تعالى، عين كل اسم له، فهو هو فأياما اسم تدعوا به فله الأسماء الحسنى فـ(المنتقم) مثلاً في حضرة الأحدية عين الرحمن، و(المضل) عين (الهادي) وهاهنا بحور علمية لا ينبغي تفصيلها؛ لغموضها على الأفهام، وخفائها على عقول الأنام، والجواب الآخر: إشارته من المعراج النبوي حين قيل له ﷺ: «**قف إن ربك يصلي**»[٩٣٥] فكانت ثمرة صلاته أن قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله

---

(٩٣٤)

(٩٣٥)

وبركاته و(السلام) اسم الله فقال ﷺ: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»(٩٣٦)، فكان الأمر كما قال القائل:

وغن لي مني قلبي … وغنيت كما غني
وكنا حيثما كانوا … وكانوا حيثما كنا

أي: نزول حق وعروج عبد، فالحق بالنزول عبد، والعبد بالعروج حق، ثم يدور الدور وهكذا لا يزال الأمر ما بين صاعد ونازل، والمؤمن منهما مرآة أخيه، ويحب له ما يحب لنفسه، قال الشيخ الأكبر ﷺ:

فلولا الرب ما كنا عبيدًا … ولولا العبد لم تك أنت أنت
فأثبتني لنثبتكم إلهًا … ولا يُغني أنا فيزول أنت

وارد النقص والكمال وسميع الجمال والجلال

زدني بحقك في الهوى إنصافا … نعم الحبيب وحبذا أن صافا
واكشف عن الوجه المصون حجابه … فالكل منه يرتجي استعطافا
وأدر لنا راح المعاني قُدِسَتْ … في سالف العهد القديم سُلافا
يا كعبة الحسن التي لكمالها … قدمًا حججت ولم أزل طوافا
عرفات معناكم لنفسي أرحتها … فأحفظ وجودي وانقص الأطرافا
يا ساقي القوم الذي بلوائه … والحوض يدعو جمعنا أضيافا
يولي ثمار العلم دانية الجني … من جنتين تراهما ألفافا
يا زمزم الذات الشفاء لكل داء … يا كوثر الأسماء هب إسعافا
كن أولى كن أخرى كن ظاهري … كن باطني كي لا أراك خلافا
يا أخت موسى قد بصرت جماله … قصي حديثًا واذكري الأوصافا
دكت جبالي قد بدا لي وجهه … فأفقت صحوًا أشرح الأعرافا
عني خذوا علم الحقيقة سره … في كل شيء قد سرى إيلافا
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا … سرُ به وجه الحقيقة صافا
وأباح قلبي من شهود جماله … معنى تضمن جوهر إشفافا
فغدوت من قرآنه أتلو به … طه ويا سينا وصادًا قافا
حاميم حفظ ما بدا في صورتي … إلا حميت لمن أتى خوافا
فأنا الحبيب وبيننا سقط السوي … وأنا البهاء أعاين الألطافا
أحرمت فيه مكبرًا وملبيًا … وغدوت تفسيرًا له كشافا
صلى عليه الله منه به لنا … أوفى صلاة مع سلام وافا
ما شرفت منه الحقيقة آنفا … حتى انجلت بوجوده إشرافا
أو ما تلا العبد البهاء بنظمه … زدني بحقك في الهوى إنصافا

قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) [الرعد:٤١].

---

(٩٣٦)

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الجوهر النفساني هو عجب الذنب الذي لا يبلى، وعبر عنه بالعظم؛ لعظمه وقوته وإنما كان في الذنب لبطونه في التراب الذي هو أسفل سافلين من مراتب الوجود، وأطراف الأرض نواحيها، وهي كناية عن الصور الكونية، ونقصها عبارة عن السلخ والخلع، فحقيقة النفس تسلخ صورة، وتلبس صورة أخرى.

واعلم أن عجب الذنب معناه أصله، فالعجب: هو الحق، والذنب بفتح النون: هو الخلق، فإتيان الحق أرض نفوس الخلق كناية عن تجليه بحقيقته بها، وفي هذا التجلي يكون سلخ صورة، وخلع أخرى، وذلك قوله تعالى: (يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ) [الرعد:٣٩]، وهذه الصور هي أطراف أرض النفوس، والنقص يعتري هذه الأطراف، لا الحقائق التي هي الأنفس المستمدة من النفس الواحدة، التي هي الحق، ألا ترى قوله ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٩٣٧]، والرب لا ينقص، بل الحكم به في إنقاص صورة، وتعويض صورة للنفس غير الصورة الأولى، ولذلك قال: (وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ) [الرعد:٤١] أي: بحقيقته في صور نفوس مخلوقاته، فيبطن ما يشاء ويظهر ما يشاء، وليس الباطن أو الظاهر سوى حقيقته التي لا نقص فيها ولا زيادة (لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ) أي: لا حكم لغيره يعقب حكمه، ولا غير له حتى يحكم آخر غير حكمه وَهُوَ(سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ) فيوفي لكل صورة في الوجود أجلها، بحيث لا يزيد حسابها ولا ينقص، بل إن سرعة حسابه أن يتجلى بتجلي واحد فيُعرف من هذا التجلي كل محاسب حسابه، فيوفيه جزائه؛ لأن تجليه الذاتي لا يأخذ منه كل فرد إلا عين استعداده، فيكون التجلي واحدًا، وأحكامه مختلفة، كما قال: (وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ) [القمر:٥٠]، وأمَّا إذا أخذنا الآية على ظاهرها، فهي آية تخويف؛ لأن بين يدي الساعة خسفًا ومسخًا، فالخسف بسبب الزلازل، والمسخ بسبب الغضب الإلهي، فإذا أتى تجلية الأرض من أطرافها التي هي الجبال اضطربت الجبال، واهتزت وَمَاجتْ، فيحصل الخسف، قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ) [الحج:١]، كذلك إذا تجلى على جبل النفس فاندك طورها وزهقت صورتها، وفَنتْ به وانمحت، وثبت وحده بالبقاء في تلك النفس، فتكون نفسه لا غيره، قال الله تعالى: (وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا) [الإسراء:٨١]، وقال تعالى: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ) [الأنبياء:١٨] ولم يقل هنا فيزهق، إشارة أن عدم زهوقه من حكم الوهم، فإذا قذف الحق حقيقته بالتجلي، اندمغ خلق الصورة الذي هو باطل؛ أي: عدم؛ أي: ظهر زهوقه

---

(٩٣٧)

بذلك القذف والدمغ، وذلك عندنا هو نقص الأطراف؛ أي: فنائها جملة واحدة، وفي هذا الوارد قيل لي: أرض الوجود واحدة، وأطرافها الصور، وذلك في قوله تعالى: (**كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ**)([٩٣٨]) [القصص:٨٨]، وفي هذا التجلي قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: سماني الحق يازديار، ومعناه (ممسوك الدار) وأنشد:

مسكتك في داري لإظهار صورتي فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا

وَٱللَّهُ(يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيلَ [الأحزاب:٤].

وارد: قال الله تعالى: (وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ)نَبَاتٗا [نوح:١٧].

مع أن الله تعالى قال: (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**) [آل عمران:٥٩]، وهذا مع تحقيقنا أن الله تعالى خلقنا من نطفة، وفي بعض الآيات من سلالة من ماء مهين، والسلالة: كل ما أنسل من الشيء، فالتراب جماد ينسل منه أولاً البنات، ومن النبات ينسل الحيوان، ومن الحيوان ينسل الإنسان، ومن الإنسان ينسل الماء المهين.

وفي ذلك أقول:

أين الثرى في صورة الإنسان والله أنبتنا نبات جنان
ودليل هذا أكرموا عماتكم هن النخيل جنى جناها داني
وكذاك آدم جاء من شجر بدا نبتًا بواد شاع بالنعماني
فأعجب لعمات شقائق والد أثمارها تمر الغذا الإنساني
أشجارها من أصل طينة آدم وهي الغذا لبنيه بالبرهان
هذا هو الدور العجيب ومثله أن علم الرحمن للقرآن
يا ليت شعري قبل تربة آدم من يعلم القرآن من رحمان
يا مصطفى من قبل نشأة آدم كنت النبي ولا وجود لثاني
فلمن بعثت وآدم في طينه ولمن أتيت بوحيك الرباني
هل آدم من تربة هو أصلها أبدًا يدور بسائر الأزمان؟
أم أنت فرد جوهر الكنز الخفي قبل الزمان وعالم الدوران؟
أنت الإمام تبين عن معنى الهدى أحصيت قبلاً عالم الأكوان

([٩٣٨]) أي كل شيء من الأشياء الموجودة في العين هالك من حيث تعيُّنه الخاص إلا الوجه الذي يلي الحق؛ وهو أحد وجهي الحقيقة الكونية التي هو الإطلاق على ما ذهب إليه أهل التفسير والتأويل، وعلى هذا يدور سرُّ قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وكل من العرش والشرع مقلوب الآخر، فكما أن الرحمة العامة مستوية على العرش المجيد العظيم؛ فكذا الأمر التكليفي الشامل مستوية على الشرع الشريف، ومحلُّه في الحقيقة هو الإنسان الذي هو الكرسي؛ لأن كلاً من الأمر والنهي إنما ظهر في العرش إجمالاً، ثم في الكرسي تفصيلاً، والروح.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله تعالى قال: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ* عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ) [الرحمن:١،٢]، فكان في هذه السورة الاسم (الرحيم) بين (الرحمن) و(الرحمن والرحيم) اسم محمد ﷺ قال الله تعالى: (لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ) [التوبة:١٢٨] فكان ﷺ برزخًا له وجه إلى الرحمن من وجه البطون، الذي هو الكنز الخفي، وله وجه إلى الرحمن ومن وجه الظهور، الذي قال عنه: «فأحببت أن أعرف» ولا يعرف إلا بمظاهره، وقد قال عن نفسه هو الظاهر، فعلمنا أنه هو العارف المعروف، والعليم، والمعلوم، ولا يكون ذلك إلا بعين الحياة، الذي هو مجمع البحرين، فكان هذا المجمع محمدًا ﷺ قبل خلق صورة الإنسان، ولذلك رتب الحق، فقال بعد قوله: (ٱلرَّحۡمَٰنُ* عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ *خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ) [الرحمن:١-٣].

ولذلك قال في الحديث: «**فبي عرفوني**»[٩٣٩]، وقوله: «**فبي**» مماثلة في العدد لاسم محمد ﷺ فهذا معنى ما ورد: «**لولاك يا محمد ما خلقت سماء ولا أرضًا**»[٩٤٠]؛ لأنه الحقيقة الرابطة ما بين الاسم الأول والآخر، وما بين الاسم الظاهر والباطن، فكان قاب القوسين، أي: الخط الفاصل بين قوسي الدائرة، فهو الإمام المبين لمرتبة الحق بطونًا، ولمرتبة الخلق ظهورًا، فالحق والخلق هما القوسان لدائرة الوجود، والقاب هو الجامع لهما والفاصل بنفسه بينهما، فمن أجل ذلك قال تعالى: (وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا) [النبأ:٢٩]، فأحصى التراب والنبات والحيوان والإنسان والسلالة والنطفة والروح والصورة فصح قولنا في النظم المتقدم:

هل آدم من تربة هو أصلها أبدًا يدور بسائر الأزمان

وحيث قال ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٩٤١]، ولا تكون نبوته إلا بالقرآن الجامع، فهو الذي أخذ القرآن من الرحمن الذي هو باطنه، وبلغه إلى الرحمن الذي أحب أن يعرف به في صور المظاهر، وذلك قبل خلق الإنسان الذي هو صورة آدمنا هذا، فمحمد ﷺ والد الوجود في أدوار لا تتناهى، وآدم عليه السلام والد الصور الإنسانية في أدوار لا تتناهى، فصح قوله: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٩٤٢] وإلى ذلك الإشارة بقول السيد أحمد الصياد الرفاعي رضي الله عنه:

---

(٩٣٩)

(٩٤٠)

(٩٤١)

(٩٤٢)

قم يا نديمي فهذا الحب يسقيني   خمرًا به طاب سكري قبل تكويني

فيحتمل أنه أراد قبل تكوينه من آدمنا هذا في الدور الذي قبله، طاب سكره بتلك الخمرة، أو حصل له ذوق الاتحاد بالحقيقة المحمدية المشار له بقول ابن الفارضﷺ:

وإني وإن كنت ابن آدم صورةً   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

واعلم ـ رحمك الله ـ أني توقفت في إثبات الدور الآدمي خشية التكذيب، ولجأ قلبي إلى الله أن يمن عَلَيّا بشاهد صحيح من الكتاب أو السنة، فلما قمت إلى صلاة الصبح جرى لساني بقوله تعالى: (**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ**) [آل عمران:٣٣،٣٤]، فأدخل آدم في ضمن الذرية التي بعضها من بعض، فدخل آدم في ذرية آدم غيره، ولهذه النكتة ترك الحق ذكر آدم في قوله: (**وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ**) [الأعراف:١٧٢] فأشار تعالى أن آدم فرع من النوع الإنساني، ولو خلق من تراب، فإنه ما خلق إلا من تراب طينته الأصلية؛ لأن الإنسان لا يخرج إلا من الإنسان المتقدم في الإنسانية قبله، فهو وإن كان والد الذرية لكنه بعض الذرية بالنسبة لما قبله، وذلك نص القرآن في قوله: (**ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [آل عمران:٣٤] بدليل أن: (**ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ**) [الرحمن:١-٣] والقرآن معدنه الإنسان، قال تعالى: (**إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ**) [الحاقة:٤٠]، فالإنسان قديم، وصورته الخاصة بشخصيته المؤقتة حادثة، ولهذا رتب فقال: (**خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ**) [الرحمن:٣] أي: صورته فقوله: (**ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ**) أي: منه إليه قبل خلق صورة الإنسان الثاني لا الأول؛ لأن الله تعالى هو الظاهر بالأول، والآخر والظاهر والباطن، وبهذا المعنى أقمنا لك جدارك عن نفسك، فاخرج كنزك، ولا تكن يتيمًا، ألا ترى قوله: (**أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ**) [الضحى:٦] أي: جعلك عين نفسه، وعرفك بأنك أنت الأصل المقصود فتعلم أنك هو لا أنت، إذ كنت كنزًا مخفيًا، ضالاً عن نفسك فهداك إليك، فكانت صور الوجود عيالك، فأنت العائل الذي أغناك، وما أغناك إلا بذاته التي هي أنت، فبحر الوجود موجة من درتك العينية، فلذلك انتبهت من المنام في هذا الوارد، وأنا أكرر بيتًا وأقول:

بحر بدا من درة الأكمال   ذاك النبي المصطفى المتعال

فلذلك قلت في النظم المتقدم: أحصيت قبلاً عالم الأكوان.

وأمَّا قولي: فلمن بعثت وآدم في طينه؟ هو طلسم الدور؛ يعني أن كنت نبي الأرواح البشرية، يقتضي أن أرواح البشر قديمة مع صحة الحديث: «**إن الملك ينفخ روح الإنسان**

بعد تسوية خلقه»[٩٤٣] فالنفخ الأول لروح آدم بعد تسويته من ترابه، وإن كنت نبي أرواح الملائكة، فالملائكة هم النازلون بالوحي على البشر، كجبريل ينزل على النبي ﷺ فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه:١١٤] أي: لا تظهر بأمر الذات، بل بحكمة الأسماء والصفات، وأمَّا من كونك عين الذات فلا أول لك ولا آخر؛ لأنك مبرز الأدوار ومكررها، كما يتكرر الليل والنهار، فصور الوجود هي (الذَنَب) بفتح النون، و(العجب) هو الذات أي: أصل هذا الذنب وحقيقته وهذا (العجب) لا يبلى كما في الحديث، وعبر عنه بالعظم؛ لعظمته فهو باطن في ترابية الإنسان في جميع الأدوار والله الهادي لا رب غيره.

وارد الفصل والوصل المنير ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]

صور الوجود بدت بها أسماء ... فهي الحقيقة والسوى أسماء
أبدت نقابًا من محاسن وجهها ... فالوجه منها والنقاب سواء
فنكت بألحاظ لها بفؤادها ... ورضا بها الترياق فيه شفاء
رقمت فنون شئونها بظهورها ... منها لها فهي الدوا والداء
جف اليراع فلا يبدل قولها ... حتمًا عليها لا يرد قضاء
نور وهام بعروجها ونزولها ... لجمالها وجلالها إسراء
يا طيب مسك الخال من وجناتها ... نبئ عبادًا باللقا سعداء
سعدوا بها وصلاً بجنات العلا ... وشقى بنيران النوى البعداء
تجلو لها المرآة منها كي ترى ... معشوقة طابت بها السراء
وتقول كلا لن تراني غيرة ... منها عليها فالنوى أدناء
هذا هو الجبل العظيم لعزتي ... ينـدك ذلاً إن بدا العظماء
فإن استقر مكانه في رؤيتي ... فلانت سوف ترى وذاك وفاء
صعق الفتى موسى لرفع حجابها ... عن نفس موسى والفناء بقاء
فرأى جمالاً جل عن شرك السوى ... ودرى بأن وجوهها الأشياء
فهي السعيدة في السعيد لقربها ... وهي الشقي يعوقه الإقصاء
فتصرفت في نفسها علمًا بها ... فجرى عليها في الوجود قضاء
سبق الكتاب وجف خط يراعه ... بالحكم فيما أوجب الإمضاء
كل إلى أسماء سيرًا ينتهي ... ولها يعود الدور والابداء
هي نقطة منها تدور دوائر ... كي تعلم الأفعال والأسماء

قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة لما قال: يا رسول الله، أشتهي النساء، ولا مال عندي، وأخاف على نفسي العنت، أي: الزنا، فهل أختصي؟ فلم يجبه، فأعاد القول ثانيًا فلم يجبه،

---

(٩٤٣)

فأعاد ثالثًا فقال له:«**جف القلم بما أنت لاق، فاختص إن شئت أو ذر**»(٩٤٤) أي: اترك، رواه البخاري، وفي الحديث: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٩٤٥)، وفي الحديث: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، حتى ما يكون بنيه وبينها إلا قدر شبر أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، حتى ما يكون بينه وبينها إلا قدر شبر أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، إنما الأعمال بالخواتيم**»(٩٤٦).

فإن قلت: إن عمل الرجل بعمل أهل النار بالإرادة الإلهية وسبق الكتاب عليه بأنه يعمل بعمل أهل الجنة فَيُخْتَم له بذلك ويدخل الجنة، كذلك هو بالإرادة الإلهية وكذا الأمر بالعكس، فصار معنا إرادتان فأيتهما هي الغالبة، هي الغالبة السابقة التي هي موافقة للخاتمة.

قلت: إن الجواب عن الإرادتين يحتاج إلى علم الأسماء الإلهية، وعلم تعارضها في معانيها، فالاسم الإلهي (المحي) مثلاً يعارضه الاسم (المميت) فيتردد الأمر بينهما على أن يتبين الغالب، وكل من الاسميين له سدنة بيدهما أقلام المحو والإثبات كما قال: **﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾** [الرعد:٣٩]، ومن هنا تفهم الحديث القدسي وهو أن الله تعالى يقول: «**ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة عبدي المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته، ولابد له من لقائي**»(٩٤٧).

فإرادة الاسم (المحيي) هنا إحياؤه كراهة مساءته بالموت، وإرادة الاسم (المميت) إماتته؛ لأجل اللقاء، وتوجه الاسمين بإرادة كل منهما؛ لنفوذ معناه في المظهر يسمى ترددًا، والحكم للغالب في وقت غلبة سلطانه، وأما الإرادة الغالبة السابقة في أم الكتاب فهي التي يطلبها الاستعداد الذاتي الغير المجعول وهو الثابت بثبوت الذات، لا بما تقتضيه معاني الأسماء والصفات فقط، فإرادة الأسماء فقط غير منوطة بقول الله: **﴿ كُن﴾** فقد يأباها الاستعداد الذاتي فلا يكون الأمر، وأما الإرادة المنوطة بقول الله: **﴿ كُن﴾** فهي التي لا يأباها الاستعداد الذاتي المعبر عنه بسبق الكتاب، وفي هذين الاسمين سبق الكتاب بالغلبة للاسم (المميت) فلا عبرة بكراهة الاسم (المحي) مساءة العبد بالموت، وشبيه ذلك قوله ﷺ:

---

(٩٤٤)

(٩٤٥)

(٩٤٦)

(٩٤٧)

«**أكره أن تكوى أمتي بالنار**»[٩٤٨]؛ لأنه (رءوف رحيم)، مع أنه أخبر أن الشفاء في كية النار، فلابد من الكي، والكي حكم الجبار القهار فكان الاسم (الشافي) منوطًا هنا بحكم (الجبار) لا بحكم (الرءوف الرحيم) مع أن كلاً من الاسمين من مظاهر الإنسان التي يظهر بها، وهذا السر هو الذي اقتضى أن يقول تعالى فيه: **(وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)** [مريم:٧١]، فورود النار بمنزلة الكي للشفاء، غير أن الكي يختلف باختلاف الداء، فهو تعالى قد يكون من كونه رحيمًا أرحم بالعبد من والدته، مجبورًا لنفسه من جهة حكم اسمه (القهار الجبار) إذا فهمت ذلك فهمت قوله تعالى: **(مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ)** [الأعراف:١٨٦]، **(وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ)** [الزمر:٣٧] أي: من يضلله الله ضلالاً لا يأباه استعداده الذاتي فلا هادي له، أي: لأن الاسم الهادي يكون مغلوبًا في حقه؛ لأن استعداده له عرضي، وليس بذاتي الذي هو غير مجعول، أي: بل هو مطبوع في نفس الذات، وكذا يقال في قوله: **(وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ)** [الزمر:٣٧]، مع أن الاسم (الهادي) والاسم (المضل) لله تعالى، ولكن ليس الاستعداد العرضي كالاستعداد الذاتي، ألا ترى إلى ما قيل؟!

فموسى الذي رباه جبريل كافر   وموسى الذي رباه فرعون مرسل

فتربية جبريل لموسى السامري استعداد عرضي، وكفره استعداد ذاتي، وتربية فرعون لموسى بني إسرائيل استعداد عرضي، ورسالته استعداد ذاتي، والذاتي هو الغالب الذي سبق به الكتاب، كتاب الذات الإلهية التي لا يبدل القول لديها، وما سوى ذلك يبدل، ومن هنا تفهم حكمة الله في قوله: **(فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ)** [الشورى:٧]، وحكمة قوله: **(كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)** [مريم:٧١] أي: مقضيًا في الاستعداد الذاتي الغير المجعول، وهذا معنى قول الشيخ الأكبر: العلم تابع للمعلوم مراده بالمعلوم شأن الذات الإلهية بما هي عليه، فعلمنا أن مراد الله من خلقه ما هم عليه في حضرة ثبوت ذاته بنفسها لنفسها؛ لأن الله علم نفسه فعلم العالم، فعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بالعالم، وبما قررناه ينكشف له الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ﷺ عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي**»[٩٤٩]. انتهى.

---

(٩٤٨)

(٩٤٩)

فلا يعترض معترض ويقول: إن إباية المشرك للتوحيد وهو في صلب آدم غلبت إرادة الحق في قوله: «**أردت منك أهون من هذا**» وما المانع له من أن يقول لمن أبي إلا الشرك: «**كن موحدًا**» لما علمت من أن المانع عدم الاستعداد الذاتي للتوحيد من هذا المشرك، فليس هذا المشرك ممن يولد كافرًا ويعيش كافرًا ويموت مؤمنًا، فإن هذا استعداده الذاتي هو الإيمان، وذاك استعداده الذاتي هو الشرك، فقوله: «**أردت منك أهون من هذا**» هي إرادة الاسم (الهادي) وهي مغلوبة في هذا المقام، ولذلك لم تقرن هذه الإرادة بقوله: «**كن موحدًا**» ولو كانت مقرونة بكون هذا المشرك في صلب آدم، فإن ذلك لا يفيد بعد قوله: من جهة اسمه (المضل) «**هؤلاء إلى النار ولا أبالي**»[٩٥٠]؛ لأن هذا القول منوط بأم الكتاب، لا بصلب آدم وفي هذا الحديث إشكال، وهو أنه حيث أَبى المشرك إلا الشرك وهو في صلب آدم فما معنى قوله ﷺ:«**كل مولود يولد علي الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٩٥١].

فإن بعض العلماء قال بأن كل مولود يولد على الفطرة الإسلام فالجواب: أنه أخطأ من قال بذلك ألا ترى ما قاله ﷺ في حق الغلام الذي اقتلع الخضر رأسه أنه طبع كافرًا مع أنه لم يبلغ الحنث، وقد ورد أنه تعالى حينما يأمر المَلك بتصوير المولود وهو في بطن أمه يقول له: «**اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد**»[٩٥٢]، وقد ورد أن: «**الشقي من شقي في بطن أمه**»[٩٥٣] فكيف يولد على فطرة الإسلام، وهو شقي في صلب آدم، وشقي في بطن أمه؟!

والذي أذهب إليه في معنى قوله ﷺ :«**كل مولود يولد على الفطرة**»[٩٥٤] هو ما صرح به القرآن العظيم من قوله: (**فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا**) [الروم:٣٠]، وفطرة الله أسمائه المختلفة المعاني، وقد فطر الناس على تلك الفطرة، وفعل الأبوين استعداد عرضي لا يعتد به، إلا أن وافق سبق الكتاب إذا العلم الإلهي تابع للمعلوم، الذي هو شأن الذات الإلهية، لا أنه تابع لفعل الأبوين، فإن والدي الشخص قد يغريان ولدهما على الكفر وقد سبقت له من الله الحسنى، فيموت مؤمنًا، وإن ولد كافرًا وعاش كافرًا.

---

(٩٥٠)

(٩٥١)

(٩٥٢)

(٩٥٣)

(٩٥٤)

وقال بعض العلماء: الفطرة هي فطرة (بَلَىٰ) حين قوله تعالى: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) [الأعراف:١٧٢]، وهذا لا ينافي ما قلناه؛ لأن المشركين يقولون: مَا(نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ)زُلْفَىٰ [الزمر:٣]، فالمشرك في فطرته الإقرار بالربوبية، ولهذا كان الشقاء عارضًا لغلبة قولهم: (بَلَىٰ) فيئول الأمر للإقرار الأول ولا شك أنه سعادة نكتة لعلك تقول: كيف أراد الحق من المشرك التوحيد وهو في صلب آدم، وحال كونه منطويًا في صلب آدم لا علم له بتلك الإرادة؟

فالجواب عن ذلك: أن كل فرد من ذرية آدم له حضرة جمع وحضرة تفصيل، فهو في صلب آدم مجموع فيه وهو في حضرة (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُه) [الحجر:٢١]، مفصل في تلك الخزائن، فكل فرد مفقود موجود حال، حال كونه في صلب آدم؛ ولهذا قال تعالى: (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ثُمَّ كُلَّهَا عَرَضَهُمْ) [البقرة:٣١] أي: المسميات (عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) [البقرة:٣١] أي: بأسماء هؤلاء الموجودين لعيانكم.

فإن قلت: إن الله تعالى قال: (كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)[955] [مريم:٧١]، فمن الذي حتم على الرب؟ قلنا: حتم عليه اسمه (القدير) و(القدير) حتم عليه الاسم (المريد) و(المريد) حتم عليه الاسم (العليم) و (العليم) تحت حكم المعلوم، الذي هو الذات المنطوي فيها جميع الأسماء والصفات، وهذا المعنى هو المعبر عنه بالقدر وفي ذلك أقول:

جف اليراع ونفس الشخص في العدم ... فالسعد والنحس مطبوعان من الشيم
منهم شقي بدا في العلم من أزل ... حقًا ومنهم سعيد حائز النعم
يهوِّد الوالد المولود يتبعه ... كذا النصارى بهذا والمجوس رمي
ألم يقل هؤلاء القوم في غرف؟ ... وهؤلاء بنار سعِّرت بهم
فأي ذنب لمن يغريه والده؟ ... وعلمه في القضايا سابق القدم
قد قال حتمًا على الرب الورود لهم ... فمن لهم بعده ينجي من النقم

([955]) هذا القسم من وجوب حق صفة القدم، إذ نعته قهر الجبروت، فأورد الكل عليها لمباشرة ذلك فيهم ليعرفوه بجميع معاني صفاته، وذلك رحمة كافية إذ لم يعزلهم من رؤية جلال أزليته في لباس قهره، فكم كشف من الجبروت هناك، وكم مشاهدة من عين الملكوت هناك، وكم ظهور سر في دروبهم هناك أين أنت من قول سباح قاموس الكبرياء وعنقاء مغرب؛ فإن البقاء حيث قال: وضع الجبار قدمه في جهنم، هل ترى هذا القدم إلا كشف جلال القدم، وإذا كان جمال قدمه مصحوبهم، فلا بأس بالوقوف في النيران؛ فإن هناك أصل الجنان.

يا حيرة أغرقت من بحرها وسطت على العقول فيمن ينجو ومن يعم
فـــالعلم يتبــع للمعلــوم لا عجــب فقولـــه كـن كـذا يجـري بحـــالهم

وَٱللَّهُ(يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى)ٱلسَّبِيل [الأحزاب:٤].

وارد الوجهة الإلهية لوجه الكعبة المحمدية

يا وجهة قد بدا في الحسن معناها شاهدت في صور الأشياء محياها
وليت وجهي لها والقلب منزلها حتى شهدت بذاتي سر مجلاها
إنـــي المــولي لهــا منــي لأقبلهــا لــي قبلــة لقبـولي كنـت أرضــاها
عجبت من كعبة مني عبدت لها فكنت عبدًا لها إذ كنت مولاها
فما عبدت سوى نفسي فواعجبى وقد سبقت إلى الخيرات ألقاها
سبحان ذاتي بذاتي تتجلى أبدًا عبدًا وربًا فذاتي هي مثناها
فأينمـــا قبلتـــي وليـــت ثـــمَّ لهـــا كنـــه الوجـود ووجــه الله مأواهــا
يا قبلتي خاطبيني في نجوى لقد رأيت شخصًا بشخصي في جلّاها
لاهوتـــه حـــل ناســـوتي فقدســـه إنـــي عجبـــت لـــذات عبـــد إياهـــا
يـأتي بنـا الله فـي كـل الوجـوه بـدا والأمــر واحــدة دنيــا وآخراهــا
سماء نفسي إذا انشقت بآخرتي حقت لرب بإذن منه رباها
يا كعبة الذات أسمائي لها سجدت تمحو وتثبت أدناها وأقصاها
فـأولى أنـت حقًـا أخـرى وكـذا لـي ظـاهر وبطـوني فـي مصـلاها

قال الله تعالى: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ) [البقرة:١٤٨]، الوجهة: الناحية (هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ) أي: جاعل لها ولاية (فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ) وهي صور الوجود التي هي في كل وجهة، فكل خير بدا في خاصة قبلة يواجهها العبد أيُّ عبد كان ولو من الذين قالوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ) [الزمر:٣] ولذلك عرفهم الله في كل وجهة يولون إليها أنه هو الولي، فقال: (أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) [الشورى:٩] أي: الظاهر بولايته في كل ولي، كما قال: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥]، وقوله: (أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟) [البقرة:١٤٨] أي: في منزل الجمع، أو في منزل الفرق أو التنزيه أو التشبيه، أو الإطلاق أو التقييد، أو مع الذات أو مع الأسماء، أو مع المعاني أو مع الصور (يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ)[٩٥٦] [البقرة:١٤٨] أي: يتجلى الله بكم، ويظهر لكم في أنفسكم وفي الآفاق، ولذلك يقال لأهل النار: (ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا) [الحديد:١٣] أي: فشاهدوا الله؛ لأنه قال: (وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ) [البروج:٢٠] قد قال عن نفسه: (ٱلله نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

([956]) أي: أرواح خواص أهل المعرفة، والأرواح السائرة في ميادين الأزلية، يأتي بهنَّ الله جميعًا؛ بعد محو الإرادات، واضمحلال الرسومات في سرادق البقاء، ويُسقي كل روح من الأرواح بكأس الصفاء شراب الوصال، ويكشف لها جمال الحقّ؛ حتى يكونوا هنالك جميعًا في عموم العطاء.

وَٱلۡأَرۡضِۚ) [النور:٣٥] فأمروا بالتماس النور من الشمال؛ لأنهم أصحاب تلك الوجهة فسيرهم ليس كسير أصحاب وجهه اليمين، فيضرب بينهم بسور الجمال والجلال:(لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ) [الحديد:١٣]، هو النور الذي أمروا بالتماسه وذلك النور عين باطنهم، إذ لا باطن لهم إلا هو، وهو عين رحمة الجمال، وظاهره الذي هو ﷺ صورهم المعذبة(مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ) فعلمنا أن العذاب من قبل الظاهر، الذي هو الصور لا من قبل الباطن، الذي هو حقيقتهم النورانية التي أمروا بالتماسها، فالسور هو هم، وظاهره الصورة وباطنه الحقيقة، وبابه برزخ الأعراف، أي: المعرفة الإلهية، وهذا الباب عند العارفين لا يحجب الباطن عن الظاهر، ولا يحجب الباطن عن الظاهر، ولا الظاهر عن الباطن، وكذا يقال في الأول والآخر، بل في كل متقابلين من الأسماء الإلهية، فأهل النار محجوبون عن ربهم، وهو المتجلي بربوبيته فيهم، وبها رباهم على ما هم عليه وذلك في يوم القيامة، فإذا رجعوا ورائهم، والتمسوا نور ربهم، وطهرتهم نار الشوق إلى لقائه، ولج جمل الجمال الإلهي في سم خياط أوهام حجابهم، فيضل من يدعون إلا إياه، فيدخلون جنة ذاته مع أنهم ما برحوا عاكفين عليها أزلاً وأبدًا،وهذا مآل قوله تعالى: (أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ) [البقرة:١٤٨]؛ لأنه هو الجامع، قال تعالى: (يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ) [التغابن:٩]، جلي الاسم الجامع (كالموت) تجلي اسمه (المميت) فمن مات قامت قيامته كذلك من تجلى الله عليه باسمه الجامع، كان بذاته جامعًا للأولين والآخرين، فذلك يوم التغابن؛ أنه يشاهد السابق إلى هذا المقام، إذ العارفون بالله يتفاوتون في المعرفة: (وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ) [يوسف:٧٦] ومما قررناه يفهم قوله تعالى في حق الكافر: (فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ) [طه:٧٤] فلا يموت من العذاب؛ لأن باطنه فيه الرحمة، ومن الرحمة ألا يكون محجوبًا عن باطنه، فما قيل له التمس نورًا إلا ليجده في باطنه؛ لأنه عابد في باطن الأمر من جهة الأخذ بناصيته، ولا يحيا ظاهره بصورة النعيم؛ لأن ظاهره الجلال، فنفس الكافر من جهة باطنه منعمة بالجمال، ومن جهة ظاهره معذبة بالجلال، إلا أن له قوة على استلذاذ ذلك الجلال، فاستعداده بقول: زدني عذابًا بعد الجزاء الوفاق، وأما قبله فيقول: (وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ) [الزخرف:٧٧]، ثم يحصل له حال الصبر والجلد والقوة، ولذلك عجب الله من صبرهم على النار فقال: (فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ) [البقرة:١٧٥]، على أنه هو (الصبور) فيهم كالاسم (المنتقم) يتولى الظاهر الذي من قبله العذاب، والاسم (الصبور) يتولى باطنهم الذي فيه الرحمة، بخلاف المؤمنين، فإن أنفسهم في النار تغيب عن مشاهدة العذاب، فهم في النار بمنزلة المريض الذي يغيب عن حسه فلا يشعر بالمرض، إلا أنه مسجون في مرضه عن شهواته ولذاته، كذلك أهل

النار من المؤمنين مسجونون عن مباشرة الحور والقصور، وعن أثمار الجنان، وشراب أنهارها، فأهل النار من المؤمنين الذين ماتوا، وهم يعلمون التوحيد يموتون في النار غائبون عن مشاهدة صور الجلال، وباطنهم متوجه لمشاهدة صور الجمال، وبهذا ورد الحديث الصحيح قال ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فيميتهم الله فيها أماتة**»[٩٥٧].

وينبغي أن يتنبه لأمر خفي مثل قوله ﷺ: «**إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها إلا هم العيال**»[٩٥٨] فهم العيال بالنسبة للمؤمن عذاب خفي وكذا ورد: «**الحمي من فيح جهنم**»[٩٥٩] وورد أنها: «**حظ كل مؤمن من النار**»[٩٦٠]، ألا ترى أن بعض المؤمنين يكون غريقًا في بعض المعاصي، وتكون خاتمته خيرًا ولا يدخل النار، فيقول فيه وفي أمثاله ما حكاه الله عنهم في قوله: (وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ* أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ) [ص :٦٢،٦٣].

جال جواد اليرع في فسيح رحاب هذا القاع، فلنرجع لآية الوارد وعلى كلامنا السابق بشاهد فنقول: قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة:١١٥]، فنقول: إن الاسم (الواسع)نبؤه عظيم، فوسعه يقتضي أن المشرق إشراق ظهور الذات في مظاهر الأسماء والصفات، وأصحاب هذا التجلي يعبدون الله تعالى من جهة الاسم الظاهر، ويقتضي أن المغرب بطون هذا التجلي، فمن جهة هذا البطون لا يرى العابد الحقيقة في الصورة ويقول: كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وأهل هذا التجلي البطوني يعبدونه من جهة الاسم (الباطن) ومن هؤلاء علماء الرسوم أهل التنزيه، والأوائل أهل التشبيه عباد الصور، فلكل هو موليها؛ لأنه ولاها مرتبة الألوهية فعبدها، وربما يعزلها عن تلك الولاية ثم قال: (أَيْنَ مَا تَكُونُواْ) [البقرة:١٤٨].

وهذا التجلي للعارفين من الاسم (الواسع) وهم الذين أطلقوا وجه الله في كل معنى وفي كل صورة، فعبدوه ظاهرًا في البطون وباطنًا في الظهور، مطلقًا في التقييد مقيدًا في الإطلاق، منزهًا في التشبيه مشبهًا في التنزيه، والاسم (الواسع) وسع الجميع رحمة وعلمًا،

---

(٩٥٧)

(٩٥٨)

(٩٥٩)

(٩٦٠)

ويسع الأول الآخر، والظاهر والباطن، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، ومن النبأ العظيم قولهﷺ: «**تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجي**»(٩٦١).

والداعي لهذا القول منه ﷺ هو قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فجعلوهم فهم المولون لتلك الولاية مرتبة الألوهية، كما قالوا: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، فجعلوه هو المؤثر في الإهلاك، فأفاد ﷺ بقوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»(٩٦٢) إنهم في حقيقة الأمر نسبوا الإهلاك إلى الله، فصدقهم في قولهم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ فهم عبيد الله في الحقيقة، وهذا من النبأ العظيم، كما قرر الله صدقهم في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]، فأخبر الله عنهم بالاعتراف به، غير أنهم جعلوا الأصنام قبلة لهم، وحكم الله بصحة عبادتهم في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، فالحكم بصحة عبادتهم من النبأ العظيم، وقرر ﷺ وجهتهم بقوله: «**تلك الغرانيق العلى**»(٩٦٣) لأن الله هو الظاهر بتلك الغرانيق، وأما قول بعض المفسرين: بأن الشيطان هو القائل: «تلك الغرانيق العلى» وأدخل كلامه بكلام رسول الله ﷺ حتى امتزج كلام الشيطان بكلام رسول الله ﷺ فهو منهم غاية الجهل؛ لأنهم لا يعلمون باطن رسول الله ﷺ ومشهده في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ*وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩،٢٠]، أن هذه الأسماء أسماء الله تعالى، وأن صورها وجوهه كما قال: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

ولا شك أن كل وجه من وجوه الله ترتجى شفاعته عند الله، بل إن كل شفاعة مندرجة في شفاعته ﷺ؛ لأن من جهة الحقيقة هو (الشفيع) في كل من له شفاعة، وهو (الرءوف الرحيم) من كل رءوف رحيم، فلذلك أنزله عليه من النبأ العظيم: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٧]، فقد اتضح لك بما قررناه عموم نبوة محمد ﷺ بتقريره عبادة كل عابد، تصديقًا لقول الله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلله يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:١٥]، مع أنهم يسجدون إلى اللات والعزى، ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:٤٧]، فكل ذلك هدى من الله، والله يقول له: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ

---

(٩٦١)

(٩٦٢)

(٩٦٣)

﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠]، شاهد ما قلناه قوله: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً﴾ [المائدة:٤٨]، وقوله أيضًا: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨] ولو شرحنا لك حديث النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، لشاهدت العجب العجاب، ولو لم يلح بارق منه لموسى عليه السلام لفلق هامة فرعون بالعصا عند قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وكان يقتل بني إسرائيل حين عبدوا العجل، فافهم.

فإن قلت: ما حقيقة النبأ العظيم الذي لا يعمله إلا الأفراد من أهل الله؟

قلت: إن جبريل تخلف عن النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وقال: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات: ١٦٤]، فلم يتجاوز جبريل في مقامه سدرة المنتهى، فمن أين الوحي الذي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ * فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم:٨ ـ١٠] ومن هو الموحي؟ ومن هو الموحى إليه؟ فإن فهمت معنى قاب قوسين أو أدنى، فهمت أن الضمير في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ عائد لمن كان في تلك المنزلة.

فالحقيقة قاب قوسين أو أدنى هو الموحي، والعبد صورة حقيقة ذلك القاب، فجبريل وسائر الملائكة من صور حقيقة ذلك القاب، فإن ذلك المعنى هو انفراد الحق بوجوده في مظاهر صور ذلك الوجود، وهذا معنى قول سيدي أحمد بن إدريس رضوان الله عليه: اللهم صل على طامة الحقائق الكبرى سر الخلوة الإلهية ليلة الإسراء، فهذا النبأ العظيم المذكور في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ هو من الباطن إلى الظاهر، ومن الأول إلى الآخر، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن المعنى إلى الصورة، ولذا قيل له من تلك الجهة: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [طه:١١٤] فهو يعلمه من جهة النبأ العظيم الذي قال فيه: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**»[٩٦٤] فجبريل وسائر الأرواح يستمدون من الحقيقة المحمدية من جهة هذا النبأ العظيم، فمنه قال الله للملائكة: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] ومنه نَبّأ آدم بعلم الأسماء الإلهية، ومنه نَبْأ ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢] فقال الجميع: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ

---

(٩٦٤)

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ) [الأعراف:١٧٢] وهذا النبأ العظيم هو المشار إليه في قوله تعالى: (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاً ﴾بَلِيغًا [النساء:٦٣] فجعله باطن الأنفس ساريا فيها سريان الماء في العود الأخضر، وذلك قوله تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾نَذِيرًا [الفرقان:١] فالاسم الباطن الذي هو الحقيقة هو منزل فرقان الأسماء الإلهية ليكون العبد الذي هو مجلي ذلك الفرقان الجامع له بحقيقة ذاته (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾نَذِيرًا [الفرقان:١] فسرى في أنفس العالمين، فأنذرهم وقال لهم في أنفسهم: (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاً ﴾بَلِيغًا [النساء:٦٣]، ومن جملة ما قاله لهم في أنفسهم: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا ﴾غَـٰفِلِينَ [الأعراف:١٧٢] لأنها قرآن فقالوا جميعًا: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا ﴾غَـٰفِلِينَ [الأعراف:١٧٢].

والقرآن قول رسول كريم، ومن جملة ما قاله لهم في أنفسهم: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا ﴾غَـٰفِلِينَ [الأعراف:١٧٢] فالنبأ بهذه المقالة من جملة النبأ العظيم، ومنه قوله تعالى: (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا ﴾عَـٰمِلُونَ [هود:١٢١] أي: عاملون عملكم، إذ نحن أنتم، كما قال: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾عَلِيمٌ [الأنفال:١٧] أي: وما رميت صورة إذ رميت حقيقة، ولكن الله رمى، أي: هو حقيقتك يا محمد، والرامي في صورتك، فحقيقتك اسمه الباطن، وصورتك اسمه الظاهر فمحا خليقته وأثبت حقيقة مطابقه لقوله: (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا ﴾وَجْهَهُۥ [القصص:٨٨] فالهالك ما رمى ووجه الله هو الرامي، فأفناه عنه أبقاه به، فهو هو؛ لأن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن فانكشف قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ﴾ٱللَّهَ [الفتح:١٠] من لفظ (الله) هي(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ)[النجم:٨] واللام الأولى

(فتدلى) واللام الثانية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩] والهاء ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩].

وإن شئت قلت: الألف هي القاب، والقوسان هما اللامان، والهاء دائرة الهوية الإلهية التي قوساها الحق والخلق، وقابها برزخ فاصل حكم مفروض؛ ليتميز به الحق من الخلق، وصورة تلك الدائرة الو

هاء
ل ل
حق خلق

فالدائرة هي الهاء، والقوسان اللامان، والقاب هو الألف الفاصل الذي ألف بين القوسين، وجعلهما مع ذلك الفصل عين دائرة واحدة هي الهوية ، فالقاب واسطة بين الحق والخلق، ولولاه لم يكن اسم الحق ولا اسم الخلق، بل طمس محض، تشير إليه (طسم) فمعناها طمس الهوية الإلهية، ومحو الذات بجميع المظاهر الوجودية.

قال العارف السمان ﷺ:

بسر سر الطمس بالعماء   بكنزك المخفي بالهباء
بأول البارز للوجود   من عالم الغيب إلى الشهود

أشار بقوله: (بأول البارز للوجود) إلى قوله ﷺ: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[٩٦٥] ولا معنى لقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء:١] إلا ذلك النور، ففيه انطمس سائر العالم، فهو السر والنفس الرحماني النافخ بالرقيقة الجبريلية في مريم وآدم، يعبر عنه بالروح، كما قال تعالى في حق آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩].

وهذا الروح هو النفس الرحماني الذي استوى على عرش صور الوجود، فكان الشاهد والمشهود، وهو صاحب النبأ العظيم، ومجلي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] وفيه أترنم وأقول، وبنوره الساري بحقيقة ذاتي أصول وأجول:

منوا لمن بالأسر صب موثق   وافدوه من قتل الغرام أطلقوا
يا سادة العرب الكرام بحيكم   صب بأرياح الغرام ممزق
قد بات يرصد حسنكم ولقد صبا   ببياته والقلب منه يخفق
بآل الحسيني أنجدوه بركبكم   إذ ظل من أوج النوى يتعلق
لاح الحصار ومن العراق محيرا   قلبًا ينوح من الصدور ويفرق
بابي من العشاق تهتف باسمه   ولأمره بدر السماء يشقق
والشمس في فلك المسير تطيعه   حتى الإله له يطيع ويعشق
إن زمزم الحادي ببرج قراره   في المغرب الأقصى أجاب

---

(٩٦٥)

المشرق

ما الكون إلا درة من كنزه ... ظهرت فلاح الخلق منها يشرق
وسع الإله جنانه وبصدره ... بحر بحور العلم فيه تغرق
لله قلب منه لم تأخذ له ... سنة ولا نوم وذاك محقق
كم بات عند الرب يطعمه الغذا ... قوتًا ويسقيه شرابًا يغرق
لام العوازل في هواه فمذ رأوا ... بعض الجمال على أعلاه أطبقوا
روح المعاني من بديع بيانه ... طاب الحديث بها وزان المنطق
أنا عبده والفخر أني عبده ... أبدا على طول المدى لا أعتق
نور التجلي من حقيقته انجلى ... في طور موسى فهو منه يصعق
فرد الوجود وجامع الحسن الذي ... منه الجمال على الحسان يغرق
قد لاح يبدو بعضه في يوسف ... فلذاك يعقوب به يتعلق
سعد السعود بوجهه لما بدا ... بدءًا وختمًا بالنبوة يعبق
يا كعبة لبيت دعوة حجها ... ولزمت ملتزمًا عليه الرونق
ووقفت في عرفاتها متجردًا ... عن غيرها وبعقدها منطوق
طوفت آمالي بركن مقامها ... ورميت حجر الغير إذ أنا محدق
وشربت زمزم وصفها من ذاتها ... ولثمت يمن يمينها أتملق
حجرت ذكرى عن سوى حجر لها ... فصفا لي التوحيد وهو مروق
يا طلعة الحق الذي من كنزه ... عُرف الإله ولاح خلق يخلق
أنت الممنع عزة وجلالة ... عن وهم تشبيه لحسنك يطرق
أنت المنادى يا صفا الأزمان يا ... روحي وراحي والوجود المطلق
يا كامل الأوصاف حبك مذهبي ... ديني وإيماني به لا أسبق
وجنان خلد هواك من مهجي بدت ... أني بنيران السعير أحرق
جُد بالشفاعة إذ تقول أنا لها ... للعالمين فكلهم بك يرزق
وإليك منك صلاة ربك دائمًا ... ما ناح من شوق إليك مطوف
والآل والأصحاب ما فاه البهاء ... منوا لمن بالأسر حب موثق

وفي هذا الوارد ناديت سور، سورة الأعراف في حضرة الجمع ببررخ ما بين بحري صاد وقاف.

فقلت: أيها السور الذي ظاهره النار وباطنه النور، ما سر بابك ما بين الجنان والنيران، فقال: ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٨،٩].

فقلت: يا أيها الحجاب المستور ولماذا كان هذا السور؟ فقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن : ٣٣].

فقلت: ما معناه وما حقيقته؟ وما سره؟ وما طريقته؟ فقال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

* بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ[٩٦٦] [الرحمن:١٩،٢٠].

فقلت: وهل يتهدم يا أبا مريم؟ فقال: نعم ينحل منه الطلسم إذا غرق في البحر المطمطم، فقلت: ما الدليل في ذلك يا أبا مالك؟ قال: (فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ [الرحمن:٣٧] (فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ) [الرحمن:٣٩].

قلت: ومتى يفيض هذا البحر؟ ويكون هذا الأمر؟ فقال: (لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ [الأنعام:٦٧] إذا ولج جمل جمال الحقيقة في سم خياط صورة الإنسان، وكورت الشمس بالاسم الرحمن (وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ [طه:١١٤] (ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ [الرحمن:٥] (سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [الرحمن:٣١،٣٢].

قلت : وهل تتحول النيران إلى الخيرات الحسان وينبت في قعرها شجر الجرجير كما قاله أهل العرفان، وهل يستفاد ذلك من قوله: (خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ [هود:١٧] الرحمن الذي علم القرآن وخلق الإنسان، وحيث قلنا بذلك فكيف يقول: (يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ؟ [الرحمن:٣٥] فهات ما عندك يا روح البيان، فقال: لكل مقام مقال، يا أبا اليقظان ألم تسمع قوله: (كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [الرحمن:٢٩،٣٠] ألا تتبصر في قوله: (يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم [النور:٢٤] وهل يكرم الشاهد أو يهان (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ [الرحمن:٦٠].

فعليك بالتسليم والإذعان وخف مقام ربك (وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ[٩٦٧] [الرحمن:٤٦] فعند ذلك قرنت سهيلاً بالسهمي وتلوت (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ [النجم:٤٢] وَٱللَّهُ(يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيلَ [الأحزاب:٤].

---

(٩٦٦) **فإذا هبت رياح العناية من مهب الهداية وتموج البحران فيتلاشى البرزخ باصطكاك البحرين ويصير الكل بحرا واحدا وهو بحر لا إله إلا هو إليه المصير فإذا كان إليه المصير، فقد طاب المسير، تفسير حقي (٣٤٨/١٢).**

(967) أي: من خاف وهاب مقامه في مقام العتاب، وتغيير رب الأرباب له، وإسبال النقاب، وصرفه عن المآب، وحيائه بنعت الإجلال عند الخطاب، فترك حظوظه، وأقبل عليه بنعت الخجل والتشويش، والندم عن تضييع أوقاته جنتان: جنة المشاهدة، وجنة المواصلة، جنة المحبة، وجنة المكاشفة، جنة المعرفة، وجنة التوحيد، جنة المقامات، وجنة الحالات، جنة القلب، وجنة الروح، جنة الكرامات، وجنة المداناة.

قال بعضهم: هو المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور، وظهور حقائق الأمور، وسكوت الكل من الأنبياء والأولياء بظهور القدرة والجبروت.

وارد التثليث هو جامع القديم بالحديث.

قال ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٩٦٨].

اعلم - رحمك الله- أن رسول الله ﷺ قال: «**النكاح سنتي**»[٩٦٩] أي: طريقتي، وذلك لأنه البرزخ الجامع بين الفواعل والقوابل، ولا نتيجة إلا من نكاح الفاعل للقابل، فالقابل هو النساء ولها ظاهر وباطن، فالظاهر معلوم، والنساء في الباطن هي الأعيان الثابتة التي لها العدم من ذاتها، فعدمها ذاتي غير مجعول؛ لأن المعدوم معدوم لنفسه، فالمعدوم لا يكون بجعل، جاعل والأعيان الثابتة عند الأكابر من المحققين معدومة لذاتها لا توصف بالوجود أذلاً وأبدًا، إلا أنها على استعدادات في أنفسها، وشئون وأشكال وهيئات، وتقديم وتأخير، وسعادة وشقاء، ونعيم وعذاب وأحوال، كل منها مرتبط بما يشاكله، وهذه الأعيان لما تجلى الله باسمه (العليم)من ذاته لذاته، كشفها من نفسه بما هي عليه وهي معدومة، فإن الله كما يعلم الموجود كذلك يعلم المعدوم، فعلمه يتبع المعلوم على ما هو عليه في ذاته واستعداده، ولا يؤثر في المعلوم لا وجودًا ولا عدمًا، وقد نبهنا الله على ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

فمن عرف نفسه بعلمه وسمعه وبصره وفؤاده، عرف ربه بعلمه وسمعه وبصره ووجوده، فلما خرج الطفل من بطن أمه تعلق علمه أولاً بوجود ثدي أمه، وأن رزقه فيه، و ثدي أمه بما فيه من اللبن موجود لذاته لم يؤثر فيه علم الطفل، كذلك علم الله بنفسه لم يؤثر في وجود نفسه، وكذلك السمع لم يؤثر في المسموع، وكذلك البصر لم يؤثر في المبصر، بل إن المعلوم والمسموع والمبصر حقائق ثابتة لذاتها على ما هي عليه، ثم إن الحق لما أفاض نوره الوجودي القديم على الاستعدادات الثابتة لأنفسها الغير مجعولة؛ لأنها شئون الذات الإلهية، ظهرت بهذا النور الوجودي، وهو الله كما قال: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٣٥] وهذا هو المعبر عنه (بالطيب) في الحديث الشريف، وهو الأصل الفعال بذاته للظهور.

وأما الصلاة فهي بمنزلة النكاح لنتيجة الولد، فلما أشرق النور، الذي هو بمنزلة

---

(٩٦٨)

(٩٦٩)

الذكر الفاعل على الأعيان الثابتة بما هي عليه من الاستعدادات أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ظهرت بسبب الوصلة بين المتجلي، والمتجلى التي هي كالنكاح، فهذا الظهور بمنزلة الولد، الذي هو قرة العين.

واعلم أن الاستعدادات العدمية ثابتة كامنة في ذات الله كُمون النار في الأحجار، فالنار في الحجر والشجر، وإن كانت معدومة فهي ثابتة، والقارع المظهر لها بمنزلة وجود الله النوري في القرع، فظهور النار منها هو التجلي الذي هو الوصلة النكاحية ما بين القارع والمقروع، فتظهر عند ذلك الآثار، ولذلك قيل:

والنار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي ما لم تثرها الأزند

وإذا أدركت ما قلناه عملت معنى الحديث القدسي، وهو: «**كنت كنزًا مخفيًا لم أعرف**»(٩٧٠) إلى آخره، ومن هنا تعلم أن أحوال الأعيان الثابتة وهي في عدمها الأصلي، هي عين القدر الإلهي، فالقدر هو الذي يتبع الاستعدادات على ما هي عليه، فالسعيد سعيد الأزل لذاته ومعنى: (أن الله أسعده): هو أن الله ظهر به بعين ما هو عليه أزلاً وأبدًا، وكذلك الشقي فلله الحجة البالغة، فما أعطى أحدًا إلا ما هو عليه، فليس قديرًا أو مريدًا أو مختارًا أو موجدًا إلا ما هو عليه الاستعداد أزلاً وأبدًا، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**﴾ [طه:٥٠] أي: ثبوته بما هو عليه، فصح قوله: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت:٤٦] وقوله: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩] وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [النساء:٤٠].

وقد كنت منذ نشأت في قلبي شيء من ظلم البارئ، أقول: ما هذا الظلم الذي ظلم به عباده، هو أسعد السعيد وأشقى الشقي، فكيف يكون الشقي مذمومًا حتى يستأهل الخلود في النار، ما هذا إنصاف ممن يسمى بالحكم العدل، فلما قرأت علم الحقائق علمت أن القدر الذاتي حكم على القديم كما حكم على الحادث، وأن الله تعالى بريء الساحة من الظلم، فرضيت عن ربي وأحببته بعد السخط، وعلمت أن الأمر ذاتي لا بأمري ولا بأمره، بل هو منى، أي: من حقيقتي ومن حقيقته، وهو واقع علي وعليه، فلا ظلم في نفس الأمر؛ لأنه لا يقال للأبيض مثلاً هو ظلم نفسه حيث جعل نفسه أبيض، وكذا الأسود، ولكن الحكيم هو الذي يختار الواقع في الوجود، والله الذي يعلم الواقع من الأزل، فالاختيار لا يكون إلا له، فلهذا سلب الله عنا الاختيار وأضافه إلى نفسه، فاختياره تابع لما نحن عليه، كما أن علمه

---

(٩٧٠)

تابع لما نحن عليه، فلله الحجة البالغة كما قال: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩] يعني: أن هذا لا يكون؛ لأنه لو شاء هدايتنا أجمعين، كيف يسمى بالمضل؟ فحينئذ تتعطل أسماؤه، فتبين أن حجته البالغة هي عين الاعتذار عنا، فهي في الحقيقة حجة لنا، فإن فهمناها فقد ولج الجمل في سم الخياط، أي: ولج الحق الخلق، فكان الخلق هو الأصل، والحق هو الفرع، وجميع ما قررناه مستفاد من «فصوص الحكم» من فص عزير ﷺ ولكن كلامنا هذا كالشرح له مع شرح سر الحديث المتقدم، وهو قوله ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم....**» [٩٧١] والدنيا من الدنو، فدنيانا هي ذواتنا في الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، وذلك هو ذات الله على ما هي عليه، فذواتنا موصولة به، وهذا قرة العين حيث طلع فجر الوجود وانمحى ليل البين.

دقيقة لطيفة ورقيقة شريفة

اعلم أن كل معلوم له اعتبارات اعتبار له في نفسه، واعتبار له في نفسك، فمن جهة اعتباره في نفسه لا تعلمه إلا منه، ومن جهة اعتباره في نفسك لا تعلمه إلا منك، فمن اعتبر الاستعدادات الغير المجعولة من جهة ثبوتها في نفسها بأعيانها العدمية، قال: بأن العلم الإلهي تابع لها في الكشف عنها على ما هي عليه، فأخذ علمه بها منها، وحكم عليها بها، فكل محكوم عليه بحكم هو باستعداده الغير المجعول، حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بما حكم به؛ لأن ذلك الحكم هو الوصف الذاتي للمحكوم عليه، فلا اختيار حينئذ بقول الحاكم: «**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**»[٩٧٢]، وإنما كان لا يبالي لسلامته من الاعتراض عليه، إذا انكشف الأمر فله الحجة البالغة، وهذا مذهب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي أستاذنا رضي الله عنه.

وأما من اعتبر الاستعدادات الغير المجعولة من جهة ثبوتها في نفسه، قال: بأن العلم بها تابع لوجود نفسه لا لها، ولاسيما وكل الصيد في جوف الفراء، فقد أخذ علمه بها من نفسه، فنفسه هي التي حكمت بنفسها على نفسها، فهي الحاكمة المحكومة إذ لا غير، فهو يقول لحقائق نفسه: «**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**»[٩٧٣]، وإنما كان لا يبالي؛ لأنه متصرف في نفسه كيف يشاء، فإذا انكشف الأمر نادت حقائق ذاته: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات:١٦٤] فمقام المعطي غير مقام المانع، ومقام الضار

---

(٩٧١)

(٩٧٢)

(٩٧٣)

غير مقام النافع فمحمد ﷺ هو المعطي النافع مثلاً، وإبليس هو الضار المانع، والكل أسماء حقيقية واحدة وذات واحدة، فتلك الحقيقة الحجة البالغة في نفسها، إذ لا غيرها في الوجود يحتج عليها، وهو مذهب الشيخ عبد الكريم الجيلي -أستاذنا أيضا- ﷺ وبكل من القولين أقول، فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشهد للمقامين، وتهدي النجدين، وقد صرح الشيخ محيي الدين بالقولين في كتاب «عقلة المستوفز» حيث قال ﷺ: اعلم أن الله تعالى علم نفسه فعلم العالم، فعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بالعالم، فالخلاف بين هذين الأستاذين لمجرد التعليم والتفهيم لأمثالنا، لا لأجل الإنكار، وما رأيت في زماني من وفق بين القولين هذا التوفيق، فالحمد لله على ما ألهمنا من الإدراك والتحقيق.

والدليل على أن كلا منهما معترف بقول الآخر أن الغوث الجيلي ﷺ أقر بقول الشيخ الأكبر من جهة الاسم العالم، لا من جهة الاسم العليم، وأن الشيخ محيي الدين ﷺ يقول في «الفتوحات الملكية»: إن الحق تعالى حكم عليه علمه، ومن حكم عليه علمه فما حكم عليه إلا نفسه، فكأنه يقول: انظر كيف حكم عليك علمك بنفسك أن تنظر ببصرك، وأن تسمع بسمعك، وأن تبطش بيدك، وأن تمشي برجلك، هذا ما اقتضته الحكمة الأزلية الذاتية، والله هو الحكيم العليم الهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وارد الصبر لمعرفة مطلق الذكر.

قال الله تعالى لمحمد ﷺ: **﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾** [طه:١٣٠] يقول الله: يا محمد، فاصبر على ما يقولون؛ لتسمع القول مني من جهة أني حقيقتك، فيكون القائل باعتبار أحدية الحقيقة، وإذا فتح الله سمع الإنسان آل سماع الكفر عنده إلى الذكر، إذ يرى كل قول اسمًا من أسماء الحق ورد عليه، ولذا قال: **﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾** [طه:١٣٠] لأنك يا محمد أنت القائل في الحقيقة، فقولهم هو منك تسبيح باعتبار نور الحق الساري فيهم، والله هو القدوس، والقدوس لا يظهر منه إلا التقديس، فهو المسبح بحمد ربه فيهم قبل طلوع شمس الظهور، باعتبار مرتبة الكنز المخفي، وقبل غربوها، وهو عالم الشهادة والكون، فكما يسبح باعتبار الأحدية يسبح باعتبار الكثرة الإمكانية **﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ [طه:١٣٠]** وهو التجلي الذاتي من نفسه لنفسه، فيسبح ذاته بذاته، ولذا قال له: **﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾** وهو ظهور الظاهر في المظاهر، فالنهار وهو يقتضي المربوب والاسم الخالق فإنه يقتضي المخلوق، والرحيم يقتضي المرحوم، و المقصود أن يشهد أحديته في أحديته وأن يشهدها بحسب تنوعها في صور أحكامها، فعلى كل لا يخرج في نفسه، ولذلك قال: **﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾**

[طه:١٣٠] ومن شهد الأمر عنه فقد رضي، ولاسيما إذا شهد أنه راجع إليه لا يشاركه فيه أحد وفي قراءة: (لعلك تُرضى) بضم التاء أي: باطنك يرضى ظاهرك، إذا تجلى الباطن قد اضمحل فيه الظاهر، فالقراءة الأولى: فناء باطنه بظاهره، والثانية: فناء ظاهره بباطنه، وكذا في الأول والآخر، أما فناء حقه بخلقه أو خلقه بحقه والحق عين الخلق، والباطن عين الظاهر، وما ثم إلا حقيقة محمد ﷺ وهي وجود الله على الكمال، وقد أشار لذلك الغوث الكامل والختم الجامع سيدي محمد وفا -قدس سره- حيث يقول:

سيد الناس كلهم أنت يا حاشر الأمم فاتح أنت خاتم طبت فتحا ومختتم

ممكن الكون واجب جامع العلم والحكم ظاهر أنت باطن معلن السر مكتتم

أول أنت آخر واضح النور في الظلم

وارد الذكر الأعلى والسر الأقدس الأغلى.

قال الله تعالى : (**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ﴿وَرُسُلِهِۦ**) [الطلاق:٨].

اعلم - رحمك الله تعالى- أن لسان الإشارة يقضي بأن كل إنسان هو في نفسه قرية من حيث ظاهره، وباطنه الروحاني هو ساكن تلك القرية، فإن عمرت الروح مسكنها بتقوى الله تعالى، عمرت الروح مسكنها بتقوى الله تعالى، عمرت تلك القرية من جهة بصرها، فيشاهد الوجه الإلهي في كل شيء، ومن جهة سمعها فيسمع كلام الحق من كل مسموع، فيتجلى الاسم المعطي على يده، والاسم المهرول لوصلة الحق على رجله، وهذا معنى: «**كنت سمعه وبصره...**»[٩٧٤] الحديث، وإلا بأن خرّب الساكن قريته بالأغراض النفسانية والشهوات البهيمية، فذلك هو عتو القرية عن أمر ربها ورسله (**فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا ﴿شَدِيدًا**) [الطلاق:٨] بالموارد التي ثمرتها الجفاء والحجاب والقطعية (**وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ﴿نُّكْرًا**) [الطلاق:٨] بالتجليات الجلالية التي أصلها تجليات أسماء الجلال، كالمنتقم، وشديد العقاب، وما حاسبها ولا عذبها سوى ما هي عليه من الأعمال، والأحوال (**فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا**) [الطلاق:٩] وهو ما ظهر عنها، (**وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**) [الطلاق:٩] للحجاب عن نفسها والقطيعة عن تجلي ربها فيها، فخسرت تلك القرية نفسها؛ لجهلها بحقيقة نفسها، ولذا قال: (**أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا ﴿شَدِيدًا**) [الطلاق:١٠] إنما قال تعالى: (**أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ**) ولم يقل: أعد الله لها، أي: للقرية باعتبار مظاهر الروح الساكنة من السمع والبصر وغير ذلك، وعذابهم حجابهم حيث إن بصرهم وسمعهم واقف مع الأكوان

(٩٧٤)

محجوب عن تجلي الرحمن، ولذا قال: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ﴾ٱلۡأَلۡبَٰبِ [الطلاق:١٠] أي: أشهدوه عين تلك المظاهر، والسمع والبصر وبقية الأعضاء، فيكون لكم هذا الشهود وقاية من عذاب الحجاب عن الله، ومن المعلوم أن لب كل شيء حقيقته، فألو الألباب هم أهل الحقائق، ووصفهم بقوله: (ٱلَّذِينَ ﴾ءَامَنُواْ [الطلاق:١٠] أي: بالاسم المؤمن فيهم، فتركوا الأفكار المقيدة لهم عن هذه المعرفة، ورقوا إليها بالإيمان المحض الذي هو نور الله تعالى من حقيقة اسمه المؤمن، ولذا خاطبهم بقوله: (قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا) [الطلاق:١٠] أي: أنزل بظهوره لكم من عين ذاته ذكرًا، ثم وصف هذا الذكر الذي أنزل من حقيقته ذاته بأنه هو الرسول، فهو ذكر الله بعينه.

وهذا الذكر لا يعلمه الطائفة العالون من أهل الله تعالى، فمحمد ﷺ هو ذكر الله، فهو الاسم الأعظم المسمى بالاسم الجامع الذي هو الجلالة، وذلك الاسم الله، فكلمة الله اسم للاسم، وذكر للذكر، وحقيقة الذكر هو المعنى المحمدي في كل مشهور، فمن نظر لكل شيء، وعلمه أنه عين محمد ﷺ، فهو الذاكر على الحقيقة، وغير صاحب هذا المشهد ذاكر بطريق المجاز، فأعلن القرآن العظيم أن محمد ﷺ هو ذكر الله حقيقة، فمن عرف حق المعرفة فقد عرف الله حقيقة، وهذا معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] فإن كنت مؤمنًا من أُولي الألباب فقد عرفت، وإلا فأنت بعيد من الإيمان، ومن تجلي فيه الإيمان هو كأبي العباس المرسي حيث يقول: لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين.

ثم إن الله تعالى وصف هذا الذكر وهو الرسول بأنه (يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ) [الطلاق:١١] أي: تجلياته وظهوراته (مُبَيِّنَٰتٖ) لنا عن حقيقة التوحيد، (لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي: آمنوا هذا الإيمان (وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) أي: ما يصلح لهذا التجلي، وهو مراقبة هذا المعنى (مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ) أي: الحجب المقيدة عن هذا الإطلاق (إِلَى ٱلنُّورِ) أي: النور المحمدي المخبر عنه بقوله تعالى: (۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) [النور:٣٥] ثم قال: (وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا) [التغابن:٩] كما ذكرنا (وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ) وهي معاني الأسماء الإلهية فيتحقق بها (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا) أي: من آثارها؛ لأن الأمر تحت المؤثر (ٱلۡأَنۡهَٰرُ) أي: أنهار العلوم الإلهية (خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا)؛ لأنها أوصافهم قد أحسن الله له رزقًا، وأحسن الزرق أن يرزقك الحق نفسه، فيكون عين رزقك؛ لأنه المؤمن «**ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٩٧٥] وهو لا يحب لنفسه سوي، فأنت مرآة إيمانه،

---

(٩٧٥)

فقد أحب لك إياه، فأنفق عليك ما يحب، وما يحب سواه إذ ما ثم غيره، فافهم ترشد والله الموفق.

وارد:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله محمد بهاء الدين إلى الأخ الحبيب سيدي أحمد الفواخيري فتق الله فهمه، وأفاض عليه علمه، ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠].

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات:٣١] فما شربت ولا رعت إلا من نفسها، أما بعد، سلام الله عليك ونفحاته تهدي منك إليك، ثم إننا بالأشواق إلى لقائكم، وأحب معكم مذاكرة إلهية سببها أني رأيت في الطبقات؛ طبقات الشعراني ﵁ عبارة في ترجمة سيدي علي الخواص ﵁ وذلك أنه قال ﵁: «إياكم والجزع في مواطن الامتحان، يمتحنكم الحق بأشد من ذلك» فقال له الشيخ: أفضل الدين الصبر، لا يصح إلا عند حصول الاستعداد، ومن لا استعداد له، فكيف يصبر؟ فقال ﵁: لا تقيد على الحق، فإن الطرق إليه أوسع من مظاهره وشئونه وأسمائه وصفاته والاستعداد طريق واحد، انتهى كلامه.

أيها الأخ، قد ألقتني هذه العبارة في بحر عظيم من بحور الحقائق لا أول له ولا آخر فهمت منه أن كل شأن نقطة تدور علية دائرة، ويخرج من كل دائرة دوائر لا تحصى؛ لأن النقطة هو، وهو لا يتناهي، وفهمت الدور التداخلي والانقلابي، فأما دور التداخل يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، فالنهار الجمال الإلهي، والليل الجلال الإلهي، وسر هذا الولوج يدخل العبد في ربه والرب في عبده، والحق في الخلق، والخلق في الحق، فيهد ذا من ذا،وذا من ذا، فلهذا دخل جمال إبليس في جلال اللعن، ولابد أن ينعكس الأمر، ودور الانقلاب مرتب على ذلك، فانقلب طاوس الملائكة رجيمًا، ولابد أن ينقلب الرجيم رحيمًا إذ ليس بينهما إلا النقطة، وهي البرزخ الفاصل بين الجمال والجلال، فلربما العارف يخشى النقمة من طاعته، ويرجو الفتح من عصيانه، وحديث: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار**»[٩٧٦] شاهد بذلك.

فليت شعري إذا دار الدور على إبليس في جلالة هل ينقلب ملكا نورانيًا، أو بشرًا آدميًا كل في فلك ويرجع كل في فلك وهل يخرج عن الفلك؟

نعم، النقطة الذاتية لا تتقيد بدور جلالي أو جمالي، وبينهما حجاب، ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ

---

(٩٧٦)

رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلاَّۢ بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ [الأعراف:٤٦] إذ لاسيما لهم تميزهم بجلال أو بجمال، فإن الحق يولج ليل الظلمات النيرانية في نهار الأنوار الجنانية، فيأتي دور الانقلاب والطريق إلى نقطة الذات أوسع من المظاهر والشئون، والأسماء والصفات إذ لا ثبات لجميعها، والذات هي الثابتة، والوسع للثبات، فعلى كل حال لا يثبت إلا هو، فلا أول ولا آخر مع وجود الأول والآخر، فمن كان مع الذات انقلب عنه طلاسم الأسماء والصفات وأدوارها ومن كان مع الصفات، استوت الأسماء في حقه، فلربما يطلب الفتح بذنوبه وشهواته، ويخاف العقاب من صلاته وزكاته فلا اعتبار لا بصالح ولا بطالح، إلا من خرج عن حكم الدوائر، وكان عين الحق الظاهر، فهو الحاكم ليس بالمحكوم، وإنما ذكرت لك هذه المذاكرة لئلا تعتمد على أمر دون الله، ولا تنظر إلى الأسباب، ولا تقيد الله بالأسباب الظاهرة، فلكل إنسان طريق لا يسلك عليه إلا هو، فعلى هذا طريق آدم غير طريق إبليس؛ لأن إبليس مبدأه من مارج من نار، فتقلب في الطاعات فانقلب لحقيقته، حتى يدور عليه الدور، وأما آدم فقد كان ملكًا، فاستحال بشرًا، فخروا له ساجدين لتواضع حقيقته الترابية، كما أنا لا نسجد إلا للتراب فما سجدنا إلا لنا، وأما إبليس فليس هذا طريقه، بل إن طريقه الاستكبار والعلو عن هذا؛ لأن هذا شأن حقيقة النار، والمتكبر من أسمائه تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَـٰهٌۚ﴾ [الزخرف:٨٤] والسماء كل ما سما والأرض كل ما سَفُل، فألوهيته في العلو وفي السفل، ولابد عند انتهاء الدور من الانقلاب ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير:١] فتطلع من مشرقها وتغرب من مغربها إلى انتهاء الدور، فإذا انتهت طلعت من المغرب، وغربت في المشرق، فيبطن الظاهر ويظهر الباطن، ويتقدم المتأخر ويتأخر المتقدم، وذلك هو سباحة الأسماء في فلك الذات، فإذا كان الطريق إلى الله أوسع من المظاهر والشئون والأسماء والصفات فأي شيء ليس طريقاً إلى الله؟ وأي شيء لا يوصل إلى الله؟

فلا تقل يا أخي أنا من أهل القبيح فلعل هذا القبيح هو واسطتك، واترك الاستعداد ومن يقول به، فإن الجمهور قيدوا الحق بالاستعدادات، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧] فدخلت الدوائر كلها في الاستعداد المحمدي، فإن محمد ﷺ لا ضد له، فإبليس ضد آدم، وفرعون ضد موسى، ونمرود ضد إبراهيم، وهكذا، وأما محمد فانفتق رتق سمائه وأرضه، وبدأ من ماء علمه المطلق ﴿قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٤].

فهو حجة للجميع مغترفون من بحره، فلا ضد له، فإن طريقه ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] ذلك نقطة الذات فهي أوسع من الأسماء والصفات، فجميع التجليات

تقلبات النور المحمدي، فالشأن شأنه، والحال حاله، والظهور ظهوره ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] وما بين البدء والعود هو الدور، ولكن الانقلاب على ماذا؟ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] فإذا انقلبوا لجلاله ساروا لجماله، ومن سار لجماله عاد لجلاله فهو المبدئ المعيد الباعث الشهيد ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٨] وكل شأن يوم من أيام الله فاذكره في ذلك اليوم، وكن معه لا مع شيء، حتى لا تتقيد بحكم، إذ أهل الأحكام بينهما حجاب، وأهل الأعراف لا حجاب لهم، يشهدون بالعينين ويعرفون بالنجدين، وتمام ذلك عند المذاكرة، والله الملهم للصواب وإليه المرجع والمآب.

وارد الموت وهو حياة بلا فوت.

يا موت خذني وصل حبلي بأحبابي — وكن بلال سابق فاتح الباب
فأنت تحفة إيماني أسر بها — وفي رفيق العلا ألقى أصيحابي
قبلي الحبيب رضي وصل الحبيب له — فأعجب لوصل حبيب غير غياب
هابيل جسمي وعى قبيل يقبله — شهيد حي ليحيا دون أوصابي
راح لروحي قديمًا قد سكرت بها — في حضرت القدس والمحبوب أوصابي

قم نديمي ورح بالراح صافية — واسق الندامى فكل للقا صابي
ألقمت جسمي حياة الموت منفردًا — بيونس الأنس قد قطعت أسبابي
فدار منى شراب الذات تهت به — عني فكانت به الأسماء أكوابي
يا يوسف الحسن لم يأكلك ذئب نوى — فطف بكعبه يعقوب لطلاب
كن لي سليمان تسليم بخاتمه — سلمت نفسي فكان الحمد أولى بي
أنست في حي موسى ناره فبدا — طور التجلي بقلبي غير مرتاب
في كعبة العين فطوافي أشاهدني — شراب زمزمها تجرى بميزاب
صافحت منى يمينًا للخليل يدا — لما وقفت على الأعراف في قاب
مسيح روحي لبي نوح دعوته — وآدم قد بدا منى بأنساب
ولي حججت فلا إعدام يلحقني — وأحمد كنه ذاتي دون حجاب
حقيقتي مهجتي سرى ضياء هدى — أحرمت فيه ألبي دون أثواب
عليه منى صلاة الله واصلة — لكل نفس بغيض منه وهاب
ما قام في خضر الأرواح صورتها — ناسوت لاهوتها من بعد إذهاب

اعلم - رحمك الله تعالى- وأيدك بالنصر، والفتح كمالاً أن الموت عبارة عن الانسلاخ الروحاني عن الشبح الجسماني وهو سبب كشف الغطاء، سواء كان موت المعنى أو موت الحس، ففي الأول قال ﷺ: «**موتوا قبل أن تموتوا**»[٩٧٧] وفي الثاني قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ

---

(٩٧٧)

ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [العنكبوت:٥٧] فعند ذلك ينبأ الإنسان بما قدم وما أخر، وقد شهد ﷺ لأبي بكر ﷺ أنه مات قبل أن يموت قال ﷺ: «**من أراد ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق**»[978] فمن أول نظرة أفناه بها ﷺ وأبقاه فأطلعه على ما كان وما يكون وما هو كائن، وذكره بأيام الله، فلذا قال له: «**أتذكر يوم يوم**»[979] ولما ذكره بأيام الله واطلع على ما تقدم وما تأخر، عرف منزلة محمد ﷺ فصدقه بخبر السماء لما قيل له: أتصدقه أنه ذهب من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليله، وأصبح بين ظهرانينا فقال الصديق ﷺ: نعم[980]، لأنه عرف حقيقة يوم ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧٢]، أنه يوم الإقرار بالربوبية، وهذا اليوم مستمد مع قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣] ففي كل نفس ينادى لسان الحقيقة الإلهية من جهة الاسم الرب ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧٢] فتجيبه جميع الاستعدادات الكونية بلسان فطرة الأسماء الإلهية ﴿بَلَىٰ﴾، وذلك كناية عن دخول تلك الاستعدادات في التجلي الإلهي بحسب أحكام الأسماء الإلهية في السلخ والخلع، فيسلخ اسم عن الحكم، ويخلع اسم، وهذا السلخ والخلع هو الذي اقتضى الموت، والنزاع معناه تنازع الاسمين المتقابلين في هذه الصورة الخاصة بالمحو والإثبات، ولذلك ورد الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: «**ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمه عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له من لقائي**»[981] أي: من لقائي من جهة الاسم الذي يصير إليه أنه كان يلقاه حال الحياة الحسية، فالموت بطون وجه، وظهور وجه آخر، لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق:١٩] أي: يتجلى هذا الاسم فبطن ما كان ظاهرًا، وظهر ما كان باطنًا، ولهذا السر قدم الله الموت على الحياة، فقال: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ [البقرة:٢٨] ولا ينافي ذلك تفسير المفسرين بقوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ بالجهل ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ بالعلم؛ لأن الموت سكرة خاصة، أي: غيبة خاصة عن حضرة خاصة؛ لتجلى حضرة تقابلها، ولا يعلم المتجلى له إلا الحضرة التي هو فيها، فتبطن في حقه الحضرة المتقدمة؛ لتجلى الحضرة المتأخرة من حكم الاسمين، الآخر والأول ، ألا ترى قراءة الصديق ﷺ: (وجاءت سكرة الحق بالموت) أي: لما تجلى الحق فني الخلق، أي: تجلت الحقيقة وبطنت فيها الخليقة، فالموت لقاء وبقاء لا إعدام، ولذا قال في الحديث

---

(٩٧٨)

(٩٧٩)

(٩٨٠)

(٩٨١)

القدسي: «**ولا بد له من لقائي**»[٩٨٢]؛ لأنه إذا انعزل اسم عن حكمه تولى الاسم الذي يقابله، فظهر سلطانه، فلذا قال ﷺ: «**إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت**»[٩٨٣] يعنى: إذا تجلى عليه الاسم المميت فأماته وغيبه عن حضرة لقى الاسم المحيي من جهة حضرة أخرى، وهكذا، فلو كشف الغطاء لشاهدنا أن الله تعالى في كل نفس يميتنا ويحيينا كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ ﴾وَأَحۡيَا [النجم:٤٤] وكذلك لما قال: ﴿﴾وَأَحۡيَا قال: ﴿تُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الحديد:٢] فلا يزال الأمر دائرًا ما بين الحياة والموت، فالحياة من وجه موت، والموت من وجه حياة، فلا تزال الروح في مشاهدة الأسماء الإلهية بين من يحيها ومن يميتها، وهي في ذلك تترقى في العلوم الإلهية، وإن ختم على العمل فلا يختم على العلم، هي ما بين موت وبعث في الحضرات الإلهية إلى أن ينجلي عليه الاسم الظاهر بحضرة حسية جامعة للصور الظاهرة الشهادية، إذا تحققت ذلك عرفت سر قوله ﷺ: «**ومن مات فقد قامت قيامته**»[٩٨٤] أي: قيامة نفسه لا غيره بدليل كشف الغطاء عن الميت، فلا يبقى ميت محجوبًا عن شهود معانيه المنطوية فيه، إلى أن ينكشف الغطاء عن جميع الأموات، فمن قبض نفخ إسرافيل الروح في صورته فشاهد معناه، وهو دائمًا نافخ، إلا أنه من استعد للسماع يسمع، كما أنه من استعد للموت يموت، كما أنه من استعد للبعث يبعث، ولذا قال ﷺ: «يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه»[٩٨٥] فلا يعنيه إلا عيشه وموته وبعثه، فلا يرتبط ميت بميت؛ لأن الحقائق والمشاهد تأبى ذلك، وتأمل ذلك إذا مات شخص على غير الإيمان، لم يعلم به أهل الإيمان، فإذا مات مؤمن وأعلمهم به، يقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية، فجميع ما ورد في القرآن شاهد يتجلى، فالموت تجلي إلهي، ولذلك ينسب المتوفى إليه قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء:١٥] فالموت مأمور أن يدرك الصور الإنسانية فيأخذها بتجليه، ولذا قلت في النظم: (يا موت خذني وصل حبلي بأحبائي)؛ لأن رسول الله ﷺ خُير بين الدنيا وبين لقاء الله، فاختار لقاء الله، فمات ﷺ فلقي الله إياه، فافهم.

فلا تحكم عليه حضرة خاصة، فهو مع مشاهد الحياة، ومشاهد الموت، ومشاهد البعث، ومشاهد الجنة والنار، لمن تقدم ولمن تأخر فهو الجامع للكل فلا تحكم عليه

---

(٩٨٢)

(٩٨٣)

(٩٨٤)

(٩٨٥)

البرازخ، بأن يكون بين اسمين متقابلين، له وجه إلى هذا وله وجه إلى هذا؛ لأن ذلك شأن العموم، وخادم من خدامه ﷺ قيل لأبى يزيد: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي، فهو ﷺ صاحب تجلي الذات الماحية لجميع الأسماء والصفات، فما صعق موسى إلا من نوره المتجلي في ذاته، ولذلك لم يصعق من تجلى قاب قوسين، وانتهي عروجه الذاتي إلى حقيقة قف، إن ربك يصلي، أي: تحقق بمقام الذات، فتظهر بحكم ربوبية حقيقتك التي حالاتها هي التجلي بجميع الأسماء والصفات، سر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧] هنا ينبغي أن تطلب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] وقال سليمان عليه السلام كما حكي الله عنه أنه قال: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥] فأجابه الله كما قال: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦] فكان سليمان بيده ملك الله، وملك الله لا يحوزه إلا الله، فافهم، فكأنه قال: تجلي علي باسمك (الله) فيكون لي ما يكون لهذا الاسم الجامع، ولذا قيل له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ [ص:٣٩] أي: أعطيناك يا سليمان إيانا، ونحن لا نسأل عما نفعل، فلذا تمم بقوله: ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص:٣٩] أي: لأن منتك منة الله، وإمساكك إمساك الله، فهذا أبلغ من قول يوسف عليه السلام للعزيز: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥] فيوسف عليه السلام ملكه في ذلك ملك خلافة من حضرة العز الظاهر في العزيز، وسليمان بيده الملك فهو على كل شيء قدير، فمن مَلك مُلك سليمان فهو خليفة عنه، أي: خليفة عن الله الذي بيده الملك، فلذا قال: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ [ص:٣٥] أي: على الأصالة، وإنما ينبغي له نبي، ومن حصل له المقام السليماني فعبوديته هي العبودية المنسوبة إلى الله، أي: أنه عبد نفسه وذاته لا يرى بعده أحدًا غيره؛ لأنه هو القائل للشيء كن فيكون، ولما كان آصف مُرَبَى بالتربية السليمانية كان عينه في إيجاد عرش بقليس عنده، ليقر الله عينه بتلميذه كما أقر الله عين سيدنا محمد ﷺ بخلفائه الأربعة، ثم ظهرت سيادته بالحسن عليه السلام فقال: «**إن ابني هذا سيد**»[٩٨٦] فكان الحسن في مقام السيادة عين رسول الله ﷺ، فَمَنّ على معاوية رضي الله عنه فأعطاه الملك، فالحسن مُملك ومعاوية ملك، فانظر سر أهل بيت رسول الله فحقق الحسن قول رسول الله ﷺ: «**أهل بيتي أمان**

([٩٨٦])

لأمتي»[987] فكان أمانًا للفئتين من الحرب والقتال وسفك الدماء، فشكر رسول الله ﷺ الحسن بقوله: «**وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[988].

فإن قلت: لم خالف الحسين أخاه الحسن فجرد على يزيد؟

قلت: إن معاوية سبق له الحكم من الله، حيث قال له النبي ﷺ: «**يا معاوية، إذا وليت شيئًا من أمر هذه الأمة فأرفق**»[989]، وكان أوان تلك الولاية في زمن الحسن فأسلمها إليه، فكان معاوية بمنزلة النائب في الحكم عن الحسن، حيث حل الوقت ولم يكن حلول ذلك في زمن أبيه علي عليه السلام فقال: لن يراني الله موليًا معاوية يومًا واحدًا حيث علم أن توليته لابنه الحسن ليست له، فقاتله علي حيث استعجل معاوية كما قاتل الحسين عامل يزيد، لا على الوقت ولكن على عدم الأهلية الشرعية، وإن سبقت له أهلية العذر الإلهي فسبقت لحسين الشهادة، كما ذبح يحيي عليه السلام ونُشر ذكريا، فكان شأن الحسن من الاسم السيد، وكان شأن الحسين من الاسم الصبور، فتلقى الحسين البلاء بنفسه وفدى أُمة محمد ﷺ بنفسه من الحرب والقتال، فله مع الصبر مقام الفتوة، حيث آثر الأمة بنفسه، فكان أمانًا لهم؛ لأنه تلقى البلاء النازل عليهم، فللحسن السيادة، وللحسين الشهادة، فللحسين مع أجر السيادة أجر المصيبة والشهادة، فيالله ما أحسن الحسن والحسين وحياهما الله من ابنين كريمين ومن عينين للمصطفى ﷺ كاشفتين بصيرتين أصلهما من شمس محمد ﷺ وبدرية فاطمة - عليها سلام الله- فهي الزهراء التي زهرت بمحاسن أبيها، وحازت مآثر السجية العلوية بما فيها، وكيف لا؟ وقد ترك لنا رسول الله ﷺ أهل البيت والقرآن، فما جعل معادلاً للقرآن إلا أهل بيته الطاهرين والقرآن خلقه وأهل بيته مظاهره، فهم عين القرآن، والقرآن لا يمسه إلا المطهرون، فلا ينسب لأهل البيت إلا المطهر عند الله، فهنيئًا لمن كان حبهم شرابه وحمياه، وذكرهم عطره ورياه، والثناء عليهم أمانه وذخيرة عقباه.

يا آل بيت رسول الله حبكم — فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم — من لم يصل عليكم فلا صلاة له

وَٱللَّهُ(يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيل [الأحزاب:٤].

وارد الغيرة.

وهو من حكم الكثرة، قال الله تعالى: (قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا

---

(987)
(988)
(989)

بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ) [الأعراف:٣٣] أي: لا بالحق، إذ الحق (لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ) [الأنبياء:٢٣] ولا يحرم عليه شيء، فما اقتضى الغيرة إلا حكم الكثرة الموهومة، فحصل توهم الغير، وذلك هو الفواحش التي حرم الحق منها ما ظهر وما بطن، أي: ما ظهر للعموم وما بطن عنهم، وفي حقيقة الأمر لا غير، قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»(٩٩٠) وكان في حق الله للدوام، وحيث إنه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فأين الغيرة؟ وممن يغار؟ وليس إلا هو فمعنى غيرته من الفواحش وتحريمها أي: منعها أن يقوم بها في باطن الأمر سواه، فغار من غيرة الموهوم لا من وجوده المحقق، فإذا انكشف الأمر فلا فاحشة، إذ لولا اسم الغير ما كان اسم فاحشة، وليس الفحش إلا الحجاب عنه، وبسبب الحجاب ثبتت الغيرة، فإذا نسب الأمر إليه فلا فاحشة، ولا يغار سبحانه وتعالى إلا من نسبة اسم الغير فحيث لا فاحشة فلا يقال: بأن الله غيور، إلا من توهم الغير، والغير أمر وهمي، فلا بد من زواله بتحقيق الأمر عند كشف الغطاء فيزول اسم الفاحشة، فيزول الحجاب، فيزول العذاب، وهذا المعنى هو المعبر عنه بولوج الجمل في سم الخياط؛ أي: ولج وجود الحق الظاهر المحقق في سم الخياط المتوهم، وهو أضيق من سم الخياط؛ لأن سم الخياط له أصل في الوجود.

وإما الغير فلا وجود له ألبتة، فكني بسم الخياط عن أمر موهوم لا وجود له، وانكشاف هذا الوهم الولوج، فالفواحش موهومة إذ لا فاعل إلا الله، فحرم الله الفواحش أن تكون في الوجود حقيقة، بل كينونتها من الوهم، ومن الوهم نشأت هذه الغيرة، ولا يوصف الحق بها إلا في صور المحجوبين، أو في صور العارفين، بسبب إفشاء الأسرار للمحجوبين، فإن العارفين بالله يغارون من إفشاء الأسرار للمحجوبين، ولو كانوا عين الحق؛ لأنهم لا يعلمون هذا العلم من نفوسهم، فكشف هذا العلم لهم من قبيل كشف العورة، ولذلك لما أخرج آدم وحواء -عليهما السلام- من حكم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، وذاقا الشجرة بدت لهما سوأتهما فانكشفت العورة، وزالت ملابس الحجب بكشف حقيقة الذات، وطفقا يخصفان عليهما من ورق جنة الأسماء والصفات، وذلك أن إفشاء سر الربوبية كفر لستر العبودية، إذ بالعبودية يقال: (وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ) [طه:١٢١] مع أن رب آدم هو الذي عصى نفسه بصورة آدم، فرجع آدم لحجب الأسماء والصفات المكنى عنها بورق الجنة، حيث إن آدم لما عصى ظهر حقه وبطن خلقه، وذلك هو الخلافة، وقد

---

(٩٩٠)

قال ﷺ: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والوطن**»(٩٩١).

فاسم الخليفة واقع على الله كاسم الصاحب، فآدم لولا هذه المعصية لم يكن خليفة، ولم يكن كاملاً، فشجرة الخلد والملك الذي لا يبلى هو الخلافة؛ لأن الله لا يبلى، فافهم.

واعلم - رحمك الله- أن آدم وحواء لما بدت لهما سوأتهما حصل لهما التجلي الذاتي، فانكشفت لهما حقيقة ذاتهما، ولقد كشف رسول الله ﷺ عن فخذيه بحضرة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- لتحققهما بالمشهد الذاتي في حق رسول الله ﷺ فلما أتى عثمان ستر فخذيه عنه فقيل له: أتستحي من عثمان؟ فقال: «**كيف لا أستحي ممن تستحي منه ملائكة الرحمن**»(٩٩٢).

فكان عثمان غير متحقق بما تحقق به أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما-؛ لأن أبا بكر وعمر كان يشهدان فخذي النبي ﷺ عين ذات الحق الظاهر، وقد كان عثمان في تجلي الأسماء والصفات، فاقتضت الأسماء الإلهية ستر الفخذين الشريفين عنه، إذ الكثرة مناط الحياء والغيرة، فلم يكن للنبي ﷺ أن يكشف عن ذاته لعثمان بلا ملابس، الحجب ولهذا الستر ورد: «**أن الله غيور**»(٩٩٣).

وقلنا: إن موجب الغيرة هي الكثرة، وأما الواحد فلا يغار من نفسه.

واعلم أن الفواحش تمحى عند الكشف عن توحيد الأفعال، أما عند توحيد الذات فلا فواحش، ولا محاسن، **(قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)** [الإخلاص:١] فلا والد ولا ولد في تجلي الأسماء والصفات.

قلت في عينيتي:

أحبك بل أنت المحب بلا أنا	**وأنت لك المحبوب إذ أنت جامع**
فصل أن ترد أودع فقطعك وصله	**وحاشاك من قطع وأين التقاطع**
تمكن حبي فيكم فكأنني	**أنا الحب لا غيري ولا غير والع**
فعين الهوى عيني وعيني عينه	**وكل فتى يهوى فلي هو تابع**
وأهل الهوى جندي وحكمي بهم سرى	**وما لي في حكم الغرام منازع**

وقلت في تجلى الذات :

(٩٩١)

(٩٩٢)

(٩٩٣)

نعيمـي فـي ذاتـي ماحيًـا لصـفاتها   ولـيس معـي مـن بالنكـاح يضـاجع
رقيقـــــة غامضـــــة وحقيقـــــة   فائضـة لمـا كـان الفعـال الحقيقـي
هــــو الله لا يشــــاركه مشــــارك   ولا ينازعـه منـازع حـرم الفـواحش

أي: جعل لها من جهة أنه المجري لها حرمة، فهي من هذا الوجه لا ينسحب عليها اسم الفواحش مع نسبة الأفعال إليه كما قيل:

وحيـــث الكـــل منـــي لا قبـــيح   وقـبح القـبح مـن حيثـي جميـل

فمن انشقت سماء ذاته الصابغة بصبغة الله (وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ) [البقرة:١٣٨] فكانت وردة ورود الحقيقة الصابغة بنور الله الحق (لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:٣٩،٤٠] ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فمحيت الضراء بالسراء، والبلايا بالآلاء، وتحولت جنهم لشجر الجرجير، ووضع الجبار قدمه في النار وقال في كل قائل: (لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ) [غافر:١٦] فأجاب نفسه من كل مجيب (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ) [غافر:١٦] فعند ذلك يدور الدور (كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ)(٩٩٤) [الرحمن:٢٩] وَٱللَّهُ(يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيلَ [الأحزاب:٤].

وارد الفناء العيسوي بالله، والبقاء الإلهي بمحمد رسول الله ﷺ.

اعلم - فتح الله لك أقفال القلوب والغيوب، وأدار لك من خمرة الذات صرف المشروب-أن الأبرار يشربون من كأس الأسماء والصفات، وعباد الله يشربون من عين كافور الذات؛ فلذلك قالوا:

أدرها لنـا صرفًا ودع مزجها عنـا   فـنحن أنـاس لا نـرى المـزج

وبيان ذلك أنهم محمديون لا عيسويون فإن العيسويين ما عبدوا عيسى إلا لقيامه بالأسماء والصفات من كونه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله فعبدوا الله تعالى في عيسى، ولكن من جهة الاسم لا من جهة أنه عين ذات الله تعالى، فقالوا بالتثليث، ولو عبدوه من جهة أنه عين الذات لعبدوا الله تعالى فيه، من جهة الإطلاق فتكون عبادتهم

---

(٩٩٤) من مزيد قرب المقرَّبين، ووصل الواصلين، وكشف اللقاء للمشتاقين، وظهوره في كل ذرة للشائقين، يظهر في كل لحظة من أنوار عجائب ربوبيته للمستأنسين، وتلك العجائب بما لم ترها العيون، ولم تدركه العقول، ولم تعلمه القلوب، ولم يلحقه الأرواح، ولم تناولها الأشباح، ولم تشاهده الأسرار، وليس لها نهاية، يبرز كل يوم وساعة أنوار عجائب ملكه وملكوته على قدر قوة إدراك المدركين، وأفهام العلماء والعارفين، وما كان في سوابق علمه في أزل أزله، بشوق أسرارها ومقاديرها، بسوط القدر إلى مجاريها ومواردها، ولا تظن أن أحدًا يصل إلى شأنه، فإن شأنه أعظم من أن يدركه أحدٌ من خلقه. قال الواسطي: من سأل الله أعطاه سؤله على قدره، ومن ابتدأه بالعطاء ابتدأ بما يليق بفضله وجوده وكرمه.

واقعة على الله من جهة الإطلاق، فتكون عبادتهم واقعة على الله من جهة أنه عين كل صورة في الوجود، فيسمون كل من في الوجود باسم عيسى ويسمون عيسى باسم كل شيء في الوجود مطلقًا كما قال لنبيه: (يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] فقد جعله عين الأعيان ومسمى أسماء الكيان، وقال: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ) [النساء:٨٠].

وأما العيسويون، فإنهم وإن قالوا : إن الله هو المسيح، ولكنهم قالوا: ابن مريم، فلم يخرجوا عن التقيد بمريم، فجعلوا مريم أصلاً له، وجعلوه فرعًا لها، والله لا يكون فرعًا، فما أخطئوا إلا أنهم قيدوا المطلق، فستروا الإطلاق بالتقيد وهذا هو الكفر الذي وصفهم به كما قال: (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ) [المائدة:١٧] والكفر هو الستر، قال تعالى: (أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ) [الحديد:٢٠] يعني: الزراع؛ لأنهم يسترون الحبة في الأرض، فلذا قال سلطان العاشقين في قوم عيسى عليه السلام:

هنيئًا لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منها ولكنهم هموا

فلهذا المعنى الذي أوضحناه نطق الكتاب الذاتي المحمدي بقوله: (وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) [الأنبياء:٢٩] فلم يكن الخطأ في قول القائل: إني إله فقط، بمعنى أنه مظهر ألوهية الله، بل الخطأ في قوله من دونه والعيسويون لا يقولون من دونه، بل يقولون إله واحد، ولكنهم حصروا الأمر في التثليث، أو بالحلول في مريم فقط، ففرعون أعرف بالله منهم، حيث قال: (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ) [النازعات:٢٤] فإن أقرب الأعلى صراحة، وبالأدنى ضمنًا، أي: مظهري في الربوبية أعلى من مظهر غيري، وقد ورد في الشرع الاسم الأعظم فكان منه العظيم والأعظم، وقال تعالى: (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى) [الأعلى:١] فتكلم فرعون على مقام الربوبية، وإن لها في الوجود مظاهر، وإنه هو المظهر الأعلى، ولذا قال لموسى: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) [الشعراء:١٨] وموسى لم ينكر عليه ذلك، بل أمره الله تعالى بالقول اللين ليرقيه إلى الكمال الذي فازت به آسية، فقالت: (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ) [القصص:٩] وموسى ما نازع فرعون إلا لإفشاء سر الربوبية؛ لا لأنه أخطأ في كلامه ولاسيما في قوله: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى) [القصص:٣٨] بمعنى أن الإله الذي يدعوكم إليه موسى ليس غيري، إذ حقيقة الإله لا تتعدد، وإن تعددت مظاهره، فنفى الغير مطلقًا فوافق قوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [البقرة:١١٥] فلم يكن العتب عليه إلا في عدم الدخول في إرشاد موسى، الذي هو أعلى عند الله؛ لأن ظهور الحق في موسى أعظم، ولذلك قال له ردًا على فرعون في قوله:

(أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ): (لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ) [طه:٦٨] وذلك لأن تصرف فرعون في بعض الظواهر، وتصرف موسى مطلق في الظواهر والبواطن، فلما انقاد لموسى بتصرفه في البحر، أغرقه الله في البحر الموسوي باطنًا وهو بحر الذات المطلق، وأغرقه في بحر الاسم المقيد فأفناه عن نفسه وأبقاه به، فكان آخر كلامه التوحيد.

وقد خرجنا عن المقصود، فلنرجع لعيسى المعبود، ومحمد الموجود المشهود فنقول: قال الله تعالى: (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ) [المائدة: ١١٦].

فاعلم -رحمك الله- أن الله لم يقل لعيسى هذا القول على جهة التوبيخ لعيسى والملام، ولكن ليعلم الناس التوحيد، ويظهر قدر عيسى ﷺ والنكتة عند قوله: مِن(دُونِ ٱلله ۖ) فإن عيسى لم يقل بأن في الوجود دون الله تعالى، ولذلك قال أي عن الدون والغير: (مَا يَكُونُ لِيٓ) [المائدة : ١١٦] أن أقول ما ليس لي بحق؛ لأن الغيرية لله، والدونية ليست بحق لعيسى، وإنما حقه حقيقة الله العينية الذاتية، والتوحيد المطلق بلا غير فقوله: (ءَأَنتَ قُلۡتَ) يسمى استفهامًا إنكاريًا أي: ما قلت ذلك، وهو يعلم أن عيسى ما قال ذلك، فما هو في حقيقة الأمر إلا تبرئة لعيسى عما يزعمه الجاهل، وتعليم الناس أن مقام عيسى توحيد الله المطلق ولذلك قال: (إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ) [المائدة:١١٦] يعنى إنك القائل بي؛ لأنك توفيتني، أي: محوتني بك ورفعتني إليك، فأنت القائل العليم، وأنا الممحو بك في هذا الرفع إليك، وأنت وحدك الثابت القديم، ولذلك قال: (تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي) من كونك أنت الذي في نفسي، (وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ) التي هي نفسي، ولكن من جهة إضافتها إليك فلا علم لي، بل العلم علمك، والنفس نفسك، إنك أنت علام الغيوب في نفس عيسى ونفس كل ذي نفس في الوجود إذ أنت المسمى بعيسى وبجميع الأسماء، فنفسك هي الجامعة لكل طالب ومطلوب، ومحب ومحبوب؛ فلذلك (مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ) أي: من الإرشاد إلى التوحيد (أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ)[المائدة:١١٧] أي: كما أنه هو الظاهر بكم فاعبدوا الحقيقة، ولا تعبدوا الصورة المقيدة بعيسى أو مريم؛ لأن حقيقة الله مطلقة في الوجود؛ لأنه عين كل شاهد ومشهود (وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا) بهذا التوحيد مَّا(دُمۡتُ فِيهِمۡ) بحال الثبوت والبقاء معهم (فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي) بالمحو الذاتي المطلق أي: ورفعتني إليك بهذا التوفي فكنت بذاتك لذاتك بلا أنا (كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ) أي: تراقبهم في عين ذاتك من جهة أنهم ليسوا غيرك (وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ) أي: لأنك القائم بجميع الشئون، فشهادتك على كل شيء عين شهادتك على نفسك، فأنت الخصم والحكم، فلذلك قال: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ

عِبَادُكَ) أي مظاهر أسمائك وصفاتك، فأنت المعذب فيهم (وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ) بغفران ذاتك، فلا يشهدون العذاب بسبب رفع الحجاب (فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) أي: فتظهر العزة والحكمة فيهم من حيثك؛ لأنهم لم يقوموا إلا بما اقتضاه تجليك فيهم فأنت المتجلي أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، فإن قاموا بمقتضى التقيد فأنت القائم، أو بمقتضى الإطلاق فأنت الحكم والمحكوم عليه والحاكم، فبرئهم عيسى وشهد أنهم عباد الله، وأنهم في جميع الأحوال صادقون مع الله، ولذلك قال الله: (هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ) أي: لأنهم مظاهر صدقه، وهو النافع على كل حال، فكان اليوم يوم الحقيقة على الإطلاق، فمن هذا الوجه الجميع صادقون بالاتفاق ولذلك قال: (لَهُمْ جَنَّٰتٌ) أي مشاهد ذاتية (جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا) أي: يظهر من حكمها الذاتي(ٱلْأَنْهَٰرُ) أي: معاني الأسماء الذاتية (أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)أي: قام بوصف التراضي بذاته عن أسمائه من حيث الجمع (وَرَضُوا۟ عَنْهُ) من حيث الفرق؛ لأن الذات ليس معها بدون الأسماء ، فالصور للأسماء والحقيقة للذات والأمر واحد، كما قال تعالى:(وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ) [القمر: ٥٠] إذ حقيقة اللمح واحدة وإن اختلفت الأبصار، ولما قبل الحق ما قاله عيسى ونفع الصدق، قرر الحق أنهم عباده كما قال عيسى، ويستحقون إنعامه وإكرامه، فلذلك قال عن توحيده الذي فازوا به من جهة المقام العيسوي: (ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) وشاهد ذلك قوله تعالى:(لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ) [المائدة: ١٢٠] فالملك ملكه، والقدرة قدرته وما في الوجود إلا مظهره وصورته، لذا قام باسم (الحق) عن مظاهر الخلق بقوله فيما شهد لنفسه بوجه الصدق شَهِدَ(ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) [آل عمران:١٨] فهي شاهدة الصدق النافعة فافهم.

ولما تكلمنا عن الفناء العيسوى بالله؛ لأن عيسى متوفّا ومرفوع إلى الله، لزم أن تتكلم على البقاء الإلهي بحبيبنا محمد المرفوع إليه عيسى في نفس الأمر؛ لأنه من أمته وقائم بخلافته، فلذلك بشر به كما قال تعالى: (وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ) [الصف:٦] فما بشر به إلا على أنه من حزبه، وأنه يحظى بكمال قربه؛ لأنه سلطان الوجود على الإطلاق، والأول الآخر الظاهر الباطن، تحقيقًا عند أهل الأذواق، فهو ساقي القوم أولاً باطنًا وآخرهم شربًا آخرًا وظاهرًا، فنقول والله القائل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اعلم أن محمد ﷺ (حبب إليه النساء) وهي قوابل الأسماء الإلهية (والطيب) وهو النفس الإلهي النوراني الوجودي المعبر عنه بروح القدس، وهو وجه الله المتجلي بتلك القوابل على حسب استعدادهما، و(جعلت قرة عينه في الصلاة) التي هي صلته بذات ربه،

فتجلت على جسمه أحدية الله تعالى، فجسمه عين روح القدس، وروحه الكنز المخفي الذي لا يعبر عنه بعبارة ولا يشار إليه بإشارة، فعيسى رفعه الله إليه، ومحمد ﷺتدلت ذات الله إليه، فهو مجلي (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) فالرحمة ملكه من دون التردد الذي ظهر من عيسى من قوله: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ) [المائدة: ١١٨] فأسند المشيئة إلى الله في قوله: (إن) وإن وأسند العباد إليه ، وأما محمد ﷺ فقد أسند الله العباد وإليه في أية رحمة ما فيها العذاب، فهو مطلق التصرف بمغفرة الذنوب؛ لأنه هو المقصود من الوجود والمحبوب، والآية المشار إليها هي قوله تعالى: (قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ) [الزمر: ٥٣] فأمر أن يضيف العباد إليه، والإسراف يشمل الكفر والشرك والذنوب والكبائر والصغائر، فلذلك كان مجلي رحمة الاسم (الرحمن)ومجلى رحمة الاسم (الرحيم) فاستحق قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء: ١٧] فإن كان عيسى قد توفاه الله إليه ورفعه إليه فمحمد ﷺ بلا توفٍ قد نزل إليه، وانطبقت جميع أسمائه وصفاته وذاته عليه، فلذا تم له كمال قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ) [القلم:٤] فمحته (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) [آل عمران: ٢٦] على أنه هو بذاته مالك الملك، ولذلك تكرر الاسمان: (الرحمن) و(الرحيم) في فاتحة كتابه الذاتي الجامع، والعالمون في الوسط، فرحمة البسملة عبارة لرحمة اسمه الأول، ورحمة الحمد له إشارة لرحمة اسمه الآخر، فلذلك قام في تهجده ليلة كاملة، يتلو آية المقام العيسوي من قوله: (إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) [المائدة:١١٨] ليخلصهم من مشيئة العذاب حتى نزل قوله: (قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣] فأسند العباد إليه، وأدار مغفرة جميع الذنوب عليه وهذا سبب تسميتنا هذا الوارد بوارد الفناء العيسوي بالله، والبقاء الإلهي بمحمد رسول الله.

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود ومدح فما أرضى لها كلمى

وأي مدح أعظم من مدح الله له بالسراج المنير، فأنوار الجميع نوره، وفي قوابلهم واستعدادهم ظهوره:

عيسى وآدم والصدور جميعهم هم أعين هو نورها لما ورد

قال الله تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) [الحجرات:٤] والحجرات جمع واحدة حجرة وهي: الغرفة التي هي (العلية)، وتطلق

الغرفة على السماء السابعة أيضًا والجمع غرفات وغرف، والمعنى بلسان الإشارة إن الذين ينادونك من وراء صور الوجود (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) لأنهم جعلوك باطنها محصورًا فيها مع أنك باطن الصور وظاهرها، فلو عقلوا لعلموا أن كل صورة في الوجود نوديت هي أنت، فكانوا ينادونك من قلوبهم ومن صورتهم ولذا قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: ٥] يعنى لو أنهم استقاموا على الطريق الذي شرعت إليهم، فتتجلى لهم في صورتهم وفي صورة كل شيء (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) من ذلك النداء الشاهد عليهم بالحجاب عنك، ولكن الله عذرهم بجهلهم، وغفر لهم، أي: ستر إساءة أدبهم (وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

وارد الإمداد

قال تعالى: (كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [الإسراء:٢٠].

اعلم -رحمك الله- أن إمداد الله تعالى إما من قبيل اسمه (الهادي) وهذا الإمداد يسمى إمدادًا ويسمى توفيقًا وهداية، ومركز دائرة هذا الإمداد الصورة الكاملة المحمدية، وإما من قبيل اسمه (المضل) ويسمى إمدادًا، قال تعالى: (قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ) [مريم: ٧٥] أي: في حضرة الثبوت (فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا) أي: في خطأ الوجود ومركز دائرة هذا الإمداد هو إبليس، ولكن من الحقيقة المحمدية فإن الله قال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] والاسم (الهادي) والاسم (المضل) مندرجان في الاسم الأعظم الذي هو (الله) فبهذا الاعتبار كان إبليس مندرجًا في البحر المحمدي؛ ليكون قائد شئون اسم الله (المضل) فإن الله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: ٢٩] وشئونه لا تظهر إلا في قوابل مستعدة لها، فكما أحب أن يعرف في مظاهر اسمه (الهادي) فكذلك أحب أن يعرف في مظاهر اسمه (المضل) فوجب على اسمه (الرحمن) الذي يمد من قام بشئون الله مطلقًا، فهم من هذا الوجه محبوبون، إذ لولا معنى الاسم (المضل) لم يظهر معنى الاسم (الهادي) فكل منهما في حقيقة الأمر أوجد الآخر، فلهذا السر (زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ١٢٢] وقال تعالى: (زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) [الأنعام:١٠٨] وقال من حضرة اسمه (المضل): (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا) [آل عمران:١٧٨] وقال تعالى: (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) [الأعراف:١٨٢] وقال تعالى: وَكَذَٰلِكَ(فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) [الأنعام: ٥٣] فاللاعن لإبليس في حقيقة الأمر، هو الاسم المتوجه على إيجاد الشرع المطهر، لا إلى الاسم القائل له: (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

ﭐلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ) [الإسراء:٦٤] فهو من جهة هذا الاسم مرضي عنه، ولذلك خاطب الاسم (الهادي) بقوله: (لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ) [ص: ٣٩،٤٠] وهم الذين قبلوا الهداية المشروعة فصدقه فقال: (إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ) [الحجر:٤٢] فلعنة هذا الاسم إلى حين أي: إلى حين انقضاء دور خدمته للاسم (المضل) فيعود بعد انقضاء الدور إلى ما كان عليه من عبادة الاسم (الهادي) وعطاء الرحمن لم يكن محظورًا لا عن هؤلاء ولا عن هؤلاء ، ولذلك قال تعالى: (إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا * لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا) [مريم: ٩٥،٩٤] (وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ) أي: أتى الاسم (الرحمن) فيتجلى الاسم (الرحمن) على من في السماوات الأرض فيجير من في الجحيم من العذاب الأثيم وينقلهم إلى النعيم المقيم، ولذلك استثنى الله في حق الفريقين فقال: (إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ) [هود:١٧] أي: من جهة اسمه الرحمن فالاسم (الرحمن) لا يتبرأ من عامل قط، ولا يلعن من حضرته أحد ، وذلك سر قوله تعالى: وَرَحۡمَتِي(وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ) [الأعراف:١٥٦] فمن هذا المعنى قام محمد ﷺ بمقتضى حضرته التي جمعت جميع الأسماء الإلهية بمنشور (قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُور ٱلرَّحِيمُ) [الزمر:٥٣] أي: لأنها من إمداد اسمه (الرحمن) أنه هو الغفور الرحيم، فانمحى إبليس وثبت محمد رسول الله ﷺ والحمد لله رب العالمين.

وارد عجيب بنبأ غريب

سألت الاسم (الخبير) صاحب الحكمة والتدبير، عن قوله تعالى: (قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلاً) [الإسراء:٨٤] ما معنى ذلك، والعامل في الحقيقة واحد وقوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ) [الحديد:٣] على ذلك أعدل شاهد، بل إن الأعمال اندرجت في هذه الحقائق الأربع، وقوله تعالى: (قُلۡ كُلٌّ) يقتضى كثرة العمال لتنوع المهيع وقد سلب الله عمل كل عامل فجلا عن أبصارنا العماء بقوله تعالى: (فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال:١٧] فافتح لي بمفتاح كشفك هذا المغلاق، واخلق في الفهم فأنت المفهم الخلاق، فقال الاسم (الخبير): أنا جامع الفهوم والأذواق، والعامل على شاكلتي بمقتضى الوفاق، فلا أخبرك في الحقيقة إلا عنى، حتى ترى كل شاكلة لي، وتدرك العمل منى، قلت: سيدي هل شاكلتك واحدة أم كثيرة إذ أنت باسمك (المحصى) لا تغادر صغيرة ولا كبيرة؟ فقال:(وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ * وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ) [التكوير:١٩،١٨] لأجعلنك مظهر الاسم

(المبين) ولأزفن إليك عروس صنع الله، الذي أتقن كل شيء بجلاء الجوهر الثمين، فاصغ إليَّ واسمع لما أقول بعد أن تصلى وتسلم على حبيبي طه الرسول.

اعلم أن الله الذي أتقن بصنعه كل شيء هو الذات والعاملون، على الشاكلة أحكام تلك الذات من الأسماء والصفات، فإني وإن كنت الفعال لما أريد، ولكن تنوع فعلى بمقتضى تنوع أسمائي كما قلت، فمنهم شقي وسعيد، ألا ترى أن اسمي (الهادي) لا يعمل إلا على شاكلته من الهداية، كما أن اسمي (المضل) لا يعمل إلا على شاكلته من الإضلال والغواية، وليس عمل الرحمن إلا صلة الأرحام، وليس عمل (المنتقم) إلا الانتقام قلت: سيدي إن صلة الأرحام عمل مليح، وأما الانتقام فإنه عند الكريم قبيح، وقد أجرنا عنك سيد أهل الكمال بأنك جميل تحب الجمال، فهل انتقامك محبوب إليك؟ وهو من حضرة البسط والجمال أو هو مكروه؟ من حضرة القبض والجلال، وحيث إن الجمال الذي تحبه على شاكلته جمالك وهو محبوب إليك، فلماذا تعذب عبدك وهو في قبضتك وبين يديك؟ فقال: يا هذا، تأدب جلالي غير جمالي عند المحجوب المقيد، لا عند العالم بالله المشاهد المؤيد، ورسولي ﷺ أشار بحديث الجمال أني أنا المحب المحبوب، والطالب المطلوب، والصانع المصنوع، والتابع المتبوع، وهذا المعنى هو حضرة الذات لا ما تقتضيه معاني الأسماء والصفات، ففي حضرة الذات الجلال عين الجمال، بل النقص عين الكمال، ألا ترى أنه لولا اسم النقص ما عرفت اسم (الكمال) ولولا اسم (الجلال) ما عرفت اسم (الجمال) ففتح كنز هذا السر، وأنشد وقال:

وإنـي لأهـوى الـنقص مـن أجـل مـن أهـــــــــــــوى | **لأن به كان الكمال لمن يـدرى حبيبـي**

لولا ذنبك لم تثبت مغفرتي، ولولا عبوديتك لم تكن ربوبيتي، فاعرفني بالضدين، وانظرني بالعينين، فأنا القائل: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد:١٠] بل أنا عين الحياة ومجمع البحرين، فمن رآني لن يرى القبيح في الوجود؛ لأني عنده أنا الظاهر المشهود .

حبيبي اعرفني في كل معروف، وصفني في كل موصوف، وسمني بجميع الأسماء ، وأشهدني في كل صورة حتى بهند وأسماء، فليس عملي إلا على شاكلتي، وليس في الوجود صورة غير صورتي، فتكون من أهل الأنس والوصال تدار عليك خمرة، إن الله جميل يحب الجمال ، واعتبر يا خليلي بقول الغوث الجيلي:

يكمــل نقصـــان القبـــيح جمالـــه | **إذ لاح فيـــه فهـــو للقـــبح رافـــع**
ويرفــع مقــدار الوضــيع جلالـــه | **فمـــا ثـــم نقـــص لا ولاثـــم واضـــع**

قلت: سيدي جعلت بما أوضحت لكل شيء عندي احترامًا فهل تقول للنار كوني على عبادي بردًا وسلامًا؟ اجعل لهم على حسب استعدادهم بسطًا وإنعامًا فاتل إن شئت قولي: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)[الفرقان:٦٥] وهل الغرام إلا للمحبين؟ وإلا لم يصدق قولي: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء: ١٧] فلك اسمي وسر علمي.

اعلم أن كل جمال ظهر فباطنه الجلال ، وكل جلال ظهر فباطنه الجمال، فالجلال في الدنيا من جهة الظهور للمؤمنين، وباطنه الجمال يظهر لهم في الآخرة والأمر بالعكس للكافرين، وهذا الأمر دوري بين الدنيا والآخرة من جهة تجلى الأسماء فكل جمال ظهر في الوجود هو جمال الجلال الباطن كما أن كل جلال ظهر في الوجود فهو جلال الجمال الباطن، وخذ جميع الأسماء الإلهية على هذا النسق، فالعز الظاهر باطنه ذل وبالعكس، والضر الظاهر باطنه نفع وبالعكس، هذا ما يقتضيه الميزان الإلهي بين الأسماء، ولهذا السر ترى ماء الآبار تظهر برودته في الصيف وتبطن حرارته وفي الشتاء بالعكس،فبرودة حرارة النار هي الجنة، وحرارة برودة الجنة هي النار، والحكم العدل قضى بذلك الميزان بين أسمائه، معنى قوله ﷺ عن الله أن بيده الميزان يخفض ويرفع، وأما من حيث الذات فالأول عين الآخر والظاهر عين الباطن، والجلال عين الجمال، والنقص عين الكمال، بل لا أول ولا آخر ولا ظاهر ولا باطن، قال سلطان العرفين:

لو ظهرنا للشيء كان سوانا   وسوانا ما ثم أين الظهور

وقال الإمام الرباني:

يحرق بالنار من يمس بها   ومن هو النار كيف يحترق

سر ما زاغ البصر هنا ينبغي أن يطلب (وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ) [الأحزاب:٤] .

وارد شمس الجيران لمستقر الدوران

قال الله تعالى: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) [يس:٣٨].

اعلم ـ رحمك الله تعالى- أنه لدائرة الوجود اعتبارين: أعلى عليين، وأسفل سافلين، فإن اعتبرت نقطة الدوران مبتدأة من شمس الوجود الحقية بطلوع شمس الحقيقة، جارية لمغرب أرض الخلقية، فالنقطة حقية تطلع حقًا وتغرب خلقًا، وإن اعتبرت نقطة الدوران من شمس الوجود الخلقية بطلوع شمس الخلقية الصورية جارية لمطلع سماء الحقيقة، فالنقطة خلقية تطلع خلقًا إلى أن تغرب حقًا، فيدور الدور ويكون غروبها الخلقي عين

طلوعها الحقي، كما أن غروبها الخلقي عين طلوعها الحقي، والنقطة هي المستقر، فأما ظاهرها حق وباطنها خلق و(ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) [يس:٣٨] فهو (عزيز) بأحدية ذاته (عليم) بأحكام أسمائه وصفاته، فأعلى عليين حق، وذلك عالم الحقيقة، وأسفل سافلين خلق وذلك عالم الخليقة، فنزول أعلى عليين إلى نقطة الخلق، وعروج أسفل سافلين إلى نقطة الحق، والنقطة واحدة، ولكن لها وجهان يظهر هذا ببطون هذا وبالعكس، ولذا قال تعالى: (إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ) [التكوير:١] يعنى: دورت، فالظهور والبطون والشروق والغروب، ولذا قال سيدي على الخواص قدس سره: (إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ) ظهرت ثم بطنت، أي: ظهرت حقًا ثم بطنت خلقًا، ثم ظهرت ثم بطنت، أي: ثم ظهرت خلقًا ثم بطنت حقًا ثم ظهرت فلم تبطن، أي: في الدور الثاني وهو ظهورها من مغربها، يعنى: ظهورها من الصور الخلقية فينكشف الحق بلا خلق كما قال: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ) [فصلت:٥٣] أي: ذلك المرئي(ٱلۡحَقُّ) فبعد التبين لا بطون، وهذا معنى قول سيدي علي الخواص -قدس سره- ثم ظهرت فلم تبطن ثم قالﷺ: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ) [القلم:٤] يعنى أن اعتبار الظهور والبطون إنما هو للحقيقة المحمدية، وإلا فالذات من وراء الأسماء والصفات، ألا ترى أن إشارة قوله تعالى: (نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ) [القلم:١] إلى النور المحمدي والنور المحمدي له وجهان: وجه حقي ووجه خلقي، والنون حقيقة واحدة عينًا، وهي نونان نطقًا وحكمًا، فإن اعتبرت الدائرة النونية من مطلع شمس الحقيقة، وهي الأولى في النطق، فيكون المغرب نون الخليقة، وهي الثانية في النطق وإن عكست فيكون المطلع الخلق والمغرب الحق، وعلى كل فالنون واحدة كما هي مرئية في رسم الخط، ولما كانت النون الخطية هي الظاهرة للعين تحولت إلى راء الروية في قوله تعالى: (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) [النور:٣٥] ومحمد ﷺ هو الذي أفاضه الله من نور ذاته، فكان النور المحمدي عين النور الإلهي بلا تعدد في الحقيقة، وإن كان ثانيًا في الحكم، ألا ترى أن الواحد في العدد ظهر منه الواحد الثاني، فلم يتعدد الواحد في الحقيقة، ولكن الواحد ظهر اثنين حكمًا، وهو واحد عينًا فكذلك (نٓ) ظهرت نونين نطقًا وحكمًا، وهي واحدة عينًا ورؤية، فمن هنا تفهم قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح: ١٠] أي:إن الذين يبايعونك صورة إنما يبايعون حقيقة، وهذا هو الخلق العظيم الذي عليه محمد ﷺ، فإنه خلق الله بعينه في الظهور والبطون، والأولية والآخرية، فإن اعتبرت الجارية حقًا فالمستقر هو الخلق، وإن طمست نجوم الأسماء والصفات في مشهد حقيقة الذات حينئذ تقرأ (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا) [يس: ٣٨] لأن جريانها هو عينها، فإلى أين تجرى؟ وما

ثم سواها؟ هل ثم أمر منفصل عنها حتى تجرى إليه؟ فهذا اعتبار عبد الله بن مسعود ﷺ وهو الذي قرأ: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا) فجريانها وجودها الدائم أولاً وأبدًا بذاتها لذاتها، فبظهور شمس الذات تطمس نجوم الأسماء والصفات حتى (القمر) الذي هو الاسم الأعظم الدال على الألوهية الذي مدلوله اعتبارًا هو الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية هي التي يعتبر فيها مراتب الأسماء والصفات، وهي المسماة بالقمر الذي ينطبع فيه نور الشمس بذاته، فلذا قال تعالى: (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ) [يس:٣٩] وهي منازل الأسماء والصفات، التي تنزل فيها بالتقدير المعلوم حقيقة محمد ﷺ فإذا بدت شمس الذات عاد قمرها كالعرجون القديم، أي: كالعرجون القديم في التجرد عن الملابس، فكما أن عرجون النخل لأجل قدمه يتجرد عن ملابس الورق والليف والثمر، التي هي بمثابة المنازل القمرية، فكذلك الحقيقة المحمدية إذا طلعت شمس الذات الأحدية فكان، عرجون النخل يكون عرجون ذات بلا ملابس أسماء وصفات، كذلك قمر الحقيقة المحمدية إذا طلعت شمس الذات الأحدية يكون ذاتًا محصنًا بلا اعتبار اسم الذات، إذ مستقر الذات الصورة، فإذا انمحت الصورة فكانت بمثابة الثلج إذا ذاب، وعاد إلى حقيقته، ولذا قال الغوث الجيل:

وما الخلق في التمثال إلا كثلجه   وأنت لها الماء الذي هو نابع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه   ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ) [القصص: ٨٨] أي: إلا وجه ذلك الشيء وهو وجود الله تعالى، ولذا قال تعالى: (فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ) [البقرة: ١١٥] فمن لم يحترق وجوَّد نفسه بأنوار السبحات الذاتية احترق وجوده بنار الظلمات الحجبية، قال ﷺ: «**إن لله تعالى سبعين حجابًا من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه**»(٩٩٥)، وهي مكشوفة للعارفين بالله؛ فاحترق العالم عندهم، وبقي الله فطابق الحديث قوله تعالى: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص:٨٨] ومن هذا المعنى قال تعالى: (لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ) [الأنعام:١٠٣]؛ لأنه إذا تجلى بذاته اندرجت الأبصار في نور وجهه الذاتي، وانمحت، فكيف تدركه وهي هالكة فيه؟ قال الصديق ﷺ: «العجز من درك الإدراك إدراك»(٩٩٦) وفي هذا المعنى قال الشيخ الأكبر ﷺفي ديوانه «ترجمان الأشواق»:

---

(٩٩٥)

(٩٩٦)

فــإذا قلــت هبــوا لــي نظــرة قيـــل مـــا تمنـــع إلا شـــفقا

إشارة إلى قوله ﷺ: «**لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه**»[٩٩٧].

فإن قلت: قال ﷺ: «**ترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر**»[٩٩٨] وفي رواية: «**هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب**»[٩٩٩] قيل: لا قال: «**هكذا ترون ربكم**»[١٠٠٠] وقال تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**) [القيامة:٢٣،٢٢] وهذا يقتضى الثبات عند الرؤية.

والجواب عن ذلك أن رؤية الرب الموعود بها للعموم في الآخرة إنما هي التجلي في الصور، قال ﷺ: «**رأيت ربي في صورة شاب أمرد**»[١٠٠١] وقد تجلى الله لموسى عليه السلام في صورة النار، وفي صورة الشجرة وفي هذا المعنى قال الصديق رضي الله عنه: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله، وأين هذا التجلي من كشف الحجب عن سبحات الوجه المحرقة؟ فالرؤية للرب، والإحراق لسبحات الوجه، ولما كانت هذه السبحات الوجهة مفنية ومهلكة للإنسان عن نفسه بوجود وجه الله قال لموسى عليه السلام: (**قَالَ لَن تَرَىٰنِى**) [الأعراف:١٤٣] فخر صعقًا فقوله: (**قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ**) مراده ذات الرب بلا صورة، والذي في الحديث تجلي صورة الرب، لا تجلي ذات الرب فافهم.

قال سلطان العاشقين رضي الله عنه:

تراه إن غاب عنى كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهيج

أي: إن غاب عنى بكنه ذاته تراه كل جارحة منى في كل معنى من معاني أسمائه وصفاته، والأسماء والصفات عين صور الكائنات، ولذلك قال تعالى: (**لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ**) [يس:٤٠] يعنى: لا ينبغي لشمس الحقيقة أن تدرك قمر صورة الخلقية، بل تدرك نفسها في صورة مخلوقاتها؛ لأن ذلك مقتضى الأحدية قال الشيخ الأكبر بلسان الحضرة الإلهية:

لـو ظهرنــا للشــيء كــان ســوانا وســوانا مــا ثــم أيــن الظهــور؟

وهذا المعنى غير المعنى الذي هو الرؤية الموعودة في الآخرة للعموم؛ لأنه ﷺ في

---

(٩٩٧)

(٩٩٨)

(٩٩٩)

(١٠٠٠)

(١٠٠١)

رؤية العموم شبه رؤية الرب برؤية الشمس والقمر وكل منهما صورة، وأين ذلك من قوله تعالى: (لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) [الأنعام: ١٠٣] ثم قال: (وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ)أي: لا يسبق في التجلي ليل الغيب الباطن نهار الشهادة الظاهر؛ لأن كل منهما مقام الذات المستوي فيه جميع الأسماء والصفات ثم قال: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ) أي: كل اسم إلهي يسبح في فلك الاسم الآخر، إلى أن يدور الدور فيرجع المسبوح فيه سابحًا، والسابح مسبوحًا فيه، وإنما لم نعطِ الكلام على قوله تعالىن(:)حقه؛ لأن الكلام فيه من جهة الاستطراد، والشيء بالشيء يذكر (وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيل [الأحزاب:٤].

وارد الأعراف

قال تعالى: (وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ) [الأعراف:٤٦].

اعلم -رحمك الله تعالى- أن السيماء هي العلامة التي تميز الإنسان بمقامه الخاص به، وذلك هو الاسم الإلهي الحاكم عليه بمشهده من ظاهر أو باطن، أو أول أو آخر، وبتجدد الظهور والبطون، والأول والآخر بحسب الأدوار، وينتقل بانتقالات المشاهد، فتختلف الأحكام، قال ﷺ: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»(١٠٠٢) وقال تعالى: (وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ) [آل عمران: ١٦٩].

فأهل الأعراف يعرفون الناس الأحياء في الظاهر نيامًا، في الباطن بسيماهم، وهو الاسم الذي يشهدهم عوالم الملكوت، فالناس أيقاظ عند الناس، ونيام عند رسول الله ﷺ كما أن الأموات منتبهون عند رسول الله ﷺ، ومن هنا تعلم أن درجة الميت أعلى في العلم الإلهي من درجة حياة الدنيا ،فالأموات هم المنتبهون لا أهل الدنيا الغافلين،أما عند أهل الأعراف فالكل نائمون إلا من عرف الله تعالى، والفرق بين الأموات ومن قُتل في سبيل الله: أن الميت يغيب عن عالم الملك، ويحضر مع عالم الملكوت، بخلاف الشهيد فإنه يحضر مع العالمين، وهو حي يرزق عند ربه يقول: (يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ) [يس: ٢٦،٢٧] وأما العارف بالله رزقه ربه لا عند ربه، وهو صاحب عالم الجبروت، وهو عالم الأسماء والصفات.

واعلم -رحمك الله- أن الفرق ما بين شهيد السيف وشهيد الله، أن شهيد السيف يشاهد

(١٠٠٢)

صور أعماله فيرزق عند ربه منها، كما ورد أن غراس الجنة التسبيح والتهليل والحمد والتكبير، وورد أن القبر روضة من رياض الجنة، ولا يتكون لك القبر روضة إلا من غراسك، فأنت الفارس لتلك الروضة الجنانية القبرية، ولا ثمرة لتلك الروضة إلا بالأكل منها، وروائح تلك الروضة هي عين الرائحة الكريهة من خلوف فم الصائم، فإنها عند الله أطيب من ريح المسك، فروضة القبر منك أيها العامل على وفق الشريعة المطهرة وأطيابها منك، وكذلك الحفرة من حفر النار، ألا ترى قوله تعالى: (سَيَجْزِيهِمْ) [الأنعام:١٣٨] وصفهم وقال تعالى : (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ) [آل عمران:١٨٠] فبخلهم إنشاء لهم صورة الثعبان فيطوقون به ومما ذكرناه ينكشف لك معاني أرض السمسمة، فإن خلوف فم الصائم في عالم الملك رائحة كريهة، وفي عالم الملكوت مسك، بل أطيب منه، والرائحة حقيقة واحدة، وهي منك، فأرض السمسمة منك، بل الجنة كلها منك، والنار كلها منك، قال تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)[1003] [النجم:٣٩] بل إن الوارد أعطاني في قوله تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [إبراهيم: ٤٨] إنها أرض وسماوات ملكوتية، تفتح للإنسان من مفاتح غيب ذاته بسبب ما قام به من تجلى الأسماء التي كان يتحقق بها، ويتخلق بها في العالم الدنياوي ويشاهد صورة ربه طبق ما كانت تنطوي عليه عقيدته، فالرب الذي يحاسبه لطيفه من لطائف ذاته(فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ) [الأحزاب:٢٣] ألا ترى أن حارثة ﵁ كشف له عن أهل الجنة يتزاورون، وعن أهل النار يتعاوون، فحصل له مشهد من مشاهد الاسم (الآخر) وكان في رتبة شهداء السيف في ذلك الوقت، وأما شهداء الله فهم رجال الأعراف المذكورون في آية الوارد، وهم الذين (يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَـٰهُمْ) فأهل الدنيا مثلاً يشاهدون القبر ترابًا، وأهل الآخرة يشاهدونه روضة من رياض الجنة، والقبر هو هو فله وجه إلى الدنيا ووجه إلى الآخرة، كذلك العالم بأسره له وجه إلى الخلق الظاهر، وله وجه إلى الحق الباطن، فإن كنت حقًا فأنت الدنيا والآخرة، وإن كنت خلقًا فأنت التراب والماء والهواء والنار، فمن جنة إلى نار،ومن نار إلى جنة ،ومن معدن إلى نبات، ومن نبات إلى حيوان ، ومن حيوان إلى إنسان ،وتدور الأدوار عليك، إن كنت تحت حكمها وإلا فأنت هو، وملكك

[1003] أي: ليست الصورة الإنسانية إلا ما سعت من الأعمال الزكية عن الرياء والسمعة يئول ثوابها إليها من درجات الجنان.

أما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو الروح الروحاني الذي في تلك الصورة، وأنها إذا استوفت بمقام درجات الجنان التي جزاء أعمالها تمتعت أيضًا بما يجد روحه من فضل الله من كشف مشاهدته ودوام وصاله، وأيضًا، أي: ليس للإنسان إلا ما يليق بالإنسان من الأعمال.

هو، وسمعك هو، وبصرك هو، ولا ترى إلا هو، ولا تسمع إلا هو، فدنياك لا تغيب وآخرتك لا تغيب؛ لأن الله لا يغيب، فنورك هو محمد ﷺ وجميع الملك والملكوت والجبروت من محمد ﷺ وهو حقيقتك المنقلبة في الساجدين وهم مظاهر الوجود وصورة الساجدين للحقيقة والمندرجون فيها، ألا ترى قول الله تعالى: (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الانفطار:٨] وما ثم إلا صورة، فأنت المتقلب فيه، ولا تسعه، بل يسعك إلا قلبك، وفيك يطوى ما انتشر والخُبر منك والخَبر، فلا تكن تابعًا للنبت والتراب، وأنت عين رب الأرباب.

فما في الديار سوى ليلاك وما القلب في كل شيء إلا سواك

فاشرب واطرب لا تخش سوى، وأين السوي إياك تمل عن ذي النهج حبيبي اقبل نصيحتي، واسمع وصيتي بالله عليك، لا تحتجب بك عنه، بل لا تحتجب به عنه فإنه الحاجب المحجوب، والطالب المطلوب، والراغب المرغوب، ألا ترى نصيحة الله في قوله: (فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ) [الذاريات:٥٠] ولم يقل: ففروا إلى الجنة أو إلى النار، فالدنيا والآخرة نعلاك فاخلعهما كونًا والبسهما عينًا، وانظر إلى ما قاله الإنسان الكامل سيدي محمد وفا رضي الله عنه في كتابه «نفائس العرفان من أنفاس الرحمن» حيث قال الشهادة لله بالوحدانية على قسمين: شهادة تتعلق بالغيب: وهي شهادة العوام، وشهادة تتعلق بالعين: وهي شهادة الخواص، انتهى كلامه.

وبقى شهادة خواص الخواص، وهي شهادة مكتومة عند أهل الله تعالى، وهي ما قال الله لموسى عليه السلام منه إليه: (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي) [طه:١٤] أي: اعبدني صورة إذ أنت أنا حقيقة، ألا ترى قوله: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ) [طه:١٤] فجعل صلاة موسى هي ذكره، وصلاة موسى عين موسى، فموسى عين ذكره،فذكره من إنشاء موسى وذكره عينه، فموسى ذاكر مذكور، ولذلك (فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ) [الأعراف:١٤٣] أي: رجعت إليك منى فأنت المسمى بموسى، وأما محمد ﷺ فهو صاحب مقام (مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ) [النجم:١٧] فما غاب حتى يفيق، بل هو عين قاب القوسين حقًا وخلقًا، فإسرائه ومعراجه منه إليه ، فالمسجد الحرام حقيقة، والمسجد الأقصى صورته ، فمعراجه في الحقيقة تدلى لا ترقى، تدلى من حقيقته لصورته؛ لأنه كان نبيًا وأدم بين الماء والطين، فما كان محجوبًا عن نفسه حتى يترقى إليها بالكشوفات والمشاهدات، فمقام موسى (فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ) [الشعراء:٢١] ومقام محمد -صلى الله عليه وعلى موسى وسلم- (فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ) [الذاريات:٥٠] فالمحمدي يفر إليه لا منه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، فأين الفرار منه، ونحن

لا نخرج في كل حال عنه؟ فسير محمد ﷺ جسماني وهو سير التدلي، ألا ترى أن موسى عليه السلام يقول: (رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص:٢٤] ومحمد ﷺ يقول: «**اذكر لها جفنة سعد بن عبادة**»[١٠٠٤] ويقول: «**إن من أمن الناس علي في ماله وعياله أبا بكر**»[١٠٠٥] فأبو بكر هو المعطى المنان المتفضل بالأنعام في مشرب رسول الله ﷺ، وقد تحقق بهذا المقام من رسول الله ﷺ فقال لبنته: قومي فاشكري رسول الله، أي: اشكري الله في صورة حضرة الكمال، وقد حقق عائشة بهذا المقام لما قال لها: «**ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة**»[١٠٠٦] فكان يشاهدها عين الرفيق الأعلى الذي قال عنه: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[١٠٠٧] وأي رفيق أعلى هو أعظم من عائشة؛ لأنها الجسم البشرى الإنساني الذي من عين دائرته استدارت الدنيا والآخرة، وظهرت طبق عقائده صور الحق الروحانية، ولله در الشيخ الأكبر حيث قال:

وما الفجر إلا بالجسوم لأنها   مولدة الأرواح ناهيك من فخر

وهذا الوارد يحق له أن يسمى بالكبريت الأحمر وبعنقاء مغرب، فلا يفهمه إلا من تحقق بحقيقة الذات التي منها تفرعت شجرة الأسماء والصفات، وهي الشجرة التي ذاقها آدم عليه السلام، فعلم الأسماء كلها أي: علمها من نفسه القابلة للخلافة الإلهية، ولذا بدت له سوءة الحس؛ ليتحقق بمعرفة النفس، فاستحال من الروحية الملكية للحقيقة الإنسانية البشرية، فآدم كان في الجنة حين كان ملگا، وأما بعد الخلافة فهو الذي يوجد الجنة، ولهذا السر قال له إبليس: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) [طه:١٢٠] وكيف يبلى ملك الخلافة الإلهية؟! فكان آدم يشاهد الحق يقول له: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ) لذلك أطاعه لما علم أن ذوق الشجرة هو مقامه الذي لا ينبغي لأحد إلا للخليفة، وليس مستعدًا لذلك إلا أدم، إذ هو الشجرة الإنسانية الذي يدور عليها أمر الوجود، ويكون لها الركوع والسجود، فسجدت لها جميع الملائكة فافهم ذلك، وعليك ببر الوالدين آدم وحواء شكر الله سعيهما، وصلى الله عليهما وعلى ذريتهما وسلم تسليمًا كثيرًا (وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [الصافات:١٨٢].

وارد السلام

وهو نهاية العلم بالله على التمام، قال الله تعالى حكاية عن روحه عيسى -صلوات الله

(١٠٠٤)

(١٠٠٥)

(١٠٠٦)

(١٠٠٧)

وسلامه عليه-: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم:٣٣] يعني ويوم أبعث حال كونه حيًا من قبل، فموت عيسى صوري لا حقيقي؛ لأنه عبارة عن بطونه عن عالم الحس بحياة ذاتية روحية لاهوتية حقية، بدليل قوله: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ﴾ قال ﷺ: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام**»[١٠٠٨] فالسلام هو الله، وقد أخبر عيسى عليه السلام أن السلام منطبق عليه، فالتجلي على عيسى من مقام الذات التي لها جميع الأسماء والصفات، فأخبر عيسى عن نفسه بمقام الأحدية الذاتية فهو أكمل في التحقق من سلام الله على يحيى عليه السلام، حيث قال في حق يحيى: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم:١٥] فيحيى وإن كان له الحياة حيث ذُبِح شهيدًا فعيسى له الحياة الذاتية، ولذا تحقق بالاسم (المحيي) فكان يحيي الموتى، فالحياة تحت حكمه مسخرة له متى شاء، وهي مقام يحيى عليه السلام، ولذلك لم تفرق روحه عن جسده؛ لأن جسده عين روحه كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [النساء:١٥٧] أي: خيل لليهود أنهم قتلوه وصلبوه، والأمر ليس كذلك؛ لأن الله توفاه، أي: أخرجه عن تدبير نفسه الطبيعية ورفعه إلى هويته القدسية، فزالت المناسبة بينه وبين العالم الخلقي، فانطوى عن الخلق بالحق، لا أنه انطوى مطلقًا، وحيث إن الله رفعة إليه اندرج علية الحكم الحقي من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤] والخلق لا يبصرون من هو معهم، فكذلك لا يبصرون عيسى، فلو أنصف النصارى لشهدوا حقيقة عيسى في كل مشهود؛ لأن الله رفعة إليه، أي: إلى حقيقته -جل وعلا- والله أخبر عن نفسه بقوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١١٥] فما عرف عيسى عليه السلام حق المعرفة إلا علماء الحقيقة من الملة الإسلامية، وأما النصارى فإنهم جهلاء بحقيقة عيسى عليه السلام حيث حصروه بمرتبة التثليث، ولم يشهدوا فيه مرتبة الأحدية التي أشار لها وهو في المهد بقوله: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم:٣٣] فموته هو حياته الإلهية، فعيسى يبعث من حياة إلى حياة، فموته ليس كموت غيره، بل معنى موته ارتفاعه عن العالم الحسي المقيد إلى المكانة الذاتية المنزهة عن مكان خاص، فليس قولة تعالى في إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعۡنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم :٥٧] بمثابة قوله في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥] فإن إدريس في السماء الرابعة وهي سماء الشمس، وسماء الشمس قلب الأفلاك، فلإدريس عليه السلام الأصالة في القطبية وغيره بالنيابة عنه، فهو أقرب الأقطاب إلى محمد ﷺ، وأما عيسى عليه السلام فلا ينحصر في مكان خاص ولا في مقام خاص، فهو مظهر القرآن العظيم من فيض

(١٠٠٨)

سر محمد ﷺ، ولذلك أخبر عنه أنه ينزل إلى الأرض، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بالقرآن، ولا يقبل إلا الإسلام، ومن كونه له الكمال في الإرث المحمدي، عرف محمد ﷺ وتحققه وبشَّر به كما قال تعالى عنه أنه قال: (**وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ**) [الصف:٦] فكانت بشارته عن معانيه، فهو مع نبوته من أصحاب نبينا محمد ﷺ، ونزوله إلى الأرض عبارة عن ظهوره في مقام الفرق الثاني الذي به يشهد حَقًا وخلقًا مع تحقيقه في مقام الأحدية فيشهد الواحدية التي تثبت المظاهر مع شهوده أنها حجة بالأحدية المطلقة الذاتية، ففنائه بقاء، وبقائه فناء، وهذا المقام يسمى بالبرزخ الكامل، إذ لا يتخلص أمره إلى أحد الطرفين، فله اليد الطولى من وراثة قاب قوسين، وكيف لا وهو المبشر بظهور سيد ولد آدم ﷺ، وقد حفظ له القرآن رتبة قبلاً وبعدًا؟

«قبلاً»: أي قبل نزوله من حكم قوله تعالى: (**وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ**) [المائدة: ٤٧] وحفظ له رتبته.

«بعدًا»: من قوله: (**وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي**) [الصف:٦] وبين لنا ﷺ ثمرة هذه البشارة أنه حين النزول، أي: من رتبته إطلاق اللاهوت إلى عالم الناسوت يحكم بالقرآن صرفًا، ويتزوج ويولد له ويموت يعنى صورة لقوله ﵇: (**وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا**) [مريم:٣٣] أي: حال كوني حيًا، فبعثة كما تقدم من حياة الاسم الأول إلى حياة الاسم الآخر فيما يبدو وإلا فالحياة حقيقة واحدة لا تتجزأ، ولكن يختلف حكمها لاختلاف التجلي، وهذا الوارد عيسوي الظاهر، محمدي الباطن، من خاتم الدورة الآدمية لقوله تعالى: (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ**) [آل عمران: ٥٩] فعيسى وآدم لا أصل لهما، إلا هو -جلا وعلا- وكذلك هذا الوارد من شمس النبوة الأحدية الختمية المحمدية المشرقة في الحقيقة الفردية (**وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ**) [الأحزاب:٤].

وارد النملة وبه بلغ الهدى محله

يا نملة الأنس تسرى في بواديها   في حضرة الجمع غيب الذات واديها

صفاتها نمل أسماء لها ظهرت   من البطون وغيب الذات ماحيها

أحبت الذات أن تمتاز في صور   هي المساكن للأسما مغانيها

لما تفرقت الأسماء طالعة   في ذلك الحي حي الذات واديها

قالت لها نملة الرحمن ناصحة: إن المحبة كنز الذات مخفيها

يأيها النمل إني قد نصحت لكم   عندي المساكن طرًا فادخلوا فيها

أتى سليمان بالاسم العظيم له   جنود أسماء ذات الطمس خافيها

لا يحطمنكم الماحي بعزته   جنوده قاتلات النفس تفتيها

فبي عرفتم ألا إني حقيقتكم   قد جئت من سبأ بلقيس تحميها

أنْبِئ بهدهد نبأ ثُري عظمًا   يحيط فيها يقينًا حين يرويها

يا كعبة الرحمة الرحمن جاليها   للعالمين عروسًا عرشه فيها

حنت لإلف لها يبقى بمسكنها   حبًّا لأن تعرف الأسما مرائيها

والفجر من وجهها الوضّاح ضاء به   في حجة الحس عشر من لياليها

وجهت وجهي لها من كل ناحية   مني أطوف بسبع من مثانيها

روحي بظبي التقاء بالنمحنى ظفرت   وبالعذيب عذابي من تجتنيها

لله سلمى جمال قد سكرت بها   خمارها خمرها من حان ساقيها

ألحانها زمزت من كل غانية   في حانها تطرب الدنيا بما فيها

شربت منها شراب الإنس في سري   سبحته عن شربك في مجاليها

دارت بأقداحها في شمس وحدتها   فكان كل نديم الراح شاديها

صبوت فيها بياتًا من حجاز نوى   محيّرا بالحسيني من مغانيها

وهمت في أوج حسن الركب أنجده   من الحصار ونوحي رصد حاديها

يا ليلة من سليمى سالمت يلقى   بالله عودي لعشاق فَنوا فيها

قرارها مجهتى منها أجيب لها   مهنيًا آل ودي من تهانيها

عجبت من نهيها عن عذل عاذلها   وكم بدت في عذول ظل واشيها

أقسمت في وحدة في ذاتها انفردت   لا ملت عنها ولو ملَّت محبيها

خذي فؤادي سليمى لا أعود له   وكيف من بعد بيع النفس أشريها؟!

شمس أوحِّدُها نفس أسرُّبها   كأس أدور بها أنس لحاويها

يهنيك يا قلب فالأعطاف قد عطفت   منها حنانًا فأبشر في تجليها

صديقها السر معمور الشهيد حوى   نورين منها عَليَّ في معاليها

بلال شاماتها في الخد يشهده   حسان وصف غدا سلمان أهليها

لبيت نور الجلا يبدو بمشرقه   من مغرب القلب يا عينى أناديها

سريت من حرم ليلاً إلى حرم   بدرًا علوت سماء النفس تطويها

وبت ترقى فشاهدت العلا صورًا   من قاب قوسين أو أدنى تدليها

ما زغت يا بصرًا قام الوجود به   ويا حقيقة آيات لتاليها

لله منك فؤاد للوفود جنا   أثمار أشجار علم كنت جانيها

أنوره لمعت في الكل من أزل   نبوة عظمت لم يشعروا فيها

يا سر ياسين يا صاد الصدور لنا   يا نور نور ليالي القدر هاديها

عليــك منِّـــي ســلام لا نفــاد لـــه موصـول حبـل بقلبـي منـك تُـدليها
ودم رحيـق جنــاني شــافيًا ظمــأي ختــام مسـك جنــاني فــاح جاديهــا
ومـــدَّ مـــدَّة إمـــدادٍ لا مجمعنـــا بهـا تفيض بحـور الفيض تجريهـا

قال الله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا) [النمل: ١٨-١٩] قلت في هذا الوارد ما هي النملة؟ قيل لي: صورة محمدية من صور البشرى والرحمة (طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ * هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ) [النمل: ١،٢] فقوله: (طسٓ) إشارة إلى أن السر المحمدي هو طارق النجم الثاقب في سماء الحضرة السليمانية، بالهداية النبوية، والبشرى بالملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده (وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ)[النمل: ١٧] وهو الاسم الأعظم (جُنُودُهُۥ) من سائر الأسماء المندرجة فيه (مِنَ ٱلۡجِنِّ) أي: جن البطون العمائي، (وَٱلۡإِنس) أي: إنس الظهور الشهادي (وَٱلطَّيۡرِ) وهم المريدون الطائرون إلى الله بأجنحة الهمم، القاصدون حضرة الجود والكرم، فلذلك اندرجت في ملكه بلقيس القابلة لأسراره، فقالت:(أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ) [النمل: ٢٩] من سنا أنواره (فَهُمۡ يُوزَعُونَ) من أوزعه بالشيء أغراه به فأوزع به فهو موزع به، أي: مغرٍ به؛ لأن سليمان عليه السلام كان يولع جنوده ويغريهم بالسلوك إلى حضرة الله بما أُتِي به من التوحيد والمشاهد الإلهية في المجالي المحمدية، وإذا كان الشيخ محيي الدين العربي -رضوان الله عليه- أخبر في كتابه «فصوص الحكم»: أن الله جمعه بالأنبياء والمرسلين من آدم إلى محمد ﷺ، وكلمه منهم هود وبشره، فهل يكون مانع لسليمان عليه السلام أو غيره من الأنبياء أن تتجلى له الحقيقة المحمدية في الصورة النملية؟ ألا ترى أن سورة النمل السليمانية قامت من بسملتين محمدية باطنة بالسر السليمانى وهي الذاتية فيه، وبسملة أسمائية سليمانية ظاهرة فيه في الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ) والنمل كناية عن السالكين في الطرق المحمدية المتفرقة في النبيين والمرسلين، وتلك الطرق في ذلك الوادي الذي هو باطنها وجامعها، وهو السر المحمدي، فقامت لذلك النمل رفيقة يعبر عنها بالنملة من الرقائق للمحمدية، وتلك الرفيقة من محض رحمة من بالمؤمنين رءوف رحيم، وبتلك الرقائق الصورية كان رحمة للعالمين، فقالت:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ) وهم المريدون السائرون إلى الله تعالى(ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ) أي: ما سكنتم إليه من الأسماء الحاقة بكم، فإن استعداداتكم الخاصة لا تطيق الاسم السليمانى الجامع؛ لأن الاسم الأعظم وهو الله يحطم غيره، ويفنى ساقيته في بحره الأعظم، فيغرق في ذلك البحر (وَجُنُودُهُۥ) وهي التجليات الذاتية (وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ) أي: لا يشعرون بالسوي؛ لأن تجليات

الاسم الأعظم لا يسعها سواها، فلا علم لها بغيرها كما قال: (أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ) [يونس:١٨] أي: لأنه لا يعلم إلا نفسه فلا يعلم الشريك.

واعلم -رحمك الله- أني لما قرأت قوله تعالى في حق سليمان ﷺ: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا) [النمل:١٩] حصل لي ابتهاج وطرب في ذاتي منه، علمت الباعث لتبسم سليمان ﷺ ضاحكًا من قولها، والذي فهمته من حال سليمان في هذا التبسم والضحك أنه علم نفسه مجلي الاسم الأعظم وهو (الله) فكان له ابتهاج وطرب في انفراده بملك الأسماء والصفات، فيقول للشيء (كُن فَيَكُونُ) ولذلك قال لتلميذه: (ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ) [النمل:٤٠] وهو كتاب الله الناطق الذي هو سليمان بعينه لما تحقق به التحقق الذاتي (أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ) [النمل:٤٠] وطرفه هو آصف بعينيه وارتداده إليه بالاستغراق فيه، أي: قبل أن أشتغل عني بك؛ لأنني إن ارتددت إلى مقام أحديتك لا أتصرف، فلا يمكن التصرف في مقام الأحدية، ولذلك كان الفرد في العلم بالله أمكن من القطب، فمكان الفردية له الأمر، ومقام القطبية له الهمة المؤثرة، ولذلك قال لوط ﷺ :(لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً) [هود:٨٠] فمشهد لوط ﷺ أعلي من مشهد آصف ، فآصف يقول للشيء (كُن فَيَكُونُ) ولكن بالهمة لا بالأمر، ولذا قال تعالى في حق سليمان: (فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ) [ص:٣٦] أي: لا بهمته (رُخَآءً) أي: لينة (حَيۡثُ أَصَابَ) أي: قصد، ومما مهدناه لك تعلم أن سيدي محمد الحنفي ﷺ لما دخل علي سيدي علي وفا -قدس سره- قام مقام آصف، فأتى منه بعرش القطبانية وورثه، وانتقل سيدي علي للفردية المحمدية، وترك القطبانية لسيدي محمد الحنفي ذاهبًا للاستهلاك في الأحدية المطلقة ، كذلك أسرَّ النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثًا من أسرار الاسم الأعظم فكان من عائشة وحفصة ما كان، ولذلك قال تعالى: (إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا) [التحريم:٤] أي: مالت إليه (وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ) [التحريم:٤] أي: علي الله، باعتبار مظهره الجامع وهو محمد ﷺ (فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ) [التحريم:٤] أي: بهويته و(وَجِبۡرِيلُ) أي: بروحيته (وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) أي: بنفسيته (وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) أي: رسل روحه العظمي ورقائقها (بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ).

واعلم أن تصرفهما بالنبي ﷺ إما تصرف همة أو تصرف حال، كالطفل بحاله يتصرف في أبويه بقضاء مصالحه، فالفرد له تصرف الحال لا تصرف الهمة، قال تعالى في حق رسول الله ﷺ: (وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ) [المائدة:٦٧] كذلك حال النمل وضعفه تصرف في النملة أن تنذره من الإنذار المطلق المحمدي، كما قال تعالى: (لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:١].

(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيل [الأحزاب:٤].

وارد الآيات للسائلين والدلالات للعارفين

قال الله تعالى: (**لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ * إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ**) أي: شقيقه (**أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ**) أي: جماعة (**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ**) [يوسف: ٧،٨] أي ضلال عن حبنا؛ لأن الجماعة أنفع من الاثنين، فهذا الضلال عن حبنا (**مُّبِين**) أي: مشغوف مغرم ليس بيده دفع هذا الحب؛ لأن الحب يقلب العلم والعقل والقوة، حتى أن حب الله لعبده يمنعه من الانتقام منه، مع البغي من العبد والاقتدار من الله، وفي الخبر: «**عبدي وحقك إلى لك محب فبحقي عليك كن لي محبًا**»[١٠٠٩] وورد أنه أرحم بعبده من والدته ألا تري أن الوالدة تضرب ولدها للتأديب ثم تبكي عليه، وكان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم كل من سببته أو لعنته، أو دعوت عليه، فاجعل ذلك عليه رحمة**»[١٠١٠] فلهذا السر الحبي غار أخوة يوسف وأرادوا أن يخلو وجه أبيهم في الحب إليهم؛ لينالوا كمال وراثته، ولذلك قالوا: (**ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ**) [يوسف:٩] من باب ما قيل:

اقتلـــــوني يــــا ثقــــاتي إن فــــي قتلــــي حيــــاتي

وقال سلطان العاشقين:

فــــالموت فيــــه حيــــاتي وفــــي حيــــاتي قتلــــي

أي: انصرفوا فيه بالهمم إن تقتلوه بالفناء في الله الذي هو الموت الأكبر فيكون كما ورد في الصديق: «**من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي علي وجه الأرض، فلينظر إلى أبي بكر الصديق**»[١٠١١] فحينئذ يغيب يوسف وأخوه بربه عن محبة الوالد (**أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا**) أي:أنزلوه عن علوه إلى أرض الذل، بأن تفعلوا به ما يفعل الأستاذ بمريده من الإذلال والإهانة، فيكون داخلاً في حكمكم وفي تربيتكم (**يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ**) بانتقال حبه الخاص إليكم فيفيض عليكم كماله كما ورد: «**ما صببت في صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر**»[١٠١٢] ولهذا المعني قالوا: (**وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ**) أي: للمقام اليعقوبي وهو الإسلام الحقيقي إلى الله، فيكون الله متوليًا عبده بجميع شئونه وهذا مقام: (**لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ**) [آل عمران:١٢٨] ولذلك قال يعقوب عليه السلام لبنيه: (**فَلَا تَمُوتُنَّ**

(١٠٠٩)

(١٠١٠)

(١٠١١)

(١٠١٢)

إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُون) [البقرة:١٣٢] فالمسلم هو كما قال الخليل ﷺ: **(أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ)** [آل عمران:٢٠] أي: ومن اتبعني كذلك **(قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ)** [يوسف:١٠] أي: بالفناء بالله؛ لأن الفناء طريق الولاية، وهو بالنسبة للأنبياء ذنب قال ﷺ: «**إنه ليغان علي قلبي فاستغفر الله**»(١٠١٣) وذلك لأن الثبوت مع الخلق مع الجمعية لمشاهدة لمشاهدة الحق هو الكمال النبوي، ثم قال: **(وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ)** أي: غيبوه عن والده عسى بإلقائه في الجب، فلا يهبط إلا علي الله، فالتحت والفوق بالنسبة إلى الله سواء، قال ﷺ: «**لو دليتم بحبل لهبطتم علي الله**»(١٠١٤) ثم قال: **(يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ)** وذلك عين التقاط الله له؛ لأنهم يعلمون أن الله لا يضيعه، ولاسيما إذا التقطه بعض السيارة إلى الله من رجال الغيب الروحانيين أو البشريين **(إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ)** أي: إن كنتم فاعلين ذلك ثبوتًا يظهر منكم وجودًا، ولما أجمعوا علي نقله من حضرة الظهور إلى حضرة الغيب والبطون؛ لتتقلب عليه الشئون **(قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ)** [يوسف:١١] أي: لأننا ننهضه بحالنا وندله علي الله بمقالنا وقد صدقوا؛ لأنهم رأوا أباه يسيره مع الإدلال، وهم يسيرونه مع الإذلال، والحال أن الإذلال في تربية نفس المريد الصادق خير له من الإدلال قال الله تعالى لحبيبه الأعظم ﷺ: **(لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ)** [الزمر:٦٥] أي: لئن رأيت معك غيرك **(لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ)** [الزمر:٦٥] لأن سائر الوجود هو أنت وأعمال الوجود عملك فأنت العامل في كل عامل، فلئن أثبت الخير خسرت أحدية الغير فانظر إلى هذا الإنذار مع أنه الحبيب المختار، فأراد أخوة يوسف أن يأمنهم أبوهم علي تربيته من جهة الجلال؛ لعلمهم أنه أباه من كونه محبًا يربيه تربية الجمال، والجلال خير للعبد من الجمال، ولذلك حفت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات ولذلك قالوا: **(أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ)** [يوسف:١٢] في مقام الوحدة **(وَيَلۡعَبۡ)** في مقام الكثرة **(وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)** أي: من الوقوف في مقام خاص، بل ننقله من المقام العالي إلى المقام الأعلى، ولما علم أبوهم –صلى الله عليه وعليهم- أنهم ليسوا في مقام الإرشاد مثله قال لهم: **(قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ)** [يوسف: ١٣] أي: أن تسلكوا به في مسالك الطريق إلى الله **(وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ)** كنَّي بذلك عن استغراقه في مقام الأحدية، فيقف في حال الفناء في الحق، ويذهل عن مشاهدة الحق في الخلق**(وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ)** بحضوركم مع الله، فلا يتسع قلبكم إلى مشاهدة ربكم مع حفظ مريدكم، فإن من كان مع الحق غفل عن الخلق

(١٠١٣)

(١٠١٤)

،فالذئب كناية عن هوية الحق التي لا تترك معها سواها، بل تفنيه في نفسها، كما يفني الآكل الطعام في ذاته، حتى يخالط لحمه ودمه فيصير المأكول عين الآكل.

سمعت بعض الإخوان يقول: إن أباهم في قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف:١٣] علمهم كيفية الجواب عن إلقائه في الجب، فحينئذ له الرضا في باطن الأمر بما فعلوا، ولو لم يكن له الرضا في باطن الأمر لما سلمهم إياه، ألا ترى أن الله أوحى إلى أم موسى بقوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧] مع أن إلقائه في اليم ينشأ منه الخوف لا الأمان، فعلمهم يعقوب الاعتذار وهم غافلون عن حفظه ليوسف في باطن الأمر، بل هو عليه السلام حافظ للجميع، وغير غافل عن أحوال أولاده، وقد قال الأستاذ الشيخ عبد العزيز الدباغ لتلميذه: حاسبني بين يدي الله إن كنت لا أنتبه لك في الساعة خمسمائة مرة، فما بالك بيعقوب عليه السلام، ولذلك سلم يوسف لأخوته ولم يبال بذلك؛ لأنه من جهة البصيرة الكاشفة معهم أينما ذهبوا به، فلما علموا مراده ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف:١٤] مقام التربية والإرشاد، والذي يظهر من أخوة يوسف أنهم أرباب أحوال، وأصحاب تلوين، ما بين الفقد والوصال، ويدل لذلك قولهم: ﴿تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٥] ولو كانوا أصحاب تمكين لعلموا أن ذكر أبيهم ليوسف هو مقام الكمال في ذكر الملك المتعال، ولذلك سلمه ظاهرًا ولم يعبأ بغيبته عنه باطنًا، حيث يراه برؤية كل شيء، قال سلطان العاشقين قدس سره:

تـراه غـاب عنـى كـل جارحــة   في كل معنى لطيف رائق يهج

وقد أشار لهم عليه السلام بهذا المعني في قوله: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٩٤] وما وجد ريحه إلا وهو عنده وقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ [يوسف:١٥] فيه إشارة أنهم فنوا عن نفوسهم بمشاهدة يوسف، ولذلك أجمعوا أن يجعلوه في ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ ليتخلصوا من مشهد الفناء به إلى مشهد البقاء، فيشاهدون كل شيء يوسف، وأوحى الله بذلك إلى يعقوب كما قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:١٥] أي: لا يشعرون بفنائهم؛ لأن أرباب الفناء مجاذيب، غالب عليهم الأحول، فلما انتقلوا بسبب إلقائه في الجب من مشاهدة البسط والجمال إلى حال القبض والجلال، كان كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف:١٦] أي: في ظلمة جلالية غيبية ﴿يَبْكُونَ﴾ شوقًا لتجلي الجمال فتغير عليهم الحال، ولله در من قال:

أتظعـن عـن حبيبـك ثـم تبكـي   عليـه فمـا دعـاك إلـى الفـراق

فأخبر الله عن شكواهم لأبيهم بقوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف:١٧]

أي: في ميدان الأسماء الإلهية من الأول والآخر، والظاهر والباطن، والقابض والباسط، والجميل والجليل (**وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا**) وهو العالم الصوري، واستباقهم في العالم المعنوي، فتركوه في صورة الجب، وجميع العالم الصوري متاع للإنسان، يتمتع بالانتفاع به كما في الخبر: «**يا ابن آدم، خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي**»[1015] (**فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ**) أي: غيَّبه الجب في باطنه، وأطلقوا عليه أنه الذئب باعتبار أن كل شيء فيه كل شيء من جهة أحدية العين، لا من جهة الكثرة والبين، فكانوا صادقين في كلامهم ثم قالوا: (**وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا**) أي: حيث قلت: (**وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ**) [يوسف:١٣] (**وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ**) [يوسف:١٧] في حقيقة الأمر (**وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ**) [يوسف: ١٨] أي: بدم صوروه في خيالهم، وأبرزوه إلى الحضرة الحسية علي قميص يوسف، فهو دم يري ظاهرًا ولا حقيقة له، ولذلك وصفه الحق بقوله: (**كَذِبٖ**) أي: هو خيالي لا حسي، وهذا من قوة هممهم ولهذا (**قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا**) [يوسف:٨٣] أي: هذا من تصوير أنفسكم، فالتسويل عبارة عن التخييل والتمثيل، ولذلك قال: (**فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**) [يوسف:١٨] أي: لأنه هو الواصف والناطق بكم، فأنا الصابر لمشاهدة أفعاله منكم.

تنبيه: قال بعض علماء الرسوم أوحى الله إلى يعقوب: أتدري لما ابتليتك بفقد يوسف؟ قال:لا، قال: لقولك: (**وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ**) [يوسف:١٣] أتدري لما رددته عليك؟ قال: لا، قال لقولك: **عَسَى**(**ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا**) [يوسف:٨٣].

أقول :هذه المقالة تشهد لقائلها بغاية الغفلة والجهل من وجهين: الأول: أن الله قال: (**وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ**) [يوسف:١٥] فهذا القائل غفل عن هذا البناء الإلهي، والثاني**:** قول يعقوب عليه السلام: (**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**) [يوسف:٩٤] وريح يوسف هو من ذات يوسف، فهو واجد باطنًا ليوسف، فما أرى هذا الخبر إلا اختلاقًا لا أصل له، وقد قال ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع**»[1016].

وقد نزه الله يعقوب عن الجهل بقوله: (**وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ**) [يوسف:٦٨] فما أدرك هذا القائل حقيقة قول يعقوب: (**وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ**) لأن يعقوب عالم أنه لابد أن يسجد له الأحد عشر لقوله: (**لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ**) فالقصة كلها مشهودة لديه.

(١٠١٥)

(١٠١٦)

(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ)[الأحزاب:٤].

وارد لجلاء عن فطرة بلى

قال الله تعالى: (فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) [الروم:٣٠] أي: لا تبديل لصورته، كما قال: «**إن الله خلق آدم علي صورته**»(١٠١٧)، أي: تجلى بصورته في قابلية آدم (ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ) [التوبة:٣٦] أي: الذي قام به الله المظاهر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما هو الدين القيم، فيظنون الدين مجرد الأوامر والنواهي، ولا يعلمون ما حقيقة الأوامر والنواهي، ولا من القائم بها، وقال ﷺ: «**كل مولود يولد علي الفطرة**»(١٠١٨) أي: علي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي تجلياته في قوابل الناس فهو القائم بالدين، وهو الأحكام التي اقتضتها تجلياته كانت ما كانت.

ما فطرة الله إلا فطرة الناس فلا تكن يا فتى بالغافل الناسي
لو شاء لم يشرك به أحد فالشرك بالله فعل الله بالناس
هل صورة الله إلا آدم؟! فلذا أسمائه قد بدت في الحكم بالناس
رباهم بالتجلي فيهم فبدا منه ألست برب الخلق والناس
قالوا: بلي قد شهدنا للحقيقة إذ تجري بدين التجلي قام بالناس
إن هو والوالد المولود أنت به في فطرة ظاهر في فطرة الناس
ففطره الله منها مسلم وكذا منها النصارى مع التمجيس للناس
خلق إلى الله لا تبديل يلحقه أو لا أروني ماذا خلقه الناس

اعلم -رحمك الله- أني قبل أن أكتب هذا الوارد رأيت في النوم أني راكب فرسًا، وهو من نفسه يجري كما أشاء فإذا أردت النزول عنه قعد بي قعودًا لا يزعجني، لئلا يكلفني النزول وأنا قائم، فهو منقاد لي بما أشاء فلما رأيته يجري بطاعتي كما أريد قبَّلته، فصار يكلمني وأكلمه، فلما انتبهت من ذلك علمت أنه تعالى ضرب لي مثلاً ليبين لي عن معني قوله: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [هود:٥٦] فالدواب هي الاستعدادات التي تظهر للحق بما يريده منها، فيتجلي عليها بما هي عليه، فكان التجلي تابعًا لما هي عليه، وما هي عليه عين أحكام أسمائه التي هي تلك الاستعدادات الذاتية التي هي شئون ذاته، وهي منقادة لتلك الشئون؛ لأنها عين استعداداتها لا غيرها، فحيث الأمر

(١٠١٧)

(١٠١٨)

كذلك ظهر بها الاسم (الرب) الذي رباها بوجوده، فكان أولها وآخرها، وظاهرها وباطنها، فلهذا لما أخذ الرب (مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ) [الأعراف:١٧٢] أي: تجلى بصور الحقيقة الإنسانية، فكانت بهذا الأخذ الذي هو تجلي الرب له لا لها، قال: (أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ) [الأعراف:١٧٢] أي: ألست بحقيقتكم، وإنكم بي كنتم (قَالُواْ بَلَىٰ) أي: أنت حقيقتنا الجامعة ففطرتهم بما عليه عين فطرته بما هو عليه، فالاسم (الرب) هو الذي رب بني آدم بما هم عليه، ففي كل وقت ونفس ولمحة، يقول لعباده: (أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ) فتجيبه جميع الاستعدادات بقولها: (بَلَى) من موحد ومشرك، فالموحد هو الذي يتجلي عليه بربوبيته المطلقة، والمشرك هو الذي تجلى عليه من أسمائه برب خاص، ولذا قال: (ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ) [يوسف:٣٩] أي: الواحد في تلك الأرباب كلها القهار بظهوره فيها فلا تحرج بحقيقتها عنه، ولذا قال:(أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ) [النمل: ٦٠] فهذا استفهام إنكاري، أي: لا إله من جميع الآلهة إلا الله، فالاسم (الله) ما أشرك به أحد قطعًا، ولذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ) [النساء: ٤٨] والغفر: الستر، أي: لا يستر هذا المعني لأحد، بل لا بد أن يعلم الجميع من عباد الآلهة الذين قالوا: (أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا) [ص:٥] حقيقة قوله: (وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ) [البقرة:١٦٣] لأن الله قضى ألا يعبد في الوجود سواه، كما قال: (وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا) [الرعد:١٥] أي: ولو سجدوا لكل صورة في الوجود فما خرجوا عن الله، ألا ترى علم الله ولطفه وتربيته وإرشاده لعبده لعلم الحقيقة في قوله: (وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) [الأنعام:١٨] أي: من دون هذا الاسم الجامع من الآلهة الخاصة التي هي مظاهر الأسماء الخاصة المندرجة فيه، و إنما نُهي عن سبها؛ لأن ذلك سب له، إذ هو حقيقتها، ثم قال: (فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ) [الأنعام:١٨] إنهم سبوا آلهتهم؛ لأن الله هو الجامع للكل، فإذا علمت ذلك علمت أن قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن بِهِۦ يُشۡرَكَ)[النساء:٤٨] هو بشارة ووعد جميل بالخير لا وعيد وتهديد؛ لأنه بذلك لا يبقي المشرك على جهله بأن معبوده مظهر الله ووجهه، فهو أقرب إليه من قوله: (مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) [الزمر:٣] فهم معه من حيث لا تشعرون، وهم في فطرته قائمون، وإنما اختار الحق للعباد اسم (الرب) وقال: (أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ) تنبيهًا لسعادة عباده في آخر أمرهم، كما قال: (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ) [النجم:٤٢] فلم يقل: ألست أنا الله لحكمة الرضا، الذي يئول الأمر إليه؛ لأن المربي للشيء بما هو عليه راضٍ عنه، ولذا يقول تعالى لمطلق النفس: (يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ) [الفجر:٢٧] أي: بربك من الأسماء الإلهية الذي رباك بما أنت عليه (ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ) أي: ربك الظاهر بك بأحكام تجلياته من جمال وجلال، وبسط وقبض، وعطاء

ومنع، راضية به مرضية له :(فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي) [الفجر:٢٩] أي: اظهري بكونك أنت هو في جميع عبادي؛ لتكوني عين الجميع (وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي) أي: كوني عين حقيقتي، فتقولي لما تشائين (كُن فَيَكُونُ) (فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) [يس:٨٣].

واعلم - رحمك الله تعالى- أن الاسم (الرب) يقتضي وجود مربوبه من كل شيء في الوجود كما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لما قال له فرعون: (فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ) [طه:٥١] (قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ) [طه:٥٢] أي: هو كتاب الاسم (الرب) ثم قال: (لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) [طه: ٥٢] أي: لا يضل كل مربوب له ولا ينساه، وقال أيضًا لما قال له: (فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ) [طه:٤٩] (قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [طه: ٥٠] أي: أعطاه خلقه في الثبوت الذاتي؛ لأن كل شيء ثابت بثبوت ذات الله، ولو لم يهتد لنفسه بهداية الوجود الظاهر، ولكنه من جهة الاسم (الباطن) ثابت، فكل شيء ليل إذا يغشاه الاسم (الباطن) الذي هو باطنه، ونهار إذا يتجلي الاسم (الظاهر) الذي هو ظاهره، فمن هذا الوجود الوجه ما في الوجود أمر موعود، بل هو في الخزائن الإلهية موجود، ولهذه النكتة قال تعالى: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [النحل:١].

فلذا أقول بأن رسول الله ﷺ أجاب من سأله عن الساعة: (أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا) [النازعات:٤٢] فأمره الحق أن يقول: (عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي) [الأعراف:١٨٧] وهذا عين الجواب، فإن الساعة علم خاص عند الاسم (الرب) لأن الساعة صور المعاني القائمة بالوجود، وهي موجودة عند الاسم (الرب) قال رسول الله ﷺ في دعائه: «**يا رب، كل شيء ومليكه**»[١٠١٩] ولا يكون رب لكل شيء ومليكًا له إلا بوجود المربوب والملك، فالساعة: علم ظهور المعاني والأحكام، والأقوال والأفعال، بصور الجمال والجلال، وهذا العلم هو عند الاسم (الرب) كائن موجود، إلا أنه مستور عن غير أهله، ولذا قال تعالى:(لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ) [الأعراف:١٨٧] أي: لا يكشفها إلا هو، فأفاد الحق تعالى أنه يكشفها من تجلي هويته كما قال: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣] فمن الناس من يجليها له من جهة الاسم (الأول) ومنهم من يجليها له من جهة الاسم (الآخر) ومنهم من يجليها له من جهة الاسم (الظاهر) ومنهم من يجليها له من جهة الاسم (الباطن) ولذا قال

([١٠١٩])

ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**»[1020] أي: من فني عن نفسه بظهور ربه ظهرت له قيومية نفسه بمعانيها المتجلية بصورها من جمال وجلال، وذلك بسبب نفخ روحه الباطنة من الاسم (النور) الذي لقمه الروح الباطن الإسرافيلي في صورة المظهر، فإذا نفخ فيه من ذلك القرن النوراني الذي هو نفس الأسماء الإلهية، تجلي فيه الحق الظاهر فيعطيه البقاء من حقيقة الاسم (الباقي) بعد نفخ ذلك الفناء الأول من حقيقة الاسم (الماحي) فيقول لسان الحقيقة المتجلي بصورة كل لطيفة ورقيقة: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء:١٤] أي: كتاب ذاتك ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء:١٤] فذلك قول الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:١٣] فيظهر بالاسم (المقدم) والاسم (المؤخر) ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [القيامة:١٤] أي: لا يبصر إلا نفسه في الجمع الأكبر، وإن كان في نفسه فردًا فتناديه حياته القيومية السارية بحقيقة كل شيء ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاس لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] فالموت والساعة، ونفخ الصور، ونعيم القبر وعذابه، والحشر والنشر، والجنة وجمالها، والنار وجلالها، مشاهد أسماء ذات الإنسان المخلوق على الصورة الإلهية، غير أن من الإنسان من هو على الصورة الكاملة، وهو الخليفة المعبر عنه بآدم، ومنهم من هو علي بعض الصورة كالإنسان الحيواني، فالكامل هو الذي قضى نحبه، والحيواني ينتظر ﴿كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٤] فمن الآدميين من شاكلته الاسم (الله) الجامع، وهم الموحدون وأصحاب الدين القيم المطلق، أي: الذاتي، ومنهم من شاكلته بعض الأسماء الإلهية الداخلة تحت حيطة الاسم الجامع الذي هو (الله) فهو المشرك؛ لأنه لابد أن يشرك (المعطي) مثلاً مع (المانع)، و(الضار) مع (النافع)، و(الباسط) مع (القابض)، و(الأول) مع (الآخر)، و(الظاهر) مع (الباطن) وهكذا، فيكون تحت حكم الاسم المتجلي عليه وهو اسم خاص بمعنى خاص، فلأجل هذا ينادي إلى توحيد نفسه المطلق من مكان بعيد كعبد الدرهم والدينار، و﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣] بخلاف من تجلى عليه (الله) الذي هو الاسم الجامع للأسماء كلها، أو تجلى عليه (الرحمن) فهو الذي ينادي لتوحيد حقيقة نفسه من مكان قريب، ولهذه النكتة أمر الله تعالى بدعاء هذين الاسمين الجامعيين للأسماء كلها جمعًا قريبًا ، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] فمن ولج جمل حقيقته في سم خياط صورته فقد دخل جنة الذات، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الأسماء والصفات والأنفس كلها أعين، وهي عين واحدة ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا﴾

(1020)

[الإنسان:٦] من أنفسهم (تَفۡجِيرٗا) وعلى الله قصد السبيل.

وارد الحشر والسوق

وذلك مختلف بالذوق قال الله تعالى: **(يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا * وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا * لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا) [مريم : ٨٥-٨٧]**.

اعلم -رحمك الله تعالى- أن في هذه الآيات الثلاثة سرًا عظيمًا لا ينتبه له إلا أهل الله تعالى بيانه أن الله تعالى عم برحمته سائر عباده، فإنه تعالى لم يقل: يوم نحشر المؤمنين ونسوق المجرمين، بل قال: **يَوۡمَ(نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ)** والمتقي في باطن الأمر يعم الفريقين، كما أن الاسم (الرحمن) يعم أهل الجنان وأهل النيران، فالمتقي من اتخذ الله وقاية عنه، وفي القرآن العظيم **(رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا)** [المزمل:٩].

ومن أسمائه-جل وعلا- (الوكيل) فهو وكيل في التصرف عن عباده، ويحشر ويسوق سواء وكله العبد وهو الذي اتخذ الله وقاية عنه أم لم يوكله، كمن قال الله تعالى في حقهم: **(كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ)** [المطففين:١٥] فلو عرفوا ربهم لكان وردهم هو الله تعالى، لا النار ولا الجنة، ومن أسمائه (الواقي) والواقي هو الذي يحول بين المرء وقلبه، فالله هو المشهود والمتوسط بين المرء والقلب، فلا يرى القلب إلا الله، فالمحشور هو والمسوق هو، فلذا قال تعالى: **(يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا)** [مريم:٨٥] أي: سواء كانوا من أهل الجنان أو من أهل النيران، فهو (الوكيل) (الواقي) بمقتضى وكالته يتلقى باسمه (الرحمن) نعيم أهل الجنان وعذاب أهل النيران، فمن شهد هذه التقوى فهو الذي **(ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا)** [مريم:٨٧] ولا يلزم أن يكون من أهل الجنة، فقد قال صاحب «الكشف المشرق» الغوث سيدي عبد الكريم الجيلي المحقق -قدس الله سره-: رأيت طائفة من أهل النار هم في أشد العذاب، والجنة تعرض عليهم وهم لها كارهون، أقول: هذه الطائفة حقائقهم واستعداداتهم اقتضت ألا يذوقوا الجمال إلا من الجلال، ولا يذوقوا المحبوب إلا من المكروه، وهم الذين تعجب الله من صبرهم على النار، فقال تعالى: **(فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ)** [البقرة:١٧٥] فالجميع محشورون إلى الرحمن؛ لأن الله تعالى قال: **(مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)** [هود:٥٦] والدابة: كل من يدب، سواء كان بنفسه أو بالأخذ بناصيته **(إِلَّا هُوَ)** أي: كلٌ من يدب هو، ثم وصف تعالى الاسم **(هُو)** بأنه أخذ بناصية تلك الدابة، أي: وجوده حقيقة كل دابة **(إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)** وصراطه المستقيم: ظهور وجوده المطلق بصورة كل موجود، فكل

صورة هي مظهر اسم من أسمائه، فهذا الاسم هو الذي يسوق تلك الصورة إلى مظهر معناه، من جنة أو نار، ومن جملة ذلك المجرمون الداخلون في رحمة الرحمن من حيث الاسم الإلهي المتوجه على حقائقهم، بمعنى الإجرام، وهو ذوق الجمال من الجلال، فساقهم هذا الاسم إلى جهنم، وهو ورد النعيم والكمال بالنسبة إلى المجرمين، ليتدرجوا بالمتقين عن كشف وشهود، فيكونوا من وفد الرحمن، فيتخذون عند ذلك عهدًا عند الله أنهم لا يرون الوجود سواه، فيملكون الشفاعة بشهودهم أنه هو المالك فيهم، والآخذ بنواصيهم، وهو الذي وقاهم العذاب بذاته لاندراجهم بوجوده المطلق، وهذا الاندراج هو معنى وكالته عنهم؛ لأنه سمعهم وبصرهم، ويدهم ورجلهم وفؤادهم، فالمحجوب المعذب يرى أن له قلبًا فهو بين نعيم وعذاب، إلا أن المجرم نعيمه بالعذاب، وعذابه بالنعيم، ولله در من قال:

فهل سمعتم بصب سليم قلب سقيم منعم بعذاب معذب بنعيم

قال تعالى في حقهم: (كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ) [المطففين:١٥] فإذا كشف لهم ربهم عن ساقه، وأنه هو الذي ساقهم إلى إجرامهم، استحقوا منه القرب والوصال والنعيم من طرفي الجلال والجمال، وكانوا من وفد الرحمن أهل الكمال، وذلك لأنهم مجرمون وربهم لم يرد منهم إلا الإجرام، فهو الآخذ بنواصيهم إلى ما هم عليه في الوجود، والسائق لهم أن يستوفوا ما كانوا عليه في الثبوت، وذلك هو الصراط المستقيم الذي عليه الرب المطلق لكل مربوب قال تعالى: (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ) [النجم:٤٢] وهذا العلم لا يؤخذ إلا من مشكاة خاتم الأولياء، ولما كان هذا المعنى مربوطًا بقول هود عليه السلام كما حكى الله عنه أنه قال لقومه: (إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [هود:٥٦] حصلت المناسبة بين هود عليه السلام وبين (خاتم الأولياء) قال رضي الله عنه في فص هود عليه السلام: واعلم أنه لما أطلعني الحق، وأشهدني أعيان رسله وأنبيائه كلهم البشريين من آدم إلى محمد في مشهد أقمت فيه بقرطبة سنة ست ثمانين وخمسمائة ما كلمني أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام فإنه أخبرني بسبب جمعيتهم، ورأيته رجلاً ضخمًا من الرجال حسن الصورة، لطيف المحاورة، عارفًا بالأمور كاشفًا لها، ودليلي على كشفه لها من القرآن قوله: (مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) [هود:٥٦] أي: بشارة للخلق أعظم من هذه، ثم تممها الجامع للكل محمد صلى الله عليه وسلم بما أخبر به عن الحق بأنه عين السمع والبصر، واليد والرجل واللسان، أي: هو عين الحواس والقوى الروحانية إلى آخر ما قال في الفص الهودي رضي الله عنه ولم يبين الشيخ رضي الله عنه سبب الجمعية، وقد سأل الإمام الشعراني رضي الله عنه أستاذه سيدي على الخواص عن السبب، فقال له: البشارة ولم يزد، قال بعضهم: البشارة بنيل الغوثية، والصحيح عند المحققين: البشارة بمقام

الختمية، فإنه ﷺ هو الفرد الكامل في الوراثة الكلية المحمدية، وقد كشفها هود عليه السلام وكشف صاحبها فكان كلامه معه كالتهنئة له بها، وهو الله حري بذلك فإنه مظهر الله بمعنى اسمه (الولي الحميد) فهو وارث من أرسله رحمة للعالمين، فلذا قال في «فصوص الحكم»:

فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا وإذا ما سمعتموا ما أُتِيتُم به فيها
ثم بالفهم فصلوا مجمل القول وأجمعوا ثم منوا به على طالبيه لا تمنعها
هذه الرحمة التي وسعتكم فوسعوا ....

ومن سير معاني كتاب «فصوص الحكم» ودخل تلك القصور المحمدية، وشاهد تلك الحور والمشاهد الجمالية، وشرب من حوض تلك المشارب الختمية بالكئوس الحاتمية سكر سكرة الأزل والأبد، وقام بمجلي قيومية **﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الصمد:١] وقد طلبت منه في مقام ضريحه المكرم بصالحية دمشق الشام إفاضته معاني هذا الكتاب، فرأيت شواهد الإجابة وتحققها بلا ارتياب، فلذلك أقول متغزلاً وأترنم متمثلاً:

رأيــت قمــر الســماء فــأذكرتني ليــــالي وصــــلها بــــالرقمتين
كلانـــا نـــاظرًا قمـــرًا ولكـــن رأيـــت بعينهـــا ورأت بعينـــي

واعلم - رحمك الله- أن خاتم الأولياء باطنه خاتم الرسل ﷺ، فلذلك ما بدا كتاب «فصوص الحكم» إلا منه، قال سلطان العارفين في خطبته «فصوص الحكم»:

أما بعد، فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال ﷺ: هذا كتاب «فصوص الحكم» خذه، واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا به، إلى آخر ما قال، فعلمنا أنه مترجم بهذا الكتاب عن باطن رسول الله ﷺ كما يشهد لذلك قوله في خطبة الفصوص-وصلى الله على ممد الهمم من خزائن الجود والكرم بالقيل الأقوم- محمد ﷺ، فمحمد ﷺ بمنزلة الشمس وخاتم الأولياء بمنزلة القمر، والقمر مظهر إمداد الشمس، فهو يستمد منها باطنًا؛ لأن نورها هو حقيقة نور القمر باطنًا، وهي تستمد من نور القمر؛ لأنه محل ظهورها في مقام الغيب الليلي، ولذلك كان علم الشرائع ظاهرًا كالشمس نهارًا، وعلم الحقائق غيبًا عن النائمين في ليل الغيب، فلما ظهر حكم خاتم الأولياء كان صورة خاتم الأنبياء في تبليغ رسالة علم الحقائق، والصورة عين الحقيقة فلذا قال: خذه واخرج به إلى الناس، فكان رسول الحقيقة الآخذ من رسول الشريعة، والحقيقة والشريعة كفتان لميزان واحد، وحقيقة الميزان هو الله تعالى الذي هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، يستمد في ثبوته من الآخر، فخاتم الأولياء وارث، وخاتم

الأنبياء والرسل موروث، غير أن الوارثين منهم من يرث البعض، ومنهم من يرث الكل، فالخاتم عين الكل والكل محمد ﷺ، فما في الحي سوى «ليلى» فملْ بها طربًا نهارًا وليلاً، وقل: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، وقد منَّ الله عليَّ بأن أفهمني معاني «فصوص الحكم» وغيره من كلام خاتم الأولياء، حتى تحققت أن جميع ما ذكره عين القرآن العظيم، ولذلك شرحت بهذا الوارد الفص الهودي بثلاث آيات من القرآن العظيم، بل شرحت أيضًا مسألة الختمية المذكورة في الفص الشيثي وكم غرق في بحرها السباح، وهوى من هوى من أجلها بعد الفلاح، ذلك فضل ربي (وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [الأنعام:٤٥].

وارد الاسم العليم والاسم الله الجامع الكريم

قال الله تعالى: **(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ)** [البقرة: ٣١،٣٢].

اعلم -رحمك الله تعالى- أن آدم عليه السلام كان مظهر الاسم الجامع، والاسم (الله) الذي يجمع الأسماء كلها، وكانت الملائكة مظاهر بقية الأسماء المندرجة باسم الذات، فكان في السماء غوثًا جامعًا، ومجلى ذاتيًا تدور عليه جميع الأسماء الإلهية، فهو خليفة الله في السماء، ومظهر الألوهية فيها كما قال تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ)** [الزخرف:٨٤] إلا أنه كان متحققًا بأسماء التنزيه، مشاهدًا لأسماء التشبيه بعين اليقين، ولم يكن متحققًا بها بحق اليقين، فأراد الحق تعالى أن ينزل خليفته في الأرض بأكله من شجرة البشرية؛ لتكمل له الصورة الإلهية فيكون مجلى قوله تعالى: **(وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ)** فيجوز تجلي الله الذاتي من اسمه الجامع، وهو الله على الإطلاق تنزيهًا وتشبيهًا، وهذا معنى كلمة القطب الغوث هو المتحقق بجميع أسماء الله تعالى التنزيهية والتشبيهية في نفسه، فلذلك قال الله تعالى للملائكة: **(إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً)** [البقرة:٣٠] وهم يعلمون أنه لا يجمع جميع الأسماء إلا البشر، ومن جملة الأسماء الاسم المضل الداخل تحته مظاهر من يفسد في الأرض ويسفك الدماء **(قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** [البقرة:٣٠] فكانوا يسبحونه تنزيهًا، والخليفة يسبحه تنزيهًا وتشبيهًا، ومن جملة التسبيح التشبيهي التوالد والتناسل بالنكاح الجسمي، وفي ذلك كمال النكاح الإلهي الأرضي، فلم يستقم الكمال الإلهي والخلافة الإلهية إلا بأن يكون آدم مظهر قوله: (**وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ)** ثم أنه لما كان آدم مجلي ذات الله في السماء علمه سائر الأسماء، أي: تجلى عليه بها ومن جملة الأسماء الاسم

(العليم) فلما تجلى الله عليه بهذا العلم الذاتي كان هو مسمى تلك الأسماء، فهذا معنى **(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا)** [البقرة:٣١] يعني: من علمه بحقيقة نفسه، فلم يبقَ تنزيه ولا تشبيه إلا وقابليته جامعة لذلك، ثم إن الله تعالى عرض مسميات الأسماء على الملائكة، ومن جملة المسميات بنو آدم، فهم موجودون عنده في السماء، لقوله تعالى: **(وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ)** [الحجر:٢١] ولهذا قال: **(عَرَضَهُمۡ)** ولم يقل: أوجد المسميات وعرضهم، فلما عرض المسميات على الملائكة كانت جميع بني آدم مع آدم في تلك الحضرة، فأوحى الله إلى الملائكة: **(أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ)** [البقرة:٣١] فلم يعلموا إلا التنزيه ولم يعلموا أن الغوث الجامع هو الذي يسبح الله بأسماء التنزيه وبأسماء التشبيه، حتى أنه يسبحه باسمه (القاتل) فقال ﷺ: «**إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حبه**»[١٠٢١]؛ ليتحقق الشخص باسمه (القاتل)، ولما كان آدم يشاهد انطواء الوجود به، وأنه عين النفس الواحدة التي قال فيها ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[١٠٢٢] **(قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ)** [البقرة:٣٣] أي: بأسماء المسميات المنطوية فيه، وإن كانت أفرادهم معه في ذلك العرض، فهو يشاهدهم وفي نفسه جمعًا، ويشاهدهم في الحضرة تفصيلاً، فكل شخص من بنيه موجود في السماء معه في تلك الحضرة، بل مظاهر الله تعالى من كل آدم في الوجود، موجودون في تلك الحضرة، وهو يرى وجوده عين الجميع؛ لأنه مجلي الذات والمثل الأعلى في السماوات، فمن كونه الحق تعالى جامع بذاته التنزيه والتشبيه، وآدم مرآته في جميع الأسماء، وقد قال ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[١٠٢٣] ولم تكمل له الصورة الإلهية إلا بهبوطه إلى الأرض، وجعله خليفة فيها؛ ليتم كمال الصورة المذكورة في قوله تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ)** فما هبط آدم إلى الأرض إلا وقد جعل بدله غوثًا في السماء سماه آدم، فلما نزل آدم إلى الأرض لم تكن أرض الله الواسعة خالية من غوث قبل آدم، يكون آدم عوضه خليفة في الأرض، بل وجد آدم نفسه في الأرض، ووجد مسميات الأسماء الإلهية كاملة في الأرض أيضًا، وإنما أوجد له حواء لا لأن يوجد جنس البشر من العدم، بل لتكون مرآة له على صورته، كما أنه هو مرآة الله؛ لتحقق له صورة الحق بوجود العالم الآدمي منه بحق اليقين من جهة جسمه الخاص به، فيجوز الكمال الإلهي روحًا وجسمًا من جهة

([١٠٢١])

([١٠٢٢])

([١٠٢٣])

الحكمة، وإن كان كل شيء موجودًا في الأرض وفي السماء من جهة القدرة، وقد ورد في الحديث: «**إن الله تعالى قبض يديه، وقال: يا آدم، اختر أيهما شئت، فقال: اختار يمين ربي -وكلتا يدي ربي يمين مباركة- فبسطها الحق تعالى فإذا فيها آدم وذريته**»(١٠٢٤) فحصل لآدم مشهدان: المشهد الأول: أنه وحده بين يدي الحق ما ثم سواه، والمشهد الثاني: وجوده في يمين الحق كفرد من ذريته، فهكذا حاله في السماء فنحن معه، وهكذا حاله في الأرض فنحن معه، ونحن منطويون فيه؛ لأن الغوث الكامل هو الذي يشاهد صدور جميع الوجود منه، وإذا تجلى الله على عبده بتجلي الذات، ودارت عليه جميع الأسماء والصفات، شهد نفسه عين سائر الوجود أزلاً وأبدًا، وأنه عين آدم الذي خرت له الملائكة ساجدين، وما سجدوا حقيقة إلا لله سجود عبادة لله في صورة آدم، لا سجود تعظيم فقط كما يقوله علماء الرسوم؛ لأن الله تعالى هو الظاهر في آدم وفي كل شيء، فالساجد لكل شيء ساجد للغوث الكامل، شعر أم لم يشعر، وإنما قال الشيخ الأكبر: إني عجبت لمثلي كيف ما عبدا، أي: ظاهرًا حتى أن الملائكة دائمًا أبدًا لا تسجد إلا للغوث الكامل الذي هو المثل الأعلى، وخليفة الله الأجلى في كل وقت وزمان أزلاً وأبدًا، فالغوث كعبة الملائكة، والتوجه إليه هو قبلتهم، وإنما منع رسول الله ﷺ أن يسجد له، فجهلهم بقدره أنه عين كل شيء في الوجود، فخاف أن ينزلوه منزلة الأصنام، فعين الشرع الكعبة المشرفة، مع أن الكعبة المشرفة في حقيقة الأمر هي وجميع من يسجد إلى جهتها ساجدون للحقيقة المحمدية، التي هي مظهر الله، قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الرعد: ١٥] والله سبحانه وتعالى لم يقل: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الكعبة إنما يبايعون الله، فالكعبة المشرفة من جملة من يبايع محمدًا ﷺ على طاعته التي هي عين طاعة الله، باعتبار أن كل صورة في الوجود جميعه هي صورة محمد ﷺ، فإن فهمت ما قررته لك حينئذ تفهم ما ورد: «**لولاك يا محمد ما خلقت سماءً ولا أرضًا**»(١٠٢٥) أي: لولا حقيقتك الإنسانية الجامعة لكمال الصورة الإلهية تنزيهًا وتشبيهًا، ما ظهرت السماء والأرض، فالسماء وما فيها والأرض ومن فيها، والدنيا والبرزخ والجنة والنار أزلاً وأبدًا، مظاهر حقيقية محمد ﷺ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٩] فهو الساجد في كل ساجد، والمسجود له في كل مسجود له فما في الوجود غيبًا وشهادة إلا محمد ﷺ، فبسم الله الرحمن الرحيم النازلة في كتابه مصروفة إليه، وهو قلب قرآن الحقائق، وجميع الوجود حسًا

(١٠٢٤)

(١٠٢٥)

ومعنى دائرة عليه.

ملك الوجود فكان تحت فعاله من مستواه إلى قرار الماء فهو القرآن جمعًا، والفرقان تفصيلاً، وهو آدم وبنوه، فالأملاك الروحانية، والأجساد الطينية مظاهر حقيقته النورانية، فإن صليت عليه وسلمت عاد ذلك عليك، فافهم ما أشرنا به إليك فقد جاءتك ذكراك والله يتولى هداك (وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ) [الأنعام:٤٥].

وارد الإدراك وهو العجز عن الإدراك

قال الله تعالى: (**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**) [الأنعام:١٣] فقوله: (**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ**) سبب ذلك أن الله تعالى من أسمائه (المؤمن) وقد سماك باسمه الذي هو المؤمن، وقد ورد في الحديث: «**المؤمن مرآة أخيه**»[١٠٢٦] وحيث كان مرآتك فلا تدرك فيه إلا نفسك، إذ ليس في المرآة إلا الرائي، فلا يتجلى لك عند الرؤية إلا عقائدك فيه، فيظهر لك بحسب ما عندي من العقائد، ففي الحقيقة ما رأيت إلا ما هو منك، فبضاعتك التي وجهتها إليه هي التي يردها إليك قال تعالى: (**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ *وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ**) [النجم: ٣٩-٤١] وأشبه ما يكون الأمر بالصدى، فإنه يُرد إليك بمثل ما بدا منك، فالله تعالى هو الوجود المطلق الجامع للعدم المطلق، بل هو هو، فلذلك (**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ**) [الأنعام:١٣] وإن كانت الأبصار لم تر سواه، فلذا قال لموسى عليه السلام: (**لَن تَرَىٰنِى**) [الأعراف:١٤٣] وقال ﷺ لما سُئِل أرأيت ربك؟ فقال: «**نورٌ أنى أراه**»[١٠٢٧] ومعناه عندي: أنه ﷺ هو نور والله عين النور، فكأنه يقول: هو حقيقتي النورانية التي هي أنا، وما ثم خارج عني حتى أراه، فلذلك قال: (**وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ**) [الأنعام:١٣] أي: هو عين الأبصار التي تراه، فكيف تطلبه من خارج عنها؟! وهو يقول: «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**»[١٠٢٨] ولذلك وصف نفسه بأنه (اللطيف الخبير) فمن لطفه أنك إذا تقربت إليه بالنوافل تقرب إليك حتى كان عينك، أي: كشف لك أن الذي تتقرب إليه هو أنت، ولذا قال سيدنا الحاتمي -سلام الله عليه-:

حجبوك عن مقل الأنام مخافة   من أن تخدش وجهك الأبصار

الإشارة في قوله: «حجبوك» إلى المظاهر الطالبة لرؤيته، فإنهم حجبوه بأنفسهم بما

(١٠٢٦)

(١٠٢٧)

(١٠٢٨)

تصوروا فيه من العقائد، فما حجبه عن مقل الأنام إلا الأنام؛ لأنهم لا يشهدون فيه إلا حقائق أنفسهم من تصوراتهم وتخيلاتهم، فيتجلى لهم بحسبها، فما يرون منه إلا صور معتقداتهم، كما قال الشيخ الأكبر ﷺ:

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه

وأراد بقوله: (مخافة من أن تخدش وجهك الأبصار) أي: مخافة أن تخدش الأبصار وجهك الأحدي بالشرك؛ لأن الشرك خدش في وجه الأحدية فلذلك لا ترى؛ لأن الرؤية تستلزم الرائي والمرئي، وما ثم أيها المحبوب سواك حتى تراك.

قال سيدنا الحاتمي -سلام الله عليه- بلسان الحضرة الإلهية:

لـو ظهرنــا للشــيء كــان ســوانا وســوانا مــا ثــم أيــن الظهــور؟

ثم قال : «فتوهموك ولم يروك فأصبحت» أي: توهموك وتصوروك خارجًا عنهم بما تخيلوك به من صور العقائد، فرأوا عقائدهم فيك، وهي من حقائق نفوسهم فرأوها في مرآة وجودك ولم يروك حقيقة، قال ﷺ: «**إن الله احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما أنتم تطلبونه**»[١٠٢٩] وقال ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[١٠٣٠].

وقوله:«من وهمهم في خدك الآثار» يريد بالآثار: الصور المثالية التي تخيلوا أنها عينه، فانطبعت لهم في مرآة وجوده المعبر عنه بالخد، فالآثار المشهودة لهم في ذلك الخد الوجودي هي عين تصوراتهم وتخيلاتهم الناشئة من أوهامهم، ولا مانع من أن يتجلى الحق في صورة جسدية، تشتمل على الخد وغيره من أوصاف البشر، ولكن ذلك لا يقتضي رؤية كنه ذاته، بل تلك الصورة إنما هي تُجلى من تجلي أسمائه وصفاته، وفي حديث عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: «**رأيت ربي في صورة شاب أمرد عليه حلة من ذهب، وفي رجليه نعلان من ذهب**»[١٠٣١] وفي رواية: «**على سرير من ذهب**»[١٠٣٢].

اعلم -رحمك الله تعالى- : أن وصف الاسم (اللطيف) بالاسم (الخبير) في غاية المناسبة، وذلك أن (اللطيف) هو الساري بحقيقته في كل شيء، حتى كان عين كل شيء،

(١٠٢٩)

(١٠٣٠)

(١٠٣١)

(١٠٣٢)

فلا يترك محسوسًا ولامعقولاً، ولا متخيلاً ولا موهومًا إلا ويكون عين ذلك الشيء، حتى أنه يسري في المعدوم، ويكون عين ذلك العدم، ألا ترى قوله تعالى في حق السراب الذي (يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ) [النور:٣٩] أي: عند هذا السراب، أي: هو عين ذلك المسمى بالسراب، فلما كان (اللطيف) عين كل شيء، انسحب عليه اسم كل شيء، ووصف كل شيء، وحكم كل شيء، والعلم بكل شيء، بل هو المعلوم من كل شيء، و(الخبير) أن (العليم) كمن يعلم الأمور على الخبرة والتحقق والتجربة من نفسه، فالفرق بين الاسم (العليم) والاسم (الخبير) أن (العليم): كمن يعلم مثلاً حلاوة السكر ومرارة الحنظل، و(الخبير): هو الذائق لتلك الحلاوة ولتلك المرارة، فلما كان (اللطيف) عين كل شيء اتصف بالخبرة، ولذلك قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا (ٱلنَّاس أَنتُمُ (ٱلۡفُقَرَآء إِلَى ٱللَّهِ) [فاطر:١٥] مع أن الناس فقراء إلى الأشياء المعروفة، فمن لطفه أبطن نفسه في الأشياء، وتسمى بأسمائها، واحتجب بها، حتى لم يعلم الناس أنه عين الأشياء، وأن أسمائها هي أسمائه، قال تعالى: (قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) [الأنعام:٤٠]، وهذا استفهام إنكاري، أي: لا تدعون غيره وأكد ذلك بقوله: (بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ) [الأنعام:٤١] فمن دعا أحدًا لغرض وقال: يا فلان افعل لي كذا فقد دعا الله، واسم (فلان) هو اسم الله، فإن أجابه فقد أجابه الله، وصاحب هذا المشهد ذاكر لله بكل ما ينطق به، حتى لو نطق بالكلمات المكفرة ظاهرًا، فهو ذاكر لله، ولذلك ترى المجاذيب يسبون الله ويسبون دينه، والناس يستهجنون ذلك عليهم، وهم في نفس الأمر ذاكرون لله، ولو وصفوه بكل وصف مذموم في عرف الناس، إلا أن الكامل لا يفعل ذلك، وما كل ما يعلم يقال.

واعلم - رحمك الله- أن الاسم (اللطيف) أظهر ما يكون في الوهم، ولذلك ترى الإنسان إذا رأى السلطان مثلاً يحكم عليه الوهم، فيقع على الأرض، أو أنه يطرف في الأرض، ولا يقدر على رفع الطرف إليه، فإذا خلع السلطان لم يبقَ يعبأ به أصلاً، فالمؤثر هو المرتبة، والمرتبة أمر حكمي معدوم من الحس فما أثر فيك إلا أنت، وهذا علم غريب، منه يظهر أن لله الحجة البالغة قال تعالى: (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [النحل:١١٨].

واعلم -رحمك الله- أن للاسم (اللطيف) عجائب وغرائب، فمن لطفه أنه منزه في عين التشبيه، فهو مع كونه عين كل صورة في الوجود، هو منزه متعالٍ عن كل صورة في الوجود، ومشبه في عين التنزيه، إذ هو مع قوله سبحانه: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ)

[الشورى:١١] وقوله: (سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الصافات:١٨٠] عين مسمى العبد؛ لأنه سمع عبده الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وفؤاده الذي يعقل به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وليس العبد إلا هذه القوى والأعضاء، فاسم العبد واقع على الحق، فللعبد على هذا شرعًا أن يقول ذات الحق عين قواي، وعين أعضائي، وهذا المعنى ألطف ما يكون.

واعلم - فتح الله عليك، وساق جميع خيراته إليك- أن اسم الله (اللطيف) له ظاهر وباطن، فالظاهر لطفه ظاهر، والخفي لطفه خفي، فأما اللطف الظاهر: فهو أن تشاهد الشدائد وسيلة للفرج، والمصائب وسيلة للنعم عند الله، بل وعند الناس، ألا ترى أن يوسف الصديق عليه السلام لولا طرحه في الجب وبيعه ولبثه في السجن بضع سنين، ما قال الملك: (وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى) [يوسف:٥٤] ثم ورث ملكه، وتزوج زوجته، وسجد له أبوه وخالته وأخوته،وأما اللطف الخفي: الذي لا يعمله إلا أهل الأسرار الذين كشفت لهم الحجب والأستار، فهو أن (اللطيف) يحول المسيء محسنًا، والمغضوب مرضيًا، والشقي سعيدًا، بيان ذلك في الحضرة الإلهية أن الله تعالى قال:(وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الأنعام:٥١] وقال تعالى: (فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ) [الشورى:٩]، وقال تعالى: (قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا) [الزمر:٤٤] فـ(الولي الشفيع): هو الله لا سواه، ومن المعلوم أن الله تعالى هو (الجبار القهار) فهو المشفوع عنده من هذه الجهة، وهو (الشفيع) عند نفسه من جهة أنه (اللطيف المحسن البر الغفار) وهذه هي شفاعة الأسماء الإلهية، فيستعين الاسم (اللطيف) بالاسم (الرءوف الحنان) وبـ(الكريم المنان) وبـ(الرحيم الرحمن) ويخاطب الحكم العدل القائل: (مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) [ق:٢٩] فيقول: يا مولاي، أنت الفعال لما تريد، وقد أعددت لعبادك دارين: دارًا جعلتها مظهر جمالك من جهة اسمك (الجميل)، ودارًا جعلتها مظهر جلالك من جهة اسمك (الجليل)، ثم قلت: «لكل علي ملؤها» (مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) [ق:٢٩].

فدار الجمال جعلتها للإنعام، ودار الجلال جعلتها للانتقام، وقد خاطبك الذي لا ينطق عن الهوى بقوله: «**والخير كله بيديك والشر ليس إليك**»(١٠٣٣).

ثم أرسلت رسولاً خلعت عليه من اسمك (الهادي) خلعة الرضا، وسميته محمدًا ﷺ:

(١٠٣٣)

لتملأ دار الجنان، وإبليس جعلت عليه خلعة اسمك (المضل) وجعلته واسطة للشر طوقته ثوب اللعنة؛ لتملأ بسببه دار النيران، فكان مظهر اسمك (المضل) فكان (الهادي) قائد السعداء إلى دار اسمك (الراضي) و(المضل) قائد الأشقياء إلى دار اسمك (الغاضب المنتقم) ولولا الهداية ما كان اسمك (الراضي)، ولولا الضلال ما كان اسمك (الغاضب)، فقلت من جهة اسمك (الراضي): «**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي**»[١٠٣٤]، وقلت من جهة اسمك (الغاضب): «**هؤلاء إلى النار ولا أبالي**»[١٠٣٥] وأنت قلت أيها (الحكم العدل) لله الحجة البالغة: **(فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ)** [الأنعام: ١٤٩] وقلت من جهة اسمك (الفعال لما يريد): **(مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)** [هود:٥٦] وليس الصراط إلا صراط أسمائك، ومن جملة أسمائك (الشفيع) كما قلت: **(لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ)** [الأنعام:٥١] ولابد للولي الشفيع أن يكون لطيفًا، وأنا يا مولاي اسمك (اللطيف) فكن من جهتي شفيعًا عند نفسك، وأنفذ كلام نبيك بما وصفك به من أن الخير كله بيدك، والشر ليس إليك، فأنعم من اسمك (المنعم) على الجميع، فأنت (المنعم) وأنا الشفيع إليك من معنى لطفك الذي هو مدلولي، ثم يستعين بالاسم (الحنان) فيقول إليه: فما تقول أيها الاسم (الحنان)، فيقول: نطقت بالحق، وأنا (الكريم المنان)، ولكن لابد من رفع القصة إلى (الرحمن)، فيقول الاسم (الرحمن) لا يجيب لهذا الأمر إلا الله الذي **(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ)** [الرحمن:٢٩] فإنه القائل: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** [البقرة:١٨٦] فيقول الله تعالى: أنا الاسم الجامع، فأنا الذي فعلت ما قدرت، وأنا الذي أخذت وانتقمت، ومن اسمي (المتجاوز عن السيئات) قد غفرت وعفوت وتجاوزت، ومن اسمي (المبدل السيئات بالحسنات) جعلت الخطايا عين القربات، فقد بدلت إحنتي بمنتي، وانتقامي برحمتي، وذلك من حكمي اسمي (الماحي لنقمتي)، وأثبتت من اسمي (المثبت) لجميع عبادي كرامتي ونعمتي، ألا ترون ما قلت: **(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ)** [الأنعام:٥٤] وأنا من اسمي (الواسع) وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، ومن اسمي (الجامع) جمعت حاكمًا ومحكومًا به، ومحكومًا عليه وحكمًا، فقد فعلت وسمعت، وأجبت وعلمت وأبصرت، وفي نفسي الجميع شهدت، ومن اسمي (الخبير الواجد) خبرت ووجدت، فلولا الإساءة ما كان إحساني، ولولا الذنب ما كان غفراني، ومن اسمي (الضار) قتل الشقي السعيد لينفعه اسمي (النافع)، ويرفعه الاسم (الرافع) لرتبة (الشهيد)، وبحكم

([١٠٣٤])

([١٠٣٥])

الحقيقة أنا (القاتل)، وبجميع هويتي جمعت الناقص والكامل، فأنا الله (ذو المعارج) ولكل مظهر من مظاهري معراج، ولكل سالك إليَّ طريق ومنهج، فليتخذني عبادي وكيلاً، فبلطفي الخفي أجعل لكل إلى الخلاص سبيلاً، فإني على ما أشاء قدير، والحكم لله العلي الكبير.

واعلم -روَّحك الله بروح الأنس، ونبهك على علم الحقيقة النفس- أن الاسم (اللطيف) من معناه: تنزل العزيز الجبار إلى رتبة الاحتياج والافتقار، فمن ذلك ما ورد في الحديث القدسي: «**جعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ومرضت فلم تعدني**»(١٠٣٦) فيقول المخاطب بذلك: وكيف تجوع وتظمأ وتمرض، وأنت رب العالمين؟! فيقول الله تعالى: «**أما بلغك أن عبدي فلانًا جاع فلم تطعمه، أن عبدي فلانًا ظمأ فلم تسقه، وأن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، فلو فعلت لوجدت ذلك عندي**»(١٠٣٧) أي: شهدت وجودي الواسع هو القائل لذلك، فـ(اللطيف) هو الذي يشتمل وجوده كل شيء، فيذوق ما ذاقه كل شيء، ولهذا توجه على إيجاد الملائكة وعلى إيجاد الجان؛ لتشكلهم بالأشكال المتنوعة، وذكر سيدنا الإمام محيي الدين ابن عربي -قدس سره- أن الاسم (اللطيف) هو المتوجه على إيجاد جهنم بمعاني: «**كذبني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وأما شتمه إياي فقوله: أن لي صاحبة وولدًا**»(١٠٣٨) فمن لطائف هذه الشكوى غضبت لأذى الحق، وقمت بنصرته وتغيظت وزفرت، كما قال تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾ [الملك:٧] ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢] فتخطف أعداء الله من مسيرة خمسمائة عام، ولو تجلى عليها باسمه (القهار) كما يزعمه من لم يتوغل في علم الحقائق والأسرار، لذلت تحت القهر الإلهي، وخضعت ولم يكن لها أن تتكبر على أعداء الله، ألا ترى أن (الجبار) حينما ما يضع قدمه فيها تقول قطٍ قطٍ، وتفنى من تجلي الجبروت الإلهي، وينبت في قعرها شجر الجرجير، وهنا سر بديع لا يتحققه إلا من تمكن في علم الأحدية، وهو أن جمال الجنة ما بدأ إلا من باطن الجلال، وجلال النار ما بدأ إلا من باطن الجنة، وهذا ضد ما عليه عامة القوم من أن الجمال يبسطهم، والجلال يقبضهم، فمذهب الشيخ الأكبر أن الجلال هو الذي يبسط، والجمال هو الذي يقبض، وهذا حال الكمل الأكابر من أهل الله، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ

(١٠٣٦)

(١٠٣٧)

(١٠٣٨)

﴿يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨] فلما أكل ﷺ تمرًا وشرب ماءً عذبًا باردًا، قال: «**هذا من النعيم الذي تسأل عنه**»(١٠٣٩) ولهذا قال الشيخ الأكبر في كتابه «روح القدس»: فالعارف يأكل الحلوى والعسل، والمحقق الكبير يأكل الحنظل، فقد نغصَّ الله في الدنيا عيش الأكابر، حيث قال لأهل التنعيم واللذات في الدنيا: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠] ولذا كان ﷺ إذا اجتمع عنده السمن واللحم أكل إحداهما وتصدق بالآخر، والحاصل أن من أحب أن يرى ما في طي الاسم (اللطيف) من العجائب والغرائب، ويشاهد ما حواه من الأنعام والمواهب، فلينظر لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [فصلت:٣٤] وأحسن من دفع السيئة بالسيئة دفعها بالإحسان، ومحوها بالفضل والامتنان، لينقلب الأعداء إلى الأحباب والخلان، وحيث أمر الحق بذلك الإنسان، فكيف لا يفعله وهو (الرحيم الرحمن)؟!

ويبدل بلطفه النيران بالجنان، وأخفى من هذا اللطف لطفه في قوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة:١٢٨] وحيث إنه من أنفسنا فهو منا ونحن منه، ولا نخرج بحال من الأحوال عنه فما ينسب إلينا ينسب إليه، وكل واقع علينا فواقع عليه، فهو صاحبنا في السفر، وخليفتنا في الأهل والمال والولد، له مالنا وعليه ما علينا، فهو لباس لنا ونحن لباسه، ولقد فتح لي الاسم (اللطيف) كنوزه، وعرَّفني خفاياه ورموزه، وسقاني مختوم رحيق ذاتي وأدارها علي بأقداح أسمائي وصفاتي، فمحا عني أتراح النوى، وشفاني برضائه الذاتي لما نويت هو ولكل امرئ ما نوى.

وقال: لا أدعك يلتقمك صوت الصورة، بل أحييك بحياتي المستورة، فاتخذني لك صاحبًا، ولا تذهب عني مغاضبًا، وأين تذهب ووجهي هو الظاهر في جميع الصور؟! وهاك منى ما يقر النفس والعين، ويغني باليسير منه كافة الثقلين، حبيبي لا تقل كما قال أبو يزيد: لو أن الله تعالى أعطاني الشفاعة بكافة بني آدم لم يكن ذلك عندي عظيمًا؛ لأنه ما شفعني إلا بلقمة طين، ولكن قل: لو شفَّعني الله بالجن والأنس لم أرَ الشفيع سواه، وكذلك ما المشفوع له إلا إياه؛ لأنه هو (الظاهر) في مظاهر الوجود، فينسحب عليه أسماء كل موجود، وكذلك هو المشفوع عنده من جهة أنه (شديد قوي، قهار، متكبر، عزيز) فشفاعته من كونه (الرءوف الرحيم) و(العفو الكريم) يغفر الذنوب، ويجير من العذاب الأليم، والحاصل أن المعرفة بالله تقضي وتحكم على العارف أنه إذا فعل أمرًا مقيدًا به من شفاعة أو رحمة أو كرم، يشهده من الشفيع المطلق، أو الرحيم المطلق، أو الكريم المطلق بل منه

(١٠٣٩)

وإليه، وكل أمر يدور عليه، ولذلك قال سيدنا في «ترجمان الأشواق» مشيرًا لاندراج التقييد في الإطلاق:

مرضـــى مـــن مريضـــة الأجفـــان   عللانـــــي بـــــذكرها عللانـــــي

يريد بمريضة الأجفان: الحضرة الإلهية، وأجفانها كناية عن الأسماء الحاجبة للعين الذاتية، كما تحجب الأجفان العين من غبار أو أذى، وكذلك الأسماء تحجب الذات أن تدرك للأبصار، كما قال العفيف قدس سره:

حجبتهـــا الصـــفات والأســـماء   أن تـــرى دون برفـــع أســـماء

والمرض في اللغة: هو الميل فكأن المريض هو مائل عن صحة الاعتدال، اعتدال الأحدية إلى كثرة المظاهر الوجودية لسر، فأحببت أن أعرف، فكان الشيخ الأكبر يقول: ميلي إلى مشاهدة المظاهر، واختلافهما في الصور والأحكام أصله من ميل الحضرة المعبر عنها بمريضة الأجفان، فإليها ينسب هذا المقام، وقوله: (عللاني بذكرها عللاني) أي: بالذكر الذي به تذكر نفسها، فهي الذاكرة المذكورة، وقوله: (عللاني) بصيغة المثنى: يريد اللسان والقلب، والحق جعل نفسه لسان عبده الذي ينطق به، كما أنه قال: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»(١٠٤٠) أي: أسقياني المرة بعد المرة من شراب الأحدية بكاسات الواحدية من الخمرة الأزلية الأبدية، وهي التي قال عنها سلطان العاشقين ﷺ:

يقولـــون: خبِّرنـــا فأنـــت بوصـــفها   خبيـــر أجـــل عنـــدي بأوصـــافها علـــم
صـــفاء ولا مـــاء ولطـــف ولا هـــوى   ونـــــور ولا نـــــار وروح ولا جســـــم

(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي)ٱلسَّبِيل [الأحزاب:٤].

وارد أحدى وسر أذلي أبدي

قال الله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ) [الصف:٥] هاهنا بحث هل الأسماء والصفات عينت لظهورها الاستعدادات؟ أو الاستعدادات هي التي عينت معاني الأسماء والصفات؟

فبالقول الأول: الأسماء والصفات هي الأصل، والاستعدادات هي الفرع.

وبالقول الثاني: الاستعدادات هي الأصل والأسماء والصفات هي الفرع، والآية القرآنية شاهدة بذلك؛ لأن الله جعل إزاغة قلوبهم في حضرة الوجود تبعًا لما علمهم عليه حال الثبوت، إذا لم يقل: فلما أزاغ الله قلوبهم زاغوا، بل قال: (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ)

(١٠٤٠)

وبيان ذلك أن الاستعدادات من فيض الأحدية، والأحدية أحدية لذاتها، فلا تقبل تعيين الكثرة الوجودية، ومن هذا المعنى يقول الشيخ الأكبر في كتابه «عقلة المستوفز»: أن الله علم نفسه فعلم العالم، فعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بالعالم، فالاستعدادات مكشوفة للحق من كشفه أحدية نفسه؛ لأنها حقائق اسمه (الباطن)، فكل استعداد تجلى له من الأسماء الإلهية ما يناسب معناه في حضرة الأحدية التي علم الله بها ذاته بالتجلي الباطني الغيبي، وهذا معنى قول الشيخ الأكبر: بأن العلم تابع للمعلوم، وبذلك كانت الحجة البالغة لله، وورد الحديث القدسي بذلك، من أن الله تعالى يقول: «**يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم**»[١٠٤١] أي: من إحصائي لذاتي، ثم «**أردها عليكم**» أي: حين كشفي لكم عنها، تشهدون أنفسكم بكشف نفسي بكم أنفسكم من معرفتكم بي، وأنا في ذاتي لا أسأل عن ذاتي لِمَ كانت هكذا ولم تكن هكذا؛ لأن هذه الحضرة من وراء الأفعال، فلي في ذاتي الحجة البالغة، وفي الحقيقة هي حجتكم البالغة، وهذا هو انشقاق سماء الأحدية الواردة بالورود الأحدي الصابغ لكل حقيقة بما هي عليه (**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ**) [الأنبياء:٢٣] إذ هذه الحضرة ليست حضرة السؤال، وعن هذا الانشقاق والانكشاف يقول الله تعالى: (**فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ**) [الرحمن:٣٧] (**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ**) [الرحمن:٣٩] إذ السائل عين المسئول، والمحتج عين المحتج عليه، فالمحتج عليه في هذا المشهد هو الذي له الحجة البالغة، فالله تعالى في هذه الآية الكريمة كشف سر القدر بحقيقة ما هو عليه قال: (**وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ**) [هود:١١] أي: لأن ما أعطيناهم في الوجود إلا ما هم عليه في حضرة ذات الثبوت (**وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) [البقرة:٥٧] أي: ثبوتًا؛ أي أن الظالم والمظلوم حقيقة واحدة أحدية، فلا ظالم ولا مظلوم، بل الأسماء والصفات اقتضت ما عليه الذات، قد علم كل من الأسماء والصفات مشربهم من الذات، وهذا هو شراب العين، ولذا قال الله تعالى: (**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ**) [الإنسان:٦] أي: أهل مشاهدة الذات (**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**) [الإنسان:٦] أي: بهم ظهرت تلك العين، فهم الأصل في تفجيرها من ذاتهم المقتضية للأسماء والصفات، وهذا التفجير تجلي ذاتي غيبي إحدى باطني بحقائق شئون اسم الله (الباطن) أزلاً بلا أولية، وأبدًا بلا آخرية، وفي هذه الحضرة لا يُوصَف الحق بأنه مختار؛ لأن الاختيار للأفعال، وهذه الحضرة لا تسلط عليها الأفعال، بل لها في ذاتها مطلق الغنى والكمال، فعلى هذا القول وهو قول الشيخ الأكبر: إن الاستعدادات الذاتية التي هي شئون الذات الأولية هي التي انجلت في مرآة العلم الإلهي الذاتي، فكشف العلم مراتب

[١٠٤١]

الذات بما هي ثابتة عليه، فُأعطي كل استعداد ذاتي من أسمائه وصفاته ما يطابق معناه، فلذا قال: (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ) [الصف:٥] وقال: (وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ) [الأنفال:٢٣] فالاستعداد حكم على العلم الإلهي؛ لأن شأن الذات ومعناها الظاهر في مرآة العلم الإلهي، والمرآة كاشفة لا موجدة.

وأما القول الأول من أن الأصالة للأسماء الإلهية والحقائق الحكمية التي هي قوابلها هي التابعة لعلم الحق فيها، فهو قول الأستاذ الكبير سيدي عبد الكريم الجيلي -قدس الله سره- فالاستعدادات وإن كانت قديمة في العلم الإلهي المطلق، ولكن محكوم عليها بالحدوث في نفس تلك الحضرة، حكمًا تقتضيه مرتبة (الحق الفعال لما يريد)؛ لأنه حدوث زماني، فالأعيان الثابتة عنده، وإن كانت قديمة في العلم الإلهي، لكنها محكوم عليها بالحدوث؛ لاستنادها إلى موجد يوجدها، فلا يصح على المخلوق اسم القدم، قال ﷺ في باب القدم من كتابه «الإنسان الكامل»: وهذه مسألة أغفلها أئمتنا، فلا يوجد في كلام واحد منهم إلا ما يعطى الحكم بقدم الأعيان الثابتة، ألا ترى أن الكثرة من فيض الواحدية، فلولا الواحد ما ظهرت الأعداد، فوجود الواحد في نفسه مقدم على ظهور الأعداد منه، فلا تلحق به في القدم، فله الأصالة في الحكم (إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [العنكبوت:٦].

والجواب من الشيخ الأكبر ﷺ عن هذا المعنى: بأن اسم (الواحد) هو الذي له الأصالة في ظهور اسم الاثنين والثلاثة إلى ما لا يتناهى، فاسم (الواحد) هو الذي يمحو الأعداد باسمه ويثبتها بتكاثره، بخلاف ذات الواحد فإنها تقتضي ثبوت مراتب الأعداد على الكمال والذات من وراء الأسماء، لولا أن ذات (الواحد) هي التي تقتضي ثبوت جميع المراتب لم تكن الذات في نفسها كاملة؛ لأن الذات غنية حتى من أسمائها، إذ الأسماء والمسميات مندرجة بها، فبهذا الاعتبار من وراء الاسم القديم، ومن وراء الاسم (الواحد)، فكلام الشيخ الأكبر من مقام الذات، لا من مقام الأسماء والصفات، ويشهد لهذا المعنى قوله في «رسالة المشاهدة»: باسم (الواحد) نفنى وبذاته نبقى أي: لأن الاثنين أو الثلاثة مثلاً مندرجة باسم (الواحد) فلا تخرج عن حقيقة معناه من حيث الاسم، وأما مرتبة الاثنين والثلاثة، فلا يمكن انفكاكها عن ذات (الواحد) وإن فنيت باسم (الواحد) فمرتبتها ثابتة بثبوت ذات (الواحد)، فباسمه تفنى وبذاته تبقى، فشأن الذات من وراء العلم حكمًا، وإن كان العلم عين الذات، فشئون الذات حاكمة محكومة، قال الله تعالى: (وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا) [مريم: ٧١] والذي يظهر من قول الله تعالى: (كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا) [مريم: ٧١] أن هذا القضاء من ذات العلم، أي: من مدلول اسم الله

(الباطن)، وذلك هو الاستعداد الذاتي لذات الله، فالقضاء الذاتي تبعه القضاء العلمي، فهو حتم على مقام الربوبية؛ لأن عين الهوية الإلهية التي يستحقها بقوله عن نفسه هو، فالاسم (الحكم العدل) وإن كان حاكمًا بالورود ظاهرًا، فهو محكوم لذات الله باطنًا، وذلك سر القدر الذي نبه عليه الشيخ الأكبر في كتابه «فصوص الحكم» في فص العزير عليه السلام ومن حقيقة هذا (الواحد) بلاء أيوب، وذبح يحيى، ونشر زكريا، وموت الأنبياء من الجوع ، وموت محمد-صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين- من أكل الذراع المسموم، حيث قطع السم أبهره، والبلايا المتنوعة المؤلمة غاية الألم الظاهرة في الأطفال الرضع مع براءتها، وعدم استحقاقها للعقاب، فاعتذار الله مقبول عن هذه الأشياء كلها، وهو بريء الساحة من الظلم، فلا حاجة لما قاله المعتزلة: إن الإنسان يخلق ذنوب نفسه، وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، زعمًا منهم أننا في مسألة القضاء والقدر جعلنا الله ظالمًا حيث قدَّر الذنوب، وعذَّب عليها، مع قوله تعالى: **(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)** [الكهف:٤٩] فليت شعري لماذا كان صبورًا على الأذى، كما قال ﷺ: **«لا أحد أصبر على أذى من الله، وهو على ما يشاء قدير»**[١٠٤٢] فصبره على الأذى هو عين ما تحمله الأطفال الرضع من تنوع الأسقام واختلاف الأوجاع والآلام.

وقد أشار الشيخ لهذا المعنى في كتابه «ترجمان الأشواق» بقوله:

يحـــن الحبيـــب إلـــى رؤيتـــي وإنـــي إليـــه أشـــد حنينـــا
وتهفـوا النفـوس ويـأبى القضـاء فيشـكو الأنـين وأشـكو الأنينـا

ألا ترى قوله: **«كذبني ابن آدم»**[١٠٤٣] فهذه شكوى، ولكنه صابر على ذلك، وشكواه إلينا لا تنافي صبره، فذلك بمثابة البلايا التي تصيبنا، وشكوانا إليه لا تنافي صبرنا، فإن أيوب عليه السلام شكا إليه مع قوله: **(إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ)** [ص:٤٤] فالشكوى تنافي الصبر إن سخط القضاء والقدر، قال ﷺ في المريض: **«دعوه يئن؛ فإن الأنين اسم من أسماء الله»**[١٠٤٤] ولما شكا لنا تكذيبه قال: **(إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ)** [محمد:٧] وأي حاجة لنصرنا له مع قدرته، ولذا قال الشيخ الأكبر: القدرة لا تؤثر في القدر، ولكنها تؤثر في المقدور بشاهد القدر، فالقدر عين الذات الإلهية، فلذلك لما سُئِل ﷺ فقيل له: أيدفع الدواء

([١٠٤٢])

([١٠٤٣])

([١٠٤٤])

القدر؟ قال ﷺ: «**الدواء من القدر**»(١٠٤٥).

فالذات عين الداء وعين الدواء، وعين المعذِّب وعين المعذَّب، فالكل منه وإليه، وكل حكم فمبدأه منه وواقع عليه، فكل حاكم محكوم عليه من الأسماء الإلهية في عين الذات الإلهية، فهو أرحم بالولد من أمه وأبيه، ومع ذلك فالقدر الذاتي غالب ألا ترى قوله:(**وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ**) [يوسف:٢١] أي: ذات الله تغلب أحكامه، والحاصل أن الشيخ الأكبر: يقول بأن الحق يتنوع بتنوع الاستعداد، فيختلف التجلي لاختلاف الاستعداد، وذلك مفاد قوله تعالى: (**سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ**) [الأنعام :139] وكذا قوله تعالى: (**وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**) [النجم :٣٩] فوصف الإنسان وسعيه هو المؤثر في حقيقة الأمر، فيكون الجزاء الإلهي بمنزلة المرآة للاستعداد الذاتي الذي عليه الإنسان، وأما مذهب الغوث الجيلي ﷺ فهو أن الاستعداد يتنوع بتنوع أسماء الحق وصفاته، وذكر الإمام المحقق سيدي عبد الغني النابلسي ﷺ في شرح «فصوص الحكم» في الكلام على فص شعيب ﵇ : إن كلام الشيخ الأكبر في استعداد العبد، إنما هو من تجلي الأحدية الذي له الأزل من حضرة الاسم (الباطن)، وكلام غير الشيخ الأكبر في الاستعداد، إنما هو من جهة الظهور الوجودي من فيض الواحدية الذي له الأبد، والواحدية حضرة اسمه (الظاهر)، كما أن الأحدية حضرة اسمه (الباطن)، فمشرب الشيخ الأكبر ذاتي، ومشرب غيره صفاتي.

أقول نحن ندور مع كلام الله المنزل كيفما دار، وندور مع السنة المحمدية كيفما دارت كما قيل:

أسير إلى نجد إذا نزلت به وارحل نحو الغدر إن فيه حلت

فكل آية منزلة، أو حديث قدسي عن الله، أو نبوي عن رسول الله ﷺ نصٌ على أمر خاص نقف عنده ونأخذ به في محله، وكذا إذا أتى النص بما يخالف النص الأول، نقف عنده ونأخذ به في محله، والكل صحيح عندنا، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما يفعله المتعصبون من الجهلة، وما أحسن ما قاله الإمام مالك ﷺ حيث قال: ما منكم إلا من رد أو رُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر الشريف، فنحن ولله الحمد ممن يعرف الرجال بالحق، لا ممن يعرف الحق بالرجال، وهذه المسائل كالهيولي والصورة، فلولا الصورة ما ظهرت الهيولي، مع أنه ليس للصورة حقيقة إلا الهيولي، وكذا الأمر في الأسماء الإلهية والاستعدادات، فكل منهما أظهر الآخر، ألا ترى أن ظن العبد يؤثر بالحق، فيكون عند ظن العبد مع أن العبد وظنه من خلق الله، وهذا من أعجب الأمور وأغربها (**وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ**

(١٠٤٥)

وَهُوَ يَهۡدِى)ٱلسَّبِيلَ[الأحزاب:٤].

وارد الانقلاب من السراب إلى الشراب

قال الله ﷻ : (**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ**) [**النور:٣٩**] يقول الله تعالى: (**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ**) أي: ستروا ظهور الله بأنفسهم، التي يزعمون أنها هي الظاهرة، والله غيب باطن، ويظنون أن وجوده المنسوب إليهم هو وجودهم لا وجوده، بل وجوده عندهم لا يعرف، ووجودهم هو المعروف (**أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ**) أي: بجامع الوهم في كل من أعمالهم والسراب، فكما أن السراب أمر موهوم وهو لا شيء، كذلك أعمالهم هي موهومة لا شيء، من جهة إضافتها إليهم، أي: هي ليست بأعمالهم؛ لأن الوجود الذي نسبوه لأنفسهم موهوم لا شيء، والموهوم لا يصدر منه إلا الموهوم، فأعمالهم ليست أعمالاً في حقيقة الأمر، ولو كانت أعمالاً لاستحقت الجزاء (**يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً**) يعني: أن الظمآن المشتاق إلى شرب الماء يحسب السراب ماءً، كما أن هؤلاء الكفار ظامئون، مشتاقون إلى الرحمة، فيحسبون أن أعمالهم المنسوبة إليهم بحسب زعمهم ماء حياة الرحمة الإلهية، مع أنها شراب الأوهام الخيالية، فهي أوهام في الحقيقة وصورها نيران وأغلال، وحيات وعقارب، وزقوم وحميم في بادي الرأي؛ لأنها من جهة نسبتها إليهم سراب، فجزائها الوفاق في حقيقة الأمر سراب، ولكن الحجاب أوهمهم بها العذاب، وكل ذلك من نسبة الوجود إليهم، مع أن الوجود وجود الله، والأعمال أعمال الله، فإذا كشف الله لهم الحجاب لم يجدوها شيئًا مطلقا، حتى أن الخيال السرابي يزول عن أوهامهم، (**وَوَجَدَ ٱللَّهَ**)[١٠٤٦] عند أنفسهم أي: هو (الظاهر) بأنفسهم وبأعمالهم، وذلك حين التجلي من الاسم (الجبار) المشار له في الحديث بوضع القدم، فينقلب سراب الأوهام إلى شراب التحقيق والإنعام، فيعلمون أن الله هو (الحق المبين) أي: الكاشف فاستدرجهم إليه من حيث لا يعملون، أي: طريق سلكوا إليه فيوفيهم حسابهم بشرابه الذاتي، ويزول ظمؤهم الوهمي إلى مشاهدته، مع أنه في حقيقة الأمر لا ظمأ إذ هم عين منبع الشراب، وعين الساقي من الأكواب، فما ألطف الله تعالى في مكره واستدراجه، فما سمى نفسه (خير الماكرين) إلا من جهة أن مكره خير لا شر، قال ﷺ: «**الخير كله بيديك والشر ليس**

(١٠٤٦) أي: وجد الطريق إليه، وقال أيضًا: كل منا دون الله فهو فقير، وكل قلب فيه محبة ما سوى الله؛ فهو فقير، وفقير عن الحق، وعن معرفته، ويعلم أنه تاه قوم في ميدان الجهد فتخلفوا عن واجبات الحق، وظنوا أنهم يصلون بجهدهم إلى الله، وما وصل أحد إليه إلا من سبق له من الله العناية، والمجتهد في مجاهدته.

إليك»(1047).

فالنار التي أعدها للكافرين هي الخير في حقهم في باطن الأمر ألا ترى قوله تعالى: (مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ) [الحديد: 15] أي: لو انتبهتم (وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)مع الحجاب عن مولاكم، وبيان هذا السر وكشفه من أصله أن الله تعالى قال: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً) [الإسراء: 84] والأشقياء في استعداداتهم الذاتية التي هي من شئون ذات الله التي لا أول لها؛ لأنها حقائق عدمية أصلية، فهي عين الاسم (الأول) لا أنه لها أول، ولذلك يكون العلم الإلهي كاشفًا عنها بكشف معلومه الذي هو ذات الله، فهذه الشئون الذاتية لذات الله تعالى مشاكلة لاسمه (المضل)، فدعاهم الله تعالى من شئون هذا الاسم، وشئونه ما هم عليه في استعداداتهم الذاتية، فأضلهم الله تعالى عن أعمالهم المضافة إليهم؛ ليهتدوا إلى العامل الحقيقي كما قال تعالى: (وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) [**الفرقان: 23**]فقوله: (فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) هو وظيفة الاسم (المضل) الذي أضلهم عنها؛ ليخرجهم عن أنانيتهم التي يزعمون أنها غير أنانية الله، فما فعل بهم إلا الخيرة في حقهم، فلذلك شبهها الله بالسراب الوهمي، فلما جاءوها لم يجدوها شيئًا (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) [البقرة:166] فوصلهم بصلة قوله: (وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ) [النور: 39] أي: لما أفناهم عن دعوى الوجود وجدوه عندهم فوفاهم حسابهم، وحسابهم ما لله من الأسماء والصفات المندرجة في الاسم (الله) الذي وجدوه عندهم، فكانت جميع الأسماء عندهم من حكم الأحدية، فكان ضلالهم عند هذا الوجدان عين الهداية والإحسان، فأشار الاسم (المضل) إلى ما في باطنه من السر بقوله: (قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا) [مريم: 75] وأما المؤمنون بالله بأنه هو (الظاهر) فهم أهدى سبيلاً، وأقرب في الوصول إليه، فإنه دعاهم من الاسم (الهادي) فالهداية فيهم ظاهرة لا باطنه، ولذلك قال الله في حقهم: (وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا) [الكهف:49] فنودوا من مكان قريب؛ لأنهم عملوا على شاكلة الاسم (الهادي) المشاكل لاستعداداتهم الذاتية التي تقدم الكلام فيها، والأشقياء نودوا إلى الهداية من مكان بعيد، أي: من حضرة البطون لا من حضرة الظهور، فهذا سر قوله: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ) [الإسراء: 84] وداره التي هي مأواه على شاكلته، وهذا سر قول آدم عليه السلام : «أختار يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة» فوافق قوله قول ولده محمد ﷺ يخاطب في دعائه ربه مثنيًا عليه

(1047)

حيث قال: «**والخير كله بيديك، والشر ليس إليك**»(١٠٤٨).

وقد كشفنا لك سر القدر فلا تعترض على الله في أقداره، وسَلّم الأمر إليه، فـ(اللطيف) -جل وعلا- من حكمته وخيرته ما عامل أحدًا إلا بما يصلح له باطنه، وإن لم يصلح في بادئ الأمر.

ألا ترى اللطيف جل وعلا أمر محمد ﷺ بمنشور: **(قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)** [الكافرون:١،٢] فأشركهم في معنى العبادة، مع قوله: **(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ)** [الإسراء:٢٣] والقضاء حكم لا أمر، فصح قول الله تعالى، ونفذ مراده في قوله: **(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** [الذاريات:٥٦] إلى أن قال في السورة: **(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)** [الكافرون:٦] وفي قراءة: **(ولي ديني)** فجعل لهم دينا وما أخرجهم من الدين، والدين عند الله الإسلام، وهو الانقياد لما تقضى به الأسماء الإلهية، على ما يشاكلها من الاستعدادات الذاتية، قال تعالى: **(كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)** [الإسراء:٢٠] فدخل الكل في الدين من جهة الاسم الباطن، لا من جهة الاسم الظاهر، ومحمد ﷺ ما كان رحمة للعالمين إلا من حكمه المطلق الظاهر والباطن، ولذلك حكمة الله لما قال: يا رب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، فأجابه بقوله: **(فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)** [الزخرف:٨٩] فهو في الظاهر شفيع، وفي باطن الأمر هو صاحب الحق ولو لم يكن صاحب الحق لم يكن لقوله: **(فَٱصْفَح عَنْهُمْ)** ثمرة ومزية.

فتنبه لهذه الأسرار فإن الاسم اللطيف أرضعني ثديه، فانتبهت لألطافه الخفية، والسراب ما يراه الشخص نصف النهار كأنه ماء، والقيعة جمع واحدة قاع، والقاع: الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال، ومعنى كون **(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ)** [البقرة:٢٢] أن يتجلى على الإنسان بتجلي، فيكشف له عن عينه الثابتة من ثبوت ذات الله، كما قال: **(فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ)** [البقرة :٢٣] وهذا من حكم اسم الله المبين، فيبين لكل إنسان حقيقة نفسه الذاتية، وهي في عدمها الأصلي، ويكشف له عن استعداده الذاتي أذلاً وأبدًا، وذلك معنى قول الله تعالى: **(يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)** [القيامة:١٣] أي: سواء أكان مؤمنًا أم كافرًا بما قدم وأخر **(بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ)** [القيامة:١٤].

(١٠٤٨)

وهنا نكتة؛ لأنه تعالى لم يقل ذو بصيرة، والبصيرة هي النور وحقيقة الله أنه نور السماوات والأرض، فيعلم الإنسان نفسه من علم الله بنفسه، فيظهر له قول الله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام:١٤٩] فيعلم أنه هو المسمى بالشقي والسعيد، فللشقي الحجة البالغة بما هو عليه؛ لأنه هو الظاهر في معاني الشقاء من جهة الاسم الظاهر والباطن فيه بما هو عليه في استعداده الذاتي الغير المجعول، وكذلك السعيد، فله الحجة البالغة في كل مظهر بما هو عليه ذلك المظهر، ولذلك بين حجته بقوله: (وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) [النحل:٩] أي: لكنه لم يشأ، فليست حجته البالغة إلا بكونه عين الجميع، ألا ترى إلى ما حكاه الله عن الأشقياء من علم التحقيق حيث يقولون: (قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ) [المؤمنون:١٦] أي: استعدادنا الذاتي لقبول الاسم المضل، وكنا أي: في أعياننا الثابتة أذلاً قوما ضالين، أي: نحن معاني اسمك المضل، وشئونه الذاتية الأولية الأصلية، بلا أولية ثم قالوا كما حكى الله: رَبَّنَآ(أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ) [المؤمنون:١٧] أي: إن كانت قدرتك تؤثر في القدر، أخرجنا منها، أي: من النار التي هي صورة ما كنا عليه من أعمال الشقاء (رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ) لكن الحقيقة تأبى ذلك ولا يبدل القول لديك، ولا تبديل لكلمات الله، فكأنهم يقولون نحن ما خرجنا عن مرادك، فإنك القائل: (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام:١٤٩] فلما قامت لهم الحجة البالغة بالنص القرآني، جنح إلى السلم وستر الأمر، بقوله: (ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) أي: حيث انكشف لكم الأمر، لم يبق للكلام محل، وما كل ما يعلم يقال، ولذا قال سهل بن عبد الله ﵁: إن للربوبية سرًّا لو ظهر لبطلت الربوبية، أشار لقوله تعالى: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) [مريم:٧١].

فالحاكم عاد هو المحكوم عليه، فإن عذب فهو الحامل للعذاب، ولذلك تسمى بالصبور، فيتحلى على أهل النار باسمه الصبور، فيكون صبرهم أقوى من ألم النار، وجبرهم أعظم من جبرها، وذلك بعد كشف الحجاب لهم، وأما حين الحجاب يصطرخون فيها و يقولون: وَنَادَوْاْ(يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ) [الزخرف:٧٧] لأنهم حال الحجاب لا يموتون، ولا يحيون، ولكن يتكلمون ويختصون، وأما ثوبه تعالى: (ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون:١٨] يتجلي لهم بما يقتضي انكشاف حجة الله البالغة، وسر ذلك قوله تعالى: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ) [الرحمن:٣٩] أي: لأن المسئول في حضرة الكشف عين السائل، فإذا تجلت الأحدية فأين

السائل والمسئول؟ بل الأحد هو الذي يقول للشيء: كن فيكون.

فإن قلت: إن الله قال ذلك يوم الوعيد، وأنت وأستاذك الشيخ محيي الدين أنكرتما الوعيد حيث قال في كتابه «فصوص الحكم» في الفص الإسماعيلي:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده   وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنه   على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد   وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابا من عذوبه مطعمه   وذاك كالقشر والقشر صائن

ولا يخفى أن الوعيد هو التهديد بالبطش والانتقام وإذا كان العذاب عذب الطعم، فهو من قبيل الفضل والإنعام، فهل نؤمن بكلام أستاذك وكلامك؟ أم بكلام الله؟ نطلقه عند الإطلاق منه، ونقيده عند التقييد منه، ونسير مع القرآن والسنة كيفما يسيران، ولا نستبد بقول من رأينا، ولا نتكلم بشرع لم يأذن الله ألبتة.

والجواب عن ذلك وبالله الاستعانة: أن الذي نسب الشيخ الأكبر إلى إنكار الوعيد لم يتدبر قوله: (لم يبق إلا صادق الوعد وحده) مراده ﷺ: أن صدق الوعد من مكارم الأخلاق؛ لأن الله مدح به نبيه إسماعيل عليه السلام وما من صفة مع مدح من الله إلا وهو أولى بها، ولاسيما وقد قال ﷺ: «**لا شيء أحب إلى الله من أن يمدح**»[١٠٤٩] وصدق الوعد مما يمدح به عند العرب، الكرام لا صدق الوعيد، والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

وقال بعض كرام العرب:

وإني إذا أوعدته أو وعدته   لمخلف أبعادي ومنجز موعدي

فالله أولى حينئذ بمكارم الأخلاق من هذا الكريم الذي وصف نفسه بصدق الوعد، وأخلاق الوعيد، فقوله ﷺ: (وما الوعيد الحق عين تعاين) بضم التاء وفتح الياء، أي: ليس له عين أي حقيقة تعاين في مقام الصدق، ولا يسمى هذا في حق الله أخلاقًا، بل تجاوزًا وصفحًا جميلاً قال الله تعالى: (**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ**) [الأحقاف:١٦] وقال: (**وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ**) [الحجر:٨٥] والصفح الجميل أن يكافئ السيئة بالإحسان، قال تعالى: (**إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا**) [الفرقان:٧٠].

(١٠٤٩)

فالشيخ الأكبر ﷺ لا ينكر أصل الوعيد؛ لأنه مذكور في القرآن، بل ينكر صدق الوعيد البتة؛ لأنه ليس من مكارم الأخلاق، ولا يسمى إخلاف الوعيد في عرف العرب الكرام كذبًا، بل تجاوز.

فإن قلت: قد ورد القصاص وأنه من العدل الإلهي، والقصاص داخل في الوعيد.

قلنا: القصاص تطهير وتزكية فهو من قبيل الوعد بالخبر، لا الوعيد بالشر، وأيضًا وعيد الله تعالى لا يخرج عن الجزاء الوفاق، كما في القرآن العظيم: **(جَزَآءً وِفَاقًا)** [النبأ:٢٦] وهو يحتمل العفو والمغفرة من الله، فلا يتحتم صدق الوعيد، لقول عيسى ﷺ: **(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)** [المائدة:١١٨].

فالوعيد إما فلا عين له في الصدق المحتم، لا أنه منكر من أصله، إذ الوعيد ثابت وإخلافه من مكارم الأخلاق، فصدقه غير ثابت، ولذلك مدح الله إسماعيل بقوله: **(إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ)** [مريم:٥٤] ولم يقل صادق الوعد والوعيد.

والحاصل أن الذي يستفاد من الكتاب والسنة أن أهل النار على قسمين منهم من هو من أهلها بالفرض، وهم الذين ماتوا على العلم بالتوحيد، فهؤلاء يموتون في النار ويدخلون الجنة كما يؤيده صحيح البخاري ومسلم، ومنهم أبو طالب عم النبي ﷺ إن لم يصح حديث: «**إن الله أحيا لي عمي فآمن بي**»[١٠٥٠].

وعندي أن قيصر الذي قال في حق النبي ﷺ: لو علمت أني أصل إليه لغسلت عن قدميه من هذا القبيل، فإنه بباطنه مؤمن، ولذلك قرأ وعظم كتاب ﷺ وأبقاه محفوظًا في خزائنه، ومنهم من هو من أهلها بالذات، وهم الذين خلقهم الله لها من الأزل، وقال: «**هؤلاء في النار ولا أبالي**»[١٠٥١] وهؤلاء يموتون فيها ولا يحيون.

ولهم أحوال ثلاثة إن كانوا في عمل خير محض فلذتهم في النار خالصة، وإن كانوا في عمل شر محض فعذابهم خالص محض، وإن كانت حالهم ممزوجة من الخير والشر فلهم العذاب الممزوج باللذة هذا ما يقتضيه قول الله تعالى: **(جَزَآءً وِفَاقًا)** قبل التجلي الرافع لحجابهم.

وأما إذا وضع الجبار قدمه في النار، فالنار تتحول إلى الأنوار، وذلك معنى قوله: **(وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ)** [النجم:٤٢] وفي هذا المنتهى تكون الحجة البالغة لله، ويكونون

(١٠٥٠)

(١٠٥١)

محل ظهور تلك الحجة البالغة، وهي تجلي التفاف الساق بالساق، فيظهر الحق ويبطن الخلق: (وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) **[القصص:٨٨]**، ومن فهم قول سيدنا وأستاذنا الشيخ الأكبر (سلام الله عليه): وبينهما عند التجلي تباين، علم أنه يتكلم على حال التجلي، لا على حال الحجاب، الذي هو قبل التجلي المذكور في قوله تعالى: (كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) [المطففين:١٥] فإذا ذبح يحيى عليه السلام الموت بين الجنة والنار، ظهر تجلي الحياة الإلهية، والحياة الإلهية لا تقبل الشقاء، فيفتح باب السور، الذي قال عنه ربنا جل جلاله: (يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ) [الحديد:١٣].

وحيث يظهر هذا الباطن عند فتح باب السور تئول النار إلى النور، فتكون بردًا وسلامًا ويتحول السراب إلى صرف الشراب، وذلك بامتنان الكريم الوهاب المعطي بغير حساب، قال تعالى: (كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [الإسراء:٢٠] وقد أفادني الوارد الإلهي فائدة، لم أرى ولم أسمع أحدًا قبلي نبه عليها، وهو: أن مراد الله في قوله هؤلاء وهؤلاء في هذه الآية، التي هي آية الإمداد، عينهم الحق في الأزل، حيث قال: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي»[١٠٥٢] فهم المرادون في قوله تعالى: (كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) أي: ليس ممنوعًا لا عن هؤلاء ولا عن هؤلاء.

فإن قلت ما العطاء؟

قلت : كشف الغطاء، فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد الإسلام وهو مقام أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام

قال الله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران:٦٧،٦٨] وقد أمر النبي ﷺ بالإسلام الإبراهيمي كما حكى الله عنه في قوله تعالى: (إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) [النمل:٩١] فلذلك أنزل الله على محمد

(١٠٥٢)

ﷺ: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ* فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) [آل عمران:١٩،٢٠].

اعلم -رحمك الله- أن الإسلام له ظاهر وباطن وسر، فظاهر ما ورد في حديث جبريل المشهور لما جاء يسأل النبي ﷺ في صفة أعرابي عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال له: يا محمد، أخبرني ما الإسلام؟ فقال ﷺ: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»[١٠٥٣].

وهذا هو الإسلام الظاهر لجميع المسلمين، وأما الإسلام الباطن فهو الانقياد للرسول، والدخول تحت حكمه، ولو بالجزية والخراج، والبقاء علي حكم التوراة الإنجيل والزبور، فإذا أمر الرسول يهوديًا أو نصرانيًا أن يبقي على دينه، وشرط عليه شروطًا خاصة، وانقاد لحكمه، فهو مسلم من هذا المعني، لا من كل وجه، وذلك قوله تعالى: (فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) [آل عمران:٢٠] وهم اليهود، والنصارى، الأميين وهم العرب (فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) أي: هل أنقدتم لحكمي عليكم؟ (فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) أي: فإن انقادوا الحكم الرسول (فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) [البقرة:١٣٧] لقوله تعالى: (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ) [النساء:٨٠].

فمن انقاد له فهو المسلم لحكمه بالذي أمره به، فلذا قال ﷺ: «**من آذى لي ذميًا فقد آذنته بالحرب**»[١٠٥٤] فاندرج الذي في حكم الإسلام لامتثال حكم الرسول ﷺ فالذميون من

(١٠٥٣)

(١٠٥٤)

هذا الوجه أمة إجابة، لا أمة دعوة فقط، ولذلك نصّ القرآن العظيم بحكم (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة:٦٢].

ومن هذا المعنى تأخذ العدالة والحرية التي انتبه لها حكام زماننا وفقهم الله تعالى، فمقصودهم الحرية المشروعة، لا أن الحرية ترك الدين كما يفهمه السفلة الأوغاد، فإنهم أبعدوا بالفهم غاية الإبعاد، وذلك من زيغ القلوب عن الأمر المرضي المطلوب، فقد عرفت باطن الإسلام ما هو.

وأما سره وخلاصته وصفوته فهو في قوله تعالى: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) [النمل:٩١] وهذا مذهب العلماء بالله من أهل الحقائق، وهم أصحاب الشراب الرائق، وقد أمر النبي ﷺ بهذا الإسلام، ولذا قال تعالى عقب ذلك: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ* وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ) [النمل:٩٢،٩١]، وقال ﷺ في ضمن كلام له: «**فإنما نحن به وله**»(١٠٥٥) فهو تفسير لقوله تعالى: (وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ) فمن خرج عن الدعوي وأسلم إلى الله كل شيء، فهو المسلم الكامل، الذي وفى توفية الخليل عليه السلام، فإن سلم ماله للضيفان، وبدنه للنيران، وولده للقربان، فوفى مقام الإسلام حقه، كما قال تعالى: (وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ) [النجم:٣٧].

فمن فهم ما قلناه، فقد فهم قول رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك**»(١٠٥٦)؛ إذ كل اسم في الوجود وهو ممن سمي به نفسه؛ لأن له كل شيء فنحن له وأسماؤنا له، فهي أسماؤه، وكل شيء له، وأسماء كل شيء أسمائه، فالعالم بالله ما يتكلم بكلمه إلا وتلك الكلمة عنده هي اسم الله، ومدلول تلك الكلمة هو وجه الله، فله ذكر باللسان من جهة الاسم ، وله ذكر بالنظر من جهة مدلول ذلك الاسم، فلا يذكر إلا هو، ولا ينظر إلا هو، وللعالم بالله أيضًا ذكر الله من جهة الفعل، وذلك لأن من له كل شيء جميع الأفعال له، فالعالم بالله يذكره في أفعاله العادية، كالأكل، والشرب، والنوم، والوقاع، وأمثال ذلك، وهذا معنى قول السيدة الحميراء العالمة بنت الصديق سعيدتنا أم المؤمنين عائشة -قدس الله سرها-: كان رسول الله ﷺ «**يذكر الله على سائر أحيانه**»(١٠٥٧).

(١٠٥٥)

(١٠٥٦)

(١٠٥٧)

فلا تغفل أيها الأخ عما نبهتك عليه، فقد أرشدتك إلى الوراثة المحمدية، والتحقق بالمجالسة الإلهية، فمن لم يفهم الأمر هكذا، لم يفهم مجالسة الحق للذاكر، وقد ورد في الحديث القدسي أن الله يقول: «**أنا جليس من ذكرني**»[(١٠٥٨)]؛ لأنه بالنسبة للسانه مذكور، وبالنسبة لنظره منظور، وبالنسبة لسمعه مسموع، وهنا سر توحيدي، لعلك تتنبه له من قوله تعالى: (**فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ**) [البقرة:١٥٢] أي: أعيد ذكري عليكم فتشهدوني إياكم، فينقلب الذاكر مذكورًا ، والعارف معروفًا، فيجد الذاكر بضاعته ردت إليه، قال تعالى: (**وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**) [النجم:٣٩] إلا ما سعي ومن جملة سعيه ذكره لله تعالى فلابد أن يرى سعيه، ويجزاه الجزاء الأوفى، فيكون منتهاه إلى ربه، فافهم.

وأما قوله ﷺ في دعائه المتقدم: «**أو أنزلته في كتابك**»[(١٠٥٩)] كأوائل السور مثل: (**الٓمٓ**) [البقرة:١]، ومثل: (**طسٓ**) [النمل:١] ومثل: (**صٓ**) [ص:١] ومثل: (**نٓ**) [ن:١]، فإن الأحرف المبدوء بها سور القرآن هي أسماء الله المنزلة، وكذا كل ما أنزله الله في كتبه من الأسماء العبرية أو السريانية، أو العبرانية، إن حملنا الكتاب على الكتاب الصامت، وإن حملناه على الكتاب الناطق، فيكون الكتاب هو الإنسان الكامل، والأسماء المنزلة عليه هي التي قال تعالى في حقها: (**وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا**) [البقرة:٣١] وفي الحديث: «**علمه القصعة والقصيعة**»[(١٠٦٠)].

فتكون كلها أسماء الله تعالى بمقتضى قوله: (**إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**) [النمل:٩١] وأما الأسماء المستأثرة في علم الغيب عنده، فهي عين الصور الباطنة التي لم تنزل من غيب البطون بمقتضى كن فيكون، ومن هذا الوجه يسمى الله بالمؤمن؛ لأن أكمل علم لله تعالى، هو العلم الذي تجلى به على محمد ﷺ ومع ذلك فقد أثبت عجزه عن علم الأسماء المستأثرة في علم الغيب عنده، فكان محمد ﷺ داخلاً في المؤمنين بالغيب، ولكن إيمانه عين إيمان الله بذاته، فإن الله هو المؤمن، والإيمان متعلقه الغيب دائمًا، ومن هنا قالوا: علم الله لا يحيط بذاته، فلو أحاط علمه بذاته له، خلت الذات تحت حصر العلم، فيزول اسم الله الباطن، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فلا تزال الذات تظهر بمعاني الأسماء والصفات، قال تعالى: (**أَفَعَيِينَا**

(١٠٥٨)

(١٠٥٩)

(١٠٦٠)

بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ) [ق:١٥] وقال تعالى: (وَلَو أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ) [الزمر:٤٧].

مثال ذلك أن يبدوا في صورة النار برد وسلام، كما بدا لإبراهيم عليه السلام وذلك بسبب إسلام الأمر إلى الله، فلا مانع أن يبدو من زقوم جهنم لأهلها ما يكون عندهم أحلى من العسل عند غيرهم، قال تعالى: (فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ) [الصافات:٦٦] فوصفهم بأنهم يملئون منها بطونهم باختيارهم، وقال تعالى: (ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) [البقرة:٧٤] مع قوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) [التحريم:٦] فتفجر الأنهار من أحجار جهنم مما لم يحتسبه أهلها، فأي دليل علي حصر قوله تعالى:وَلَوۡ(أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ) [الزمر:٤٧] في أهل الدنيا فقط، بل في القرآن دليل تحول النار إلى الجنة، قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ) [الأعراف:٤٠] والمقصود بسم الخياط صورهم الجلالية الوهمية التي كانوا يتخيلونها غير الله، فسم الخياط أثبت وأوسع من هذا الوهم، وبالجمل تجلى الجمال الإلهي الخفي فيهم وذلك سر قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ) [الأعراف:١٨٢] أي: تجعل لهم الدرجات من عين الدركات، فينقلب أسفل سافلين إلى أعلى عليين، من حكم قوله تعالى: (يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ) [الرحمن:٢٩] وشئون الله لا تتناهى، فالمراد الخلود، خلودهم بالاسم المتجلي عليهم إلى حين فراغ ذلك التجلي فينقضي يوم الخلود، أي: خلودها في ذلك الاسم، ويظهر يوم خلود آخر من معنى اسم آخر، فالخلق الجديد دائمًا أبدًا من حكم تجليات الأسماء الإلهية، ويسمي في العموم علم الاستحالات الطبيعية، والتطورات الكونية، كاستحالة الطعام في جوف الحيوانات إلى اللين أو إلى البيض، أو إلى العسل، وهكذا قال تعالى: (وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ) [النحل:٦٦].

وهذا العلم ورد علينا من مقام الإسلام السري، فإن الإسلام عبارة عن الطاعة والانقياد، وما في الوجود إلا من هو منقاد للقضاء والقدر، إذ لا يجري في الوجود أمر إلا علي مراد الله، وعلى حسب مقتضى علمه، وتجلي ظهوره في صور مظاهره، فجميع المظاهر أهل إسلام للظاهر، وهذا هو الدين الذي هو عند الله، لا عندنا، قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ) [آل عمران:١٩] بمعنى الانقياد والطاعة، لتجلياته علي حسب مراده، وأما عندنا فلا نقبل إلا الإسلام الذي بني على خمس، وهو الإسلام المقيد المشروع ، وأما الإسلام المطلق الذي هو عند الله، فيندرج فيه جميع عباد الله، وقد فتحنا لك بابًا من أبواب الرحمة المحمدية، وراثة ممن أنعم الله عليه بمنشورها (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:١٠٧] ﷺ عليه آله وصحبه أجمعين.

وخلاصة الأمر أن الله وصف نفسه بأنه مالك يوم الدين، وملك يوم الدين فيقول لعباده: (يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ) [غافر:١٦] وهذا دليل علي أن الجميع يكشف الملك والمالك هو الله الواحد القهار، فيجيب نفسه بنفسه فيهم؛ لأنهم لا يرون فيهم إلا الله الواحد القهار، فينقطع في يوم الدين اسم الإبليسة وتظهر حقيقة الألوهية الواحدية القهارية، وهي التي قهرت كل سالك على ما هو عليه، فزالت لعنه الحجاب بتجلي الفعال لما يريد وتقطعت عند ذلك الأسباب، فيقول الله: اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبي فلا ينسب أحد إلا إليه، وذلك قوله تعالى: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ) [آل عمران:١٩] فيظهر سر قوله تعالى: (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) [آل عمران:١٥٤].

وبعد هذا اليوم الديني يوم الخلود، فيخلد كل إنسان بحسب الاسم المتجلى عليه مدة ذلك التجلي، وذلك قوله: (يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ) [الرحمن:٢٩] كما قال تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ)

[إبراهيم:٥] ولكل اسم من أسماء الله يوم خاص به وذلك اليوم حقيقة معنى الاسم المتجلي به، وذلك التجلي هو شأنه من حيث ذلك الاسم، على أن التجلي واحد، وتختلف المشارب والأذواق بحسب القوابل، قال تعالى: (وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ) [القمر:٥٠] ولكن صور التجلي مختلفة، وهذه الصور تسمي بالحضرات الإلهية، فكل صورة في الوجود وجه من وجوه الحق.

وحضره من حضراته، وذلك دين الله من اسمه الديان قال: (إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ* وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا) [النصر:١،٢] ودينه عينه، فما دخلوا إلا فيه، ولذا قال: (فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا) [النصر:٣] وتسبيحه من المقام المحمود، وهو مقام الله بمقتضى تجليات أسمائه وصفاته، وجميع ما منه الله محمودًا، إذ هو المحمود في كل محمود ، وفي كل شأن من شئونه، فلذا قال: (وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ) أي: بمقتضى ذلك التجلي الذي غفر بواحديته تلك الكثرة التي ألهى عباده بها في الدنيا[١٠٦١]، (فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا) فتاب من كثره المظاهر إلى واحدية الظاهر، وظهرت تلك التوبة في الجميع فتابوا من خلقيتهم إلى أحقيتهم، وكان هو التواب، فكل تائب بالتوبة الحقية يقول عند ذلك: (قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ) [ص:٣٥] فلا يهب لذلك القائل إلا ملكه، فيترنم منه روح الهزار بألحان الجواب والقرار، من شراب خمره الواحدية، وتجلي مناظر حسان الألوهية، ونشأة القوة القهارية، لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي، فأرجو فضله أو فأخشاه، (هَٰذَا عَطَآؤُنَا) أي: عطاء إيانا (فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ) [ص:٣٩] أي: أنت المعطي والمانع فافعل ما تشاء بلا حساب، إذ الحق لا يُحاسب ولا يُسأل عما يفعل ولا يطالب، قال: (يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ) [المطففين:٢٥] أي: رحيق الذات (مَّخۡتُومٍ) أي: بختام الأسماء والصفات، (خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ) [المطففين:٢٦] عبارة عن ذوق جمال

(١٠٦١) وفيه إشارة إلى أن الدنيا من المنازل الرفيعة حيث استدعى لسان الروح النـزول إليها، وكذا البدن الإنساني ذلك الروح الإضافي، وإن لم يكن حالاً فيه؛ بل متعلّقًا به تعلُّق التدبير والتصرف؛ لكنه كان كالمنـزل له، وإنما كان مباركًا؛ لأن الروح إنما يترقّى إلى الكمالات، ويضع القدم في المعراج، والمصاعد بإعانة البدن له بمزاولة الأعمال الصالحة، ولذلك كانت دوائرهم وبقاعهم من المنازل المباركة أيضًا، فمَن وفّقه الله تعالى للنـزول فيها، والتردُّد إليها غُدوًّا ورواحًا؛ كان عبدًا مباركًا نافعًا للعالمين، فطوبى لمَن تشرَّف بهذا الشرف العظيم، وويلٌ لمَن وقع في الذُّلِّ والعذاب الأليم بدخول دويرات المبتدعة، والفسقة الخارجة عن الصراط المستقيم. ومن المنازل العالية: القلب الإنساني؛ لأن الواردات الإلهية تنـزل فيها، وله برزخية جميع الكمالات الإنسانية، ومَن دخله؛ كان آمنًا من برد الطبع، وحرِّ الشهوة، سالمًا من آفات الشكوك والظنون، متصفًا بالصفات الإبراهيمية، والمحمَّدية، وسائر الكُمَّل الندر.

الحضرة الإلهية الفاتح بحقيقة الأحدية، فمسكها هو الذي أمسك الكثرة الوجودية، نعمت رائحة ذلك المسك، وجود كل موجود من شاهد ومشهود، (**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**) [المطففين:٢٦] ولا أنفس من الله فمن عرف نفسه عرف ربه، وهذا هو المقام الذي أرشدنا إليه رسول الله، فهو رسول إلينا من الله، كما قال تعالى في حقه: (**رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ**) [البينة:٢] أي: من عين ذاته؛ ليحققنا بأسمائه وصفاته، ولذا قال لنا: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[١٠٦٢] وقال أيضا: (**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**) [الذاريات:٥٠] أي: لا منه، بل إليه؛ إذ ما في الوجود سواه وبين لنا حقيقة هذا الفرار بقوله: (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) [البقرة:١١٥] فأرشدنا إليه ﷺ ثم أكد هذا المعنى لنشهده بأنفسنا، وتعلم أننا عينه فقال (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [الحديد:٣] ثم أدرج الظل بالشمس، وأذاقنا شراب الأنس بقوله: «**أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[١٠٦٣].

فكشف لنا حقيقة قوله تعالى: (**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) [القصص:٨٨] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد الفتوح في حقيقة الروح

قال الله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**) [الإسراء:٨٥].

اعلم -رحمك الله- أن العلماء الإسلاميين اختلفوا في الروح فقال بعضهم: إن الروح جوهر لطيف يسري في الأعضاء سريان الماء في الورد، وهي تدخل في الإنسان للحياة وتخرج منه للموت، واستدلوا على دخولها بقوله تعالى:(**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي**) [الفجر:٢٧-٣٠] فعندهم كل روح تدخل في بدنها، هذا ما أداه إليهم فهمهم.

والذي أقول به في معني الآية: أن النفس المطمئنة لها أن تدخل في صور الوجود على الإطلاق لأن الله قال: (**فَادْخُلِي فِي**)**عِبَادِي** وذلك بعد رجوعها إلى الرب بصعقة الفناء، والدخول في العباد إنما هو بنفخة البقاء من المقام الإسرافيلي، فإسرافيل يميت

(١٠٦٢)

(١٠٦٣)

بالفناء ويحيى بالبقاء، ولم يقل فادخلي في جسدك مثلاً، فلكل روح أن تظهر بصورة كل جسد، ألا ترى أن الروح الأمين كان يتمثل بصورة دحية الكلي، وبصورة أعرابي، وقال تعالى في حق مريم عليها السلام: فتمثل لها بشرًا سويًا واستدلوا على أنها جسم نوراني بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣] فوصفها بالانتقال، ولو كانت أمرًا معنويًا لكان الحلقوم وغيره بالنسبة إليها على السواء، فعلمنا أنها جسم ألطف من شعاع الشمس؛ لأن شعاع الشمس تحجبه الجدران.

وأما الروح لا تحجبها الجدران، ولا يقصيها بُعد البلدان ومما يقوي أنها حالة في البدن مع إطلاقها، قوله ﷺ: «**إن الروح إذا خرجت تعبها البصر**»(١٠٦٤).

وورد أن روح المؤمن يتناولها ملك الموت في حرير أبيض من حرير الجنة، ثم يناولها للملائكة، فتكفن وتحنط من الجنة، ثم تكون بعد الموت طائرًا يعلق من ثمار الجنة، ويشم منها ما هو أطيب من المسك الأذفر، وهذا لعموم المؤمنين، وقد عاين النبي ﷺ ليلة الإسراء آدم عليه السلام في السماء الأولى وعن يمينه أرواح بنيه السعداء، وعن شماله أرواح بنيه الأشقياء، فإذا نظر آدم عليه السلام قبل يمينه ضحك واستبشر قبل شماله حزن وبكى.

وقال مالك رضي الله عنه: إن الروح بعد الموت تسرح حيث شاءت.

وإنما قلت: وهذا لعموم المؤمنين لقوله ﷺ لبلال الحبشي: «**يا بلال، ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك بين يدي فبم ذاك؟ قال: ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين**»(١٠٦٥).

وحينما قال ﷺ هذا القول لبلال، كان بلال في الحياة الدنيا قبل أن يموت، فعلمنا أن بلال هو في الجنة، وهو في الدنيا، وقد طلبت الحور عين من الله أن يقسم عليهن سواد بلال الحبشي -قدس الله سره- لتتزين به فيكون شامات على وجنات الحور العين، والعجب من بلال رضي الله عنه حيث لم يستشكل ما أخبره به النبي ﷺ، ولم يقل له: أنا في الدنيا، فكيف أكون معك حين تدخل الجنة؟ بل أنه ذكر السبب لذلك، فكان على بصيرة فيما أخبره به النبي ﷺ هذه حاله في الدنيا فما بالك بعد الموت، فلا مانع من أنه بعد موته تكون مع الدنيا أيضًا، فما بالك بمظهر الحي القيوم محمد ﷺ فهو مع أهل الحس ومع أهل البرزخ، ومع أهل الآخرة، ومع كل شيء بحسب ما هو عليه ذلك الشيء.

(١٠٦٤)

(١٠٦٥)

وقال بعضهم في الروح: إنها حقيقة نورانية معنوية إذا تجلت وقابلت بتبجيلها جسمًا حيى، ذلك الجسم وتحرك، وذلك بمجرد نظرها لذلك الجسم، فهي تدبر البدن تدبير الملك لمملكته، ولا يقال: إن الروح داخل البدن ولا خارجه، وإنما تعلقها به بالتدبير فقط، كتدبير الملك لبعض المدن التي هي في ملكه، لا بالمساكنة والمداخلة، ولا بقطع نظره عن تلك المدن، بل بالتوجه والعلم والإدراك، وإذا كانت السلحفاة تربي وليدها بالنظر إليه، وتحفظ عليه رتبة حياته مع أنها جسم كثيف، فكيف لا تدبر الروح الجسد بالتوجه إليه، وهي سر لطيف، فعلى هذا القول وصفها بالدخول كناية عن التوجه، ووصفها بالخروج كناية عن عزل ولايتها عن الجسد، التي كانت متوجهة إليه، فالجسد كاللفظ، والروح كالمعنى لذلك اللفظ، مع أن المعنى لا يرى اللفظ، بل يفهم، ولا يقال بأن المعنى حال في اللفظ، أو خارج عنه، أو هو عينه أو غيره، ولكن باطن في اللفظ، ولم تعلم كيفية هذه البطون، وهل الروح والنفس اسمان مترادفان، أم شيئان متغايران؟ والصحيح أنهما أمر واحد يختلف عليه الاسم بالاعتبار والتعلق، فالروح باعتبار تعلقها بالأمور المحمودة، تسمى روحًا ونفسًا مطمئنة، وراضية، ومرضية، وباعتبار تعلقها بالأمور المذمومة شرعا، تسمى نفسًا أمارة، وباعتبار مطلق التعلق من حيث هو، لا باعتبار محمود أو مذموم، تسمى ملهمة، وباعتبار تعلقها بلوازم البدن من أكل، وشرب، ونوم، ونكاح تسمى حيوانية، وباعتبار تعلقها بتربية البدن وتنميته، تسمى نفسا نباتية، وباعتبار تعلقها بلوم نفسها على التفريط في طاعة الله تعالى، والندم على ذلك تسمى نفسًا لوامة، وباعتبار تعلقها بالأسرار والمعارف ومشاهدة الوجوه الإلهية تسمى روحًا قدسيًا، ونفسًا ناطقة ولطيفة إلهية، وحقيقة نورانية، وباعتبار أن العالم صادر منها، تسمى بالروح المحمدي، وبالحقيقة المحمدية.

وباعتبار السر الذاتي المتوجه عليها من ذات الحق، الحق تسمى روح القدس الإلهي، أي: المسمى بالاسم القدوس، وتسمى أيضًا وجه الله، قال الله تعالى: (**وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**) [البقرة:١١٥].

إذا ترقت الروح في مراتب العروج من حين موتها في المشاهد البرزخية إلى الحضرة الإلهية القدسية بعثت، وقام جسمها الفاني إلى رتبة البقاء بحقيقة الحياة القيومية، وكان الأمر كما قال تعالى: (**وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) [الروم:٥٦].

وهذا المعنى ليس واقع من الله ذي المعارج، ثم قال: (**تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**) [المعارج:٤] أي الروح البشري إليه، فإذا عرج

الروح إليه قال للشيء: كن فيكون، كما وقع لرسول الله ﷺ أنه قال: «**كن أبا ذر**» لشبح رأوه فلم يعرفوا ما هو ذلك الشبح، فكان أبا ذر، قال تعالى: **(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ)** [القيامة:١٢] والله الموفق.

فنبه قوله ﷺ: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[١٠٦٦]، ليس المراد به إلا مشهد الاعتقاد والعمل، بدليل أن الإنسان قد لا يدخل القبر المعهود بأن يأكله سبع من السباع، فيتفرق جسمه في بطن السبع إلى صور مختلفة، وقد يقتل الجسم الإنساني ويحرق، فيكون رمادًا، فيرجع الأمر إلى المشهد، قال الله تعالى: **(فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا)** [مريم:٣٧،٣٨] لأن سمعهم مطلق، وبصرهم مطلق، والغطاء عنهم مكشوف، وبصرهم حديد، أي: أقوى؛ لأنه في الحقيقة بصر الحق بهم، فافهم ما ذكرناه لك من العلم الراجع إلى معرفة الروح التي هي حقيقة النفس المشهودة في صور أعضاء الحس، والروح من أمر الرب القائل: **(كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)** [مريم:٧١] ولهذا السر قال تعالى في تمام الآية: **(وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء:٨٥] أي: ليس لكم علم بشأن الأحدية المتجلية في صور الكثرة الإمكانية، ألا ترى سيد العلماء ﷺ حيث أشار لهذا السر لما قالت أهله السيدة الحميراء من وجع رأسها: (وارأساه) فقال: «**يا عائشة، بل أنا وارأساه**»[١٠٦٧] يعني أن هذا الحس الذي تحسين به من حقيقة الاسم (المبلي) القائل: **(وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ)** [الأنفال:١٧] أي: من حقيقة ظهوره وتجليه في رأسك، الذي له رئاسة مرتبة الربوبية، إنما وقع على نفسي، فعاد الأمر على، بل هو مني، وإلى فهذا المعنى عين قوله تعالى: **(كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)** [مريم:٧١] لأن الجمال جمال الرب، والجلال جلاله، والقبض قبضه والبسط بسطه، ولا يتحقق بهذه المعاني هو إلا فلله در سيد الوجود، المنبه على حقيقة الشاهد والمشهود، القائل : «**إن الشوكة لتصيب أحدكم فأجد ألمها**»[١٠٦٨]، فحجاب عائشة عن هذا المعنى بمثابة قوله تعالى: **(كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)** [المطففين:١٥] فما درت عائشة أن وجع رأسها من معنى قوله: «**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا**» وما شعرت بعذاب نفسها المقبورة في رأسها وحسها، فصليت نار ألم العذاب حيث أسدل عن مشاهدة ربها الحجاب، ألا ترى ما وقع

(١٠٦٦)

(١٠٦٧)

(١٠٦٨)

لأبيها العتيق أبي بكر الصديق صاحب والسر والتحقيق لما عاد النبي ﷺ وهو مريض خرج من عنده فشفي النبي ﷺ فعاده فشفي أبو بكر فانتقل المرض من النبي إليه، كما انتقل الشفاء منه إليه فأنشد الصديق قدس سره:

مـــــرض الحبيـــــب فعدتـــــه فمرضـــت مـــن جزعـــي عليـــه
شـــــفي الحبيـــــب فعـــــادني فشـــفيت مـــن نظـــري إليـــه

فكشف الصديق معنى الحديث القدسي، من أن الله يقول: «**مرضت فلم تعدني، وظمئت فلم تسقني، وجعت فلم تطعمني**»(١٠٦٩).

فلله دره من عالم محقق متمكن، وكيف لا؟ وهو القائل: (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله) فمن هذا يا حبيبي خذ علم الروح من أصل ينبوعه، وقل أنا من أهوى، ومن أهوى أنا.

وقـــد أســـكر القـــوم دور كـــأس وكـــان ســـكري مـــن المـــدير

فيا من يذكر الله باسمه، هو بالله عليك أذكره باسمه أنا، وقل كما قال من قال: وأنا يا ليت شعري من أنا شطح بنا قلم السباق، حتى جاوز حضرة المخلوق، فصار في حضرة الخلاق، فلنعد من هذه الحضرة إلى مجادلة الكثرة، قال الله تعالى: (**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) [النحل:١١١] وهذه الحضرة هي حضرة المدافعة، من قوله تعالى: (**۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ**) [الحج:٣٨] من حكم الاسم اللطيف؛ لأنه تجلى في مظهر البلاء، كما تجلى في مظهر النعماء، فليس خلقه الاسم النافع، كما ليس خلقه الاسم الضار فنظر بالعينين، وتجلى بحكم الضدين، فهو الظاهر بصورة الدارين، فلا فصل و لا بين.

اعلم - رحمك الله- أن سر هذه المجادلة هي في قوله تعالى: (**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**) [الأنعام:٩٤] وقوله تعالى: (**وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا**) [مريم:٩٥] فعند كشف الغطاء عن كل حقيقة فيك أيها الإنسان، وكل رقيقة هي نفس لقوله تعالى: (**فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ**) [الانفطار:٨] ولا تحسب أن الصور هي ما يرى فقط، بل الأسماء الإلهية في هذا المقام كلها صور، وأنت الظاهر فيها أيها الإنسان بمعاني الأسماء، حتى من جملة صورك، المنتقم والرحمن، ولذلك يقول القوم ﭫ: الروح السمعي، والروح البصري، فما فيك إلا

(١٠٦٩)

أرواح تشهدها عندما يفتح لك الفتاح، وحيث رمزنا لك علم الباطن، بل صرحناه، فلنتكلم على سر المجادلة من طريق الظاهر، وحكم معناه.

فنقول: اختلف علماء الظاهر ﷺ هل العذاب واقع على النفس؟ أو على أعضاء الحس؟ أو عليهما؟ فروى عكرمة عن ابن العباس - رضي الله عنهما- قال: «ما تزال الخصومة بين الناس حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح: يا رب، إنما كنت روحًا منك فجعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لي، ويقول الجسد: يا رب، كنت جسدًا خلقتني ودخل في هذا الروح مثل النار، فبه كنت أقوم، وبه كنت أقعد، وبه أذهب وبه أجيء، فلا ذنب لي، فيقول الرب: أنا أقضي بينكما أخبراني عن أعمى ومقعد دخلا حائطًا) أي: بستان (فقال المقعد للأعمى: إني أرى تمرًا، فلو كانت لي رجلان لتناولت، فقال الأعمى: أنا أحملك على رقبتي، فحمله، فتناولا من التمر فأكلا جميعًا، فعلى من منهما الذنب؟ قالا: عليهما جميعًا، فقال الرب: قضيتما على أنفسكما»[1070]، انتهى كلام ابن عباس ﷺ وعن أبيه، وعن جميع الصحابة، وسكت ابن العباس عن أن الرب هو القائم على كل نفس بما كسبت، وأنه هو الشاكي والمشكو إليه، ألا ترى ما ورد: «**من أن المعذب في قبره يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين**»[1071]، يعني: الجن والأنس؛ لأن حضرتهما ليست حضرة الحس، فالمكشوف له الغطاء لما كشف عن حقيقة نفسه، صاح صيحة الجلال، فسمعها من كشف له عن تلك الحضرة في عالم المثال، كما حجب عنا نطق الجمادات، وتسبيحها لرب السماوات، وهو تعالى المتكلم كما أنه السميع، فالمكشوف له الغطاء فأنى فيه من جهة هذه المعاني، فليس عنده فيما يراه ثاني، فيدرك تجلي اللاهوت في صورة الناسوت، قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت**»[1072].

وأما أصحاب الدعاوى الذين قالوا: سمعنا، وهم لا يسمعون؛ لأنه هو السميع، وهم في دعواهم الناشئة عن الشرك كاذبون، فهم الذين قال في حقهم: (**كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ**) [المطففين:١٥] أي: يوم هذا الشرك لمحجوبون، وأما الذي قال في حقه: (**لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ**) [ق:٢٢].

فقد تجلى عليه باسمه الشهيد، فإن أدركت ما قلناه أدركت سر ما قال الله: (**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ**) [ق:٢٠] فإذا تجلى باسمه الباقي بعد نفخة الفناء قالوا: (**قَالُوٓاْ**

(١٠٧٠)

(١٠٧١)

(١٠٧٢)

﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:٥٢] فحينئذ يبدو لهم السر المصون ويقولون: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:٥٢] فيحصل تجلي الاسم الرحمن فيشهدون في الجنان والنيران، قال تعالى وبقوله يهتدي المهتدون: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

انظر -رحمك الله- «فصوص الحكم» واستخلص من الفص الإسماعيلي زبده تدرك أن الشيخ الأكبر أخذ من آية ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [يس:٥٢] قوله: فلم يبق إلا صادق الوعد وحده، والحمد لله رب العالمين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد: ﴿حمٓ * تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١،٢].

اعلم - أيدك الله بروح القدس- أن هذا الوارد في غاية الحلاوة، وفي نهاية العذوبة والطلاوة، وذلك أن الله تعالى ألهمني: أن المراد بالحاء حياة الله تعالى السارية في جميع الوجود، وبالميم محمد ﷺ فهي طلسم الحقيقة الإنسانية، ولذا كان لفظ الميم بميمين بينهما ياء، فالميم الأولى: هو الدور المحمدي الروحي، والميم الثانية: هي الدور الآدمي الصوري، والياء بينهما بنقطتين، نقطة الروح الإلهية، ونقطة الصورة الآدمية، وكلاهما في الحقيقة واحد، وعين واحدة ألا ترى التصاق الياء في سورة مريم - عليها السلام- بالعين الأحدية كما قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١] فحصل الوجود كله في حاء ميم، وظهر في سورة مريم في (كاف) الكفاية، و(هاء) الهوية، (وياء) النداء للحقيقة الإنسانية، الجامعة لمحمد الروح الباطن ﷺ، وآدم الجسم الظاهر، وذلك عين (صاد) صدور الوجود الكامل الذي هو دائرة الحقيقة الإنسانية، فكانت الميم الأولى من لفظة ميم إشارة لمحمد ﷺ الذي هو مبدأ الدور الآدمي، والميم الثانية إلى المنتمى وهو آدم، ولذا ظهرت الميم في آخر اسم آدم، كما بدت في أول اسم محمد ﷺ والميم ميم واحدة، فكان محمد في نبوته يرى من آدم باطنًا غيبًا، إلى أن ختمه برسالته ظاهرًا شهادة، فظهرت الميم عينًا واحدة في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٠] فهو من كونه خاتم النبيين، هو الصورة الظاهرة في آدم، فكان عين الوجود الميمي بدءًا وختامًا، روحًا وجسمًا، معنى وصورة، فالوجود هو الحقيقة الإنسانية، فلذا قال ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[١٠٧٣] فبين محمد ﷺ وآدم

(١٠٧٣)

عليه السلام ما بين ميم (بسم الله) وميم (ألم) وكل ما بينهما من تمام البسملة، والفاتحة برزخ فاصل، وهو قاب القوسين، والنقطة الأولى الميمية من (بسم) هي المنتمى في (ألم) وهذه منزلة أو أدنى، فإن قوله: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ) [النجم:٩] عبارة عن أحدية الله تعالى في قوله: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد: ٣] وكل ذلك خرج من (حاء ميم).

هذا الوجود بأسره حا ميم — يا عين أنت محمد وعليم
وببسم ذات الله كنهك قائم — رحمانه والله أنت رحيم
يا فاتحًا ختم الوجود بروحه — يا آدمًا في الجسم أنت ختيم
بشرى لكم يا أمة الهادي به — فهو الطهور بذاته القيوم
فتوضأ بالماء الهادي به — إن لم يكن فبآدم تتميم
وبروحكم فتوضئوا وبجسمكم — فتيمموا وكلاهما حا ميم
فالسر ما كذب الفؤاد بما رأى — تلك الصلاة لكم بها تعليم
صلوا صلاة العصر أول فجرها — فالبر بحر والحدوث قديم
هذى صلاة العارفين بربهم — من فيض أحمد والمفيض كريم
يا بحر تطهير بنورك صابغ — يا ترب آدم للجسوم أديم

واعلم - رحمك الله- أني أشرت في النظم لأمر ورد علينا منامًا في الوضوء والتيمم وذلك قوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا) [النساء:٤٣] فألهمت أن المراد هو الوضوء بغيب الحقيقة المحمدية الأحدية، فمن لم يجد هذا المعنى من نفسه فليتيمم من جهة جسمه بالصورة الآدمية، وذلك هو الصعيد الطيب، فتطيب أجسامكم بالتربة الآدمية، فكما أن الماء حقيقة الروح، كذلك التراب حقيقة الجسم، والماء إذا تجسد كان ترابًا، فلذا قال تعالى :(وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [الأنبياء:٣٠] فافهم ما هو المقصود هنا، وذلك هو الحقيقة المحمدية المقدسة السارية في كل شيء، وقد فهمت من هذا المعنى قول أستاذنا الشيخ محيي الدين قدس الله سره:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر — وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر
وقدم إمامًا كنت أنت إمامه — وصل صلاة العصر في أول الفجر
فهذه صلاة العارفين لربهم — فإن كنت منهم فاتضح البر بالبحر

أي: قدم آدمك الجسماني إذا كنت أنت إمامه الروحاني، فروحك محمد ﷺ وجسمك آدم عليه السلام وكلاهما أنت، فصل ما بين روحك وجسمك، وصل صلاة الشهادة الختمية، وهي العصر الذي ينطوي فيه ظهر الظهور في أول الفجر، الذي انطوى فيه غيب الغروب، الذي هو المغرب، فهو مبدأ الغيب، ويستمر في البطون من غشاء العشاء الستر لجميع الحقائق، بكنزه المخفي إلى طلوع فجر، فأحببت أن أعرف، فهذه صلاة العارفين لربهم

أي: الذين يصلون ربهم بهم، كما قال ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[١٠٧٤].

فإن كنت منهم في المشاهدة الغيبية الأحدية (فاتضح البر بالبحر) أي: خذ الشهادة البرية من عين الغيب البحرية، فكلاهما هي حقيقتك الإنسانية، فصلاتك صلتك بنفسك، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] وكل ما ذكرناه مطوي في الميم حاء ميم وهي عين حائها التي هي حياة الوجود الإلهي، فهي تنزيل بحقيقة نفسك من الرحمن المحمدي الروحاني، وذلك هو الميم الرحمانية الظاهرة بحقيقة الميم الرحيمية في صورة آدم الشهادية الجسمانية، ولذلك كانت الميم ختام اسم آدم، إشارة إلى صورته ختام الروح المحمدي، في كونها مبدأ الصور الإنسانية، ثم دار الدور في الصورة الإنسانية بنبوة محمد ﷺ روحًا إلى آدم، باعتبار الشهادة من آدم الجسم، فكان ختام ذلك ظهور الصورة الجسمانية من محمد ﷺ فهو عين الأصل والفرع والروح والجسم والمعنى، والصورة والغيب والشهادة، والمبدأ والختام، والأول والآخر، والظاهر والباطن، فكانت الميم ميمين باعتبار الصورتين، صورة محمد ﷺ وصورة آدم عليه السلام، وعلى من بينهما لفظًا ولطفًا؛ لأجل الصورة، وميمًا واحدة خطًا في قرآن الأحدية الوجودية من جهة المعنى والحقيقة، فلذلك ظهر الميم في قوله تعالى: (مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) [النجم:١١] فما رأى إلا نفسه، فهو فؤاد الوجود، وقطب دائرة الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، وذلك معنى الميم الدورية من قوله تعالى: (حمٓ)، ولما كانت هذه الميم عين محمد ﷺ ظهرت منها في النطق الياء الندائية، نطقًا في الميم، وفي سورة مريم خطًا وظهر في اسمها من محمد الميمان، التي في اسمه، إشارة لأنها زوجته، وأنها راء الروح الذي ظهر باسمها لفظًا، وتجلى لها معنى في الصورة الجبريلية، لما تمثل لها بشرًا سويًا فنفخ فيها فكانت زوجته في الدنيا، وزوجته في الآخرة، فعيسى هو ابن محمد ﷺ ولولا ذلك ما قيل فيه ابن الله، مع أنه إنسان ابن إنسان، أي: إنسان صوري ابن إنسان روحاني؛ لأن جبريل صورة من صور الروح المحمدية، ولولا ذلك لم يتمثل لها جبريل بشرًا سويًا، ولما كان عيسى ولدًا لمحمد ﷺ كما أن مريم زوجته دنيا وآخرة، استحق أن ينزل من روح المعنى إلى صورة الحس، فيحكم بالقرآن الذي هو شرع أبيه، و يظهر بالنبوة الشهادية بعد ظهوره في نبوته الروحية الغيبية، ما ذاك إلا أن الولد سر أبيه، فنزوله ليحصل الكمال المحمدي القرآني الجامع، فكان روحًا جسمًا نبيًا تابعًا، فهو ذو الجناحين، والقائم بالمرتبتين، الروحانية والجسمانية، فيتزوج ويولد له ويموت، كما مات محمد ﷺ؛ لأن بالموت من كل وجه لقاء الله من كل

(١٠٧٤)

وجه، إذ لولا الموت لا يكون ترابًا، والتراب أصل الجسم الإنساني بل أصل الجسوم، كلها فافهم ما أشرنا إليه.

فما أحلى الموت وما أحسنه ولله در من قال:

نحن بني ضبة أرباب الأسل   الموت عندنا أحلى من العسل

ولما أسكرني من خمرته المقدسة وارد: (حمٓ * تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [فصلت:١،٢] تجيبني بمحمد ﷺعنى وجذبني إليه مني فقلت:

حاء ميم من الرحيم جاني   طه ياسين سورة الرحمن
ألف الله لام لطف وميم   مالك الملك باسمه المنان
ذا مبين أبان عن كل معنى   وكتاب الوجود من دون ثاني
فصلته الآيات روحًا وجسمًا   فهي معنى لآي سبع المثان
فهو قرآن كوننا عربي   معرب عنه في لسان بيان
شق نور الظهر منه سماءً   صبغتنا بوردة كالدهان
مرج البحرين حقًا وخلقًا   فيه مزجًا وفيه يلتقيان
قاب قوسين برزخ بين غيب   وحصور من أجل لا يبغيان
مجمع البين يوشع غاب فيه   نسي الحوت بالسنى النوراني
نقطة للوجود في كل دهر   حينه قد أتى على الإنسان
منه يمتد كل حين ووقت   لؤلؤ العلم ناظم المرجان
وبروحي منه بنان غمام   سبح منه عينان نضاختاني
مج مشهدًا من فيه في بئر ملح   كوثرته بطيبها الشفتان
ندند من خده لعروس   طاب روح القلوب والريحان
حسبك الكنز منه كان نبيًا   قبل شخص لآدم الجسماني
شق بدر بأصبع منه تومي   وكذا الشمس روحًا للعيان
فبأي آلاء جان وإنس   أبرب أم بالذي يكذبان
فهو عين الوجود من كل عين   قضي الأمر فيه تستفتيان
يا رعى الله وجهه إذ تجلى   بجمال أسكنته بجنان
يا خليليَّ خِرْتُه لي وحيدًا   خلياني من السوى خليان
أسعديني سعاد في مدح طه   وأنشدي بيا صفا الأزمان
وارصدي لي من الحجاز قرارًا   وأجيبي العشاق من أصفهان
ركب نجد به صبًا ببيات   حيث ناحوا من النوى بالأغاني
كل أوج من الفنون لطه   مصدر الحسن جامع للكيان
حير العارفين وصف علاه   كيف لا وهو زينة القرآن
يا حبيبًا ما لي سواه حبيب   شافعًا لي إلى بلوغ الأماني
ذا بهاء ببابك الرحب يرجو   وجنى جنتيك حالي وداني
كن مديرًا مدامة القدس صرفًا   واسقنيها صهباء روح المعاني

وامـح نفســي منــي وابـق بـذاتي   أنــت أولــى بــنفس ذي الإيمـــان
وعليـــك الســـلام صـــلى وســـلم   مـــا تـــوالى بشـــكرك الملـــوان
وكـــذا الآل والصـــحاب جميعًـــا   مـــا تفننـــت ســـواجع الأفنـــان

واعلم أن ميم (حمٓ) نقطة دائرة الوجود السالمة من السوى في كل مشهود وموجود، ولذلك كانت ختام اسم الله السلام لإشارة أن الدائرة الوجودية خالصة سالمة لمحض الأحدية، وإن تكاثرت فرقانًا فهي واحدة قرآنًا، وظهرت بصورتين في المسجدين المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، فالمسجد الحرام للحقيقة والمسجد الأقصى للصورة، وكلاهما دائرة ميمية واحدة، حتى أن ظهورها في اسم محمد ﷺ مرتين، إشارة للدوام والاستمرار، للحقيقة المحمدية، مادام دور الدور ما انعطف الحور على الكور، فهو شمس الحقيقة التي كورت بصور من نجوم الخليقة، وصورته البشرية هي البدر الذي يستمد من شمس حقيقته، التي هي طامة الحقائق الكبرى، وتلك الحقيقة هي كتاب الوجود الذي فصلت آياته قرآن التوحيد العربي الذي يعرب عن وحدة الذات، وفرقان الأسماء والصفات، فميم دائرة التوحيد، ظهرت في البسملة بصور ثلاث: في بسم، وفي الرحمن، وفي الرحيم، إشارة لتوحيد الأفعال وتوحيد الصفات، وتوحيد الذات، فتوحيد الذات له من البسملة الاسم الله وتوحيد الصفات له الاسم الرحمن، وتوحيد الأفعال له الاسم الرحيم، وكل ذلك مندرج في قوله: (حمٓ)؛ لأن معناها كما قلنا حياة الله محمد، فهو كتاب الوجود، الذي فصلت صور آياته، فكان بالتفصيل منه قرآن ذلك التفصيل العظيم، وذلك عين تنزيل الذات نفسها الغيبية للصور الشهادية لها في صفاتها وأفعالها المعنون، عن ذلك بالاسم الرحمن وبالاسم الرحيم، فتكون باء بسم من النقطة في البداية متعلقة بالغاية، وهي الحمد لله رب العالمين.

وارد المقامة وهو من أعظم الكرامة.

مقامـــــة الغريبـــــة العنقـــــاء   تحكيهـــا المطوقـــة الورقـــاء

في القبة الزرقاء عن قطب العجائب وفلك الغرائب قالت للطوقة: هزني الغرام ليلاً فقمت لعلي استجلي خبر ليلا، فإذا بالغريبة العنقاء على بابها، تسألها رفع حجابها، وهي تقول لا أظهر جمالي، ولا أخلع خلقه جلالي، ولا أهب نطقي وكمالي إلا لقطب العجائب، وفلك الغرائب، فقلت: ليت شعري ابن هذا الكنز الخفي، وما جوهره الفرد الذي به خُفي، وما طلسمه ورقية وما بخوره وخاتمه وعزيمته، فقيل ليُ أطلبه في الأسحار فإنه يتجلى في صورة من هيكل الأنوار، طلسمه ألف التأليف، وبخوره لام التعريف، وخاتمه ميم النبأ العظيم، ورقيته وعزيمته (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) وعنقاء مغربه (حمٓ)، وجناحاها طرفا الصدر المحمدي ينبوع عين: (سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ) [يس:٥٨].

فالجناح الأول: هو صاد الملازم لها في عرفات سورة الأعراف، والجناح الثاني: راء روحاني وهو في سورة رعد الخشية، مؤتلف بها غاية الائتلاف.

قالت الورقاء: فتجردت من ريشي، ولبست لباس التقوى، وقمت لكعبة المحاسن، لعلى أن أظفر بالنجوى، فبينما أتخذ من مقام إبراهيم مصلى وألتزم ملتزم قبلتي وأتملى، وأكرع من زمزم شفائي بالقدح المعلى، وإذ بهيكل نوراني عظيم، معناه عنقاء مغرب، واسمه (حمّ) قطب عجائب لا إله إلا الله وفلك غرائبه محمد رسول الله.

فقلت: يا سيدي، حدثني بهذا النبأ العظيم، فقال: (إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ) [الحاقة:٤٠].

فقلت: ومن قطبه الأعظم فأعامله بالتسليم، قال: بخ بخ (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ) [الحجر:٨٧].

قلت: يا سيدي، أنت المتجلي في الروح الخضرية بصاد صدور العالم وراء روح عيسى وآدم، فكن لي روح نفخ اللاهوت، وهيلي موسى صورتك في تابوت الناسوت، وآتني من عندك رحمة وحلمًا، وعلمني يا مولاي من لدنك علمًا، فقال: هل آنست من جانب الحي نارًا؟ واستغفرت ربك من نفسك أنه كان غفارًا، وهل قلت: (وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا) [نوح:٢٦].

أرض الحقيقة من كفره الأوهام (ديارًا)؛ لأرسل سماء علمي عليك (مدرارًا)، وأمددك من أموال التجليات، وبنين الظهورات، واجعل لك من ثمار الحقائق وفنون الرقائق جنات وأنهارًا.

قلت: سيدي، من بحر جودك أغترف، قال: نعم ولكن طر بجناحي لام ألف.

فجناحها الأول (بلا إله) يغنيك، وجناحها الثاني (بإلا الله) يبقيك، فسر إلى مجمع بحري، التنزيه والتشبيه وهناك فإنس حوت حياتك، واشهد عين الحياة فيه.

قلت: يا سيدي، افتح لي كنز (حمّ) فإني لم أحط به خبر، قال: على الخبير سقطت إن استطعت معي صبرًا.

قلت: اسقني شرابك الطهور، واكشف عن بديع محياك الستور، قال: لأعلمنك من هو لها المسمى بفن من فنون علم المعمَّى اجعل متعلق (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) لفظ ألف، يخرج لك اسم من نوره الوجود، يأتلف بيان ذلك،إن فاء ألف تساوي في العدد ميمين، وهي

في مرتبة النزول جاء بلامين، ثم أنزل الحاء لنصفها يظهر لك الدال فقط، برز اسم محمد من فاء الألف على الكمال.

قلت: إن لفظ ألف ضم لام التعريف، كما ضم لفظًا للام ألف التأليف، فقال: ينبغي ملاحظة هذا الانضمام؛ لتشهد الفناء والبقاء في كلمة التوحيد على التمام، فيمحو الله ما يشاء (بلا إله) ويثبت ما يمحوه (بإلا الله) فلولا الفناء ما ثبت البقاء، ولهذا السر التحم الألف باللام، وتعانقًا لبلوغ المنى.

وقال كل منهما : أنا من أهوى ومن أهوى أنا، وما أحسن قول القائل:

حكت قامتي لامًا وقامة منيتي حكت ألفًا للوصل قلت مسائلاً

إذا اجتمعت لامي مع الألف التي حكتك قوامًا ما يصير فقال لا

واعلم أن الرابط بين الألف اللام دائرة الميم، فهي بينها عقدة النكاح، فخاتم الميم سر «**فأحببت أن أعرف**»[١٠٧٥].

وبه امتاز الليل من الصباح، فقال ﷺ: «**من أحب فطرتي**» وقد فُطر ألف الذات، ثم قال: «**فليستن بسنتي**» أي: من التحلي بالأسماء والصفات، ثم قال: «**وإن من سنتي النكاح**»[١٠٧٦]، فلذا أحب النساء إذ مرآة آدم حواء، ومنها حصلت الأبناء، فكان الولد سر أبيه، ومع ذلك فالألف واحد انطوت سائر الأعداد فيه، فمن الألف الجمع الفرق، والخلق والحق، فالذي أحب أن يعرف بكثرة الخلق لم يزل كما كان هو الواحد الحق.

ألا ترى أن الألف من (**ألم**) بعد أن دنت من اللام تدلت فنزلت من دائرة الميم، فكانت هي: (**هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ**) [الحديد:٣] على التعميم، و بهذه الأسماء الأربعة كانت دائرة الميم حرمًا آمنا له أربع نقط ليس الله فيها اشتباه ولا غلط، فنقطتا الجنوب والشمال متقابلتان كالأول و الآخر، ونقطتا المشرق والمغرب كالباطن والظاهر، فبالخاتم المحمدي المربع النفيس ندفع كيد من قال: (**ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ**) [الأعراف:١٧] وذلك تربيع إبليس، فإذا قرأت (اللام) من (**ألم**) فقل: (لا إله إلا الله) وإذا قرأت (الميم) فقل: (محمد رسول الله) فذلك هو الكتاب: (**ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ**) [البقرة:٢] وفاتحته: (**بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**) [الفاتحة:١] (**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ**

(١٠٧٥)

(١٠٧٦)

رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [الفاتحة:٢] فقد لاحت عنقاء مغرب لرئي العين، ولابد أن نكشف لك القناع عن سر الجناحين.

فقلت : لقد أوقدت في المشكاة النبراس، وأدرت حميًا الحقيقة من أحدية الكأس، فخلني بريش الجناحين من مجمع البحرين؛ لأكون عنقًا حياة العين فأقسم بسورة (ألم نشرح) الابد أن أنحت من كنز الصدر المحمدي، وافتح فتعلم أن صاد صدره الذي هو مصدر الوجود جناح (**ألم**) في سورة الأعراف (والراء) من سورة الرعد هو الجناح الثاني بلا خلاف، وروح الرعد من خشية الله غيث حياة القلب بالعلم بالله.

ألا ترى ما قاله تعالى في سورة الرحمن: (**وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ**) [الرحمن:٤٦] فأحدى الجنتين حضرة الألوهية، والثانية هي الحقيقة المحمدية: (**فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ**) [الرحمن:٦٦] تجريان، أحداهما: بلطائف الأرواح، والثانية: بكثائف الأشباح، وأما الدال التي هي فؤاد جناحي صدر محمد فخذها من لؤلؤ الألف، ومرجان اللام، فهما عقد عقدة المنضد، وذلك أن اللام في النزول، ثلاثة فإذا أضم إليها واحد الألف ظهرت الدال، لدلالته ﷺ وإرشاده لمنزلة الكمال، على أن الدال مطوية في لفظ الصاد، فلذلك كانت هي باطن الصدر والفؤاد، كما أن اسم الله في (**ألم**) فإن الألف لفظًا فيها لام، واللام فيه لام أيضًا فقد صار ألف ولامان، وتدوير الميم من (**ألم**) هو الهاء، فظهر الاسم الأعظم وهو الله من (**ألم**).

فبهذا المعنى من قرأ سورة آل عمران وأحب أن يشرب من الرحيق المختوم بمسك العرفان، فليقل: (ألم الله) فالوقف هنا عند أهل الله يعتبر؛ لأن الكلام على هذا المعنى تام من مبتدأ وخبر، ثم يقول القارئ: (**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ**) [البقرة:٢٥٥] فينجلي له سر المعنى المكتوم.

قالت الرواية: فلما انكشف لي حقيقة الأمر، وفهمت أن الحق والخلق شرح ذلك الصدر، ألزمت طائر العنقاء في عنقي، وشاهدت جناحيها عين خلقي، وخلقي فالصدر صدور العالم من حقيقتي الإنسانية المسماة في اصطلاح القوم بالحقيقة المحمدية، فلعمري هي قطب عجائب الذات، وفلك غرائب الأسماء والصفات، فمحوت نقطة ألفين بشهود العين، ودنوت مني فكنت قاب قوسين، وتدليت إلي، فسقط السوى من البين، فلما خلعت نعلي وارتد طرفي إلي، وانقلب إلى البصر وكان معنى الخبر، والخبر شاهدت الحقيقة المحمدية حديقة ذاتي، وأدرت روح تلك ألواح من أقداح أسمائي وصفاتي وتوجت بتاج (**ألم**) وتلوت: (**لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ**

عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ) [البقرة:٢٥٥] وفهمت رمز من قال: والعز في المقال عن صورة الحال، ضامك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان، وحواه صدري، فهذا هو النبأ العظيم من سر **(ألم)** وفي ذلك نظمت أقول وإن لم أكن في بحور الشعر أجول:

ألــف لإتــلاف الحــروف مــداد هــي واحـد ظهـرت بـه الأعـداد
مرآتهــا فــي الحســن الله أحــد اســم لـــه التوحيــد والإفــراد
ولهــا مــن الأســماء أول آخــر فظهـــور ذا وبطـــون ذا رداد
فعروجهــا عــين النــزول لــذاتها ونزولهــا عــين العـروج يــراد
فهــي الصـراط المسـتقيم بـذاتها يهــدي إليـــه للمســير عبـــاد
لله لام عانقــــت ألفًــــا بــــلا فصــــل ولا قطــــع وذاك وداد
فتألفــا بـــالنفي والإثبـــات فـــي تهليـــل توحيـــد وزال عنـــاد
مــيم الختــام أحــب لام وصــاله فبــدت بـــه ألـــف وتـــم مـــراد
عجبًــا لــراء مثــل صــاد جانحًــا عنقــاء حســن وصـلها أعيــاد
فــي الرعـد راء جناحهـا ويمثلـه في سورة الأعراف تجلي الصاد
بــأبي وأمــي قطــب دور نبــوة يعـــزي إليـــه مبـــدأ ومعـــاد
ملك على عرش الكمال قد استوى رحمـــن قلـــب شـــأنه الإمــداد
فــي ذاتـه السـبع المثـاني فصلت قـــرآن جمـــع للوجـــود فـــؤاد
مصــباح نــور الله فــي مشــكاته وزجـــاج مـــرآة لهـــا الإشـــهاد
كالكوكـب الـدري فـي إشـراقها لله ذاك الكوكـــــــب الوقـــــــاد
هـو كعبتـي فيهـا أطـواف وقبلتـي ولوجههـــا أنـــا راكـــع ســـجاد
ويمــين يمنــي قــد حجـب ملبيـا عرفاتـــه لمـــا أتـــى الميعـــاد
وشــربت زمــزم ذاتــه بصــفاته وصـفا الصـفا لمـا وقـا الإسـعاد
حـرم الحمـى ومقامـه فـوق السما مــن قابـــه يبـــدو لنـــا الإرشـــاد
يــالله يــا أســماء باســم محمـد غنـــى صـــبا نجـد فـــذا أنجـــاد
وترنمــي يــا هنـد فـي أوصـافه فبهـــا حلـــى الإنشـــاد والتعـــداد
ولترصــدي أوج النــوى ببياتــه ولتسـعدي ركـب الحجـاز سـعاد
طــاب الســماح قـراراه وجوابـه يبــدو إلـــى العشـــاق ثــم يعـــاد
يـا حسـنه حيـرت صـب صـبابه لا تحتجــب فحجابــك اســتبداد
قســـما بزيـــاك الجمـــال وإنـــه قسـم عظـيم القـدر فيـه سـداد
لـو أن منـه لمـن أبـى عن سجدة نظـر أبـدًا فيـه لهـا اسـتعداد
صــلى عليـــه الله مـــع إهدائـــه أو فــي ســلام مــا عليــه نفــاد
والآل والأصــحاب زهــر هدايــة هـــم ســـادة بحبـــاهم عـــواد
مــا صــاح شــاديها وبــاح مرنمًــا أو فـــاح منهـــا عبيـــر أو أجـــاد

وارد السر المكتم من قوله: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ

وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ) [محمد:٣١].

أثبت الله تعالى أنه ما علمك إلا منك، بيان ذلك: أن الله بذاته غني عن العالمين؛ لأنه هو عين كل شيء، فلا عالمين معه، إذ لا زائد على ذاته، وهذه طريقة الجمع، وبها يقول الغوث الشيخ عبد الكريم الجيلي من أن العلم الإلهي لا يفتقر إلى معلوم، أي: ما يخرج معلوم عن ذات الله فلا يأخذ اسمه العليم إلا من معلوم، أي: ما يخرج معلوم عن ذات الله، فلا يأخذ اسمه العليم إلا من المعلوم الذي هو ذات الله، فقوله: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ) [محمد:٣١] لم يخاطب إلا ذاته بذاته، كما قال: إن الله لغني عن العالمين.

وأما الشيخ الأكبر: فقد فصل حقيقة قوله تعالى: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ) [محمد:٣١] بيان ذلك أن ذات الله لها وجهان: وجود، وعدم، رحمة وانتقام، غضب ورضا، تنزيه وتشبيه، ولولا هذه المراتب لم يكن البحث عن الذات الإلهية مفيدًا، ولا كان الله يسمى بالأسماء متضادة ومنزهة ومشبهة، وهذا يقتضي اختلاف نعوت الله وصفاته، فاختلفت الأسماء و تقابلت الحضرات، وتنوعت التجليات، فثبت بهذا المعنى أسماء الجمال، وأسماء الجلال، فأصل أسماء الجمال من حقيقة الرضا، وأصل الأسماء الجمال من حقيقة الغضب، والذي يقتضي الرضا أحوالنا، والذي يقتضي الغضب أحوالنا، ونحن من الأزل أعيان عدمية، لا وجود لنا إلا في علمه، فلما كانت أحوالنا ثابتة في علمه ثبت عليه، بنا بما نحن عليه إذ لولانا لم يوصف بالرضا ولا بالغضب، فنحن المؤثرون به الجمال، والمؤثرون به الجلال، فلولانا لم يسم بالأسماء، ولم يكن له في وجوده أبناء؛ لأن الذات طمس محض كما قال: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ) [محمد:٣١] وهذا العلم هو علم سر القدر الإلهي، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ) [الصف:٥] يعني لما ثبت زيغهم، وهم حقائق عدمية ثابتة في علم الله أزاغ الله قلوبهم في حضرة الوجود، فما ثبت في الوجود إلا ما كان في الثبوت، فله الحجة البالغة؛ لأن حضرة الثبوت وهم في العدم ليست حضرة إعطاء حتى نقول: إن الله أعطاهم الزيغ، بل حضرة الإعطاء هي حضرة الوجود.

وكلامنا في حقائق العدم، والعدم لا يقبل، ولو قبل الإعطاء لكان وجودًا، فالله تعالى يعلم الوجود من نفس الوجود، الذي هو عينه، ويعلم العدم من نفس العدم، الذي هو عيننا،

فما أعطانا إلا ما نحن عليه حال عدمنا، فأعطيناه العلم بنا منا، فكسانا وجوده فكان هو الظاهر بنا بحسب ما نحن عليه، فعلم منا ما نحن عليه، فله الحجة البالغة، فنحن حكمنا عليه أن يحكم علينا بما حكم به، ولذا قال: (مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ) [القلم:٣٦] أي: أن لكم في الوجود لما تحكمون في حضرة الثبوت.

فسر القدر أن القدرة لا تؤثر في المقدور إلا بما هو عليه، وهو عدم الإثبات، والإدارة لا تؤثر في المراد إلا بما ثبت عليه في عدمه الأصلي، و هذا السر لما طلب كشفه العزير ﷺ أوحى الله إليه: «**لئن لم تنته لأمحون اسمك من ديوان الأنبياء**»[١٠٧٧]؛ لأن الأنبياء علمهم من الوحي الإلهي، والأولياء علمهم علم الكشف، يعني لأجعلن اسمك وليًا لا نبيًا، واسم النبي لمن يأتي بالخبر من عند الله، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ) [البقرة:٣].

وإذا زال الإيمان بالغيب وصار عيانًا زالت النبوة، ومن هذا الوارد علمت السبب في كون النبي ﷺ لم يبرأ زوجته عائشة -رضي الله عنها- بل قال لها: «**إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله**»[١٠٧٨]؛ لأن الله حجب عنه العلم بذلك، من طريق الوحي فتنة منه؛ ليظهر من مسطح ما ظهر، وليظهر من الصديق ما ظهر، فلولا إساءة مسطح، من أين يظهر كرم الصديق؟ فحال مسطح هو الذي أعطى الصديق الكرم، كذلك حالتا الثابت في علمه تعالى، هو الذي سماه: «بالرءوف الرحيم»، وأيضًا سماه «بالعليم» فلا قدرة للاسم العليم مثلاً أن يرد ما ثبت في أم الكتاب، التي حوت ما نحن عليه حين كنا عدمًا؟ بل العلم الإلهي مجبور لأم الكتاب، ولذلك ورد: «إن الله يتردد في قبض نسمة عبده المؤمن يكره الموت ويكره الحق مساءته»، ومع ذلك فالله يقول: «**ولابدَّ له من لقائي**»[١٠٧٩] أي: لابد له من الموت، كما قال تعالى: (كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ) [الأنبياء:٣٥] أي: حال الثبوت، فكان الوجود على ما عليه الثبوت، قال تعالى: (مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ) [ق:٢٩] أي: في حضرة ذاتي أزلاً: (مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ) [ق:٢٩] أي: ما أعطيتهم في الوجود إلا ما هم عليه في الثبوت، فالأم تبكي على ولدها إذا تألم من الأمراض، ولاسيما إذا كان طفلاً رضيعًا، وإذا مات تبكي عليه فترحمه وليس بيدها دفع الأمراض عنه، ولا دفع الموت، والله أرحم منها.

(١٠٧٧)

(١٠٧٨)

(١٠٧٩)

فيقول الجاهل: يا رب، هذا طفل صغير، لم يعمل الذنوب والمعاصي، فلأي شيء تعذبه هذا العذاب؟ أما أنت قادر أن تشفيه وتخلصه من هذه الآلام، وهو لا يعلم أن القدرة الإلهية تتبع الأمر الإلهي المقدور في نفسه، بما هو عليه في حضرة الثبوت، فعلمنا أن سر القدر يحكم في الحق كما يحكم في الخلق، ولذلك لما طلب علمه العزير ﵇ من طريق النبوة لم يعلمه الله به حين قال: (**أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**) [البقرة:٢٥٩] فما أخذ علمه إلا بالذوق، والذوق طريق الولاية والكشف، لا طريق الإيمان بالغيب: (**فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ**) فذاق أثر الاسم المميت (**ثُمَّ بَعَثَهُۥ**) فذاق أثر الاسم (الباعث) ثم قال له: (**كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**)، وهذا في ذوقه لا في حقيقة الأمر؛ لأن الله أماته مائة عام، فذاقها يوما أو بعض يوم؛ ليعلم أن يوم القيامة خمسون ألف سنة، وهو في الذوق بقدر صلاة ركعتي سنة الفجر، كان يخففها ﷺ، ثم إن الحق قال للعزير من طريق الولاية: (**فَٱنظُرْ**...) إلى آخره كذلك.

تقول: لو فرضنا أن النبي ﷺ كشف حال عائشة في عينها الثابتة أذلاً، وأنها بريئة، لم يكن له أن يخبر إلا من طريق النبوة؛ لأن معاملته للأمة ليست إلا من طريق النبوة، وإن كان له أعلى طبقات الولاية، كذلك لو كشفها أنها غير بريئة، لم يكن له أن يخبره بذلك؛ لأن طريق النبوة يمنعه، قال تعالى: (**فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ**) [النور:١٣] فحكمت النبوة القرآنية أن من رمى زوجته أو غيرها بالزنا، ولم يكن شهود، فهو عند الله كاذب شرعًا في دين الله، ولو كان صادقًا، فإن الله حكم عليه بالكذب، ولذلك قال ﷺ في المرأة لما لاعنت زوجها وخلصت من عذاب الحد الشرعي: «**لولا الإيمان لكان لي ولها شأن**»[١٠٨٠] يعني أن نبوتي حكمت على ولايتي، فخلصها حكم الإيمان، فكان حكمه أقوى من حكم العيان.

وهذا هو مقام علي بن أبي طالب ﵇ القائل: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا»[١٠٨١].

ومن هذا الوارد ظهر لي السر في كون النبي ﷺ نهى «أن يطرق المسافر أهله ليلاً»[١٠٨٢]، فلما طلب بعض الغافلين كشف هذا السر ستر عنه بقوله: «**حتى تمتشط**

(١٠٨٠)

(١٠٨١)

(١٠٨٢)

الشعثاء»[١٠٨٣]، والسر في ذلك أن الإنسان إذا ما رأى ما يكره من أهله، ولم يأت بالشهداء، فهو عند الله كاذب، ولو كان عند نفسه صادقا، فليس للتجسس ثمرة إلا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وكم من إنسان يزعم أنه شديد في الدين، وفي اتباع الشرع وهو يتجسس في الأمور، ويفضح المسلمات المتسترات، ويقول: إن فلانة دخل عليها فلان مثلاً، فينبغي أن تخرج من جوارنا؛ لأنها من المومسات، ولم يدر أنه بهذا القول استحق من الله اللعنات، حيث فضح المسلمات، وعصى الله في قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجرات:١٢] فالمؤمن من الخلق هو الذي يتبع المؤمن الحق، فيقول لمن طعن في امرأة بلا شهود: إنك كاذب، ولو لم تكذب عند نفسك، فأنت عند الله كاذب، وقد وقع عمر بن الخطاب ﷺ في أمر التجسس ثم ندم على ذلك وتبين له خطأه شرعًا، فكان يقول: كل الناس أفقه منك يا عمر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد كشف الساق وفيه الجمع والافتراق

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢] ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٣].

اعلم - نورك الله وبصرك، وقدر لك الخير، وعليه أقدرك- أن الله تعالى له أيدٍ كثيرة، وله سوق كثيرة، وله أقدام كثيرة، وله عيون كثيرة، وله وجود كثيرة، فكل اسم إلهي من أسمائه يوصف بأنه يده من وجه، وساقه من وجه، وقدمه من وجه، وعينه من وجه، ووجهه من وجه، وذلك كله هو المعنى الذي قام به ذلك الاسم، فمن كون ذلك الاسم له القوة هو يد الله، ومن كونه هو الماشي بمظهره في الطريق المتوجه ذلك الاسم عليه هو قدم، ومن كونه ناظرًا لمظهره هو عين، ومن كونه مشهودًا له هو وجه إلى غير ذلك مما لا يحصى، فكل اسم معناه ممتاز عن اسم غيره في المعنى، وذلك المعنى رب لمن توجه عليه من المظاهر الكونية، وذلك المظهر عبد لذلك الرب، فما في الوجود إلا عبد لله من جهة اسم خاص متوجه على ذلك العبد، قال تعالى :﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد:١٥] فما من مظهر في الوجود إلا وهو ساجد لله تعالى بهذا الاعتبار.

قال تعالى : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣] ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ [مريم:٩٤] ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾

(١٠٨٣)

[مريم:٩٥] إذا علمت وتحققت، فاعلم أن الاسم الإلهي الذي دعاهم إلى السجود إليه؛ لأنه ليس ربهم المتوجه عليهم بحقيقة معناه: (أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ) [المؤمنون:٦٩] فلا يعرفونه: (خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ) [القلم:٤٣] منه (خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ) [القلم:٤٣] لعظمته وسلطانه (خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ) [القلم:٤٣] له في الدنيا باطنًا لا مكشوف الساق، أي: لا مكشوف المعنى الذي يسوق من توجه عليه إليه، فكانوا لا يعرفون؛ لأنهم عبيد رب من الأسماء غيره، فالذي هم عبيد إليه وهو ربهم من الأسماء، إذا تجلى لهم وكشف عن ساقه يسجدون إليه في الآخرة صورة، كما سجدوا إليه معنى في الدنيا، فقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ) [محمد:١١] أي: آمنوا بربهم المتوجه بمعناه عليهم (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ) [محمد:١١] من جهة الاسم الإلهي الذي هو ليس بربهم، وليس متوجها بمعناه عليهم، وليس بمتولي تدبيرهم فيما هم عليه من الأحوال والشئون، فلما كفروا من جهة هذا الاسم، وستروا معناه، كشف لهم في الآخرة عن ساقه ودعاهم إلى السجود، فلا يستطيعون؛ لأنهم مضادون لمعناه، فليسوا قائمين به حتى يسجدوا له، فلا يسجدون له لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل ربما إذا تجلى لهم وقال: (فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ) [النازعات:٢٤] يتعوذون منه وينكرونه، ويقولون: (نعوذ بالله منك لست ربنا)، فهو ليس بمولى لهم ولا ينصرهم، بل هو خاذل لهم، وهذا هو المعنى الذي حققه سيدي محمد وفا في كتابه «الأنفاس» ورد على صاحب «الفصوص» - سلام الله عليه- فقال: ولا التفات لمن قال فكان الله عين أنصارهم، وذلك أن صاحب «الفصوص» لما علم أن الله استثنى في قوله: (فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا) [نوح:٢٥]، قال ﷺ: فكان الله عين أنصارهم، أي: هو مولاهم من جهة الاسم المتوجه عليهم، فيما كانوا فيه من الشئون والأحوال، فالله مولاهم وناصرهم من جهته هذا الاسم، وهو الذي إذا تجلى لهم في القيمة وكشف عن ساقه عرفوه وأقروا به، وقالوا: أنت ربنا فالرب المعروف له ساق، والرب المنكور له ساق كل، له ساق خاص به، فساق الهادي غير ساق المضل، وساق المعز غير ساق المذل، وساق المعطي غير ساق المانع، وهكذا وهذا الشأن يتفصل في يوم القيامة لا في يوم الخلود، فهذا التمييز المكشوف يوم القيامة هو الذي اقتضى سعادة قوم في الجنة، وشقاء آخرين في النار، وإذا التفت الساق بالساق كما قال تعالى: (وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) [القيامة:٢٩] (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ) [القيامة:٣٠].

عند ذلك يجدون الله ناصرًا؛ لأن الاسم الجامع يجمع الجميع، فهو ناصر للجميع، ومدلوله الأحدية بلا افتراق، ورب محمد حضرة الأحدية التي هي الجمع الذاتي القرآني، والمعنى الأول هو الأمر الفرقاني من محمد ﷺ، وهو حضرة الواحدية التي تقتضي الفرق في عين الجمع، وبها يتميز معنى كل اسم عن معنى اسم غيره.

وأما حضرة الأحدية التي فيها التفاف الساقين فهي الحضرة الحاكمة على جميع الأسماء، وهي آخرة الآخرة، كما قال بعضهم: العارف لا دنيا ولا آخرة؛ لأنه دنياه آخرته وآخرته لربه، وفي هذه الحضرة قال الله في حقها: (**وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**) [الروم:٤٧] لأنه ظهر إيمان الله بنفسه بلا سوى، فكان كما قال: (**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**) [آل عمران:١٨] فإذا ما في الوجود إلا مؤمن موحد، إذ ما في الوجود إلا الله، قال تعالى: (**خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ**) [هود:١٧].

فإذا ظهر الله فأين السماوات والأرض، فقد زالت الدنيا والبرزخ، والقيامة، والجنة والنار، ولم يبق إلا الله، وذلك معنى قوله ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»(١٠٨٤) فقد محا الله بذاته كل شيء في الوجود، وما ثبت إلا هو.

فانظر - رحمك الله- إلى هذا التوحيد المحمدي الموافق لقوله تعالى: (**وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ**) [البقرة:١١٥] فليس بعد بيان الله ورسوله بيان، فقد علمت أن السماوات والأرض وكل شيء في الوجود باطل، أي: عدم، والدائم وجود الله، وحيث لا دوام فلا خلود، ولم يقل تعالى:(**خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ**) [هود:١٧] مادام وجود الله.

فمن تحقق أن الله هو الدائم، فخلوده فيه لا في الجنة، ولا في النار، ولابد من تحقق هذا المعنى حين التفاف الساق بالساق، فيظهر أن الخلق عين الخلاق.

وإن فهمت ما قلناه علمت أن الجنة والنار عند المحققين كل منهما دار خلود فيه، لا في نعيم ولا في عذاب، بل هو الخالد والمخلد فيه، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل

(١٠٨٤)

كان زهوقًا، ولذا قال سيدنا - سلام الله عليه- في «فصوص الحكم» في الفص الإسماعيلي: «فلم يبق إلا صادق الوعد وحده» أي: لم يبق إلا الله الذي هو صادق الوعد، ثم قال: «وما الوعيد الحق عين تعاين» أي: لأن الوعيد يقتضي السيئات، والسيئات يتجاوز عنها ويبدلها حسنات؛ لأنه جميل يحب الجمال، فزالت السيئات، فزال الوعيد، وانقلبت صورة الجلال إلى صورة الجمال فلذلك تمم وقال :

وإن دَخَلُوا دارَ الشَّقاءِ؛ فإنَّهُم   على لَذَّةٍ فيها نَعِيمٌ مُبايِنُ

أي: لذة جمال ظهر من عين الجلال لالتفاف الساق بالساق ثم قال:

نَعِيمُ جِنانِ الخُلدِ، فالأمْرُ واحِدٌ   ....

أي: في الحقيقة، ولكن الاختلاف للصورة، ولذا قال:

....   وبينهُما عِندَ التَّجَلّي تَبايُنُ

أي: لأن الذوق مختلف باختلاف التجلي، فربما كان ضرب الحبيب أعزب من إكرام العذول والرقيب.

ولذا قال سيدنا:

يُسمَّى عذابًا من عُذُوبَةِ طعْمِهِ   وذاك له كالقِشْرِ والقِشْرُ صائِنُ

يعني: أن الله أبطن هذه العذوبة في صورة ما يؤلمه ظاهرًا، وللسيد المختار أن يبطن الرحمة في صورة اللعنة مثلاً، فمن باطنه إلى ظاهره، ومن ظاهره إلى باطنه، وهو هو، فافهم والله الموفق.

وارد

قال ﷺ: «**إن الله يحب كل مفتن تواب**»[١٠٨٥] وهذا الحديث يشهد أن البشر أكمل من الملائكة، ولذلك كانت خلافة الله تعالى في البشر لا في الملائكة، ولم يقبل الحق جلا وعلا الطعن الذي طعنوه في البشر، من قولهم: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) [البقرة:٣٠] وبيان هذا السر وكشفه أن أمانة الأسماء والإلهية لم يقم بحملها على الكمال إلا البشر، فإن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فليس فيهم قابلية لأن يكونوا مظاهر للاسم المنتقم ولا للاسم الحليم، ولا للاسم التواب، ولا للاسم الخاذل، ولا للاسم المملي ولا للاسم القائل: (**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**) [آل

(١٠٨٥)

عمران:١٧٨]، ولا للاسم العفو، ولا للاسم الغفار، فلا يسبحون إلا بأسماء التنزيه وأسماء التشبيه فقبلوا كمال الأمانة الإلهية، فكما أعطاهم الحق رحمته مثلاً ومغفرته، فكذلك هم بقبولهم لذلك أعطوه أن يسمى غفورًا رحيمًا وليس التسبيح بأعظم من الانقياد لظهوره بأسمائه فيهم، فمن هنا قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة:٣٠] فنبه ﷺ على هذا المعنى بقوله: «**إن الله يحب كل مفتن تواب**»[١٠٨٦] لأنه تعالى هو «المُفتِن» بضم الميم وكسر التاء فالمظهر لتلك الفتنة هو ابن آدم، فهو مُفتَن بضم الميم وفتح التاء فمن كمال داود عليه السلام قول الله في حقه: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ) [ص:٢٤] فظن بالله خيرًا ليجوز كمال الخلافة الإلهية، ويكون هو التواب، والتواب هو الله، فتجلى الله على داود يتجلي الربوبية فيه، ثم تجلي العبودية فيه، فكان ربًا عبدًا: (فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا)[ص:٢٤] من العروج إلى النزول، (وَأَنَابَ)، ألا ترى أن الله سمي نفسه قاتلاً فقال تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ) [الأنفال:١٧] أي: قتلهم بكم، فأنتم مظاهر قتله، فالملائكة ما شمت رائحة هذا القرب، ولما كان التجلي لأخوة يوسف ـ عليه وعليهم السلام- تجلي الأفعال، وكانوا أصحاب فناء في التجلي الفعلي، قال قائلهم: (ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا) [يوسف:٩] لشهودهم أن الله قاتله بهم وقوله: (أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا) [يوسف:٩] أي: أنزلوه عن مرتبته التي استحق أن يكون بها خليفة عن أبيه، (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) [يوسف:٩] لأن وجه أبيهم هو وجه الله الظاهر بالخلافة في أبيهم، وهي القيام بالأسماء الإلهية على وجه الكمال، ولذلك قال قائلهم: (وَتَكُونُوا مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ) [يوسف:٩] أي: صالحين للخلافة الإلهية، فما قالوا لأبيهم: (تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ) [يوسف:٨٥] إلا غيرة على الخلافة الإلهية.

وذكر الإمام الشعراني في الطبقات: أنه يحصل للمريد تجلي إلهي من هذا التجلي، بحب قتل شيخه ولا يبالي ألا ترى قصة الخليل إذ قال لابنه: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) [الصافات:١٠٢].

فحصل له تجلي أنه يذبح ابنه، ولا يبالي بذلك، فهذا التجلي هو الذي حصل لأخوة يوسف في حق يوسف ـ عليه وعليهم السلام جميعًا- ثم إن التجلي حكم عليهم بإلقائه في الجب لينقلوه إلى مرتبة البطون عن أبيه، فيخلو وجهه إليهم، فيرثون الإمداد الذي من أبيه

([١٠٨٦])

له.

وقد ذكر الشيخ الأكبر في «فصوص الحكم» أن حكمة قتل الأبناء من أجل موسى؛ ليعود على موسى إمداد كل من قتل من أجله إذ ما قتلوا إلا على إنهم موسى الذي يأخذ ملك فرعون، فكان مراد الله في باطن الأمر إمداد موسى بكل ما كانت الأبناء بقتلهم مستعدة له لو كانوا أحياء، فكان موسى هو الوارث للأبناء، ففتن الله فرعون فقال موسى: **(إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ)** [الأعراف:١٥٥] والله يحب كل مفتن تواب، فكما جعل فرعون مظهر فتنته فكان هو القاتل في فرعون للأبناء، كان هو التواب فيه، فأفسد فرعون، وسفك الدماء، مع أن الله قال: **(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ)** [الأنفال:١٧] فالملائكة لا يسبحون الله بهذا التسبيح، بل نصيبهم من التسبيح كما قالوا: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** [البقرة:٣٠].

وكم لجأت إلى الله تعالى أن أفهم حقيقة ما فعله أخوه يوسف ـ عليه وعليهم السلام- مع أنهم أنبياء مأمورون من الله بأفعالهم، حتى ظهر أن ما فعلوه هو من تجلي الأفعال، وكل ذلك مشهود لأبيهم، فلا تظن أن يعقوب عليه السلام يخفي عليه أمرهم، مع أن الولي يبصر ما فوق الفوق، وما تحت التحت، حتى قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في تلميذه أبي العباس المرسي: أبو العباس في أزقة السماوات أعرف منه في أزقة الأرض، وإذا كان هذا في المريد فما بالك في الأستاذ، فما بالك في نبي الله يعقوب عليه السلام وما كان حزنه لأجل فراق ولده كما يزعمه العامة، بل حزنه عن تجلي إلهي نوراني من هذا التجلي أبيضت عيناه، أي: كانت عيناه، أي: كانت عيناه نورًا فله عين حقية بها يجد ريح يوسف، وهي النفس الرحماني الذي كان باطنًا، يتصور له بصورة يوسف، فهو يشاهد الله بتلك الصورة، ويذكره باسم تلك الصورة، فاسم يوسف عند يعقوب هو اسم الله، كما أن صورته المتجلية ليعقوب من النفس الإلهي وجه الله.

فهذه عينه الحقية التي هي نور إلهي، فإن الله كان سمعه وبصره، وأما عينه الخلقية فقد تولاها الاسم الباطن، فحجب عنها صورة يوسف المقيدة المحسوسة المشهودة لأعين البشر، ليقوم بمرتبة الصبر، والصبور هو الله، فاستنارت عين خلقيته من تجلي الحزن، فكان صبره عين صبر الله من معنى اسمه تعالى الصبور، فلذلك قال: **(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)** [يوسف:١٨] وإنما كان جميلاً؛ لأنه وصف الله فأعانه الله، وقواه بشهود جمال صبره، ولذلك قال: **(وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)** [يوسف:١٨] وشكواه إلى الله لا تنافي صبره؛ لأنه قيام بالعبودية، وهي عبودية الحق فيه، فإنه يحن إلى التجلي من جهة

الإطلاق، فلا يعزب عن علمه في تجلي الإطلاق مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، وهو الإنسان الكامل، فالناس لا يعلمون من يعقوب عليه السلام إلا الحزن، مع أن العارف بالله تعالى تبكي عينه ويضحك قلبه، ألا ترى بكاءه ﷺ على ابنه إبراهيم لما مات؛ لأنه ﷺ جامع للمرتبتين، مرتبة الإطلاق، ومرتبة التقييد، وهكذا يعقوب عليه السلام فلذا قال: (**يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ**) [يوسف:٨٤] من جهة تجلي الاسم الظاهر بصورة الجمال المقيد في الصورة الحسية، فبطون تلك الصورة ظاهر هو المقتضي للأسف، كبطون صورة إبراهيم عن النبي ﷺ ظاهرًا.

وأما من جهة الإطلاق فقد قال تعالى في حق يعقوب: (**وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ**) [يوسف:٦٨] ومن كمال علمه ومراعاته الحكم والأسباب قال لبنيه: (**وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ**) [يوسف:٦٧] كذلك قال ﷺ: «**إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر**»[١٠٨٧] فالكل يشهدون العين المؤذية مظهر اسم الله الضار، فلذا قال ﷺ: «**وأعوذ بك منك**»[١٠٨٨].

ولما كان يعقوب عليه السلام هو الإنسان الكامل صاحب التجلي الذاتي الذي عليه يدور أمر الوجود، وله يكون في باطن الأمر الركوع والسجود، قال لبنيه: (**مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى**) [البقرة:١٣٣].

ولذلك أقول - وإني أدين الله بما أقول- أن بنيه عليه السلام كلهم أنبياء علماء بالله قد سلك كل واحد منهم سبيل الله، فهو مع الله تعالى لا مع النفس والهوى، وأما قول أبيهم لهم: (**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا**) [يوسف:١٨] فهو من علمه بحقيقة أنفسهم، قال ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[١٠٨٩] يعني أن الربوبية الإلهية هي التي تجلت على أنفسهم بالأمر الواقع منهم، فأنفسهم عليهم السلام مطمئنة راضية مرضية، ومن تحقق يوسف عليه السلام وعلمه ببراءتهم عند الله قال: (**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**) [يوسف:٩٢] أي: بمغفرتي؛ لأنه حفيظ للمراتب عليم بها، يعني: أن الله هو الساتر بتجليه لكم، (**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**) [يوسف:٩٢] أي: لا عتب ولا ملام عليكم، وأما قول يوسف: (**أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا**) [يوسف:٧٧]

(١٠٨٧)

(١٠٨٨)

(١٠٨٩)

فالمقصود بالمكان محل التهمة، لا أنهم في أنفسهم محل للشر، فإنه يعلم أن المراد وبقوله: (أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ) [يوسف:٧٠] غير السرقة المعلومة في العرف، وقولهم: (ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ) [يوسف:٨١] من هذا القبيل فإنه سرق الكمال في حياة أبيه، حيث يقول: (قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف:٥٥] فكان من الأفراد ثم ورث الغوثية من أبيه مع مقام الفردية الذي كان له، ولذا قال في حياة أبيه: (رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ) [يوسف:١١].

وأما بعد وفاة أبيه فهو مظهر الاسم مالك الملك على التمام، وأما فتنة داود عليه السلام التي أورثته الزلفى وحسن مآب، واستحق بها حب الله له لقوله ﷺ: «**إن الله يحب كل مفتن تواب**»[١٠٩٠] فقد قال سيدنا العارف الأمير عبد القادر الحسني بأن داود عليه السلام تحقق بالأسماء التسعة والتسعين، ثم ترقت همته للتحقق باسم الذات الذي هو تمام المائة فضرب الله لذلك مثلاً بالنعاج، فهي شكوى في الظاهر، وثناء في الباطن؛ لأنه ما طلب إلا المقام المحمدي، قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا) [الفتح:١٠] وطلب الألوهية كان فيه ظلم لمرتبة العبودية.

وأما محمد ﷺ فقد تجلى بها من غير طلب، ولا يخفى أن سيدنا الأمير رضي الله عنه تكلم على مشهد داود عليه السلام في عالم الأسماء الإلهية من جهة التجرد عن المادة والصورة، وخادمه يقول بما قال، ولكن مع مطابقة المعنى للصورة.

فالذي أقول به: إن الحق تجلى على داود في المرآة التي فتن بها داود بتجلي ذاتي، كانت بذلك التجلي مرآة خلافته بالتمام، فكان فيها من القابلية ما لم يكن في التسعة والتسعين امرأة اللاتي كن عنده، ولذلك كان في الخلافة الإلهية أمكن من أبيه آدم؛ لأن فتنة آدم كانت من جهة النبات، وفتنة داود من جهة الصورة الإنسانية فكانت تلك المرآة على صورة داود تفتن بها فتنة الأحدية، والله يحب كل مفتن تواب، فتوبة داود منه إليه، فهي أمكن في مشهد الأحدية، فلذا خاطبه الحق بالخلافة صراحة وذكر خلافة آدم بالقرينة لا بالصراحة، والله أعلم.

(١٠٩٠)

وارد الإنصاف في نفي الخلاف

قال الله تعالى: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) [الفاتحة:٦] فالصراط هو الأحد الذي لا يتعدد بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون في الوجود غيره، فاستقامته ألا سواه ولو تعدد لتفاوت، وإذا تفاوت كانت استقامته نسبية لا ذاتية، والنسب أمور عدمية معقولة لا وجود لها في الخارج، بل في الذهن والتعقل، فعلمنا أن الاستقامة ذاتية وجودية، وليس ذلك إلا لذات الله تعالى دون أسمائه وصفاته؛ لأن الأسماء والصفات لها الكثرة، والكثرة اعتبارية عدمية، فتبن أن الصراط المستقيم ذات لله تعالى الأحدية الغنية في نفسها عن العالمين، ومن حقيقة هذه الاستقامة قال تعالى: (ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) [الملك:٣] ففي هذه الحضرة الضلال عين الهدى، والكفر عين الإيمان، والشرك عين التوحيد؛ لأن الهوية واحدة، والله سبحانه وتعالى قال: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ) [الحديد:٣] فعلى هذا المعنى ليس الصراط المستقيم إلا هو، فهو الهادي والمهدى إليه، فأين التعدد؟ وأين التفاوت؟ فأحسن تقويم في هذه الحضرة عين أسفل سافلين، وذلك لأن الله له الكمال المطلق، والكل مظاهر وجوده المطلق، وهو الكامل على الإطلاق، فمظاهره كاملة على الإطلاق، وهذا الكمال هو المسمى بالكمال الذاتي، ويستوي فيه الشقي والسعيد، والملك والشيطان، والكمال فيه عين النقصان، والعدم المحض في هذه الحضرة عين الوجود المحض، والحادث عين القديم، والمنزه عين المشبه، والواحد عين الكثير، والحق عين الخلق.

وهذا المقام الذاتي هو المعبر عنه بالمقام المحمود؛ لأن ذات الله هي التي تحمدها سائر الأسماء والصفات، وقد تجلى لداود ﷺ في المرآة العريانة التي وقع نظره عليها، وقد كان متمكنًا من الأسماء الإلهية التسعة والتسعين، المعبر عنها بالنعاج، ووجه الشبه أن النعاج تدر اللبن، واللبن صور ة العلم الإلهي، ولذا كان ﷺ إذا شربه يقول: «**اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**»[١٠٩١]، فكان بطلب الزيادة من العلم بالله؛ لأن الله تعالى قال له: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِى عِلۡمٗا) [طه:١١٤] وكذلك الأسماء الإلهية التسعة والتسعون التي كانت تتجلى لداود ﷺ تفيده العلوم الإلهية والمعارف الربانية، فلما أقام الله له مثلاً عن تجلي الذات معراة عن ملابس الأسماء والصفات في المرآة التي شاهدها وهي عريانة، طلب هذا المقام صورة ومعنى،

(١٠٩١)

فأقام الله له الخصمين، وهما الملكان، أحدهما: صورة الاسم الله، والآخر صورة الاسم الرحمن، وكل من هذين الاسمين اسم جامع مدلوله الذات الإلهية، وهما مقام محمد ﷺ الذي هو المقام الجامع المحمود، فرفع داود عليه السلام همته عن العدد حينما تجلى الله الأحد في الذات الكاملة الإنسانية المعراة عن ملابس الأسماء والصفات، فمال داود إلى هذا التجلي صورة ومعنى، ولما كانت المرأة عرش الاستواء للرجل، وهي صورته فرحمته لها رحمة لصورته أحب أن يتحقق بحكم قوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) [طه:٥] فعبر الحق عن هذا الميل بالفتنة كما قال: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ) [ص:٢٤] وما فتنته إلا بالمقام المحمدي الذي جرى عليه الخصام صورة من مظهر الألوهية، ومظهر الرحمة العامة الكلية (فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ) من طلب ما هو لغيره، وهو مقام الذات (وَخَرَّ رَاكِعٗا) منقادًا خاضعًا لصاحب هذه الرتبة محمد ﷺ لأن المقام المحمود لا يتحقق به على الكمال إلا محمد ﷺ؛ وهو مقام الذات التي تحت حكمها جميع الأسماء والصفات.

ثم إن داود عليه السلام طلب القرب من المقام المحمدي الذي حبب إليه النساء، فتزوج المرأة التي شاهد بها التجلي الذاتي؛ ليدخل في المقام المحمدي من جهة الإرث، وينتقل بهذا التزوج من عين اليقين إلى حق اليقين، ولذلك قال تعالى بعد ذكر هذه القصة: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ) [ص:٢٦] فمقامه الخلافة عن الأصل الذي قيل له: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) [الأحزاب:٥٦] فكان محمد ﷺ كعبة للاسم الجامع، وهو الله، فلا يستقبل هذا الاسم ولا يتوجه إلا للصورة المحمدية على جهة الأصالة، وللباقي من جهة التبعية، والمراد بالملائكة الأسماء التسعة والتسعون، فكان تمام المائة، وهو ذات الله تعالى التي هي المعنى للاسم الجامع وهو الله منطبقًا على صاحب المقام المحمود، الذي تحمده جميع الأسماء، وهذا هو الذي طلب داود بعد تحققه بالتسعة والتسعون، فحصل بهذا الطلب خلافه الله من طريق الإرث المحمدي فهو خليفة الله.

وأما محمد ﷺ فهو صاحب الأصالة على الإطلاق، ولذلك كان منبع التوحيد، فقرن ذكره مع شهادة أن لا إله إلا الله، وقوبل بآية: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) [الفتح:١٠] وأين الأصل من الخليفة.

ولما كان ذاتيًا محضًا له التصرف على الإطلاق، أمر بأن يضيف جميع العباد المسرفين على أنفسهم إليه، كما قال تعالى: (قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ) [الزمر:٥٣] وهو بعينه رحمة الله، أي: لا تقنطوا مني؛ لأنكم عيني،

وقال في المؤمنين: (ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ) [الأحزاب:٦] ولما تجلى الكنه الذاتي جهة المقام المحمود لداود ﷺ قال: (لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ) [ص:٢٤] يعني أن الذات هي أم الأسماء والصفات، وحكمها وجودي، وحكم الأسماء عدمي، وضم الوجود إلى العدم ظلم، فإن الوجود عبارة عن النور، والعدم ظلمة، والنور والظلمة لا يجتمعان في التجلي، ولو اجتمعا بمفهوم الذات الجامعة للضدين فهما مختلفان في الحكمين، فقد قضى داود على نفسه، ولذا قال تعالى: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ) أي: فتناه بنا (فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ) أي: طلب ستر ما ينبغي أن يستر(وَخَرَّ رَاكِعًا) من قيومية الذات (وَأَنَابَ) إلى مهبط الأسماء والصفات.

وهو الفرق الثاني بعد الجمع المطلق، وذلك مقام الخلافة.

تنبيه مهم:

اعلم - نبهك الله تنبيه أولي الألباب، وأتحفك بالحكمة وفصل الخطاب- أن الحقائق الإلهية لا تقتضي إلا ما أخبر به القرآن العظيم، وقد أخبر القرآن الذي (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ) [فصلت:٤٢] (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) [النجم:٣٩] فالملكان اللذان تسورا محراب داود ﷺ هما صورتان معنويتان في باطن داود ﷺ، تجليا له ظاهرًا بصورة خصمين ظاهرين مختلفين، وفي الحقيقة المعنى في باطن داود هو الذي اختلف في حال إلى حال، فكان داود متحققا بالاسم الرحمن الساري في الأسماء التسعة والتسعون بمقتضى الرحمانية، التي تقتضي ظهور أعيان الأسماء المعبر عنها كناية بالنعاج، لدرها بالعلوم الإلهية، كما ندر النعاج بلبنها، فأحب التحقيق بالذات الأحدية التي هي مدلول الاسم الجامع، وهو الله من جهة دلالته على الذات، لا معنى الإلوهية، فالمدعي بالشكوى هو الاسم الذي له النعجة الموصوفة بالواحدية التي هي واحدية الذات في نفسها، ولذلك لم يكتف بقوله: (وَلِيَ نَعۡجَةٞ) [ص:٢٣] بل وصفها بالواحدية فقال: (وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا) لأنه تعالى قال: (وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلاً) [النحل:٩١] (وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ) أي: غالبني؛ لأنه أوتي الحكمة، وفصل الخطاب، فأحب داود الانتقال من كثرة الأسماء والصفات إلى أحدية باطنه وهو الذات، فتجلي له الإخوان من باطنه، وهما الله والرحمن، فإنهما إخوان في مقام الجمعية، قال الله تعالى: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ) [الإسراء:١١٠] فهما إخوان بصورة خصمين، فدخلوا عليه بلا إذن على خلاف العادة، بصورتين إنسانيتين، لا ملكيتين، وإلا لما فزع منهما، فقالوا: (لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ

بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ) [ص:٢٢] إذ أحدية الله لا تقتضي الكثرة، ورحمة الرحمن تقتضي الإنعام، على كثرة الأسماء بالظهور، فظهر الخلاف، وإن كان الاسم الله من جهة دلالته على الألوهية يقتضي الكثرة، ولكن من جهة دلالته على الذات الجامعة لا يقتضي إلا الأحدية، كما قال تعالى: (قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [الإخلاص:١] ثم قال الاسم الله: (فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ) [ص:٢٢] أي: بما تراه وتشهده من الحق، هل الأصل الأحدية؟ أو الأصل الكثرة؟ فإن المقام مقام حيرة؛ لأن الأحدية للحقيقة، والحقيقة لا تظهر إلا بصورها، كحقيقة الإنسان مثلاً هي أمر معنوي، فلا تدرك إلا من صورة الإنسان، فليت شعري ما هو الأصل، هل الأحدية الإنسانية في نفسها، وكثرة الصور أمر اعتباري لا وجود له إلا في التعقل والذهن؟ أم كثرة الصور الإنسانية هي الأمر الوجودي؟ والحقيقة هي الأمر المعنوي الاعتباري الذي لا يتعقل إلا من وجود الصورة، فالله يقتضي محو الصور، والرحمن يستدعي ظهور الصور، إذ الرحمة لا تكون بلا مرحوم، فكيف الحكم في ذلك؟ لأن الأمر دوري متلازم كالنواة والنخلة مثلاً، وفي الأسماء الإلهية كالأول والآخر والظاهر والباطن، فلا يعرف أحدهما إلا بالآخر، ولذلك كان الإنسان الكامل ﷺ قاب القوسين، أي: هو الحقيقة الرابطة البرزخية بين قوسي الأولية والآخرية والظهور والبطون، وقوله: (أَوۡ أَدۡنَىٰ) [النجم:٩] هو أحديته في نفسه التي لا يرى فيها سواه، بلا أول ولا آخر، ولا ظاهر ولا باطن، وهذا هو الحكم بالحق الذي طلب من داود عليه السلام فقيل له: (وَلَا تُشۡطِطۡ) [ص:٢٢] بضم التاء وسكون الشين وكسر الطاء الأولى، أي: لا تبعد عن الحق فما ثم بُعْدٌ، إذ الأحدية عين الكثرة كما أن البحر عين أمواجه، وفي بعض القراءات: (ولا تُشَطِّط) بضم التاء وفتح الشين وتشديد الطاء مكسورة، وقرئ: (ولا تَشْطُط) بفتح التاء وسكون الشين وضم الطاء، وقُرئ: (ولا تُشَطِطْ) بضم التاء وفتح الشين وكسر الطاء الأولى وجزم الثانية على كل حال من القراءات الأربع، ثم قيل له عليه السلام: (وَٱهۡدِنَا إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ) وسواء الصراط: عين داود عليه السلام أي: أهدنا إلى نفسك، أي: بأن تشهدنا في نفسك، إذ أنت المقصود بنا يا داود، فنحن ذكرك وأنت المذكور بنا، قال تعالى: (لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [الأنبياء:١٠] وقال تعالى: (بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ) [المؤمنون:٧١] ولما كان الذكر عائدًا إلينا، وسواه نحن، قال تعالى: (مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ) [الروم:٤٤] أي: ما كفر إلا نفسه وكذلك قال: (وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ) [لقمان:١٢].

فانظر - رحمك الله- إلى علو الحقائق القرآن العظيم، ومن أجل أن أذكاره عائدة إلى

حقيقية الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وقالت عائشة قدس سرها: «إن خلقه القرآن»[١٠٩٢] فلله درها من متحققة بالسر المحمدي على ما هو عليه، وكيف لا؟ وهي عرش محمد ﷺ ومحل استوائه، فهي لباسه، وهو لباسها للود والرحمة بينهما، فافهم ترشد.

ثم إن الحق من حقيقة اسمه الجامع، وهو الله، قال عن الاسم الرحمن المقتضي للكثرة التي هي التسع والتسعون: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ فزالت الخصومة باسم الأخوة، وذلك لما قلناه من أن الأحدية عين الكثرة، كما أن البحر عين أمواجه، فالتسعة والتسعون نعجة عين النعجة الواحدة، ولما لم يشعر داود أولاً بالمعنى المراد قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص:٢٤] فلما عرف أن الأمر عائد عليه بقول الخصمين، بل الأخوين، قضى الرجل على نفسه؛ لأنه عين الظالم والمظلوم، والشاكي والمشكو إليه، الذي هو الحاكم، ظن الفتنة فقال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: بظهور الكثرة مع أنه لا غير ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ من كثرة السوى بأحدية العين الغافرة لا سواها، وتلك العين هي حقيقة داود بنفسه، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [ص:٢٤] من قيومية الاسم الجامع بحكم الأحدية إلى ركوع الاسم الرحمن المنحنى بركوعه على المرحوم، وذلك هو مقام الخلافة﴿وَأَنَابَ﴾ ( ) [ص:٢٤] إلى نفسه فلم ينظر الأمر خارجًا عنه؛ لأن الرحم عين المرحوم، فعاد الأمر إلى أحدية الذات مع كثرة المظاهر، فقيل له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١٠٩٣]

([١٠٩٢])

([١٠٩٣]) وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة تسلية لقلب نبينا محمد ﷺ؛ حيث أوقع الله في قلبه محبة زينب، فضاق صدره، فقال سبحانه: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾، ففرح بذلك، وزاد له محبة الله والشوق إلى لقائه، فافهم أيها الممتحن بالمحبة؛ إن الله سبحانه خلق قلوب عشاق الأنبياء والأولياء من آثار تجلي جماله وجلاله ومحبته وشوقه وعشقه وبهائه ولطفه، وأوقعها في بحار نور نوره، وغسلها بمياه التنـزيه والتقديس، ثم كاشف بها عين الألوهية حتى غرقت فيها وانهزمت من سطوات أنوار كبرياء قدمه إلى أكناف أنوار فعله، فعلم الحق ضعفها عن حمل وارد شهود جلال كبريائه، فتلطف عليها، وأراها في أنوار أفعاله وآياته جمال ذاته وصفاته حتى سكنت بها وبقيت بعد فنائها فيه، فمنها واقعة آدم بحواء والحنطة، وإبراهيم بالشمس والقمر والكواكب وحسن سارة، وموسى بالجبل والشجرة، ويوسف بزليخا، ويعقوب بيوسف، وداود بامرأة أوريا، وسليمان ببلقيس، ومحمد ﷺ بزينب، والمراد من ذلك أن جذبهم بنور حسن فعله إلى مشاهدة جمال قدمه، فربَّاهم بمقام التباس في العشق في أول المعرفة حتى وصلوا إليه بوسائط حسن فعله بعد أن تجلى بنفسه منه لهم، فيا محب انظر إلى مقام الاتحاد؛ فإن الكل هو لا غير في البين، ألا ترى كيف خاطب موسى من الشجرة وتجلى له منها مرة، ثم تجلى له من الجبل مرة، ثم تجلى له من العصا مرة بنعت العظمة حيث صارت حية؟! وتلك بروز أنوار قهر عظمته، رأى داود ذلك بصورة الطير في الخلوة، ومن في البين إبليس كان تلبيسًا من حيث الالتباس، ثم رأى ذلك في صورة امرأة حسناء، وأين الصور والعلل، بل هناك حيل ومكر وقع

[ص:٢٦] فما حصل الخلافة إلا بتلك الفتنة التي تجلت له بصورة المرأة التي كان تمام المائة، من جهة أن الصورة الإنسانية مجلي ذات الله الأحدية على الكمال، وكون المرأة سترت بدنها بشعرها حتى جللها إشارة أن الذات لا يسترها إلا الأسماء والصفات، فأكرم بها من فتنة أورثت الخلافة، كما أن معصية أبيه آدم أورثته الخلافة، إلا أن فتنة داود أكمل من فتنة آدم، من جهة الأكل من الشجرة، وفتنة داود من قبل النساء، والمرأة على صورة الرجل، كما أن آدم نسخة الحق فما فتن داود إلا بصورة وصورة مرآته وعرش رحمانية استوائه ولذلك حبب النساء إلى رسول الله ﷺ ولاسيما، والمرأة التي فتن بها داود ظهر منها الوارث له، وهو ابنه سليمان، فقام بوراثة نبوته ورسالته وعلمه وحكمه، والملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، فما اكتسب سليمان من الأجر عند الله هو في ميزان داود؛ لأن الوالد سر بيه، ولذا قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ﴾ [الإنسان:١٩] فما طاف عليهم إلا ما تولد منهم، فالجنة بما فيها مولدة من الإنسان، ألا ترى غراسها من قوله: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»[١٠٩٤].

فأنت تطلب الجنة وهي منك، فاطلبها من نفسك التي إذا عرفتها عرفت ربك، وكذلك النار التي تخافها فأنت منشئها فخف من نفسك لا منها، فما ظلمك الله أيها الإنسان؛ لأنك أنت المنشئ للجنة والنار كما ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩] وقال: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾ [الأنعام:١٣٩] وقال: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

ومن تحقق بهذه الحضرة علم نفسه أنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، فلا يزغ بصرك عنك؛ لأنك عين سواء الصراط، فطلبك الهداية إلى الصراط المستقيم طلبك الهداية إليك، فليس لله صراط المستقيم سواك؛ لأنك صورته.

تنبيه لطيف لمعنى شريف:

اعلم أن القائل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] إما أدنى أو وسط أو أعلى، فالأدنى يقولها بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن المسلمين، والوسط يقولها بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن العالمين، المتقدمين في السورة بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

نظره على جمال الأزل، فظن أن ذلك حاصل له، فلما وصل إليها غاب ذلك عنه، فعلم أنه ممتحن، فرجع من الفعل إلى الفاعل بنعت الخجل والحياء، ومن مقام التفرقة إلى مقام الجمع، ومن مقام الالتباس إلى مقام التوحيد.

(١٠٩٤)

ٱلۡعَٰلَمِينَ)، والأعلى من يقولها بظاهره يخاطب باطنه، فيرى أن العابد عين المعبود، والمقيد بالصورة عين المطلوب بالأحدية وكهذا القول في: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) [الفاتحة:٦] (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ) أي: بالإيمان، أو بالعيان أو بالتحقيق والعرفان، الذي بدايته مقام الإحسان (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ) وهم الذين يثبتون أن الله غيرهم، فيقع عليهم الغضب؛ لأن عندهم غاضبًا ومغضوبًا عليه، (وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) [الفاتحة:٧] وهم الذين يقولون: كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، فهؤلاء ضلوا عن ربهم فلا يعملون له حقيقة يهتدون إليها، ولا ينظرون له صورة يعبدونه فيها، فمعبدهم لا شيء العدم المحض، أنه عين وجوده المحض، أنه عين وجوده المحض؛ لأنه تعالى جامع للتضاد، فأين هؤلاء وهؤلاء من قوله تعالى: (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ) [الحديد:٣] فتمسك يا أخي بحبل الله المتين، وهو القرآن فمن تمسك بالقرآن هذا الصراط المستقيم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد الآيتين الدال على أن لكل شيء مرتبتين.

قال تعالى: (وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلًا) [الإسراء: ١٢].

اعلم - رحمك الله- أن الليل عبارة عن عينك الثابتة في العلم المعدومة في الحكم، والنهار عبارة عن ظهور الحق بوجود، وبحكم تلك العين وبحسب استعدادها وشكلها وهيئتها واسمها الخاص بها في العلم القديم، فالمعدوم معدوم لذاته لا يجوز عليه الوجود، والموجود موجود لذاته لا يجوز عليه العدم، وقد اقتضى الوجود الإلهي أنه لا يظهر ولا يتجلى إلا في مرآة الوجود، فلا تدرك الذات الإلهية إلا بالصور الحكمية، والمرائي التي هي المظاهر العدمية.

قال الشيخ الأكبر: وليس تنال الذات في غير مظهر ولو هلك الإنسان من شدة الحرص، إذا تقرر ذلك ظهر قول الله تعالى: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) فالشيء الهالك آية الليل الممحوة، وقوله: (إِلَّا وَجۡهَهُۥ) آية النهار المبصرة الذاتية، وقال ﷺ: «**أصدق كلمة قالها لبيب** - وفي رواية: **قالها الشاعر- إلا كل شيء ما خلا الله باطل**»[١٠٩٥].

والباطل هو العدم المحض، وهو آية الليل الممحوة بالوجه الإلهي، وقوله: «ما خلا

(١٠٩٥)

الله»، فالله هو الوجود المطلق الظاهر بأحكام الصور العدمية الهالكة في وجه الحق عز وجل، ويدخل تحت قوله تعالى:(**كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ**) [القصص:٨٨] أسماء الذات الإلهية؛ لعدم قيامها بنفسها، بل هي قائمة بوجود الذات، فهي هالكة فانية في الذات الأحدية، إلا وجه تلك الذات الأحدية، فقوله تعالى: (**كُل شَيۡءٍ هَالِكٌ**) [القصص:٨٨] أي: هو عدم لا وجود له، (**إِلَّا وَجۡهَهُۥ**) أي: إلا وجه ذلك الشيء، وهو الوجود الظاهر من ذلك الشيء، فما ظهر من كل شيء، وفي كل شيء إلا هوية الذات، وإن كانت الذات لا تظهر من كل إلا بحكم استعداد المظهر العدمي الثابت في علم الحق، بما هو عليه من الاسم والصورة والاستعداد، فظهر وجه الله الأحدي المطلق الظاهر للعيان بصورة (**كُل شَيۡءٍ هَالِكٌ**) في ذلك الوجود من سائر صور الأكوان، قال الله تعالى:(**فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ**) [البقرة:١١٥] ووجود ذلك الوجه عين الصور العدمية؛ لأنها مرآة الوجه، وليس في المرآة إلا الرائي، فالحق تعالى مرآة نفسه، فالوجود عين العدم، والحق عين الخلق، كما قال سيدنا في «فصوص الحكم»: إن الحق المنزه عين الخلق المشبه، فالتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق، ومن هذا السر قوله تعالى: (**وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**) [الذاريات:٤٩].

فالوجود زوج العدم، والعدم زوج الوجود، فالحقيقة هي الوجود، والصورة هي العدم، فما قام الكون، أي: ما قام كل شيء إلا من وجود العدم، وقد أخبر تعالى عن نفسه بأن الظاهر، فإن رأيت الصورة فقد رأيت الزوج العدمي، وإن رأيت الحقيقة رأيت الزوج الوجودي، وقد قال تعالى في الزوجين: (**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**) [البقرة:١٨٧] فالوجود لا يلبس إلا الوجود، وهكذا جميع الحقائق المتقابلة، ولذلك «**حفت الجنة بالمكاره**»[١٠٩٦]، وفي رواية: «**حجبت، وحفت النار بالشهوات**»[١٠٩٧].

فجنة الجمال عين مكاره الجلال، وشهوات الجمال عين نار الجلال، فمن كان أوله المكاره فآخره الجنة، ومن كان أوله الشهوات فآخره النار، والكامل المحقق يرى الآخر في الأول، ويرى الأول في الآخر، ويرى الظاهر في الباطن، ويرى الباطن في الظاهر، بل لا يرى إلا عين الذات التي هي وجه الله، ووجهه ذاته، والأول والآخر والظاهر والباطن أحكام اعتبارية عدمية هالكة في الذات، فنحن بالذات، وفي الذات، وإلى الذات، وعين الذات، والذات هي العين التي يشرب بها عباد الله، والله ليس مدلوله إلا الذات، فعباد الله

(١٠٩٦)

(١٠٩٧)

كأسهم تلك العين، فهم يشربون بها لا من الكأس، والأبرار يشربون من كأس الصورة، فشرابهم ممزوج، وعباد الله شرابهم صرف، فليس الشراب سواهم، إذ لا غيرهم، فهم الشراب والمشروب، ولذا قال الله تعالى: (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) [الإنسان:٦].

وقد تحقق بهذا المعنى قيس مجنون ليلى، فقيل له: أتريد ليلى؟ فقال: لا لأني أنا ليلى، وهذا المعنى هو سر الخلوة الإلهية، ليلة الإسراء، فما خلا محمد ﷺ إلا بنفسه قال تعالى: (ثُمَّ دَنَا) أي: من نفسه المنزهة (فَتَدَلَّىٰ) [النجم:٨] أي: نفسه المشبهة، فالمنزهة حقيقته، والمشبهة صورته (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ) [النجم:٩] أي: هو الجامع للقوسين، قوس الحقيقة التنزيهية، وقوس الصورة التشبيهية (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) [النجم:١٧] بصره عنه، وما كذب الفؤاد بما رأى منه، والفؤاد معناه قلب القلب، فسماه الله الفؤاد، فالقلب باطن، والفؤاد باطن الباطن، فهو باطن جبريل، ولذا قال تعالى: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ) [النجم:٩]؛ لأن النقطة التي امتدت منها الرقيقة الجبريلية، فلذا قال في هذه الحضرة: (فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ) [النجم:١٠] أي: أوحى الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فهو الموصوف بقوله: فأوحى إلى عبده، أي: إلى صورة معناه الفؤادي فهو عبده الذي هو جبريل، أي: أوحى إليه في مقام الجمع الذاتي، لينزل عليه في مقام الفرق الصوري، على حسب الوقائع، فمثله مع جبريل كفائض ماء تجري إلى بركة ماء، ثم يرتد فائض تلك البركة إلى حوض الفائض الأول، والماء ماء حقيقة واحدة، وهي الذات المحمدية، ألا ترى قوله تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ) [الفرقان:١] ففرقان الوجود الإلهي الذي هو عبارة عن الكثرة الوجودية متنزل على العبد الجامع لكل شيء، بسر الأحدية، وهذا التنزل ليكون للعالمين نذيرًا، ولولا أنه حقيقة سارية في جميع العالمين لم يكن نذيرًا للعالمين، ألا ترى أيضًا أن الله وصفه بالسراج المنير، إشارة إلى أنه بحقيقته أن كل شيء، فبكونه قاب القوسين كان جامع الآيتين، وقوله: (أَو أَدْنَىٰ) إشارة لقوله تعالى: (وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ) [البروج:٢٠] وقد أشار تعالى لانفراده بالحكم الوجودي في قوله: (فَٱصْفَح عَنْهُمْ) أي: لأن الصفح عنهم صفح عنك في الحقيقة؛ لأنهم مندرجون في حقيقتك الجامعة: (فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الزخرف:٨٩] أي: أن تلك الحقيقة الجامعة سالمة من وجود السوى وقوله: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) أي: إذا كُشف الغطاء، فعند ذلك تنمحي عين الغطاء، وهي الآية الممحوة الليلية وثبت عين العطاء وهي المبصرة النهارية، كما قال تعالى: (وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ) [آل عمران:٢٨] فلم يكن بين الغطاء والعطاء إلا النقطة والنقطة عين الأمرين، ومصدر الآيتين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد

قال تعالى : (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ) [محمد:٣١].

اعلم -رحمك الله تعالى- أن علم الله بالأشياء من كونه عينها، فما علم في الوجود إلا نفسه، غاية الأمر أن مراتب الحقائق ثلاثة: ذات الله تعالى وهي كنز مخفي، وطمس مطلق بلا حكم من الأحكام، فهي من حيث هي يعبر عنها بعنقاء مغرب، ومعنى «عنقاء مغرب» اسم بلا مسمى، وحقيقة لا تدري ولا توصف لا بعلم ولا بجهل، فهذه هي مرتبة الوجود الأولى حكمًا واعتبارًا، ولكن بلا وجود.

المرتبة الثانية: مرتبة الإمكان التي هي الأعيان الثابتة، في هذه المرتبة التي هي الإمكان، وهذه الرتبة البرزخية وسط بين الوجوب الذي هو ذات الله، وبين المحال الذي هو وجود غير الله، وهذه الحضرة هي حضرة أسماء الله التي هي في مظهرها العالم، ولولا المظاهر لم يعمل منها الظاهر؛ لأنها معاني حكمية، فهي على الحقيقة أسماء أسماء الله، والأسماء الحقيقية هي المظاهر، والاسم عين المسمى، فالمظاهر عين الظاهر؛ لأن المظاهر عبارة عن الصور، وأنت لا ترى إلا الصور، فالعالم المشهود عين ذات الله الموجود، فالعالم على هذا مازال في الغيب المطلق الذي لا تدركه الأبصار، ومن جهة فرقان الأسماء وتميزها عن بعضها في المظاهر التي هي الصور ظهرت الكثرة، وانتشرت الأخبار، فوصف الحق تعالى حينئذ بالحياة، والعلم، والسمع، والبصر، من أسماء التنويه، وبأنه يجوع ويظمأ، ويمرض، ويجاهد، ويصبر، ويرمي، ويقتل، و يتردد، ويضحك، من أسماء التشبيه، فهذا معنى قوله تعالى: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُم) أي: لنظهرن بأحكامكم حتى تنسب الأحكام إلينا، فنبلو الأخبار، ونعلم منكم ما أنتم عليه من الأسرار.

وفي الحقيقة كل ما ذكرناه من هذه المراتب الثلاثة الواجب، والبرزخي الجائز، الذي هو للأعيان الثابتة والمحال، الذي هو غير الله، ليس إلا الله، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

فصح قول الشيخ الأكبر في «فصوص الحكم» في الفص الإدريسي: إن الحق المنزه عين الخلق.

واعلم - رحمك الله- أن سبب قولي: فالعالم على هذا مازال في الغيب المطلق، قول الله تعالى: (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ) [يس:٣٧] وهذه الآية من أعجب العجائب وأغرب الغرائب؛ لأن الله تعالى سمى هذا العالم الشهادي الذي هو

مظاهره بالليل؛ ليفيدنا أن المظاهر التبس عليها الأمر، بسبب وجود الحق الظاهر فظنت الوجود لها، ولم تشعر أنها من جهة الحقائق، ولو بعد ظهورها لأنفسها لم تخرج عن الليل؛ لأنها لم تزل مندرجة في ذات الله تعالى، ووجوده النهاري الظاهر المطلق، فسمى الله ذاته التي هي غيب مطلق لا تدركه الأبصار بوجود النهار، فإذا انسلخ النهار الظاهر من الميل المظاهر، ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ أي: عدم بلا وجود، والأمر كذلك في نفس الأمر، فالوجود ليلاً ونهارًا، ولكن الحكم التجلي وليس الوجود غير المتجلي، ومن لطف هذا الوجود أنه عين العدم المفقود: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور:٣٩] فالله عند الشيء، وعند لا شيء، فقل في كل غائب هو، وقل في كل ظاهر هو فهو ليل العدم، وشمس الوجود التي تجري لمستقر لها من القدم.

وهذا المستقر هو الحقيقة المحمدية المسماة بمرتبة الأحدية، والشمس ذات الله المطلقة الغيبية، فحقيقتك الإنسانية المحمدية أيها الإنسان مجلى اسم الله الرحمن، وكنز الليل والنهار، ومجمع الدنيا والبرزخ، والجنة والنار، ولقد كشفنا لك مسبب آية الله الليلية النهارية سائر الأسرار، وأنبأناك بالسر المكتوم، ورفعنا لك الستور، إذا نقرر ذلك فلا نبال مما تراه في الإنسان الكامل في باب العلم من مخالفة الغوث الأبهر الجيلي للشيخ الأكبر فإن الحاتمي قال بأن الله تعالى يعلم الأشياء من عين الأشياء موافقة لآية: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١] وليفيدك أنه ما حكم عليك بالأحكام إلا أنت، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]؛ لأنه عين العبيد، وأما السيد الجيلي فإنه اعتبر أن الله أخذ العلم من عين ذاته، فلا معلوم إلا هو، فله الأصالة والاستقلال، فهو شمس هاتيك الظلال فالعالم شئونه، فراعي الأدب مع الأصل، قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] مع أن غناه بذاته التي يندرج بها كل معلوم، فاختلف كلاهما بحسب التجلي، وفي الحقيقة لا خلاف، وأني أعوذ بالله تعالى أن احكم على أحدهما بالخطأ، بل أقول: ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨] كلا القولين حق، بمنزلة ما تقول لإنسان يا فلان ويقول له غيرك يا أبا فلان، والإنسان في نفسه واحد، وقد رأيت نفسي بينهما مولودًا بين أبي وأمي، فتارة في تجلي هذا، وتارة في تجلي هذا كما:

قيل أسير إلى نجد إذا نزلت بـه   وارحل نحو الغور إن فيه حلت

مسامرة شريفة ومحاضرة ظريفة:

قد أجلسني وارد العلم الإلهي في روضة معرفة سطع نورها وفاحت بالمعارف

زهورها، وانجلت بمعاني الحسن والجمال ولدانها وحورها، وسمت بالجلال والكمال غرفها وقصورها، قد خطب هزارها على منبر الغصون، (لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ) [الصافات:٦١].

وانبعث ثمارها من شراب تلك العيون، فتلي قمريها آية، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فيها أنهار من ماء غير آسن، وهو ماء الحياة الذاتية، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وهو شراب الصفة العلمية، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وذلك تجلي الحق في الصور الوجودية وأنهار من عسل مصفى وهو التحقق بحقيقة الحق المطلقة الذاتية ثم أدار لي الكأس واتخذني سميرا ما بين الجلاس، وقال : إيه يا فتى فإلى متى؟ وإلى متى، فقلت: هل الحديث عنك أو عني؟ فقال: قل فقولك إنما هو مني، فقلت: أيها الوارد المبارك الأجلي أسألك عن قول الله الأعظم، وله المثل الأعلى، هل هو الإنسان أو غيره من مظاهر الأكوان؟ وعن قاب قوسين أو أدنى من سر السر وعين العين، وسبب هذا السؤال يا معدن الفضل الكمال، قول الله العظيم في كتابه الكريم: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا) [الإنسان:١] وقوله تعالى: (وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا) [الفتح:١٢] وعن قوله تعالى: (ٱلرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ) [الرحمن:١-٣] فمكن علمه من الأكوان قبل خلق الإنسان، مع أن القرآن لا يقوم بعمله إلا المظهر الإنساني؛ لأنه حضرة جامعة لسائر المعاني، ولا يخفي أن الله خلق آدم على صورته، فهل قدم الله حضرة جامعة على حضرته؛ فلذلك كان مذهبي أن (هل) ليست بمعنى (قد)، بل استفهام إنكاري، أي: (ما أتى عليه حين من الدهر لم يكن له ذكر من الأذكار) مع أنها تقبل معنى (قد) ولكن في حضرة الأحدية، وكلامي في حضرة المظاهر الصورية، فأنبئني عن سرك وخافيك، ولا تسقني رضاب العلم إلا من فيك، وأحييني من موتي فبك بحياة علمك، وأذقني حلاوة البقاء فيك، وأدرك فبسم عن ثغرة المنير المتهلل، وقال: وعزتك علي لا أهمل هذا الأمر، ولا أمهل، ولكن نبه جفونك من نعاسك ، وأشرب معي وحياة رأسك، فقلت: نبهت جفوني من نعاسك تنبيه الرقيب، وأنا الناظر إليك نظر المحب للحبيب، فقال: صدقت، لا يصل إلى القرار إلا من ثبت، وقر، ولا خفاء أن لكل نبأ مستقر، قلت: ما مستقر الأنباء كلها، قال: الله، قلت: وما الكلمة الطيبة، فقال: (لا إله إلا الله) فعند ذلك تلا قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [إبراهيم:٢٤،٢٥] فقلت: إن الكلمة الطيبة قد علمتها، وأما الشجرة الطيبة

ذات الأصل الثابت والفرع الثابت فما فرعها؟ نور على نور فإن قال لك علماء الظاهر: هي الإيمان، فإذا أقول: الأصل والفرع صورة الرحمن الظاهرة في الخليقة للإنسان، قلت: اشرح لي هذا الحديث لأستوفيه، قال : أما تعلم المؤمن مرآة أخيه، وذلك لأنه تجلي الأسماء كلها، وجامع الصورة، والتالي من قرآن الذات العظيم فرقان كل آية وسورة، أما انتبهت أيها الحبر الهمام لقول يوسف عليه السلام الذي ورد فيه أنه الكريم ابن الكريم: (**قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ**) [يوسف:٥٥] فمن الخليفة بدت الكلمة الطيبة؛ لأنها شأن الشجرة الطيبة الإنسانية فلذلك تحلى بحلية الحق الأسمائية، فأحسن تقويم أوله وباطنه، وأسفل سافلين آخره وظاهره، وهو أصل الشجرة في عالم الأشباح، ومنه فرعها في عالم الأرواح، فالرحمن علمه القرآن أولاً بتجلي الذات وخلق صورته آخرًا ليقبل بها سائر الأسماء والصفات، وأما قاب القوسين فهي رتبة البرزخية بين قوسي الربوبية والعبودية، و قوله: (**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**) [النجم:٩] إشارة لجمعيته الذاتية لسائر الحقائق الكلية والجزئية، ولا تقل بأن الحقيقة المحمدية عنوانها باء البسملة الإلهية، والباقي العدد باثنين، مع أنه ما ثم ثاني بلا مَيْنِ، لأن التعدد حكمي اعتباري، لا وجود له في حقيقة العين، ولذلك حلت تحتها نقطة الطمس الذاتية لتحفظها من وهم الاثنين، فاعتمد على هذه المعاني الشريفة، واتل قوله تعالى: (**إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**) [البقرة:٣٠] فالحقيقة الآدمية هي الجامعة لمعاني الألوهية، والشجرة الطيبة الذاتية الاسمية.

واعلم أن الناسوت هو البرنامج الجامع، لا نموذج اللاهوت اللامع، فحل عن كنز ذاتك الطلسم، وافتح قفل باب مدينتك المبهم، وخذ عن هذه الحكمة اللباب، فقد قرعت سمعك بفصل الخطاب، فالفرع (**وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ**) [الزخرف:٨٤] والأصل (**وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ**) والإله واحد، كما أن الشجرة الطيبة واحدة، وقد اتضح لك الأمر بالعيان والمشاهدة، قال السائل: فعند ذلك تعلقت بأذياله وقبضت على يمينه مع شماله، وقلت يأيها الوارد المشرق كالبدر الطالع لقد اتسع الخرق على الراقع، إن الله تعالى قال في حق الشجرة الطيبة الكلية التي قلت بأنها من جهة أصلها وفرعها هي الحقيقة الإنسانية: (**تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) [إبراهيم:٢٥] وليس أكلها إلا صورة الحق الكاملة، و تلك الصورة الكاملة مجلى الملك الحق المبين، وخليفة رب العالمين، وذلك بإذن ربها المبدئ المعيد القائل: (**بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**) [ق:١٥] فقبل أن ينزل آدم وأهله حواء وإبليس المغوي إلى الأرض، من هو فيها صاحب السنة والغرض؟ ومن المعلوم أن آدم عليه السلام كان في الجنة فوق عالم

العناصر الأرضية بل كان روحًا ملكيًا، فلما أكل من شجرة أصله الكثيفة العنصرية استحال بشرًا سويًا، فلما كان فرعًا في السماء هل كان من الآباء أم من الأبناء؟ وأين أصله الثابت في الأرض إذ الملك فرع البشر؟ فهل كانت الأرض خالية من صورة الكمال من بني آدم السابق مثلاً؟ فكان غوثًا وخليفة لتلك الذرية، وهو فرد بالنسبة لمن في الأرض، وجمع لأفراد الجزئية، أم لم يكن في الأرض حين هبوطه إلا الأبواب وإبليس الرجيم، والأرض خالية قبل ذلك مع هذا السر الكريم خصوصا، وآدم مثل من الأمثال التي يضربها الله للناس.

فبحقك عليك أيها الوارد المبارك أزل عني هذا الالتباس، فإن مرجع كل شيء إلى أصله، وكل ثابت لا ينبت إلا من مثله فقال: على الخبير سقطت، ومن در الكنز المصون التقطت، إن عند الله من كل شيء خزائن، وكل مفقود عندك فهو عنده كائن، هل تدري نفسك حين قلت بلى؛ أولاً تعرف نفسك إلا بشرًا في صورتك تجتلي مع أنك في خزائن الله مع الأمثال، فآدم على هذا واحد، ممن قال الله فيهم: (وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ) [الأعراف:٤٦] فالبقدر المعلوم، والقضاء المحتوم، أعاد الله فرعًا لآدم، وسابق فكان عين أصله الذي هو به لاحق، وسر هذا الأمر المعظم في تمثل جبريل لمريم، ولولا هذا التمثل البشرى لخرج عيسى روحًا من الأرواح، ولم يكن له ناسوت من الأشباح، قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ) [آل عمران:٥٩] يعني في التمثل والتصور بلا ريب، بعد أن كان كل منهما في عالم الغيب، فبعد الهبوط والتمثل كان آدم بمنزلة فرد من أفراد العالم، إلا أن الله تعالى جعله في الأرض خليفة، وكم له قبل آدم من خلفاء قاموا بتلك الوظيفة، فآدم أبو البشر، ولكن من ذريته الذي خلقوا من ظهره ومن طينته؛ لأن آدم أصل البشر على الإطلاق، وإن لم نقل بذلك يلزم أن الصورة الإلهية الجامعة لم تكن قديمًا بالاتفاق، فقلت ما دليل ذلك من القرآن؛ ليكون محا به الإيمان والإيقان، فقال: عندي ثلاث أدلة تنبئك بالأمر لتخبر محله، الأول: قوله تعالى: (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ * ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ) [التين:٤،٥] فلا يزال الدور ما بين الأحسن والأسفل والأعلى والأنزل، الثاني: قوله تعالى: (وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ) [الحجر:٢١] فكل شيء عند الله خزائن في عالم الأرواح، وهو ينزله بقدر معلوم إلى عالم التصوير والأشباح، كما نزل من جثة الأرواح آدم، فلما عصى - كما قال الله- نزل هابطًا إلى هذا العالم، وذلك بالقدر المعلوم، والقضاء المحتوم، وفي مقابلته عيسى، لما توفاه الله بالمحو والفناء رفع إلى الله، فحاز الحياة به، والبقاء إلى أن يدور الدور، فينزل

بصورة الحق بشرًا سويًا، فلذا قال: (وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا) [مريم:٣٣] الثالث من الأدلة: قوله تعالى: (وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ) [الأعراف:١٧٢] لم يقل تعالى: من آدم، لئلا يتقيد الأمر بآدم خاص، مع أنه في نفسه كفر، ومن ذريته من أفراد العالم، ولعمري كل شيء صاعد نازل، وبحر عظيم ماله ساحل، وإذا عرفت نفسك بالشئون والتطورات، فهمت وشهدت: (يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ) [إبراهيم:٤٨] فتختلف المشاهد في العروج والنزول، وتتنوع الآمال بقدر المعرفة في المأمول، ولا تظن بإثبات الدور لزوم إنكار الجنة والنار، هيهات هيهات، بل إنهما داخلتان في الأدوار، بل من الحق إلى الخلق دور، ومن الخلق إلى الحق كذلك دور: (وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا) [البقرة:٢٨] برتبة الخلقية فأحياكم بحقيقته الحقية: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [القصص:٨٨] فانمحى كل دور بثبوت وجهه الدائر، فأين الدنيا والبرزخ؟ والجنة وأهلها؟ والنار وأهلها؟ فما هي إلا شئون له، ومظاهر، وهو جل وعلا هو الدهر الدائر، ووجهه هو الظاهر، فكن - رحمك الله- نديم تلك الحضرة، ولا تنظر الوجود أجمع إلا بتلك النظرة، وقل كما قال الغوث الباهر وأسد الله الكاسر الجابر سيدي عبد الكريم الجيلي في عينيّته:

جلوت جمالي فاجتلوت مرآيتي	ليطبع فيها للكمال مطابع
فأوصافها وصفي وذاتي ذاتها	وأخلاقها لي في الجمال مطالع
وإسمي حقا إسمها وإسم ذاتها	لي إسم ولي تلك النعوت توابع

والله ولي التوفيق

وارد الغربة والوطن لمن نبه الجفون من الوسن

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وقال (صلى الله عليه وسلم): (حب الوطن من الإيمان).

اعلم رحمك الله أن الله جلا وعلا قال: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٢]كأنه يقول كل من الفريقين ما خرج عن خط نفسه فمن منكم يا عبادي من يريدني، ولذلك قال بعضهم: (إن أردت السلامة فسلم على الدنيا و إن أردت الكرامة فكبر على الآخرة) فمن

تجرد بقلبه عن مراد هؤلاء وعن مراد هؤلاء، فهو الغريب حقيقة، ومن تجرد عن الدنيا فقط فهو الذي كأنه غريب أو عابر سبيل، فهو وإن كان محمودا بإرادة الآخرة معدودا من العقلاء؛ لأنه آثر ما يبقى على ما يفنى ولكن ليس مقام كمقام الغرباء الحقيقين، ولذا قال (صلى الله عليه وسلم): (طوبى للغرباء)، وهم الذين بدلت أرضهم وسمائهم بأرض الحقيقة وسمائها، وجاء حقهم وزهق باطلهم، فهم الغرباء لا يعرفون بين العالم، لأن العالم يجهلون مواطنهم، فلا دنيا لهم ولا آخره؛ لأن دنياهم إسم الله الأول، وآخرتهم إسم الله الآخر، والظاهر والباطن وصف الأول والآخر، فهم مع الله في إسمه الأول، وهم معه في اسمه الآخر، فإن ظهر هذا بطن هذا وهذا البطون والظهور هو الدهر، أي: الوجود المطلق، فهم غرباء؛ لأنهم خرجوا عن الوجود الخلقي المقيد إلى الوجود الحقي المطلق، ولما كان وصف الوجود المطلق أنه﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [**الشورى : ١١**] خلع عليهم هذا الوصف، فليس كمثل العالم بالله شيء؟ لأن وصفه وصف الحق، فكان غريبا عند المحجوبين عن هذا المعنى، ولذا قال الحلاج (رضي الله عنه):

حبيبي غير منسوب	إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب	كفعل الضيف بالضيف

واعلم -رحمك الله-: أن الحق تعالى كان في كنزية ذاته المخفية، وموطنه الذي كنه الأحدية، فأحب أن يعرف، فتغرب عن موطنه الذاتي الأحدي إلى ظهوره بمقتضيات اسمائه وصفاته، وهي المظاهر، فحجب عن نفسه بنفسه بكثرة الصور الكونية، فكان غريبا عن حقيقة الأحدية، لتجلياته بأحكام الكثرة الإمكانية، فلذا قال (صلى الله عليه وسلم): (حب الوطن من الإيمان) والله هو المؤمن، فاعرف نفسك من أنت غربةً ووطنًا، فمن هذا المعنى يحن الغريب إلى الأوطان، ولا يحن إلى خارج عنه، بل وطنه نفسه، فهو الغريب وهو الوطن، وهو المسافر والمقيم، وهو الظمأن مع أنه عين الشراب، وهو الصب العاشق الولهان مع أنه الحبيب المحجب المنصان، هل آتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟ كلا، بل الإنسان عين الدهر، والدهر قبل كل شيء وبعد كل شيء.

فنبهك الله يا أنسان وعلمك القرآن قبل وصفك بالإنسان، أي: قبل وصفك بأنك حيوان ناطق، بل أنت حقيقة القرآن من قبل ظهور الأكوان، فمل من غربتك إلى الأوطان.

واعلم بأن أسمك الرحمن من قبل أن تسمى بالإنسان، ألا تدري بأنك المسمى بجميع الأسماء، فلا تزال تخلع من الأسماء لباسا وتلبس، فأنت الخلق المشبه، والحق المقدس، ولما سرى حب الوطن في الخلقية، بمقتضى إيمانهم بالحقيقة كرروا ورددوا إسم الليل؛ لأنه عنوان البطون، والموطن الأول الذي فيه تقولون للشيء كن فيكون، فما ترى إلا من يترنم باسم الليل ويعدل عن نهار صورته إلى ليل حقيقته، ويميل إليه كل الميل قال تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [**يس : ٣٧**]يعني أن الليل آية لهم على حقيقتهم، نسلخ منه نهار خليقتهم «فإذا هم مظلمون» أي: لمحجوبون عن حقيقتهم وظهور نهار خليقتهم، فما أعجب هذا الأمر! قد صار ظهور النور حجابا للمستور، مع أنه عين المستور، وإلى ذلك الإشارة يقول العفيف:

وما احتجبت إلا برفع حجابها	ومن عجب أن الظهور تستر

فقد ذكرنا لك: انسلاخ الخلق من الحق، وفي الآية معنى رقيق لعكس ذلك، وهو أن الليل

عبارة عن الصور العدمية التي هي الأعيان الثابتة، والنهار هو الحقيقة العينية، ولولا الصور لم تعلم الحقيقة، إلا ترى أن الحقيقة الإنسانية مثل: لولا الصورة الإنسانية لم تعلم، فمقتضى هذا المعنى نقول بعكس ما قلنا أولاً، «وآية لهم الليل» يعني أن الليل آية لهم على خلقيتهم، «نسلخ منه» نهار حقيقتهم «فإذا هم مظلمون» أي: محجوبون عن خليقتهم الباطنة بحقيقتهم الظاهرة، فعلى هذا المعنى يكون الظاهر هو الحق، والباطن هو الخلق، فالخلق على هذا المعنى أصل للحق والحق هو الفرع عن ذلك الأصل، ففي المعنى الأول هو أوجدنا، وفي المعنى الثاني نحن أوجدناه، فنحن أصل في العدم، وهو الأصل في الوجود، ففي المعنى الأول: خرج العدم من الوجود، وفي المعنى الثاني: خرج الوجود من العدم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ **[الأنعام : ٩٥]** وهو الحق﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ **[الأنعام : ٩٥]** وهو الخلق ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ **[الأنعام : ٩٥]** وهو الحق (من الميت) فإذا ألتفت الساق، وكان إلى ربك يؤمئذ المساق، تجلى بحر الذات، وانطوت فيه أمواج الأسماء و الصفات، وذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ **[الإخلاص : ٢]**﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ **[الإخلاص : ٢]**﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ **[الإخلاص : ٣]** قال الشيخ الأكبر -قدس سره- بلسان الحضرة الإلهية

لو ظهرنا للشيء كان سوانا وسوانا ما تم أين الظهور؟

وقال الإمام الرباني (رضي الله عنه): معاملتي وراء السلوك والجذبة، ووراء التجليات والظهور، وأنشد:

يحرق بالنار من يمس بها ومن هو النار كيف يحترق؟

وهذا المعنى عين سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ **[الزمر : ٣]**فالدين الخالص أحديته في ذاته الغنية بذاتها عن العالمين؛ لاندراج العالمين بتلك الذات التي هي وراء التجليات والظهورات، كما قال تعالى والله (من ورائهم محيط) فإن حكمنا بالرؤية فليس المرئي إلا المظهر.

قال الشيخ الأكبر (رضي الله عنه):

وليس تنال الذات من   ولو هلك الإنسان من شدة الحرص غير مظهر

ولما طلب موسى (عليه السلام) رؤية الذات مجردة عن الأسماء والصفات قال له الحق : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٤٣]** أي لن تثبت لرؤيتي لما طلبته؛ لأن الذات من وراء الرائي والمرئي، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٤٣]** وهو المظهر والصورة ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٤٣]** أفاد تعالى بقوله ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٤٣]** إن استقرار الجبل بعيد، فالرؤية بعيدة، فلم يثبت الجبل، ولا موسى لظهور الذات؛ لأنها تمحو صور الأسماء والصفات، فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وكفانا بذاته عن الغربة والوطن.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد إلهي

قال تعالى﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ

شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق : ٣٧]يعني: أن صاحب القلب هو الذي يقلب الأشياء إلى أصولها، قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢١] فمن لم يقلب الخلق حقا بشهوده فليس بصاحب قلب، وقد يكون صاحب سمع، يلقى السمع فيشهد بإيمانه ما يشهده صاحب القلب، وذلك معنى قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق : ٣٧]وحقيقة الأمر أن ذات الله تعالى أي وجوده المطلق هي في كل شيء، قلب ذلك الشيء فلا يسعها سواها فإن كمل ظهور الأسماء الإلهية منها في ذلك الشيء، فهو المظهر الكامل الذي وسع الإلوهية بتمامها، وإلا فله الوسع على قدره، ولأجل ذلك ورد الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) يعني: أن المؤمن هو الله، فلا يسعه إلا هو، فالمقصود بالمؤمن من إيمانه حق مطلق، تجلى الله عليه بنور الإيمان القديم، وهذا النور عين الذات الذي يتفجر منها عيون الأسماء والصفات، وكل إسم أو صفة في من جهة أنه عين الذات يحوي جميع الأسماء والصفات، فصح قولهم كل شيء فيه كل شيء، فالكامل في هذا المقام يقول : أنا كل شيء، قال الشيخ الاكبر في هذا المعنى:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند معلومي مقيم ... يناجيه وعندكم لساني

فعلي هذا كل شيء في الوجود نقطة الذات، ودوائر الأسماء والصفات، (فأين تذهبون أن هو؟) أي: مقصودكم ومطلوبكم ليس بخارج عنكم، فلا ذهاب إلى غيركم عنكم، (بل هو ذكر للعالمين) فالعالمون هم المذكورون بذلك الذكر، فإن ذكرتم أنفسكم بفلان كان ذكرًا لكلم من جهة النزول، وإن ذكرتم أنفسكم بأسمائه كان ذكرًا لكم من جهة العروج، فعلى كل حال الذكرى لكم، لأنكم أنتم أصحاب القلب، فأرباب القلوب هم المطلوب، وأما غيرهم فقد قال تعالى في حقهم:﴿□ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً ۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد : ١٨] إذا جاءتم ذكراهم فأفاد قوله تعالى ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً ۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد : ١٨]ذكراهم أن الذكرى لابد من مجيئها؛ لأن كلمة إذا للتحقيق وأفاد إلحاق ذلك بقوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] أن المذكور بهذه الذكرى هو الله فلا غير، فمعنى ﴿

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [**محمد : ١٩**]عائد على الذاكر صاحب القلب، لا كل ذاكر، وإن كان في حقيقة الأمر عائدًا على كل ذاكر، ولكن لا يعلم هذا (الفؤاد) إلا من أتاه الله هداه قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [**السجدة : ١٣**]فليست جنهم إلا عين الحجاب عن ذلك الهدى، وهذا الحجاب يمنع أهل النار من التصرف بالأسماء والصفات، فهم من جهة أن الأسماء والصفات حاكمه عليهم في شقاء، لأنهم محجوبون عن مقاومتها بأضدادها، وهم سعداء متلذذون من جهة كشف الغطاء عنهم بأنهم مظاهر أسمائه الجلالية، وأسماء عينية، فيعلمون أنهم عين ذاته، وعين هويته، وأن الأمر منه واقع عليه، وذلك معنى قوله: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [**ق : ٢٢**]فهم من جهة الهوية والحقيقة منعمون، ومن جهة الأسماء التي لا تصرف لهم فيها معذبون، إلى أن يلج جمل الجمال في وهم سم خياط الأسماء والصفات، فحينئذ يكونون من أصحاب القلب، فيقلبون صور الجلال إلى صور الجمال، وهذا هو الكمال المتحقق به من قال الله في حقهم: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [**الأعراف : ٤٦**] ورجال الأعراف لا سيما لهم؛ لأنهم مع الذات لا مع الأسماء والصفات، فمتى أتى الله النفس هداها، فقد بلغت مناها، ومن هنا تعلم أن لكل إنسان طريقًا حسب قدره ومقامه ورتبته عند الله، ولا يسلك ذلك الطريق إلا هو؛ لأن الآخذ بناصيته هو، فمنهم من يسلك به طريقًا قريبًا، ومنهم من يسلك به طريقًا بعيدًا، ومنهم الأقرب، ومنهم الأبعد بحسب الأسماء المتجلية عليهم، وأسماء الله كاملة، فافهم. فعلى هذا الوجود كله كامل، والتفاوت نسبي، بمنزلة ما تقول إسم الله العظيم وإسم الله الأعظم وفي الحقيقة الأسم الأعظم بالنسبة إليك ما تجلى به عليك، فما في الوجود إلا الأعظم، ومن هنا تفهم قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [**فصلت : ٤٦**]أي لأنه هو الظاهر بالعبيد، وحيث ظهر فيهم بنفسهم: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [**البقرة : ٥٧**]لأنهم لم يقدروا أنفسهم قدرها، فنسوا الله فيهم، فأنساهم أنفسهم، حيث أن نسيانهم لله كان نسيانا لأنفسهم، فسمى هذا النسيان ظلمًا بالنسبة لمقام

العارفين، وإلا فلا ظلم؛ لأنهم ما سلكوا إلا على حسب ما تقتضيه حقائقهم، فالعارف وإن تواضع وشاهد من نفسه النقض والظلم بالنسبة لمقام من هو أعلى منه، فإنه أيضا يعلم أن ذلك النقص لحكمة أراد الله ظهورها فيه، بل الظاهر فيها هو، وهو أحد لا يتجزأ، فالناقص من هذا الوجه عين الكامل؛ لأنه تعالى عين كل شيء، وهو الكامل على الإطلاق، وهذا هو الكمال الذاتي، وكل أمر ينقلب إليه يعني إلى ذلك الكمال، ولا يدري ذلك إلا من كان له قلب، فإنه لم يسع الحق أرضه، ولا سمائه، ووسعه القلب، ولذلك نقول: أنه تعالى عين الأمانة المعروضة على السموات والأرض والجبال، فلم يحمل تلك الأمانة إلا الإنسان، إنه كان ظلومًا ظلم نفسه بإسقاطها عن تلك المرتبة، جهولاً، بأنه هو المطلوب، ويجعل نفسه طالبًا، قال الله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [**الذاريات : ٢١**] يعني: إذا ابصرتم أنفسكم بربكم فإنه الظاهر بأنفسكم، فلا تخرجوا عنكم، فما أجهل الإنسان! أوصله إلى الله القرآن وهو يأبى إلا الخسران﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [**عبس : ١٧**]؛ لأنه يستر نفسه وهو ظاهر لنفسه، فما أعظم هذه المكابرة، والجهل، والمغالطة! فهو بمنزلة ملك لا يقر ولا يعترف بأنه هو الملك، فهو الظالم الجهول مع أنه حامل أمانة الملك، فافهم ذلك. فقد بينا لك الأمر غاية التبيان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

نكتة قلبية مناسبة للوارد القلبي، قيل لي قولا قلبيا، إنما قال الله لنبيه في حق أهل الكهف:﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [**الكهف : ١٨**] لقوله تعالى ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [**الكهف : ١٨**] ومقام محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يتقلب إلا عليه، فمقامه الرحمن لا الأكوان، فيمنيه هو، وشماله هو، فلا نظر له إلا إليه، ولا يتقلب إلا عليه، فهو (صلى الله عليه وسلم) يفر من السوى، ويرعبه أن يرى غير الله، ولذا كان يقول: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، فنسب الدين إليه، وليس دينه إلا تجلياته فما دعى إلا أن يقلبه عليه لا ذات اليمين، ولا ذات الشمال، بل ذلك بالنسبة إليه فتنة يخشى منها، فإذا اطلع عليهم عرف مقامهم، فخاف من الركون إليهم بهذا الإطلاع، ومقامه ضد ذلك؛ لأنه مطلق بالحق لا مقيد بالخلق، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [**الكهف : ١٤**]وقلب المصطفى ليس مربوطا عليه، بل هو طواف بالحق أينما توجه، لا يتوجه إلا إليه (صلى الله عليه وسلم) فافهم ذلك، والله الموفق.

وارد نبوي وذوق محمدي

قال (صلى الله عليه وسلم): (حبب إلى دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) وإنما قال: حبب، ولم يقل: أحببت؛ ليفيد أن حبه من حضرة الغيب، فهو عين حب الله في قوله: (فأحببت)، فكأنه يقول: ما أنا أنا حتى أحب بنفسي، بل أنا هو، فحبي هو حب ربي من إسمه المحب؛ لأن صفات محمد (صلى الله عليه وسلم) من تجلي الصفات القديمة، يشير أن حبه أزلي، وقوله: من دنياكم، نسب الدنيا إليهم؛ لأنها من تجلي الأسماء، فهي تجلي الإسم الأول، وهو (صلى الله عليه وسلم) مع الذات لا مع الأسماء، فلا دنيا له، ولا آخرة بل محض أحدية مطلقة عن التقييد بقيد [......] كما يشير لذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ **[الأحزاب : ١٣]** على قراءة فتح الميم، وقوله: (النساء) وأي: مظاهر الحق من جهة التأثر والقبول، فإن الحق كما هو ظاهر في مرتبة التأثير والفعل، كذلك ظاهر في مرتبة التأثر والانفعال، ألا ترى انفعاله كظن عبده به، فهو من هذه الجهة تحت حكم العبد من جهة الانفعال والقبول، كما أن العبد تحت حكمه من جهة الفعل والتأثير، والنساء قوابل إلهية من جهة أنها حرث، والحرث يطلق على الكسب، وعلى الزرع، وعلى النكاح بالمبالغة، وعلى جمع المال، وكل هذه المعاني سائغة في النساء، فإن المرأة من كسب الرجل؛ لأن حواء من آدم، فهي زرعه وأولاده ثمرة ذلك الزرع، وهي محل الوصلة، والجمع بالحق؛ لأنها مرآة الرجل وعلى صورته، كما أن آدم على صورة الحق، فالرجل في مقام الحق، والمرأة في مقام آدم والصورة واحدة، ومن حكمته (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في حق جبل أحد: (يحبنا ونحبه) فنسب الحب لنفسه، وأما في حق النساء فإنه قال: حبب إلي، ولم يقل أحببت؛ لأن جبل أحد حجر، وأما النساء بشر، فرفع التهمة عن نفسه؛ ليفيد أن حبه لهن هو حب الله بنفسه لنفسه، من باب أن (الله جميل يحب الجمال)، فمعنى حبب إلي أحب الله بي النساء، إذ من أين الجبل أحد حلاوة الإلحاظ أو طلاوة الألفاظ؟ والمحيا الذي يشفي العليل، وكوثر الرضاب الذي يطفي ببرده العليل، وكان (صلى الله عليه وسلم) يمص لسان عائشة فيذوق في نفسه سر بأن الحياة الإلهية من تجلي الصور البشرية، فتتماذج الأرواح وتتواصل الأشباح، كما قيل:

ضاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان

وحداه صدري فأعظم وصلة بالحق المواصلة الإلهية

في تجليه في الصور البشرية فهي تجمع وصلة الروح والجسد، ومن كونها على صورته، كما قال: خلقكم من نفس واحدة، لم يخرج المشاهد عن حضرة الواحد الأحد، فإن حواء من آدم، فأنسها من أنسه، فما نكح سوى نفسه، كذلك الحق أحب أن يعرف ما عرف بغيره بل بذاته، ألا ترى أنه خلق آدم على صورته بعد أن كان كنزًا مخفيًا، فظهر في آدم كمال الظهور، كذلك الرجل من حيث الانفراد هو في نفسه كنز مخفي، والمرأة من حيث الانفراد هي في نفسها كنز مخفي، فلما أحب كل منهما أن يعرف بمظهر على صورته، لم يكن ذلك لهما إلا بوصلة النكاح، فظهر منها الولد على صورة كل منهما، فكان حبه (صلى الله عليه وسلم) للنساء عين حب الله لأن يعرف، ولذلك قرن حب النساء بالطيب؛ ليشاهد منهن النفس الرحماني الذي انفتحت فيه صور العالم وأشكاله، ومظهر هذا النفس في المعاني الكونية، هو الطبيعة التي وصلت إليها عقول الحكماء في ظهور العالم، فكان النكاح شاهد الظهورات الإلهية في المعاني الطبيعية، ولذا

قالوا أطيب الطيب عناق الحبيب ولاسيما، وقد قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم : ٢١]فيشاهد في أهله الإسم (الودود) والإسم (الرحيم)، فهي مظهره على شاكلته، وهو مظهرها على شاكلتها، قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٧]يعني أن الحقيقة واحدة، كما قيل: أنا من أهوى . وأهوى من أنا، وأما اعتراض من قال : أن رواية الثلاث لا تصح لأن قوله: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) لا يناسب النساء والطيب؛ لأن الصلاة من الدين لا من الدنيا فلا مناسبة بين النساء والطيب والصلاة حتى تكون الصلاة من دنيانا فأبطل رواية الثلاث.

فهذا المعترض جاهل بحقائق الأمور؛ لأن المناسبة خفيت عن إدراكه وبيان ذلك:

إن الوجود منقسم إلى فاعل ومنفعل، ووصلة النكاح جمعت في مشاهدة الحق بين الفاعل والمنفعل، كما أن الصلاة مقسومة بين الرب والعبد، وقد ورد في الخبر، أن الله تعالى قال: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي) الحديث بتمامه، فكما أن المرأة انفعلت في وجودها عن الرجل كذلك العبد انفعل في وجوده عن الرب، والولد سر أبيه لذلك ورد: (عبدي خلقتك من أجلي وخلقت الأشياء من أجلك) والمعنى ظهرت بك بنفسي، وظهرت بالأشياء بك، فالأشياء كلها لك، وأنت بنفسك لي، فلا تشتغل بما هو لك عني؛ لأنك مظهر كمالي ونسخة جمالي وجلالي، تنبيه على أنه تعالى خلق الأشياء من نور محمد (صلى الله عليه وسلم)، وخلق محمد من نور ذاته، وهو تعالى عين النور، قال الله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ

لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [**النور : ٣٥**]أي هو وجود سموات الأرواح، كما أنه وجود أرض الأشباح، فإذا تجلت الأحدية كانت أرض الأشباح عين سموات الأرواح، فعند هذا التجلي ينفذ المتجلي له من أقطار السموات والأرض، ولا ينفذ إلا بسلطان الأحدية، وقد تجلت لمحمد (صلى الله عليه وسلم) في عائشة -قدس الله سرها- فقال (صلى الله عليه وسلم): (ما أبالي بالموت بعد أن علمت أنك زوجتي في الجنة) والمعنى ما أبالي بالموت بعد أن علمت أن الأحدية لباسي، فإن الزوجة لباس الرجل، فهو فيها شهودًا، وهي فيه وجودًا، وأعلم أن من تحقق بالأحدية في نفسه، استوت في حقه الأمور، وكان موته عين البعث والنشور، وبطونه عين الظهور، وظلمته هي عين النور، فهبوطه صعود، وعدمه وجود، انقلب تقصيره شطحًا، وخسرانه فوزًا، وربحًا، وعاد شركة عين الإيمان، وتحولت نيرانه رياض أنهار وجنان، ينادي لسان حالة مترجمًا عن مقالة: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [**الحديد : ٢٣**] هو الساقي في كل كأس، والمتزين بكل لباس، يتلو كل سورة، ويجلي في كل صورة، ماءه واحد، وزهره ألوان غيبي الذات ظاهر في الأكوان، كل شيء دليل عليه، وكل حقيقة و رقيقة فهي منسوبة إليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [**ق : ٣٧**] و لا قلب في الوجود إلا باطن الوجود، ولا باطن للوجود إلا الأحدية، وهي المعبر عنها بالكنزية، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الأكبر -قدس سره-.

لقد سار قلبي قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

والمعنى أن الإسم الظاهر الذي هو وجه من وجوه أحدية ذاته، تجلى بصورة الغزلان، فكان وجه الإسم الباطن هو المرعى، أي: هو المغذي والممد بباطنه لقيام تلك الصور بظاهر الوجود، والممد هنا في مقام الأحدية عين المستمد كما أن دير حقيقة أحديته هي مأوى الرهبان، بمعنى أن الرهبان لا يخرجون عن دير تلك الأحدية؛ لأن ذلك الدير هو عين صور تلك الرهبان، وكذلك الأحدية هي بيت الأوثان من سائر صور الأكوان، كما أن كل طائف لا يطوف إلا بها، وكيف؟ وهي كعبة ذاته، ومحل دوران أسمائه وصفاته، وهي الجامعة لألواح المعاني توراة الأسماء، ومصحف قرآن مستقر الأنباء، فكأنه (رضي الله عنه) يخبر عن قلبه أنه أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددًا، حيث قبل جميع الصور، وتشكل بكل ما بدأ وظهر، وقد تطفلت على موائد سيدي الحاتمي فشطرت البيتين المتقدمين فقلت:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة ... كواحد أعداد تجلى لأعيان.

هيولي المعاني والمرائي جميعها ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة الطائف ... وأفلاك أملاك وعرش الرحمن

ومهبط وحي العلم مصباح نوره ... وألواح توراة ومصحف قرآن

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.
فتح عالي وسر غالي : ومناسبة بديعة، ولكنها رفيعة، قد تجلى الله تعالى على رحم النساء بإسمه الجامع، فهو القرار المكين الذي قرت به النطفتان، واتحدت به الحقيقتان، فحاذ رتبة الكمال، ونظم عقد الفعل والانفعال، فجرت شمس المولود من سماء ظهر أبيه إلى مستقر رحم أمه، فتزوجت نطفة الأصل بنطفة الفرع، فظهر المولود من ذلك الجمع، فقرت به عين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه يباهي به الأمم، كما جمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين الزوجية والولاية في نكاحه لزينب بنت جحش، فكان الجامع الذي منه الأمر وإليه، فقرت عينه بهذا السر، كما جعلت قرة عينه في الصلاة؛ لأنها جمعت في المصلي بين الرب والمربوب، والعابد والمعبود، ألا ترى أن المصلي له خلافة الله في قوله: (سمع الله لمن حمده) ثم يقول لنفسه : ربنا ولك الحمد، فالأمر منه و إليه، ويسلم على يمينه وعلى شماله، ويمينه، وشماله عينه، فاتحد في السلام اليمين بالشمال، فثم للوجود والكمال، فإن السلام هو الله، وقال (صلى الله عليه وسلم) (اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام) فهذا سر مناسبة وصلة النساء والصلاة، فما قرت عينه (صلى الله عليه وسلم) إلا بالله فافهم.
وارد إذهاب الرجس بكشف معرفة النفس

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [**الأحزاب : ٣٣**] اعلم طهرك الله بمعرفة نفسك، وكشف لك عن حقيقة قدسك، إن البيت هو الوجود، ورب البيت هو الله، الجامع لجميع الأسماء، وعيال هذا البيت هم المظاهر، ولذا ورد أنه (صلى الله عليه وسلم) ناجى ربه فقال: (والخير كله بيديك والشر ليس إليك)، فنسبة الشر إلى الله جهل محض، ومصادرة لكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغاية ما ورد نسبة الشر إلى القدر، والقدر تابع للعلم الإلهي، والعلم تابع للمعلوم، هو أنت، فالشر أمر وهمي لا حقيقي وجودي، بيان ذلك نص الحديث القدسي، وهو أن الله تعالى يقول: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) بل قال: (ومن وجد غير ذلك) فعلمنا أن الشر من وجدان الشخص، ومن سوء ظنه بالله أنه يفعل معه الشر، وهذا الظن وهمي، فما وجد الشخص إلا وهمه، فالشخص هو الذي أوجد الشر بوهمه، فيتجلى الله له بصورة ذلك الوهم؛ لأن الوجود الإلهي مرآة جميع المعاني، والمرآة لا تعطي إلا كشف ما يقابلها من صور المعاني، ولذا قال :﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [**ق : ٢٢**] فما انكشف في مرآة الوجود الإلهي إلا أنت، بما أنت عليه، فأنت الظالم للوجود، حيث أوجدت بسوء ظنك صورة الشرفي المرآة الوجودية، فصدق الله في قوله﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [**النحل : ١١٨**]؛ لأنه عند ظنك، فكشف لك عن صورة ظنك، وهذه الصورة وجدت منك، وهي عندك شر، فساءتك، فأصابك السوء من نفسك، ألا ترى أن الخلق المحمدي

كان صاحبه (صلى الله عليه وسلم) لا يفجأ أحدا بما يكره، وقد ورد "من أحب لقاء الله أحب الله لقائه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" يعني أن المحب محبته عادت عليه، والكاره كراهته عادت عليه، فمعنى (كره الله لقاءه) أي: كره أن يلقاه عبده بلونه كارها لقاءه، فما كره إلا كراهة عبده للقائه، لا أنه كره عبده ولذلك لما أحسن الظن بالله، عاد قوم هود (عليه السلام) تبدل بعدهم بالقرب (فقالوا: هذا عارض ممطرنا) فظنوا بالله خيرا، فساقهم الله إليه بالموت بريح الدبور؛ ليلقوا ربهم، وقال (صلى الله عليه وسلم): (أن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت)، فلما أهلكهم عن نفوسهم الوهمية كان عين نفوسهم الحقيقية، فأذهب عنهم الرجس، ولا رجس أعظم من الشرك، وهو دعوى الوجود مع الله، فكشف الغطاء عنهم فعرفوا نفوسهم فذهب

الرجس عنهم، فطهرهم الله بنفسه تطهيرا، فعرفوا أنفسهم الحقيقة بإذهاب رجس النفس الوهمية، (ومن عرف نفسه عرف ربه)، فإن عرفت ما قررناه فهمت ما ذكره الشيخ الأكبر في الفص الهودي من قوله: ففازوا بنعيم القرب، من جهة الاستحقاق لأنهم مجرمون، المعنى أنه لولا الرجس ما كان تطهيرًا، ولولا البلاء ما صح إسم العافية، ولو الداء ما كان الدواء، فإجرامهم أوصلهم إلى حسن الظن بالله، مع كونهم اعتمدوا على كرمه، وحسن الظن بالله أوصلهم إلى إحسان الله، وقد تبين شراح الفصوص أن يشرحوا هذا المقام على حقيقته، فذكروا أن الشيخ يتكلم عن حالهم بعد انقضاء مدة العذاب، وهذا من عدم المجاسرة على هذا الفصل الإلهي، فلربما كتموا الأمر وهم يعلمون؛ لأن عبارته في متن الفصوص تقتضي أن عذابهم قبل وصولهم إلى مأواهم كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ **[العنكبوت : ٢٥]** والمأوى ما يأوي إليه الإنسان باختياره، فإن ألقى فيه جبرا فليس بموطن ولا مأوى، قال متن الفصوص في الفص الهودي: (ونسوق المجرمين) هم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور، التي أهلكم عن نفوسهم بها، فهو يأخذ بنواصيهم، والريح تسوقهم، وهي عين الأهواء التي كانوا عليها إلى جهنم، وهي البعد الذي كانوا يتوهمون، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين القرب، فزال البعد، فزال مسمى جنهم في حقهم، فأفاد كلامه (رضي الله عنه) أنهم بمجرد ما سقطوا في جهنم، هبطوا على الله، فزال البعد الموهوم، أي: الذي توهموا منه أن مسمى جهنم غير الله، وثبت وجود الله المحقق؛ لأنه عين مسمى جهنم التي هي مأواكم، فإليه كان الإيواء، وهي عين مولاهم، فما ساقهم إلا إليه؛ لأن جهنم صورته، وما استحقوا هذه الصورة إلا بإجرامهم، بل هذه الصورة الجهنمية ما إنشاءها إلا إجرامهم، فقد انكشف لك قول الشيخ: ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق، أي: لأنهم مجرمون، يعني فازوا بنعيم القرب الجهنمي من جهة الاستحقاق، أي: لأنها من أهوائهم التي هي معاني الإجرام؛ لأنهم مجرمون، أي: لا يستحق نعيم هذا القرب الجهنمي إلا المجرم؛ لأن المجرم مقامه في الدنيا الجمال، فانكشف آخرا عن باطنه وهو الجلال، فبطن فيه الجمال كما كان في الدنيا الجلال باطنا في الجمال:﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ **[النبأ : ٢٦]** وهذا من حكم الإسم الحكم العدل المقسط، فإن الإسم الإلهي المقسط بيده ميزان الحقائق الإلهية، وله كفتان إحداهما: الأولية، والثانية: الآخرية، وإحداهما: أيضا للظهور، والثانية: للبطون، وإحداهما أيضا: للجمال، والثانية: للجلال، وهذا الأمر في كل متقابلين، من حق وخلق، وقدم وحدوث، وتنزيه وتشبيه، وقبض وبسط، ونفع وضر، وعطاء ومنع، وسعادة وشقاء، وهذا التقابل سر اليدين المتوجهتين على خلق آدم (عليه السلام) وهما التي قال عنهما آدم (عليه السلام): "اختار يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة"، فيمين الهداية توجهت على أهل الجنة، ويمين الضلال

توجهت على أهل النار، فالحكم العدل المقسط قال: (كلا نمد)، والإمداد إما ظاهري، أو باطني، فلذا قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [**الحديد : ١٣**] ولم يقل فيه العذاب ليفيد أن العذاب حقيقي ذاتي حقي، بل هو كالثلجة التي باطنها الماء، فالثلجة ليست غير الماء إلا بالوهم لا بالحقيقة، إذ لا حقيقة للثلجة إلا الماء، كذلك لا حقيقة للصور الجلالية التي توهم العذاب إلا الحق، ومشاهدة الحق نعيم في حقيقة الأمر، فإذا تجلى الإسم الماحي على صورة الثلجة، انمحت، ولم يبق إلا الماء، كذلك إذا تجلى جمال الحق على النار انمحى الجلال وبدا لأهلها الجمال، ومن هنا قيل ليس العجب من ورد بستان العجب من ورد في قعر النيران ولله در من قال:

هذه الأكوان طلعته كل من قد هام فيه رقى ولما كان الوجود بأوله وأخره وظاهره وباطنه بيت الله، فلا مساكن فيه إلا الله، وأهل بيته هم مظاهر أحديته أراد أن يذهب عنهم رجس الشرك، ويطهرهم بأحديته تطهيرًا، والتطهير أنواع: بالماء، أو التراب، أو بالأحجار، أو بالنار، ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [**البقرة : ٦٠**] فلكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، وعلى الله قصد السبيل، وقد جئناك ولله الحمد بالحكمة فصل الخطاب، فخذ منها ما طاب، وألق القشر عن اللباب إن كنت من أولى الألباب.

واعلم رحمك الله أن التطهير إما ذاتي لأهل تجلي الذات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [**الأحزاب : ٤٣**] وهذه الظلمات أحكام وهمية عدمية أوجبها الإسم الضار، كما قال تعالى :﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ [**الأحزاب : ٤٣**] فحال بنفسه بينهم وبين قلوبهم كما قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [**الأنفال : ٢٤**] أي: مع أنه عين قلبه؛ لأن القلب حقيقة الذات المتقلب بمظاهر الأسماء والصفات، فحال بين المرء وقلبه بقلبه؛ لأن الله عين قلبه، فهو عين الحائل عن المطلوب، إذ هو المطلوب، فحال به عنه، فإذا جاء تجلى إكسير

الوجود الذاتي النوراني، وسرى باكسيرتيه بمعادن القلوب المشاهدة لظلمات الكثرة الوهمية، صبغها بصبغة الله التي هي ذهب كمال الأحدية، فانقلبت إلى نور الحق، وعاد ما كان يسمى ضرر أعين النفع، فظلمة الطبع الوهمية هي مسمى جهنم النارية فإذا كشف الغطاء، كانت عين نور الأحدية، ولهذا قال أستاذنا بأن جهنم هي البعد الذي كان يتوهمونه، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن أي: حسا بعدما كانوا يتخيلونه ويصورنه بأوهامهم كما شاءوا، فيبعدون به عن الحضرة الإلهية بتوهم الكثرة الغيرية، حصلوا في عين القرب، فزال البعد، إذ لا بعد إلا من وهم السوى ولذا قال: فزال مسمى جهنم أي من جهة معنى البعد، وبقى مسماها بأنها وجه الحق، فكان هو المأوى مع بقاء إسم النار، ولكن المعنى اختلف، ولذا قال﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [**الحديد : ١٥**] وقوله﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [**الحديد : ١٥**] أي: صورة لا معنى، فهو سوء نسبي، ألا ترى أن الصفراوي مثلا يذوق العسل مرا، والجريح يتضرر من رائحة المسك، والأرمد يتبخر برائحة الزبل، ولربما استحسنها لشغائه بها، فالأمور تختلف أحكامها باختلاف الأذواق، قال (صلى الله عليه وسلم) "حبك الشيء يعمي ويصم" وأما التطعيم الإسمي، فلإن لكل إسم إلهي بيتا يخصه، والبيت عين معناه، ولكل معنى أهل حتى الإسم الضار قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [**الإسراء : ١٦**] فقد ضرهم بهذا الأمر، فالقائل ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [**الإسراء : ١٦**] هو الإسم الضار، فلذا قال ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [**الإسراء : ١٦**] أي: من جهة هذا الإسم فدمرناها تدميرًا، فلهذا التدمير تطهير من جهة الإسم الضار لأهل بيته؛ لأن التدمير هو الإهلاك، والله لا يهلك عبدا إلا ليخرجه عن الدعوى ويبين له أنه هو الحي القيوم بالوجود وحده، وهذا عين النفع فللإسم الضار أن يقول: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [**الأحزاب : ٣٣**] أي بالفناء، ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

ٱلۡجَـٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [**الأحزاب : ٣٣**]

أي بالبقاء.

واعلم أن القرية أنت، ومترفوها أعضائك، فمن فسقت أعضائه المترفون بالشهوات، هلكت قرية جسمه بالنيران المحرقات، فمحت نفسه الوهمية، وقام بمشي الأحد والله الموفق.

وارد الإمداد الحاتمي في الولاية

الخيمية لخاتم الرسل (صلى الله عليه وسلم) من حيث

الولاية

اعلم أن الروح الأعظم الذي هو روح محمد (صلى الله عليه وسلم) أول ما تعين من إطلاق الذات بالجمعية الكاملة، فمقامه (صلى الله عليه وسلم) المقام الجمعي المنبه عليه بقوله: (أوتيت جوامع الكلم)، فكل إسم من أسماء الله تعالى بمنزلة موجة من أمواج البحر جمعيته، فالولاية في بحر جمعيته (صلى الله عليه وسلم) ليست متعنية بالتعين الخاص الدال معناها الخصوص، فلما تعينت روح خاتم الأولياء من روحه الكلية (صلى الله عليه وسلم) تعينت بمظهرية هذا الإسم من روحه الكلية الجامعة، ثم أن روحه (صلى الله عليه وسلم) الكلية الجامعة لما تعينت منها سائر الأرواح يناسب مقامها الاسمائي من جمعيته، كان روح محيي الدين (رضي الله عنه) هو المعنى المخصوص لإسم الله الولي، وكان روح محمد (صلى الله عليه وسلم) الجزئي المتعين من روحه الكلية الجامعة لسائر الأرواح مظهر الإسم الباعث، فكان روح محيي الدين لإمداد الولاية، وكان روح محمد الجزئي لإمداد النبوة، ولما كان روح محمد (صلى الله عليه وسلم) الجزئي المعين عند الله؛ لصورته الكريمة ما تعين أيضا إلا بما يناسب مقام جمعيته الكبرى للإسم الجامع الأعظم، لم يكن إمداد الولاية بخصوصها في عالم الأرواح له (صلى الله عليه وسلم) مقامها لأن مقام النبوة من النبوة، وهي الرفعة، أي أن مقامه الجامع ارتفع عن تعين خاص دون تعين آخر، فجميع الأرواح المتعينة منه بها مقام معلوم، وشرب مقسوم وروحه (صلى الله عليه وسلم) مقامها أن لا مقام؛ لأنها أصل جميع المقامات، فلم يكن مقامها إلا الإسم الجامع، ولما كان الإسم الجامع من حيث الجمعية والإطلاق، ليس مقامه أن يمد بالمعاني الخاصة، كما أن الإسم الله من حيث جمعيته وإطلاق لا يمد بحقائق الأسماء الخاصة، كالعليم، والباسط والقابض مثلا، كان إمداد الولاية لروح محيي الدين المتعينة بالإسم الولي من الإسم الجامع، فإمداد محمد (صلى الله عليه وسلم) إمداد جمعي أصلي، والإمداد التفصيلي الفرقي في الولاية هو مقام الإمام محيي الدين فظهر أن روح الإمام محيي الدين محمد لسائر الأرواح الجزئية المتعينة من الروح الأعظم الكلي الجامع، الذي هو حقيقة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومن جملة الأرواح المستمدة للولاية بالمعنى الفرع التفصيلي روح محمد (صلى الله عليه وسلم) الجزئية المتعينة بصورته الكريمة لختم الرسالة، فمقام محمد ارتفع من حيث الفرق عن معنى الولاية؛ لأنه أعز وأرفع، إذ مقامه مظهرية الإسم الباعث من حيث التعين الجزئي، وبذلك كان له العبودية المحضة؛ لأن مقام الرسالة ليس فيه إسم يطلق على الله تعالى، بخلاف الإسم الولي، فإنه يطلق على الحق والخلق، فبهذا الاشتراك الإسمى للولي مع الله نقصه من العبودة الكاملة التي كان عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعبودة المصطفى محضة كاملة خالصة، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [**آل عمران : ١٢٨**]فالولاية الظهور بالخلافة الإلهية بالحقائق الاسمائية، والرسالة رد الأمانة إلى أهلها، وهو الله تعالى فهي عبودة محضة خالصة، ولذا أنزل الله على نبيه

محمد (صلى الله عليه وسلم) تعليما لنا قوله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلاً ﴿٩﴾ ﴾ [**المزمل : ٩**] فبهذا الاعتبار مقام محمد (صلى الله عليه وسلم) يجل عن الولاية الفرقية الخاصة ولذلك نص الإمام محيي الدين -رضوان الله عليه-: أنه من أشد ما تجرع الأولياء مرارته سد باب النبوة بقوله (صلى الله عليه وسلم): (إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول) ثم بين (رضي الله عنه) أن إبقاء إسم الولاية على الولي فيه مكر خفي؛ لأن ذلك شاهد للولي بالخروج عن مقام العبودية بقدر ما شارك الحق في إسمه الولي، فلم تكن عبودية الولي كاملة كمال عبودية الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، إذ ليس في مقام الرسالة إسم يطلق على الله تعالى، فيخرجون عن العبودية بقدر الاشتراك، كما هو الأمر في الولاية، فإن إسم الولي يطلق على الله تعالى، فلم ينفرد وليا لله بالعبودية الكاملة كما انفرد بها الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وقد ذكر الإمام محيي الدين الخاتم في الولاية رضوان الله عليه: أن أبا يزيد تمنى أن يفتح عليه من مقام العبودية قدر خرق الإبرة، وقد ذكر (رضي الله عنه) عن نفسه أنه نال بالعناية الإلهية من عبودية محمد (صلى الله عليه وسلم) شعره، ثم قال : وهذا كثير لمن عرف، ومن كلامه أن يجعلني عبدًا ويعصمني من السيادة حالا أنه شؤم، فطلب (رضي الله عنه) ألا يغفل في الإتصاف بالأسماء الإلهية عن عبوديته، فيكون في جميع تصرفاته حاضرًا، إن الوكيل هو المتصرف له، لا أنه هو المتصرف بالخلافة عن الله، فإن الخلافة وإن كانت سيادة إلا أنها شؤم على صاحبها، في الغفلة عن عبوديته، ولا بد بخلاف سيادة العبودية فليس فيها شؤم البتة، ولهذا قال من السيادة حالاً، ولم يقل مقامًا؛ لأن سيادة المقام هي سيادة العبودية الكاملة التي هي لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ولأبي يزيد منها قدر خرق الإبرة، ولخاتم الأولياء محيي الدين منها شعرة، ولهذا أخبر أنه حسنة من حسنات محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فبهذه الشعرة التي له من محمد (صلى الله عليه وسلم) كان له الشعور بمقام محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو العبودة المحضة، فلم يخرج التعين بالولاية عن مقام العبودة المحضة الكاملة، فكان بشعوره بالمقام المحمدي، وإطلاعه عليه، وارثا له الوراثة الكاملة، كما قال (رضي الله عنه) في «الفصوص»:
ولست بنبي ولا رسول ولكني وارث، ولآخرتي حارث، ولما كانت إشارة الشعر لكمال الشعور بالمقام المحمدي ختم الولاية المحمدية الخاصة بالمقام المحمدي، وكان بين كتفيه خاتم الولاية، فجمع الخلعتين وتمم اللبنتين، فقال: وهذا كثير لمن عرف، لأنه وإن كان شعرة منه (صلى الله عليه وسلم) فهذه الشعرة هي العين، فإنه (صلى الله عليه وسلم) عين الحياة الكاملة التي لا تتجزأ، فالشعرة منه عينه، فهذه إشارة ختميته الخاصة (رضي الله عنه)، وكماله في الإرث المحمدي الجامع لكمال اتباعه (صلى الله عليه وسلم)، وهذه العبودة مقام الأفراد الكل، وأكملهم محيي الدين الخاتم رضوان الله عليه، ولذلك كان يمدح الإمام أحمد (رضي الله عنه) في الإتباع كمال المراعاة لما هو عليه المصطفى، ونص على أن كمال إتباعه في الإرث أن يكون الوارث وارثا له في أقواله وأفعاله وأحواله، حتى قال: إن الإتباع عندنا لا يتجزأ، فلو اتبع المتبع المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في بعض الأمور دون بعض كان عندنا كمن يؤمن ببعض و يكفر ببعض، إلا أن يكون من الأمور الخاصة به (صلى الله عليه وسلم) كنكاح الهبة الذي قال إن فيه: (خالصة لك من دون المؤمنين) وقولة (كان عندنا)، أي بالنسبة لمشربه في الإرث الجمعي الخاص، فهو من باب الأكملية العظمى، وحسنات الأبرار وسيئات المقربين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وارد

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾ [**محمد : ١١**] اعلم رحمك الله : أن هذه الآية أن المؤمن هو الذي يؤمن بالغيب، فهو يعبد

مولا غائبا عنه، يمتثل أوامره ونواهيه، فهذا الغيب مولاه، وهو عبد لذلك المولى، وأما الكافر فهو الذي ستر ذلك الغيب بالشهادة، وقال: أن الوجود عين الموجود، فما ثم غيب، فهذا هو المولى لنفسه فلا غير، فشهادته شهادة الله بذاتها، فلا يقول بالغير؛ لأنه تعالى تجلى عليه بمقتضى الربوبية لا بمقتضى العبودية، والرب﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [**الأنبياء : ٢٣**] فهو مظهر إطلاق لا مظهر تقييد في الدنيا، وبعكسه المؤمن، فإنه مظهر تقييد في الدنيا؛ لأنه تعالى تقيد فيه بإسم العبد، فآمن بغيب ذاته، والكافر كفر غيب ذاته بشهادته ذاته، ولذا خرج من إسم العبودية إلى إسم الحرية، فله عزة الربوبية في الدنيا، وهي التي قال عنها إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [**ص : ٨٢**] يعني أنك أنت الظاهر وأنت عزيز لا تذل، فلا يذلون للعبودية المقيدة لهم بالشرائع، وبهذه العزة أبى أبليس السجود لآدم، وما ندم وما تاب، لعلمه أن الله هو الظاهر به بتلك العزة، فكان له إمداد الرحمن لا إمداد الجبار، والذي أجاب دعائه هو الإسم الرحمن حيث قال :﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [**الأعراف : ١٤**] قال (إنك من المنظرين) [الأعراف: ١٥]، فلا تحسب أن إبليس ملعون من جهة جميع الأسماء، وكيف؟ وهو مظهر المسمى بتلك الأسماء، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [**الحديد : ٣**]فلعنته بعده عن الجبر الإلهي لا عن الله نفسه لأن الله هو المضل به فهو صورة هذا الإسم المضل، و شهادته، وانظر إلى قوله تعالى :﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [**ص : ٧٨**] فأضاف اللعنة إلى ضمير الذات أي: بعدي عني من جهة أن الإسم المضل بعيد بالمعنى عن الإسم الهادي، فكان الشيطان بهذه اللعنة مظهر إسم الرحمن، ولذلك يأمر الإنسان أن يفعل ما يشاء، فالكافر لا مولى له؛ لأنه بمقتضى تجلي الهوية انطوى غيبه بشهادته، ولذلك السر قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [**مريم : ٧٥**] ففي الدنيا يمده ظاهرا فيظهر عليه النعيم، وأما في الآخرة فيلقيه ظاهرا في الجحيم، ويمده لأن الحق تعالى من جهة أنه الظاهر، هو الذي كفر غيبه بشهادته، إذ غيب غيبه عين شهادته، فيمد نفسه بنفسه فرحمته واقعة على نفسه، فالكافر صوره إسمه المضل، فلو لم يكن في الوجود ضال، فمن الذي يقوم بمقتضى هذا الإسم، فاستحق الكافر النعيم باطنا بالنعيم من جهة الإسم الذي تجلى به عليه، والكامل فيه من قيل له:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [**ص : ٧٨**] أي لا على غيرك، فابليس عين كل من لعن إذ الهوية واحدة فافهم، ومما قررناه تفهم قول الشيخ الأكبر في الفص الهودي﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [**مريم : ٨٦**]وهم الذين

استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم بها، فهو يأخذ بنواصيهم، والريح تسوقهم، مراده (رضي الله عنه): أن المجرم هو المستحق لأن يكون الإسم المضل فهو كماله من جهة ما يقتضيه هذا الإسم من كمال الله في نفسه؛ لأن اسمه عينه، فساقه هذا الإسم الذي تجلى عليه بصورة ريح الدبور، ليوصله إلى مقامه ومنزلته، التي هي شأن الله في نفسه، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ **[الرحمن : ٢٩]**فأهلكه عن نفسه أي: أفناه عن وجوده المتوهم بهذه الريح، فهو يأخذ بناصيته إليه لا إلى غيره، والريح التي هي مظهر الإسم المضل، تسوقه من الفناء إلى البقاء؛ ليعلم هوية الله الظاهرة بصورة المجرم، ثم قال : وهي عين الأهواء التي كانوا عليها أي: لأنها معاني الإسم المضل، فظهرت حسا بريح الدبور، فأفناهم عن نفوسهم باسمه المميت، فساقهم إلى جهنم، ثم قال: وهي البعد الذي كانوا يتوهمونه، بشر (رضي الله عنه) أن جهنم عين الوهم لإن من يعتقد أن جهنم صورة الحق لابعد في حقه، فما حجبهم عنه إلا بهم، فلو علموا أنهم هو علموا أنه عين جهنم، وعين كل شيء، فلا بعد، ثم قال: فلما ساقهم على ذلك الموطن حصلوا في عين القرب، أي: انكشف عنهم الغطاء، أنهم مظاهر الإسم المضل، فهم هو، ثم قال: فزال العبد، فزال مسمى جهنم، أي صار المسمى هو؛ لأنه انكشف لهم وجه الله في صورة جهنم، ثم قال: ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق أي: فازوا بنعيم الإسم المضل من جهة أنهم مظاهره لأنهم مجرمون، يعني أن الإسم المضل لا يكون مظهره إلا المجرم، فهو الذي استحق نعيمه لا غيره، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ **[مريم : ٧٥]**فهذا الإمداد نعيم أهل النار باطنًا، فافهم والله الموفق.

وارد

ذكر الشيخ بهاء الدين العاملي في كتابه المسمى بالكشكول أن أبا بكر (رضي الله عنه) أغضب السيدة فاطمة (عليها السلام) حاشاه من ذلك وإنما ذكر لها حديث أبيها (صلى الله عليه وسلم) في أن (الأنبياء لا تورث) وليس مراده منع الإعطاء لآل النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن يشير فيما رواه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأنبياء سيما نبينا (عليه الصلاة والسلام) عبيد خلص، لا يملكون لأنفسهم مع الله تعالى، وإنما هم خلفاء الله تعالى، ينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه، بحسب الأوامر والحدود ، وكانت أنفسهم وأهلوهم من جملة من لهم حق فيما في أيديهم، فبشر (صلى الله عليه وسلم) إنا ما ملكنا هذا المال لأنفسنا حتى يورث عنا ، ويؤخذ علي جهة الإرث ، فليس مراد الصديق (رضي الله عنه) سوي ذلك، وإنما هو صدقة من الله تعالى على من قسم له فيه، ولو كان من آله، فإعطاء الأنبياء هو إعطاء الله تعالى، والله تعالى هو خير الوارثين، كما أن الرامي بيد النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الله، كما قال ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ **[الأنفال : ١٧]** إلا في الظاهر الرمي محمد (صلى الله عليه وسلم) فليس مراد الصديق (رضي الله عنه) التنبيه علي ذلك، لا إغضاب السيدة بنت أحب الخلق إليه، وغضبها إليه وفيها السلام نظر إلى الظاهر فقط،

ويدل ذلك إعطاء لعلي والعباس قدس سرهما بهذه النكتة ولم يكن من سيرة أبي بكر شح أو تعدي بل أنه لما هم بمنع مسطح من صدقته للإفك الذي افتراه علي ابنته، أمره رسول (صلى الله عليه وسلم) بالعفو والصفح، فكان ينفق بعد ذلك علي مسطح، فلعمري كيف لا يعطي بنت حبيبه الأعظم؟ وقرة عينه من مال أبيها ، مع أنه كان يقول: والله لقرابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أصل أحب إلى من قرابتي ، وكان إذا كان جالسا بحذا النبي (صلى الله عليه وسلم) ودخل علي (عليه السلام) يفسح له ويجلسه إلى جنب النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا يفصل بينهما، وكان أعظم المعنيين لأبي تراب (عليه السلام) في اتصاله بالزهراء (عليها السلام) وليس كما يزعم الشيعة الذين هم المتأولة أن ذلك من قبيل: (لا تدري ما أحدثوا بعدك) فإن الصديق ممن شهد له المصطفي بأنه من أهل الجنة، وبشره أنه من أهلها ، وأنه يدخل من سائر أبوابها، وأنه يأكل من طيورها، كما صح في الأحاديث ، وإلا فلا تصدق بشارة النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا أخباره فتنتفي النبوة حينئذ، نعوذ بالله من عمي البصيرة المؤدي إلى مثل هذا الهذيان ، وليت شعري كيف يوافق أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأجمعهم ويجتمعون علي ذلك، وهم لا يجتمعون علي ضلالة ، ولما قال عمر (رضي الله عنه) إذا رأيتم في عمر عيبا فقوموه ، قالوا : والله لو نعلم أن فيك عيبا نقومك بسيوفنا لا بألسنتنا ، وممن أثبت الحديث ووافق عليه علي وعمر (رضي الله عنه) ، فأما علي (رضي الله عنه) مع صدعه بالحق وكونه لا تأخذه في الله لومة لائم، لم يبلغنا أنه رد ذلك، كما رد علي عمر لما قال في الحجر الأسود أنه لا يضر ولا ينفع لولا أنه رأي النبي (صلى الله عليه وسلم) قبله لم يقبله، فقال له (عليه السلام) : بلي، يضر وينفع، قد سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : أنه يشهد لمن استلمه بحق.

وأما عمر (رضي الله عنه) فكان المصطفي يشاوره، وينزل القرآن بحسب ما يري، وقد شهد له بأنه ما سلك الشيطان مسلكا إلا وسلك عمر مسلكا آخر وأنه ما ترك الحق له من صديق، وأنه الفاروق؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، وأنه لو كان نبي بعدي لكان عمر ، ولما أسلم سل سيفه وقال : والله لا يعبد الله إلا جهرًا، وهو من المبشرين بالجنة، فمثل هذا كيف يداهن؟ والنبي شهد بعدالته؟ وإذ كان الصديق من الذين أحدثوا بعد النبي ما يقتضي الطرد عن الحوض كيف الإمام سيدنا علي (رضي الله عنه) يسئل عنه بعد وفاته ووفاة عمر هل هو أفضل أم مؤمن آل فرعون؟ فيقول : أبو بكر أفضل من ملأ الأرض

من مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وذا يعلن إيمانه. فكيف مثل هؤلاء يطعنون في رجل يعدله إمامهم ومقتداهم؟ ومن هو أعظم الناس بعد الأنبياء عندهم؟ هل هذا إلا من الزيغ والضلال؟ تاب الله علينا وعليهم ووفقنا وإياهم لإتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، لا شغلنا بما لا يعنينا وأعاذنا من سوء الاعتقاد في أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وسبهم فإنه قال : (صلى الله عليه وسلم) (لا تسبوا أصحابي) وقال (الله الله في أصحابي) ولله رد القائل :

إني أحب أبا حفص وشيعته كما أحب عتيقا صاحب الغار

وقد رضيت عليا قدوة علما وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة سادتي ومعتقدي فهل علي بهذا القول من عار

ونسأل الله حسن الخاتمة بجاه المصطفي (صلى الله عليه وسلم) وعلي آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين.

وارد المرسلات وهو من أطيب النفحات

قال الله تعالى ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ ﴾ [**المرسلات : ١**] المرسلات عند أهل

الإشارات هي الأنفاس الإلهية قال (صلى الله عليه وسلم) (إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمين) وقوله: (عرفا) أي: لأجل المعرفة الإلهية، وهذا النفس العرفي الروحاني، ومن وجد يعقوب ريح يوسف عليهما السلام ، ومنة نفخ الروح في آدم ونفخ جبرائيل في مريم ، والروح المطلق هو حقيقة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو أول تنزيلات الذات من كنزها المخفي، بسبب الحب الإلهي؛ لأن يعرف فتنفس صبح الذات من ليل غيبها الذي عسعس، فكانت عين النفس المحمدي، الذي هو الأرواح، فكانت من النفحات المرسلات الروحانية في الأشباح الجسمانية، تلك المرسلات واردات قلبيه تنتج لصاحبها العرف، أي : المعرفة بالله وقد وصفها ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ ﴾ [**المرسلات : ٢**]

يقال : عصفت الريح بمعني اشتدت، كذلك هذه المرسلات التي هي الأنفاس الإلهية تأخذ القلب بشدتها وتنسف منه جبال الأوهام الخلقية، وتلقي فيه المجال الحقيه.

﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ ﴾ [**المرسلات : ٣**] المعني أن هذه الأنفاس من الرحمانيه، تنشر القلب فتحيه وتبعثه من قبر حجابه عند ربه، فتنشر منه المعارف الإلهية، بعد موت الجهل، كما قال تعالى ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٨ ﴾ [**البقرة : ٢٨**] أي: كنتم أمواتا بالجهل، فأحياكم بروح العلم الإلهية، وقوله ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ ﴾ [**المرسلات : ٤**] هي الأسماء الإلهية التي تفرق شئون الجمع الذاتي فتفصل، مشاهد الجمال مثلاً من مشاهد الجلال وتفرق ما بين التنزيه والتشبيه وقوله ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ ﴾ [**المرسلات : ٥**] هي التجليات الإلهية تلقي عقائد الذكر في القلوب، فتتنوع المذكورات من المشاهد الإلهية التي تتوجه لها القلوب، كما قال تعالى ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [**البقرة : ١٤٨**] أي جاوزوا تلك المشاهد إلى حضرة الأحدية الجامعة فذكر الأحدية هي أذكار أهل التحقيق، وهي أعلى من ذكر الفرانيق، قال تعالى ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ ﴾ [**يوسف : ٣٩**] فوجهه الله الواحد القهار تجمع كل وجهه، فالعابد لهذه الوجهة يعبد الله من جميع الوجوه، فيجمع عبادة العابدين وعقائد المعتقدين، قال الشيخ الأكبر قدس سره :

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه

واعلم أن علم الوجود الإلهي إما عذرًا أو نذرًا ، فالعذر وهو التحلية، مثل قوله تعالى ﴿

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [**البقرة : ١١٥]** فكل عابد علي هذا معذور؛ لأنه ما عبد الا وجه الله.

وأما النذر فهو التخليه، وهو قطع كل علاقة تمنع من دون المطلوب، وليس المطلوب إلا مرتبة الإطلاق، أي: الأحدية، فالتقييد مظهر خاص شرك، ولذا ورد: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم) مع أن الدرهم والدينار من المجالي الإلهية قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ **[الأنعام : ٩١]** فافهم.

واعلم أن الله تعالى قال في عيسي (عليه السلام): ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ **[النساء : ١٧١]** وروح الله عينه، وكلمته، أي: كلمة هويته، وذاته، فذكر الله حينئذ عين وجود عيسي، فأولياء الله إذا رؤوا ذكر الله ، وأما الإنسان الكامل الجامع لكل إنسان، بل وسائر الأكوان إذا رؤى، رؤى الله، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ **[الفتح : ١٠]** فالورثة الكمل هم الرقائق من الإنسان الكامل، التي تلقي الذكر في قلب المريد، إلى أن يعود الذكر عليه، فيكون هو المذكور، والحجاب المستور، لأن الحجاب في هذا المقام عين المحجوب.

قال العارف: (واجمع بيني وبينك وأزل عن العين عينك) فنقطه الغين هي عين العين، فالنقطة الغينية هي صورة الحقيقة العينية، وقوله ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المرسلات : ٧] إشارة إلى ما ذكره من قوله: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ ﴾ [المرسلات : ٨] إلى آخره، كله واقع الآن لو كشف الغطاء فلم يكن ذلك وعدًا إلا باعتبار عدم كشف الغطاء ، وأما المكشوف

عنه الغطاء فهو واقع عنده، ولذا قال في الساعة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ووقتها هو الموت الأصغر أو الأكبر ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ ﴾ [المرسلات : ٨]

أي نجوم الكثرة طمست في شمس الوحدة، أو طمست المظاهر في تجلي الحق الظاهر، أو طمست الأسماء والصفات في تجلي أحدية الذات، أو طمست نجوم الخلقية في تجلي شمس الحقيقة، ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ ﴾ **[المرسلات : ٩]** أي فرجت شمس الحقيقة الصابغة لصور التجليات ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ **[البقرة : ١٣٨]** فانصبغ الظلام بالنور حينما (سماء) القدس، (تمور) (وإذ الجبال) أي: الأهام الثابته في أرض الأفكار، (نسفت) أو زالت بتجلي الله الواحد القهار، وإذا الرسل وهي الواردات الإلهية (وقتت) بأوقات خاصة.

قال الشاذلي (رضي الله عنه) : لا حجاب إلا الوقت، فلا تزال الواردات الإلهية تميت بالفناء، وتحيا بالفناء إلى أن تطلع الشمس الحقيقة من مغربها، أي: من بطونها ﴿ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ **[المرسلات : ١٢]** وهو يوم ظهور مهدي هداها، فيكون نفس العارف عين مناها، إلى ربك منتهاها به، فيظهر عيسي الروح بكمال الفتوح، قال تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾ **[النصر : ١]** ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) [النصر: ٢] أي في ذاته أفواجا، من تجليات الأسماء والصفات، فذلك يوم الفصل، فيعلم كل فرد استعداده من التجلي الذاتي، كما قال ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ **[الإسراء : ١٣]** أي يوم يقوم الناس منهم لرب العالمين، فيعطي الرب كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ **[المرسلات : ١٤]**﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ **[المرسلات : ١٥]** إذ يقال لهم ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ **[يس : ٥٩]** وهذا الفصل عين باب سور الأعراف، وأما يوم الجمع فلا باب ولا سور؛ لأن النار تتدرج في النور، وخشعت الأصوات للرحمن فتظهر

الجنان، وتنطفئ النيران، ويعزل المنتقم ويتولى الرحمن، ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ **[الملك : ٢٨]** فيتعلم الجميع منه القرآن﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ **[الرحمن : ٣٩]** ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ **[االأنبياء : ٢٣]** والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وارد : الإنصباغ بحسب القوابل :

قال الله تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ **[آل عمران : ٥٤]** هذه حضرة إلهية محمدية، اعلم أن الله تعالى ليس كمثله شيء؛ لأنه وجود محض بلا إسم ولا وصف، وما أعطاه الأسماء والأوصاف إلا ظهوره بحسب القوابل الثابتة بالثبوت الذاتي حال عدمها، قبل ظهور الحق بها في رتبة الوجود الصوري، ولما كان في حملة الظهور والصورة الإنسانية المستحقة للخلافة الإلهية الجامعة نسب البشرية لجميع الأسماء والأوصاف، سواء كانت تنزيهية أو تشبيهية، كذلك لم يكن كمال الله إلا أن يكون موصوفا بالجوع والظمأ، والمرض والعجب، والضحك والكيد، والخداع والاستهزاء والمكر، وهذه الأوصاف إن تجلت وظهرت في عموم الناس كانت مذمومة، وإن ظهرت في الإنسان الكامل كانت نسبتها إلية علي حد نسبتها إلى الله، فالله خير الماكرين، أي: هو خير الماكرين في صورة الإنسان الكامل، فمكر الله المنزل في القرآن العظيم متجلي علي باطن محمد (صلى الله عليه وسلم) فكان الله خير الماكرين في المظهر المحمدي، وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ **[النساء : ١٤٢]** فخداع الله وكذا في قوله ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ **[النساء : ١٤٢]** وكذا في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ **[البقرة : ١٥]** وقد ظهر لي سر محمدي لم أسمعه من خطاب، ولم أنظره في كتاب، تجلي لي من سر محمد (صلى الله عليه وسلم) وذلك ببركة حبي له، واعتمادي عليه في جميع الأمور، واعتقادي أن الله الذي له الحكم سلمه الحكم بمقتضي تجليه في قوله، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ **[النساء : ٦٥]** الآية فمن لم يجعل محمدا (صلى الله عليه وسلم) حاكما في الأمور كلها، فليس

بمؤمن، فعلي هذا فالحاكم في الدنيا والآخرة محمد (صلى الله عليه وسلم) (ومعنى قولي: له الحكم في الدنيا والآخرة، أن له أحدية الوجود التي هي الحقيقة الإنسانية الجامعة لجميع الحقائق الإلهية والكونية، التي تحقق بها محمد (صلى الله عليه وسلم) ذاتًا وأسماءً وصفاتًا، التي لها حكم الأسماء الأربعة الأمهات من الأول والآخر، والظاهر والباطن، فكان هو الهيولي الوجودية؛ تنزيها وتشبيها، معني وصورة، فله مقام النبوة من جهة التنزيه في صورة النبيين والمرسلين من جهة الإسم الهادي في كل هادي باعتبار ما تحقق به من حقيقته ألجامعه وله مقام النبوة من جهة التشبيه في مظاهر الإسم المضل فاندرج الكل في حقيقته الإنسانية الاحدية الجامعة للتنزيه والتشبيه فهو واحد الوجود أصلا وفرعا ولذلك قال الله تعالى﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [**الفرقان : ١**] أي: عبد هويته، أي: مظهر ذاته ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [**الفرقان : ١**] فهو نذير من تقدم ومن تأخر تنزيها وتشبيها، بمقتضي اليدين الإلهيتين المتوجهتين علي خلق آدم الجامع، وفي الحديث (وكلتا يدي ربي يمين مباركة) فاليمين الواحدة فيها آدم وذريته، في اليمين الثانية سائر العالم، فالأرض جميعا قبضته والسماوات مطويات بيمينه، والأرض جامعة للعناصر الأربعة، فكان آدم من تراب، وإبليس من نار، والحقيقة الأرضية واحدة، فلذلك هبط آدم وحواء وإبليس إلى الأرض؛ ليعبدا لله تعالى بمقتضي الإسمين الهادي والمضل فصح قولة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [**الذاريات : ٥٦**] ولا بد لكل عبادة من رسالة ونبوة فسميت رسالة الإسم المضل في إبليس لعنة أي: بعدًا، فخير الماكرين سمى رسالة إبليس لعنة الإسم الهادي، فالرسالة الآدمية إلى حين، والإبليسيه كذلك، إلى أن ينقضي دور القضية الأرضية، ويكون الحكم للمعني السماوي الروحاني، ولذلك أبى إبليس عن السجود لآدم لعلمه بما يقتضيه مقامه عند الله من خدمة الإسم المضل، فلذا قال: (أنا خير منه) أي: آدم هو أصلي، فأنا حقيقته الجامعة للعناصر الأربعة، ثم فصل الأمر فقال ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [**الأعراف : ١٢**] والسر في ذلك أن الإسم المضل ضد الإسم الهادي، فإبليس لا يمكنه السجود لآدم؛ لأن الإسم الهادي له سلطنة والاسم المضل له سلطنة ، ولما كان إبليس عالما بهذا الأمر محققا قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [**ص : ٨٢**] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [**ص : ٨٣**] يعني إلا مظاهر الإسم الهادي، فما يغوي إبليس بنفسه، وإنما يغوي بعزة الله، التي ظهرت فيه فكان خادم العزة الإلهية من جهة الإسم المضل فلعنه الإسم الهادي إلى حين فبطن فيه الهادي، وظهر فيه المضل كما بطن الإسم المضل في آدم وظهر فيه الهادي ، والظاهر عين الباطن، في كل منهما، وذلك عين شجرة الوجود التي أكل منها آدم، ولما كانت العزة الإلهية باطن إبليس، تولي ظاهره الإسم (المذل) واستعمله في خدمة بني آدم برسالة﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ

ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ **[الإسراء : ٦٤]** فقال ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ **[الأعراف : ١٧]** ليقودهم إلى معاني الإسم المضل، فكان خادما لآدم وذريته، وفي الحقيقة هو خادم الإسم المضل، ومن صدقه في تلك الخدمة قوله، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ **[الحجر : ٣٦]** ليحوز كمال الخدمة المسماة باللعنة ، فاللعنة خلقة الإسم المضل التي لا ينفك إبليس عن العمل بمقتضاها، ولقد أشار لذلك من الأدباء من قال

عجبت لإبليس في حاله وما أتي به في قصته

تاه علي آدم في سجدة وصار قوادا لذريته

فالرسل والأنبياء والورثة خدام الإسم الهادي، وإبليس وجنوده خدام الإسم المضل، وخادم الإسم الهادي يأمر بالطاعات، ويسلم الأمر إلى الله، وخادم الإسم المضل يأمر بالشرك والكفر والمعاصي، ويسلم الأمر إلى الله ، ولهذا السر كان لكل شخص قرينان ، قرين ملكي، وقرين شيطاني، ليتخلص حزب الإسم الهادي من حزب الإسم المضل، وذلك سر قوله تعالى : ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ **[الإسراء : ٢٠]** أي: عطاء الربوبية المتوجهة، علي حقيقتك يا محمد، فإن حقيقتك مدلول الإسم الجامع لكل من الضدين، الهداية والإضلال، ولولا هذا المعني ما كان هذا المعني، فكل منهما أثبت الأخر، فلهذا قال ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ **[الإسراء : ٢٠]** وإذا فهمت ما قلناه ظهر لك ما في الإنسان الكامل للشيخ الغوث المكمل الأستاذ عبد الكريم الجبلي (رضي الله عنه) في الباب التاسع والخمسين في النفس في قوله: قيل أن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح، حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له: اتصنع هكذا وقد طردت من الحضرة؟ فقال: هي خلقة ألبسني و أفردني الحبيب بها، لا يلبسها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، أقول: من تدبر قول إبليس ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **[الصافات : ٣٠]** عرف حقيقة الأمر، وأن السلطان سلطان الله تعالى، كما قال الله تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى

ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [**الرعد : ٣١**] أي أن المسمى بجميع الأسماء هو والمعني لجميع ، والإسم هو يندرج فيه الأول والآخر والظاهر والباطن ، وكل إسم ظهر بطن فيه ضده، إلى أن يدور الدور فيظهر الباطن، ويبطن الظاهر، وهذا هو فلك الهوية، الذي معناه استدارت الأفلاك المعنوية والصورية، فالأفلاك المعنوية كالهادي والمضل، والمعز والمذل، والمعطي والمانع، الصورية كالتراب، والنار والهواء، والماء، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، حتى الحياة والموت، والبرزخ والقيامة؛ لأن ذلك من توابع

الدنيا والآخرة ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّاۢ بِسِيمَٰهُمۡ ۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [**الأعراف : ٤٦**] لا دنيا لهم ولا آخرة، بل لهم الله، فلا يعرفون إلا إياه، ولذلك يعرفون كلا بسيماهم) وهم لا سيما لهم تميزهم، فلا يعرفون، لأنهم مظاهر في الوجود المندرج في عظمته الهادي والمضل، وأمثالها من الأسماء، وهذا المعني هو النبأ العظيم، قال الله تعالى:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [**النبأ : ١**] ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [**النبأ : ٢**]﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [**النبأ : ٣**] فكان النبأ العظيم بناء الحقيقة المحمدية؛ لأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) تحقق بحقيقة الهوية، فقام وحده في الوجود بالعظمة الإلهية، فلذلك كان أجره غير ممنون، وكان على خلق عظيم، فو الله الذي لا إله إلا هو ما في الوجود إلا محمد، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، سر الأسرار، دور الأدوار، نور الأنوار، عين الحجب والأستار، غيب البطون مجلي الظهور، أول العابدين النبي، ولا ماء ولا طين، خاتم النبيين والمرسلين، فإن كان البوصيري يقول :-

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

فأقول : فمبلغ العلم فيه أنه عين الوجود ما ظهر منه، وما استتر، قطب الأنباء، مسمي الأسماء، أحسن تقويم التنزيه، أسفل سافلين التشبيه، فكل شيء في الوجود يرجع إليه، و(صلي الله وسلم عليه) والحمد لله رب العالمين.

وارد ياسين المرسل رحمة للعالمين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يسٓ ﴿١﴾ ﴾ [**يس : ١**]

الذي وقع به الإلهام أن معناه :يا سري ؛ فهو (صلى الله عليه وسلم) مصدر الأسرار؛ لأنه صدر الذات الذي شرح ، وبين بمظاهره ماله من معاني الأسماء والصفات ، كما قال تعالى :

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [**الشرح : ١**] فالصدر هو الذات ، والشرح ظهورا لتلك الذات من معاني الأسماء والصفات ؛ فالأسماء والصفات هي التي شرحت لأجله صدر الذات ، وأول شارح لذلك صدر الذات، هو الإسم (المحب) بالمحبة الذاتية؛ لأن نعرف، فخلق الخلق أي : ظهر بالمظاهر من جهة سريان الحب في معان سائر الأسماء الإلهية ؛ فعلي هذا : كل إسم إلهي أحب أن يعرف بحقيقة معناه ؛ فهو سر غيبي من حقيقة الغيب، وهو القرآن الحكيم ، لأن ظهور الأسماء والصفات من حقيقة سر الذات، هو مقتضي الحكمة الإلهية ، كما أن القرآن الكريم في

قوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [**الواقعة : ٧٧**]

من جهة إعطاء الاستعدادات الذاتية الغير المجعولة ما يشاكلها من أسماء الذات ، والذات هي سر الغيب المطلق المعبر عنه بالإسم (هو) فإن (هو) ما لم يظهر من الغيب ، وما ظهر هو المرسل فظهر محمد (صلى الله عليه وسلم) من حضرة الغيب المطلق علي ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [**هود : ٥٦**] وهو الذي قال فيه هود (عليه السلام) : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [**هود : ٥٦**] ثم قال تعالى : ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [**يس : ٥**] بنصب لام تنزيل ورفعها، يعني أن الإسم العزيز الموصوف به الرحيم ، ورحمته كم معناه ، وهو المعز ، هو الذي تولي تنزيله ليرفع من يتحقق به إلى عز الذات الإلهية ، وفي آية ثانية ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [**فصلت : ٤٢**] أي ليتجلى على من نزل عليه الحكمة الذاتية الموصوف بمقام الحمد ، فيعطي المقام المحمود الذي هو الله نفسه ، وفي آية آخري قال : ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [**الجاثية : ٢**] ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [**النساء : ١٥**] ، وفي آية آخري قال ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [**إبراهيم : ١**] أي: إلى الله من حيث أنه نور السماوات والأرض وقال :﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [**الإسراء : ١٥**] وكل هذا ليتحقق أهل القرآن بأحكام هذه الأسماء الإلهية ، وفي هذه السورة قال : ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [**يس : ٦**] وهم هذه الأمة ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [**يس : ٦**] والذي أنذر به الآباء هو قوله : ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ

ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ [**يس : ٦٠**] أي: الإسم المقيد بقيد مخصوص ؛ لأنه بعيد من الحضرة الذاتية ، كمن يعبد حجرًا أو شجرًا أو كوكبًا أو شمسًا أو قمرًا أو دينارًا أو درهمًا أو إنسانًا، فإن الله تعالى قال : (إنكم وما تعبدون حطب جهنم) فتظهر روح الإنسان بصورة حجر يهوي به من أعلى جهنم إلى قعرها ، كما أن روح المؤمن تظهر بصورة طائر يعلق من ثمر الجنة ، وهذا الظهور برزخي بين يدي الحس والمعنى إلى أن يتولاه الإسم القيوم ، فيقوم لرب العالمين ، أي: تجلي الربوبية ،

، فيكون الرب هو القائم من عقيدة الإنسان وعمله ؛ لأنه القائل : (أنا عند ظن عبدي بي)، فتنجلي لصاحب العقيدة صور الرب طبق ما اعتقده ، ويخلع عليه حكم تلك الصورة من قيد أو إطلاق ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [**النجم : ٣٩**]، فلذلك وصف المنذرين بقوله :﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [**يس : ٦**] ولا أغفل ممن ترك الإطلاق، ورضي بالتقييد، فما جزاؤه إلا وصفه، فلا يلومن إلا نفسه، أي: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [**القلم : ٤٢**]؛ لأنه خلعت عليه صورة معبودهم من الحجر أو الشجر ، بخلاف من عبد الله الجامع لجميع الأسماء الإلهية ، فإنه (نودي من مكان قريب)، وأما عبدة الأوثان فإنهم كما ظنوا يقربونهم من الله زلفى ، لكن (نودوا من مكان بعيد) ، وهذا معني الشيطنة، فإن الشيطنة هي البعد، يقال :بئر شطون. إذا كانت بعيدة القعر، ثم قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [**يس : ٧**] أي حق قول الله : (هؤلاء إلى النار ولا أبالي) من جهة علمه السابق العائد إلى ما عليه ما هم عليه من استعدادهم الذاتي وهم عدم، فلا الوجود إلا بما عليه الثبوت ، والمظهر عين الظاهر ، والمرئي في مرآة الوجود، وهي عين الرائي ؛ فالوجود نور يهدي إلى الاستعداد الذاتي، كما قال الله : ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [**الإنسان : ٣**] أي بتجلي هدايتنا إلى حقيقة نفسه ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [**الإنسان : ٣**] ؛ فالقول الإلهي عن بصيرة أزلية ، فيقول للشيء الثابت إذا أراده ، وإرادته تابعة لعلمه ، وعلمه تابع لذات المعلوم ، وذات المعلوم عين ذاته فيقول بذاته لذاته ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [**البقرة : ١١٧**] أي يكون ظاهرًا ، وهو الكائن باطنًا ، فالاسم الباطن يمتثل أمرًا لإسم الظاهر ، فمنه وإليه ، وما حق القول في الحقيقة إلا على نفسه ، والسر الذي جعلهم لا يؤمنون : أن الإيمان متعلقه الغيب ، والكفر متعلقه الأحدية ، والأحدية تنفي ما سواها ، والغيب والشهادة تثنية ، والأحدية تأبى ذلك ؛ فمن كفر فما كفر إلا من مقام الأحدية ؛ فسر الأحدية ساري في الكافرين ولا

يشعرون به ، ومن هذا السر قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾ [**محمد : ١١**] ؛ إذ الأحد لو كان فوقه أحد يتولاه لم تثبت له الأحدية ، ولما كان هذا السر منتهى معرفة العارفين بالله قدمه الله في قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [**الأنعام : ٢**] أي: من نفس ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [**التغابن : ٢**] ألا ترى قوله تعالى في سر الأحدية "أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم" أي: هو على علم في نفس الأمر، وإن كان لا يشعر به حال الحجاب؛ لأنه لما أتخذ إلهه هواه لم يكن هواه غيره، وعند كشف الحجاب يتجلى له حقيقة "قل هو الله أحد" وهي سورة الإخلاص، لأنها أخلصت الذات من الأسماء والصفات، ومن هنا يظهر لك ما ذكره من الدين العربي في فص هود (عليه السلام) حيث قال: فسيوف الله أعجز مني، وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقه إليهم بريح الدبور، التي أهلكهم عن نفوسهم بها، فهو يأخذ بنواصيهم والريح تسوقهم، وهي عين الأهواء التي كانوا عليها، إلى جهنم وهي البعد الذي كانوا يتوهمونه فلما ساقهم إلى ذلك الموطن، حصلوا في عين القرب، فزال البعد، فزال مس جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق؛ لأنهم مجرمون، فقوله: وهي الأهواء التي كانوا عليها عين قوله تعالى: أفرأيت من إتخذ إلهه هواه) وقوله: إلى جهنم وهي البعد الذي كانوا يتوهمون) أي : كما أخبر الله عنهم حينما شاهدوا السراب الجهنمي ؛ فقال مخبراً عن حالهم : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ ﴾ [**المعارج : ١١**] الآية ، والفداء قبل العذاب، فهو ناشئ من وهم الحجاب، فتجلت لهم جهنم بحسب وهمهم ؛ لأنهم كذلك ظنوا ، والتجلي الإلهي تابع للظن، (فلما ساقهم إلى ذلك الموطن) أي: الموطن المندرج سرابه في شراب الأحدية (زال البعد) أي: زال البعد الذي توهموه ، لأن جهنم لم تخرج عن مقامهم الذي هو الأحدية ؛ (فزال مسمي جهنم في حقهم) أي : لا مطلقاً بل في تهودهم ونظرهم ، كما أن العارف إذا محى من نظره شهود العالم في نفسه ، بل هو معدوم في حق غيره ، ولذا قال : (فحصلوا في عين القرب) المنبه عليه في كلام الله بقوله : ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [**الإسراء : ١٥**] ، وذلك عين الأحدية ، (فزال مسمي جهنم في حقهم) أي : لأن الأحد لا يري سواه ؛ فله الملك في الدارين ؛ [ففازوا بنعيم القرب] أي : القرب الذاتي لما كشف لهم عن حقيقة نفسهم (من جهة الاستحقاق) أي : لا من جهة المنة والفضل ، لأن الأحد في نفسه غني بأحديته عمن يمن عليه ، فهو بأحديته يستحق كل نعيم ؛ لأنهم مجرمون أي: ماشون بمقتضي الأحدية ، لأنهم اتخذوا إلههم هواهم ، وهواهم عينهم ؛ فما خرجوا عن مقام الأحدية ، وهذا هو إجرامهم ؛ فاستحقوا مشهد الأحدية الذي سلكوه وهم في الحجاب ؛ لأنهم مجرمون أي:

لأن هذا الملك في حقيقة الأمر هو الحق ،والجزاء لا يكون إلا عين الوصف ، ووصف المجرم حكم الأحدية ؛ فأخذ نعيم القرب الذاتي من حكم الأحدية ، لأنه مجرم ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [**الفرقان : ٤٣**] فعبد نفسه بنفسه ؛ فلا جزاء له إلا نفسه ، ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [**يوسف : ٧٥**] ولذا قال أستاذنا في تمام كلامه: فما أعطاهم هذا المقام الذوقي الذيذ من جهة المنة، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من التجليات الذاتية من تجلي الذات بنفسها لنفسها، فلا أحد يمن عليها، بل الفيض إنما هو من الذات إلى الأسماء والصفات، وقوله: من أعمالهم التي كانوا عليها أي: المشاكله لمقام الأحدية ، ولا يعمل العامل إلا علي شاكلته ؛ فجزاء الأحد أحديته ، فأين المنة ؟ وما ثمَّ من يمن من الغير ، ولذا قال : (وكانوا في السعي في أعمالهم علي صراط الرب المستقيم) وصراط الرب المستقيم عين أحديته ، وأعظم من استقامة الأحدية لا يكون) ، ثم قال : لأن نواصييهم كانت بيد من كان له هذه الصفة) أي : هو علي صراط مستقيم ، وهو الآخذ بنواصيهم ، فهم معه علي صراط مستقيم ، وهو صراط الأحدية ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر لهم . أي : ولذلك قال : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [**آل عمران : ٥٤**]

أي هو الماكر بهم ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [**آل عمران : ٥٤**] أي : لأن مكره لم يخرج عن أحديته ، فهو خير الماكرين؛ فهو الخير في ظهوره بهم وهم لا يشعرون .

ثم قال (رضي الله عنه): (إلى أن وصلوا لعين القرب) أي : إلى أن وصلوا إليه ؛ إذ هو القريب، ولا أقرب من أن يكون عينك .ثم قال (رضي الله عنه) : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [**الواقعة : ٨٥**] (وإنما هو يبصر هذا) أي أن الميت يبصر هذا القرب . ثم قال : (فإنه مكشوف الغطاء فبصره حديد) .

قال سيدي عبد الغني النابلسي قدس سره : (وهو البصر الروحاني).

وخادمه يقول : وهو البصر الإلهي ، فإن الله يقول : (كنت بصره).

ثم قال سيدنا الحاتمي : (وما خص ميتًا من ميت) أي: ما خص سعيدًا في القرب من شقي ، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [**ق : ١٦**]

وما خص إنسانًا من إنسان إلى آخر ما قاله في الفص الهودي ، وهو ظاهر ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وارد البكاء مع التسليم لرب الأرض والسماء.

قال الله تعالى في حق إخوة يوسف -عليه وعليهم السلام-: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [**يوسف : ١٧**]

اعلم رحمك الله أن يوسف وإخوته عليهم السلام كانوا مع أبيهم يعقوب (عليه السلام) بمنزلة المريدين الصادقين مع الأستاذ الكامل ، إلا أن الخلافة الإلهية سبقت ليوسف (عليه السلام)، فلما رأى إخوته الأحد عشر أبويه ساجدين له في صور الكواكب والشمس والقمر ، وعلم أبوهم أنهم يعلمون تفسير الرؤيا خاف من تصرفهم فيه بالهمة ، المسمي ذلك بالكيد ، فيكون كيدهم كيد الحق في قوله: ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [**القلم : ٤٥**]

فإن أرباب الأحوال ربما يتصرفون بجمع الهمة في كسل الرجال، فتصرفهم عن جمع قلب وهمة، فتنفعل لهم الأكوان مع حجابهم عن تصرف الرحمن، فليس تصرفهم كتصرف القطب الغوث، فإن القطب الغوث محل لجريان الأقدار الإلهية عن شهود منه ذلك ، وتحقيق تصرفه لا يناقض مقام العبودية ؛ فلذلك قال الله لسيد الأغواث وفرد الأفراد (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [**آل عمران : ١٢٨**] ، وهكذا يعقوب (عليه السلام) لما قال ليوسف :﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ ﴾ [**يوسف : ٥**]

ولو كان تصرف يعقوب راجعًا لاختياره، لدفع عن يوسف هذا الكيد، ولكنه مشاهد جميع ما يقع ليوسف بسبب كيد إخوته، رغبةً في أن يخلو لهم وجه أبيهم، فيغنمون مقامه وعلومه وأسراره ، وذلك عن أمر إلهي في بواطنهم، إبتلاء من الله تعالى ، كما ابتلي الله الخليل (عليه السلام) أن يترك ابنه إسماعيل وأمه بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام ليقيموا الصلاة، فقالت زوجته آلله أمرك بهذا ؛ فقال : نعم ، غير أن إبراهيم (عليه السلام) دعا لذريته بأن تهوي إليهم أفئدة ، وأن يرزقهم الله من الثمرات ، وفوض الأمر إلى الله عن شهود ، كما فوض الأمر باطنًا يعقوب (عليه السلام) فقال لابنه مبشرًا له : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ﴾ [**يوسف : ٦**] .الآية. بخلاف إخوة يوسف فإنهم وإن كانوا أنبياء علي حسب مقاماتهم ، ولكن قالوا : ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [**يوسف : ١٢**] ، ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا

عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [**يوسف : ١١**] ؛ فغفلوا عن أن يقولوا لإبيهم ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [**يوسف : ١١**] ولو قالوا ذلك لما قال لهم : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [**يوسف : ١٣**] فوصفهم بالغفلة بالنسبة إليه ؛ فإن الله تعالى قال فيه ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [**يوسف : ٦٨**] فإن علم يعقوب (عليه السلام) علم محيط ، بخلاف علم نبيه فهم معه بمنزلة يوشع (عليه السلام) مع أستاذه موسي (عليه السلام)، ولو كان كل منهما نبياَ فإن الأنبياء متفاوتون، فأخوة يوسف وإن علموا أن يلتقطه بعض السيارة ، وكان الأمر كذلك إلا أن الله ما أعلمهم بعاقبة يوسف، فليس علمهم كعلم الخليل حين ألقي إسماعيل وأمه في محل خالي ، وقد أوحي الله لإخوة يوسف أن يقولوا لأبيهم أكله الذئب طبق ما قال : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [**يوسف : ١٣**] وهذا من حكمة يعقوب (عليه السلام) ، فلذلك نسبوا الصدق لأنفسهم حيث قالوا :﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [**يوسف : ١٧**] وهم لعمري صادقون مع الله وحاشاهم من الكذب ، ويعقوب ليس مؤمنًا لغفلتهم بالنسبة إليه ، لأنهم أرباب أحوال ما بلغوا مقام الإرشاد ، فلذا قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [**يوسف : ١٦**] لما ستر عنهم الأمر جاءوه في وقت الستر يبكون أي يبكون حقيقة لا صورة، ولو كان البكاء صورة لسمي تباكيا لا بكاء، فما بكوا عن حزن حقيقي كما بكي (صلى الله عليه وسلم) علي ابنه إبراهيم لفراق صورته البشرية، وحزن عليه عن تجلي ألهي من إسم الله الحنان، كما حن الجزع لفراقه، وبكي، ولكن ليس حزن إخوة يوسف كحزن أبيهم، فإنهم لو علموا التقاط السيارة له، لا يعلمون العاقبة كما علمها يعقوب، فقالوا : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [**يوسف : ١٧**] أي في الأحوال الإلهية والواردات الربانية، وذلك بأن يعرض كل منهم ما حصله في الحال مع الله على بقية إخوته، الأعلى يرقى همة الأذى، كعادة المريدين في اجتماعهم وخلوة بعضهم ببعض عند عدم حضور الأستاذ، فإن كانوا بين يديه ألقوا القياد إليه، وهكذا كان الصحابة مع

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقولهم : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [**يوسف :** ١٧] مرادهم بالمتاع العالم الكوني ، وأما هم فيستبقون في تجليات الحق عليهم، وما شعروا بأن يوسف هو الأسبق لتوجه قلب أبيه إليه علي الخصوص ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [**يوسف :** ١٧] أي أفناه التجلي الإلهي ، فإن القديم إذا تجلي تلاشى الحادث فظهر لهم الحق في صورة يوسف، فانمحى يوسف بالله ، وإن كان موجودًا صورة، لكن صورته هي صورة الحق فيه، لا الصورة التي كانت منسوبة إليه، فلذلك قالوا ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [**يوسف :** ١٧] في هذه المشاهدة فإنها عن تجلي إلهي بوارد رباني فتح لهم مشاهدة الحق في صور الخلق، ثم قال الله تعالى ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [**يوسف :** ١٨] وهم كاذبون؛ لأنهم مأمورون من الله بذلك، فلم يكن مقصودهم الكذب، بل إنهم إمتثلوا أمر الله في وضع الدم في قميص يوسف ، ولذلك وصفوا أنفسهم بالصدق في قولهم

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [**يوسف :** ١٧] فلم يكن لإخوة يوسف أن يقولوا عن أنفسهم صادقين وهم كاذبون ولو كان كذلك لفضحهم الله وقال عنهم ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ ﴾ وهم كاذبون كما قال ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾ [**المنافقون :** ١] الآية وقوله تعالى حكاية عن يعقوب (عليه السلام) ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا

تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [**يوسف : ١٨**] لم يقل: الشيطان سول لكم وأملى لكم، بل قال: (أنفسكم) أي بواطنكم، والأمر كذلك، فقد نقل صاحب الإبريز عن أستاذه عبد العزيز الدباغ (رضي الله عنه) بأن ما فعله أخوة يوسف عليهم السلام في ظواهرهم هم مأمورون في بواطنهم، ولذلك صبر عليه يعقوب (عليه السلام) فقال في تمام ذلك ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [**يوسف : ١٨**] والله المستعان علي ما تصفون يعني أن المستعان في هذا الأمر كله هو الله لي ولكم، فوصفكم هذا من الله، ولو كان كذبا لنسبه يعقوب إلى الشيطان، فإن الأنبياء عليهم السلام أدباء مع الله، فلا ينسبون إليه أمرًا مذمومًا بحسب العرف، إلا علي سبيل الإجمال كما قال تعالى ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [**النساء : ٧٨**] ولا يجوز شرعا أن يقال الشر من الله لقوله (صلى الله عليه وسلم) مخاطبا لربه تعالى: (والخير كله بيديك والشر ليس إليك) نعم إذا نسب ذلك إلى القدر فلا بأس أن يقول الإنسان: آمنت بالقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله ، فذلك وارد شرعا ، وأما قول العامة الشر من الله فهو حرام، بعد قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الشر ليس إليك) وهذا القول من رسول الله شاهد بأن الله لا يجري في شأن العباد إلا الخير في حقهم، علي حسب استعدادهم عنده، كيفما كان، وهذا سر لا يعلمه إلا من كشف الله له عن وجه الحكمه في كل أمر يجري في الوجود، فلا يعترض على الله في إسعاد السعيد، وإشقاء الشقي، فإن الله أعطي كل شيء خلقه ثم هدى، ألا ترى أنك تعطي الخبز حقه من تقبيله وتكريمه فإذا أكلته واستحال عذرة تتباعد عنه وتلقيه في الكثيف ولا تتعجب من نفسك ولا تعترض علي فعلك؛ لأنك أهنت ما كنت تكرمه، وتري ذلك في غاية الإنصاف، وما فعلت إلا ما تستحقه المراتب، وما أنت بظالم في صنعك، فكيف يا هذا تعترض على الله في إسعاد السعيد وإشقاء الشقي وإغناء الغني وإفقار الفقير وإمراض العبد الصالح ومعافاة الشقي الطالح؟ ليت شعري ما الحكمة في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [**الزخرف : ٣٣**] ولماذا يسلط الأشرار علي أنبيائه؟ ينشرون زكريا (عليه السلام) ويذبحون يحى (عليه السلام)، ويقتلون النبيين بغير الحق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، ومنهم سيدنا الحسين حبيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسبطه، وقد شجو أيضا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكسروا رباعيته، وأخرجوه من وطنه، ليت شعري لماذا لم يدفع الله عن حبيبه الأعظم هذا الأمر؟ وهو القادر على ما يشاء، فهل ظلم حبيبه الأعظم هذا الأمر؟ وهو القادر على ما يشاء، فهل ظلم حبيبه في ذلك التسليط؟ أم فعله هو الخير؟ كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الشر ليس إليك) قل لي يا أخي ماذا تقول؟ فلماذا تقول أن الشقي الذي أشقاه كان قادرًا علي أن يسعده بالصلاح والتقوى، فكيف يعذبه علي شقائه؛ وهو الذي قضى عليه ذلك الشقاء، فإن فهمت الحكمة، فلا تعترض علي إخوة يوسف فيما فعلوه بيوسف، ولولا الخوف أن يسلقني

المحجوبون بألسنتهم الحداد لبسطت القول في ذلك، ولكن أخاف أن يتسع الخرق على الراقع فسب الجاهل الله عدوًا بغير علم، ونكل الأمر إلى أن يكشف الله الغطاء، بعلمه النفيس، فيعلم عند ذلك الغافل ما سر لعنة إبليس، ومن تحقق بأن الله هو الظاهر في جميع ما يبدو من المظاهر، يقول بأن الأمر منه وإليه، فلا يجري أمر إلا وهو واقع عليه، وذلك سر قوله :﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ **[فصلت : ٤٦]** ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وارد العيسوي من الإرث المحمدي

قال الله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ **[آل عمران : ٥٥]** أي مخرجك عن حكم نفسك وعن نسبة نفسك إليك (ورافعك إلى) فينسب لك ما ينسب إلي، فقد قامت قيامة عيسي (عليه السلام) وقضي نحبه، فلا ينتظر رفع الحجاب يوم القيامة فإن يوم القيامة عبارة عن ظهور إنفراد الحق تعالى بكل ما ينسب إلى الخلق؛ لأن الله تعالى يقول : (اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبي) فوضع الله بهذا التوفي نسب عيسي عن غيره ورفعه إليه، فلا ينسب ألا إلى الله، وكل منسوب إلى الله فهو هو، وقبل هذا التوفي كان التجلي لعيسي (عليه السلام) من مقام الأسماء من حضرة الإسم الخالق، قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ **[المائدة : ١١٠]**

ومن الإسم المبرئ قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى

ﵟوَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ﵞ **[المائدة : ١١٠]** ومن الإسم الباعث والإسم المحيي كما قال :

ﵟإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ﵞ **[المائدة : ١١٠]** وقال عيسي : ﵟوَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ﵞ **[آل عمران : ٤٩]**

و الإسم المنبئ فقال : ﵟوَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ﵞ **[آل عمران : ٤٩]** فلما توفاه الله عن نفسه كما قال (صلى الله عليه وسلم): (موتوا قبل أن تموتوا)، وحصل هذا التجلي لعيسي (عليه السلام) رفعه الله عن نسبته لوجود المطلق، وهذه حقيقة يوم القيامة، كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم): أن الله تعالى يقول يوم القيامة: (اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبي) فيكون للعموم يوم القيامة ما كان لعيسي حين توفاه الله عن نسبة وجوده إليه، ورفعه لوجوده المطلق الذاتي، ولذلك قال : ﵟمَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي

وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [**المائدة : ١١٧**] ما دمت فيهم أي بالتجلي ألأسمائي ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [**المائدة : ١١٧**] أي بالتجلي الذاتي : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [**المائدة : ١١٧**] أي الرقيب عليهم بنفس عيسي، إذ إسم عيسي في هذه الحضرة هو إسمك وذاته هي ذاتك، حيث أنه ارتفع بهذا التجلي إليك، فوضعت نسبه ورفعت نسبك، في حقه، والأمر كذلك في حقيقة الأمر عند كشف الحجاب، ولذا قال : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [**المائدة : ١١٧**] وإنما ذكر الإسم الرقيب إشارة أن الحق عين بصره المراقب، كما أنه عين قلبه المشاهد، فعيسي (عليه السلام) ورث من محمد (صلى الله عليه وسلم) مقام ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [**آل عمران : ١٢٨**]

فكأنه يقول : (ما أنت غيري يا محمد) حتى يكون لك أمر معي، بل إسمك إسمي و ذاتك وذاتي، وقد صرح الله بذلك في قوله :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [**الفتح : ١٠**] فكان أقرب منسوب لهذا المقام الذاتي لعيسي (عليه السلام) ولذلك قال : ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا

سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [**الصف : ٦**]

فوجود محمد (صلى الله عليه وسلم) ختم الدائرة الخلقية ، وظهور الدائرة الحقية من الإسم الظاهر وكان ذلك لعيسي من الإسم الباطن إلى ظهوره ونزوله إلى الأرض حسًا، فيحكم بالقرآن، ويقتل مسيخ الطبيعة الدجالية ، ولا يبقي إلا الحقيقة الحقية ، وترفع دعوي الأنساب الغيرية وتنسب إلى الحقيقة الإلهية، كما قال تعالى :﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [**المؤمنون : ١١**] فإذا نفخ الحق في صورتك الناسوتية المريمية كما قال :﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [**التحريم : ١٢**]

أي وجودها عن نسبته لغير الله :﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [**التحريم : ١٢**]

أي في هذا الوجود المحض عن غير الله ، فظهر فيه روح الله وهو عين المسمى بعيسي، فإذا نفخ الله في مريمية نفسك، بدا عيسي قدسك، وظهر في وجودك روح الله وكلمته ، وهذا مرجع قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [**ق : ٢٢**]

فإن فهمت ما ذكرناه لك فقد مت قبل أن تموت ، وقامت قيامتك ، وأدركت معنى الساعة الكبرى والقيامة الكبرى، وخرجت من سجين سجن طبيعتك الجهنمية، إلى عليين حقيقتك الجنانية الحفية، فلك ما تشتهي نفسك؛ لأنها نفس الحق، وتقول للشيء: كن فيكون ، وهذه القيامة لابد منها لكل فرد خلقه الله ولكن ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴿٩﴾ ﴾ [**الزمر : ٩**].

واعلم أن عيسي (عليه السلام) لابد له حين نزوله إلى الأرض حاكمًا بشريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يتزوج ويولد ويموت بالموت الطبيعي المعتاد، فيحوز كمال الوراثة المحمدية، ويتحقق بكمال البشرية، فيجمع في المعرفة الإلهية بين التنزيه ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ

فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ **[آل عمران : ٥٥]** وتشبيه (جعت فلم تطعمني)، وهذا مقام محمد (صلى الله عليه وسلم) الجامع لكل كمال، (واليه يرجع في المآل فكل ما في الوجود صور حقيقته المنزهة المشبهة، وهذا معني قول الله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ **[النجم : ٩]** أي قوسي التنزيه وقوسي التشبيهة ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ **[النجم : ٩]** أي نقطة دائرة ذات الله الوجودية، أحسن تقويم ، فلا إنسان إلا هو ، بل ولا أول ولا آخر، ولا ظاهر، ولا باطن إلا هو فهو المشار إليه بحقيقة هو الله الذي لا إله هو ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ **[الكهف : ٢٩]**

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ **[هود : ٨٨]**

وارد الأرض الواسعة

قال الله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **[العنكبوت : ٥٦]** اعلم يا أخي فتح الله بك أقفال الغيب بمفاتيح رحمته ، وأزاح عن قلبك كل شك وريب بعواطف هباته ، ومنته ، أن أرض الله واسعة هي أسمائه التي بدت معانيها في المظاهر ، فالمظاهر مساكن تلك الأرض الواسعة ووجود ذاته هو الساكن بتلك الأرض ، والظاهر ولذلك سلب الأشياء عن وجودها وأهلكها بوجهة الظاهر مكان شهود وجهه عوضًا عن شهودها، ولذا قال : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **[العنكبوت : ٥٦]** يعني شاهدوني في كل شيء ولا تذلوا إلا لي في كل شيء؛ لأني أنا الظاهر في الأشياء كلها ، ولذلك قال : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ **[فاطر : ١٥]** فمن شهد فقوه إلى الله ، في كل ما يفتقر إليه فهو العبد المحض وهذا هو مشهد العبودية الكامل حتى أن صاحب هذا المشهد لا يرى من نفسه إلا العدم المحض ،

ويرى الحق تعالى هو الشاهد المشهود ، وهو العابد المعبود وهذا هو مقام محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي تجلى الله عليه به فيما أنزله عليه من قوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ **[آل عمران : ١٢٨]**

يعني أنا باطنك الغيبي، وظاهرك الشاهدي ، فمن دعاك دعاني ، ومن رآك رآني، ولولا تحقق هذا المعنى ما صح قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ **[الفتح : ١٠]** ولو كان المبايع غير الله، لكان سياق الكلام: أن الذين يبايعونك كأنما يبايعون الله فالأرض الواسعة علي هذا (   )[١٠٩٨] هي حقيقة محمد (صلى الله عليه وسلم) التي لها جميع الأسماء سواء نسبت إلى الحق، و إلى الخلق، والعالم علي سائر طبقاته من كلياته، وجزئياته مظاهر تلك الأرض الواسعة، وسماء تلك الأرض الواسعة هوية الله تعالى، التي لا تدركها الإبصار ، وإن كانت الإبصار لم تدرك سواها، وذلك تعالى من جملة أسمائه اللطيف ، ومن لطفه جل وعلا أنه ما يكون بطونه إلا من ظهوره، فظهوره في كل شيء أخفاه عن كل شيء، فهو باطن في عين ذلك الظهور ، ظاهر في عين ذلك البطون ، وهذا المعني مدرك للعارفين بالذوق والوجدان الناشئ عن الشهود والعيان كما قيل :-

محجوبة عن كل مقلة عارف   وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وقال آخر:-

وما احتجبت إلا برفع حجابها   ومن عجب أن الظهور تستر

وقال الشيخ الأكبر:-

حقيقتي همت بها   وما رآها بصري

مع قوله :-

انظر إلى وجهة في كل حادثة   من الكيان ولا تخبر به أحدا

ولما كان الأمر يقبل الضدين ، كان الأمر برزخا بين الحكمين، فمن وصف العالم بأنه خلق للصورة المشهودة صدق ، ومن وصفه بأنه حق صدق المعني الغيبي، والسر اللاهوتي، المسمى بروح القدس ، فإن قلت : أنا قال لا بل أنا ، وإن قلت له: أنت ، قال : لا بل أنت ، ومن هذا المعني قال الشيخ الأكبر:-

الرب حق والعبد حق   يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت   أو قلت رب أنى يكلف

وهذا التجلي تجلي الحيرة ، ومن هذه الحقيقة ظهرت الكهربائية الروحانية في الأشخاص حتى في المعاني ، فأما الأشخاص فهو ما استمر في أمر التنويم، فينوم شخص حتى يغيب حسه ، ويقال له: أحضر روح فلان مثلا النائم إلى روح المطلوب فتتحد بها ، وتظهر في الصورة النائمة بصوت روح المطلوب ، وتبدي ما كان عليه من الأمور السرية التي لم تكن معلومة ، وتقول: أنا فلان ابن فلان وفلان أخي ، فلان ابني ، وفلانة زوجتي ، وداري في البلد الفلانية وفي محل كذا ، وربما كتبت تلك الصورة النائمة خط الروح المطلوبة بعينه، وكذلك ما ظهر في زماننا من امتزاج الأصوات بالأرواح الكهربائية، فيبدي الروح الكهربائي صوت فلان

[1098] بياض الأصل

من صورة الصندوق ، فمن نظر إلى الروح قال: هذا فلان ، ومن نظر إلى الصورة احتار، وقال: ليس بفلان فلا تعجب يا أخي من قول الحلاج : أنا الله فإن الناطق به هو الله، وكذا قول أبي يزيد: سبحاني ، فإن القائل به هو الله ، وفي هذا المعني قالوا :

ينادي المنادي باسمها فأجيبه ... وادعي قليلا عن نداي نجيب
وما ذاك إلا أننا روح واحد ... تداولنا شخصان وهو تجيب

ومن هذا المعني تعلم أن روح الميت بمنزلة عين الشمس في مغيبها عن عالم الدنيا ، فما دامت غائبة فالدنيا مظلمة ، فالدنيا في ظلامها بمنزلة جسد الميت ، وهذه حالة البرزخ، فإذا طلعت الشمس أحيت الدنيا بالنور، مع أنها لم تبرح عن مكانها العلوي ، وكذلك روح الميت، إذا انقضي فنائها منها وعادت إلى البقاء، فهذا العود وهو بعثها وقيامها ، فمن بعثها تشاهد بعث جميع أرواح العالم ، وهذا المعني قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ **[التغابن : ٩]**

مع أن روح كل ميت هي في مقامها عند الله ، وفي رتبتها وفي منزلتها، وأهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وهم أيضا موجدون في قيامه هذا الميت الذي بعث فيشاهد الناس ، كما ورد (حفاة عراة غر) لا يعني غير مختونين، ويشاهد أول من يكسي إبراهيم (عليه السلام) كما ورد، ويشاهد خمسين موقفا كل موقف ألف سنة مع أن أمر الساعة كما تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ **[النحل : ٧٧]**

والعجب أن يشاهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قبره حين يقال له: ما تقول في هذا الرجل ويشاهده في قيامته شفيعًا له ، وللعالم مع أنه (صلى الله عليه وسلم) في منزلته في الجنة التي هي الوسيلة لم يبرح عنها، فالعوام من الناس يحسبون أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) محصور معهم؟ لأنهم يشاهدونه والحال أنه مع كل إنسان في مشاهدته في إنفراده في مقامه عند الله، ألا تري أن الإنسان يشاهد البدر في غدير الماء مع أن البدر لم يبرح مقامه في أفق السماء، إذا تقرر ذلك هان عليك أن تقول أن الله تعالى مع أنه ليس كمثله شيء هو الظاهر في كل صورة في الوجود، مع أنه تعالى باق على ما وصف به نفسه، من قوله : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ **[الشورى : ١١]**

فهو الرب ، وإن ظهر بصورة عبده، ولذلك قال سلطان العارفين أستاذنا

الشيخ الأكبر -قدس سره- في كتابه «الفصوص» في فص هود (عليه السلام): فالخلق متوهم،

والحق محسوس مشهود ، قلت حيث كان هو المحسوس المشهود فأرضه واسعة فاعبده في كل ما ظهر به من صور الوجود ، ولذا قال أستاذنا الحاتمي :-

بقية

لعلك تقول قررت أن أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ،

وأن لكل فرد موتًا خاصًا به، وبرزخًا وبعثًا ولكنه يشهد جميع الأراد من مرآة نفسه؛ لأن حقيقة النفس واحدة فتنكشف للميت أحدية النفس من كشف الغطاء عنه، كما أن حقائق الأعداد كلها لا تخرج عن حقيقة الواحد، فكيف تصنع بحديث البخاري وهو قوله (صلى الله عليه وسلم): (أنا أول من تنشق عنه الأرض) فأجد أخي موسي فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور) وفي رواية (أو هو ممن استثني الله) .

فأقول : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) له صورة في عالم الملك كما له صورة في عالم الملكوت ، بل له في كل عالم صورة، ومشهد القيامة ملكوتي لا ملكي، فكل من شهد القيامة ، شهد أنه أول من تنشق عنه الأرض، ولو كان متقدما عن وجوده الدنيوي في الزمان، لكنه (صلى الله عليه وسلم) ظاهر الصورة من جهة إسم الله الأول ، وإن لم يكن موجودًا في حس أهل الدنيا من جهة الإسم الآخر، كما يشير له قوله: (كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين)، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح قوله :- (دخلت إمرأة النار في هرة حبستها) وقوله: من قتل معه في الغزو من الشهداء ، ورد الحوض ورب الكعبة ، وقوله: (رأيت فلانًا في الجنة) (وفلانًا في النار)، حتى أنه من جهة صورته من حضرة الإسم الأول، أول من يقرع باب الجنة لكل داخل فإن قلت: علامات الساعة الكبرى لم تظهر كطلوع الشمس من مغربها، وكدابة الأرض، والدجال، والمهدي، وعيسي (عليهما السلام)، فكيف يكون أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار؟ والجواب عن ذلك أن كل شيء في الوجود دائرة ، والدائرة لها بداية ولها نهاية، ولا يخفي أن الساعة عبارة عن صور أعمال العاملين فبدايتها أول عامل ونهايتها آخر عامل ، ولا تنتهي إلا بعد انقضاء الدور الدنيوي بهلاك دنيانا التي نحن فيها، وتبديل أرضها وسمائها، وصيرورة الأمر منها إلى أرض ملكوتية، تسمي بالساهرة، فتلك العلامات علامات الغاية، لا علامات البداية ، فالساعة موجودة مع كل دور بوجود آدم وكذا الجنة والنار ، وما في الوجود إلا دور فالأول دور، والآخر دور، والظاهر دور، والباطن دور، وأرض الله واسعة إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ، والله هو الصبور ، فافهم ما أشرنا إليه والله الموفق.

وارد: قال (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله خلق آدم علي صورته)

وقال في حقه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **[البقرة : ٣٠]**

وقال في حقه :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[البقرة : ٣١]**

وأما محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد قال تعالى في حقه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ

نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾ ﴾ **[الفتح : ١٠]**

وقال في رميته ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ﴾ **[الأنفال : ١٧]**

وقال :﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ **[النساء : ٨٠]**

فعلي هذا آدم هو الخليفة، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) هو المستخلف، فإنه قال في حق آدم :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[البقرة : ٣١]**

فثبت في حق آدم المعلم والمتعلم ، وأما محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد قال : «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين» فروح آدم المنبئ له هو محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الروح المطلق الموحي إليه بعلم الأسماء كلها ، لأنه أوتي جوامع الكلم ، كما قال: «أوتيت جوامع الكلم»، يعني: الكلم الجوامع ، والكلم الجوامع هي الصور الجوامع للأسماء الإلهية كما قال تعالى في عيسي (عليه السلام) روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ **[النساء : ١٧١]**

فعيسى صورة تجمع الكلم الإلهية وهي بعض ما أوتيه محمد (صلى الله عليه وسلم) فكل صورة من صور النبيين والمرسلين هي قلب الوجود وقطبه ، وأما محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو قلب القلب ، ولذا اسماه الله تعالى بالفؤاد، والفؤاد قلب القلب ، فمن سراجه المنير ومشكاته الذاتية إنفلقت مصابيح الأرواح وزجاجة النفوس ، وبدا كل كوكب دري، الذي هو عبارة عن صورة كامل الزمان، الذي هو خليقة وقته، فهو الشجرة الوجودية المباركة، زيتونة الإمداد لا تتقيد بأنها شرقية ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ

لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ [**النور : ٣٥**]

السارى في الصور وهو الروح المحمدي ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ [**النور : ٣٥**] ألا إن حكمة الله اقتضت أن الحقيقة المحمدية وإن كانت سارية فينا كما قال تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [**الشعراء : ٢١٩**] لكنها لا تنجلي ولا تضئ إلا بنار مخالفة النفس وإتباع الشرع ، أو بالتطهير بنار جهنم، كلما نضجت الجلود، بدلوا جلوداً آخر نظير الترقي في المقامات للسعداء، إلى أن يلج الجمل الروحي في سم خياط الصورة، فتفني جهنم الظلمة الطبيعية، وينبت أي: يتجلي شجر الجرجير فينجر الأمر للعالم الروحاني ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [**الشعراء : ٢٢٧**] ولا ينقلبون إلا إليه، (لو دليتم بحبل لهبطتم علي الله) وإنما سمينا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بالفؤاد؛ لأنك إذا عددت فؤاد بالجمل بالطريقين؛ الهمز، والإبدال، حصل اثنان وتسعون، وذلك محمد (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [**النجم : ١١**] وما رأي في مرآة الوجود إلا نفسه، فما زاغ البصر عنه، وما بدا له شيء إلا منه ، ولما كان هو الأصل قيل له: فأفصح عنهم وقل سلام، لذلك هو رحمة للعالمين، وآدم ومن دونه تحت لوائه الذاتي فافهم.

ولنرجع إلى أصل الوارد : وهو قوله : إن الله خلق آدم علي صورته

فنقول : ليست الصورة إلا مجموع أسمائه تعالى تنزيهًا وتشبيهًا، حتى الجوع، والظمأ، والمرض، والعجب، والضحك، والفرح، وكونه يؤذي ولا يصبر ولا يكون ذلك إلا بمادة صورية ، فإن المعاني أمر حكمي ولا يقوم الأمر الحكمي بنفسه، كالسلطنة مثلاً لا معناها إلا بذات السلطان، فلا صورة لله إلا آدم، وكل كامل في زمان مثله، فلو زال آدم لزالت صورة الله الكاملة، كما أنه لا باطن لظاهر كل صورة إلا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فكل صورة في الوجود صورته، وكل أمة في الوجود أمته، فهو ذات كل شيء، إذ هو السراج المنير والنبي وآدم بين

الماء والطين، فهو الروح المنبئ للملائكة، بما قاله ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [**البقرة : ٣٤**] فكما أنه مرسل للبشر بصورة آدم ونوح والخليل، وكل نبي ورسول، وظاهر بصورة كل خليفة، وقطب ومؤمن، كذلك هو نبي لجميع الأرواح والملائكة، والي حقيقة الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [**الأنبياء : ٣٠**]

ولقد أشار لذلك البوصيري (رضي الله عنه) بقوله :-

لك ذات العلوم من عالم الغيب

ومنها لآدم الأسماء، انظر لقوله (صلى الله عليه وسلم): نحن الأولون والآخرون، فافهم ذلك والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواجد الودود، الظاهر في العابد والمعبود ، والوالد والمولود، وصلي الله وسلم على واسع الكرم والجود ، وعلي آله في الشهود، وأصحابه الذين معه في الوجود، والتابعين الصادقين الوعود أما بعد ....،

أيها الأخ الكريم أكرمك الله بما يحبه لك ، وآثرك ، ومن كل حجاب أنفذك آمين.

سألتني عن قوله تعالى :(﴿ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [**الواقعة : ٦٦**]﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [**الواقعة : ٦٧**] ما معني ذلك؟ وكيف ينسب الغرام والحرمان للحضرة الإلهية؟ فنقول: والله المستعان وبالله التوفيق: هذه الآية الكريمة برزت من حضرة الإسم الودود، فإن الإسم الودود معناه الودود كثير الحب، والغرام من لوازم الحب، ولا سيما مع حرمان الوصال والتشويق إليه ، ولذلك يلزمه عذب العذاب، إذ العذاب عذب عند المحب ، ولذا قال تعالى في جهنم ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [**الفرقان : ٦٥**] لما فيه التعشق لهم به.

واعلم رحمك الله أن إسم الله الودود من أعجب الأعاجيب، فإن حروفه اشتملت علي حبين، وعلي محبين ومحبوبين؟ لأنه أربعة أحرف، وهو شطران، و كل شطر منهما ود ، والود كثرة المحبة، وثبوتها بلا انقطاع، فقد اشتمل هذا الإسم علي محبتين: للشطر الأول: محبة، وللشطر الثاني: محبة ، وكذلك يطلق الود علي المحب الكثير المحبة، الثابت فيها بلا انقطاع، وهو مثلث بفتح الواو وبكسرها وبضمها كما في القاموس، فحينئذ اشتمل الإسم الودود علي محبين؛ لان الود معناه المحب، فقد تضمن قول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [**المائدة : ٥٤**] فهو الطالب والمطلوب ، والراغب والمرغوب ، وحيث كان كذلك فقد اشتمل أيضا علي محبوبين؛ لأنه من كونه يحبهم محب ، ومن كونهم يحبونه محبوب ، وكذلك هم من كونهم يحبون محبون ، ومن كونه يحبهم محبوبون ، فما أعجب هذا الإسم الذي هو الإسم الودود ، ومن حقيقة هذا الإسم قوله تعالى في الحديث القدسي(كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف) فالمحب مغرم بمحبوبه مشتاق لوصاله ، ولا يظهر أثر محبته إلا بوجود المحبوب، وإذا لم يوجد بقيت محبته كنزًا مخفيا لا تظهر، فهذا الاعتبار الذي هو ألكنزيه، محروم من الظهور، حتى يظهر فيعرف ، فالظاهر غذائه ما يظهر به، حتى يكون ظاهرًا ، والمظهر غذائه الظاهر، حتى يكون مظهرًا ، فكل منهما يشكو غرامه ، وحرمانه للأخر كما قال في الحديث (ألا طال شوق الأبرار إلي، وأنا إليهم أشد شوقًا) فإذا اعتبرنا أنه ظهر في المظهر كان المظهر عين الظاهر ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [**القيامة : ٢٩**] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [**القيامة : ٣٠**] فالمظهر وجه الله الذي ظهر به، والوجه عين الظاهر، فلا ظاهر ولا مظهر، بل هو واحد علي ما هو عليه.

رق الزجاج وراقت فتشابها فتشا كل الأمر الخمر

فكأنما خمر ولا قدح وكانا قدح ولا خمر

فمن خرق سفينة خلقيته؛ ليغرق أهلها في بحر ألأحديه، وقتل غلام الشرك ، فقد أقام جدار ذاته على طريق الكمال ، وبلغا يتيمًا حقه وخلقه أشدهما ، فاستخرجا كنزهما من الأسماء والصفات، من حقيقة تلك الذات، انظر إلى موسي (عليه السلام) لما تولى إلى ظل الحقيقة، سالكا آثار الطريقة، قال: (ربي إني لما أنزلت إلي) أي: تكرمت به علي من أسمائك (فقير) لأجل أن أظهر بها في حكم آثارها بهذا الوجود، فأقامه الحق تعالى مقامه في قوله (كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف)، فساق إليه الأهل، فهي مظهره الذي على صورته، فهي محبوبة ، فكان بها زوجا، وكانت به زوجا، فلا يعرف أحد الزوجين إلا بالآخر ، فكل منهما مفتقر بحقيقته في الولد وكل منهما طالب ومطلوب ، ومحب ومحبوب؛ لأنه لا يؤثر أحدهما إلا بوجود الآخر، فإذا حصل الفرع الذي هو الولد، أخذ نتيجة أبويه فهو عينهما ، وذلك هو الكمال الذاتي فكان لموسي (عليه السلام) التجلي في صورة النار التي هي نار شوقه إلى محبوبة ، فكانت نورًا فتحقق موسي (عليه السلام) بسبب الأهل بالإسم الودود؛ لقوله تعالى في الزوجين ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [**الروم : ٢١**] إذ كل من الزوجين طالب مطلوب ، وراغب مرغوب ، ظاهر ومظهر إذ كل شيء أحد فيه كنز مخفي سواء فاعلا أو قابلا، ولا يعرف أحدهما بالأخر ، وكل فقير إلى الآخر وغذاء له في ظهوره، ألا تري مثلا أنك فقير إلى المال كالذهب، والفضة؟ لتقضي بسببه وطرك وحاجتك ، وغاب عنك أنه أفقر إليك منك إليه؛ لتظهر مرتبته بالنفع في قضاء الحوائج، فلولاك ما كان نافعًا، كما أن الحق لولاك ما كان عفوًا غفورًا ، فأنت غذاء أسمائه في ثبوت أحكامها، وهو غذائك بنور وجودك فيه، فكل في طلبه للآخر يشكو الغرام

والحرمان، إذ المحب بلا محبوب محروم، وكذا المحبوب محروم أن يكون محبوبًا بدون المحب، فالاسم الودود ساري في كل شأن على مدي الدهر، بهذا المعني فلو أحببت السكر لحلاوته مثلاً فهو أكثر حبًا، فإن حلاوته لا يظهرها إلا أنت، وبهذا السريان للاسم الودود يعلم كمال سائر الوجود ، وإن الحق في كل شأن جامع للشاهد والمشهود، فلا كنز، ولا عارف، ولا معروف، فأين غيره حتى يعرف به؟ ولمن ظهر سواه وعمن استتر ، وبما استتر هل بنفسه أو بغيره ﴿ قَالُواْ جَزَـٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَـٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [**يوسف : ٧٥**] فما في رحلك سواك ولا جزاؤك إلا إياك ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [**النجم : ٣٩**]﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [**الانفطار : ٨**] فأنت في الصور ، فإنك الأصل والوجود كله صورك ولله در من قال:-

يحرق بالنار من يمس بها ومن هو النار كيف يحترق

فيا مجمع البحرين أنت خضر الروحية ، وعين الحياة الذاتية، فموسي ظاهرك، والخضر باطنك، والوجود مرآتك ، فانظر ماذا تري وعلي الله قصد السبيل.

وفي المقام تفصيل يطول وفيما ذكرناه الكفاية والله الموفق وأما الكلام علي هذه الآية من بقية الأسماء ، فأعلم أن كل إسم إلهي يحب الظهور بظهور سلطانه في كل مظهر ، فإذا حكم علي المظهر إسم خاص من الأسماء ، وظهر سلطانه فيه كانت بقية الأسماء، حال ظهور الإسم ، وحال سلطنته مغرمه بذلك المظهر، محرومة الظهور، معدومة المرتبة، بالنسبة لذلك المظهر، حال سلطنته الحاكم علي ذلك المظهر، فلسان حال الأسماء المعزولة الحكم في ذلك المظهر ينادي (﴿ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [**الواقعة : ٦٦**]﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [**الواقعة : ٦٧**] وأما الكلام علي الآية من الحضرة الذاتية الجامعة، للذات، والأسماء، والوجوه، والشئون، والاعتبارات كلها، فذلك لا يكون إلا في حق الإنسان الحبيب الذاتي الجامع المنزل عليه ذلك الخطاب فمن جهة أنه حلاوة بإسمه ومرتبته فقال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فلم يبق الغرام في هذا الحبيب الذاتي له شيئا، وهذه هي الوارثة الذاتية المندرج تحتها سائر الأسماء والصفات والشئون والاعتبارات، فكان أولاً أخرًا ، ظاهرًا باطنًا، والي ذلك الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم): (أوتيت جوامع الكلم) ومن خلع اسمه و طاعته وذاته علي حبيبه فقد صارت جميع مملكته، له فبقي المحب لا يملك منه شيئا ، وذلك مرجع الحرمان، حتى حلاه بذاته بقوله : "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره " الحديث فعاد المالك مملوكا لمملوكه ، ومن هذا المعني ما وقع لبعض الأكابر، قال: باسطنى الحق فباسطه خاصة فقال: ما أعظم ملكي!، فقلت له ملكي أعظم، فقال : ولم ذلك ، فقال: لأنك أنت في ملكي ، وليس في ملكك مثلك ، وهذا المعني مرجع قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَـٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [**الأحزاب : ٧٢**] الآية إلى أن قال ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَـٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [**الأحزاب :**

٧٢] حيث سلب المرتبه عن أنه لا يدري بذلك، فيظن نفسه طالبا وهو المطلوب، وراغبا مع أنه هو المرغوب، وذاكرًا مع أنه المذكور، جهولا حيث يحسب الأمر لغيره، وهو له فهو كمن نسي نفسه فصار يسأل عنها، ويقول: أين نفسي؟ مع أن طائره في عنقه معانق له، وهو عينه؛ لأن عنقه عينه ، وأما الإنسان الكامل حين كماله وعلمه بنفسه ، فليس بظلوم جهول؛ لأن له الحجة البالغة فأعلم أنه ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سيدي أحمد فوا خيري أبقاه الله به آمين.

قال سيدي داود بن باخلا أستاذ سيدي محمد وفا (رضي الله عنهما): كأن الحق تعالى يقول: من طلب مني بما يبدو منه، فقد طلب مني بوصفه، فالحرمان إليه أقرب ، ومن طلب مني بوصفي، فالكرم إليه أقرب انتهي كلامه.

فعلمنا أن من طلب منه بوصف نفسه، فهو صاحب حسن ظن به (أنا عند ظن عبدي بي)، وهذا تصرف حق بحق لحق، لو زال منك أنا لاح لك من أنا، فرد الأمانة لأهلها كما أمرك، وأعرف من أنت تكن أنت أهلها، والسلام قول سيدي داود: لو زال منك أنا للأخ لك من أنا، جمع علم الفناء والبقاء والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم :الحمد لله الجامع والصلاة والسلام على حقيقة كل متبوع وتابع وعلي كل متفجر من عين تلك الحقيقة وتابع وبعد ......

إهداء السلام الشامل على سيدي، وعيني، وروحي، وزينى، الإمام الرباني، ذي الفيض الرحيب، أبي المبارك سيدي محمد الطيب رضوان الله عليه وعلي من انتمي إليه، أقول هذا الإمداد الذي ذكره حنيفي أقر الله به عيني الذي هو من حيث التفصيل والتعين، لا من حيث الإجمال، لا يخفي أنه ليس إمداد إلا من حيث التعين الحكمي، لا من حيث الحقيقة الوجودية، وهي التي أشار لها سيدي بحضرة الوحدة، والتعيين الأول، المخبر عنها بقوله (صلى الله عليه وسلم): (أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر) إلا أن ثم دقيقة تقتضي أن الأرواح الكلية، وان كانت باعتبار التفصيل والتعيين، لكل منها مقام معلوم، كما أشار له تعالى بقوله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤ ﴾ [**الصافات:١٦٤**] فهي بعد هذا التفصيل والتعيين لم تخرج عن هذا الاندراج الوحداني، الذي ذكرتهن، فتميزها وتفضلها، إنما هو بالنسبة لما شاكلها من الأرواح الجزئية، وهي بالنسبة للروح الأعظم الكلي (صلى الله عليه وسلم) بمنزلة أعضاء الجسد من الجسد، وقد نهي الخاتم محمد الدين (رضوان الله عليه) أن كامل من الكل، هو بمنزلة عضو من أعضائه (صلى الله عليه وسلم) ذكر أن الله تعالى أطلعه علي منزلته من محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه علم أنه أي: عضو هو من الأعضاء المحمدية كما ذكر أن نال من عبودية محمد (صلى الله عليه وسلم) ثمرة.

ثم قال: وهذا كثير لمن عرف فالبصر مثلاً أو السمع كما أنه من حيث وحدة الذات، هو عين الذات، كذلك هو بعد الحكم عليه بالبصرية، أو السمعية، عين الذات، لا يخرج عنها، ولا ينفك ألبته، فحكم الأعضاء بالاختلاف بالنسبة لبعضها البعض، لا بالنسبة للذات الجامعه، وأما بالنسبة للذات الجامعة لأعضائها فالأمر على السواء، إجمالا وتفصيلا، فالفرق عين الجمع من وجه، أو ما ثم إلا الذات، لذلك قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي

ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورًا ﴾ [**الأحزاب : ٦**]

محمد (صلى الله عليه وسلم) أحق وأولي بنفس الخاتم محيي الدين أن تضاف إليه وتنييه من محيي الدين كما نطق به القرآن المبين، ولذلك أمره الله أن يضيفنا إليه بقوله ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾ [**الزمر : ٥٣**] ولم يقل يا عباد الله؛ لأن إسم الله منطبق عليه ذاتًا وصفاتًا،ا كما نص الخاتم عليه في كتابه «بلغة الغواص» ونص علي ذلك السيد الجليل في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [**الإخلاص : ١**] لأن قل ضميرها المستتر تقديره أنت، أي: أنت هو الله، أحد، فكما أنه (صلى الله عليه وسلم) عين محيي الدين بالذات، هو عين بالصفات، بنفس قول محيي الدين، أنه مظهر الإسم الجامع، وهو الله ذاتًا وصفاتًا، ولا يخفي أن الحقيقة المحمدية بالنسبة لصورها مثال الحقيقة المدادية بالنسبة للصور الحرفية، من الألف والباء والتاء إلى أخرها، فصور هذه الحروف من حيث اندراجها بالحقيقة المدادية، لا حكم لها أصلاً، ومن حيث تفصلها وتعينها بمراتبها، من ألف وباء وغير ذلك، أمدت الحقيقة المدادية بأحكامها، إلا إنها وأن كانت من حيث التفصيل والتعيين أمدت الحقيقة المدادية بإطلاق إسم الألف والباء وغير ذلك عليها، فهي بعد هذا التعيين والتفصيل، لا تخرج عن الحقيقة المدادية، بوجه من الوجوه لأنها مع هذه التقيدات الحكمية عين الحقيقة المطلقة المدادية، فالتقييد عين الإطلاق بالوجود الذاتي، فإن أحكام الحروف المقيدة باسم الألف والباء وغير ذلك ليست إلا صور هذه الحروف، وليست صور هذه الحروف مغايرة للحقيقة المدادية ، فالحقيقة المدادية فلا ينفك كل حرف عنها حال تفصيله وتعينه ، وأما الحقيقة المدادية فلها الغني الذاتي بذاتها، فكل حرف مداد، وليس كل بحقيقته المطلقة محصورا بحرف خاص ، فكل محيي الدين محمد، وليس كل محمد محيي الدين، فكون محمد (صلى الله عليه وسلم) مستمد بحكم الولاية من الصورة الخاتمية، لا تقيض أن صورة محيي الدين غيره، أن تقيد إطلاق عبارة الفصوص ، كما أن معلومات الحق وإن استفاد علما منها.

لا يقتضي أن كلا من العلم والمعلوم غير ذات الحق تعالى في حال التفصيل والإجمال، ولذا قال: أنا وارث لاشك علم محمد، إذ الأصالة في الموجود مُلكا وإمدادًا للموروث، لا للوارث، فالوارث ما أمد الموروث إلا لحكم أنه موروث، فما استفاد الحق من سواه، كما استفاد خاتم الرسل من سواه، فهو خاتم الأولياء من حيث الجمع والتفصيل والله علي ما نقول وكيل.

نهاية الجزء الثالث